الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠
للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص.ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤٦٢١٢٢٣
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ١، ٢ س ٣٣ - رجب، شعبان سنة ١٤١٨هـ - تشرين ٢ كانون ١ (نوفمبر، ديسمبر) سنة ١٩٩٧م

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار

(١٧)

(خُبَّة) الصواب (جُبَّة)

إضافة وتوضيحًا لما سبق نشره في «العرب» - س ٣٠ ص ٤٤١ -: قال البكري في «معجم ما استعجم» في رسم خُبَّة: خُبَّة بضم أولِه وتشديدِ ثانيه بعده هاء التأنيث: من أَرْضِ كَلْبٍ قال بِشْرُ بن أبي خازم:

فَمَا صَدَعٌ بخُبَّةَ أو بِشَرْجٍ ... على زَلِقٍ زُمَالِقَ ذِي كِهَافِ

وقال آخرون: خُبَّةُ من أرضِ طَيِّءٍ، وأنشدُوا قولَ النَّمِر:

زَبَنَتْكَ أَرْكَانُ العَدُوِّ فأَصْبَحَتْ ... أَجأٌ وخُبَّةُ من قَرَارِ دِيَارِهَا

وجاء في «معجم البلدان»: خُبَّة أَرضٌ ذاتُ رَمْلٍ بنجد، عن نَصْرٍ، قال الأَخْطَلُ:

فَتَنَهْنَهَت عَنْهُ وَوَلَّى يَقْتَرِي ... رَمْلًا بِخُبَّةَ تَارَةً وَيَصُوْم

يلاحظ على هذا:

١- ما أورده البكري يفهم منه أنَّ المقصودَ (جُبَّة) بالجيم، فهي التي في رمل عالج، المعروف الآن باسم (النُّفُود الكَبِير) الواقع بين بِلَاد الجبلين (حايل) وبلاد الجَوْف، وهو امتداد لِرمالِ الدهناءِ، ورملُ عالجٍ كانت تتنازعه قبيلتا طَيِّءٍ وَكَلْب، فَيُنْسَب إلى هذه مَرَّة، وإلى تلك مَرَّة أخرى، كما في شعر الأَخْنَسِ بن شِهَاب.

وكَلْبٌ لَهَا خَبْتٌ وَرَمْلَةُ عَالِجٍ ... إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ

وهو الواردفي شعـر بشر بن أبي خازم الأَسدِيِّ لمجاورة بني أسـدٍ لقبيلة طَيِّءٍ فَهُو في أرض طَيِّءٍ، وذِكْرُهُ مقرونًا بِأَجَإٍ في قول النَّمِر يُؤيِّدُ هَذَا.

٢- أَمَّا الخُبَّـة فهي صفة للموضع المُنْخَفض من الـرمل غير أنها واسعـة، ولاتزال كلمـة الخُبَّة مستعملـة عنـد العامـة، ويقصدون بهـا المـوضع المنخفض بين حَبْلَيْنِ مرتفعين من حِبَال الرمل، وغالبًا ما تكون الخُبَّة بين رمال.

أما ما ورد في «معجم البلدان» فيلاحظ عليه:-

١- بيت الأخطل في ديوانه تحقيق الأب أنطون صـالحاني اليسوعي المطبوع سنة ١٨٩١م - ص ٨٧ - الـذي استشهـد بـه يـاقـوت، ورد فيـه (بِجُبَّـة) بـالجيم، وقـال المحقق في الهامش: جُبَّة اسم لمواضع مختلفة، ولعله أراد جُبَّة المسِيل، وهي ناحيةٌ بين دمشق وَبعْلَبَك، تشتمل على عِدَّة قـرى، وروى ياقوت (خُبَّة) بالخـاء الفوقية، ثم نقل كلام ياقوت.

٢- نص ما في كتاب نصر: (بَـابُ حَيَّةَ وحَنَّةَ وخُبَّةَ وجُبَّة) أما بعـد الحاء ياءٌ تحتها نقطتانِ: من جِبَال طيِّءٍ، وما بعـد الحاء نُوْنٌ: دَيْر حَنَّةَ بظاهر الكُـوْفَة، وأَما بضم الخَاءِ المعجمةِ وَبَاءٍ مـوحدة موضع بِنَجْد، وأَمَّا بِجِيْمٍ وَبَاءٍ أَيْضًـا: مَاءٌ في أَعلى رَمْلٍ عَالِجٍ، من دِيَار بُحْتُرَ، من طَيِّءٍ، وأَيضًـا في مَوَاضِع منْ سَوَادِالْعِرَاق بِأَكْنَـاف دِجْلَةَ والفُرَات. انتهى.

وفي «معجم البلدان» أورد في رسم (جُبَّة) قولَ كُثَيِّرٍ:

بِـأَجْمَل مِنْهَـا، وَإِن أَدْبَـرَتْ ... فَـأَرْخٌ بِجُبَّـةَ يَقْـرُوْ حَمِيْـلا

الأَرْخُ: الثَّنِيُّ منَ البقـر. انتهى، وقـول كُثَيِّرٍ يفهم منـه: أنَّ المـوضعَ في مكانٍ مَـرَبٍّ لِلْوَحْش تأْلفُـهُ وتَرْتَادُهُ وتَعِيش فيه، وهـذا الوصفُ ينطبق على مكانِ جُبَّة بِـالْجِيْم كما ورد في مطبوعة «ديوان الأخطل»، أما قول شارحه بأنها ناحية بين دمشق وبعلبكَّ فهذا خطأٌ أيضًـا، فالأخطل في هـذا البيت يصف ثَـوْرًا وحشيًّا، تتبعـه كـلابُ صيْد، فلمـا تنهنَهَتْ عنه أي تفرقت ولَّى يقطع ويَجُوز رمـلًا بِجُبَّة، فالموضع واسعٌ ذُو رمال، وليس ناحيةً معمـورة بالقرى، وبعده: يـرعى صَحارِيَ حَامِرٍ في الصيف، وحـامرُ وادٍ لايزال

معروفًا، ليس بعيدًا عن رَمْل عالجٍ الذي هو النفود الكبير، الواقع بين منطقتي حائل والجوف، وجُبَّةُ كانت منهلًا فيه، يضاف إليها ماحولها من الرمل، وأصبحَتِ الآن قريةً مسكونة، تابعة لمنطقة حائل، تقع في جوفِ النُّفود، على مسافة ٩٠ كيلًا تقريبًا من مدينة حائل شمالها، وهي من بلاد شَمَّر، وفيه مدرسة يقارب تلاميذها ٧٠ وعَدَّهَا ابن دَخِيْلٍ من بلاد سِنْجَارَةً، (وتقع بقرب خط الطول: ٥٩َ/ ٤٠ْ وخط العرض: ١َ/ ٢٨ْ) وعُرِفَتْ جُبَّةُ بصناعة الرِّحَال الجيدة (الأَشِدَّة) لمَّا كانت الإبلُ هي الرواحل التي تقطع بها الفيافي والقفار، قال أَحدُهُم:

و (شَدَيِّدٍ) شِغْلَ أَهلْ جُبَّةْ ... ما يَثْنِيَ الوَرْكِ رَكَّابه

(الخَطَّابَة) الصواب (الحَطَّابَة)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: الخَطَّابَةُ موضعٌ في ديار كَرِيْبٍ، من ديار تميم. انتهى، ومفهوم هذا الكلام أن كَرِيْبَ اسمٌ لِسُكَّانِ الموضع، وليس الأمرُ كذالك، فَكَرِيْبُ اسمُ موضع ذكره ياقوت وغيره.

وقال البكريُّ: ذُو كَرِيْب - بفتح أولِهِ وكسرِ ثانيهِ بعده الياءُ أُختُ الواو-: موضعٌ بالجزيرة ثم أورد قولَ عَدِيِّ بْنِ زيد:

سَقَى بَطْنَ الْعَقِيْقِ إِلَى أُفَاقٍ ... فَفَاثُورٍ إِلَى لَبَبِ الكَثِيْبِ

فَرَوَّى قُلَّةَ الأَدْحَالِ وَبْلًا ... فَفَلْجًا فَالنَّبِيَّ فَذَا كَرِيْبِ

وقوله: بالجزيرة غريب. وشعرُ عدِيٍّ يدل على أنه بفتح الكاف، كما يدل على قُرْبِهِ من أُفَاقٍ وفَلْجٍ البعيدَيْنِ عن الجزيرة. وأورد البكريُّ قولَ الأَصمَعِيِّ: الغَبِيْطَانِ مَوْضِعَان وأنشد:

تَرَبَّعَ القُلَّةَ بِالْغَبِيْطَيْن ... فَذَا كَرِيْبٍ فَجَنُوْبَ الفَأْوَيْن

وفي كتاب «بلاد العرب»: الغَبِيْط والإِيَادُ وذو طُلُوْحٍ وذو كَرِيْبٍ أَوْدِيةٌ بالحَزْن حَزْن بني يَرْبُوع. انتهى وعن (الغَبِيط) و (الفَأْوَيْنِ) انظر كتاب «المعجم الجغرافي» - قسم شمال المملكة-. وقال ياقوت: كَرِيْبُ بالفتح ثم الكسرِ، وآخره باءٌ موحدةٌ ويُرْوَى كُرَيْب - بلفظ التصغير-: وهو اسمُ موضع في قول جرير:

هَـاجَ الفُـؤاد بِـذِي كَـرِيْبٍ دِمْنَـةٌ ... أَوْ بِـالْأُفَـاقَـةِ مَنْـزِلٌ مِنْ مَهْـدَدَا

أما قـول ياقوت: بعـد ذالك في «المعجم» كَرِيتٌ: بفتح أولـه، وكسر ثانيـه ثم ياء مثناة من تحت، وتاء مثناة من فوق: لا أعرف فيـه إلا قولهم: حَوْلٌ كريتٌ أي تامٌّ: اسم موضع في شعر عـدي بن زيد، وقيل ذو كريب: موضع في حَزْن بني يربـوع بين الكوفة وفيـد. انتهى، فَإِيـرَادُ الاسم بـالتاء المثنـاة في آخـره تصحيف، والصـواب أنه بـالبـاء الموحـدة، فذو كـريب وادٍ لايزال معـروفًا في الحَـزْن، ولكنه ينطق بـابدال البـاء ميمًا (كَرِيم) كعـادة العامـة في إبدال البـاء ميمًا والميم بـاء، ويقع شرقَ أُمِّ رَضَمَـة، ويمتد نحـو الشمالِ من الْمُـرَيْوَة إلى المِـرْوَاد، حيث يفصلِ بينه وبين أَنْصَـاب قُوْر القُنَيْنَـة، ويقع شـرقَ الشُّعْبَـةِ المَنْهلِ الـواقع على خط الأنـابيب، وشمـالـه مـرتفع من الأرض يسمى جالُ كريم، ممتـد حتى جال الشُّعْبة، يفصل بينهما خَرْمَـاءُ كَرِيْم، (يقع كريب بقرب خط الطول: ٥٥َ/ ٤٤ْ وخطَّي العرض: ٤٥َ/ ٢٨ْ و ٠٠َ/ ٢٩ْ).

أمـا الحَطَّـابة فقـد ورد الاسم صحيحًـا في كتـاب «النقـائض» – ص ٧٨١ – في حديث يومَ ذي طُلُـوحٍ، وهو يوم الصَّمْد، ويوم أُوْدٍ، فِي خبر طـويل عن إغارة اللَّهَازِم من بكر بن وائل ومن تبعهم، على بني تميم، فعلم بذالك عُمَيْـرة بن طارقٍ اليربوعي، فهبَّ لإنذار قَـوْمِهِ، وسـاق خبره حتى قـال-: فأَجْدَدْتُ السَّيْرَ يـومي وليلتي حتَّى أَرِد سَفَـار (وهـو مـاءٌ لبني تميم) فَـوَجَدْتُ في مَنْـزِل القـوم نِسْعَـةً فَسَقَيْتُ بهـا راحلتي، وطَعِمْت من تَمْـري الـذي كـان معي، وشَـرِبْتُ من المـاءِ ثم رَكِبْتُهَـا مُسْيَ الثالثـة، فأصْبَحْتُ بالحَطَّابَـة من ذِي كَرِيبٍ، فَإِذا نَاسٌ يَعْلفون السِّدْرَ (يعني يَرْعَـوْنَه) فتحرَّفْتُ عنهم مخافَةَ أن يَأْخذُونِي، فنـاداني بعضُهُمْ: إِنَّما نَحْنُ صُدَّارُ البيتِ فَلَا تَخَفْ (يعني مَكَّة، والصُّـدَّارُ الرَّاجِعُونَ) فنَفَذْت حتَّى أُصَبِّح طَلَـحَ وبها جماعةُ بَني يـربوع فقلتُ: قد غَـزَاكُمُ الْجَيْشُ مِنْ بَكْرِ بن وَائِلٍ فَشَأْنكم. انتهى. ومِمَّا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ أَنَّ (الحَطَّـابَةَ) مِنْ مَوَاضِعِ كَرِيْبٍ (كَرِيم الآنَ) الَّذِي سَبَقَ تَحْدِيدُهُ.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

(١٥)

المبحث الخامس: جبل أبو الصواعق[١]:

جبل أبو صواعق: هكذا سمّاه لنا جماعة من هذيل يسكنون بجوا ر هذا الجبل وهو جبل أبيض، حجارته رخوة وخشنة ويقوم لوحده لا يلتصق به شيء من الجبال. ويقع إلى الشرق من جبل الخشن الأوسط، ولا يبعد عنه سوى عشرين مترًا (٢٠ م). وما بينهما أرض واطئة ليستْ ثنية، وقد شقّ بينهما طريق ترابي حديث شقّه من يملك أرض (العقيشية) لتبيان حدود ما يملك، وكأن جبل أبو الصواعق دخل في حدود ملكيته لأنّ خط السيارات هذا الذي خطته الجرّافات أصبح يمر غرب جبل أبو صواعق.

وهذا الجبل كما سبق تحيط به أرض بيضاء من جميع جوانبه، ويبعد عن جبل (سود حمّى)[٢] كيلًا (١ كم) شمالًا، وعن جبل (لبن) خمس مئة وألف متر (١٥٠٠ م) غربًا.

العلم الأول: وجدتُـه على قمة جبل (أبو صواعق) التي ترتقع (٣٠٢ م) فوق سطح البحر علمًا واحدًا فقط، وهو: رضم ضخم، قطره ثلاثة أمتار (٣ م)، وحجارته ضخمة، ومرضوم رضمًا جيدًا. ولضخامة حجارته وخشونتها وجودةرضمه فلا زال هذا العلم بحالة جيدة، ويقابل هذا العلم أعلام (جبل الخشن) الشرقية، ويبعد عنها سبع مئة متر (٧٠٠ م) شرقًا مع ميل. ويسامت هذا العلم الطرق الشمالي من (جبل لبن) تقريبًا.

هذا العلم الوحيد الذي وجدته على جبل أبو الصواعق وبعده ينتقل الحدّ جنوبًا، على سلسلة جبلية ليست بالمرتفعة تمتدّ من الشمال إلى الجنوب تربط بين جبل أبو الصواعق تقريبًا وبين جبل لبن.

هـذه السلسلةتخترق أرضًا رملية تقع بين جبل (سود حمّى) من الجنوب، وبين جبل أبو الصـواعق من الشمال، ومن الشرق تحدّها أرض رملية تتصل بأرض منطقة (العقيشية).

وتبعد هذه السلسلة الصغيرة عن جبل سود حمّى ثمان مئة متر (٨٠٠ م)، ورأسها

الشمالي يبعد عن جبل أبو الصواعق خمس مئة متر (٥٠٠ م)، كما أن رأسها الجنوبي يبعد عن جبل لبن مئة متر (١٠٠ م).

ويوجد عند الرأس الشرقي لهذه السلسلة الصغيرة أرض عثرية يقال لها (الصبغة) تقع إلى جنوب هذا الرأس.

كما توجد إلى شمال هذا الرأس من هذه السلسلة أرض أخرى يقال لها (المصبغة)[٣].

وبذالك ينحصر الرأس الشرقي لهذه السلسلة بين أرض الصبغة من الجنوب وبين أرض المصبغة من الشمال.

والرأس الغربي لهذه السلسلة يسيل بقربه شعب نازل من جبل (سود حمّى) يقال له: الوتير. وبعضهم يقول: الوتائر.

و (الوتير) اسم قديم لهذا الشعب، فيه آبار وماء لخزاعة، وكانوا يسكنون عنده، وهو الموضع الذي بيتت فيه قبيلة بكر خزاعة، وقتلت منهم من قتلت بمساعدة قريش، أيام النبي ﷺ وجاء الصريخ - صريخ خزاعة - ينشد النبي ﷺ حلفه وإيّاهم، فسيّر النبي ﷺ جيشه يومذاك وفتح الله له مكّة[٤].

إذن (الوتير) يسيل إلى الغرب من رأس هذه السلسلة ثم يصبّ على أرض (العقيشيّة) ويستقرّ ماؤه في وسط أرضها التي كان يقال لها فيما سبق (أضاة لبن).

والأعلام التي وجدتها على هذه السلسلة تمتدّ من الغرب إلى الشرق، كأنها رابط بين جبل أبو صواعق وبين جبل لبن. وأعلام هذه السلسلة جعلتها ملحقة بأعلام جبل أبو صواعق، لأنها في خط واحد وفي أرض واحدة.

العلم الثاني: يقوم عند الرأس الغربي لهذه السلسلة الصغيرة، وهو رضم صغير قديم متهدم.

العلم الثالث: يبعد عن سابقه ثلاث مئة متر (٣٠٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير متهدم، وقد دَفنتِ الرمال كثيرًا من حجارته. ويقوم على قرن شبه منفصل عن الرأس الذي يقوم عليه العلم السابق، وعن المرتفع الذي يقوم عليه العلم الرابع.

العلم الرابع: يبعد عن سابقه مئتي متر (٢٠٠ م) شرقًا، وهو رضم متوسط قديم متهدم، وقد دَفنتِ الرمال بعض حجارته، وموضع هذا العلم هو رأس جبل متصل من هذا العلم إلى آخر أعلام هذه السلسلة الصغيرة، بخلاف موضع العلمين السابقين.

العلم الخامس: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شرقًا، وهو علم كبير متهدم.

العلم السادس: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) شرقًا، ويقوم على رأس مرتفع، وهو علم ضخم، قطره أربعة أمتار (٤ م)، وأُسسه حجارة ضخمة جيّدة الرضم، ولا زالت بعض جوانبه بحالة حسنة. وهذا من طائفة أعلام قمم الجبال التي سبق التنبيه عليها أكثر من مرة.

العلم السابع: يبعد عن سابقه عشرة أمتار (١٠ م) شرقًا، وهو رضم ضخم متوسط، قديم، متهدم.

العلم الثامن: يبعد عن سابقه خمسة عشر مترًا (١٥ م) شرقًا، وهو رضم قديم، متوسط، متهدم.

العلم التاسع: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شرقًا، وهو رضم قديم، متوسط، متهدم، وموضعه منخفض.

العلم العاشر: يبعد عن سابقه ثلاثين مترًا (٣٠ م) شرقًا، وهو رضم قديم، متوسط، متهدم، وموضعه منخفض أيضًا.

العلم الحادي عشر: يبعد عن سابقه ثلاث مئة متر (٣٠٠ م) شرقًا، ويقوم على آخر قمة لهذه السلسلة من الجنوب، والتي ترتفع (٢٥٩ م) عن سطح البحر، وهو رضم ضخم قطره ثلاثة أمتار (٣ م)، وهو يشبه الرضم (السادس) السابق ذكره على هذه السلسلة. وهذا العلم الكبير يشرف على أرض المصبغة من جنوب، كما يشرف على أرض الصبغة من شمال، ولا يبعد عن جبل لبن سوى مئة متر (١٠٠ م) جنوبًا.

العلم الثاني عشر: يبعد عن سابقه عشرة أمتار (١٠ م) شرقًا، ويقوم على النهاية

السفلى الشرقية من هذه السلسلة، وهو أقرب الأعلام إلى جبل لبن، وهو رضم صغير، قديم، متهدم.

وبهذا العلم انتهت أعلام هذه السلسلة الصغيرة الرابطة بين جبل (أبو الصواعق) وبين جبل (لبن). وهي كما ترى أعلام واضحة وجيدة، وسيرها بخط مستقيم تقريبًا، وفيها رضمان كبيران لا يتطرق إليهما شك.

بعد هذه السلسلة ينتقل الحدّ مباشرة إلى (جبل لبن) وسأوضح أعلا جبل لبن في المبحث الآتي(٥):

سود حمّى ليست من الحرم، وليست هي (جبل غراب): قبل الإنتقال إلى أعلام (جبل لبن) لابدّ من توضيح أمر اشتبه على بعض الفضلاء من المهتمين بتحديد الحرم الشريف، من سَيّر الحدّ في هذه المنطقة(٦).

هذا الأمر هو أن الحدّ في هذه المنطقة يسير على جبل (سود حمّى) إذ هو - في ظنهم - جبل (غراب) الذي ذكر الأزرقي والفاكهي أن بعضه في الحلّ وبعضه في الحرم(٧).

والجواب على ذالك:

أولًا: أن جبل (سود حمّى) ليس هو جبل غراب. وجبل غراب الذي عناه الأزرقي والفاكهي سيأتي وَصْفه في مبحث خاص في هذا الفصل.

وقد ذكر الأزرقي والفاكهي علامة مميّزة لجبل غراب وهو أن شعبًا يقال له (شعب نبعه) يصبّ أسفل غراب، وأن هناك (ريعًا) يقال له (ثنية ابن كرز) تصبّ في نبعة، وهذه الثنية عليها حدود الحرم. هذا فَحْوى ما ذكره الأزرقي و الفاكهي. وقد حقّقنا هذه المسألة وحرَّرناها في تعليقاتنا على كتاب الفاكهي، وقلنا: إن (ثنية ابن كرز) هي (ريع مهجرة) المعروف بـ (شعب نبعة) وهو: فج مهجرة الذي يسيل عليه (ريع مهجرة) وجبل غراب يقوم عند الضفة الشمالية لفوهة فج مهجرة ويبعد عن فوهة الفجّ ثلاث مئة متر (٣٠٠م) شمالًا، وهو الذي وجدنا عليه أعلام الحرم. فدعوى أن (سود حمّى) هو (غراب) الذي عليه أعلام الحرم دعوى بعيدة عن الواقع ومجرّدة من الدليل.

ثانيًا: لقد اشتهر في كتب السيرة النبوية، أن قريشًا ساعدت بكرًا في قتل جماعة من خزاعة ليلًا، عند ماء لهم يقال له: (الوتير). والوتير لازال معروفًا إلى اليوم، وهو شعب يسيل من (سود حمّى)، والوتير في الحلّ لا في الحرم، لأنه لو كان في الحرم لما تجرأت قريش على قتل أو مساعدة من يقتل رجلًا واحدًا، وهي صاحبة الحرم يومذاك، وحاملة الزعامة الدينية في جزيرة العرب قبيل الإسلام وتحترمهم العرب بسبب هذا الحرم المبارك.

ثم إن الذين عيّروا قريشًا بفعلتهم هذه إنما عيّروهم بسبب غدرهم ونقضهم عهد النبي ﷺ لا بسبب قتلهم في الحرم وانتهاك حرمته، ولو فعلوا فعلتهم في أرض الحرم لكانت أشدّ عارًا وأعظم شنارًا من نقضهم للعهد، ولعيّرهم شعراء المسلمين وشعراء خزاعة بذالك ولكن بيتًا واحدًا من الشعر، أو خطبة واحدة، أو أي إشارة من تَعْيير بكر وقريش بذالك لم تنقل إلينا حسب ما أعلم، فإذا كان (الوتير) في الحلّ وهو يسيل باتجاه أرض الحرم، فكيف يكون الجبل الذي يسيل منه في الحرم؟

إذن فدعوى أن الحدّ في هذه المنطقة يسير على (سود حمّى) دعوى مجرَّدة من الدليل أيضًا.

▪ **المبحث السادس: جبل لبن وجبل (لبين)**: لَبَن: بفتح اللام والباء، هكذا ضَبْطه على الصحيح، وإنما يسمّى الجبل (لبنًا) لبياضه، كما يسمّى (الغراب) و(أظلم) لسواده.

و (جبل لبن) من أشهر الجبال في هذه المنطقة، كما أنه أعلاها وأبيضها، أما علّوه فإنك تراه من أسفل مكّة، وأنت عند (قوز النكاسة) تراه شامخًا، وترى قمّته البيضاء ترتفع عمّا حوله من جبال، ويبلغ ارتفاعه (٤٥١ م) عن سطح البحر.

ولشهرته فقد سمّوا بعض المناطق التي بقربه باسمه، فقالوا: (أضاة لبن) و (ثنية لبن).

قال الفاكهي[٨]: (أضاة لبن: وإنما سُمّيتْ أضاة لبن لأن الجبل المطلّ عليها يقال له: لبن) انتهى.

وأفاد الفاكهي في موضع آخر: (أن هذا الجبل بعضه في الحلّ، وبعضه في الحرم، وأن له رأسين).

قلت: ولايزال هذا الجبل يُعرف بهذا الاسم، إلا أن بعضهم يقول: (لُبين) بالتصغير.

والصواب: أن لبن هو ذالك الجبل الكبير الشامخ، ولُبين يقع جنوبه، ويفصل بينهما (ريع) سوف يأتي ذكره بعد قليل.

فلبن: هو الرأس الشمالي. ولبين: هو الرأس الجنوبي.

فهما الرأسان اللذان عناهما الفاكهي.

وبعض الناس ممَّن يقيم حوله يقول للجبلين (اللبينات) فيجمعهما على التصغير.

وأما (أضاة لبن) فلا تعرف اليوم بهذا الاسم، فقد تغيّر اسمها منذ عهد الفاسي، ويقال لها اليوم (العقيشيّة) نسبة إلى رجل يقال له (ابن عقيش). ويطلق عليها اليوم أحيانًا (العكيشية) بالكاف بدل القاف[٩].

وهذه الأضاة عبارة عن أرض مستوية، وفيها انخفاض يتجمع فيها سيل وادي إبراهيم ولا يتعداها، لأنه يحاصر بأرض مرتفعة جدًا من جميع اتجاهاته، فلا ينفذ. وتجد هذه الأضاة إذا سال وادي إبراهيم كالبحيرة، يستنقع فيها الماء مدة طويلة جدًا، السنة تلو السنة، حتى كثر في أرض هذه الأضاة النباتات التي تنبت على حافات المستنقعات مثل القصب والبرديّ والخَلْفاء والطَّرفاء وما إلى ذالك، بل عاشت فيها الحيوانات التي لا تعيش إلا في المستنقعات. ولذالك فإن هذه الأضاة كان يقصدها أهل مكة في القديم، للتنزّه، وكانوا ينقلون من أضاة أخرى بقربها الطين الحرّ الذي يبنون به بيوتهم.

ولازالت بقايا هذا المستنقع (أضاة لبن) موجودة إلى الآن، وكذالك بقايا النباتات وخاصّة الطرفاء كأنه غابة صغيرة، إلا أن يد الإصلاح والتعمير بدأت تضيّق مناطق هذا المستنقع الواسع، فردمت بعضه وسوّت أرضه وما يحيط به من أراض صالحة للزراعة، وحفرت الآبار وأخرجت المياه، وزرعت ما تصلح زراعته، ولا زال العمل قائمًا على قدم وساق لإصلاح هذه الأرض وزراعتها. ونرى بعض ذالك في الصور الخاصّة بمنطقة (العقيشية).

و (جبل لبن) يقف شامخًا يطل على هذه الأرض من الجنوب، ومن الغرب.

وعلى هذا فجبل لبن قد دخل معظمه اليوم في منطقة (العقيشيّة) وخاصّة نصفه الشمالي.

انتقل الحدّ إلى (جبل لبن) من السلسلة الصغيرة التي سبق وَصْفها في المبحث السابق، انتقل على ضلع نازل من الطرف الشمالي لجبل لبن، هذا الضلع يتجه غربًا، سامتًا تقريبًا للسلسلة السابقة، ولجبل (أبو الصواعِق) وفي أسفل هذا الضلع من الغرب يوجد جبيل صغير منفصل عن جبل لبن تقريبًا بينهما عشرون مترًا (٢٠ م). وجدتُ فوق هذا الجبل الصغير الأعلام الآتي وَصْفها وعددها (٨) ثمانية أعلام، أما جملة أعلام هذا الجبل، وجبل لبن فهي (٢٣) ثلاثة وعشرون علمًا ووَصْفها كالآتي:

الأعلام الأول والثاني والثالث: وهي رضوم متوسطة قديمة متهدمة يبعد أحدها عن الآخر عشرة أمتار (١٠ م)، ووجدتُ بينهما مسمار حديد مثبتًا على ظهر هذا القرن الصغير.

العلم الرابع: وهو على بداية الضلع السابق وَصْفه، النازل من لبن والمقابل للقرن السابق الصغير. وهو رضم كبير قديم، وقد نحت ما يحيط بقاعدته من تراب، وذالك لأن من يملك أرض العقيشية شقّ طريقًا صاعدًا في هذا الجبل حتى قمّته العليا. وهذا الطريق هو الذي أثّر على قاعدة هذا العلم فأزال ما حولها من صخور وأتربة، فأصبح كأنه على برج قائم. وهذا العلم يبعد من الأعلام الثلاثة السابقة مئتي متر (٢٠٠ م) شرقًا.

العلم الخامس: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) شرقًا من مَيل نحو الجنوب، وهو رضم كبير متهدم.

العلم السادس: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) إلى الجنوب الشرقي، حيث ينعطف هنا موضع سير الأعلام نحو الجنوب، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم السابع: يبعد عن سابقه مئتي متر (٢٠٠ م) إلى الجنوب الشرقي أيضًا، وهو رضم كبير متهدم.

العلم الثامن: يبعد عن سابقه عشرين مترًا (٢٠ م) جنوبًا شرقيًا، وهو رضم كبير، دائري الشكل، يحيط بصخرة مستديرة كأنها صحن كبير له قاعدة من أسفله، وهذا الرضم رضم جميل، حيث إنني لم أر ما يشبهه في طريقة بنائه. وبعد هذا العلم لم أجد علمًا آخر حتى وصلتُ إلى قمة جبل لبن. وقبيل الوصول إلى مركز القمة وجدتُ رضومًا سبعة هي:

الأعلام من التاسع إلى الخامس عشر: وهي رضوم صغيرة قديمة تتقاطر من الشمال إلى الجنوب باتجاه مركز القمّة يبعد أحدها عن الآخر ثلاثة أمتار (٣ م).

وبعدها لم أجد علمًا على قمة هذا الجبل، بل وجدتُ حجارة كثيرة متناثرة قد أُزيلت. وقد سألتُ المجاورين من سكّان هذه المنطقة هل صعدوا هذا الجبل ورأوا فوقه علمًا؟ فأخبرني بعضهم[١٠] أنهم كانوا يصعدون إلى قمة لبن، وأنهم كانوا يرون علمًا كبيرًا هو عبارة عن رضم كبير، قالوا: إنه أكبر بكثير من هذا الرضم (وأشاروا إلى العلم السادس من أعلام السلسلة الصغيرة ما بين جبل أبو صواعق وجبل لبن) وقطره أربعة أمتار (٤ م) وقالوا: كنّا نسأل أنفسنا لماذا وُضع هذا الرضم هنا؟ فلانعرف الجواب وقالوا أيضًا: كنا نرى هذا الرضم الكبير من أسفل الجبل، نراه إلى الشمال من تلك الصخرة، (وأشاروا إلى صخرة عظيمة تتوسط قمة جبل لبن استعصى زحزحتها من مكانها، وقد ظهرت هذه الصخرة في بعض صور هذا الجبل).

وأظن أن هاؤلاء صادِقون، لأنني رأيت الحجارة أُزيحت فوق هذا الجبل تتكدّس أكوامًا في إحدى جهات هذه القمة.

فقد كان هناك علم ضخم جدًا يشبه علم قمة الستار، وحجلى، والرضيعة، والناصرية، والدّومة الحمراء، هذا العلم الضخم يتربع على قمة جبل لبن.

وبعد الرضوم السبعة الصغيرة لم أجد علمًا إلا بعد خمس مئة متر (٥٠٠ م) باتجاه الجنوب، وهو:

العلم السادس عشر: وهو رضم متهدم متوسط، يقوم على السفح الجنوبي لهذا الجبل. وبعده لم أجد أي علم على هذا الجبل حتى نزلتُ من سفحه الجنوبي على

(ريع) يفصل (جبل لبن) عن (جبل لبين). هـذا الـريع هو ريع لبن، وهـو ريع يسيل شرقًا وغـربًا، وعليه طريق مسلـوكة للسيّارات، والريع ليس ضيقًـا بل فيه سعة، ويبلغ ارتفاعه (٢٢٣م) عن سطح البحر.

ثم وجدتُ على هذا الريع خمسة أعلام، وهي:

الأعـلام من السـابع عشـر حتى العلم الحـادي والعشـرين: وهي رضـوم قديمـة، تناثرت حجارتها، وبعضها لم يبق منه إلا أُسسه الواضحة وهي ليست بالكبيرة. وتبعد عن بعضها عشرين مترًا (٢٠ م).

العلم الثاني والعشرون: يبعد عن الأعلام السـابقة مئة متر (١٠٠ م) جنـوبًا عدلًا، ويقـوم على رأس ضلع نازل من (جبل لبين) شمـالًا بـاتجاه هـذا الريع. وهـذا العلم يشرف على الريع من الجنوب، وهو ضم كبير منهدم قديم.

العلم الثالث والعشرون: يبعد عن سابقه خمسين متـرًا (٥٠ م) جنوبًا، ويقوم على ظهر الضلع السابق ذكره، وهو رضم كبير قديم متهدم.

إن وجود هذين العلمين على هذا الضلع يشير إلى أن الحدّ يتّجه جنوبًا نحو جبل لبين، لكنني لم أجد علمًا على (جبل لبين)، ولا حتى على سفحه الجنوبي.

ومع هذا فإن إهمـاله من وجود الأعـلام لا يعني أنه ليس بحدّ، أو أن الحـدّ لا يمرّ من فوقه لأسباب سوف أبيّنها فيما بعد.

وبـالعلم الثـالث والعشـرين تكـون قـد انتهت أعـلام (جبل لبن) وأعـلام الـريع الفاصل بينه وبين (جبل لبين) وأعلام جبل لبين.

وعلى ذالك فـالناظـر هنـا يرى أن الأعـلام تكـاد أن تقسم جبل لبن إلى نصفين، شرقي و غربي، ونصفـه الغربي وماسال منـه حلّ، ونصفه الشرقي وما سـال منه حرم.

وهكذا القول في الريع الفاصل بينه وبين لبين. وهكذا القول أيضًا في جبل لبين.

عندما ينتهي جبل (لبين) لا تجد عند رأسه جبـلًا ينتقل إليه الحدّ، إنما يوجد عند رأسـه أرض رملية عبـارة عن خبت يتجـه نحـو الجنوب الغـربي، هـذا الخبت أصبح

مسيلًا عريضًا لمياه المجاري والسيول الآتية من مكّة المكرّمة. هذه المياه تأتي عبر قنوات مدفونة تحت الأرض من مسفلة مكّة المكرّمة إلى هنا. ونهاية هذه القناة تخرج مقابل جبل (لبين) من الشرق، وعندما تتدفق المياه من فوهة هذه القناة تتجه نحو الجنوب لتحيط بالرأس الجنوبي لجبل لبين ثم تتجه مع جبل (القشع) نحوالجنوب، ولذالك فمن الصعب السير في تلك المنطقة أثناء تدفّق تلك المياه، لأنها تنتشر في تلك المنطقة لتشكّل مسطّحًا مائيًّا جاريًا نحو الخبت الجنوبي.

إن المسافة التي يأخذها مجرى هذا السطح هي نصف المسافة تقريبًا بين الرأس الجنوبي لجبل لبين وبين الباب الأول من بيبان درب اليمن القديم (الدرب السلطاني)[١١] وكلا نصفي المسافة لم أجد فيهما أي علم.

إن الحدّ ينتقل بعد (جبل لبين) إلى البيبان. والبيبان تقع إلى الجنوب من الرأس الجنوبي لجبل لبين، والمسافة بين الموضعين (١٢٠٠م) ألف ومئتي متر.

هذه المسافة بعد تفتيش القسم اليابس منها لم أجد عليها أثرًا لأي علم، وهي أرض رملية يكثر فيها شجر السرح[١٢] ويخترقها من الشرق درب اليمن القديم.

أما ما هي البيبان؟ وما هو دليل انتقال الحدّ إليها؟ فهذا موضعه المبحث الآتي ذكره.

■ **المبحث السابع: البيبان (ثنية لبن): البيبان:** جمع باب: وهو اسم يطلقه أهل مكّة وغيرهم على ثلاث ثنايا متوالية لا تبعد الواحدة عن الأخرى كثيرًا، يمر عليها درب اليمن القديم (الدرب السلطاني).

هذه الثنايا أو (الريعان) تقع في الطرف الشرقي لجبل كبير مشهور يقال له (جبل ملكان) أو (جبل القشع) وهو يقع إلى الجنوب من جبل (لبين). وهذه الريعان الثلاثة عبارة عن ممرات ضيّقة ليست بواسعة، تشبه الأبواب فقالوا لها: البيبان. وهذه البيبان هي:

الباب الأول: (وهو الباب الشمالي).

والباب الثاني: ومشهور عندهم باسم: (الباب الأوسط).

والباب الثالث: (وهو الباب الجنوبي).

والذي يهمّنا من هذه الأبواب الثلاثة هو (الباب الأول) وهو: الباب الشمالي. هذا (الباب الأول) لم يكن اسمه هكذا في عهد الأزرقي، ولا في عهد الفاسي، ولكن

سمّاه الأزرقي (ثنية لبن) وأضافها إلى لبن لأنها أقرب الثنايا الثلاث إلى جبل لبن، كما أنها تظهر للقادم إلى مكّة من هذا الدرب على (جبل لبن).

قال الأزرقي[١٣]، في مبحث - ذكر حدود الحرم الشريف-: (ومن طريق اليمن طرف أضاة لبن في ثنية لبن، على سبعة أميال) انتهى.

وقال الفاكهي[١٤] في مبحث ذكر صفة حدود الحرم من جوانبه: (ومن طريق اليمن طرف أضاة لبن على سبعة أميال).

وقد كانت عند هذه الثنية علامة مبنية في عهد الفاسي، حيث قال بعد أن نقل قول الأزرقي السابق في موضع الحدّ هنا، قال موضحًا (أضاة لبن) في زمانه[١٥].

(هذه الأضاة[١٦] تعرف اليوم بأضاة ابن عقيش - في الأصل عقش وهو تحريف - وفيها علامة مبنية لحدّ الحرم) انتهى.

وهذه العلامة المبنية لا وجود لها اليوم.

العلم الأول: لقد وجدتُ عند (الباب الأول) من جهته الجنوبية على يمين الداخل إلى مكّة قبل أن يرتقي هذا الباب آثار بناء مربّع الشكل، وطول ضلعه ثلاثة أمتار (٣م)، وهو مربّع بزوايا قائمة، وأضلاع مستقيمة، أصمّ (أي مليء الجوف) وأُسسه ذات صخور كبيرة جيّدة الرصف، فلعلَ هذه هي العلامة التي كان يعنيها الفاسي.

والحقيقة أن (الباب الأول) الشمالي لا يُعتبر تابعًا لجبل القشع إلا من باب التغليب، حيث إنه يقع في جبل صغير منفصل تقريبًا عن جبل القشع الكبير، هذا الجبل الصغير يقال له (القشيع) بالتصغير. ويبلغ ارتفاعه (٣٧٣م) عن سطح البحر.

العلم الثاني: وجدتُه على هذا (الباب الأول) على قمة جبل صغير متصل بجبل (القشيع) من الشرق، ويشرف على الباب الأول إشرافًا، يقال لهذا الجبل (دقم أبو رويكة). وهذا العلم عبارة عن رضم متوسط قديم متهدم، والظاهر من أُسسه أنه كان أسطوانيّ الشكل.

فهذان علمان قديمان يوجدان على الباب الأول وهو (ثنية لبن) ولم أجد غيرهما، والمحل لا يحتمل أعلامًا كثيرة فهو ممر ضيّق كما وَصَفْنا.

وبعد (الباب الأول) كـان من التصوّر أن يتجه الحدّ شرقًـا، لأن من حدود الحرم في هذه المنطقة (جبل غراب) وجبل غراب يقع إلـى الشمال الشرقي من (دقم أبو رويكة) ويبعد عنه أربعة أكيـال (٤ كـم). وما بين الجبلين أرض فضاء، عبارة عن رمل، فهل من المعقـول أن ينتقل الحدّ مبـاشرة من هنـا إلى جبل غراب دون أن يمـرّ على مرتفعـات جبلية عليها أعلام؟ وجواب هذا السؤال في المبحث الثامن الآتي ذكره.

(للبحث صلة)

د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

الحواشي:

(١) الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد، وهي الصواعق والصواقع. «لسان العرب»: ١٠/ ١٩٨ مادة (صعق).

(٢) سود حمّى: تصغيـر حمى: سلسلة جبلية سوداء في الجنـوب الغربي من مكّة على (١٥) كيلا، تـرى من العقيشية جنوبًا، يمـر وادي عرنة بطرفها الجنوبي وهي واقعـة في ديار خزاعة تقابلها من الجنـوب جبال القشع بينهما وادي عرنة «معجم معالم الحجاز» للبلادي: ٤/ ٢٥١.

(٣) دخلت ضمن منطقة العقيشية التي أصبحت مزارع جنوب مكّة.

(٤) «أخبار مكة» للفاكهي: ٤/ ٢٠٠، ٢٠١، ٥/ ١٠٢.

(٥) هذا هو ما أخبرني به الشـريف شاكر بن هزاع العبدلي قائم مقام مكّة المكرّمة عنـد سؤالي له عن اتجاه حدّ الحرم في الجهة الجنوبية. أدخل (جبل سود حمّى) والوتائر.

(٦) «أخبار مكة» للأزرقي: ٢/ ٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٩؛ و «أخبار مكة» للفاكهي: ٥/ ٨٦.

(٧) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام: ٤/ ٣١.

(٨) «أخبار مكة» للفاكهي: ٤/ ١٩٥.

(٩) «شفاء الغرام» للفاسي: ١/ ٩٣. وانظر تعليقنا في هامش «أخبار مكة» للفاكهي: ٤/ ١٩٥.

(١٠) هم أشخاص من خزاعة لهم مزارع في هذه المنطقة منهم شيخ خزاعة الآن.

(١١) درب السلطاني: هـو درب الحاج القـديم الذي يمـر بعسفان والجحفة والقـاحة وهـو (درب الأنبياء). «معجم معالم الحجاز» للبلادي: ٤/ ١٢٧.

(١٢) السرح: قال ابن الأثير في «النهاية»: (الشجر العظيم). وقـال الفيروزآبادي في «القاموس»: (كل شجر لا شوك له). انظر: «النهاية في غريب الحديث» و «الأثر» لابن الأثير: ٢/ ٣٥٨؛ و «القاموس المحيط» للفيروزآبادي: ٢٨٦.

(١٣) «أخبار مكة»: ٢/ ١٣١.

(١٤) «أخبار مكة»: ٥/ ٨٩.

(١٥) «شفاء الغرام» للفاسي: ١/ ٥٨.

(١٦) الأضاة: في الوادي، وهي خبت يجتمع سيل وادي مكّة فيه. انظر: «أخبار مكة» للفاكهي: ٤/ ١٩٥

من (العربية المحكية في اليمن)
في القرن الحادي عشر الهجري

(١)

إنها فوائد لغوية في العربية المحكية في اليمن في القرن الحادي عشر، وكنت وجدتها في مخطوطة لدى الأستاذ عبدالله الحِبْشِي. وهذه المخطوطة مجموع من أوراق لا تحمل اسمًا، ولكن صاحبها ومحررها أحد أئمة اليمن وهو المؤيد بالله محمد بن إسماعيل[(١)].

قلت: إن هذا المجموع خلو من اسم وذالك لأن صاحبه لم يرد به أن يكون كتابًا، فهو أوراق اشتملت على حاجات وشؤون عرضت للمؤلف في عمله واضطلاعه بما يخُصُّ الناس، ومايلزمه أن يقوم به. ومن هنا فهي أشبه بالسجل الذي يكون لدى أصحاب الأمر، يدونون فيه ماكان لهم من عملٍ ومايكون.

وعلى هذا فهي شؤون يومية أو مايُسمى (يوميات).

وقد رأى الأستاذ الحِبْشي أن يحقّق هذا المجموع المخطوط فكان له كتاب جعل عنوانه «مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل» وأضاف إلى هذا العنوان إيضاحًا فقال: (أول مذكرات شخصية لأحد الساسة في التراث الإسلامي)[(٢)].

أقول: إن مادة هذا الكتاب كما سيرى القارئ أمور خاصة تتصل بعمل صاحبها وماكان منه في قضاء شؤون الناس التي يضطلع بها. والذي نعرفه من مصطلح (المذكرات) في عصرنا هو غير هذا.

إن (المذكرات)، كما اعتدنا رؤيتها لدى الأدباء والعلماء، خواطر أدبية وآراء وأفكار يؤلف مجموعها نوعًا من الأنواع الأدبية.

قلت: لقد وقفت في هذا الكتاب في أصله المخطوط ثم في المطبوع الذي قدّمه الأستاذ الحبشِي فوائد لغوية من العربية المحكية في اليمن منذ ثلاث قرون[(٣)]. وقد استوضحت هذه الفوائد اللغوية من الأستاذ الحبشي والأستاذ عبدالله السريحي ثم عدت ثانية إلى المطبوع وقابلت مالديّ من الفوائد عليه، وها أنذا أثبت في هذا

الموجز ما اجتمع لديَّ من تلك العربية المحكية التي لم يبق منها لدى المعاصرين إلا القليل، وكثير منها مما لا يدركه اليمنيون في عصرنا، وأقول:

١ - جاء في الصفحة (٢٧) وهي أولى صفحات النص: (ابن السيد حسين التهامي لما وصل من المخا أهدى ترس وصندوق صفر باغة وفيه....).

أقول: قول المؤلف: (السيد حسين التهامي) وقد صُدِّر بـ (السيد) وهو اللقب المعروف الذي يسبق الذين ينتسبون إلى الهاشميين العلويين. ومازال هذا معروفًا بهذه الدلالة في عصرنا. غير أن المعاصرين تجاوزوا هذه الدلالة الخاصة في النسب فأجْرَوْا هذا اللقب على أي من الناس إعظامًا واحترامًا، يقال مثلًا: السيد الرئيس قام بزيارة إلى بعض البلدان العربية. ويقال: السيد زيد أو عمرو من أهل العلم.

وكأنَّ التوسع في استعمال (السيد) أخرجه عن اختصاصه بالنسب العلويّ.

لقد عرفنا مثل هذا اللقب التشريفي الخاص بالأشراف السادة العلوية(٤) في العصور العباسيّة، وهو لفظ (الشريف) وهو نظير (السيد). عرفنا من هذا شهرة الشاعر المشهور (السيّد الحِمْيَرِيّ) وهو اسماعيل بن محمد المتوفى سنة ١٧٣ هـ. وعرفنا الشريف الرَّضِيَّ حمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٠٦ هـ وأخاه الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ. وقد لقبه بـ (الشريف) غير واحد من الأعلام ومنهم الشريف الغرناطي المتوفى سنة ٧٦٠هـ. ومنهم أيضًا الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢هـ صاحب «الأمالي النحوية» وغيرهما.

وقد بقي لقب الشريف في عصرنا في بعض البلاد لقبًا تشريفيًّا للسادة الهاشميين العلويين، ومن هاؤلاء الأشراف في الحجاز ومنهم الأسرة الهاشمية وجدّها المشهور الحسين بن علي صاحب الثورة العربية، ومنهم الأشراف في المغرب، وهم السادة الحسنية وعلى رأسهم ملك المغرب، والشريف الكتاني، وغيرهما(٥).

ومن المفيد أن أشير إلى أن (الشريف) قد عرفه العباسيون وهم المنتسبون إلى العباس بن عبدالمطلب، فقد مرّ بنا في العصور المتأخرة بعد زوال الدولة العباسية (الشريف العباسي).

وبقي أيضًا لقب (السيّد) لدى السادة العلوية في عصرنا وهو أشهر من لقب (الشريف) وأكثر شيوعًا.

وجاء في هذه العبارة: (إن السيد حسين.... أهدى تريس وصندوق صفر باغة).

أقول: وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة (صفر) وقال: (كذا في الأصل ولم نجد له تفسيرًا، ولعله عبارة عن صندوق على شكل صفر)..

أقول: كأني أرى الصواب: (وصندوق أصفر) ثم أضيف تعريف آخر للصندوق وهو (باغة) وقد علق الأستاذ المحقق فقال: (الباغة ضرب من الصدف الأشقر اللون (فارسي).

أقول: نعم الكلمة فارسية وهذه دلالتها، غير أني أذكر أن الكلمة عرفت في الكلام الدارج للعوام في العراق منذ أكثر من نصف قرن، وكانوا يطلقونها على مادة مصنوعة يكون منها مواد اللعب للأطفال والصحون الرخيصة، وهي ذات ألوان مختلفة فلا تختصُّ باللون الأصفر. إنها تشبه المادة (البلاستيكية) في عصرنا التي تدخل في مصنوعات كثيرة.

وأعود ثانية إلى العبارة كلها بعد أن عرضت لما فيها من كلم عاميٍّ دارج وغيره، إلى جملتها كلها لأقول: إن بناء العبارة وطريقة تأليفها يشعرنا كله أن صاحبها المؤيد أراد أن يثبت بما هو أيسر من البناء العامي الدارج، وذالك لأنه أراد بذالك أن يسجل شيئًا حدث وجرى لئلا ينساه، وربما عاد إليه وأفاد منه فائدة أخرى في عمله.

إنه قال: (إن السيد حسين التهامي لما وصل من المخا أهدى ترس وصندوق صفر باغة). لم يتوقف الإمام المؤيد فيثبت الفصيح المطلوب في العربية، وهو أن الجملة يبدؤها المعرب بالمطلوب المراد وهو (الإهداء)، فكان ينبغي أن تبدأ بالفعل (أهدى)، ثم تأتي الأجزاء اللوازم الأخرى وهي الفاعل، (ابن السيد حسين) وجملة الظرف (لما وصل من المخا)، ثم تختم بالأجزاء التي بقيت. هذا هو نظام العربية في الأداء والإعراب[٦]، وهو بعيد عن عامة ماورد في هذا الكتاب الذي قصد به صاحبه أن يكون باللسان الدارج الذي لا يراد به إلا أن يثبت في أوراقه ماكان له ومايكون، وهكذا جرى في جملة أوراقه.

٢- وجاء في هذه الصفحة أيضًا قول المؤلف: (والبانيان روبه [كذا] ادّعى على محمد شاوش دراهم، فسألت محمد شاوش فقال: نعم..).

أقول: قوله: (البانيان)[٧] أريد به أحد طائفة (البانيان) الهنود، وهذا يعني أن الهنود البانيان وغيرهم قد انتشروا في هذه البلدان العربية منذ قرون عدة، ليس كما يظن أنهم جاءوا مثلًا إلى العراق في الحملة البريطانية التي حاربت الأتراك العثمانيين واستعمروا البلاد وأقروا حكمهم.

وقال المؤلف: إن هذا (البانيان) واسمه (روبه)، كما أشار المحقق إلى خلوّ الاسم من الإعجام، (ادّعى على محمد شاوش دراهم).

وهو في هذا السياق الدارج يثبت أن للبانيان دعوى على محمد شاوش، وهو يطالبه بدراهم أخذها منه.

أقول: وهذا كله مما سجله الإمام المؤيّد ليكون شيئًا من عمله الذي يضطلع به.

٣- وجاء في الصفحة (٢٢): (الحمد لله ماذكرت في الورقة التي قبل هذا من دراهم زكاة التجارة وماذكرته من (العددي) وصل بعد ذالك (كبار) من المولى - حفظه الله).

أقول: إن هذه العبارة العامية الدارجة تقتضيني الرجوع إلى ماقبلها لقول صاحبها الإمام المؤيّد (الحمد لله ماذكرت في الورقة التي قبلها)، ثم آتي ثانيةً إلى كلامه هذا. وقال (أي محمد شاوش) إن بنظره غيرها (أي غير الدراهم) الجميع لا يبلغ مئتي حرف).

أقول: الحرف[٨] هنا هو عملة صغيرة لعله القرش أو دونه.

وأعود إلى عبارته فأقول: إن (العددي) أيضًا عملة صغيرة، وقد أشار إلى هذا محقق هذه (الأوراق).

وقوله: (كبار) يعني الكبير من (الحروف) التي قلنا: إنها عملة صغيرة، وقال المحقق في حاشية له (كبار: من الحروف، وسيتكرر ذكر (الحروف) وهي عملة معروفة في اليمن وقد جاء ذكرها في رحلة الورتلاني ص ٥١٠ بقوله: (ومن عادتهم في التعامل، يعني أهل المدينة المنورة، أنهم يسمون الأربعين مؤيّديًا حرفًا، فيقولون:

عشرة أحرف وعشرون حرفًا، يعنون كل أربعين قيراطًا من قراريط الفضة المسكوكة يُعَدُّ حرفًا كقولنا في بلادنا لهذا المقدار مثقالًا، ويقولون للدينار من الذهب شريفيًا وسلطانيًا، ويقولون للريال المسكوك من الفضة ريالًا وقرشًا).

٤- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: وهو [أي والد المؤلف] مطلع على ذالك (أي للدراهم التي ضربها) لأني ذكرت له أن قد استغرقت [كذا] وكنت (منْو) على قضائها).. أقول: لم أهتد إلى قوله: (إن قد استغرقت) ولم يشر المحقق إلى ذالك. وأما (منو) فهو من النيّة أي أنه كان ينوي....

وأنت ترى أن هذه العربية هي عامية تلك الحقبة التي أشرنا إليها.

٥- وجاء في الصفحة (٢٣) قول المؤلف: (ثم لما رأيت هذا من والدي، أعني عدم الإذن وعلمت مافي الغلول.. لم تطب نفسي). أقول: قوله: (الغلول) أراد به مايؤخذ من غنائم الحرب وغيرها قبل القسمة (المحقق)، ثم إني أقول: إن هذا الذي أثبته المؤلف عربية مقبولة، و (الغلول) فيها من مصطلح العصر. غير أني أحسب هذه العربية على أنها مقبولة مندرجة في السياق العام للكتابة أو قل (للأوراق) التي هي في اللغة العامية الدارجة.

٦- وجاء في هذه الصفحة قوله: (توهمت أن حصاني رصع ابن السيد علّي بن عبدالله.. فلْيُسأل إذَا هو رصعه أرضي وسلم له الأرش دون البلوغ فيما أظن وإن يكن متكلّفًـــا). أقول: لا تخلو العبارة من غموض وإشكال، وفيها الفعل (رصع) بمعنى (وَطِئ برجله) والاسم (متكلّف) بمعنى (بالغ).

٧- وجاء في الصفحة (٢٤) قوله: (رجل أظنه اسمه قرطيط قشّام، صار يطالب على الذهن أن علي الحباري شرى منه حطبًا). أقول: ورد في هذا السياق الدارج الكلمة (قَشّام) وتفيد البستاني (المحقق).

٨- وجاء في هذه الصفحة في لصق العبارة المتقدمة وتكملة لها قوله: (وإنه بقي له قيمة فليتحقق من الشيخ أحمد واصل هل هو القياس أو غيره) أقول: علّق الأستاذ المحقق على كلمة (القياس) فقال: الكلمة غامضة وتقرأ أيضًا الشاشي أو القشاش.

أقول: قد استبعد أن تكون الكلمة (الشاشي)، ولكنني قد أحسبها (القَشّاش) وهو صاحب (القش)..

٩- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (النِّفاعة التي نفعت بها على جماعة في الحيمة غُرِّمَ عليها بني الحمام من أهل غربان وهي عشرين حرفًا).

أقول: في هذا الكلام الدارج كلمة (النَّفّاعة) وهي كلمة معروفة في يمنية القرن الحادي عشر ولعل المسنين من أهل اليمن يعرفون هذا المصطلح. وقد اجتهد الأستاذ المحقق فقال معلّقًا: (هي أجرة العسكر يدفعها المدَّعَى عليه) وأضاف: (ولابن الأمير [وهو محمد بن إسماعيل](٩) رسالة في إبطالها).

١٠- وجاء فيها أيضًا: (لحق كتاب بنظر علي المكتمي ماذكر له اسم إلّا أنه أبواب وخطُّه قديم ضعيف، وبياض ضعيف، يعرفه علي المكتمي، وهو في منظري الكبيرة في القصر).

أقول: في هذا الكلام وردت الكلمة وهي (لحق) وتعني مانعنيه في العربية المعاصرة في لغة الدواوين الرسمية (بشأن) أو (بخصوص). والكلمة مازالت في دارج كلام أهل اليمن، وسائر الكلام عاميٌّ دارج، وفيه الكلمة (منظري) و (المنظر) الغرفة في أعلى المنزل، وهي أحسن غرفة فيه. وقد رأيتها في المصادر الأدبية والتاريخية للقرن الرابع (منظرة).

١١- وجاء في الصفحة (٢٥) قول المؤلف: (لحق قُرضة من الشيخ حسين قيمة أضاحي تخصني قدرها مئة حرف عددي).

أقول: هذا الكلام لا يخرج عن عامة مافي الكتاب في التزام المؤلف باليمنيّة الدارجة، وكنت عرضت لكلمة (لحق) في الرقم (١٠) وأضيف أن (القرضة) هي (القرض). وكنت عرضت لكلمة (حرف) وهو أكثر من القرش.

١٢- وجاء فيها أيضًا: (الشيخ حسن قلعس عليّ له مئة حرف، والوصية الأوّلة قد قضيت، والفقيه جابر مطلع أو قضي الكثير، لم يبق إلّا بقية، وهذه المئة من بعد، وهي تخصّني أخذتها حَبّ قوت للبيوت وحسبي الله ونعم الوكيل). أقول: في هذا السياق

جملة فوائد منها أوّلًا إنها مجموعة جمل قصيرة وليس من رابط بينها، ثم إن تركيب هذه الجمل يشعر بالمألوف الدارج.

وقوله: (الأوّلة) مما هو دارج وليس مما أُثِرَ من الفصيح(١٠).

وقوله: (حبّ قوت) أراد به القمح.

١٣ - وجاء فيها أيضًا: (سأل السيد علي بن قاسم... عن فتًى أظنه لأولاد السيد صلاح الديلمي أحد سادة القرية شكا من رجل). أقول: أراد بقوله (فتى)(١١) عبدًا مملوكًا، وبقوله: (أحد سادة القرية) أي أنه هاشمي علويّ، وقد أشرنا إلى هذه الفائدة.

١٤ - وجاء في الصفحة (٢٦) قول المؤلف: (وإن شاء رجل من المقاوتة يسمَّى يزحم معروف يؤخذ منه البراء). أقول: (المقاوتة) بائعو (القات) و (البراء) هو العفو.

١٥ - وجاء في الصفحة (٢٧): (وكان عندي غريم من نعمان هو العولة النعمان شري [كذا] منه أعبي). أقول: قال المحقق: (نعمان) هي عُمان المعروفة، و (أعبي) جمع عباءة(١٢).

١٦ - وجاء فيها أيضًا: (الحاج صلاح الصعدي عليّ له دين.... أكثره من نحو المجابي). قال محقق الكتاب: (المجابي: جمع مجبأ (أراد مَجْبَى) وهو ما يأتي من العشور والخراج ونحوه.

١٧ - وجاء في الصفحة (٢٨): (رجل يُسمى المصلّي فاستأذن العكيفي أن يقبضه ويجيء به، فأذِنْتُ له). أقول: (العكيفي) ويقال (العكفي) وهو العسكري المكلَّف بالحراسة.

١٨ - وجاء فيها أيضًا في تتمة الكلام السابق: (فأذنتُ له فأرسل إليه نَفَران فحصل في أحدهما طعنة، وكانت الطعنة من تحت أذنه من قفا أذنه، وادَّعى أنها من ولد المصلّي.... وهما أنكرا، وخبيره أيضًا أخبر أنها من ولد المصلّي).

أقول: هذا كلام كله عامي دارج أثبته المؤيد بعبارته المفككة.. الموجزة البعيدة عن الفصيح في الإعراب. و (خبيره) أراد به صاحبه أو زميله.

١٩- وجاء فيها أيضًا: (ثم إني توهمت لا يكاد، ومالي أن أغلط في حبسه حين لم يعترف ولا شهادة) أقول: قوله: (لا يكاد) يقابل قول المعاصرين في عاميتهم الدارجة: (بلكاد)، كذا أفاد الأستاذ المحقق وآخرون...

٢٠- وجاء فيها أيضًا: (ثم إنه أيضًا أحب أن يشتري منه فرس لبيت المال، وقد قبضت بعدّتها. وهي عند الفتى زيد أمير باخور). أقول: قوله: (بعدّتها) يعني مايوضع على الفرس من أداة من جلد أو فرش. ومازال هذا يُسمَّى (العدّة) في بعض البلدان العربية.

وقوله: (أمير باخور) وهو ماعَرَّف به المحقق فقال: (من الألفاظ التي نقلت من الدول السابقة في غير اليمن، وأصلها (أمير آخور) بمعنى صاحب الاصطبل المشرف على شؤون الخيل، مركب من اللفظ العربي (أمير) و (آخور) وهو فارسي بمعنى المعلف أو المذود). انظر «التعريف بالمصطلح الشريف» للعمري ص ٣٦).

٢١- وجاء فيها أيضًا: (قد أرصدت أن عليّ زكاة سنة ١٠٨٣ فقد أخرجت قدر سبعة أو ثمانية حُمر، فليقعد ماعندي من حلية، وما مع والدة الولد قاسم، وما مع الفتاة سلطانة). أقول: قوله: (سبعة أو ثمانية حمر) يعني حروف حُمر، وهي العملة وقد تقدّم التعريف بها، وكونها (حُمرًا)(١٤) لعله أشار إلى أنها من نحاس.

وقوله: (يقعد ماعندي) أي أن الحلية عنده تكفي حدّ الزكاة يضاف إليها ماعند (والدة الولد) أي زوجته، و ماعند أمته (الفتاة) سلطانة.

ومن المفيد الإشارة إلى (سلطانة) وهو يعني أن اليمنيين في ذالك العصور يطلقون أرفع الأسماء على إمائهم وعبيدهم، وهذا هو دأب العرب عامة. (انظر: كتاب «الاشتقاق» لابن دريد).

وقد سبق أن قلنا أن المراد بالفتى والفتاة هو العبد والأَمَة.

ومن المفيد الإشارة إلى أن (الحلية) ذهبًا وفضة تؤخذ عليها الزكاة، وهذا هو المعروف لدى الزيدية.

٢٢- وجاء في الصفحة (٢٩): (وكـذالك المستغل الذي في الجردا وبيـر الباشة القَضَب يخـرج حق سنتين أو ثلاث مبـادرة إن شاء الله). أقـول: إن (المستَغَل) يعني الأرض التي تزرع فتؤخـذ غلّتها. وقوله: (حق سنتين) بمعنى خـاص بسنتين، ومازالت الكلمة معروفة في عصرنا في عامية أهل اليمن، يقال مثلًا: الكتاب حق زيد أو عمرو، أي ملكه.

٢٣- وجاء فيهـا أيضًا: (إني أرسلـت علي بن صلاح الجبّـاري إلى حراز ليـرصد الأجبار في حَراز، ومـاصار يقبض من الناس من سبار). أقـول: حَراز بفتح الحاء صقع واسع غـربيّ صنعـاء بمسافـة ٨١ كيـلًا. و (الأجبار): الأراضي المعفـوّة من العشـور. و(سَبار): طعام معتاد يأتي كل يوم. كذا أثبت المحقق في تعليقه.

٢٤- وجاء فيها أيضًا: (يحيى المهتدي - الولد الصغير - الذي في بيتنا عند العيال أحمد ويحيى أكل من حـرمه [كذا]، على إقـراره فأمرت السيد حسين يضربـه). أقول: وذكر المحقق: أن (حرمه) تعني الشيء المحرّم كأكله من أموال الصدقة أو الزكاة).

٢٥- وجـاء في الصفحـة (٣٠) في تتمة العبـارة المتقـدمـة: (يضربـه، وقصـدي الضرب قـدر ثلاث أو نحوهـا.. فندمت على إرسالي بـه فليؤخذ من البَـراء مع كبره). أقول: ورد في هذا النصّ الدارج قول المؤلـف: (مع كبره) والمراد (عند كبره) لأنه في هذا الوقت صغير فلا يحق أخذ البراء منه.

٢٦- وجاء فيهـا أيضًا: (يـرصد علي من بـز [كذا] نـاصر بن سعيـد أنّ عليًّ قيمة عباءة حساوي) أقول: في هذا السيـاق الدارج غموض. و (العباءة الحساوي) أي من صنع الحسا). أي الأحساء، وهي الجهة الشرقية من بلاد نجد.

٢٧- وجاء فيهـا أيضًا: (... وجنى على ولدهـا دامية في نحره، وقد أرّش الجنـاية الفقيـه عبدالـرحمن الظهري). أقـول: أراد بـ (داميـة) جنايـة دامية. و (الأرش): ديـة الجراحات. أي أن الفقيه الظهري قضى بالمجنيِّ عليه أن يدفع له (الأرش).

٢٨- وجاء فيها أيضًا: (فأرسلت بخطّ الأرش مع الفقيه جابر إلى الفقيه محمد بن عبدالله بن عز الدين أن يقبض ذالك مما يخصّني كالذي يجيء لي من الغَيل).

أقول لعلّ المؤلف قد أراد بـ (خط الأرش) الورقة التي قُيِّد مقدار الأرش.

و (الغَيل): هو الغيضة ذات الماء والزرع.

٢٩- وجاء في هـذه الصفحة والتي تليهـا قول المـؤلف: (شوته مـن أهل شَعوب وجماعـة معه كـانوا اتّهمـوا بسرق إبل فحبسـوا أيّامًـا كثيرة، وأحـدهم وهو الـذي قد ذكـرته... يحتـاط بأخـذ البراء منهم... لأن بعضهـم طال حبسـه، وكـذالك يعوِّضُـوا بتسليم الرسـامة). أقول: في هذا الكـلام الدارج جاءت كلمة (شَعوب) وهـي ضاحية صنعاء الشمالية وهي في عصرنا في حيّز صنعاء.

وجاء فيه أيضًا (الرسامة) وتعني أجرة المكوث في السجن، والسجّان.

٣٠- وجـاء في الصفحـــة (٣٠) أيضًـا: (فإن يكن قـد ثبت لـه [الشيخ طــاهـر الأسـدي] أن النفـاعة هـذه من الجـانِبَيْن لأن الجنـايي واسعـة). أقول: مـرّ بنـا لفظ (النفاعة) وتم التعريف به، وأما (الجنايي) فالمراد بها الجنايات.

٣١- وجـاء فيها أيضًـا: (الدواشنـة أعني ناصـر وقاسم بن نـاصر وعلي جـاء لهم تحـويل من المولى - حفظـه الله -). أقول: (الـدواشَنة)، كمـا أفاد الأستـاذ الحِبْشِي محقق الكتـابة: جمـع دوشان، وهـم طـائفـة مخصوصـة ليس لهـا مـال ولا حرفـة إلّا الصياح بالمدح للقبائل في أعراسهم واحتفالاتهم ونحو ذالك.

٣٢- وجاء فيهـا أيضًا: (وقـد أرصدت أني في مـدة سابقـة ضربته [أي قـاسـم بن ناصر الذي توفي] قدر ثلاث أو أربع فليسلم لوارثه قد أربع محمّرات).

أقول: ورد في هـذا الكلام الـدارج كلمة (محمّـرات)، ولولا شـرح المحقق الذي ركنت إليه لجهلت المراد.

إن (المحمّرات) جمع محمّرة تعني أثر الضرب في الجسم الذي هو أحمر!!

٣٣- وجـاء في الصفحة (٣٢): (والفقيـه جـابر مطّلع على ذالك، وأهل البيـوت عارفين بِكُل شيء) أقول: المراد بـ (أهل البيوت) النّساء في تلك البيوت.

وجـاء في هذه الصفحـة أيضًا قـولـه: (ثم يحكم [أي علي بن صلاح] في النـاس

بنفائع وسبار واسع). أقـول: (لقد مرّت بنا (النفائع) وأمـا (السبار) فهو العمل بمعنى: أنه يعطي القمح، وأمّا طحنه وعجنه وخبزه فهو (السبار).

٣٤- وجاء في هـذه الصفحة أيضًا: (وذكر أنـه لم يرد خط الشرع). أقـول: المراد بـ(الخط) الأمر المكتوب. وإني لأذكر أن (الرسـالة) التي يتسلمها الرجل من صديق له بريدًا كانت تُسمّى في العراق منذ بضع عشرات من السنين (خطًّا).

٣٥- وجاء فيها أيضًا: (لأن رجب الحسامي أهدى إلـيّ سيف فيه فضة فقابلته بِبزٍّ قدر صاية. وعبـاءة حساوي وجوخ شُري من ابن نصار) أقول: فـي هذا السياق الدارج جملـة فوائد أولهـا أن بناء الكـلام وأجزاءه عـامي دارج، ومنهـا كلمة (صـاية). قـال المستشرق دوزي في «المفصل في أسمـاء الملابس» ص ١٧٧: الصـاية: من اللفظ الأسبانـي (سايو) وهـي عباءة لا أزرار لها. أقـول: وهي من مـلابس الرجـال والنّساء، وهي رداء لا أزرار فيه، ويلبس عادة في الصيف.

٣٦- وجـاء فيها أيضًـا: (الفقيه علي بن صـلاح الجبـاري أرسلته إلى الأجبـار في بلاد حَزار فينفذ زكاتهم وكلًّا وماسلم). أقـول: قوله: (وكُلًّا وما سَلَّـم) يعني: كُلًّا على حَدِّه وما سلمه.

٣٧- وجاء في الصفحـة (٣٣): (ومن الوصية أنهـا حصلت خُصْمة في ظلع على ما أخبرني الفقيه حسن بن ناجي). أقول: قوله: (خُصْـمة) أي خصومة ومعركة.

وأمـا (ظلع) فقد ذكـر المحقق: هي ظِلَع أو ضـلاع [كذا] بِكسـر الضَّاد بلـدة في الشمالي الغربي من صنعاء على نحو ثمانية أكيال.

٣٨- وجاء فيها أيضًا: (وأرسلت معـه الجرّاحي ليفتح الرِّجْل، فمنع أهل البار عن فتحه، وقـابلوا في الـدية). أقـول: الجرّاحي هـو الجرّاح الـذي يفتح الجرح ويتـولّى تنظيفه وعلاجه.

وقوله: (قابلوا) بمعنى (قبلوا) ووافقوا على دفع الدية.

٣٩- وجـاء فيها أيضًـا: (وصل السيـد عثمان العجمي، أهـدى إلينـا عنبر وبطّـة

زنجبيل مُرَبّى). أقول: البطّة هي الدبّة كـالقارورة، أو وعاء للدهن، وهي هنا للزنجبيل المربى أي المصنوع.

٤٠- وجـاء في الصفحــة (٣٤): (وكـذالك ذكـرت أن ابن وازع الــذي كـان في ضَـوران حصل منه في الـديوان وقـت العدد إقـدام، وأراد ضرب الشيخ الأسـدي من الرتبة أهل الجبـل، فقمتُ وضربتُهُ، وهو ممتدٌّ أربع أو خمس، ثـم أرسلت به يفحان، فـرجع وهو مـريض على مـا أخبـرني الفقيـه حسن بن ناجي وحُـمَّ ثم مات). أقـول: بسطت هذا الكلام ليقف عليه القارئ، ليـدرك مستوى الكلام الدارج وبعده عن لوازم الكلام الفصيح.

وقـد جـاء فيـه: (ضَوران) وهـو جبل آنِس، في منتصفـه من الشمـال تقع مـدينـة ضوران.. و (الديوان)، ويعني غرفة الاستقبال في المنزل.

وقوله: (وقت العدد) أي عدّ الجنود، و (الرتبة): العسكر المرتّبون للحراسة وغيرها.

وقوله: (ممتد) أي مهيّأ للضرب والجلد.

وقولـه: (أربع أوخمس) أي ضربات. وقـوله: (أرسلت به يفعـان) يعني أرسلته إلى مدينة يَفْعان.

٤١- وجاء فيهـا أيضًا: (... وكـذالك رجل من شعسان اتُّهم بغيـار عنب فحُبِس، فمازالت أُمـهٌ تشكي فمرض في الحبس فأخرج إلى عنـدها وهو مـريض، بقي يوم أو يومين ومـات، فمازالت تريق، ثم مرضـت بعد ذالك وماتت). أقول: في هـذا السياق الدارج الذي أريد به بيان الغرض بأوجز صورة، جاء قوله: (اتُّهم بغيار عنب)، والمراد به: أنه عبث بعرائش الكرم.

وقوله: (مـازالت [أي أمه] تريق) قال المحقق: أي أنهـا تصيح بأعلى صوتها. ولا أدري لعلها تريق الدمع.

٤٢- وجاء في الصفحة (٣٥): (الحرّة آمنة بنت يوسف أرسلت بوسادة قطيفة ولم يُسلّم لها القيمة، وهي باقية في بيت ابن سنان عنـد الشريفة ميمونة). أقول: لعل لفظ

(الحرّة) يفيد المملوكة على الضدّ. وأما (الشريفة) فهي مؤنث (الشريف) الذي تحدثنا عنه، وهو المنتسب إلى بيت النبوة.

٤٣- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (الشيخ محمد الشاهلي والحاج علي المكتمي يؤخذ منهما البراء... والقرماني وجميع من يتعلق لي بخدمة إن شاء الله).

أقول: قوله: (يؤخذ منه البراء) يعني: أن يُخبر بأنه مسامح عُفي عنه.

٤٤- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (والسيد محيي الدين، قد رَصَعَته الفرس، وأنا راكب عليها، وكذالك الخدّامِيْن الذين في البيوت كعبدالرحمن، وابن عنْقاد، وولده، وشفاء بنت سنان وشركاء الجراف، والحارس حق الخريف[١٥] وجرس مدينة صنعاء... فليُسلَّم كلهم جميعًا).

أقول: في هذا الدرج العاميّ ذكر لما يضطلع به المؤلف من عمل يتصل بحاجات الناس وحقوقهم وقوله: (رصعته الفرس) بمعنى رمَحَتْهُ بقَائِمتها. و(الخدامين الذين في البيوت) هم (خَدمة) في بيوته. وأما (شركاء الجرافِ) فقد أفاد المحقق أنهم المزارعون.

٤٥- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (وكان له [أي السيد يحيى القعدي] نفاعة خمسين حرفًا، فلا يقبض شيء حتى أسأل القاضي محمد بن العنسي عن الجنايا.... والقاضي محمد العنسي مطلع على قضيتهم وكانت الشريعة عنده).

أقول: مضى الكلام على (النفاعة) و (الحرف) و (الجنايا) هي الجرائم والمخالفات. و (الشريعة) وهي القضية التي هي موضع النظر والفصل.

٤٦- وجاء في الصفحة (٣٦): (السيد عثمان بن حسين الذي وصل من الهند.... أهدى لي عند وصوله عبدًا وبطّة حَلْوَى ومن التفاريق قدر ثلاثين خرقة).

أقول: مرّت بنا (البطة)، وأما التّفاريق، فهي (ثياب متنوعة) كما أفاد المحقق.

٤٧- وجاء فيها أيضًا: (وكذالك الشيخ نعمة الله رسول ابن الأمير.. أهدى لنا من البز... قدر عشرين خرقة، وماتيسّر عود). أقول: (الخرقة) هي القطعة من البَزّ، وأما (العُود) فهو ضرب من الطيب كالخشب «معجم النبات».

٤٨- وجاء فيها أيضًا: (وكذالك خبيره يُسمَّى عبدالرحيم أو عبدالرحمن أهدى مايسَّره الله من البزّ، وهديّة هٰذين باقية عند الفقيه جابر وتوقيعها فيها).

أقول: لم أتبين دلالة (الخبير)، ولعله نائبه أو مساعده. ولعل (التوقيع) هو (التعريف) بالهدية واسم صاحبها، وكذالك احتمل الأستاذ المحقق.

٤٩- وجاء أيضًا: (السيد حسن، أظنّه صاحب سهام - وصل إليّ بخط طلاب له) أقول: (سهام) أحد أودية تِهَامة. وقوله: (بخط طلاب) أي بورقة تشمل على طلبه ودعوته.

٥٠- وجاء في الصفحة (٣٧): (شريت «تيسير المطالب» وما إليه بأربعين حرف من الفقيه إبراهيم بن حسن الأكوع بنظر الفقيه محمد بن عبدالله بن عز الدين، فليسلَّم له مما يخصّني). أقول: «تيسير المطالب في أمالي أبي طالب» كتاب من رواية أهل البيت صنفه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٤٢٤هـ وقد طبع أخيرًا.

وقوله: (ومايليه) أي ماضمّ من كتب أخرى في (المجموع).

وقوله: (بنظر الفقيه) يفيد أن الفقيه المذكور كان شاهدًا...

٥١- وجاء فيها أيضًا: (الفتاة سعادة التي في بيتنا في القصر... يُسلَّم لأولاد الأمير سنبل أجرة عملها بنظر القاضي علي بن جابر).

أقول: (الفتاة) كالفتى تطلق على المملوكة. ولعل (أولاد الأمير) أي أولاد محمد بن إسماعيل الأمير. وقوله: (في بيتنا في القصر) يعني البيت المسكن، وبالقصر مجموع البيوت والمرافق.

٥٢- وجاء فيها أيضًا: (وكذالك الأمير سنبل، أهدى لي قبيل موته مصحفًا استهداه بأربعة أو سبعة قروش، وما أظن أنه طالب مقابله). أقول: الحقت النص بما سبقه لأظهر أن الإمام المؤيد أراد أن يضبط شؤونه اليومية زيادة على اضطلاعه بشؤون الناس، وهو يفعل ذالك بعاميّة تكفي المطلوب.

٥٣- وجاء فيها أيضًا: (وسُلّمت إليهم بنظر الفقيه جابر طعام قليل)..

أقول: (الطعام) هو الحَبُّ كالقمح ونحوه.

٥٤- وجاء فيها أيضًا: (يسأل الفقيه محمد بن عبدالله بن عز الدين... عن عباءة حساوي هل هو أرصدها من بعد عيد عرفة سنة ١٠٨٣ أم لا؟) أقول: جاء في «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» لـ (رينهارت دوزي) ترجمة أكرم فاضل - رحمه الله -: (تؤلف العباءة اللباس الاعتيادي للرجال والنساء، ويقول نيبور[١٦]: أما مايُدعى (عباءة) فهو ثوب فوقاني فَضْفَاض لا أكمام له، ونستطيع تصّور هذا اللباس بسهولة باستحداث فتحة في أسفل كيس حنطة لإمرار الرأس).

أقول: ليست (العباءة) في عصرنا على النحو الذي ذكره (نيبور).

وقوله: (عيد عرفة) هو عيد الأضحى.

٥٥- وجاء فيها أيضًا: (السيد جلاعِم حبستُه لأني قد كنت أمرته بالعزم إلى ذمار تَمام شريعة). أقول: قوله: (أمرته بالعزم إلى ذمار) بمعنى طلبت إليه أن يذهب إلى ذَمَار لينظر في دعوى شرعية وهي (الشريعة) وقد سبق بيانها وشرحها.

٥٦- وجاء في الصفحة (٣٨): (صالح الدمشقي شريت منه قميص بَرْوَجي ولباس وملحفة سوس، ألزمت للفقيه يحيى السحولي بقيمة زبدي طعام). قوله: (قميص بَرْوَجي): أي منسوب إلى مدينة (بَرْوَج) بالهند ذكرها صاحب «تاج العروس»، وزنها مَفْعَل. و (الملحفة) أو (اللحفة): أي إزار كبير ورداء يستعمل فوق الكتف، وكأنه أضاف الملحفة إلى (سوس) مدينة بالمغرب.

وأما (الزبدي) فهو مكيال للحبوب، قديم، والطعام هوالحَبّ كالقمح والشعير. ومازال أهل جنوبي العراق من القرويين والمزارعين يطلقون (الطعام) على القمح والشعير والرزّ.

٥٧- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (وإن يكن قد زاد على قيمة ذالك فعادْ عِندي عباءة وقميص عنبراني وشاش ومحظي ولباس لصالح [أي صالح الدمشقي الذي ورد ذكره قبل أسطر] لم أسلم له القيمة ولا مبايعة). أقول: في هذا الكلام فوائد لغوية تاريخية أولّها قوله: (فعادْ عندي) وكلمة (عاد) الساكنة الآخر مازالت في اللسان الدارج في كثير من بلادنا وهي تقابل في فصيح العربية (فإن عندي) وهي جملة جواب الشرط المتقدم.

ولابد أن يكون (القميص العنبراني) يعني أنه بلون العنبر أي يميل إلى السواد.

و (الشاش) ضرب من رقيق البزّ، و (المحظي): ثوب للنساء قديم ذهب زمانه كما أفاد المحقق.

وأما (المبايعة) فمصطلح فقهي يشترط القبول والإيجاب، وله شروط في كتب الفقه.

٥٨- وجاء في الصفحة (٣٩): (فاضل الوديدي روى عنه الفقيه حسن العكيفي أمر لا يحلُّ فَحبِس، ثم طلبتُ شهادة فأطلعني الفقيه حسن على تلك الشهادة، ولم أتحققها، فليسأل عنها ابنه، فإن يكن قد زيد في أدبه حلف وأخرج، وإن لم يصلح عليه شيء أخرج إلى شاء الله وأخذ منه البراء).

أقول: لقد أوردت هذا الكلام على طوله لأجعله كلمة أخيرة أو دليلًا أخيرًا استبدل به على النَّهج الدارج في هذا (الكتاب) الذي كان في أصله المخطوط أوراقًا، فبدا للأستاذ المحقق ماوجده منها وينشره كتابًا. أقول هذا لأني خلصت إلى أن المؤلف قد ترك أوراقه، ولم يكن معتزمًا أن تكون كتابًا، وهو من أجل هذا سجلها بالعامية المتعارفة في عصره لتكون سجلًا لما قام به من شؤون رعيته. وإلى هذا أيضًا خلص الأستاذ المحقق، فأشار إلى هذا المعنى في مقدمته وسيكون عملي فيما بقي من الكتاب ضبط الكلم العامي الذي ورد فيما بقي من الأوراق.

(للحديث صلة)

عمّان - مجمع اللغة العربية - **الدكتور إبراهيم السامرائي**

الحواشي:

(١) الإمام المؤيد بالله بن المتوكل على الله إسماعيل المتوفى سنة ١٠٩٧هـ. انظر ترجمته في: «بغية المريد» (خ) و«خلاصة الأثر» ٣/ ٣٩٦، و«تهذيب الزيادة للعابد» (خ) و«البدر الطالع» ٢/ ٣٤ و «بلوغ المرام» ٦٨ و «فرحة الهموم» والحزن ٢٢٢ و «إتحاف المهتدين» ٨٤ و «المقتطف من تاريخ اليمن» ١٦ و «التحف شرح الزلف» ١٦١ و «تاريخ المخلاف السليماني» ٨٤ و «الأعلام» ٦/ ٣٦٢ وكتاب «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» ٦٧٥. هذا من حاشية للمحقق ص ١١ من الكتاب.

(٢) لقد كانت هذه النشرة مفيدة اشتملت على مقدمة للمحقق عرض فيها للكتاب ولمؤلفه وسيرته، كما عرض

«للمذكرات» مشيرًا إلى ماكان من نظائرها في العصور المتقدمة. وهي الكتب التي ترجم فيها أصحابها لأنفسهم وأشاروا إلى ماكان لديهم من تجارب وصلات بالناس والعصر. ثم تحدث عن المخطوط وأصله الذي هو مابقي من أوراق الإمام المؤيد بالله، وأشار إلى طريقة رسمه الغريبة التي لايدركها إلا أهل الصنعة. ثم جاء النص فزوّد المحقق بتعليقاته المفيدة.

(٣) وقد عرض المحقق في مقدمته لقيمة هذه الأوراق من الناحية التاريخية، وأنها تلقي الضوء على شيء من الحالة الاجتماعية في تلك الحقبة.

(٤) ومن المفيد أن أشير إلى المنسوبين إلى فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - وهم الفاطميون الذين حكموا في مصر وأسسوا دولتهم بعد مجيئهم من الشمال الإفريقي، وكانت بُدَايَتُهُم في مدينة (المهدية) في تونس، ومنهم طائفة من الأعلام عرفوا في التاريخ التونسي. وقد زال حكمهم وذهبت دولتهم على يد صلاح الدين بن يوسف بن أيوب الذي حكم مصر بعد الفاطميين، وزال بزوالهم المذهب الشيعي في مصر.

(٥) في الحجاز في العهد الأخير يطلق لقب (الشريف) على أبناء الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، ولقب (السيد) على أبناء أخيه الإمام الحسين، وينسب التفريق في هذا إلى أبي نمي الذي يقال بأنه وضع (قانونًا) عرف به، يحوي أسسًا وقواعد ومميزات لحكام مكة من الأشراف.

(٦) قلت: (نظام العربية في الأداء والإعراب)، وأريد بذالك فصيح العربية، ألا ترى أن سورة الفاتحة قد بدأت بقوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾.. وذالك لأن (الحمد) هو المراد فلابُدَّ له من التقديم لإعطائه القوّة اللازمة، ثم جاء بعده ما وُجِّه إليه الحمد فقال تعالى: ﴿**رب العالمين**﴾ ثم عَرَّف بصفات هذا الربّ العظيم الذي هو ربّ العالمين» فقال: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾.

(٧) عرَّف الأب انستاس الكرملي في «بلوغ المرام» بطائفة البانيان الهنود.

(٨) الحرف نوع من النقود المستعملة في نجد أيضًا قبل قرنين من الزمان وكثير من أقطار الجزيرة.

(٩) هو محمد بن إسماعيل بن محمد الحسني، المعروف بالأمير، مجتهد، له مصنفات عدة، توفي سنة ١١٨٢هـ ترجم له الزركلي في «الاعلام» ١/ ٢٦٣.

(١٠) جاء في «لسان العرب» (وأل): حكى ثعلب هُنّ الأَوّلَات دُخُولًا خرزجًا، واحدتها الأوّلة والآخرة.

(١١) جاء في الحديث أنه - ﷺ - قال: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ولكن ليقُل فَتَايَ وفتاتي أي غلامي وجاريتي». انظر: «النهاية في غريب الحديث» (فتى).

(١٢) قال أهل العربية (العباءة) بالهمز عامية دارجة، والفصيح (عباية) بالياء.

(١٣) الأحمر وجمعه حُمُر - نوع من النقود الذهبية المستعملة في ذالك العهد.

(١٤) لعل قوله: (الحارس حق الخريف) أي أنه الحارس المكلف بحراسة المزارع ذات الأثمار. وهذا من (المخرف) في فصيح العربية الذي يعني القطعة الصغيرة من النخل. والحارس هو (الخارف).

(١٥) نيبور رحالة ألماني قام برحلة مشهورة إلى الشرق، وقد كان له وقفات طويلة في العراق وإيران. ترجمها إلى العربية من الألمانية محمود الأمين، وقد طبعت ببغداد.

تعدين الذهب في (جزيرة العرب)
قائم على تراث تجاري عريق

(٢)

(٢) وجهة النظر الاقتصادية والجغرافية:

تشير المصادر العربية الرئيسة في صدر الإسلام إلى أن خزينة الدولة الإسلامية الناشئة قد استفادت إلى حد كبير من عائدات التعدين منذ بدايتها. ومن هذه المصادر البكري والسمهودي اللذان يؤكدان بأن النبي ﷺ قد أصدر وثيقة رسمية بفرض ضرائب على الأملاك (أقطع) معادن القَبَلِيَّةِ بما فيها (معدن النصب) الذي يقع على جبل قُدْسٍ، بالقرب من المدينة بلَالَ بنَ الحارث المزني. بينما تروي مصادر أخرى بقيام عدد من أبرز أصحاب المعادن بشكل تقليدي بإعطاء حصص من عائد إنتاجهم من الذهب كصدقات للدولة الإسلامية الناشئة. وكان يخضع هذا الإنتاج إلى زكاة رسمية ٢,٥٪. ويؤكد ابن سعد بأن معادن القَبَلِيَّةِ ومعادن جُهينة وبني سُلَيْم كان تدر عوائد وافرة لبيت مال المسلمين. هذا وقد ربطت المصادر في حقيقة الأمر قبيلة النبي ﷺ - وهي قريش - مباشرة مع أربعة من هذه المعادن - معدن بني سليم، ومعدن النقرة، ومعدن بُحْرَان، إضافة إلى معدن يدعى معدن البرام يقع بالقرب من الطائف[١].

وقد أوردت المصادر أيضًا العديد من المواقع الأخرى. ويمكن في أيَّامِنا هذه إيجاد هذه المعادن نظرًا لدقة التفاصيل المتوفرة. ويصف كل من ابن خُرْدَاذَبَةَ وقُدامة ابن جعفر - على سبيل المثال - أحد المعادن الذي يقع على طريق تجارية من اليمامة إلى الخرج، ثم إلى نبعة، وإلى المجازة ثم إلى المعدن (المعدن)[٢]. ويشير ابن اسحاق والمسعودي والبكري إلى معدن آخر يدعى (بحران) يملكه الحجَّاج بن عِلَاطٍ البَهْزِي السُّلمي، ويقع في منطقة الفُرْع، على طريق مكة من المدينة[٣]. ويصف كل من الواقدي وابن سعد وصاحب كتاب «المناسك» والسمهودي بدورهم مواقع على الطريق التجاري في صدر الإسلام، الذي يتجه من الشمال الشرقي من مكة ويعرف هذا الموقع (معدن بني سليم) ويعود لقبيلة سليم (معادن الذهب التي بأرض

بني سليم)[٤]. وفي الموقع توضح المصادر بأن العمل فيه يبين أنه لم يكن معدنًا واحدًا وإنما كان عددًا من المعادن المنتشرة في المنطقة. وبالفعل، هناك دليل باق على وجود عشرة مواقع منفصلة في صدر الإسلام على أقل تقدير للتعدين في هذه المنطقة بالذات. ويؤكد صاحب كتاب «المناسك» هذه المعادن فيقول[٥]: (المعدن كان به ذهب كثير يستخرج في قديم الدهر، ويحفر عليه في جبل يمنة الطريق للمصعد، فعظمت فيه المؤونة).

ويبدو أن أحد معادن بني سُليم موجود بالقرب من الموقع الجديد لقران. ويفيد الأصفهاني أنه تحت أُبْلَا وقران هناك جبلان، وأن معدن بني سليم كان موجودًا هناك، على طريق الكوفة إلى مكة.

ويبين عرَّامٌ السلمي وصاحب كتاب «المناسك» أنه كان هناك طريق بديل، يمر بهذا المعدن مُتَّجهٌ من السوارقية، في الاتجاه الجنوبي الشرقي إلى صُفَينة ثم يتصل بدرب زبيدة الرئيس شمال حاذة. كما يصف السمهودي في «وفاء الوفا» ص١٣٠٩ بنفس الطريقة معدن بني سليم على أنه في وادي قران، بالقرب من أُبْلَا على طريق نجد على ١٠٠ ميل من المدينة[٦]. ويشير إلى أنه بالقرب من السوارقية (التي كانت ملكًا لبني سليم)[٧] ويفيد الأصفهاني من ناحية أخرى أنه من الجهة الشرقية من قران كانت تقع (شَرَوْرَا) التي تُعَدُّ من جبال بني سليم. وفي حين لا يميز السمهودي بين المواقع، إلا أن الهمداني يشير إلى أن هذا المعدن كان مميزًا عن معدن بني سليم، وكان معروفًا باسم معدن بني فَرَان. كما تشير المراجع أيضًا إلى ذروتي جبلين معروفين باسم (الأشعث) و (عنيزة) بين معدن بني سليم والسوارقية، وإلى بئر في أُبْلَا بين المعدن والسوارقية وتقع على بعد يقل عن ١٠ أميال شمال غرب قران.

وبين البكري أن موقع قران المذكور كان عامرًا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٤م). (راجع (الموقع ١) الخريطتين (ب) و(ج) حيث يبين الموقع الموصوف بأنه يقع تقريبًا شمال خط العرض ٢٣ درجة، ٢٤ دقيقة وشرق خط الطول ٤٠ درجة و ٢٨ دقيقة).

وهكذا، وفي حين تشير مختلف المصادر إلى أن معدن بني سليم كان عاملًا خلال فترة نهضة الإسلام في موقع يسمى قران، بالقرب من السوارقية، إلا أن وَصْف تلك المصادر لا يتوافق تمامًا مع الموقع الذي كان يعتقد آخرون وجود معدن بني سليم المشهور فيه فعلًا، وحيث يعتقد الغالبية اليوم وجوده فيه[٨].

ويمكن التوفيق بين سهولة الآراء المتضاربة من خلال المراجع الأخرى في المصادر التي تشير (١) إلى قيام بني سليم بأنشطة التعدين في أملاك متنوعة وليس في موقع واحد فقط. و (٢) أن بني فَرَان كانوا في الموقع من قبيلة سليم يتصل نسبهم بفرد واحد وهو فران بن بَلِيٍّ وذلك حسب ما يؤكد البكري[٩]: (وأقام بمعدن سليم فران بن بلي، في طائفة من بلي، وهم بنو الأخثم بن عوف بن حبيب بن عُصَيَّةَ بن خُفَاف بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سليم).

وهكذا يمكن ربط العلاقة بين بني سليم وموقع معدن فران، ولو كان بشكل غير مباشر من خلال بني فران المتفرع من بني سُليم.

وعلى بعد ٣٠ ميلًا شمال شرق موقع قران، يوجد معدن يدعى اليوم (مهد الذهب) وكان بالتأكيد ملكًا لبني سليم. وقد قام بتشغيله خلال فترة الإسلام الأولى الحجاج بن علاط البهزي السلمي الذي صاهر قبيلة قريش. ويقع هذا المعدن على بعد ١٧٠ ميلًا شمالي شرق مكة المكرمة، و ١٥٥ ميلا جنوب شرق المدينة المنورة على طريق درب زبيدة مباشرة. وفي وصفه لهذا الطريق، يؤكد صاحب «المناسك» والهمداني أن المسافة من المسلح إلى أُفيعية ٨ أميال والمسافة منها إلى حرة بني سليم ٢٦,٥ ميلًا. ويفيد صاحب كتاب «المناسك» أن المعدن نفسه يبعد ٢٦,٥ ميلًا عن أفيعية، بين الجبال على الجهة اليمنى للطريق الصاعد. ويشير أيضًا إلى وجود بئر كبيرة دائرية بنتها الملكة زبيدة، وكانت قريبة من موقع المعدن. ويضيف ابن سعد وابن الأثير دليلًا مفاده أن المعدن كان قيد الاستخدام في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي اللهعنه ١١ - ١٣هـ (٦٣٢ - ٦٣٤م)، واستمر هذا المعدن فعالًا، حتى وقف في عام ١٢٨هـ (٧٤٦م) عندما عين الأمويون كَثِيْرَ بن عبدالله كمشرف

عليه، ولم يقفل هذا المعدن إلَّا في القرن الثالث هـ (التاسع م)[١٠]، (راجع الموقع ٢)، الخـريطتان ب و ج شمـال خط العرض ٢٣ درجـة و٥٥ دقيقـة وشرق خط الطـول ٤٠ درجة و ٥٠ دقيقة).

وبناء على ما أورده السمهـودي، فإنه على بعد ٢٠ ميلا شمال شـرق مهد الذهب عند بئر العُمَق هناك معدن آخر يعـرف باسم (معدن بني الشَّرِيد).. حيث اشتغل هذا المعدن بنشاط خلال فترة الإسـلام الأولى، وكان يمتلكه أحد السلميين - ذوي الصلة بصخر ومعـاوية ابني عمرو بن الحـارث بن الشَّرِيد وعُقَيل بن فُضَيْل بن الشـريد، من بني عمرو بن يقظة بن عُصَيَّة بن خُفـاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم[١١] (راجع (الموقع ٣) الخريطتان ب و ج شمال خـط العرض ٢٣ درجة و ٥٨ دقيقة وشرق خط الطول ٤٠ درجة و ٥٩ دقيقة).

وعلى بعد حوالي ١٣٧ ميلًا شمال شرق مهد الـذهب أيضًا يوجد معدن آخر يعرف باسم (معدن النقـرة) غرب درب زبيدة، عند نقطـة يتفرع عندها هـذا الدرب، مع وجود فـروع منه تـؤدي إلى مكة والمـدينة المنـورة. ويشير صـاحب كتاب «المنـاسك» وابن خُرْداذَبة إلى أنه عند القطاع الشمالي لهذا المعدن هناك معدن آخر يعرف باسم (معدن القرشي) على بعـد ٢٦ ميلًا شمال شرق المغيثـة. ويفيد البكري أن هذا المعـدن وجد قبل قـرقـرة، وأنـه تم تشغيلـه من قبل بني عبس[١٢] (راجع (المـوقع ٤) الخـريطـة ج، شمال خط العرض ٢٥ درجة و ٣٢ دقيقة وشرق خط الطول ٤١ درجة و ٢٤ دقيقة).

ونظرًا لأن هذه المواقع كانت على طـريق الحجاج التقليدي بين مكة والعراق، فقد امتازت بصلة تجـارية وثيقة مع مكة. كمـا أن هناك أمثلة كثيرة من المصـادر الإسلامية تشير إلى وجـود معادن أخرى من صدر الإسـلام، لها ارتباطات بسـوق مكة التجاري. فيصف الهمداني معدنًـا يدعى (معدن محجة العراق) (معدن طـريق حجاج العراق) ويقع بين أفيعية والعُمَق بالقـرب من مهد الذهب (علمًا بأن هذا الموقع قـد يكون أحد المعادن الأخـرى الفرعيـة لبني سليم، حسب ما يقتـرحه الهمـداني. ويتكلم في نفس السياق أيضًا عن جبلين بـالقرب من مكة وهما العَيْرَةُ والعَيْرُ حيث كـانا يحتويان على

معـادن فعالـة. ويذكـر الزبيـر بن بكّـار والأزرقي أن العيرة هي الجبل الـذي يقع على يمين الطريق إلى منى من مكة، بينما العير هو الذروة المقابلة مباشرة له[١٣].

ويذكر البكـري معدنًا آخر يعـرف باسم (معدن النصب) وهو أحـد سلسلة معادن القَبَلِيَّةِ وهو قـريب من المدينة[١٤] وتشير مصادر أخرى بأن معـادن القَبَلِيَّة كانت بين المـدينة وينبع، وأنـه مازال هنـاك معادن أخـرى يمكن إيجادهـا في بلاد جُهينـة[١٥] ويؤكد اليعقـوبي أنه كانت هناك أيضًـا معادن ذهب في منطقة العُوَيْنِـد على الطريق الساحلي من أيلة إلى مكة[١٦] كما يذكر الهمداني أعمـال استخراج رئيسة في صدر الإسلام في العقيق وبيـن صَعْدة ونجران وفي ضنكـان وفي قمة وادي ذَهبـان بين قُرى القحمة وَحَلِيٍّ السفلى علـى الطريق التجاري الـداخلي بين صنعاء ومكـة، وكذالك في منطقة بيشة. ويشيـر الأصفهاني بدوره إلى المهنة الـرئيسة لأهل وادي القُرى وهي استثمار معادن الذهب والفضة والنحاس الهائلة الموجودة في تلك المنطقة[١٧].

كما كـانت توجـد معادن أخرى في صـدر الإسلام في وسط الجـزيرة العـربية من خارج منطقـة النفوذ المبـاشر لأهل مكـة. وكانت تشتمل على (حِلِّيْـت) (النِّجَادِي) الذي دَعَاهُ كل من البكري والسمهودي بأكثر المعادن إنتاجًا في العالم[١٨]. كما كان هناك معدن (الأحســن) للذهب والفضة، وقام بتشغيلـه بنو كلاب[١٩]. ومعدن (أبرق خترب) للفضة بـالقرب من حِمَى ضَرِيَّـةَ شرق وادي الجَرير، وجنـوب وادي الرُّمَة[٢٠] وتتفق المصادر بنفس الطـريقة على الناتج الهائل لمعـادن الحُفَيْر والضُّبَيْب وشَمَام، وثَنِيَّةِ ابنِ عصَامٍ في اليمامة[٢١].

إضافة إلى الذهب والفضة والنحاس، يبدو أنـه كان يتم إنتاج معادن الحديد أيضًا في العديـد من هذه المـواقع. وفي الحقيقة هناك دلالات تشيـر إلى وجود مـالا يقل عن أحد عشـر معـدنًـا منفصـلًا للحـديـد في العمل فـي الجـزيـرة العـربيـة في ذالك الحين[٢٢] وبـالإجمال، هنـاك إشارات لـوجود مـايزيـد عن مئتي معدن للـذهب والفضة والنحـاس والحديـد في الجزيرة العـربية في صـدر الإسلام وردت في المصادر التي تمت منـاقشتها في هذا البحث. كما وجدت أحجار كريمة ومعادن أخرى بكميات تجارية ضخمة أيضًا.

وتشير المصادر مثلًا بأنه كانت تستخرج أيضًا الأحجار الكريمة كالزمرد والجِمِشْت، وبلورات المَـرْوِ، والفيروز، والبورَق والرصاص، والأحجار المستخدمة لشحذ السيوف والسكاكين، وملح الطعام إضافة وتصدَر إلى المناطق المحيطة(٢٣).

واليوم هناك العديد من الأدلة على أعمال التعدين في الجزيرة العربية في صدر الإسلام على شكل خنادق، وأَنفاق عميقة متعرجة - وتوجد في أكثر من ألف موقع منفصل، في جرف يطل على النصف الغربي للمملكة. وكثيرًا ما تمتد أنفاق مزدوجة محفورة بشكل متجاور ومتوازٍ في العُمْقِ داخل الجُرفِ من الحُمَم البركانية وتصل إلى أعماق تقدر بسبعين مترا وتصل أحيانًا إلى ٨٥ مترًا كما هو الحال في مهد الذهب(٢٤).

وقرب هذه المواقع، يمكن في الغالب إيجاد بقايا من قُرى للتعدين، ومقالع الحجارة، ومصاهر - إضافة إلى قناديل ومطارق حجرية ونقَّارات، ومجارف وأحجار رُحِيٍّ وأحجار جَلْخ ومدَقَّات وأدوات استخراج بدائية أخرى. وبعض هذه البقايا توحي بالكثير. فالرواسب والخَبَثُ في مهد الذهب يوحيان بأنه قد تم استخراج ما يزيد عن مليون طن من المعادن، في صدر العصور الوسطى. كما أن هناك أدلة على وجود بقايا من آبار حفرت بالقرب من هذه المواقع لتزويدها بالماء النقي، لغسل المعادن الخام، ولتلبية احتياجات استهلاك القائمين على التعدين. ويشير السمهودي وآخرون بشكل واضح إلى مثل هذه الآبار الموجودة في المواقع التي حفرت فيها المعادن من قبل في معدن بني سليم، وفي أماكن أخرى أيضًا. ففي كثير من الأمثلة تقف آثار هذه المعادن دليلًا على وجودها(٢٥).

(٣) وجهة النظر التاريخية:

يمكن لهذه الآثار في حقيقة الأمر أن تكون بالغة الأهمية في تحديد التواريخ الفعلية لعمليات التعدين. ونظرًا لأن أعمال تحديد التواريخ القديمة لأنشطة التعدين معقدة غالبًا من حيث طبيعتها، فإن في آثار العصور القديمة - كما في العصر الحالي - كانت مُدنُ التعدين تميل إلى كونها مراكز فعالة وعملية، بدلًا من كونها مراكز حضارية. وهكذا، فإن وجود مواد من صنع الإنسان مثل الأواني

الفخـاريـة، والتجهيزات المعقدة في مواقع العمل من الأمور النادرة تمامًا إلا أن كثيرًا من الأواني المستخدمة كانت موجـودة في تلك المواقع. ومع ذالك فقد كانت مواقع الصهر السابقـة غالبًا ما تشتمل على أكوام الـرواسب، والخَبَث الذي يمكن استخدام تحليله بنجاح في تحديد التاريخ الإشعاعي (الراديومتري) للأعمال التاريخية وتقييم إنتاج المعادن السابقة.

ومن بين البيانـات الأخرى، فإن مثل هـذه البقايا - المكـونة بشكل عـام من مواد النفايـات غير المصهـورة التي تحتوي علـى شظايا المعـادن المطمورة - قـد تعطي معلومات مفصلة عن تكوين المعدن الخام وطبيعة التمعدن.

وأما الخَبَثُ فإنـه بدوره يمثل مـزيجًا كيميائيًـا أرضيًّا مكونًـا من مركبـات من المعدن الخـام، والفرن، والعنـاصـر النزرة (الضـروريـة بمقدار ضئيـل للتفاعـلات البيـولوجيـة) وللمعدن المستخرج. وبالتالي، يمكن أن يكون التكوين الكيماوي للخبث ذا قيمة معينة للبـاحث (الجيوكيمـاوي) المختص بـالمعـادن، الذي يستطيع أن يحـدد هـوية العينـة المستخـرجة بـواسطـة العناصـر النـزرة التي وجدت في المعـدن الـرئيس. وقد يحتـوي التكـوين الكيميائي للخبث على الفحم الحجـري، الـذي يُعَدُّ الـوقود الـذي يستخدمـه عمال المعادن في صـدر الإسلام في التنور لصهر المعدن المستخرج. ويـوجد هذا النوع من الفحم الحجري عادة على شكل شظايا قاتمـة في رواسب الزجاج المذاب، وبالتالي تفيد كمادة لتحديد التاريخ في الطرق الكربونية (ك - ١٤) لتحديد التاريخ[٢٦].

وإذا استخدم تحديـد التاريخ الإشعاعي (الراديـومتري) بطريقة مناسبة فإنه يمكن أن يكون من أهم الطـرق (الفيزيوكيماوية)، لتحـديد تاريخ رواسب المعـادن - تحديد تاريخ مكـوناتـه العضويـة و (البيولوجيـة) بقياس النشـاط الإشعاعي للكـربون - ١٤. وتستند هذه الطريقة إلى تفكك الكـربون الطبيعي على مرور الزمن. وتبنى على الحقيقة القائلة بأنه عندما يموت كائن حي يحتوي على الكـربون أو أنه كان بطريقة أخرى ثابتًا بنقله من دورة التوازن الخـاصة به، فإن العمر النصفي لمحتـوياته من ك - ١٤ تتفكك خلال ٥٥٧٠ سنة. فـالقياس الدقيق للبقايـا التي تحتوي على ك - ١٤ يفسح المجال بالتالي للمحلل بأن يحسب الفترة الزمنية منذ أن مات ذالك الكائن الحي[٢٧].

ومن العوامل خارجية المنشإ الفعالة، التي تعقد عملية تحديد التاريخ بالإشعاع الكربوني يمكن أن تشمل على تحديد نوعية العينة نفسها. ومن بين أسباب تحديد العمر بالطريقة الكيميائية التي قد تعطي تواريخ متأخرة عن النشاط الفعلي، وهو إذا تم أخذ العينات فقط من الجزء العلوي لأكوام الخبث - حيث يمثل ذالك أوج نشاط التعدين. وفي الواقع فإن مثل هذه العوامل الزائفة إضافة إلى العمر الزمني للمواد الخام للفحم الحجري نفسه عند وضعها في الصهر، قد تفسر لماذا تشير نتائج تحديد تواريخ معينة بواسطة ك - ١٤ إلى نشاطات التعدين في العهد العباسي الأخير في القرن العاشر (الثالث عشر) - بينما قد توحي المصادر الوثائقية في صدر الإسلام بتاريخ عمليات فعلية تعود إلى القرن السابع (العاشر الميلادي) فالمبدأ الرئيس لاستخدام تحديد التواريخ بطريقة الإشعاع الكربوني بشكل فعال هو أولًا فهم حدوده.

ومن خلال العمل ضمن هذه المحاذير فإن من نفاذ البصيرة ملاحظة أن التواريخ التي تم تحديدها باختبارات الكربون الإشعاعي على بقايا الفحم الحجري في الخبث من مهد الذهب توحي بأن أعمال تعدين الذهب والفضة من موقع المعدن وصهرها كانت تجري من ٣٠٠٠ سنة مضت - في عهد يوافق فترة وجود الملكين داود وسليمان عليهما السلام، اللذين ورد ذكرهما في «التوراة» (حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد إلى ٩٢٣ قبل الميلاد) - وأيضًا من ٤٣٠ بعد الميلاد إلى ٨٣٠ بعد الميلاد. هذه الاكتشافات تتوافق تمامًا مع مزاعم صاحب كتاب «المناسك» آنفة الذكر بأن مثل أعمال التعدين هذه تمت في العصور القديمة (المعدن كان به ذهب كثير يستخرج في قديم الدهر) ومرة أخرى في زمن الإسلام، ولم توقف إلا في القرن الثالث (التاسع الميلادي) نظرًا لأنها لم تعد مجدية اقتصاديًّا (والذي حملهم على تركه أن المؤونة أكثر مما يخرج منه). وكذالك الاختبارات التي أجريت على أحد مواقع الذهب في جبل مِخْيَط (على خط العرض ٢٠ درجة و ١٢ دقيقة وخط الطول ٤٣ درجة و ٢٨ دقيقة) فقد أوحت بأنشطة التعدين في كل من عهد الملك سليمان، وأيضًا في حوالي ٦٢٦ بعد الميلاد - تحديدًا في حياة النبي محمد ﷺ. أما الاختبار

الذي أجري في معدن الذهب والنحاس في النقـرة فقد بين بدوره بأن أعمال التعدين قد وقعت في فترة ٦٧٥ و ٨٣٥ بعد الميلاد)[٢٨].

كما تبين اختبارات مماثلة بالكربـون الإشعاعي بأن أعمال تعدين الفضة قد جرت في (معدن السَّمْـرَا) بقرب خط العرض ٢٤ درجة و ٢٢ دقيقة وخـط الطول ٤٤ درجة و٢١ دقيقة) في منطقة الفضـة بالدوادمي في الفترة مـا بين ٦٦٨ - ٨١٩ بعد الميلاد. وكـذالك معدن النحـاس في جبل الشـزم[٢٩] (بقـرب: خط العرض ٢٦ درجـة و ٢٧ دقيقة وخط الطول ٣٧ درجة و ٣٢ دقيقة) في الفترة ما بين ٤٥٠ - ٩٥٠ بعد الميلاد. وقـد أثبتت اختبارات ك - ١٤ على معـدن النحاس المصـانع قرب خط العـرض ١٨ درجـة و ٨ دقـائق وخط الطـول ٤٣ درجـة و ٥١ دقيقة) بأنـه جـرت أعمـال تعـدين للنحاس في نفس الفترة الزمنية التي تعود إلى صدر الإسلام[٣٠].

يمكن أن تساعـد النقوش العـربية التي يعود تـاريخها إلى فتـرة الإسلام الأولى في كثيـر من هذه المـواقع في عمليـة تحديـد تـاريخ التعدين. فـالنقـوش الكوفيـة التي وجدت ضمن مخلفـات في مهد الـذهب على سبيل المثال، تـوحي بأنها تعـود إلى الفترة مـا بين ٧٥٠ (١١٥٠م بعـد الميلاد)، كما تـوجد كتـابات مشـابهة في (مـواقع جغرافيـة ورد ذكرهـا وهي مرتبـة من الغرب إلى الشـرق عبر النصف الغربـي من شبه الجزيـرة العربية): عينـونة، غرابـة، حلّيت (النجادي)، الموزر، الحمَضَـة، المصانع، العقيق، وفي عـدد من مواقع الجفـر الأخرى. هـذا وفي السوارقيـة و أيضًا في معـدن الذهب، ثنيـة ابن عصام الباهلي علـى بعد ٣٠ كيلًا (غـرب القويعية في غـرب نجد، تتكون مثل هـذه الكتابـات من أسماء شخصيـة، ودعاء للتوبـة برجـاء المغفرة من الله إضافة إلى أدعية لبـركات اتِّباع النبي محمد ﷺ. ومن الجدير بـالملاحظة أن النقوش الموجـودة في بعض المواقع بمـا فيها القبليـة، تبدو بخط عـربي غير منقـوط وتوحي بأنها تعود إلى تاريخ لا يزيد عن نهاية القرن الإسلامي الأول[٣١].

كمـا يمكن للزجـاج والأواني والفخـار والكـرات الأثريـة المـوجـودة عند مـواقع التعدين أن تساهم في عملية تحديد التاريخ بدقة أكبر. هذا ويعود تاريخ بقايا الزجاج

والفخار المزجج في مواقع مختلفة منها (أيضًا حسب ما وردت من الغرب إلى الشرق) معادن غرابة، ومصينعة والعبلا، ومهد الذهب والنقرة وسميرا والشمطاء والهُجيرة والسمرا والعقيق، ويعود تاريخ تلك المخلفات إلى القرن التاسع والعاشر الميلاديين (القرن الثالث والرابع الهجريين). وقد وجد العديد من قطع الزجاج في منطقة الدوادمي التي كانت تحوي الفضة حيث تحدد تاريخها بطريقة مماثلة من قبل (متحف كورنينغ) للزجاج بأنها تعود إلى فترة ما بين ٨٠٠ - ١٣٠٠ بعد الميلاد. وبما أن هذه القطع القابلة للكسر قد بقيت حتى هذا الوقت، فإنه يمكن الافتراض بأنها تمثل أوج عمليات التعدين في الموقع المعين، نظرًا لأن أي نشاط لاحق في الموقع كان المحتمل أن يحجب وجودها. كما أنه وجدت عملة يعود تاريخها إلى صدر الإسلام في عدد من المواقع. وعلى سبيل المثال تم إيجاد درهمين فضيين يعودان إلى العصر العباسي تم سكهما في العام ١٤٣هـ (٧٦٠م) (في الكوفة) وفي العام ١٥٨هـ (٧٧٨م في بغداد) حيث وجدا في سميرا، وهو عبارة عن موقع لاستخراج الذهب يعود إلى صدر الإسلام ويقع شمال شرق حِلِّيت على درب زبيدة[٣٢].

هناك أيضًا بقايا من قرى التعدين في كثير من المواقع التي توحي بأنها كانت مأهولة في صدر الإسلام. ومن هذه المواقع، موقع العبلا للتعدين الذي يحتوي أساسات لحوالي ٣٠٠ مبنى يعتقد أنها كانت تؤوي حوالي ١٠٠٠ من العمال اليدويين. بينما يحتوي موقع العقيق على ١٠٠ من المباني المماثلة. وفي مهد الذهب كثير من أطلال المساكن الحجرية الأشبه بمنشآت الثكنات العسكرية التي توحي بأنه قد تم استخدام عدد كبير من القوى العاملة في منطقة المعدن. إضافة إلى وجود مساكن مشابهة في أم قريات وغرابة والبرام والمصينعة وأم الدمار وتربة وماوان والنقرة (جنوبًا وشمالًا) والصفرا والكوم (شرقًا وغربًا) والشمطاء والكوكبة (أشقر البراقة) والهجيرة والسمرا (العيصان)وأم اللدام والحفير والعوسجة (أبا الرحي الحديثة) وأم الدبا[٣٣].

كما يمكن استخدام المصادر الإسلامية في صدر الإسلام غالبًا لتأييد الدليل الذي توحي به الأعمال الملموسة التي من صنع الإنسان. وإضافة إلى مطابقة ماجاء به مؤلف كتاب «المناسك» من نتائج التأريخ بواسطة ك - ١٤ في مهد الذهب على سبيل المثال، فإن كلا من ابن سعد وابن الأثير يقدم برهانًا إضافيًا مفاده أن خزينة خليفة النبي ﷺ - أبي بكر الصديق رضي الله عنه - تلقت عائدات ضخمة من عمليات التعدين هذه. ويفيد ابن سعد[٣٤]: (وكان قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جهينة كثير، وافتتح معدن بني سليم في خلافة أبي بكر الصديق فقدم عليه منه بصدقته وكان يوضع ذالك في بيت المال فكان أبو بكر يقسمه على الناس).

ويشير مالك بن أنس والبلاذري والطبراني والبكري والسمهودي وآخرون بدورهم بأن النبي ﷺ أقطع معادن القَبَلِيَّة والمناطقَ المجاورة لبِلال بن الحارث المزنيِّ شريطة تحسين الأراضي زراعيًا. بينما يروى عن الحجاج بن عِلاط البهزي وأبي الحصين السلمي وآخرين بواسطة مصادر صدر الإسلام أنهم كانوا يقدمون الذهب كتبرعات من معادنهم للنبي ﷺ. كما يروي ابن حجر أنه عندما أحضرت جماعة من بني لهْب الذهب إلى النبي ﷺ من معدن عقيق غامد، بالقرب من تُرَبَةَ قال الرسول ﷺ: «**من وجد شيئًا فهو له والخمس من الركاز**». ويعزو الهمداني أيضًا إلى النبي ﷺ التأكيد الخاص بمعدن عقيق عُقَيْل[٣٥]، في منطقة وادي الدواسر الحديثة، فيقول: (مُطِرَتْ أرض عقيل ذهبًا) - موحيًا بأن هذا المعدن أيضًا كان منتجًا خلال عهده[٣٦].

هذا وتقدم المصادر الإسلامية في صدر الإسلام دليلًا على قيام أعمال تعدين في شبه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام أيضًا. فيشير الهمداني مثلًا أنه من بين معادن الذهب في منطقة نجد كان معدن ثنية ابن عِصام الباهلي، (حاجب) الملك الغساني النعمان بن المنذر (حوالي ٥٨٠- ٦٠٢ بعد الميلاد) ويؤكد بأن عدة ألوف من الفرس أيضًا عملوا في معدن شَمَام، لاستخراج الفضة في اليمامة - إلا أن هذا الأمر توقف بلا شك عندما جاء الفتح الإسلامي للامبراطورية الساسانية في السنة السادسة عشرة (٦٣٧ م)[٣٧].

ويـؤكد نصـر الاسكندري حسـب ما روى عنـه الحازمي ويـاقـوت فيما بعـد بأن (منضح) كان أحـد معادن الحجاز في فتـرة ما قبل الإسلام، وقـد كان فيه حفـرة كبيرة كانت تتجمع فيها المياه، وقد ورد ذكر معـدن منضح مرارًا في قصائد الشعر القديمة. والشعـر الجـاهلـي زاخـر بإشـاراتـه إلـى المـلابس الـرفيعـة، والخـواتم والقـلائد والمجوهرات الأخـرى، وكذالك إلى الأسلحة المرصعة بالـذهب والفضة، ومع نهضة الإسـلام جاء القـرآن الكريم ليتحـدث عن جميع ذالك تحت اسم المعادن النفيسـة القيمـة ففي سـورة «آل عمـران»[٣٨] مثـلًا يقـول الله عـز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ﴾ وفي سـورة الكهف يعـد الله الصـالحين: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ..﴾ وهـو وعد تـؤكـده أيضًا سـورة الحج: ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌ﴾.

وتضيف سـورة الإنسان لذالك فـي قوله تعـالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيْرا قَوَارِيْرَا مِنْ فِضَّةٍ..﴾.

وهكذا يـوحي تكوين الـدليل الوثـائقي بأن الصور التقليـدية الحديثـة التي تفصل عمليات التعدين العربية التاريخية إلى فترتين تاريخيتين مميزتين من العمل – العصر البرونزي الحديث والعباسي في صدر الإسلام – هذه صورة قد لا تكون على درجة من الدقة. ذالك بأن العـديد من المراجع يعود بلا ريب إلى فتـرة ما قبل العباسيين، وإلى عهـد النبي ﷺ، وقبل ذالك أيضًـا. وإضـافـة إلى ذالك وكمـا لـوحظ عمليًـا فإن كل راسب من رواسب الـذهب والفضة والنحاس على أرض شبـه الجزيـرة العربيـة يوحي بشيء من الـدليل على نشاط سـابق للتعدين. فقـد وجدت كسر (قطع مكسـورة) من الأواني الفخاريـة الرومـانية على سبيل المثال في مـوقع قديم للتعـدين يدعى (وادي عرجة) شمال غـرب منطقة الحجاز. كما أن عددًا من مواقع المعـادن التي تعود لصدر الإسلام – مثل المصانع والمعملـةَ وأم المَرْوِ، وأم الدمار، والعمار، كلها تـوحي بوضوح وجود أعمـال قديمة للتعدين. وهكـذا، فإنه من المنطق نسبيًّا الاستنتاج بأن حـال قيام

(الجيولوجيين) والمنقبين المعاصرين في الوقت الحاضر بالبحث عن المعادن التاريخية كوسيلة لإيجاد مخلفات جديدة - كما فعل أصحاب المعادن في العهود السابقة - حيث أدى عملهم هذا إلى طمس الأعمال اليدوية لأسلافهم(٣٩).

ومن المحتمل أن ما نسميه اليوم بالتعدين الإسلامي في (صدر الإسلام) هو فعليًا استمرار متقطع للاستثمار المبكر - خصوصًا لهذا الكم الضخم من المخلفات، كما هو الحال في النقرة - وأن مثل هذا التعدين يحتمل أنه تم في الألف الثالث أو الثاني قبل الميلاد، وذالك حتى منتصف العهد العباسي. ونظرًا لأن المصادر الجغرافية الوثائقية والدليل المادي للموقع يتقابلان عنوة لتوحي بأن العمليات الهامة لاستخراج المعادن النفيسة وصهرها كانت تجري في مواقع التعدين، غرب شبه الجزيرة العربية، على فترات مختلفة قبل ظهور بعثة النبي ﷺ وخلالها وبعدها - وذالك أثناء صعود الموجة التجارية التي لازمت القرنين الإسلاميين الأولين.

وليس من قبيل المصادفة بأن هناك عددًا من المعادن التي تقع على نفس الطرق التاريخية التي كانت تمر فيها قوافل الحجاج، وتجار العطور والتوابل أو قريبة منها، في شبه الجزيرة العربية.

فمنجم مهد الذهب على سبيل المثال يقع على بعد كيلين شمال طريق درب زبيدة الشهير الذي كان يسلكه الحجاج، والذي يربط مكة المكرمة بالكوفة في العراق، إضافة إلى مدن رئيسة أخرى من شرق آسيا. وإضافة إلى مهد الذهب كانت هناك مواقع أخرى مثل النقرة وحِلِّيت وسَمِيْرَا وأم الدمار، حيث كانت تقع على الطريق المذكور أيضًا. وبنفس الطريقة يقع معدنا العقيق والعَبْلا، اللذان يعودان إلى صدر الإسلام، على طريق اليمن - مكة - سورية الخاص بتجارة التوابل. ولم تكن هذه الطرق عبارة عن مجرد شرايين رئيسة للتجارة، إذ أنها كانت توفر سبيلًا لإيصال العملات التي جعلت هذه التجارة أمرًا ممكنًا(٤٠).

(للبحث صلة)

الدكتور جين. و. هيك

الحواشي:

(١) البكري، «معجم ما استعجم» الصفحات ٢٨ - ٢٩، ١٤٠٧. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت ١٩٨٩)، رقم ١٠٨٣، الصفحات ٤٥٦ - ٤٥٨. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة ١٩١٠)، المجلد ٢، الصفحات ٢١٧ - ٢١٨. ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى (بيروت ١٩٨٥)، المجلد ٢، ص ١١، والمجلد ٣، ص ٢١٣، البلاذري، فتوح البلدان (بيروت ١٩٨٧)، ص ٢٧. ابن حزم «جمهرة أنساب العرب» (نفس المصدر، ص ٢٦٢) يقول أن حجاج بن علاط: كان من أفضل صحابة النبي - ﷺ - والذي كان يملك معدنا في منطقة بني سليم وكان معدن ذهب. (راجع علي رضا أيضًا).

بينما كانت بعض أراضي الحجاز المنتجة للمعادن مملوكة ملكية خاصة، كانت الأخرى ملكًا للدولة. وغالبًا ما كانت حقوق التعدين عليها ضريبة (اقطاع) من قبل الدولة الإسلامية على القبائل أو المقاولين الخاصين لأغراض الاستثمار وكان المطلوب منهم دفع ضريبة زكاة بمقدار ٥ ,٢٪. مثال ذالك أن الحجاج بن علاط السلمي فرض ضريبة على معدن بني سليم. وقد روى الواقدي وابن عبدالبر أنه أصبح غنيًا بسبب الإنتاج غير العادي للمعدن، وأشار ابن حجر أنه أول من أرسل مساهمته في الصدقات إلى النبي ﷺ مما أنتجه. وتقول المصادر أن بلال بن الحارث فرض ضريبة على معدن القبلية في جبل قدس بالقرب من المدينة. (بخصوص هذا راجع بن عبدالبر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، نفس المصدر، المجلد ١، ص ٣٢٦. الواقدي، نفس المصدر، المجلد ٢، ص ٧٠٢. ابن حجر، نفس المصدر، المجلد ٢، ص ٣٤. مالك بن أنس، كتاب المدونة (القاهرة ١٩٠٥)، المجلد٢، ص٢٨٩. السيف، نفس المصدر، الصفحات ١٥٤ و ١٧٨. علي رضا، نفس المصدر، الصفحات ١٦٠ - ١٦٢)، وقد تم فرض ضريبة على الأجزاء غير المستغلة كمناجم في جبل قدس من قبل الدولة لأغراض الزراعة). البلاذري (فتوح البلدان، نفس المصدر، الصفحات ٢٢ - ٢٣)، روى بأن معظم المناجم المملوكة كانت تدفع الزكاة في الفُرْع، وبحران، وذي المروة ووادي القرى، حيث أنه قد فرض ضريبة الخمس على جميع نشاطات التحدين: نفس ما فرض على أهل العراق.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ٢٦٠ - ٢٩٩. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر الصفحات ٣٣٦، ٣٧٢، ٣٩٠ - ٣٩١، ٤٠١ - ٤٠٣، ٤١٥ - ٤١٧، ٤٣٥ - ٤٣٦، ٤٣٨.

(٢) ابن خرداذبة، نفس المصدر، ص ١٥٢. قدامة بن جعفر، نفس المصدر، ص ١٩٣. راجع أيضًا المرزوقي، كتاب الأزمنة والأمكنة (حيدر أباد ١٩١٤)، المجلد ٢، ص ١٩٨.

(٣) ابن اسحاق، نفس المصدر، رقم ٤٩٥، سيرة رسول الله، ترجمة إيه جوليوم (كراتشي ١٩٥٥)، ص ٣٦٢، راجع البكري أيضًا، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (بيروت ١٩٤٥)، ص ١٠٢١. ابن حنبل، نفس المصدر، المجلد ٥، ص ٤٣٠. المسعودي، كتاب التنبيه والأشراف (لايدن ١٨٩٤)، ص ٢٤٩.

(٤) الواقدي، نفس المصدر، المجلد ٢، الصفحات ٧٠٢ وما يليها. ابن سعد، نفس المصدر، المجلد ٣، ص ٢١٣، والمجلد ٤، الصفحات ٢٦٩ وما يليها كتاب «المناسك»، نفس المصدر الصفحات ٣٣٣ - ٣٣٥. الهمداني، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ٢٧٤، ٢٩٩. نفسه، كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ص ٨٨. الأصفهاني، بلاد العرب، نفس المصدر، ص ٤٠٣. البكري، نفس المصدر، المجلد ١، ص ٢٨.

(٥) صاحب «المناسك»، نفس المصدر، ص ٣٣٥.

(٦) تحديد المسافة هنا بين معدن بني سليم وبين المدينة على ما ذكر السمهودي في «وفاء الوفا»، «العرب»: المتقدمون اختلفوا في تحديد (الميل) فعندهم الميل الطويل وعندهم الميل القصير، والتفريق بينهما غير واضح، ولكن الذي استقر عليه العمل في عهد بني العباس هو الميل المحدد بألف باع، وقد قست بعض أميال في طريق الحج البصري (طريق زبيدة) فتراوح الميل بين ألفين ومئة وألفين وأربع مئة من الأمتار أي بين كيلين وخُمْس وكيلين وخُمْسَين. فالقول بأن المسافة بين المدينة ومعدن بني سليم هي مئة ميل، أي لا تزيد عن ٢٤٠ كيلًا، لا تتفق بدقَّة مع المسافة المحددة الآن بين المدينة والمعدن التي هي ٢٥٨ كيلًا.

(٧) صاحب «المناسك»، نفس المصدر، الصفحات ٣٣٢ - ٣٣٦. الأصفهاني، بلاد العرب، نفس المصدر، الصفحات ١٧٧ - ١٧٨، ٤٠٢ - ٤٠٥. السمهودي، نفس المصدر، الصفحات ١٢٣٨ - ١٣٠٩، الهمداني، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ١٨٣ - ١٨٥، ٣٣٨. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، الصفحة ٢٤ أ، الصفحات ٨٨، ٣٦٣. عرام السلمي؛ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها (القاهرة ١٩٥٣)، الصفحات ٧٣- ٧٤؛ راجع الواقدي، نفس المصدر، الصفحات ٧٠٢، البكري نفس المصدر، المجلد ١، ص ٢٨؛ ابن رستة، نفس المصدر، الصفحات ١٧٨ - ١٧٨؛ المقدسي، نفس المصدر، ص ١٠٨؛ ابن خرداذبة (القاهرة ١٩٥٣)، نفس المصدر، الصفحات ٣٥٦ وما يليها البلاذري. فتوح البلدان، نفس المصدر، الصفحات ٢١ - ٢٢. وفي الواقع هناك قران حيث يقع أسفل جبل على امتداد حوالي ١٠٠ ميل إلى الجنوب الشرقي للمدينة، و ١٢٠ شمال شرق مكة، على طريق فرعي من صدر الإسلام فوق درب زبيدة على ٢٣ درجة، ٢٤ دقيقة شمال خط العرض، و ٤٠ درجة، ٢٨ دقيقة شرق خط الطول، وهو موضح على خرائط وزارة البترول والثروة المعدنية الجيولوجية، يبدو السوارقية على بعد بضعة أكيال إلى الشمال الغربي. وقد أبرز الجيولوجي (كيه أس تويتشل) الذي شارك في اكتشاف مهد الذهب أنه لاحظ الطريق الفرعي هذا من الجو على بعد ٣٠ ميل شرقي طريق مكة- المدينة الحالي. وبما أن درب زبيدة كان قائمًا، فقد يكون هذا الطريق قد تم بناؤه بأمر من الخليفة المقتدر في ٣٠٤ هجرية (٩١٦ ميلادية) (بخصوص هذا الموضوع راجع جي سي مايلز جادة حاج علي بن عيسى: نفس السنة ٣٠٤ هجرية (٩١٦ - ٩١٧ ميلادية)، «نشرة المعهد المصري»، المجلد ٣٦ (القاهرة ١٩٥٣- ١٩٥٤)، الصفحات ٤٨٢ - ٤٨٣)؛ (مهد الذهب - الذي قد تمت الإشارة إليه - قريب جدًا ولكنه لا يبدو وكأنه يتفق مع هذه الأوصاف). وفي الغالب، إذا كانت النظريات الحديثة عن هجرة القبائل، والصلة بين الفلسطينيين وقبائل إسرائيل التائهة كانت صحيحة، فقد يكون (بنو سليم) هم من ذرية الملك سليمان، وفران قد كان معدنه. (يمكن أن تكون الصلة العائلية لبني سليم قد أنشئت خصيصًا وتعود إلى فران بن بلي بن الأخثم بن عوف بن حبيب بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم (بن عمرو بن عمليق من أبناء عمليق بن لوط بن سام (شام) بن نوح. (بخصوص هذا راجع البكري، نفس المصدر، الصفحات ٢٨ - ٢٩)، الهمداني. صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، ص ٣١٩؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب (بيروت ١٩٨٣)، ص ٢٦٢؛ الهمداني. الإكليل، (أوبسالا ١٩٥٤)، المجلد ١، ص ٦٧، ووصف ياقوت لـ (فران) في معجم البلدان، (نفس المصدر، المجلد ٤، الصفحات ٣١٨ - ٣١٩). التوراة (الملوك ٩: ١١، ١٤) يشير إلى أن (حيرام ملك صور، أحضر لسليمان أشجار سدر وأشجار التنوب وستة وعشرين طالين من الذهب، وبالمقابل أعطى سليمان حيرام عشرين مدينة في أرض جاليلي) وتشير أيضًا (الملوك ١٠: ١١) بأن ملكة سبأ (= اليمن) (أعطت الملك مئة وعشرين طالين من

الذهب) وأن مقدار ما استورده الملك سليّمان (الملوك ١٠: ١٤) من الذهب في ذالك العام مئة وستة وستين طالينا. حمد الجاسر (الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ص ٣٦٩) الذي نقل عن توتشل الذي يرى بأن معدن بني سليم هو معدن الملك سليمان. وبجمع الأعمال الكلاسيكية وأعمال الجغرافيين العرب مع عمليات المسح الجيولوجي الحديثة توحي بإمكانية إعادة اكتشاف العديد من مواقع التعدين القديمة والوسطى.

(٨) نفس المصدر.

(٩) علي رضا. نفس المصدر، الصفحات ١٦٠ - ١٦٢؛ البكري، نفس المصدر، المجلد١، الصفحات ٢٨ - ٢٩؛ البكري) نفس المصدر، ص ٢٩)، في الواقع، أعتقد أن بني فران كان لديهم موقعين للمناجم.

(١٠) صاحب «المناسك»، نفس الموقع؛ ابن سعد، نفس المصدر، المجلد ١، ص ٢١٣؛ ابن الأثير. الكامل في التاريخ، نفس المصدر، المجلد ٢، ٢٩٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نفس المصدر، المجلد ٧، ٤٣٨؛ الأصفهاني. كتاب الأغاني، نفس المصدر، المجلد ٢٣، الصفحات ٢٢٧ - ٢٢٨؛ ابن حزم، نفس الموقع؛ المسعودي. كتاب التنبيه والأشراف، نفس المصدر، المجلد ٨، الصفحات ٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٥٦ (ابن سعد (نفس المصدر، المجلد ٢، ص ٢١٣) أشار إلى أن معدن بني سليم افتتح في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(١١) السمهودي، نفس المصدر، ص ١٢٦٨؛ ابن حزم، نفس المصدر، الصفحات ١٧٢، ١٩٦، ٢٦١؛ البكري، نفس المصدر، المجلد ١، ص ٢٨؛ الهمداني، كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، الصفحات ٣٦٤، ٣٧٥، ٤١٤.

(١٢) صاحب «المناسك»، نفس المصدر، الصفحات ٣٢١ - ٣٢٤: ابن خرداذبة، نفس المصدر، الصفحات ١٢٨، ١٣٧؛ ابن رستة، نفس المصدر، ص ١٧٦؛ المقدسي،نفس المصدر، ص ١٠٨؛ السمهودي، نفس المصدر، ص١٣٠٩؛ البكري، نفس المصدر، المجلد ١، ص ٢٨.

(١٣) الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، الصفحات ٨٨، ٢٦٥، ٣٦٣، ٣٩٤، صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، ص ٢٩٩؛ الأزرقي، نفس المصدر، الصفحات ٢٧٦، ٢٨٧؛ الزبير بن بكار، جاء في الفاسي. العقد الثمين في تاريخ البلاد الأمين، (بيروت ١٩٨٦) المجلد ٤، ص ٤؛ السمهودي (نفس المصدر، المجلد ٤، ص١٢٦٩)، ومن ناحية أخرى، أكد أن (جبل عير) كان يقع بالقرب من المدينة شرق العقيق.

(١٤) ياقوت. معجم البلدان، في وصف (النصب)، نفس المصدر، المجلد ٥، ص ٢٨٧؛ البكري، نفس المصدر، المجلد ٤، ص ١٣٠٩؛ الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ص ٤١٤.

(١٥) ابن حزم، نفس المصدر، ص ٢٠١؛ ابن سعد، نفس الموقع؛ البلاذري. فتوح البلدان، نفس المصدر، ص ٢٢؛ مالك بن أنس. المدونة، نفس المصدر، المجلد ٢، ص ٢٨٩؛ أبو عبيد. كتاب الأموال، (القاهرة ١٩٨٩)، الصفحات ٤٣١ - ٤٣٤؛ البكري، نفس المصدر، المجلد ٣، الصفحات ١٠٤٧، ١٠٥١؛ السمهودي، نفس المصدر، ص ١٢٨٢.

(١٦) اليعقوبي كتاب البلدان، (ليدن ١٨٩٢)، ص ٣٤١.

(١٧) الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، الصفحات ٢٥٩، ٣٩٧ - ٣٩٨.

(١٨) البكري، نفس المصدر، المجلد ٣، الصفحات ٢٦٨، ٨٧٥ - ٨٧٦، ١٠٢١؛ السمهودي، نفس المصدر، المجلد ٣، ص ١١٠٥.

(١٩) الأصفهاني. بلاد العرب، نفس المصدر، الصفحات ١٢٨، ١٥٢، ١٥٩؛ الهمداني. صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ١٥٩، ٢٩١، ٢٩٩؛ «المناسك»، نفس المصدر، الصفحات ٥٩٥، ٦١٨.

(٢٠) البكري، نفس المصدر، المجلد ٣، الصفحات ٨٦٤؛ ياقوت، نفس المصدر، (الأحسن)، المجلد ١، ص ١١٢.

(٢١) الهمداني. صفة جزيرة العرب. نفس الموقع، الأصفهاني. بلاد العرب، نفس المصدر، الصفحات ٢٣٦، ٣٨٢.

(٢٢) الأزرقي، نفس المصدر، الصفحات ١٥٨ - ١٦٠؛ الزبير بن بكار، نفس المصدر، المجلد ١، ص ٣٧٢؛ الأصفهاني. بلاد العرب، نفس المصدر، الصفحات ٣٠، ١٢٦؛ الخطط الحالية في طريقها لتطوير مخلفات الحديد الخام التي وجدت في وادي الصواوين بشكل تجاري، إضافة إلى مخلفات (البوكسيت) في وادي الزبيرة؛ (ففي وصفه لنشاطات التعدين في دار الإسلام، راجع ابن المجاور. تاريخ المستبصر، (ليدين ١٩٥١ - ١٩٥٤)، المجلد ٢، ص ١٩٩).

(٢٣) السمهودي، نفس المصدر، المجلد ٤، ص ١٢١٨؛ ابن حوقل. كتاب صورة الأرض، (ليدين ١٩٦٧)، ص ٣٣، الهمداني. صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ٢٩٣، ٣٠ - ٣٠١؛ جواد علي، نفس المصدر، المجلد ٧، الصفحات ٥١٦، ٦٢٢.

(٢٤) الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ورقة رقم، ٢٦ ب، ص ٩٣؛ صابر، نفس المصدر، ص ٣٣.

(٢٥) مقارنة السمهودي، نفس المصدر، ص ١٣٠٩؛ الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ورقة رقم ٢٦ ب، الصفحات ٩٣، ٣٦٥ - ٣٦٦، ٣٧٠؛ صابر، نفس المصدر، الصفحات ٣٣ - ٣٤؛ جواد علي، نفس المصدر، المجلد ٧، ص ٥١٤.

(٢٦) صابر. التعدين القديم وأثره على الاكتشافات المعدنية الحديثة في المملكة العربية السعودية، التقرير الفني بـBRGM تي آر - ١١ - ٣، (جدة ١٩٩١)، ص ٢١.

(٢٧) «تاريخ الإشعاع الكربوني ونتائجه»، أطلال: المجلة العربية السعودية للآثار القديمة، المجلد ١٣، (١٩٩٠) ص ٥٩.

(٢٨) صاحب «المناسك»، نفس المصدر، ص ٣٣٥؛ آل هيلبرت وأشياء أخرى. جيولوجيا معدن التل والأعمال تحت الأرض، معدن مهد الذهب، المملكة العربية السعودية، السجل الفني (يو أس جي أس - تي آر - ٣ - ٢)، (جدة ١٩٨٤)، ص ٣؛ (آر. لوس)، وأشياء أخرى الجيولوجيا والمخلفات الخام في مقاطعة مهد الذهب (يو أس جي أس) تقرير المشروع العربي السعودي ١٩٥ (جدة ١٩٧٥)، الصفحات ١ - ٢؛ (دي شميدت) متبرة الذهب وطباق الأرض الأربع في منطقة جبل المخيط، السجل الفني (يو أس جي أس ١٩) (جدة ١٩٨١)، ص ١؛ (كيه أكيرمان) «اكتشاف الذهب العربي، قديمًا وحديثًا» المجلة العربية السعودية للمجتمع التاريخي الطبيعي، المجلد ٣، رقم ٤، رقم ١ (ديسمبر ١٩٩٠)، ص ٢٧؛ أتش صابر. التعدين القديم، نفس المصدر، ص ٤؛ كيه أس تويتشل. المملكة العربية السعودية: وصف تطور ثرواتها الطبيعية، (نيويورك، ١٩٥٨)، الصفحات ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٢٩) من إفادة الدكتور زهير عبدالحفيظ نواب أن اسم الجبل (الشيزم) وأول من ذكر هذا الاسم (دوغتي) سنة ١٨٧٠م حيث قال: جبل الشيزم: الموقع: يبعد عن مدينة الوجه بمئة وخمسة عشر (١١٥) كيلًا عند تقاطع خط

عرض: ٢٧َ/ ٢٦ْ وخط الطول ٣٢َ/ ٣٧ْ، في مربع سهل المطران (ج. م ٨٦). أول من ذكره هو السيد تشارلز دوغتي، سنة ١٨٧٠م. ولكن أول دراسة تنقيبية أجريت عليه كانت في عام ١٩٣٦م بواسطة (سامس).

التمعدن: يظهر التمعدن على هيئة كبريتيدات النحاس والزنك في هيئة شبكية. وأهم المعادن الخام هي: الكالكوبيريت، والإسفلريت، والماجنيتيت، والبورنيت، والبيريت، ويتميز التمعدن بأنه ذو نُطُق، حيث يتركز النحاس في الداخل والزنك في الخارج. ويظهر الذهب والفضة بكميات بسيطة. أوضحت الدراسات التي أجرتها وكالة الوزارة وجود احتياطي خام للجزء الأوسط من الممكن يقدر بحوالي ٦ ,١ مليون طن وبتركيز ٩٢ ,٢٪ نحاس و ٧٣ ,٪ زنك، و ١٣ جرام/ طن فضة). انتهى.

ولكن يلاحظ أن مادة (شزم) وما اشتق منها ليست موجودة في اللغة العربية، فلعل صواب الاسم (الشيظم) وهذه اللفظة تدل على الجسامة والطول، ولعل الجبل سمي بذالك لاتصافه بهما.

(٣٠) إيه أم الشنطي. «معدنة الفضة في الجزء الشرقي من الصحراء العربية»، في المؤتمر العربي الثاني عن الثروة المعدنية، وثائق المؤتمر، الأوراق المرجعية، (جدة ١٩٧٤)، الصفحات ٦٥ - ١٠٥، في أكثر من موضع؛ إيه أم الشنطي. المعدنة في مقاطعة الدوادمي، نشرة دي جي أم آر ١٤، (جدة ١٩٧٦)، ص ٣؛ (H. A. Quinn) منطقة الفضة في الدوادمي، المديرية العامة للثروة المعدنية، تقرير خاص ٢٣٨، (جدة ١٩٦٤)؛ (R. Roberts) المخلفات المعدنية في غرب المملكة العربية السعودية، يو أس جي أس تقرير المشروع العربي السعودي ٢٠١، (جدة ١٩٧٥)، الصفحات ٢٦ - ٢٧، ٢٩؛ (M. Donzeau) دراسة جيولوجية لجبل الشزم، السجل الفني (بي آر جي أم ٨٠) جدة ٥ (جدة ١٩٨٠)، ٢٧، تم تصويرها في وزارة البترول المصادر المعدنية. الثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية، مطبوعة خاصة ٢ (جدة ١٩٩٤)، الصفحات ٦٢، ١٠٢.

(٣١) (K. S. Twitchel) نفس الموقع؛ أتش صابر، نفس الموقع؛ الثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية، نفس المصدر، ص ١٠٢؛ الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، الصفحات ٣٤٧، ٣٩٦، ٤١٣؛ أس الراشد. درب زبيدة (الرياض ١٩٨٠)، الصفحات ١٠٥، ٢٤١ - ٢٥١؛ ع. الكبواي. دراسات في آثار المملكة العربية السعودية (الرياض ١٩٩١)، المجلد ١، ص ٦٩؛ J. Sourdel Thomine (خط)، الموسوعة الإسلامية (الطبعة الجديدة)، المجلد ٤ (١٩٧٨) الصفحات ١١١٩ - ١١٢٠؛ بي مورتيز. «المعادن في البلاد العربية القديمة» (ترجمة أمين رويحة)، مجلة العرب (الرياض ١٩٦٧)، المجلد ٢، ص ٥٨٧.

(٣٢) وجدت دنانير قديمة تعود إلى العام ١٩٨هـ/ ٨١٣م في عهد الخليفة المأمون في فيد وفي أماكن مختلفة في المنطقة H. A. Quinn. سمرة (٢٤/ ٤٤ سي)، تقرير الملف المفتوح (دي جي أم آر ٢٠٢) وكالة وزارة الثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية (جدة ١٩٦٣)؛ الشنطي. المعدنة في مقاطعة الدوادمي، نفس المصدر، ص ٣؛ (T. H. Kiilsgard and A. Paupy) «مقاطعة الفضة في الدوادمي»، في الثروة المعدنية في السعودية، المديرية العامة للثروة المعدنية (جدة ١٩٩٤)، ص ٢٤٢؛ (N., D. Mackenzie and S. Al Hel-wah) «برنامج التوثيق المعماري لدرب زبيدة»، الجزء ٢، أطلال: المجلة السعودية للآثار، المجلد ٤، (١٩٨٠)، الصفحات ٣٧ - ٥٠؛ (J. Hester). «التقرير التمهيدي عن المرحلة الثالثة لمسح التعدين القديم: المنطقة الجنوبية الغربية»، الجزء ٢، أطلال: المجلة السعودية لآثار، المجلد ٨، (١٩٨٤)، ص ١٢٦؛ (P. De Jesus). «التقرير التمهيدي عن مسح التعدين، ١٩٨١ (١٤٠١)، «أطلال» نفس المصدر، المجلد ٦ (الرياض

١٩٨٢)، الصفحات ٧٧ - ٧٨؛ ح. صابر. التعدين القديم، نفس المصدر، الصفحات ٤، ٧، ١١، ١٧؛ أس الراشد، نفس المصدر، الصفحات ٢٦٤ - ٢٧١؛ ع. الكباوي، نفس الموقع.

(٣٣) J. Hester، نفس المصدر، المجلد ٨، (١٩٨٤)، ص ١٣٥؛ (F. Goldsmith) الثروة المعدنية في المثلث الجنوبي للحجاز (دي جي أم آر)، نشرة الثروة المعدنية رقم ٥ (جدة ١٩٧١)، الصفحات ٢٦، ٣٤؛ الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، الصفحات ٣٤، ٣٥١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٨، ٤٢٠؛ ع. الكباوي، نفس المصدر، الصفحات ٦٩ - ٧٠؛ (T. H. Kiilsgard and A. Paupy)، نفس المصدر، ح. صابر. التعدين القديم، نفس المصدر، الصفحات ٩، ١٤، ١٧؛ (P. De Jesus)، نفس المصدر، ص ٦٣؛ (R. Malhas). معجم البلدان العربية: قسم الحجاز: بحث المعادن، (١٩٩١)، ص ٢١؛ المديرية العامة للثروة المعدنية. الثروة المعدنية في السعودية، نفس المصدر، الصفحات ٦٢ - ٦٣؛ (M. Donzeau) نفس الموقع؛ R. Roberts، نفس المصدر، ص ٢٥.

(٣٤) ابن سعد، نفس المصدر، المجلد ٣، ص ٢١٣؛ ابن الأثير. الكامل في التاريخ، نفس المصدر، المجلد ٢، ص ٢٩٠.

(٣٥) هو عقيق غامد وليس عقيق عقيل، فالعقيق في اللغة يطلق على أودية كثيرة لأنه مأخوذ من قوة جريان الماء، وأطلق اسمًا على عدة أودية: عقيق المدينة وعقيق الطائف وعقيق غامد وهو الذي فيه المعدن، وسكانه قديمًا من بني لهب (اللهبة) يبدو أنهم دخلوا الآن في أبناء عمومتهم من غامد، وهذا يقع في أسفل بلاد غامد وزهران وشهرته تغني عن تحديده، أما عقيق بني عقيل فهو المعروف الآن باسم (وادي الدواسر) يقع في جنوب نجد في منطقة واسعة، وبقربه معادن ذكرها الهمداني وغيره.

(٣٦) البلاذري، نفس المصدر، ص ٣٣؛ مالك بن أنس. المدونة، نفس المصدر، المجلد ٢، ص ٢٨٩؛ البكري، نفس المصدر، ص ١٠٥١؛ السمهودي، نفس المصدر، المجلد ٣، ص ١٠٤٠؛ الطبراني، ورد في الياقوت، نفس المصدر، المجلد ٤، ص ٣٠٧ - ٣٠٨؛ ابن حجر، نفس المصدر، المجلد ١، ص ٣١٣؛ المجلد ٤٤، ١٩٧؛ الهمداني. صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، ص ٣٢٩.

(٣٧) الهمداني. صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ٢٩٣ - ٢٩٤، ٢٩٩؛ وكتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ورقة رقم ٢٤أ، ص ٨٧.

(٣٨) نصر الاسكندري، ورد في ياقوت، نفس المصدر، المجلد ٥، ص ٢١٢؛ والحازمي. الأماكن، (الرياض ١٩٩٥)، المجلد ٢، الصفحات ٨٦٢ - ٨٦٣؛ القرآن، «سورة آل عمران»، آية ١٤؛ «سورة الكهف»، آية ٣١؛ «سورة التوبة»، آية ٣٤؛ «سورة الحج»، آية ٢٣: «سورة الإنسان»، آية ١٥ - ١٦؛ و. الصمد. الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، (بيروت ١٩٨٤)، الصفحات ١٩٠ - ١٩٤، ٢٠٢ وما يليها؛ جواد علي، نفس المصدر، المجلد ٧، الصفحات ٥٠٥ وما يليها.

(٣٩) الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ص ٣٢٠؛ (كيه أكرمان) نفس المصدر، ص ٢٠؛ سي مارتين. التعدين في الجزيرة العربية القديمة (يو أس جي أس) التقرير الفني ١٣٧ (جدة ١٩٧٢)، ص ٣٩؛ (ع. كشناووت) وأشياء لأخرى «التقرير التمهيدي عن مسح المعادن شمال غرب الحجاز - ١٩٨٢»، «أطلال»: المجلة السعودية للآثار، المجلد ٧، (١٩٨٣) ص ٧٧؛ (بي دي هيسوس)، نفس المصدر، الصفحات ٧٨ - ٧٩.

(٤٠) صابر. «اطلال»، نفس المصدر، الصفحات ٣٣ وما يليها.

الأحلام والشعر

إن العقل عـامل منتج للـرمـوز، ولا يكـاد يعبـر عن نفسـه في الأحـلام بغيـر هـذه الطريقة، ونحن نعرف أن كثيرًا من الحيل التي يقوم عليها الحلم يمكن أن تنطبق على الأشكال الرمزيـة بوجه عام. والرمز في الحلم، والفن تعبيـر غني لما يحمل من معان متعددة كثيرة، والرمز نوع من التعبيـر غير المباشرة لا يسمِّي الشيء باسمه. بل الأرجح أن الرمـز يظهر الشيء، ويخفيـه معًا في وقت واحـد، لذا كان الخيـال جزءًا هـامًا من الحيـاة العقلية لـلإنسـان ويعمل جنبًا إلى جنب مع التفكيـر الـواقعي، ويُعَدُّ وسيلـةَ لتجنب الشدة التي يفـرضها الواقع على وعـي الفرد، ويفيد في إرضـاء بعض الدوافع التي يمكن إرضاؤها في الواقع، فيأتي وسيلة نافعـة لإنقاذ الفرد من الارتباك، الذي قد يحـدث له في تمـاسِّه مع الـواقع، ولكي يكون الخيـال طبيعيًّا يجب أن يكـون قابـلًا للضبط فإن الفرد قد يمعن في استبدال الواقع بالخيال.

إن الحالم يتقمص شخصيـات أحلامه بطـريقة مـا، فيسوِّغ، ويسمو بـالأشياء إلى مستوى المثل العليا، ويحكم الأشيـاء، ويزخرفها، لأن الحلم يستخـدم الإزاحة فتبدو بعض العنـاصر الأخـرى دون علاقـة بغيـرها، ذالك لأن الأحـلام - في رأي (فرويـد) وأشياعه - تهريب للرغبات المكبوتة؛ ولذا فهي اللغة الطبيعية للنفس. فلغة الأحلام - في الواقع - أُنموذج أصيل لعملية التفكير الأصلية. فالمرء يقاسي ضغط الرغبات في نفسـه، وبخاصَّـةٍ الرغبـات المحرمـة، التي تسبح في عقلـه طليقة خـلال نومـه، وفي يقظته، إذا ما واتتها الظروف، وتهيأت لها المناسبات.

من هنـا كانت الأحـلام درجة من درجـات العبقريـة الروحيّة - إن صـح التعبير - فالحالم يستطيع - أحيانًا - أن يتصل بعالم الحقيقة، ولو بطريقة رمزية غير مباشرة.

فالأحلام - في الغـالب - ليست بسيطة، وليست أكاذيب - كمـا يبدو - إنما هي رسائل مُـوَجهَةٌ إلى الذات؛ لـذا عُدَّ الحلم برهـانًا على أننا لسنـا محبوسين في داخل جلودنـا، فهو البـاب المفتوح على عـالم آخر، لأن الحلم يسهم في نقل الحـالم إلى الـزمان والمكـان المطلوبين مـاضِيًا كـان أم مستقبـلًا، فيلغي بذالك شـرطي الزمـان والمكان وقـوانينهما المألوفـة. في الحلم تختلط الأزمنة وتلغى المسـافات، ويتحقق

المستحيـــل ويتيسر العسير، ولذالك كان الحلم أقرب إلى خيال الشاعر من أيِّ شيءٍ آخر. فما يعجز عنـه زمن اليقظة يحققه زمن الحلم؛ لهذا اهتم الشاعـر - بوجه عام - بالحلم والطيف أكثر من غيره.

إن هنـاك حلمًـا، وأحلامًـا في اليقظـة لا تقل أهميَّـةً عن أحـلام النـوم، يصعب- أحيانًا- تفريقها عن الخيال، والتخيّل. والخيـال عنصر أساسي في أحلام اليقظة، بل إن هذه الأحلام إمعان فـي الخيال بوصفها فُقدانًا للصلة بيـن نقطة الابتداء، والانتهاء في تفكيـره. وفي الحـالتين يكـون التَّخَلِّي عن الـواقع، واستبـداله بغيـره وسيلـةً لحل الصـراع النفسي وما أحـراه - إذن - أن ينتج آثـارًا أدبية، أو مـادة لتلك الآثار، فيفكـر ويخرج العمل بحلـم اليقظة، فيسدّ الفجـوات في عمله الفني، بعـد أن أمَدَّتْـهُ أحلام اليقظة لأنها بمثابة عامل من العوامل المؤدِّية إلى الإنتاج الأدبي.

وقد لاحظ (فـرويد) وأيـده كثيرون بعده أن الأحـلام (بَصريـة) على الأرجح، وأنها تحدث عن طريق تَجَمُّع الانطباعات الناشئة عن كل الحواس، فتشكل فكرة مصورة. أما عمليـة الإنابة أو المشاركـة فذات جانب واحد فقط بمعنى أن الانتقـال يكون من السمع، أو اللمس، أو غيـرهما إلى التصـور. وقلما يحـدث العكس. ومن الممكن أن يكون العكس بسبب تشـويش في التنظيم العقلي. ويقودُنـا هذا إلى التفكيـر بأنه من الطبيعي أن يـوحي النغم المـوسيقيُّ بسلسلـة من الصـور البصـريـة، ولكن من غيـر الطبيعي عكس ذالك. أي إن سلسلة الصور البصريـة توحي بالموسيقى. ولعل أوضح ظهور للحلم نَجده في غزل الشعراء، فبشّـار يستحضر الحبيبة في حلمه، ولكنها تبدو له من خلال أدوات الزينة الملموسة (القرط، والخلخال، والقُلْبِ).

ولقـــــد تعـــرَّضَ لـي خَيَـــالُكُمُ   في القُـــرْطِ والخَلخـــالِ والقُلْبِ

وكما تمنى أن تصدقه الأحلام:

عُيَّقْتُ (؟) منهـــا حلمًـــا كـــاذبًـــا   يـــاليت ذاك الحُلْـم لم يَكـــذِب

فالحبيبة التي هجرته لا تنفك تغشاه في النوم:

يـارئم قـولي لمثل الـرِّئْمِ قـدْ هجـرتْ   يَقْظَى، فمـا بـالها في النـوم تغشـاني؟

ويرحب آخر بطيف سُعْدَى الملمِّ بلا زمن. ولكنه يشكو كثرة الأحلام التي لا تَصْدُقُ:

أَهْــلًا بطيفِكِ يـا سُعْــدى المُلِمِّ بِنَـا — طيفٌ يسيـــر بــــلا نَجْـم ولا عَلَمِ
أَنْت الضَّجيعُ إذَا مـا نُمْـتُ في حُلمِي — والنجْـمُ أنتِ إذا مـــا العْيـنُ لم تنَـم
مـا أكَـذْبَ الْعينَ والأَحـلام قـاطِبـةً — أَصَـادقٌ مـرَّةً في وصلهـا حُلمي؟

ويُمَنِّي شاعر آخر النفس بِالطَّيْفِ الذي لا يملك سواه:

فقلت لعيني عـاودي النـومَ واهجَعي — لعل خَيَـالًا طـارقًـا سيعـودُ

وقال المؤمل بن أميل:

حلمـتُ بكم فـي نَـوْمتي فغضبتُـم — ولا ذَنْب لـي إن كنتُ في النـوم أَحْلُمُ
سأطـرد عني النـومَ كـي لا أراكمُ — إذا مـا أتـانـي النـومُ والنـاسُ نُـوَّمُ

ويدعو آخر الحبيبة أن تصل في الأحـلام، لعل هذا الواصل يطمئن الْمُقَلَ المتْعبة فتستريح:

وَعِـدِي بـوصلِكِ فـي المنـام لعلهـا — تـرجـو لقـاءَكَ مُقْلَتي فتُهَـوِّمُ

وتمنى المعريُّ أن تكون دنْياهُ كأحلامه في التعبير:

ولعلَّ دنيـانـا كـرقْـدَةِ حـالم — بـالْعكسِ ممـا نحن فيـه تُعبَّـرُ
فـالعينُ تبكي في المنـام فتجتَنِي — فَـرَحًـا وتضحـك في الـرُّقَـادِ فتُعبَـرُ

ويسترجع أبو العلاء بأحلامه ضروب الذكريات:

إذا نُمْت لا قَيْتُ الأحبَّـة بعـدمـا — طـوَتْهُم شهـورٌ فـي التـراب وأَحْـوالُ

ولشدة ما شغله الطَّيْفُ تساءل عنها في عالم الحيوان:

لقـد زارني طيفُ الخيـال فهـاجَنِي — هل زار هـذي الإبْـلَ ضَيْفُ خَيـالِ

وليس الحلم إلا وصلًا حين يعدم في دنيا الحقيقة. وهو - فضلًا عن ذالك - تَحَدٍّ لمحرمات الواقع. وتجاوز لقوانين المادة وجَبْرِيَّتِهَا. فالخيال يسافر - برغم كل قيود الحظر. فالحبيبة تسري خَيالًا. وولي أمرها قد أقسم أن يمنع، فيكون بعد وصلها هذا قد حَنِث في قَسَمه:

أَلَى أَمِيـرُكِ لا يَسـري الخيَـالُ لنـا — إذَا هجعْنَـا فقـد أَسْرَى ومَـا علمـا

-١٠-

الشاعر (بُرَيد الغواني)
لا (يزيد)

التراث العربي مُتَّسع الجـوانب، كلما ابْتَعَد المرء في غوره بـدا لهُ الصحيحُ وهمًا، والوهُـم صحيحًا، حَتَّى صِرْتُ أظـنُّ أن الأساس في التـراث وعَمَلِه الوهمُ حتـى يجدَ المرءُ ما يدعم صحيحه، ويُوَثِّقُ ظنّه.

أقـول هذا ورأيتُ مجمـوعةً من أفـاضل العـاملين في التراث وأكـابرهم يَعْتَـوِرون الخطأ نفَسَه دون أن يساور أحدَهم الشكُّ في أن ما يُثْبته وَهْمٌ صَوَابهُ في مكانٍ آخر.

أقولُ هـذا الكلام وأنـا أراجعُ كتابًـا من الكتب التراثيـة الجليلة التي صـدرت عن (معهـد البحوث العلميـة وإحيـاء التراث الإسـلامي) في جـامعـة أم القرى في مَكّـة المكـرمة؛ وهـو كتاب «المُنْتَخَب من غـريب كلام العـرب»[١] لأبي الحسن علي بن الحسن الهُنائي المعروف بكُرَاع النمل (ت ٣١٠هـ). والكتاب مـوسوعة لغوية وأدبية يَزْخر بالفوائد، وقد بذل محققه جهودًا محمودة فأخرج الكتاب خير ما يكون الإخراج، وذيَّلهُ بفهارس متنوعة. وفي أثناء مـراجعتي الكتاب وجدت ما جاء في (١/ ٢٥٢) من قول كُراع النمل: (ومِمَّا يُخْضَبُ به الشعر أيضًـا: الوَسَّمَةُ والصَّبِيبُ..). وقال يزيد بن سُويدِ بن حِطّان، وهو يزيد الغواني:

وقـــالت تَجَنَّبَنْـــا ولا تَقْـــرَبَنَّـــا   ورأسُـكَ حِنَّـــــاءٌ بــــهِ وصَبِيْـبُ

وجاء فيه (٢/ ٧٥٤) أيضًا، في باب (من قال كلمة أو قيلت له أو فَعَل فِعلة)[٢].

فصارت لقبًا أو عُـرف بها حسنًا كان ذالك أم قبيحًـا. يقول كراع: (ومِمَّن لُقبَ من الشعراء... ويزيد بنُ سويد بن حِطَّان الضُّبعي كان يُلقب بيزيد الغواني، ومن شعره:

كأنّ سُـــلافًـا من عنـــاقيـدِ يـــانِعٍ   منَ الكَـرْمِ بَيْن النـاجِذَيْنِ مَشُـوبُ

بـواكفِ مَـاءٍ بَـاتَ تَسْرِي بـه الصَّبـا　　على رَصَـفٍ أو تمتَـرِيْـهِ جَنُـوبُ

قال المحقق في الحاشية (٢): «ألقاب الشعراء» ٢/ ٣١٥).

ووجدت في النصّ مـا يدعو للتنبيـه على وهم اعتورتـه كتب الأدب، وفات بعض كبار المحققين تصحيح هذا الموضع، فعزمت على ذالك، ومتوكلًا على الله أقول:

جاء ذكر الشاعر ولقبه في كتاب «الزهرة»[٣] لمحمد بن داود الأصفهاني (ت ٢٩٧) في موضعين، أولهما: (١/ ٤٧) حيث يقول المؤلف: (وقال يزيد بن سُوَيْد الضُّبَعِي:

بِيضٌ أوانِـسُ يَلْتَـاطُ العبيـرُ بهـا　　كَفَّ الفـواحِشَ عنهـا الأُنسُ والخَفَـرُ

ميلُ السـوالفِ غِيْـدٌ لا يـزال لهـا　　من القلـوب إذا لا قَيْتَهـا جَـزَرُ)

قال المحقق في الحاشية (٨): (لم أهتدِ إلى ترجمته، ولم أجده بين المسمين (يزيد) من الشعراء). وثاني الموضعين جاء في «الزهرة» (١/ ١٨٥) حيث يقول المؤلف:

(وأُنْشَدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي ليزيد الغواني العجلي:

سَـرَتْ عَـرْضَ ذِي قَـارٍ إلَيْنَا وبَطْنَـهُ　　أحـادِيثُ للـواشـي بهنَّ دبيـبُ

أحـاديثُ سَـدَّاهـا شبيبٌ ونـارَهـا　　وإنْ كـانَ لَـمْ يَسْمَـع بهنَّ شَبيـبُ

وقـد يَكْـذِبُ الـواشي فيُسْمَعُ قـولُـهُ　　ويَصـدُقُ بعضُ القـولِ وهـو كـذوبُ

وعاد المحقق للقول في الحاشية (١٢) (لم أهتدِ إلى (يزيد) هذا).

وجاء في «أمالي الزجاجي»[٤]، أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠هـ) (١٣٣ - ١٣٤): أنشدنا أبو موسى الحامض قال: أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي، ليزيد الغواني): وأنشد أبيات «الزهرة» البائية الثلاثة بالرواية نفسها، وضبط محقق «الأمالي» يختلف عن ضبط محقق «الزهرة».

١ - سَرَتْ.... وَبطنَه....

وضبط (بطنه) بالكسر محقق «الزهرة».

٣- .... ويُصْدَق بعضُ القوم وهو كذوبُ

ضبط محقق «الزهرة» فعل (يصدق) بالبناء للفاعل، بينما هو في «الأمالي» بالبناء للمفعول: والمراد يُعَدّ صادقًا. وعلّق عبدالسلام هارون - رحمه الله - على البيت الثاني في حاشية (٥) من ص (١٣٣) من «أمالي الزجاجي» فقال: (أي أحاديث مختلقة كاذبة. ويقال سدّى الثوب تسدِية: مَدّ سداه. والسدى: ما يُمَدُّ طولًا في النسيج، واحدته سداة. ويقال: نار الثوبَ ينيره نيرًا: جعل له نِيرًا، بالكسر أي صورًا أو خطوطًا. والمراد: أجاد تلفيق الكذب وأتقنه).

قُلْت: ويبدو أن بيتي «المنتخب» (٢/ ٧٥٤) والبيت في (١/ ٢٥٢) صلة لما جاء في «الزهرة» وفي «أمالي الزجاجي».

وعلّق عبدالسلام هارون - رحمه الله - في الحاشية (٣) ص (١٣٣) على اسم الشاعر فكتب: (يزيد الغواني، هو يَزيد بن سُويد بن حِطَّان، أحد بني ضُبيعة بن ربيعة. وسُميّ بذالك لقوله:

لا تَدْعُوني بَعْدها إن دَعَوْتَني ... يزيد الغواني وادْعُنِي للفوارسِ

انظر «نوادر المخطوطات» ٢: ٣١٥. وفي البيت على هذه الرواية خرم يصيب (فعولن) الطويل فتصبح (عُولُنْ) بحذف الفاء.

وإحالة محقق «المنتخب» فيها تَجَوزٌ يُفْضي إلى لَبْسٍ لأن كتاب «ألقاب الشعراء» لابن حبيب (٢٤٥ هـ) صغير نشره الأستاذ عبدالسلام هارون في سلسلة «نوادر المخطوطات» ثم جُمعت في مجلدين[٥] والإحالة كما وردت في حاشية «المنتخب..» «ألقاب الشعراء» ٢/ ٣١٥) غير دقيقة.

والمهم أن ابن حبيب ذكر الشاعر، وذكر البيت الذي لُقّب بسببه، والصحيح في كل ذالك ماجاء في «المؤتلف والمختلف»[٦] للآمدي (ص ٣٠٥ - ٣٠٦) في باب الياء في أوائل الأسماء: (من يقال له: يزيد وبُريد: فأمّا يزيد في الشعراء فكثير

جـدًا... وأمَّا بُـرَيْـد - بـالباء معجمـة بـواحدة من أسفل - ففـي الشعراء منهم غيـر واحـد... ومنهم: بُرَيْـد الغواني بن سـويد بن حِطّـان، أحد بني بُهْثَـة[7] بن حرب بن وهب بن جُلَي بن أحمس بن ضُبيعة بن نزار، شاعر فصيح، وهو القائل:

ولا تَـدْعُـونِّي إنْ تَكُـن لي داعيًـا   بُـرَيْـدَ الغـواني فـادعني للفـوارس

وله في كتاب بني ضُبيعة أشعارٌ حسان جياد).

وجاء في «تاج العـروس» (برد) (وبُريدُ بن سُوَيْـد بن حِطَّان، شاعرٌ، يقال لـه: بُرَيْدُ الغواني).

فـاسم الشاعـر هـو إذن (بُرَيْـد) وليس (يزيـد) وهـذا تصحيف غفل عنه الأستـاذ عبـدالسلام هـارون في مَـوْضعين من كتبـه المحققة «أمـالي الـزجاجي»، و «ألقـاب الشعـراء» من «نوادر المخطـوطات» كمـا غفل عنه الـدكتور إبـراهيم السامـرائي في مكانين من تحقيقه كتـاب «الزهرة»، والدكتور محمد بن أحمـد العُمَري محقق كتاب «المنتخب من غريب كلام العرب». وحِطَّانُ في نسب الشاعر بتشديد الطاء وضبطها محقق «المنتخب..» بفتح الطـاء والصواب الفتح والتشـديد. كما جـاء في المنتخب ١/ ٢٥٢ على الصواب.

وهنـاك تصحيف آخـر في نصّ «الـزهـرة» فمـا جـاء في نسب الشـاعـر (بُـرَيْـد) (العجلي) تصحيف صوابه (الجُلِّيُّ). انظر: «الاشتقاق» لابن دريد[8] ص ٣١٣.

وأحمد بن يحيى الـذي جاء في نصِّ «الـزهرة» (١/ ١٨٥) هو أبـو العباس ثعلب، وكذلك جاء في إنشاد كتاب «أمالي الزجاجي».

وأبو موسـى الحامض الذي جاء في إنشـاد كتاب «أمالي الزجاجـي» هو سليمان ابن محمد بن أحمد البغدادي. توفي سنة (٣٠٥هـ)، وسُميّ الحامض لشراسة خلقه.

هذا مـا أردت قوله في تصحيح تصحيف جَنـىٰ على اسم شاعر فصيح، لـه أشعار حِسَان جيـاد كما يقـول الآمدي في «المؤتلف والمختلف» ولازلـت أبحث عن شعره

ولَعَلّ مقبلات الأيام تكشف لنا عن شاعر مجيد. والله من وراء القصد،،

الدكتور محمد خير البقاعي

كلية الآداب (جامعة الملك سعود)

الحواشي:

(١) صدر بتحقيق الدكتور محمد بن أحمد العمـري (مجلدان)، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م. وانظر عنه مجلة «العرب» ٢٦/ ٢٨٧.

(٢) ضبطها الدكتور العُمَري بكسر الفاء، وتسكين العين، وهـذا وزن اسم الهيئة، أما اسم المَرَّة المقصود هنا فهو على وزن فَعْلة بفتح الفاء وسكون العين.

(٣) طبع الجزء الأول لويس نيكل بمساعدة إبراهيم طوقان في بيروت ١٩٣٢م ضمن مطبوعات الجامعة الأمريكية، ونُشِر الجزء الثاني في بغداد من مطبوعات وزارة الثقافة ونشره الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيسي - رحمه الله - ١٩٧٥م، وعاد الدكتور السامرائي فأخرج المجلدين في الأردن - الزرقاء، مكتبة المنار ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، وهي الطبعة التي نعود إليها.

(٤) الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - رحمه الله -.

(٥) تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م. وكتاب «ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه» ٢/ ٢٩٧ - ٣٢٨ ويذكر الدكتور العُمَري في قائمة مصادره ومراجعه ٢/ ٨٣١ (٢٩) «ألقاب الشعراء» لابن حبيب ويذكر أنه طبع في نوادر المخطوطات ويرجع إلى الطبعة الثانية - البابي الحلبي - القاهرة دون ذكر تاريخ الطبع.

(٦) تحقيق عبدالستار فراج - رحمه الله - البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

(٧) انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: ٢٩٣.

(٨) تحقيق عبدالسلام هارون ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وانظر «الاشتقاق»: ٢٢١: (وقد سَمّت العرب أبرَ وبُرَيْد...) و «جمهرة اللغة» لابن دريد أيضًا ١/ ٢٤٢. وقال ابن دريد في «الاشتقاق» ٣١٣: (فمن قبائل أحمس: نَذَيرٌ وجُلَيّ وبَلٌّ. فجُلَيّ: تصغير جُلّ. والجَلّ والجُلّ واحد... وجُل المتاع معروف). قال محققه الحاشية (٣) ح، ص (٣١٣): يدل على صحة جُلَيَّ قول المتلمس في الحماسة:

تكون نذيرٌ من ورائي جُنَّةً ... وتَنْصرني منهم جُلَيٌّ وأحْمَسُ

وقول أبي بكر (إنه تصغير جل خطأ. وقال الأمير ابن ماكولا فيه: جُلَّى مثل حُمَّى. وفي قوله نظر. والله أعلم). وهذا عن حاشية الكتاب المخطوط. قلت: قال المرزوقي في «شرح الحماسة» ص (٦٦٣): (وجُلَيٌّ وأحمس من ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار..). والبيت هو العاشر من حماسية في ثلاثة عشر بيتًا للمتلمس. وانظر «جمهرة أنساب العرب»: ٢٩٢ - ٢٩٣.

ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت في كتابيه «صفة الجزيرة» و «الإكليل»

للأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف (١٣٣٣/١٤٠٨)

[لإخوتنا وأحبابنا من علماء جنوب الجزيرة، وخاصة بلاد حضرموت، في المجالات العلمية المتنوعة آثار ومواقف وجولات موفقة، تشمل مختلف أنواع المعارف، إلا أن مما يؤسف أن الصلات بين الأقطار العربية على درجة من الضعف، لا تمكن الباحث في أي قطر منها من معرفة ما يتصف به القطر الآخر من تقدم علمي شامل، ولا من معرفة المبرزين في ذالك من أهل ذالك القطر.

ولهذا فإننا نجهل الكثير من علماء حضرموت وأدبائهم وشعرائهم، لعدم انتشار مؤلفاتهم انتشارًا يمكن من الاطلاع عليها والاستفادة التامة منها.

ومن أولئك العلماء الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف الذي ولد في مدينة الشحر في ١٢ شعبان ١٣٣٣، وتلقى دراساته في بلاده وفي عدن، ثم نال شهادة الدراسات التجارية من غرفة التجارة في لندن، وتلقى دورات تتصل بالاختزال والطباعة السريعة والترجمة في (جامعة كمبردج)، وعمل في مكاتب إنجليزية للترجمة، وموظفًا في إدرة الاستشارية البريطانية، ثم في الحكومة القعيطية سنة ١٩٥٠ إلى منتصف سنة ١٩٦٣ حيث تفرغ للتأليف حتى توفي في ١٧/١١/١٤٠٨هـ، وله مؤلفات طبع منها عشرة كتب، كلها ذات صلة بالنواحي العلمية العامة، من تاريخية وجغرافية وأدبية منها: «الشهداء السبعة» عن احتلال البرتغاليين السواحل العربيةوماحولها، وكتاب «الجامع» يتحدث عن أنساب المهاجرين اليمنيين وقبائلهم، في ٤ أجزاء، وكتاب «الاقطاعيون كانوا هنا» و «الرفيق النافع في منظومتي الملاح باطايع» في المسالك البحرية، و «التراث وصناعة الشعر» وله مؤلفات أخرى لم تنشر، منها: «الشعر الشعبي فن وصناعة» في ٥ أجزاء، و «الأمثال الشعبية» و «تاريخ جزيرة سقطرة»، مع دراسات أدبية وتاريخية لبعض شعراء حضرموت، كما شارك في كتابة المسرحيات التي مثلت في بلاده، وغير ذالك مما لا يتسع المقام لذكره، وقد أصدر اتحاد الأدباء والكتاب (فرع حضرموت) بعد وفاته دراسة عنه، نشرت في كتاب.

ومن مؤلفات الأستاذ بامطرف «ملاحظات على الهمداني» رسالة أوضح فيها ما رآه خطأ مما يتعلق ببلاد حضرموت في كتابي الهمداني «صفة جزيرة العرب» و «الإكليل» وهما من الكتب التي تعد من أهم المصادر في موضوعيهما، وقد رأت مجلة «العرب» نشر ما كتب الأستاذ بامطرف من ملاحظات حولهما مما يتعلق بالنواحي الجغرافية، أما ما عدا ذالك مما لا يتصل بتلك المباحث كالحديث عن بلاد عُمان وصلتها باليمن فقد رأت المجلة أن قراءها لديهم من الإلمام والمعرفة بالموضوع مالا يحتاجون معه إلى ذالك البحث الممتع

الشيق، الـذي تصدى فيـه الأستاذ بـامطرف للهمـداني وللقاضي الاكـوع محقق كتابيـه، بمناقشة آرائهمـا وتزييفها، كما أن هناك من الجمـل ما رأت المجلة حذفها لعـدم الحاجة إليها، لا سيمـا وكتاب الأستـاذ باطرف مطبـوع متداول بين من يعنيهم الأمـر. أما مـا كتبه الأستاذ بـامطرف - رحمه الله - حـول الأنساب بصفة عـامة، حيث حاول هـدم هذا العلم الأصيل في الثقافة العـربية هدمًا غير قائم على أسس علميـة، متهمًا علماء النسب الأوائل كـابن الكلبي والهمـداني وغيرهمـا بـالتزييف والاختـلاق، فقـد رأت المجلـة عدم نشـر ملاحظات الأستاذ بامطرف حولها، إذ لم تر فيها ما يقنع بحجة أو يفيد برأي جديد، ولعله اتجه إلى هـذا الامر بانـدفاع قوي متأثـرًا بالنزعـة المادية البحتـة التي طغت في الآونة الأخيرة، مما لا داعي للاسترسال في تفصيله والاكتفاء بعدم نشر كل مايتعلق بالأنساب مما كتبه الأستاذ بامطرف. والله يتولى الجميع برحمته وغفرانه].

هذه مـلاحظات وجيزة قصـدت بها تصحيح بعض ما رواه أبـو محمد الحسن بن أحمد بن يعقـوب الهمداني اليمني في كتـابه «صفة جـزيرة العـرب» والجزئين الأول والثاني من كتابه «الإكليل» عن مواقع وقبائل في محافظتي حضرموت والمهرَة.

إنَّ عـذر الهمداني في حـدوث أخطـاء في بحـوثه الجغـرافيـة يكمن في أنه كـان يعتمد على الـروايات التي كـانت تنقل إليه محـرَّفة أحيـانًا من أشخـاص اعتقد فيهم المعرفة التامة بالمناطق الحضرمية والمهرية وبأهلها.

ولا ينكـر المجهود الضخم الـذي بذلـه الهمـداني في محاولاتـه الإلمام بأحـوال حضرموت الجغرافية وبقبائلها. ولو أنـه كان قد زار هذه المناطق التي ذكرها في كتبه، وتثبت في مـواقع وأسماء المـدن والقرى والمعالـم الأخرى التي بها، واتصـل اتصالًا مباشرًا بأهلها لجاء وصفه الجغرافي عنها وعـن علاقات أهلها العشائرية مغايرًا - في معظم الحالات - لِمَا ضمّنه كتبه عنها من أخبار.

ثم إن العمل الـذي ندب الهمدانـي له نفسه فـي كتابيه «الصفـة» و «الإكليل» لم يكن من السهل أن يقوم بـه شخص بمفرده، ذالك لأنـه كان عملًا مـوسوعيًـا مبنيًا لا على مـراجع مكتوبـة، يمتح منهـا ما يشـاء ويضاهي بيـن ما ورد فيهـا من معلومـات ويتحقق - إلى درجـة معقولة - من صِحتهـا، ولكن عمله إذْ بُنِي فـي بعض الحالات على روايات سماعية مفتقـرة إلى الدقة عن العمران والتوزيع (الاثنولـوجي) وماكانت تستوجبه تلك المظاهر البشرية من إحاطة وصحة في الخبر.

ومهما كان الأمر فقد قُدِّرَ لمؤلفات الهمداني التي ذكرناها الانتشار في أنحاء من العالم العربي والإسلامي في حياته وبعد مماته حتى وصلت - كما قيل - إلى الأندلس، فأخذ الباحثون عنها معلومات امتزج فيها الصواب بالخطإ، وذالك مالاحظْتهُ فيما كتب عن حضرموت على الأقل.

إنه لمن قبيل البِرِّ بأسلافنا تصويب أخطاء قليلة ارتكبوها من غير قصد، في كتبهم.. و:

مَنْ ذَا الَّذِي مَاسَاءَ قَطّ وَمنْ لَهُ الحُسَنَى فقط؟

من هنا رأيت أن الواجب عليَّ يقضي بأن أُصحح ما استطعت إلى ذالك سبيلا، بعض روايات الهمداني عن حضرموت وماكان لها من علاقة بأرض وقبائل المهرة.

إن معظم المدن والقرى التي ذكرها الهمداني في بعض جهات من حضرموت باقية وعامرة إلى يومنا هذا، ولعل حالها اليوم شبيه بما كانت عليه في عهده، أمَّا ما اعتوره الخراب من المثاوي الأخرى فإن آثاره باقية كمثاوى تُجيب الكِندية، وصنهاجة الحِمْيَرِيَّة ومطارح حضرموت القبيلة بمنطقة شَبْوَةَ، وخَدُّون ودَمُّونَ بمنطقة الهَجْرَيْنِ.

أما القبائل التي ذكرها الهمداني بحضرموت والمَهرة فقد تبدلت أسماؤها في معظم الحالات، وحلَّت محلها قبائل بأسماء جديدة، وقد عالجت هذا الموضوع بتوسُّع في كتابي «التركيب العشائري في حضرموت والمهرة في القرن العشرين».

إن أستاذنا الجليل القاضي محمد بن علي الأكوع حينما توفَّر على تحقيق مؤلفات الهمداني سالفة الذكر كان ولا ريب يقصد من وراء عمله المُضْنِي نشر صنوف من المعرفة لم تكن ميسورة من قبل بصورة متسعة، ومقربة إلى الأفهام، لأبناء اليمن وأبناء العروبة جمعاء ولكنه - فوق ذالك - أراد أن يعبر بعمله وبأسلوب صوفي، عن حب وتقدير للهمداني، وأن يظهر ثقته وإعجابه بأعماله.

ونحن إذْ نقف بكل احترام وتبجيل أمام إبداعات الهمداني ننطلق من مفهوم واحد، هو أن العلماء في كافة فروع المعرفة الإنسانية جديرون بإعجابنا وبمحبتنا لهم وثقتنا فيهم وتعظيمنا لهم.

إننا نستشف من كل سطر كتبه العلامة القاضي الأكوع عن الهمداني حبًا عميقًا له، وإجلالًا وإكْبارًا لمجهوداته العلمية، وثقة في إنتاجه الجدير بكل ثناء مستطاب، وإنّ هذه الحوافز الوجدانية لهي التي استطاع بها العلامة الأكوع أن يلين الحديد، فيكتسح الصعاب ويُذَلِّل العقبات، دون أن يعوقه عائق من عُلُوٍّ سنٍّ، ومشاق أسفار، وبحث وتنقيب في مؤلفات عديدة، واتصال بأفراد كانوا في نظره مظنة إثراء التراث القيم الذي خلفه لنا الهمداني رحمه الله.

والآن إلى الملاحظات:

تحدث الهمداني عن فلاة اليمن فقال(١): (هي فلاة تتفرق من الدهناء، من ناحية اليمامة والفَلَج، ويشرع عليها جزر اليمن من مصامة بني عامر، بناحية تَرْج تَثْلِيث فيما بين تثليث ودُثَيْنَة وتفرق هذه الفلاة بين جزر اليمن من أسافل هذه الأودية، وبين حضرموت أربع مراحل وخمس فيما بين نجران وبيحان، وأما ما خلف نجران إلى الشمال فأكثر، لأن صيهد يقبل عن فرقَيْن من الدهناء أحدهما من شرقيِّ اليمامة ويَبْرِين، والثاني من غربي اليمامة وما بينهما وبين جبل حَضَنٍ، فشرقي بلد بني هلال وشرقي أعراض نجد تَبالة وتَرْج وبِيْشة حتى يصدر عن المصامَةِ وهي فلاة لا ماءَ فيها، فَمَنْ أراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومأرب فَمَخرجه العَبْرُ مَنْهَل فيه أبار، ومن قصدها من بَيْحان والسَّروْ ودُثَيْنَة فمخرجه من بلد مَذْحِج ثم خرج أدوية تصبُّ من بلد مَذْحِجَ إلى حضرموت، حتى يصل إلى دهر، وهو أول حضرموت من ذالك الجانب، وهو لكندة وساكنُهُ تَجيب ثم إلى وادي رَخْيَة وفيه قرى منها صمغ، وسور بني حارثة (ص ١٦٦ - ١٦٧ «صفة جزيرة العرب».

لَرُبَّ قائل يقول - بعد أن يقرأ هذا الوصف اليوم، وقد توفرت له الخرائط الحديثة المفصلة المضبوطة الاتجاهات-: إن الهمداني كان يتحدث عن جهات لم يزرها ولم يستطع حتى التصور الجغرافي الحقيقي لها، فأين الدهناء بقسميها من جبل حَضَنٍ؟ وأين يَبْرِيْن من تَثْلِيْثَ؟ وأين أعراض نجد من بِيْشة أو تبالة أو نجران؟ وربما قال أيضًا: إننا لو أخذنا بما ذكره الهمداني عن صَيْهَد فإننا سوف نجد صَيْهد اليمن

قد اشتمل على حوالي ثلث مساحات الجزيرة العربية، بما فيها أكبر جزء من رملة الربع الخالي، ولست أشك في أن الهمداني قد جانب الحقيقة في أكثر من جهة ذكرها لَدَى تحديده منطقة صيهد. لكننا سوف نفهم لماذا قال الهمداني بهذا التحديد، بعد أن نقرأ موضوع عُمَان الذي ناقشناه في الأوراق الأخيرة لهذا البحث. إن الهمداني حدد صيهد على أساس أن عُمَان جزءٌ من اليمن، فضم الربع الخالي إلى مفازة صيهد وهذا خطأ.

والمشهور عند أهل حضرموت أن صيهد اليمن تمتد من قرب منطقة هَيْنَنَ (غرب حضرموت) متجهًا غربًا فيشمل وادي السُّور ووادي العَبْر، ومن العبْر يتجه غربًا فيشمل جَوَّمليس، المشترك بين الصَّيْعر ودَهَم بالجوف. ثم يتجه جنوبًا فيشمل رملة السَّبْعَتَيْن، بجزءيها الشرقي الكربيّ، والغربي العبيدي. أما في الشمال فيشمل صَيْهد الأجزاء الغربية من رملة بني مليسان ورملة الزأزأ، كما يشمل رملة الصيعر ورملة الدواسر الكهلانية، ورملة يام الحاشدية الهمداني. ومن الغرب الشمالي يشمل المنطقة الصحراوية الواقعة غرب عَسِير إلى نجران في الجنوب. وتَبالة وبيشة في الشمال، يليها إلى الشمالي الغربي بلاد غامد وزهران، وبديهي أن يقول الحضارم بهذا، لأنهم لا يقولون بأن عُمَانَ جزء من اليمن، بصرف النظر عن المقلدين الذين شذوا عن هذه القاعدة، وتبعوا الهمداني فيما ذهب إليه.

تلك هي فلاة اليمن التي يصبح فيها (الغراب مَلِكًا) كما يذكر ذالك الأشعث الجنبيُّ حيث يقول:

بلدٌ تخالُ به الغرابَ إذا بدا مَلِكًا يُسَرْبَلُ بالرياط ويَرْتَدِي

ولقد أثارت هذه الجملة الرومانسية التي رواها الأشعث عن غراب صيهد اهتمام أكثر من رحالة من الإفرنج (انظر كتاب «بنات سبأ» للرحالة فيلبي).

أما قوافل اللُّبَان التي كانت تروح وتغدو بين شَبَام (حضرموت) ونجران، فقد أوجز محجتها الشاعر الأشعث في قوله وقد خرج من غرب حضرموت قاصدًا نجران:

فَسَأَلْتُ حين تغيبتْ أعلامُنا   منْ حضرموت: أَيُّ نجم نقتدي؟
قالوا المجرّة أو سهيلا بادِيًا   ثم اهتدوا بقفولهم بالفرقد

وهذا من قبيل عكس الاتجاهين حسب مقتضيات الشعر. ومعنى كلامه أن القافلة أيام عبورها صيهد الأوسط قاصدة نجران تهتدي إما بنجم الفرقد أو بخنٍّ بين الفرقد وبنات نعش في اتجاه شمالي غربي، وتكون عودتها بالاهتداء بنجم سهيل في الجنوب الشرقي، ثم في الأنجم المطالع (أي الشرقية) حتى تصل إلى العبر. وتفصيل ذالك هو أن القافلة تخرج من الكَسْر إلى العبْر (منهل ماء) ومن العَبْر تجتاز القافلة جَوِّمليس على درب الأمير (هذا الدرب حديث، والأمير هذا هو المقدم عبدالله بن شاري بن قَملة الدَّهْمي الذي اتخذه الوهابيون مرشدًا لجيشهم الذي غزا حضرموت في الفترة بين ١٢١٨/ ١٢٢٤هـ). ثم تصل القافلة إلى مكان يقال له (برقة) وهو آخر حد الصيعر في جَوِّمليس، ومنها إلى المشينيقة (نبع ماء) ومنها إلى وادي الشرعة (نبع ماء)، ومنها تسير القافلة حتى تصل إلى لسان رملي في جنوب رملة يام يقال له عرق داعِر، فتدور حوله القافلة حتى تصل إلى مكان اسمه (الهضبة) وبه نبع ماء. ومن الهضبة تتجه القافلة من خُنٍّ نَجم بنات نعش إلى نجم الفرقد، حتى تصل مكانًا اسمه الخليفة (نبع ماء)، ومنها إلى نجران. وتدوم الرحلة حوالي ثمانية أيام.

وعند عودة القافلة اليمنية من عسقلان بفلسطين إلى شَبْوَة تتجه من نجران في نجم سهيل (جنوب شرق) إلى أن يكون سيرها محاذيًا لشمال الجوف الأسفل، ثم تتجه في جنوب شرق، مجانبة النجم سهيل (بأصبع أو أصبعين - هكذا أخبرني الخِرِّيت الدَّهَمِي) إلى أن تصل وادي المعشار الذي يحد منطقة شبوة من الغرب مخترقة (خل دمنان) بين جزءَي رملة السَّبْعَتَيْن. ومن شبوة تتجه في الأنجم المطالع (الشرقية الشمالية) حتى تصل العبر (انظر مدونة العلامة أحمد بن حسن العطاس).

أما عن جرز (بالجيم والراء والزاي) انظر الهامش (٧) من الصفحة ١٤٦ من «الصفة» للقاضي الأكوع. والجرز اليمني يشمل ذالك الانخفاض بين مأرب وهينن فيما يتعلق بالصيهد الأوسط.

ويمضي الهمداني قائلًا بصفحة ١٦٧ من «الصفة»: حتى يصل إلى دهر (أي وادي دهر) وهو أول حضرموت من ذالك الجانب (أي من الغرب).

ونحن نقول: إن ماذكره الهمداني عن حد حضرموت الغربي غير صحيح.

والصحيح هو أن حد حضرموت يبدأ من النصف الشرقي من جبل الثنية.

أما النصف الغربي من هذا الجبل فهو لقبيلة عَبِيْدة وحيث ينتهي مسيال وادي أَبْراد. وزيادة في الإيضاح نقول: إن جبل الثنية يقع في درجة ٤٦ ْ، ١٦َ دقيقة في خط الطول، وفي ١٥ ْ درجة و ٤٥َ دقيقة في خط العرض.

ويترتب على ماذكرناه الدفع بأن أول حضرموت في الغرب يبدأ من الأرضين الواقعة شرقي وادي جردان للقادم من دثنية، أو من السَّرْوَيْنِ (يعني جبال يافع وجبال العوالق) أي سَرْو حِمْيَر (يافع) وسَرْو مَذْحِج، (العوالق)، وعليه فإن منطقة شبوة ووادي عرمة يدخلان في أرض حضرموت، على أنه لا يخفى أن القاضي الأكوع قال: إن جردان جزء من حضرموت (انظر ص ١٢٦ «اليمن الخضراء»).

منطقة شبوه قبل عهد الهمداني كانت تعرف بأرض ضمعج (وهم من حضرموت القبيلة) وأرض المعشار (وهم من قبيلة كندة). على أننا نلفت النظر إلى صفحة ١٤ من الجزء الثاني من «الإكليل» حيث يقول الهمداني: (وقد يعدها - أي منطقة شبوة - الناس حضرموت) ثم يقول القاضي الأكوع في الهامش رقم (٢) بصفحة ١٧٥ من «الصفة»: إن شبوة كانت عاصمة حضرموت القديمة أو ما معناه، فالتناقض ظاهر بين الهمداني والأكوع فيما يتعلق بمنطقة شبوة وفيما يتعلق بآخر حدود حضرموت الغربية.

ومن الواجب القول أن حد حضرموت الغربي - في رأي بعض العلماء الحضارمة- هو آخر أراضي سدِّ مأرب (انظر ص ٥ كتاب «الرياض المؤنقة» للعلامة علي بن حسن العطاس). ونحب أن نضيف إلى ما قاله أستاذنا الجليل القاضي الأكوع: أن القائد الفاتح ضمعج بن شداد الحضرمي، وكان من منطقة شبوة، كان قائد الجيش الحضرمي الصدفي في حرب القادسية تحت إمرة سعد بن أبي وقاص (انظر ص ٧ ج ١ من «تاريخ حضرموت» للعلامة صالح بن علي الحامد).

وغير صحيح مـا قاله الهمـداني أن من قرى وادي رَخيـة سور بني حارثـة (صفحة ١٦٧ من «الصفة»). والصحيح أن سور بني حارثـة وادٍ مستقل بمفرده، يكون في وجه النـاظر إليـه من ثغر وادي رخيـة إلى الضفة الشمـالية من وادي الفُـوَّهة (بضم الفـاء وتشديـد الواو وفتح الهـاء بعدهـا تاء مـربوطـة) هكذا يسمي الحضـارم أطراف وادي حضرموت المتصلة بمنطقة مأرب.

وفي صفحة ١٦٩ من «الصفة» يذكر الهمداني مكانًا اسمه (رَيْدَة أرَضِين).. وهذا خطأ. والصحيح هـو (ريـدة الـدين) وهـي ليست في وادي حضـرمـوت كمـا يـزعم الهمداني، ولكنها تقع في المرتفعات الجبلية الواقعة جنوبًا بين واديي دَوْعَن وحَجْر.

وفي دور متأخـر من التـاريخ جـاء ذكـر ريـدة الديـن في كتاب «نـزهـة الأسمـاع والأبصار» لمطهر بن محمد بن أحمد الجـرموزي الذي وصف مسيرة الجيش الإمامي الذي قـاده الصفي الحيمي لغزو وادي حضـرموت حوالي عـام ١٠٧٠ هـ، وكـان هذا الجيش قد مر بهذه الريدة لغرض التموين.

وبصفحة ١٧٦ من «الصفة» يذكر الهمداني (صوران) قائلًا: إنها قرية مقتصدة.

والصحيح أنها ليست قرية ولكنها مسيـال ماء يتفرع من مسيال وادي دَوْعن بِكَسْرِ قشَاقش. ويسقـي ذبور قريـة المبنعث. ولا علاقـة لصوران (المسيـال) هذا ولا قـرية (العادية) بالكسر بصوران التي ذكرها الدكتور جواد علي بصفحة ٣٧٢ ج ٢ من كتابه «المفصل». ولأن العاديـة قرية صغيرة بين جملـة قرى مثلها، واقعـة إلى الجنوب من هينَن في مكان لا يحتمل أنـه مكان المدينـة القديمـة التي غزاها شعـراوتر ملك سبأ وذي ريدان. ولكن يحتمل أن تكون هذه المدينة صوران في بيحان أو الجوف.

ثم يذكـر الهمداني قريـة قُشَاقش بضم القـاف الأولى والصحيح أنها تنطبق بفتح القـاف الأولى ولعل الخطأ في عـدم ضبط نطق الاسم راجع إلى النـاسخ. وقـد أخطأ الهمداني حينما قال: إن هذه القرية على رأس جبل. والصحيح أنها قائمة على سفح الجبل وهي نصف خربة. وللفائدة يجدر بنا التـوضيح أن هذه القرية كانت مقرًّا لأحد ملوك كندة، من قبيلة قشاقش من بني يزيـد بن معاوية، ولذا أطلق اسمها على مساحة

واسعة من الأرض المجاورة لهـا تسمى إلى اليوم كسر قشاقـش. وكلمة (الكسر) تعني الناحية المطمئنة من الأرض الجرداء الصلبـة، المجاورة للجبال أو الصحراء. وبما أن هذه الأرض الجرداء تقع بين سلسلتي جبال غربية وشرقية فقد سميت الكسر، ونسبت إلى القبيلة الكندية القديمة قشاقش.

وبصفحة ١٧٠ من «الصفـة» يذكر الهمـداني خطأً مدينـة قديمة اسمهـا (هدون) قال إنها في منطقة الهجـرين. والصحيح أن مدينة هَدُون هذه عامـرة إلى اليوم ولكنها ليست في منطقة الهجْرَيْن، وإنما هي جنوب مدينة رحاب في وادي دوعن الأيمن.

أما (خدون) – هـذا هو رسمها الصحيح وليست خودون أو خيـدون كما جاء خطأ بصفحـة ١٧٠ من «الصفـة» – و (دمـون) فإنهمـا خـراب الآن، وكـانتـا في القـديم تشكلان جزءين لمدينة واحدة يقـال لها المنيظرة (تصغير منظرة) وتقع بأسفل السفح الشرقي لجبل الهجرين. دَمُّون الوارد ذكرها هنـا هي التي عناها الشاعر الجاهلي امرؤ القيس حينما قال: (كأَنِّيَ لم ألهُ بدَمُّوْنَ لَيْلَةً) إلى آخر ما قال.

لكن الهمـداني بصفحة ١٧٠ من «الصفـة» يقول خطأ: إن خـدون ودَمُّون قـريتان مقتبلتـان في رأس جبل حصين، يطلع إليـه في منعـة من كل جـانب، يقال لـواحـدة خدون ويقال للأخرى دمون. والصحيح هو كما ذكرناه.

ثم يقول الهمداني: الهجران تثنية الهجر، والهجر القرية بلغة حِمْيَرَ، والعرب العاربة.

ونقول نحن إن مدينة الهجرين (كان الحضـارم قديمًـا ينطقونها هجرن) مدينة عامرة إلى يومنـا هذا ولا علاقة لها البتـة بمدينة المنيظرة، سـالفة الذكر، التي يشكـل جزءَيها كل من خـدون ودمون، وتقع الهجرين علـى سطح تل يشرف على قصبـة مسيال وادي دوعن، حيث تكون النخيل والذبور على ضفتي هذا المسيال إلى شرقي التل.

ونحن مع الهمـداني أن حِمْيَـرَ تسمى القـريـة (هجر) ولكن حِمْيَـرَ (يـلاحظ أننـا نستعمل كلمـة حِمْيَرَ تَجَـوُّزًا ونعني بـه اليمنيين القُدامى) أيضًـا كـانت حِمْيَر تعـرف القرية الكبيرة أحيـانًا فتقول (هجرن)، والنون هنا أداة التعـريف في لغة المسند. ولعل الأمر اشتبه على الهمداني فظن (وكان قد وقع في وجدانه أن الهجرين قريتان)، نقول

ظن الهجرين اسما مثنى يرفع بالألف والنـون وينصب ويجر بالياء والنون، وأتى ببيت شعر، علم الله من أين!! فقال صفحة ١٧١ من «الصفة»:

الهجـــــران كفَّـــــة بكفـــــة والنخل والـــذبـــر بهمـــا مَجِفَّـــة

فجاء عجز بيته معلولًا من الناحية العروضية لأنه غير الكلمة (بها) من وتد مجموع إلى (بهمـا) فصار فـاصلة صغـرى، أي إنه أحـل فعلن في محل فاعل. فأضـاف إلى فساد المعنى الإعلال العروضي.

أمـا القـاضي الأكـوع فقـد أوغل فـي الخطإ من نـاحيتين أولًا:- بيتـه الـذي أورده بهامش على صفحة ١٧٠ من «الصفة» وهو:

خـــودون ودمـــون كفـــة بكفـــة والنخل والـــذبـــر بهمـــا محفـــة

الخطأ العروضي في بيت القاضي لا يحتاج إلى تبيان.

والثانية لأنه أورد بهامشه رقم (٦) من الصفحتين ١٦٩/ ١٧٠ (نقلًا عن صفحة ١٢ من الجزء الثاني من «الإكليل» قوله: إن جبـل الهجرين كالجمل البارك بين القريتين، أي بين خودون ودمون على حد تعبيره، فزاد الأمر ضغثًا على إبّالة.

وللفائدة نقـول: إن عندنـا في محـافظة حضرمـوت ينابيـع ماء قـديمة، يقـال لها (ذَهْبن) معرفـة بإضافـة النون على الطـريقة الحِمْيَرِيَّـة، لأن كلمة (ذهـب) الحميـرية تعني (نبع ماء). من تلك الينابيع (ذهبن) بغيل باوزير و (ذهبن) بغيضة تبالة، الواقعة إلى شمال مدينة الشِّحْر على أننا في الوقت الحاضر ننطق كل واحد منهما ذهبان.

ويقـول الهمـداني بصفحة ١٧١ من «الصفـة»: ومن الهجـرين إلى ريـدة أرضين (ريدة الدين) وادٍ فيه قرى كثيرة إلخ..

وصف الهمداني غيـر دقيق. لأن الوصول من الهجرين إلى ريـدة الدين يمكن أن يتم عن طـريق عدة أوديـة بهـا قرى كثيـرة.. ولكن الأوضح أن يقـال: إن ريدة الـدين (وهي مجمـوعـة من القـرى) تقع على مـرتفع (جول) مـن الأرض الواسعـة، يتـوسط رؤوس وادي عَمَد ووادي دَوْعَن الأيمن، وبين هذين الواديين ينقسم ماء سيول الريدة.

وعلى الـذاهب من الهجـرين إلى الـريـدة إما السيـر بطن وادي القـزة ثم عقبتـه إلى الجول المـؤدي إلى الريدة، أو السير بطن وادي دوعن الأيمن ثم الصعـود من إحدى عقباتـه، كعقبة قيدون أو الخريبـة ويمتد هذا الجـول الذي تقع فيه الريـدة من أعالي وادي حَجْر في الجنوب فيشمل لبنـة بارشيد (وهي مجموعة قـرى) القديمة، ثم يأتي وهو متجه صوب الشمال على ريدة الـدين بأجمعها، ومنطقة أرض الخامعة والقشم، وهكـذا إلى أن يصل منطقة نهـد البدو التي تشـرف على مدينـة حريضـة وعلى قريـة عندل والقرى المجاورة لها بمنطقة الكَسْر.

ويقول الهمـداني بصفحة ١٧١ من «الصفـة»: (ثم يهبط الهـابط إلى سدبـة) وهو يعني الهـابط من الهجرين إلـى سدبـة. وبين الهجرين وسـدبـة تقع منطقة (الغيـوار) الآثارية، وكانت لذي رعين، وأما على الضفة الغربية فتقع قرية (المشهد) المشهورة.. مدينـة سدبـة عامرة إلى اليـوم، ولها اسمـان قديمان: سـدبة والعـرض. والعرض يعني القـرية أو المـدينة التي تقـام في سفح جبل، وهذا هـو شأن سدبـة. والحضارم- منـذ القديم - ينسبـون هذا العـرض إلى بني هلال، ولـذا سموه (عـرض بو زيـد الهلالي). وتذكر الروايـة المحلية أن العرض كان مثوى بني هلال قبل هجـرتهم منه إلى نجد، ثم إلى فلسطين، إبان الفتـوح الإسلاميـة. وقد قال بـذالك الرحالـة البريطـاني (تشارلس دوتي) في كتابه «رحلة في العربية الصحراوية» (Travels in Arabia Deserta).

بناء على معلومات تلقاها من قبـائل نجد. ويتحدث المستشرق البريطاني (أدوارد وليم لين) بصفحـة ٢٩٤ من كتابه «وصـف سلوك وعادات المصـريين المسلمين في القرن التاسع عشر الميلادي» فيقول: أبطال سيرة أبي زيد الهلاليَ رجالًا ونساء قدموا من قلب الجزيرة العربية ومن اليمن.

ومن سدبة نتأدّى إلى مدينة (حورة) وهي عامرة إلى اليوم. أما القارة، وهي لنهد آل ثابت، فمكانها في الصفة الغربيـة من كَسْرِ قَشَاقِش. وقد أخطأ من أخبر الهمدانيَّ أن هذه (القـارة) كانت تسمى (قارة الأَشباه) لأن وصف الأشبـاه لا يطلق إلا على سكان شبوة لأنه اشتقاق من الكلمة (شبوة) على أنـه في تاريخ حضرموت الحديث سميت قرية من قرى حضرموت بقرية الأشباه.

ومن الجدير بالـذكر أنه عندما فتح اليمنيون مصـر، تحت قيادة عمرو بن العاص، أطلق هذا القـائد الشهير اسـم (الأشبـاه) على الفرقة الحضـرمية التي كـانت جزءًا من جيش الفتح اليمني. كان ابن العـاص يظن أن المجاهدين الحضارمـة كانوا جميعهم من شبوة، والواقع أنهـم كانوا خليطًا من الأشبـاه (حضرموت وكندة سكان شبوة)، ومن قضاعـة المهريـة، ومن صنهاجة الحِمْيَـريَّة، من الحمـوم وثعين (انظر «تـاريخ مصر» لابن عبدالحكم).

وبعد أن فتحت قضاعة المهرية الإسكندريـة وانتزعتها عنوة من الرومان، جعل ابن العاص لكل قبيلة من الفرقة الحضرمية سجلًّ عطاءٍ خاص بها.

وكان قـائد قضاعة المهريـة التي شاركت في فتح الإسكندريـة القائد البطل تميم ابن فـرع المهري (انظر تعليقـات الأمير شكيب أرسـلان على كتـاب «حاضر العـالم الإسلامي» لمؤلفه الأمريكي لوثروب ستودارد).

إن المخبر الـذي روى للهمداني أن مدينة شبـام الحضرمية كـانت تسمى (شباه) قبل تحول كندة إليها من شبوة لم يقل له الحقيقة (انظر ص ١٧٥ من «الصفة»).

لقد كانت شبام حضرموت مزدهرة في الوقت الذي كانت فيه شبوة مزدهرة أيضًا، وكان اسمها شبام، وكـانت توصف بالصفراء منذ ذالك الحين إلى يوم النـاس هذا، وذالك نسبة إلى بني دومان بني مصفر الملوك الحِمْيَرِيِّيْن، الذين أسسـوها. وقد دعيت بالصفراء تمييزًا لها عن المـدن الثلاث الأخرى (بالشطر الشمـالي من الوطن) المسماة شبـام (انظر شرح قصيدة تاريخية لعبدالله معروف باجمال الشبامي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ).

أمـا محفد (حـذية) الـذي ذكره الهمـداني بصفحة ١٧٢ من «الصفـة»، فصحيح اسمـه (حِـذْيـة) بحاء مهملـة مكسـورة ودال مهمل سـاكن. والنسبـة إليـه في عـرف الحضـارم (حـدادي) على غيـر قيـاس، وليس (حـذوي) كمـا ذكـر الهمـداني خطأ بالصفحـة ١٧٢ من «الصفة». ومحفد حِديـة هذا موقعـه في منطقة القطن، وليس في منطقة حورة كما ذكر المؤلف خطأ.

ونمشي مع وصف الهمداني من حورة إلى قرية العجلانية وهذه القرية باقية وعامرة إلى اليوم، وتقع على مرتفع جبلي، يشرف على مسيال الفارحة. لكن الهمداني يخطئ حينما يخبرنا بِأن (هينن) في وادي العَبْر واسمه عين، وأن العجلانية في وادي دَوْعن.

والصحيح أن مدينة هينن تقع في وادي هينن وهو يبعد عن وادي العبر قرابة ثمانين ميلًا إلى الشرق. ولا علاقة لوادي العبر باسم (عين) لأن وادي العين واد مستقل بذاته، وهو من أودية الكَسْر الشرقية. كما أن العجلانية ليست بوادي دوعن ولكنها على مسيال الفارحة الذي ذكرناه والذي يمر فيه سيل وادي العين في طريقه إلى الباطنة. وفي الباطنة هذه يفيض وادي (منْوَب) الذي لا علاقة له بالسيل الكبير الذي يمر أسفل مدينة شبام. نعم هناك وادٍ صغير اسمه (عين) يقع إلى الشرق من العَبْر، ولكن مجراه غير مجرى وادي العبر.

وبمناسبة ذكر (هينن) نقول: إن الحضارمة الذين هاجروا منها إلى فلسطين في الفتوح الإسلامية ثم استقروا بعدها في فلسطين اطلقوا اسم (هينن) على البقاع التي احتلوها بفلسطين، ثم حرف هذا الاسم إلى (جنين) - (انظر «تاريخ فلسطين» للدباغ) وعليه فإن أصول سكان (جنين) بفلسطين من الحضارمة.

أما بلدتا (تجيب) و (تجيب - بالتصغير) الكنديتان فهما أطلال اليوم، وتُطِلّان من سفح جبل شرقي مجاور على وادي الفارحة بين حورة والعجلانية، وقد هاجرت تجيب إبان الفتوح الإسلامية، واشتركت في معركة (اليرموك) الحاسمة، ثم استقرت في الكوفة ومصر وليبيا والأندلس. ومن مشاهير هذا الفرع الكندي الحضرمي المؤرخ المصري الشهير أبو عمر الكندي التجيبي صاحب كتاب «القضاة والولاة»، في تاريخ مصر، وغيره من رجال الحرب والأدب والفقه (انظر كتابنا «الجامع» وتوجد نسخة منه بالمركز اليمني للأبحاث الثقافية بعدن.

ويقول الهمداني خطأ: (يفيض منوب مع عين ودوعن بين شبام والقارة).

والصحيح أن السيل الذي كان يسيل بين شبام والقارة هو سيل وادي دوعن، إذا وجد رفدًا قويًا من وادي عَمَد، ومن وادي هينن، ومن وادي سر.

أما القارة التـي يشير إليها الهمداني فهي مـا تعرف اليوم بقارة آل عبدالعـزيز، وهـم من الشنافـر القضاعيين. فلا سيل وادي منوب ولا سيل وادي العين يمـرَّان بين القارة وشبام، ولكنهما يفيضـان في الباطنة وهي منطقة زراعية بين العجلانيـة والفرط - فرط بني أرض، وهم من قبـائل البيضاء الذين استـوطنوا حضـرموت بعـد أن تربعـوا بيافع حلان منطقة القطن.

وبعـد أن يذكـر الهمداني مـدودة وهي مدينـة عَـامرة إلى اليـوم - يأتي إلى قريـة (مشطة) الواقعة إلى شـرق مدينة تَريم. كلمة (مَشطة) يمنيـة قديمة، وتعني السوق أو المركز التجاري. وقد كانت كذالك مركزًا هامًا للقوافل القادمة منِ ظفار ومن صنعاء، بيد أنها تدهورت اقتصاديًا وغدت قرية مقتصدة.

أما قـرية (العجز) التي ذكـرلها الهمداني فإنها طبقًـا للرواية المحليَّـة نصف محلة قبيلة صنهاجة الحِمْيَـريَّة، والنصف الآخر من هذه المحلة يقال لهـا (قارة الصناهيج) وآثار نصفي هذه المحلة الحميرية باقية إلى اليوم.

وقد أكـد لي هذه الـرواية صديقنـا المغفور لـه الشيخ عبيد بن محمـد بن شملان التميمي الظني صاحب قرية (السويري) المجاورة لمحلة صنهاجة الحميرية.

ومن «تاريخ مصـر» لابن الحكم نعلم أن صنهاجة هاجـرت من وادي حضرموت، إلا من بعض المخلفين على حد قـوله، تلبية لنداء الخليفة أبي بكـر الصديق - رضي الله عنه - لفتح الشـام مع قبائل يمنية أخـرى لبَّت نداء الخليفـة من عموم اليمن وفي مقدمتها يافع الحِمْيَرية والمعافر (من قبائل الحُجَرِيَّة).. ثم دخلت صنهاجة مصر في جيش الزبير بن العوام. ثم اشتركت في فتح ليبيا (بـرقة) تحت قيادة معاوية بن حديج الكندي الحضرمي. ثم اشتركت في فتح تـونس تحت قيادة الفاتح العظيم حسان بن النعمـان الغساني اليمني الملقب بـالشيخ الأمين، ثم عادت فـروع من صنهاجـة إلى مصر بعـد فتح (دنقلة) بشمال السودان، واستقـرت في الفيُّوم وفي بوصير (بـالمنطقة التي تعرف الآن بمنطقة قناة السويس).

ومن مشاهير هذه القبيلة محمد بن سعيد الصنهاجي الحِمْيَرِيِّ البوصيري صاحب

أشهر مـديحتين نبويتين وهمـا (البردة) و (الهمـزية). ومنها أبـو الفتوح سيف الـدولة يوسف بن منـاد الصنهاجي مؤسس الإمـارة الصنهاجية بتـونس (انظر ص ٥٢ ج ٥ من «الأعلام للزركلي).

أما فـروع صنهاجـة الحِمْيَرِيَّة التي اسقـرت في شمال افريقيـة فقد انـدمجت فيها بحكم الولاء، فـروع من زناتة والمصـامدة البربـر، حتى ظُنَّ أن صنهاجـة قبيلة بربـرية (انظـر ص ٤٩٧ ج ٣ «دائرة المعـارف البريطـانيـة») وعليـه فإن الهـامش رقم (٤) بصفحـة ١٧٣ من «الصفـة» للعـلامـة القاضي الأكـوع يحتـاج إلى إعـادة نظـر، لأن المعجـاز الذي ذكـره وقـال خطأ: إنـه تحريـف للعجز، مـا هـو إلا اسم تل يطل من الناحية الشمالية الغربية على قـرية الغرف، ويجمع على معاجيز. وفي بعض التواريخ الحضرمية يشار إلى صنهاجة باسم شناهز.

ويخرج الهمداني من (العجز)، حلـة صنهاجية الحميرية إلى قرية سمـاها (ثوبة) وصفت لـه: أنها قـريـة بسفلى حضـرموت، في وادٍ ذي نخل، يفيـض إلى بلاد مهـرة (صفحـة ١٧٣ من «الصفـــة»). هـذا الـزعـم من الهمـداني أو غيـره غيـر صحيح. والصحيح أن اسم هـذه القريـة (ثوبهم)، لكـن الشخص الغريب على أسـاليب نطق بعض الكلمات عند أهل المشقاص (المنطقة الـواقعة شرقي الشحر) يظن أنها تنطق (ثوبة) لأن عـرب المشقاص أحيانًا يقضمون الهاء والميم من أواخـر الأسماء، فيخال للسامع الغريب أنهم ينطقـونها (ثوبة) وهم قد نطقوهـا على طريقتهم (ثوبهم) مثلهم في ذالك مثل الإنجليـز حينمـا يقضمـــون الهـاء والألف من كلمـة (بـرمنجهـام) أو (بـاكنجهام) فينطقـونها (بـرمنجم)، و (بـاكنجم).. وعلى أيِّ حال، فإن هـذه القريـة ليست بأسفل وادي حضـرمـوت، ولاهي في وادٍ يفيض مـاؤه في بـلاد المهرة، لكنهـا على منبسط من ساحل المشقاص، إلى الغرب من قـرية (المصينعة) بعيدة كل البعد من بلاد المهرة.

من مخلفـات اللهجـات اليمنيـة القـديمـة عنـــد أهل الشحـر كلمـات عـديـدة يستعلمـونهـا إلى اليوم في لهجتهـم منها (المشقـاص) و (المعـراب)، وتعني الأولى المنطقة السـاحلية، الـواقعة إلى الشـرق منهم، كالحـامي والديـس الشرقيـة وقصيعر

والريدة إلى مكان اسمه الدمخ حساي و (معناها كثبان الرمل) وهي الحد الفاصل بين منطقة الحموم (حضرموت القديمة) ومنطقة المهرة، وتعني المعراب المنطقة الساحلية الواقعة إلى غرب الشحر، كزغفة والمعينة وهي الحد الفاصل بينهم وبين المناطق السيبانية الحميرية.

وفي حالات الغزو بين القبائل تقول قبائل الجوف كَدَهَمَ وعَبِيْدَة: إنهم يغزون (المشقاص) وهم يعنون بذالك القبائل الحضرمية والمهرية الواقعة إلى الشرق منهم كالصيعر والعوامر والمناهيل وبيت يماني والمهرة، هذه القبائل الحضرمية والمهرية ليست بساحلية ولكنها إنما تسكن الصحاري الشمالية الواقعة بين حبروت في الشرق وحدود رملة يام في الغرب، لذالك نرجو من أستاذنا الجليل القاضي الأكوع أن يعيد صياغة هامشه رقم ٦٨٢ من صفحة ٢٨٧ من الجزء الأول من «الإكليل».

ويأخذنا الهمداني إلى قبر نبي الله هود قائلًا عنه بصفحة ١٧٣ من «الصفة»: (وقبره في الكثيب الأحمر ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف، وهو وادٍ يأخذ من بلد حضرموت إلى بلد مهرة مسيرة أيام).

ما ذكره الهمداني عن قبر نبي الله هود هنا غير صحيح. والاحتمال القوي هو أن الهمداني اعتمد رواية الأصبغ بن نباتة الذي حكى أن حضرميًّا جاء يومًا إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان الأصبغ حاضرًا في مجلس الإمام، فسأل الإمام عن الأحقاف فأجابه الحضرميُّ عن قبر هود وموقعه إلى آخر الحكاية (انظر ص ١١٥/ ١١٦ من الجزء الأول من «معجم البلدان» لياقوت الحموي). والرواية التي تنسب إلى الأصبغ باد عليها الوضع والافتعال ولعلها من وضع عُبَيد بن شَرْيَةَ الجُرهمي أو محمد بن السائب الكلبي.

والله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز عادًا وهودًا والأحقاف على سبيل الموعظة والعبرة، ولكنه - جل شأنه - لم يذكر أين تكون منطقة عاد، ولا أين مات وقُبِر هود، ولا أين الأحقاف. وجاء الأخباريون واخترعوا حكايات عن عاد وعن هود وقبره، وعن الأحقاف، ومن تلكم الروايات فيما يبدو الرواية المنسوبة إلى الأصبغ.

والمهتمون بالأنساب اليمنية القديمة يعلقون أهمية كبرى على أن يكون النبي هود في اليمن، لأنهم يعتبرونه الأب لقحطان، الذي تفرعت منه الجذوم اليمنية على اختلاف أسمائها، وهو زعم لا يقوى على الوقوف أمام النقد العلمي.

ولا يعلم أحد إلى يومنا هذا أين تقع الأحقاف. وقد جازفت بعض الخرائط الحديثة فأطلقت اسم الأحقاف على بقاع شمال أو جنوب أو شمال غرب أطراف الرُّبع لخالي المتاخمة للصحراء الحضرمية الشمالية، وربما أطلقوا اسم الأحقاف على منطقة بشمال غرب عُمَان.

والحضارم في تاريخ وسيط أطلقوا اسم الأحقاف على وادي حضرموت. ويزعم أهل الشحر أن مدينةالشحر هي مدينة عاد وأن منطقة الشحر هي أرض الأحقاف اعتمادًا منهم على رواية قديمة تنسب إلى قتادة بن دعامة البصري (ت ١١٨هـ) وكان مفسرًا وملمًّا بأيام العرب وأنسابهم.

والدكتور جواد علي بصفحة ١٥١ من الجزء الأول من كتابه «المفصل» يقول: (ويطلق على القسم الغربي من الدهناء (أي صحراء الدهناء اسم الأحقاف، وهو منطقة واسعة من الرمال، بها كثبان اقترن اسمها باسم عاد). ونقول نحن: إن القسم الغربي من الدهناء فهو، حسب الخرائط المفصلة الحديثة المنطقة الواقعة بين صحراء الدهناء وسلسلة جبل طويق).

وكما هو ظاهر فإن رواية الدكتور جواد علي لا تستند إلى دليل، وإنما هي رواية من جملة الروايات عن الأحقاف.

ومن أراد المزيد من الروايات المضطربة حول موقع الأحقاف فليقرأ كتاب «عاد في التاريخ» للأستاذ هادون بن أحمد العطاس - رحمه الله -.

أما القبر الذي يعتقده، بعض الحضارمة أنه قبر النبي هود فهو في حقيقته مخالف للروايات الأخبارية القديمة، ومنها رواية الأصبغ الهمداني سالفة الذكر. والرواية الحضرمية - علي أي حال - تزعم أن هذا القبر اكتشفه حوالي سنة ٣٤٤هـ شخص من آل باعبَّاد سكان وادي رَخْيَة وأرشد إليه السيد أحمد بن عيسى المهاجر جدّ العلويين الحضارمة.

ولقد زرت هذا القبر المزعوم سنة ١٩٥٤م فألفيته عبارة عن كوم مستطيل من الحجارة الصغيرة، طوله اثنان وتسعون قدمًا وارتفاعه، في بعض جوانبه حوالى أربعة أقدام، ويقع في سفح جبل إلى الشرق من بئر برهوت (نسبة إلى البراهيت الحِمْيَرِيِّين). فلا كثيب أحمر، ولا كهف مشرف مما ذكره الأصبغ بن نباتة ونقله عنه الهمداني.

ويحتمل أن يكون هذا المكان سوقًا من الأسواق اليمنية الموسمية القديمة، وقد أقيم فيها هذا القبر ليعطيها طابعًا وثنيًّا جذابًا. والتاريخ مليءٌ بأوهام دخلت معتقدات البسطاء من الناس، ثم صارت مع التقادم حقائق بحكم قوة العاطفة الدينية، وبما أنطوت عليه من منافع اقتصادية.

ومن تلك الأوهام مثلًا، قبر السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - الذي يعتقده بعض المصريين أنه في مكانه المعروف بمدينة القاهرة، في حين أن التواريخ المعتمدة لم تذكر أن السيدة زينب دخلت مصر حية أو ميتة.

وذكر الهمداني بصفحة ١٧٣ من «الصفة» مدينة حضرموت اسمها (يترب). ونحن والذين سألناهم من ثقاة الحضارم لم نسمع بمدينة قديمة أو حديثة بحضرموت تحمل هذا الاسم. ولعل الهمداني سمع من أحد مصادره اسم المدينة الحضرمية (تاربة). ثم دون اسمها من الذاكرة (يترب) وبني حول اسم هذه المدينة على سبيل الاستطراد أقاويل مختلفًا على نسبتها ومناسبتها بين الرواة القدامى، فجاء ذالك تصحيفًا منه لاسم المدينة (تاربة) وهي مدينة عامرة إلى اليوم، وتقع في ثغر وادي غنيمة الذي يصب سيله في نقطة مسيال وادي سِرّ غرب قرية الغرف.

وأخطأ الهمداني حين رسم، بصفحة ١٧٤ من «الصفة»، العباد بفتح العين والباء، والصحيح هو أن يكون رسمهم بفتح العين وتشديد الباء. والعباد (وهم من ندعوهم آل باعباد) والحرمية من الصدف من كندة. وأخطأ ثانية حين زعم أن مقرهما ريدتان. والصحيح أن لكل من هذين الفرعين قرية.

أما قرية العبَّاد فقد كانت بوادي رَخْية، وقد اندثرت بفعل السيول، وبعدها تفرق آل باعبَّاد، في أدوار متعددة من التاريخ، في قرى ومدن كثيرة بحضرموت منها الشحر

وشبام (انظر مدونة العلامة أحمد بن حسن العطاس). وفي القرن السابع الهجري أقام أحدهم واسمه عبدالله بن محمد باعبَّاد، الملقب بالقديم، مركزًا روحيًّا لهم، في مكان بالسرير بوادي حضرموت عرف فيما بعد بالغُرْفَة (أي الجنة) وقد توفي القديم هذا في مقره الروحي سنة ٦٧٨هـ ودفن بمقبرة مدينة شبام. وآل عَبَّاد هاؤلاء هم غير آل عباد اللخميين الذين كان منهم ملوك في إشبيلية بالأندلس.

أما قرية الحرمية (ويقال لهم أيضا حريميين والأحروم) فهي باقية وعامرة إلى اليوم وتسمى الأحروم (ينطقها الحضارم لَحروم) وتقع في ثغر وادي عَمَد بالقرب من قرية عندل.

كلمة الريدة وتجمع على رِيَد (بكسر الراء وفتح الياء التحتية المثناة) تعني مجموعة قرى صغيرة حول أراضين زراعية، منبسطة على سطوح الجبال أو على الشطوط الساحلية. وفي حضرموت توجد منذ القدم ريدة الصيعر وريدة الدين وريدة المعارة وريدة الجوهيين (هذه على سطوح الجبال) وريدة المشقاص وهذه على الشاطئ الشرقي الساحلي لمدينة الشحر.

أما (الحيق) الذي ذكره الهمداني بصفحة ١٧٤ من «الصفة» وقال: إنه لبني نباتة من الصدف. فغير صحيح، كما أخطأ، بهذا الصدد، القاضي الأكوع بهامشيه (٣ و ١) بالصفحتين ١٧ و ٤٠ على التوالي من الجزء الثاني من «الإكليل».

والصحيح هو أن كلمة الحَيْق (بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية المثناة) أصلها (الحلق) وهو متنفس الأودية الجبلية التي تنحدر سيولها إلى الساحل الحضرمي، لكن قبيلة الحموم (من حضرموت) وبعض فروع قبيلة سيبان (من حِمْيَرَ) ينطقون الحلق - الحيق - بإخفاء اللام، وإحلال نبرة مكانة متمثلة في الياء (المثناة التحتية) كما ينطقون (الخلق) (الخيق) أي الناس.

إن منطقة الحَيق الأصلية تمتد من شمال غرب مدينة غير باوزير، إلى شمال غرب مدينة الشحر، وتسكن هذه المنطقة قبيلة صغيرة من سيبان الحِمْيَرِية تسمى آل الحيق. ولا صحة لما قاله القاضي الأكوع أن منطقة الحيق تمتد إلى المهرة. وعلى

سبيل المجاز يطلق العوام اسمه الحيق على أغوار الأرض، ويطلقون اسم النَّيْد (تحريف كلمة نجد) على أعالي الأرض.

وبنو نباتة (بضم النون) الصدف هم غير نبي نَبَاتة (بفتح النون)، الجذاميين اليمنيين ومن هاؤلاء الجذاميين الخطيب عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة السعدي السوري، والشاعر محمد بن محمد بن نباتة المصري.

ويخطئ الهمداني حيث يقول بصفحة ١٧٤ من «الصفة»: (شزن وذو صبح مدينتان بدوعن) والصحيح أن ذو صبح ينطقها الحضارم ذي أصبح قرية صغيرة بوادي حضرموت، وليست بدوعن، وتقع على ضفة مسيال سِرّ وهي عامرة إلى اليوم. أما (شزن) فلعلها تصحيف لمدينة سيوون، وهي تقع على نفس الضفة التي تقع عليها قرية ذي أصبح.

وفي هامش الصفحتين ٢٠ و ٢٤ من الجزء الثاني من «الإكليل» قال القاضي الأكوع: إن ذي أصبح تقع أمام (جوذة بن زين) وهذا خطأ، والصحيح إن ذي أصبح تقع أمام حوطة أحمد بن زين الحبشي التي صفحها الشارح إلى (جودة بن زيد).

أما كلمة (السرير) التي ذكرها الهمداني بصفحة ١٩ من الجزء الثاني من «الإكليل» وقال القاضي الأكوع: إنه لا يعلم عنها شيئًا، فهي منطة النخيل الكثيفة، الواقعة بين مصب وادي ابن علي في عرب، وبين مصب وادي شحوح في شرق وادي حضر موت. والسرير كان منطقة لبني ضنَّة أما اليوم فإنه في معظمه يضم مثاوي آل كثير الشنافر.

وفي الهامش (٣) من صفحة ٥٤ من «الصفة» قال القاضي الأكوع: (الأسعاء هو ما يحمل اليوم المُكَلَّا، كما أخبرني بعض علماء حضرموت). ومن الواجب علينا القول أنَّ ما ذكره أولئك البعض من علماء حضرموت لأستاذنا القاضي لا أساس له من الصحة.. والصحيح أن اسم الأسعاء هو أحد أسماء مدينة الشِّحْر[1]، وقد كانت تسمى اللَّسه، واللسعة ثم حرفت إلى الأسعاء ثم إلى سعاد (مدونة السادة آل ابن إسماعيل الشحريين) ومن الخير أن ينظر القارئ خريطة وضعها الرحالة بطليموس

سنة ١٤٠ ميلادية وفيها ذكر اسم Alasa Fmporiom أي مدينة الأسعاء المركز التجاري، على الموقع الذي فيه مدينة الشِّحْر. هذه الخريطة مُثْبَتَة أمام الصفحة ٣٥٣ من الجزء الثالث من كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي. ناهيك بذكر الأسعاء (على أنها مدينة الشِّحْر) في عدد من المؤلفات الحضرمية والأجنبية منها على سبيل المثال «تاريخ حضرموت» و «أحسن التقاسيم» للبشّاري.

ذكر الهمداني قرية حبوضة(٢) (بفتح الحاء المهملة وضم الباء بعدها واو وفتح الضاد المعجم) بصفحة ١٩ من الجزء الثاني من «الإكليل» وقال: إنها من قرى السرير، وهو خطأ، والصحيح أن موقعها كان إلى الشرق من مدينة تَرِيم، في مسيلة وادي عدمْ (بكسر العين والدال وسكون الميم). وقد درست. وإلى حبوضة هذه ينسب الأمير سالم بن إدريس الحبوضي الذي حكم ظَفَار وجزءًا من حضرموت ثم حاربه الرسوليون، وقتلوه سنة ٦٧٨هـ في معركة دارت بينهم وبينه بالقرب من ظفار (انظر ترجمة الحبوضي بالصفحات ٨٩ - ٩٣ من كتاب «صفحات من التاريخ الحضرمي» للمؤرخ اليمني سعيد بن عوض باوزير).

الكلمة (الدوقة) بالقاف، الواردة بصفحة ٢٣ ج ٢ «الإكليل» غير صحيحة، ولعلها خطأ مطبعي، وصحيحها (الدوفة) بالفاء. وهي قرية عامرة. بوادي دَوْعن الأيسر.

الكلمة (جودون) الواردة ص ٣٩ ج ٢ «الإكليل» صحيحها (قَيدون) وهي مدينةعامرة، وبها قبر الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ت ٦٧٦ هـ) جد آل العمودي الحضارمة.

في صفحة ٥٤ من «الصفة» يقول الهمداني: (الأسعاء من مهرة) وهذا غير صحيح لأن الأسعاء والمهرة ليستا اسمين لقبيلتين. ولكنهما اسمان لمنطقتين كتهامة ونجد. وعلى أي حال، الأسعاء هي مدينة الشحر ولا علاقة لها بأرض المهرة. وكلمة (المهرة) كلمة يمنية قديمة وتعني الساحل.

صحيح الاسم (الخيرج) الذي ذكره الهمداني بصفحة ٦٦ من «الصفة» هو (حيريج) وكانت مدينة مَهْرِيَّة قديمة وهي الآن أطلال، وتقع على الساحل من الضفة الغربية من وادي مِسيلة الذي يصب غرب مدينة سيحوت.

في صفحة ٢٧٧ من «الصفة» قال الهمداني: (أهل الشحر والأسعاء ليسوا بفصحاء، ومهرة غُتْم يشاكلون العجم) وبما أن الهمداني لم يذكر الأساس الذي ميز به الحديث الفصيح من غير الفصيح حيما أشار إلى لهجات عدد من المناطق اليمنية الجنوبية، فإننا نعتبر زعمه هذا غير جدير بالمناقشة وكما قد قدمنا فإن الشِّحْرَ والأسعاء اسمان لمدينة الشحر.

ولو أن الهمداني كان قد تَوَخّى الحقيقة لقال: إن قبائل الشحارة (وهي غير أهل الشحر) والقراء (هاتان القبيلتان تسكنان ظفار) والحراسيس والدروع وآل وهيبة (سكان شمال غرب عُمَان) وقبائل المهرة المجاورين لهذه القبائل التي ذكرناها تتحدث لهجات يمنية قديمة ترجع إلى أصل واحد، إلى جانب تحدثهم باللغة العربية – لو أن الهمداني قال ذالك لأتى بالقول الصواب، ولأضفنا نحن إلى قوله أن الرحالة البريطاني اللغوي (برترام ثوماس) زار عام ١٩٣١ مناطق الشحارة والقراء والمهرة وغيرهم، وقام بدراسة لهجاتها بدرجة تكفي لتثبت أن لهجات هذه القبائل ليست عربية مستعجمة كما يزعم الهمداني، ولكنها تعود في أصلها إلى لهجات مَعِين وسَبَأ وحِمْيَرَ (انظر ص ٣٣ من كتاب "ARABIAN SANDS BY THESIGER" «الرمال العربية» للرحالة (ويلفريد ثاسيجر) وصفحة ١٤٢ من كتاب «دولة اليعاربة» (للمؤرخة الظبيانية عائشة السيّار).

لذالك فإن الهامش رقم ٦٩٥ على صفحة ٢٦٩ من ج ١ «الإكليل» ينبغي إعادة النظر فيه.

ومن المحتمل جدًا أنَّ الهمداني قابل أيام مجاورته الطويلة بمكة المكرمة بعض الحجاج من بادية هذه القبائل التي ذكرناها وتحدثوا إليه بعربية فيها شيء من عدم الوضوح. وكان قد فات الهمداني أن تلك القبائل كانت تتحدث في مناطقها باللهجات اليمنية التي أشرنا إليها.

أما قبائل المهرة الذين تعودوا الأسفار إلى الأقاليم العربية الأخرى، و إلى أجزاء من اليمن فقد كانوا يتحدثون اللغة العربية بطلاقة قبل أن يدرج الهمداني في مهده. وكذالك كانت تتحدث العربية تلك الجموع الكبيرة منهم التي شاركت في الفتوح الإسلامية.

كلمة (ثَعْيَنَ) وردت بـالصفحتين ٢٦٨ - ٢٦٩ ج ١ «الإكليل» بما يفيـد أنهم من المهـرة، وهـو خطأ.. والصحيح أن ثَعْيَنَ (بفتح الثـاء المثلثـة الفوقيـة وسكـون العين المهملـة وفتح الياء المثنـاة التحتية وسكـون النـون) ليسوا من المهـرة، ولا يتحدثـون لهجتهم اليمنية القديمة، ولا يسكنون المنطقة المهريـة، ولكنهم إنما يتحدثون العربية الحضـرمية، ولهم منطقتهم الخـاصـة بهم، وتقع إلى الغرب من المهـرة. وإذا انتسب ثَعْيَنِيٌّ إلى المهـرة فإن هـذا الانتساب يكـون بحكم المصـاهرة بين أفـراد من هـاتين القبيلتين المتجاورتين، لا بحكم رفع أصـول النسب. إن المهرة قُضَاعيَّـة يمنية وثَعْيَنُ حضرمية يمنية، ولاصحة لقول من يزعم أنَّ ثَعْيَنَ فرعٌ من قبيلة بني ضِنَّة القضاعية.

والهمداني غير دقيق في معلوماته البحرية. من ذالك مثلًا قوله في «الصفة» ما معناه أن السفن الشراعية التي تريد السفر من عدنٍ إلى بلاد الزنج (شرق أفريقية) تذهب أولًا إلى عُمَان، وهذا خطـأ، والصحيح أن السفن هذه بما فيها السفن الحضـرمية تتجه أولًا إلى سيحوت بـالمهرة، ثم تخـوض أعالي البحـار في الجنوب الغـربي حتى تصل إلى حـوالي جزيـرة عبدالكـوري (غربي جـزيـرة سقطرة) ثم تأخـذ مجراهـا في اتجاهـات البوصلة المعروفـة حتى تحاذي الساحل الأفريقي، ومنها إلى بلاد الـزنج مبتدئة بجزيرة زنجبار (انظر كتاب «الرفيق النافع في شرح منظومتي الملاح باطايع)[٣].

بمناسبـة ذكر جزيرة سقطـرة، يذكر الهمـداني في «الصفة» أن طول هذه الجـزيرة ثمانون فـرسخًا. ولقد تضاربت - كمـا هو متوقع - أقوال الإخبـاريين العرب القدامى حول مسـافة الفـرسخ، فقالوا ثـلاثة أو خمسـة أو ستة أميال. وعلـى أي حال، فإنهم حينما يذكـرون الميل لا يعنون به الميل الإنجليزي البالغ طـوله ١٧٦٠ ياردة، ولكنهم يعنون ميـلًا معروفًـا لديهم طـوله ألفـا ذراع، أي ما يسـاوي ألف ياردة إنجليـزية. فإذا أخذنا بأقل الفـراسخ مسافة وهو الثـلاثة أميال أو ستة آلاف ذراع أو ثـلاثة آلاف ياردة إنجليزيـة، فإن الثمانين فـرسخًا التي قـررها الهمداني لطـول جزيـرة سقطرة ستصبح ثمانين ألف ياردة أي مئة وستة وثلاثين ميـلًا إنجليزيًا، وهذا خطأ.. والصحيح الثابت

لدى ملاحي الخليج والملاحين اليمنيين هو أن طول جزيرة سقطرة اثنان وسبعون ميلًا إنجليزيًّا فقط.

ويخطيء الهمداني إذ يجعل آخِرَ مَعْلَمٍ من الغرب لِغِبَّة قمر ما سماه هو رأس العقار، وهذا خطأ، والاسم الصحيح لهذا الرأس هو رأس عقاب (بعين وقاف وألف وباء). ولكن آخر مَعْلَم من الغرب لِغِبَّة قمر هو منطقة (نشطون) التي يليها من الجنوب (رأس فَرْتَك). أما رأس عقاب - وهو يعرف عند الملاحين اليمنيين والخليجيين (بعقاب عتاب) - فهو في حد المِشقاص، ويأتي في الترتيب الشرقي الغربي بعد رأس شروين.

وفي الهامش رقم (١) بصفحة ٦٦ من «الصفة» يخطيء القاضي الأكوع حيث يقول: إنَّ هناك غَبَّة اسمها غبة الخيص، واقعة بين رأس بروم ورأس المُكَلَّا. والصحيح أن ليست هناك غِبَّة بهذا الاسم في المكان الذي ذكره.

ولفائدة القارئ نقول: إن الغبب، المشهورة المعروفة عند الجغرافيين والملاحين، الواقعة بين رأس الحِدِّ في الشرق (عُمَان) وبين جبل شَمسْان بعدن في الغرب، لهي أربع غِبَب فقط: الأولى غِبَّةُ صَوْقرة الواقعة بين رأس مدركة ورأس صوقرة، والثانية غِبَّة قمر، الواقعة بين رأس ساجر ومنطقة نشطون، والثالثة غبة العَين الواقعة بين رأس بالحاف وساحل عرقة (بعض الخرائط تسمي رأس بالحاف رأس المَصيدة، وكذالك يسميه الملاح باطايع) والرابع غبة سيلان، الواقعة بين رأس أحور ورأس سيلان..

الحواشي:

(١) انظر عن الشحر وأسمائها «العرب» س ٣٢ ص ٢٣٨.

(٢) اتضح بعد كتابة هذا البحث أن بلدة حبوضة (وهي خراب الآن) تقع إلى شمال غرب من بلدة سيوون كما دل على ذالك المسح لهذه المنطقة في الآونة الأخيرة [العرب: انظر مقالة في ضبط الاسم للأستاذ عبدالله بن صالح الحداد في «العرب» س ٣٢ ص ٥٥٧].

(٣) مؤلفه محمد عبدالقادر بامطرف.

صخر بن عمرو السُّلميّ

أخباره وماتبقى من شعره

الشاعر: هو صخر بن عَمْرو بن الحـارث بن الشَّرِيد - واسمه عمرو[١] - بن رِيَاح ابن يَقَظَة بن عُصيَّة بن خُفَاف بن امرئ القيس بـن بُهْثة بن سُليم بن مَنْصور بن عكرمة بن خَصَفَـة بن قيس عيلان بـن مُضر، ويكنى بـ (أبي حسّـان). ولد (صخـر) - على أرجح الـروايات - عـام ٥٤٥م، وكـان والده يأخـذه مع أخيـه (معـاوية) إلى (سـوق عكاظ) ويُفاخر بهما العرب، وأخته الخنساء - تُماضر - الشاعرة المشهورة.

القبيلة: تنتشر (سُليم) - قبيلة صخر - في الأوديـة المنحدرة من سفوح جبال الحجاز وحِـرارِهِ الشرقيـة المتَّصلة بعـاليـة نجد، ممتـدة من المـدينة نحـو الجنوب، إلى سهـول صحراءِ رُكْبة، بمـا في ذالك الحرَّة المعروفة بـ (حرَّة بني سليم)، وسُليم - مع قُـرب بلادها من بلاد هوازِن أختِها في النسب، إلَّا أنها تُجاور من الناحية الغربية (هذيلًا) و(كنانة) ومن الناحية الشمالية الشرقية (غطفان) وبطونها، وبينها وبين سُليم تِرَات وإحن[٢].

أمـا من الناحيـة الشماليـة الغـربية فتتصل ببـلاد مُـزينة، حيث تحلّ في جبل وَرقَـان وماحوله، وسيول وَرِقان الشرقيـة وسيول حرّة بني سليم الغربية الشمالية تفيض في النقيع، والصلات بين القبيلتين في العهد الجاهلي حسنة، ويظهر أنهما مشتركان في النقيع[٣].

أخبارُهُ: عُرِف عن صخر - كما تدل الأخبارُ - كرمه وشجاعته وفروسيته، وهي أمورٌ أدركتها الخنسـاءُ - أخته - منها، أَنَّ زوجها كـان أتْلَفَ مالَهُ، فذهبـا إلى صخر، فقسَّمَ مـاله إلى نِصْفين وأعطـاهما أَحْسَنهمـا، ثم دارت الأيامُ - وكـررّ زوجُ الخنساء فِعْلَتـه وأتلف ماله في المقامرة، فذهبتْ الخنسـاء إلى صخر، ففعل ما فعل أَوَّلَ مرَّة وأعطاها خير ماله، وهو أمرٌ لم تَرْضَ به زوجته[٤].

أما أخبـار فروسيتـه وشجاعته في الحـروب، فإن لصخـر أربعـةً من الخيول[٥] هي: (حَذْفة) و (مَسْفوح) و ((الوَرْد) و (صاعِد)، وقد شارك بها في حروبه مع أعداءِ قبيلته.

ويبدو أَنَّ أول إشارة إلى بَدْء الحرب مع (غطفان) هو ماحدث بين معاوية - أخي صخر - و هاشم بن حَـرْملة أحد بني مُرَّة من غطفان، إذْ حَدَثَ بَيْنهمـا كلامٌ في سوق

عكاظ في الشهر الحرام، فتواعدا على الحرب، وتهيّأ معاويةُ للغزو، ونهاه صخر، فأبى، وغزاهم يوم (حَوْرَة الأول)[٦]، فاقتتلوا فتهيأ له (هاشم) وأخوه (دريد)، فاستطرد له (دريد)، فحمل عليه معاوية فَطَعَنَهُ، وخرج عليه (هاشم)، - ومعاوية لا يشعر به - فقتله[٧] فلما تَنَادوا: قُتل معاوية! قال خُفاف بن نُدبة - وكانَ من أغربة العرب-: (والله لا أَرِيْمُ اليومَ أو أقيد به سيِّدهم)[٨]، ثم شَدَّ على (مالك بن حمار) سيدٍّ بني شَمخ - وكان مع بني مرّة - فقتله[٩].

وإذْ فَقَد صخر أخاه، فإنه أَتى بني مُرَّة في الشهر الحرام من السنة المقبلة، فَوَقَفَ على ابنَيْ حَرْملة: هاشم ودريد، فإذا دُريدٌ في عَضُدِهِ طعنة - فقال هاشم: (هذا صَخْرٌ فحيُّوهُ، وقولوا له خيرًا)، فقال صخر: (أيكما قَتَل أخي معاوية)؟ فسكتا، فقال هاشم لأخيه: (مالَكَ لا تُجيبه؟) فقال دريد: وقفتُ له فطعنني هذه الطَّعنة وَقَتَلهُ أخي، فأيُّنا قَتَلْتَ، فَقَد أدركتَ ثَأرَكَ، إلَّا أَنَّا لمْ نَسْلِبْ أخاك). فقال صخر: (فأروني قَبْرَه)، فأروه إيَّاه، فلما رأى القَبْر جَزِعَ عنده ثم قال: (كأنكم قَدْ أنكرتم ما رأيتم من جَزَعي، فوالله ما بِتُّ مُذْ عَقَلْتُ إِلَّا واترًا أَوْ موتورًا، أو طالبًا أو مطلوبًا، حتى قُتل معاوية فما ذقتُ طعمَ نوم بَعْدَه، فهل كفنتموه؟) قال: (نَعَم، في بُرديْن، أحدهما بَخْمسٍ وعشرين بكرة)[١٠]. قال صخر: (فما فعلتِ السمَّاءُ[١١]) - فَرَس معاوية - قال: (هي تِيْك، رُدُّوها عليه). فلما رجع صخرٌ إلى قومه، قالوا: أُهْجُهُمْ. فقال: (إنَّ ما بيننا أَجَلُّ من القَذْع، ولو لم أكُفُفْ عنهم، إِلَّا رغبةً بنفسي عن الخنا لفعلت).

ومن المناسب - تحقيقًا للحادثة - أنَّ يومَ (حَوْرة الأول) حَدَثَ عام ٥٩١م[١] وكان إلى جانب معاوية: عبدالعُزَّى - زَوْج الخنساء مع ابنه: أبي شجرة. ودُفن في (لِيَّة).

يوم حورة الثاني: ولما حلَّ العام المقبل غزا (صخرٌ) بني مُرَّة، وكان قد ركب (السَّمَّاء). فقال: (إني أخافُ أن يعرفوني ويعرفوا غرَّة السَمَّاء، فيتأهَّبُوا)، فسوَّد غُرَّتَها وتحجيلها[١٣]، فلما أشرفتْ على أدنىٰ الحيّ رَأَوْها، فقالت بنت لهاشم بن حرملة لعمّها دُريد: (أينَ السَّمَّاء؟) قال: (هي في بني سُليم) قالت: (ما أشبهها بهذه

الفرس!)، فاستوى جالِسًا، فقال: (هذه فَرَسٌ بَهيم، والسَمَّاءُ غرّاءُ محجَّلة) وعاد واضطجع، فلم يشعروا إلّا والخيل دوائس، فاقتتلوا، فَقَتَل صَخْرٌ دُريدًا وأصاب بني مُرَّة، فثأروا وتناذروا، وولّى صخر، وطلبتْهُ غطفان عامَّةَ يومها، وعارَضَ دونه (أبو شجرة) فَرَدَّ الخيلَ عنه، حتى أراح فَرَسَه وَنَجَا إلى قومِهِ(١٤).

يوم عَدنيّة أو يوم مِلْحان: غزا صخرٌ بقومه بني سُليم، وترك الحَيَّ خِلْوًا، فأغارتْ عليهم غطفان، فثارتْ إليهم غلمانُهم، فقُتل من غَطفان نفر، وانهزم الباقون، فقال صخرٌ في ذالك(١٥):

جـــــزىٰ اللهُ قـــــومنـــــا إذْ دعاهم بعدنيّةَ الحيُّ الخلوفُ المصبَّحُ

يوم ذات الأثل: وهذا اليومُ كان على (بني أسد)، إذْ غزاهم صخرٌ، واكتسح إبلهم، فأتىٰ الصريخُ بني أسد، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل(١٦)، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وطعنَ (أبو ثور) وهوَ: ربيعة بن ثعلبة بن رِئاب الأسدي(١٧) صخرًا في جنبه، وفات القوم بالغنيمة، وأملت الخيل، فلم يقعصْ من مكانه، وجوي منها، فمرض حَوْلًا حتى مَلَّتْهُ امرأتُهُ (سلمىٰ) - وكان يكرمُها ويُعينُها على أهلها-.

وسمعَ صَخْر امرأةً تقول لزوجته: كيف بَعلك؟. قالت: لا حيٌّ فيُرجىٰ ولا مَيِّتٌ فيُنْعَىٰ، قد لَقِينْا منه الأمرَّيْن(١٨). وقيل إنَّ التي قالتْ ذالك هي (بُديلة) التي سباها من بني أسد.

ومرّ بها رجلٌ وهي قائمة - وكانت ذات خلق وإدراك-، فقال: أيباع الكفل؟. قالت: نعم عما قريب. وكل ذالك يسمعه صخرٌ. فقال: أَمَا والله لئِنْ قدرتُ لأُقَدِّمَنَّك قبلي.. ناوليني السَّيف، أَنظُرْ، هل تُقِلُّه يدي؟ فناولتْهُ، فإذا هو لا يُقِلُّهُ.

لقد أسهم الخُلُقُ السيء لزوجته في ازدياد مرضه، فالفارس الذي كان يخوض غمار الوغى في حروبه ويبطش بأعداء قبيلته، أصبح اليومَ طريح الفراش لا يقوىٰ على الحركة، حتّىٰ ملّته زوجته!

لقد كان من نتيجة طَعْن (أبي ثَوْر) لصخرٍ في جنبه إذْ دَخَلَتْ حلقاتٌ من حلق الدرع في جنبه - أنْ نتأ من الجرح كمثل اليد في مَوْضع الطعنة، فلما طال عليه

البلاءُ، قال: (المـوتُ أهون مما أنَا فيه)، فقيل لـه: (لو قطعتها لرجونـا أن تبرأ)، قال: (شأنكم)، وأشفَقَ عليـه قومٌ فَنَهوهُ، فأبي، فـأَخَذَ الطبيبُ شفرةً وقطع ذالـك الموضع، فيئس من نَفْسِهِ.

وتُوفـي صخر عام ٥٩٥م، ودُفن إلـى جانب (عَسِيْب) وهـو جبل بقرب المـدينة، وهو من أعلام النَّقِيع أَعلى وادي العقيق، على رأس بَرَام[١٩].

وترك صخـر عقبًا، فأكبر أولاده هـو (حسَّان) وبه يكنىٰ، ثم (مـالك) و (كرز)[٢٠]، وقد قُتلا يوم (برزة) مع بني كنانة، و (عمرو) و (هند)[٢١]، وقد شاركا يوم (الفيفاء) مع بني كنانـة أيضًا، ثم (أوفى)، إضافة إلـى بنت صغيرةٍ بخلتْ المصادرُ علينا بـاسمها، أشارتْ إليها الخنساءُ في شعرها.

صخر والخنساء في الأدب العربي: في سياحة لنا في مظانّ الأدب العربيّ، عن تأثر الخنساء بمقتل أخيهـا صخر ورثائها له، رأينـا كثيرًا من الأدباء والشعراء قـد أشاروا إلى ذالك استشهادًا أو اقتباسًا وتمثلًا أو تورية، فهذا أبو نواس[٢٢] يقول في هجاء أحدهم:

إذا فَقَـــد الـــرَّغيف بكـىٰ عليـــه بُكـــا الخنســـاء إذْ فُجِعَتْ بصَخْــرِ

وقال عماد الدين الأصبهانيّ الكاتب (ت ٥٩٧ هـ)[٢٣]:

بكيتُ علىٰ مستـــودعـــاتِ قلـــوبِكُمْ كمـا قـد بكَتْ علىٰ صَخْـرهـا الخَنْسَـا

وقال ابن أبي الإصبع المصريّ (ت ٦٥٤ هـ):[٢٤]

نعم أنتِ يـــاحسنـاءُ خنسـاءُ عصــرنـا وشـاهـد قـولي أَنَّ قَلَبَكِ [لي] صَخْـرُ!

وقال شهاب الدين محمود (ت ٦٨٨ هـ):[٢٥]

ولستُ بخنســـاءِ العَـــرَانين إذْ بَـــدَتْ لنـاظِـرِهـا يـــومًـا وفي قَلبهـــا صَخْـرا!

أمـا صخر نفســه، فإنَّ (الفتح بن خاقـان) كتبَ من قطعـةٍ له: (ولا مَلَّ كمـا مَلَّت صخرًا سُلَيْمى عرسه)[٢٦]، وهو إشارة إلى بيتٍ لصخر بعد أنْ ملَّتهُ زوجته (سَلْمىٰ).

بل إنَّ بيت صخر الشهير:

أهمُّ بـأمـــر الحَـــزْم لـــو أَستطيعُـــهُ وقـــد حِيْلَ بَيْنَ الْعَيْـــر والنَّـــزَوَانِ

ضَمَّنَهُ قصيدة له عبدُ الرحيم بن أحمد بن الإخوة البغدادي (ت ٦٠٦ هـ)[٢٧]، وكذالك استشهد به المهتدي العباسيّ (ت ٢٥٦ هـ) لما احتُضر[٢٨]، وذكر عجزه ابنُ أبي حَجَلَة التلمسانيّ (ت ٧٧٦ هـ) في مقامته الشطرنجية[٢٩].

وأنشد بلال بن أبي بُردة (ت ١٢٦ هـ) وهو في حبسه ثلاثةَ أبياتٍ من قصيدة صخر اليائية[٣٠].

شعره: يُعَدُّ صخر من الشّعراء المغمورين المُقلِّيْنَ، إذْ لم يجْمَعْ شعرهُ أحدٌ من القُدماء، وإنْ أثبتَ له الأصمعيُّ (ت ٢١٦ هـ) خمسة أبيات له في: (الأصمعيات)، إضافة إلى قِطَعٍ متفرقةٍ في المظانِّ المختلفة. ولعلّ الذي بين أيدينا من شعره جُلُّهُ قاله في (الأيام) التي حدثَتْ مع أعداء قبيلته، لذالك عُنيَ أصحابُ المواضع والأيام بتسجيل شعره والإستشهاد به.

وإذِ استطعنا أنْ نجمع له ستَ عشرةَ قطعةً شعريةً ثابتةَ النسبة له، فإننا كذالك عثرنا على قطعتين مُتدافعتين مع شاعرين آخَرَيْن.

ولقد وصلتْ إلينا من شعره قطعتان، لكل واحدة منهما ثمانيةِ أبيات، والباقي مقطّعات صغيرة بين البيت الواحد وستة الأبيات.

والملاحظ في شعر صخر أن البحرَ الطويلَ هو الذي يغلب على شعره، فإذا علمنا أنّ (ما يقرب من ثلث الشعر العربيّ القديم من هذا الوَزن)[٣١] أدركنا سِرَّ شُيوع هذا البحر في شعره، ثم الوافر والرجز.

أما بالنسبة للقوافي، فإنّ الذي وصل إلينا من شعره كان أكثره على قافية الباء والراء فالميم... وإذا أتينا إلىٰ الأغراض الشعرية التي طرقها، نجدها الأغراضَ العربية التقليدية، كالفَخْر الذي ساد معظم شعره، في استخدامه الألفاظ الموحية ذات الجَرْسِ المدوّي، علاوة على مسحة الحزن التي ظهرت في شعره في (رثائه) لأخيه معاوية، أو تصوير حالتهُ النفسيّة وهو طريح الفراش.

وتتردّد في بعضه أسماءُ بعض المواضع التي كانت لها علاقة مباشرة بحياته، إضافة إلى كثرة التشبيهات وتعدّد صورها، وإن كانَتْ بسيطة وغير متكلفة.

هذا المجموع الشعريّ: كنا قد جمعنا أخبارَ صخر بن عمرٍو، وشعره أيام الطَّلَبِ، بعد أن أُعجبنا بشخصيته واستغربنا انصراف الباحثين إلى أخته الخنساء دونه. حتى إذا استقام لنا ذالك دفعناه للنشر في خواتيم عام ١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ، إلى إحدىٰ المجلات الدورية، التي أحجمت عن نشره، لأسباب لم تذكرها، ولعل طول العمل كان أهم تلك الأسباب، إلَّا أَنَّ ذالك لم يمنعنا من أن نزيد في عملنا أبياتًا جديدة، أو تخريجات أخرى لِقِطَعٍ وأبيات من شعره، من المظانِّ التي كنّا نعثر عليها، مع إضافات هنا وهناك وتعديلٍ ما يتطلب ذالك.

وفي محرم ١٤١٧هـ - آيار ١٩٩٦ اطّلعنا على رسالة للدكتوراه تقدّم بها الأستاذ ع. الحسين حدّاد كنيهل بعنوان: (شعر سُلَيْم، وجمع مالم يجمع من شعر شعرائها)، إلى جامعة بغداد، ١٩٨٩م..

وفيه جَمْع لشعر صخر بن عمرو، مع شعراء آخرين، وإذا كان عمل الأستاذ (كُنَيْهل) جهدًا علميًّا مُهمًّا، فإني رأيْتُ أَنَّ الباحثَ لم يستقْصِ جميع المصادر المطبوعة التي ترجمت للشاعر أو أوردَتْ له شعرًا، علاوة على أنه لم يكن يهتم بضبط الأبيات بالشكل، مع أوهامٍ في أسماء الأَعلام والمواضع، أما حياة الشاعر فلم يتعرض لها بتفصيل علميّ دقيق، وكذالك الحال مع شرح الألفاظ التي لم تنل منه العناية المطلوبة.

ويستطيع مَنْ يشاء مِنَ الباحثين أنْ يقارِنَ عملنا هذا مع عمل الدكتور (كنيْهل) - المخطوط.

وبعد، يقول عباس **الجراخ**: فدونكم (شعر صخر بن عمرو السُّلميّ)، مرتبًا وفْقَ السِّياق الهجائيِّ، مَعَ شَرْح المفردات، وذكر اختلافِ الروايات، ثم تَخْريج المقطوعات بتوثيق دقيق.

شعر صخر بن عمرو:

البـــاء

(١)

قال (الطويل):

١- أَلَا لا أَرَى مُستَعْتِبَ الـدهـر مُعْتَبَـا ... ولا آخِــذًا منــه الــرّضــا إنْ تغضَبــا

٢- وذي إخــوةٍ قطّعتُ أقــرانَ بينهم ... إذا مـا النفـوس صِــرْن حَسْـرىٰ ولُغَّبَـا

٣- أقــولُ لـرمسٍ بيـن أحجـار لِيَّــةٍ: ... سقَتْكَ الْغــوادي الْــوابِلَ المُتَحَلِّبَــا

المفردات:

٢- اللغب: التعب والعَياء.

٣- ليَّـة: من أكبر أوديـة الطائف، يقع أولـه في الشرق الجنـوبي من الطـائف على بعد ثمـانية أميـال منه. (مجلـة «العرب» س ٢٤ ص ٦٢٢). «العرب»: ليـة ورد ذكر المـوضع في يَوم حـورة، وحورة من بـلاد بني سليم، وليّة الـوادي القريب من الطائف بعيد عن بلادهم، فهما مَوْضعان متباعدان.

اختلاف الروايات: ٣- «معجم ما استعجم»: بين أجراع بِيْشَة.

التخريج: «الأغاني» ١٥/ ٧٨، «معجم ما استعجم» ٢/ ٤٧٤.

(٢)

قال صخرٌ وقد سمع الخنساءُ تقول: كيف صَبرُهُ؟

(الطويل)

١- أجَـارَتَنــا إنَّ الحُتُـوفَ تَنُــوبُ ... علىٰ النــاس كُلُّ المخطئيـن تُصِيبُ

٢- أجــارتَنـا إنَّــا غـريبـان هـاهنـا ... وكلّ غـــريـبٍ للغـــريب نَسيبُ

٣- أَجــارتَنـا لسْتُ الغـداةَ بظـاعنٍ ... ولكنْ مقيـمٌ مــا أقــامَ (عسيبُ)

٤- كأني وقــد أَدْنَــوا إِلَيَّ شِفـارَهم ... من الصَّبْــرِ دامِي الصَّفحتَيـن نكيبُ

٥- فإنْ تَسْأَلِيني كيف صبـري فإنني ... صبـورٌ علـىٰ رَيْب الـزّمــانِ صَليبُ

٦- يعــزّ عليّ أن تــرى بـي كآبــة ... فيشمـتُ عــادٌ أو يُســاء حبيـبُ

المفردات: الشّفار: جمع شَفْرة، السكين العظيمة. الصفحة: الجانب.

اختلاف الروايات:

١ - «الكامل»: أيا جارتا إنَّ الخُطوبَ غريبُ ... ـن....

في «التعليقات والنوادر»:... إنَّ المنون قريب ... ـن....

٢- «ديوان امرئ القيس»: ... إنَّ المزارَ قريبُ

٣- «الزاهر»: أجارتنا إنْ تسأليني فإنّني ... مُقيمٌ لَعمْـ ... ـري....

٤ - «الكامل»: .... من الأُدْمِ مَصْقول السَّراة..

٥ - «شرح نهج البلاغة»: .... كيف أنْتَ.

التخريج: الأبيات: ١، ٢، ٤، ٥ في: «أسماء المُغتالين» لابن حبيب «نوادر المخطوطات» و: «الكامل» ٢/ ٣٤٥

١، ٣، ٤، ٦ في: «فصل المقال» ٦٦، «مهذّب الأغاني» ١/ ٧٨.

٣، ٤ في: «الزّاهر في معاني كلمات النّاس»، ٢/ ٣٥٠.

٢، ٤ في: «الأغاني» (الدار) ١٥/ ١٠٢، «التعليقات والنوادر» ٢/ ٦٧٩ و ٣/ ١٤٣٨، «جمهرة الأمثال» ١/ ٢٧٢.

٤، ٥ في: «الأنوار ومحاسن الأشعار» (ط. بغداد) ٥٧، «أخبار النساء» لابن قيم الجوزية ٢٤٥.

١، ٣ في: «معجم ما استعجم» ٣/ ٩٤٣، ١٣٢٦.

٥، ٦ في: «شرح نهج البلاغة» ١/ ١٨٣ (دار الفكر) وفيه: (قال أخو بني سُليم).

والثاني فقط، لامرئ القيس في ديوانه ٣٥٧.

والثالث فقط، للخنساء في: «الأماكن» للحازمي (تحـ الشيخ حمد الجاسر) ٢/ ٦٧٩، وهو وهم.

الحَسَاء

قال (الطويل):

١ - جَزَى اللهُ خيرًا قومَنا إذْ دَعاهُمُ ... بِعَدنيَّةَ الحيُّ الخلوفُ المصبَّحُ

٢- وغلمانُنا كانُوا أُسودَ خَفِيَّةٍ ... وحُقَّ علينا أنْ يُثَابوا ويُمدَحُوا

٣- هُمُ نَفَّروا أقرانَهم بمضرَّسٍ ... وسَعْرٍ وذادُوْا الجيشَ حتى تَزَحْزحوا

٤- كأنهم إذْ يطردونَ عشيةً ... بِقُنَّةِ مِلْحانٍ نَعامٌ مُروَّحُ

التخريج: «العقد الفريد» ٥ - ١٦٨، «أنيس الجُلساء» ١٧.

الأول والثاني فقط في: «معجم ما استعجم» ٣/ ٩٢٥.

قال (الكامل):

١- ولقــد دَفَعْتُ إلـى دريــد طَعْنَــةً ... نَجْــلاءَ تَــزْغلُ مثل غَطِّ المَنْحَـرِ

٢- ولقَــد قَتلتكـم ثُنـاءَ وَمــوحَــدَا ... وتـــركْتُ مُــرَّة مثلَ أَمسِ المــدْبِـرِ

المفردات:

١- تزغل: تخرج الدم قِطعًا قِطعًا. النجلاء: الواسعة. المنحر: مَوضع النَّحر. الغطّ: الشقّ.

٢- المدبر: الماضي الذي لا يرجع.

اختلافُ الروايات:

١- «الزاهر»... المنحر، في «العقد الفريد»: (تُوغر) بدل تزغل، والمعنى: تُصَوِّتُ في جَلَبَةٍ.

٢- «الزاهر»... قتلتكم ثَنَى. وعجز البيت في: «أدب الكاتب» و «العقد الفريد» و «الأغاني» و «الزينة» و «نهاية الأرب»: الدابر.

التخريج: «أدبُ الكاتب» ٤٥٨، «التعازي والمراثي» ١١١، «الأغاني» ٣/ ١٣٩، «الزاهر» ٢/ ٣٤٩، «الاقتضاب» ٢/ ٣١٨، ٣/ ٤١٤، «العقد الفريد» ٥/ ١٥٦ - ١٦٦، «سِمْط اللآلي» ٨٣٥، «الزينة» ٢/ ٣٥، «الخزانة» ٥/ ٤٤٨ بتقديم الثاني. و «اللسان» و «التاج» (دبر) و (زغل). والثاني لعمرو بن الشريد في: «اللسان» (ثنى).

وبلا عزو في: «التهذيب» ١٥/ ١٤١؛ «المثلث» للبطليوسي (بغداد) ١/ ٣٨٨؛ «معجم ما استعجم» ٢/ ٤٧٤.

وقال (الكامل):

فَكِـــــهُ العَشيِّ إذا تـأوَّبَ رحلُـــــهُ ... ركْبُ الشتــاءِ مســامَحٌ بــالميســرِ

المفردات: فكه: أيْ يأكُلُ الفاكهة (؟)

التخريج: «مجاز القرآن» ٢/ ٦٣، وبلا عَزْو في: «الزّاهر» ١/ ٢٥٨.

وقال (الطويل):

قَبــائلُ منْ حَيَّيْ خُفَــافٍ وأَصْلُنَــا ... - إذا مـا نُسِبْنا - مِنْ مَعِيصِ بنِ عامـرِ

التخريج: «جمهرة أنساب العرب» ١٧٢.

وقال (الوافر) بعد أنْ أصابَ بني مُرَّةَ في يوم حوْرة الثّاني:

١- قَتَلْتُ الخـــالِــدين بــهِ وبِشْــرًا ... وعَمْــرًا يَـــوْمَ حَــوْرةَ وابـنَ بِشْــر

٢- ومنْ شَمْخٍ قتلـتُ رجــالَ صـدقٍ ... ومن بـــدر فَقَـــدْ أَوْفَيْتُ نَــذْري

٣- ومُــرّة قـد صَبَحْنـاهــا المنـايـا ... فــروَّيْنـــا الأسِنَّـــةَ غَيْـــرَ فَخْــرِ

٤- ومنْ أفنـــاءِ ثعلبــةَ بـن سعـــدٍ قتلـتُ ومـــا أُبيْئُهُـمُ بـــوتــــرِ
٥- ولكنّــا نُـــريـد هَــلاكَ قَـــوْمٍ فَنَقْتُلُهُـمْ ونشــــريهـمْ بِكســـــرِ

المفردات: ٤- أفناء القبائل: أخلاطها. ثعلبة: بَطن من ذبيان. أبيئهم: أقتلهُم.

٥- الكِسْر: أَخَسُّ القليل.

التخريج: «الأغاني» (الدار) ١٥/ ٨٠، «خزانة الأدب» ١٠/ ٤٩٩، «أنيسُ الجلساء» ١٦ الأول فقط في: «اللِّسان» (حوز).

وقال (الرجز):

١- والله لا أَمْنَحُهَـــا شِـــــرارَهـــا ٢- وهْيَ حَصَـــان قـد كَفَتْني عــارهـا
٣- ولـــو هَلكْتُ مــزَّقَـتْ خِمـــارهــا ٤- واتّخــذَتْ منْ شَعَــرٍ صِـــدارهـــا

اختلاف الروايات:

- في «الإصابة»: وهي التي أرخص عني عارها.

- «التهذيب»: ... خلَعتْ. وفي «سَرْح العيون»: ولو أموت...

- «التهذيب» و «سرح العيون»: وجعلتْ.

التخريج: الأشطار في: «الشعـر والشعراء» ١/ ٣٤٦؛ «الأغـاني» ١٥/ ٧٨؛ «التهذيب» ٢/ ٢٤٧، «سـرح العيون» ٤٢٦؛ «الكامل» ٢/ ٣٥٧؛ «الإصابة» ٤/ ٢٨٩.

(٩) (الكامل)

ســـــائِلْ بني أسَـــــدٍ وجمعَهُـم بـــالجَـــزعِ ذِي الطَّـــرفـــاءِ والأَثْلِ

التخريج: «معجم ما استعجم» ١/ ١٠٧.

وقال (الطويل):

١- وجــاءَتْ تهـزُّ السمْهَـريَّ كتيبـةٌ عـزيــزٌ على المــرء الجبـان نِـزَالُهـا
٢- مُعَـــوَّدَةٌ يــوم النِّســـار وبعــدَهُ إذا بَـرَقَتْ بــالمـوت يَصْـدُقُ خـــالُهـا
٣- حملْتُ عليهـا الـوَرْدَ حتّىٰ تبـددَتْ تَخِــرُّ من الـرّكـضِ الحثيثِ نِعـالُهـــا

المفردات: - السمهري: رمح منسوب إلى (سَمْهر)، اسم رجل كان يُقَوّم الـرماحَ. [والنِّسار: اسم موضع في عالية نجد انظر عن تحديد موقعه: «الأماكن» للحازمي ص ٧٥، ويوم النِّسار أحد أيام العرب المشهورة بين بني عامر وبني تميم].

- الوَرْد: اسم فرس صخر.

التخريج: «أسماء خيل العرب وفرسانها» للغندجاني ١٤٩، «التاج»، «التكملة» (ورد)، «معجم أسماء خيل العرب وفرسانها» للشيخ حمد الجاسر ٣٠٩.

وقال (الوافر):

مَنَتْ لـك أنْ تُـــلاقيني المنـــايـــا أُحـــادَ أُحـــادَ فـي الشَّهْـــر الحـــرامِ

المفردات: مَنَتْ: قَدَّرَتْ. المنايا: الأقدار.

التخريج: «الأغاني» ٣/ ١٣٩، وبلا عَزْو في: «هَمْع الهوامع» ١/ ٢٦، «الدُّرر اللَّوامع» ١/ ٧.

والبيت على قـافيـة أخـرىٰ هي: .. (الشهـر الحلالِ) مَنْسـوب لعمـرو ذي الكلب الكـاهلّي الهـذليّ في: «ديـوان الهذليين» ٣/ ١١٧؛ شَرْح السكريّ. ٥٧٠، وبلاد عزْو في: «اللسان» (منى).

وانظر: «مُعجم شواهد العربية» ١٨٤، «تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب» ٣٦٦ – ٣٦٧.

وقال (الطويل):

١ – كأنّي ومُهْري (صاعـدًا) فَوْقَ حَوْرةٍ مِنَ النَّبْـل في بُنْيـــان دَبْــرٍ وخَشْـــرمِ

٢ – يَشبُّ وَقَـدْ شَكَّ المعـــابِلُ نَحْـرَهُ كشكِّ القُيُـــون فـي الإنـــاءِ المثلّمِ

المفردات: صاعد: اسم فرس صخر.

شبّ: إذا قَمصَ ولعبَ من نشاطه. القيون، جمع قَيْن: وهو الحداد. المعابل، جمع معبلة: النَّصل العريض.

التخريج: «أسمـاء خيل العـرب وفرسـانهـا» ١٤٧، وفيـه: حـوزة، وهو وهم؛ وانظـر: «معجم أسمـاء خَيْل العَـربَ وفرسانها» ١٧٨ – ١٧٩.

وقال (الطويل):

١ – فأَحْمِلُ (مَسْفوحًا) عليهمْ فلمْ يخِمْ وقـد عجـزَتْ هُـذْلُ الشّفَـاهِ عن الفَمِ

٢ – إذا حبســـونـــا في مضيـقٍ رَمَيتُهُمْ بِقُـــرْحَتِـــهِ وفـــارسٍ غيـــرِ محجمِ

المفردات: – مسفوح: اسم فرس صخر. يخم: يجبن.

التخريج: «أسماء خيل العرب وفرسانها» ٩٦، «معجم أسماء خيل العرب وفرسانها» ٢٧٣.

الأول فقط في: «التّاج» و «التكملة» (سفح).

وقال (الطويل):

سأل عائدٌ أُمَّ صخـر عن حـال صخـر، فقالت: أصبحَ بحمـد الله صالحًـا ولا يَزال بحمد الله بخيرٍ ما رأينا سواده بيننا، فقال:

١ – أرىٰ أُمَّ صَخْـــرٍ لا تَمَلُّ عِيـــادتي ومَلَّتْ سُليمَـى مَضْجعي ومكـــاني

٢ – فأيُّ امـــرئ ســـاوَى بِأمّ حليلـــةً فـــلا عـــاش إلّا فـي شقًى وهـــوانِ

٣- ومـاكنتُ أخْشَى أن أكــونَ جِنـازةً عليكِ، ومَـنْ يَغْتَـرُّ بـــالحَـــدَثـــانِ
٤- لعمـري لقـد نَبّهْتِ مَنْ كان نـائمًا وأَسْمَعْتِ مـنَ كـــانت لـــه أُذُنَـــانِ
٥- أَهُمُّ بأَمْــر الحَـــزْم لــو أَسْتطيعُــهُ وقـــد حِيْلَ بَيْن الْعَيْـــر والنَّـــزَوانِ
٦- فللمــوتُ خَيْـرٌ من حيــاةٍ كأَنّهــا مَحَلَّـــةُ يَعْســـوبٍ بـــرأس سنـــانِ
٧- وَحيٌّ حـريـدٍ قــد صَبَحْتُ بغـارةٍ كَـــرِجْلِ الجـــرادِ أَوْ دَبًـــا كَتِفَـــانِ
٨- فلـو أَنَّ حيًّا فائت المـوتِ فـاتـهُ أَخُـو الحـربِ فـوقَ القـارح العَـدَوانِ

المفردات: - الحليلة: الزوجة. الحَدَثان: نوائب الدهر ومصائبه.

- العَيْر: حمار الوحش، سُمّي بذالك لأنه يَعير، أيْ يتردَّد هُنا وهناك من نشاطِهِ وحركته.

- النزوان: من الفعل: نزا: أي: وَثَبَ. حِيْل: مُنِع. أمر الحزم: أراد: قتل زوجته.

- اليعسوب: ذكر النحل. السّنان: حديدة الرمح من الأعلىٰ. شبَّه حياته في مرضه بنزول اليعسوب على رأس الرّمح.

- الحريد: المُنْعزل عن جماعة القبيلة. الدّبا: الجراد الصغير قبل أنْ يطير.

- القارح: الفرس الذي عمره خمس سنوات.

اختلاف الروايات: ١ - «المصون»: و «الكامل»: أرىٰ أُمَّ صَخْر ماتجفّ دموعُها في «حماسة العبدلكاني»: أرىٰ أُمَّ عَمْرو.

٢ - «حماسة العبدلكاني»: وأيّ امرئ سوّىٰ.

٤ - «ربيع الأبرار» و «حماسة العبدلكاني».. لقد أيقظْتُ.

٦ - «التذكرة السعدية»: ولا خير في عيش يكون كأنّهُ. ٧- المصون: وحيّ حِلال.

٨- اللّسان: .... الغَدَوان.

التخريج: ١، ٢، ٤، ٥ في: «أسماء المغتالين» ٢١٧، ١، ٣، ٢، ٥، ٦ في: «الشعر والشعراء» ١/ ٢٦٢، ١، ٣، ٥، ٧، ٨، في: «المصون» ١٧٤، ١، ٣، ٥، ٤، ٦ في: «تزيين الأسواق» للأنطاكي ١٨٤، ١ - ٥ في: «الأصمعيات» ١٦٤ (رقم ٤٧)؛ «الكامل» ١٢٢٥؛ «المقاصد النحوية» ٤/ ١٥٩؛ «ربيع الأبرار» ٤/ ٢٩٨، «الأنوار ومحاسن الأشعار» (ط. بغداد) ٥٧، ١، ٥، ٤ في: «عيون الأخبار» ٤/ ١٨٨، ١ - ٦ في: «العقد الفريد» ٥/ ١٦٦ - ١٦٧؛ «الحماسة البصرية» ٢/ / ٣١١؛ «جمهرة الأمثال» ١/ ٣٧١؛ «مَجمع الأمثال» ٢/ ٩٧؛ «فَصْل المقال» ٧١، «الأغاني» ١٣/ ١٣١؛ «نهاية الأرَب» ١٥/ ٣٦٨، ١، ٣، ٥، ٢، ٤ في: «حماسة العبدلكاني» (بغداد، ١٩٧٣) ١/ ٣٧، بلا عَزْو، ٣، ٤، ٦ في «التذكرة السعدية» ١/ ٣٧٧، ٧، ٨ في: «اللّسان» (كتف) و (غذا)، الأوّل فقط في: «زهر الآداب» ٩٩٨، الثالث فقط في: «التهذيب»؛ «العين»؛ «اللّسان» (جنز)، بلا عزو، الخامس فقط في: «مُختصر أمثال الشّريف الرضيّ» للأربليّ (بغداد ١٩٨٦) ٧٠ بلا عَزْو؛ وعجزه في: «الزاهر» ٢/ ٢٤٧، وبلا عزو في «تأريخ الطبري» ٩/ ٤٦٩ «زَهر الآداب» ١١٠٧، «أُنموذج القتال في نَقْلِ العوالِ» ٢٠٥.

وقال (الرجز):

١ - تهــــزأ مني أختُ آلِ طَيْسَلَــــهْ ٢ - قــالَتْ: أراه مُبْلِطًــا لا شيْءَ لــهْ

المفردات: المبلط: أبلطَ الرَّجُلُ: إذا افتقر وذَهَب مالُهُ.

التخريج: «التاج»: طلّ.

اليـــاء

وقال (الطويل):

قال صخرٌ يردّ على زوجته في لومها على عدم هجائه لبني مُرَّة:

١ - وعـــاذلـــةٍ هبَّتْ بليـلٍ تلـــومني أَلَا لا تلـومينـي كفىٰ اليـومَ مـــابِيَـا

٢ - تقـولُ: أَلَّا تهجو فـوارسَ هـاشمٍ؟ ومــالِي إذْ أَهجــوهـم ثُمَّ مــاليـا

٣- أبىٰ الشتم أني قَد أَصـابوا كريمتي وأَنْ ليس إهـــداءُ الخنـا مـن شمـاليـا

٤ - إذا مـا امـــرؤ أهـدى لميْـتٍ تحيَّـةً فحيَّـاك ربُّ النّــاس عنيٍّ (معــاويـا)

٥ - وَهَـــوَّنَ وَجْــدي أنني لم أَقُل لــه: كــذبْـتَ، ولم أَبخلْ عليــه بمـــاليـا

٦ - لنعم الفتىٰ أَدّى ابـنُ صِـرْمَـةَ بَـزَّهُ إذا راحَ فَحْلُ الشَّـوْل أَحْــدبَ عـاريـا

٧- إذا ذُكِــرَ الإخـوانُ رَقْــرَقتُ عَبــرةً وَحَيَّيْتُ رَمْسًــا عنــد (ليّــة) ثــاويـا

٨- وذي إخـــوة قطّعْتُ أرحـــامَ بينهم كمــا تــركـونـي واحـدًا لا أخــا ليـا

المفردات: الخنا: الفحش من القول. الشمال: الخليقة والطبيعة، والجمع: شمائل.

البز: السلب. الشول: النياق. ابن صرمة: هو ابن حرملة، وهو من بني صرمة بن مرَّة.

اختلاف الروايات: ١ - «الحماسة» - الجواليقي: ولائمة.

٢ - «الحماسة» - المرزوقي: وقالوا.

٣- «الحماسة» - المرزوقي والجواليقي: أبىٰ الهجرُ.

٤ - «الكامل»: ... رب العرش.

٥ - «الحماسة» - المرزوقي: وطيَّب نفسي.

٧- «الصناعتين»: ... أقران، وصدر البيت نفسه في القطعة الأولى.

٨- «الحماسة» - الجواليقي: ... الفتيان.

التخريج: القصيدة في: «مختار الأغـاني» ٥/ ١٠، «الحماسـة» برواية الجـواليقي (بغـداد ١٩٨٠م) ٣١٣ - عدا السادس. ٢، ٣، ٦، ٥، ٨ في: «ديوان الحمـاسة» بشرح المرزوقي ١٠٩٣ - رقم ٣٨٩، والأبيـات عدا الأول في: «ديوان الحمـاسة» بشـرح التبريـزيّ، الأبيات - عـدا السابع في: «الكـامل» ١١٢٢، والأبيات ١ - ٥، ٨ في: «العقـد الفريـد»

٥/ ١٦٥، والأبيات إلى ٥، ٦ في: «التعازي والمراثي» ١١٠، ٢، ٣، ٤ في: «الزاهر» ٢/ ٣٤٨، الثالث فقط في: «التهذيب» ٢/ ١٩٢، «المسلسل» للسرقسطيّ ٧٩، «اللّسان» (شمل)، الثامن فقط في: «المسائل والأجوبة» للبطليوسيّ ١٧٥ (تحـ د. إبراهيم السامرائيّ - بغداد)، وبلا عزو في: «الصناعتين» (ط. البجاويّ) ٣٤٧.

المنسوبُ:

(١) (الرجز)

١ - رُدُّوا علــيَّ الخيــلَ إنْ أَلَمَّـتِ ٢- إنْ لمْ أَقـاتِلْهُمْ فجِـزُّوا لُمَّتِي

المفردات: الجزّ: القصّ. اللمّة: الشعر الذي يجاور شحمة الأذن.

التخريج: «الأغاني» ١٥/ ٣٧، ويُنسبُ الشطران لِصخر وإلى: جحْدر بن ربيعة.

(٢) (الرجز)

١ - أَلَسْت أيّـامَ حَضَـرْنـا الأعـزلـهْ ٢- وبَعْـدُ إذْ نَحنُ علىٰ الضُّلَضِلَـهْ

التخريج: «التاج»: ضلل، لصخر وإلى صخر بن عُمَير

عبّاس هاني الچراخ

العراق - بابل الحلّة

الحواشي:

(١) انظر: «جمهرة أنساب العرب» ٢٦١.

(٢) مجلة «**العرب**» - دراسة للشيخ حمد الجاسر - س ٢٤، ص ٣٨٨ و ٣٩٢.

(٣) مجلة «العرب»، س ١٤، ص ١٢٧، دراسة للشيخ حمد الجاسر.

(٤) انظر: «الشعر والشعراء» ١/ ٣٤٦، «الأغاني» ١٥/ ٧٨.

(٥) انظر: «فَضْل الخيل» للدمياطي ١٨١، «أسماء خيل العرب وفرسانها» ٩٦، ١٤٧، ١٤٩، «معجم أسماء خيل العرب وفرسانها» ٣٠٩، ١٧٨ - ١٧٩، ٢٧٣.

(٦) انظر في يوم (حورة الأول): «العقد الفريد» (ط. اللجنة) ٥/ ١٦٣، «الأغاني» ١٨/ ٢٢، «معجم ما استعجم» ١/ ١٠٧. وقد وَرَدَ فيها الحوزة بالزاي المعجمة، وهو وهم. ونقل الخطأ نفسه د. عفيف عبدالرحمن في كتابه: «الشعر في أيام العرب»، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٦٨، ١٤٤، وكذالك ع. الحسين كنيهل في رسالته للدكتوراه (شعر سليم).

(٧) جاء في كتاب «المسائل والأجوبة» للبطليوسي ١٧٥ أنَّ الذي قتل معاويةَ هو زيد بن حرملة. قلت: وهو تحريف (دريد). ووهم د. عفيف عبدالرحمن عندما ذكر أنَّ معاويةَ هو الذي قتل دريدًا! («الشعر في أيام العرب» ١٤٤).

(٨) «الأغانيّ» ١٨/ ٧٤.

(٩) انظر قصيدة خُفاف الكافية في هذه المعركة في: شعره ٦٤ بتحقيق د. نوري القيسي، بغداد ١٩٦٨م.

(١٠) «العقد الفريد» ٥/ ١٦٤.

(١١) انظر: «التعليقات والنوادر» ٤/ ١٨٩٢، «خزانة الأدب» ٥/ ٤٥٠. أما المبرّد «الكامل» ٢/ ٣٤٢) والأنباريّ «الزاهر» ٢/ ٢٤٨) فيطلقان عليها اسم (السُّمَّىٰ)، أما أبو الفرج الأصفهانيّ فسماها: الشمّاء «الأغاني» ١٥/ ٧٨) وتابعه الباحثُ إسماعيل القاضي في كتابه: «الخنساء في مرآة عصرها» (بغداد، ١٩٦٢م) ١٧٧، قال عباس **الجراخ**: والصواب ما أثبتناه، فالسَّماء هي فرس معاوية. وانظر: «معجم أسماء خيل العرب وفرسانها» ١٦٤.

(١٢) «الخنساء في مرآة عصرها» ١٤١. قلتُ: أما هاشم بن حرملة فقد قتله قيسُ بن عامر بن الأَمْرار الجُشَميّ، ومدحته الخنساءُ في: ديوانها ٢٢١ (تحقيق د. أنور أبو سليم). وانظر: «التعليقات والنوادر» ٢/ ٦٢١.

(١٣) وهم د. عفيف عبدالرحمن في ظنه أنَّ صخرًا (مضىٰ على الشتاء التي غنمها قومه... فسوّد غرّتها وتحجيلها) «الشعر في أيام العرب» ١٤٤.

(١٤) «العقد الفريد» ٥/ ١٦٤.

(١٥) «العقد الفريد» ٥/ ١٦٨، «معجم ما استعجم» ٣/ ٩٢٥. وانظر: «الأماكن» للحازميّ ٢/ ٨٥٨، ١٥، ولعل الصواب (خلوف) كما يدل على هذا الشعر.

(١٦) انظر: «العقد الفريد» ٥/ ١٦٦ - ١٦٧، «معجم ما استعجم» ١/ ١٠٧.

(١٧) انظر اسمه الصحيح في: «التعليقات والنوادر» ٢/ ١٨٩، «الإصابة» لابن حجر ١/ ٥٢٧. وهو عَمّ أبو المهَوّش الأسديّ، وقد تحرّف اسمُهُ إلى: (ربيعة بن ثور) عند ابن حبيب وابن عبد ربّه والبكريّ وعند: ع. الحسين كنيهل في رسالته للدكتوراه (شعر سُليم) ص ٧٣.

(١٨) «المصون في الأدب» ١٧٤، «الأنوار ومحاسن الأشعار» ٥٧، «الحماسة البصرية» ٢/ ٣١١، «الكامل» لابن الأثير ١/ ٣٦٨، «الزاهر» ٢/ ٣٤٩. وانظر موقفًا معاكسًا هو موقف أمه في: «عيون الأخبار» ٣/ ١١٩، «مصارع العشاق» ١/ ١٦١.

(١٩) «التعليقات والنوادر» ٣/ ١٤٣٦ - ١٤٣٨. «الأماكن» للحازميّ ٢/ ٦٧٩.

(٢٠) «العقد الفريد» ٥/ ١٧٤ - ١٧٥. (٢١) «العقد الفريد» ٥/ ١٧٦ - ١٧٧.

(٢٢) ديوانه ٥٣٢ (ط. الغزالي).

(٢٣) ديوانه ٢٣١ (تحـ. د. ناظم رشيد، الموصل ١٩٨٣م).

(٢٤) «ذيل مرآة الزمان» ١/ ٢٣ (حيدر آباد، ١٩٥٥م)، «عيون التّواريخ» ٢٠/ ٩٦ (بغداد، ١٩٨٠م).

(٢٥) «عيون التواريخ» ١٨ (بغداد، ١٩٩١م)، «كنز الدّرر» ٨/ ٢٩٧ (القاهرة، ١٩٧١م).

(٢٦) «خريدةُ القَصْر وجَريدة العَصْر» ٣/ ٥٤٦ (تونس، ١٩٧٢م).

(٢٧) «خريدة القَصْر» ج ٣ - مج ١/ ١٩٠ (بغداد، ١٩٧٦م).

(٢٨) «تأريخ الطبريّ» ٩/ ٤٦٩.

(٢٩) «أُنموذجُ القتال في نَقْل العَوال» ٢٠٥ (بغداد ١٩٨٠م)، ولم ينتبه إلى ذالك ناشرُ الكتاب كعادته!!

(٣٠) «الزاهر» ٢/ ٣٤٨.

(٣١) «موسيقىٰ الشعر العربيّ» للدكتور إبراهيم أنيس ٥٩ (ط ٥، القاهرة، ١٩٨١م).

آل مضيّان شيوخ قبيلة حرب:

هاؤلاء الرجال أَلَيْسوا جديرين بالذكر؟!!

إذا كان التاريخ يبالغ أحيانًا في حق بعض الشخصيات ويعطيها أكثر مما تستحق، فإنه يجحف أيضًا في حق آخرين ويهضم وينطوي على ظلم للفئتين وتتعاقب الأزمان وتتوارث الأجيال ما في وعاء التاريخ من معلومات وأخبار وقصص وتصورات تزداد رسوخًا مع تعاقب الدهور والعصور.

غير أن هناك حالات تتهيأ لها أسباب المراجعة والتمحيص ويظهر لها من الحقائق مايكشف بعض ملابساتها، فتتجلى حقيقتها ويستدرك المنصفون ويرجعون للحق ويبادرون إلى رفع الظلم عن ضحايا التاريخ!

لقد تذكرت هذا وأنا أتصفح كتاب التاريخ المقرر على الصف الثالث الثانوي في أقسام العلوم الإدارية والاجتماعية والعلوم الشرعية بمدارسنا الثانوية، فقرأت فيه بعض ما يتعلق بأمراء وقادة الجيوش في عهد الدولة السعودية الأولى، الذين خدموا بلادهم، وضحوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل نشر الدعوة السلفية وتأسيس دولة إسلامية عربية في قلب جزيرة العرب، ممن لا يتسع المجال لذكرهم.

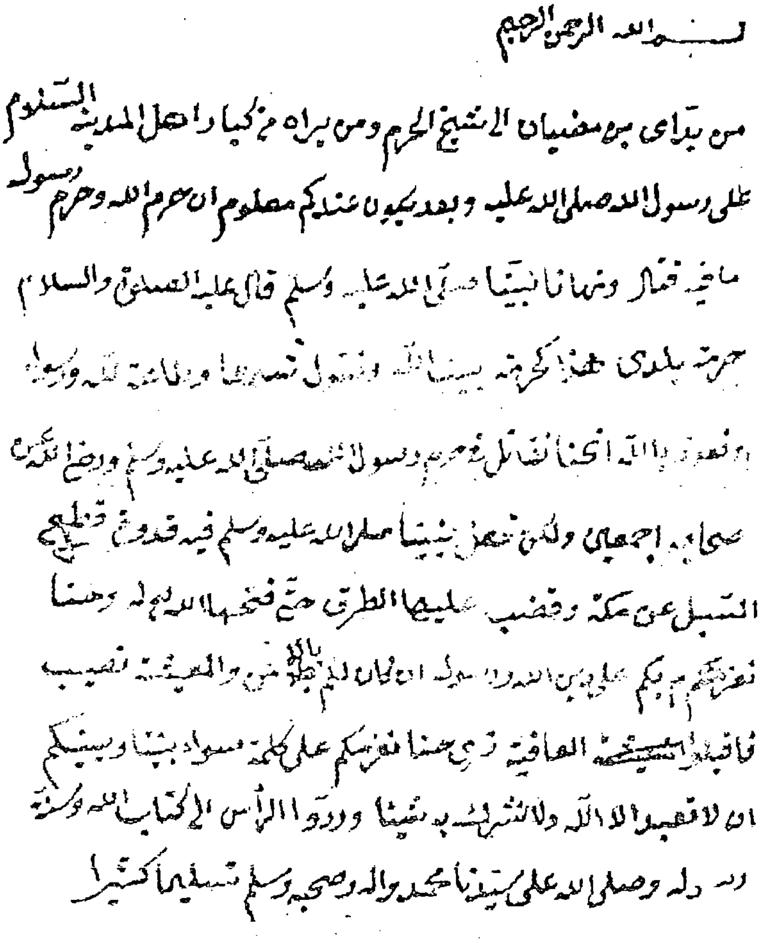
ولكن الكتاب خلي من شخصيات أخرى لا تقل أهمية عن الشخصيات المذكورة فيه، بل قامت بأدوار تاريخية أكبر مما قام به بعض من أوردهم الكتاب، ومن أولئك بالتحديد: أعيان أسرة آل مُضَيَّان أمراء قبيلة حرب في الحجاز، الذين وفدوا على الدرعية في حدود سنة ١٢١٤هـ، أي قبل كل من عثمان المضايفي وعبدالوهاب أبو نقطة، وقاموا بدور أساسي في انضمام المدينة المنورة وما حولها في حاضرة الدولة السعودية، ونشروا الدعوة السلفية بين قبائل المنطقة، وشاركوا في مقاومة حملة طوسون باشا إلى أن وقعوا في يده بعد سقوط المدينة، فقتل من قتل، وأُسِرَ كبيرهم مسعود بن مضيان، وأُرْسِل إلى مصر ثم إلى استنبول فشنق هناك سنة ١٢٢٨هـ، أي أنه لقي نفس مصير عثمان المضايفي.

كما أن الإجحاف التاريخي - إذا صح التعبير - لا يتوقف على تجاهل دور ابن مضيان كواحد من أشهر القادة السعوديين، بل يتعدى ذالك إلى اتهام قبيلته بالتعاون

مع قوات محمد علي، فقد ورد في الكتاب المشار إليه ص ٤٠ ما نصه: (ثم وصلت إلى طوسـون باشا تعزيزات عسكـرية جديدة من مصـر، كما وصلت إليه مبالـغ مالية كبيرة، فنجح في استمالة عدد من رؤساء قبيلتي حرب وجهينة... إلخ).

أقول: وهذا أيضًـا من الأخبار التي تحتاج إلى مراجعة تاريخيـة، وسوف نستعرض بإيجاز فيمـا يلي بعض أخبار أمراء آل مضيـان وقبيلتهم مع الدولة السعـودية الأولى، فنقول وبالله التوفيق:

بادي بـن بدوي بن مضيّان: وهـذا الشيخ هـو الـذي وفـد على الإمــام عبـدالعــزيــز بن محمـد بـن سعـود في الـدرعيــة سنـة ١٢١٤هـ تقــريبًا وبايعه على مناصرة الـدعـوة، وبـذالك انضمّــت معظـم قبــائل حــرب إلى الـدولـة السعـودية الأولى. وتُوفـي هذا الشيـخ سنــــــة ١٢١٧هــــ مصـابًـا بـالجـــدري فخَلَفـه أخـــوه بـــدَّاي كمـــا سيأتي.



الشكل رقم (١)

صورة مصغرة من كتاب الشيخ بداي بن مضيـان إلى كبار أهل المدينة أثناء حصار الجيش السعودي بقيادته للمدينة المنورة، وهو الكتاب المشار إليه في الكتاب المرفوع من أهل المدينة إلى السلطان في ١٩/ ١/ ١٢١٨هـ.

بَـدَّاي بن بدوي بن مضيّـان: تـولّى بعد أخيـه وكان لـه دور نشط وشهرة كبيـرة في أحداث ضَمِّ الحجاز للدولة السعوديـة الأولى وتوفي سنة ١٢٢٠هـ فخلَفه مسعود بن مضيان. كما يقول ابن بشر(١).

وكان لهذا الشيخ دور بـارز في حوادث ضم الحجاز إلى الدولـة السعودية الأولى وخـاصة خـلال الفترة مـا بين ١٢١٧هـ حتى ١٢٢٠هــ، حيث باشـر قيادة القـوات السعودية التي حاصرت المدينة خلال تلك الفترة(٢).

مسعود بن بدوي بن مضيّان: من أعظم شيوخ القبائل في عصره، عـرف بالشجاعة والمهابـة وكثرة الاتباع، وكان من أبـرز قادة الإمام عبـدالعزيز وابنه سعـود، وله دور لا يُنْسَى في دَحْر قـوّات طوسـون باشا فـي وقعة الخَيْف التاريخيـة سنة ١٢٢٦هــ، وقد عيّنـه الإمام سعـود أميـرًا على المـدينة إلى أن قُتل وهـو يـدافع عنهـا في أواخر سنـة ١٢٢٧هـ كما سيمرُّ معنا.

وفيما يلي بعض أخبار آل مضيان مع الدولة السعودية الأولى:

مبايعة آل مضيَّان ودورهم في انضمام الحجاز: لـمْ يذكر المؤرخون النجديون السنة التي وَفَدَ فيها شيـوخ حرب من آل مضيان على الإمام عبـدالعزيز في الدرعيـة ليبايعوه وينضمُّوا إلى الـدولة السعوديـة الأولى، وكل ما ذكره ابن بشـر إشارة عابـرة أوردها في حـوادث سنة ١٢٢٠هــ في الكـلام عن ضم المـدينة حيث قـال: (... وذالك أن آل مضيّـان رؤسـاء حـرب وهُمَـا بَـادي وَبـدَّاي ابْنَي بـدوِي بن مُضَيّـان ومن تبعهم من عربـائهم أحبُّوا المسلميـن ووَفَدَا على عبدالعـزيز وبـايعوه، وأرسل معهم عثمـان بن عبدالمحسن أبا حسين يعلّمهم فرائض الدين ويقّرر لهم التوحيد... إلخ)(٣).

وبالرغم من أهميـة هذا الخبر فإن ابن بشر لـو لم يُدَوّنه في تاريخه، ولـولا علاقته بأخبار المـدينة لسقط من تـواريخ نجد. وأعتقد أن وفـادتهم على الدرعيـة ومبايعتهم كانت في حدود سنة ١٢١٤هـ أو قبلها بقليل وذالك للاعتبارات التالية:

١- أن الإمام عبدالعزيز بن محمد تـوفي سنة ١٢١٨هـ رحمه الله، وأن مبايعتهم له كانت قبل وفاته بالطبع.

٢- أن الشيخ بادي بن بدوي بن مضيّان شيخ حرب المذكور توفي سنة ١٢١٧هـ[٤]، أي بعد المبايعة!

٣- يذكر ابن بشر: أن حربًا بعد مبايعتهم للسعوديين اتفقوا مع الإمام عبدالعزيز على فتح المدينة، فبَنَوا قصرًا في عواليها وحاصروا المدينة وأقاموا على ذالك سنين، فإذا علمنا أن فتح المدينة تم سنة ١٢٢٠هـ[٥]، فإن قوله: سنين يقدَّر له بعدّة سنوات قبل فتح المدينة. ومع أن ابن بسَّام في «تحفة المشتاق» يذكر أن حصار المدينة دام سنة ونصفا[٦]، إلا أن ذالك لا ينفي ما ذهبنا إليه إذا ما أخذنا في الاعتبار القرائن المذكورة، وأن هناك مدّة بين مبايعة آل مضيّان وبداية حصارهم للمدينة، أو أنه لم يأخذ في الاعتبار المناوشات السابقة للحصار.

٤- تشير بعض التقارير التركية إلى انضمام القبائل المجاورة للمدينة إلى ابن سعود سنة ١٢١٥هـ[٧].

٥- تشير وثيقة تركية مؤرخة في ٥/ ٧/ ١٢١٥هـ، إلى اقتراب القائد السعودي بادي بن مضيان من مشارف المدينة المنورة، وتصدي حاميتها له، وذالك في خطاب مرسل من الباب العالي إلى محافظ المدينة وشيخ الحرم وغيرهما من الأعيان، محفوظ في سجلات المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة جاء فيه: (حضرة عبدالله أفندي، لازال في حرز المعيد المبدي وجناب حضرة الماس آغا شيخ الحرم وخادم ضريح خير البرية، ومعدن العلوم الكرام وجناب المحترم قائم مقام محافظ طيبة الفيحاء سعيد آغا وزيرنا المكرم وكافة السادات الكرام سلالة سيد الأنام وخطباء المسجد الشريف الأمجاد وكافة الأغوات خدام روضة سيد العباد وكوخي العباد المكرمين وعمد الأوجاقات المحافظين سلمهم الله بجميع وجعلهم في صون حرزه المنيع. وبعد، فقد وصلت جميع كتبكم إلينا واتضح مفهومها لدينا وماشرحتموه من طرد بادي وقمع كل باغٍ ومعادي.. إلخ في ٥/ ٧/ ١٢١٥هـ)[٨].

٦- الخطاب الموجه من بدَّاي بن مضيان إلى أهل المدينة يحثهم فيه على تسليم المدينة والانضمام إلى السعوديين - المنشور صورته -، ومع أن الخطاب غير مؤرخ،

إلّا أنه يتضح من سياق الأخبار التاريخية أنه كتب في آخر سنة ١٢١٧هـ، لأن أهل المدينة قد أشاروا إلى كتاب ابن مضيان في خطابهم المرفوع إلى السلطان العثماني، بتاريخ ١٩/ ١/ ١٢١٨هـ[٩].

استيلاء ابن مضَيَّان على يَنْبُع سنة ١٢١٩هـ: لقد أدَّى انضمام ابن مضيّان للسعوديين إلى زيادة حدّة الصراع بين السعوديين والشريف غالب شريف مكة، ولعبَت قبائل حرب دَوْرًا هامًا في توسع السعوديين غربًا في صراعهم مع الأشراف إلى أن انتهى الأمر بدخول الحجاز في تبعيتهم أخيرًا. وما حادثة ينبع هذه سوى جزء من هذا الدور الذي قام به ابن مضيّان خير قيام. حيث تذكر مصادر الشريف أن الشيخ بدّاي بن مضيان ومعه شيخ جهينة قد استولى على ينبع سنة ١٢١٩هـ وأخرج منها وزير الشريف، يقول المؤرخ أحمد زيني دحلان: (... وفي شهر صفر جاءت الأخبار أن بَدَّاي شيخ حرب دخل ومَن معه في (الطِّين) واستولوا على ينبع ومعه ابن جُبارة شيخ جهينة وخَدَعَا وزيرها بعد قتال وحصار وإغارة... إلى أن يقول: ودخل بدّاي وابن جبَارة ينبع مع كثير من حرب وجهينة)[١٠].

ثم يفيد نفس المؤرخ أن بدّاي بن بدوي بن مضيان بعد أن استولى على ينبع عَيّن أحد أقاربه أميرًا فيها وتركها، ثمّ إن الشريف داهمها بقوّات برية وبحرية واستردَّها بعد عدة محاولات أثناء غياب الشيخ بدّاي بن مضيان عنها[١١].

دَور ابن مضيَّان في ضم المدينة سنة ١٢٢٠هـ: يقول ابن بشر: (وفي أول هذه السنة - ١٢٢٠هـ - قَبْل مبايعة غالب - شريف مكة - بايع أهل المدينة سعودًا عَلَى دين الله ورسوله والسمع والطاعة، وهُدِمَت جميع القِبَاب التي وُضِعَت فيها القبور والمَشاهد، وذالك أن آل مضيّان رؤساء حرب وهُمَا بادي وبَدَّاي ابني بدوي بن مضيان ومن تبعهم من عربائهم من حرب أحَبُّوا المسلمين ووَفَدا على عبدالعزيز وبايعوه، وأرسل معهم عثمان بن عبدالمحسن أبا حسين يعلّمهم فرائض الدين ويقرّر لهم التوحيد، فأجمعوا على حرب المدينة ونَزَلوا عَوَاليها، ثم أمَرَ عبدالعزيز ببناء قصر فيها فبَنَوه وأحكموه واستوطنوه، وتبعهم أهل قبَاء ومَن حولهم وضَيّقوا على

أهل المدينة وقَطَعوا عنهم السوابل وأقاموا على ذالك سنين، وأرسل إليهم سعود وهم في موضعهم ذالك الشيخ العالِم قِرناس بن عبدالرحمن صاحب بلد الرس المعروف بالقصيم فأقام عندهم قاضِيًا معلّما كل سنة يأتي إليهم في موضعهم ذالك. فلمَّا طال الحصَار على أهل المدينة وقَعَت المكاتبات بينهم وبين سعود من حَسَن قَلْعِي وأحمد الطيّار والأعيان والقضاة، وبايعوه في هذه السنة)[١٢].

تعيين ابن مضيان أميرًا على المدينة سنة ١٢٢٠هـ: لا يذكر المؤرخون النجديون وعلى رأسهم ابن بشر شيئًا عن تعيين أمير المدينة من قبل السعوديين بعد استيلائهم عليها مع أن المصادر الحجازية تشير إلى أن الإمام سعود عَيّن الشيخ بَدَّاي بن مضيان أميرًا على المدينة وعلى قبائل حرب المحيطين بها، ثم توفي بداي وحل محله مسعود بن مضيان[١٣].

وقد ذكر الدكتور عبدالباسط بدر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز قد عيّن مبارك بن مضيان الظاهري الحربي أميرًا على المدينة وقائدًا للمرابطين، وكان مبارك قد أسهم في بناء القصر في العَوَالي وسُمِّيَ فيما بعد باسمه واستمرت إمارته إلى نهاية الحكم السعودي أي سبع سنوات وبضعة أشهر.. إلخ[١٤].

أقول: والصحيح أن الشخص المقصود هو مسعود بن مضيان وليس مبارك.

ولكن د. بدر ينقل إما عن الجبرتي أو عن البرادعي في: «تاريخ المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي»، وكلاهما قد وقعا في هذا الخطأ.

ويذكر البرادعي أن الأمير ابن مضيان قد سكن بالساحة وعرف سكنه بسقيفة الأمير نسبة إليه، والدار هي وقف الحمصاني ومعمورة حتى اليوم ويسكنها الشيخ محمد مرسي الذي يعمل بالمسجد النبوي الشريف كما أن من آثاره القلعة التي عرفت باسم قلعة ابن مضيان[١٥].

كما أشار إلى ذالك لوريمر في كتابه «دليل الخليج»، وهو يتكلم عن حوادث انضمام المدينة للسعوديين، فذكر أنه تم استبعاد الحاكم التركي، وَوُضِع أحد شيوخ قبيلة حرب مكانه[١٦].

وفاة الشيخ بـدّاي بن مضيان سنـة ١٢٢٠هـ: في آخر سنة ١٢٢٠هـ توفي الشيخ بدّاي بن بـدوي بن مضيان بعد اصابتـه بمرض الجدري، وقد عيّن الإمـام سعود أخاه مسعـودًا بن بدوي بن مضيّـان مكانـه زعيمًـا لقبيلة حـرب - حيث يقول ابن بشـر في تاريخـه: (وفيها مـات رئيس حرب بـدّاي بن بَدَوي بـن مضيَّان بِعلَّة الجُـدَري، وولّى سعود مكانه أخاه في بوادي حرب)[١٧].

وكَذَا المؤرخ النجدي الشيخ إبراهيم بن عيسى ذكر هذا الخبر سنة ١٢٢١هـ[١٨]، وكذالك فعل صاحب «تحفة المشتاق»[١٩]، وقد يكون أحدهما نقل عن الآخر.

ابن مضيَّان يَحجُّ مع الإمام سعـود سنة ١٢٢١هـ: يقول المؤرخ ابن بشـر:(وفيها حَجّ سعود بن عبدالعزيز رحمه الله، بالمسلمين حجّته الثالثة، خَرَجَ من الدرعية ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة من ذي القعـدة. وكان قد سَيَّرَ قَبلَ خِروجه وقت انسـلاخ شهر رمضان عبدالوهاب بن عـامر برعاياه من عسير وألْمَع وغيرهـم، وفهّـاد بن سالم بن شكبان بأهل بيشة ونـواحيها، وعثمـان المضايفي بأهل الطـائف ونواحيـه وأهل اليمن وتهامـة وأهل الحجاز... إلـى أن يقول: ثم سَيَّـرَ أمامه من أهـل نجد حجَيلان بـن حمد بشوكـة أهل القصيم، ومحمـد بن عبـدالمحسن بن علـي بشـوكـة أهل الجبل ومن تبعـه من شمّـر وغيرهـم وشوكة أهـل ناحية الوشم، وَوَاعَدَهـم المدينة النّبَـوِية. واجتمع معهم مسعود بن مضيّان واتبـاعه من حرب، وذالك لأن سعودًا خـاف من غالب شريف مكّـة أن يُحدِثَ عليه بسبب دخول الحَوَاج الشامية واتباعهم في مكـة. فرجع عبدالله العظـم باشا الشام ومن تبعـه من المـدينـة إلى أوطـانهم، ثم رحل هـاؤلاء الأمراء واتبـاعهم من المـدينـة وقَصَدوا مكة فاجتمعوا فيها بسعود فاعتمَروا وحَجّوا على أحسن حال)[٢٠].

اشتراك مسعـود بن مضيّان في مقاومـة القوّات المصرية سنـة ١٢٢٦هـ: لمّا وَصَل طوسُون باشـا بقوّاته أرض ينبع البحر وبدأ يُقيم معسكراته خـارجها استعدادًا للزحف صَـوْب المدينـة حَدَث أنّ فـرقة سعـوديـة مكوّنـة من قبائل جهينـة وحرب المُـوَالين للسعوديين بقيادة كل من الشيخ جابر بن جبـارة من شيوخ جهينة ومسعود بن مضيّان أغـارت على العساكـر واشتبكت معهم في وقعة جـريئة، وذالك يـوم ٤ رمضان سنـة

١٢٢٦هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٨١١م، لكنّ هذه الفرقة لم تصمُدْ أمام قوّات طوسون باشا على حد قول مصادر محمد علي، ممّا اضطرّ هذين القائدين إلى التراجع والانضمام إلى القوات السعودية المحتشدة في بدر لملاقاة الحملة المصرية[٢١].

وعن حجم القوات السعودية المحتشدة حول ينبع يقول محمد علي في أحد تقاريره المرفوعة إلى السلطان العثماني: (.... وقد عَلِمُوا - أي العساكر - بالتحقيق أن على رأس الجيوش الوهابية عبدالله بن سعود بالذات، يصحبه أعاظم رؤساء الوهابية، وبينهم محمد بن شكبان وأبو نقطة ومسعود بن مضيان وعثمان المضايفي وابن جبارة، ويبلغ عدد المقاتلة: أربعة آلاف من الهجّانة وخمس مئة من راكبي الخيول وألفًا من المشاة... إلخ)[٢٢].

وتقول إحدى الوثائق المرفوعة من محمد علي باشا إلى اسطنبول حول هذه الوقعة: (أقاموا - أي العساكر - خارج ينبع البحر وبينما هُم يرسلون رسائل التأليف والاستمالة إلى صنوف العربان، إذ هاجم الملعونان؟ المدعوّان جابر بن جبارة ومسعود بن مضيان أخص أصدقاء السعود وأهم رؤساء أنصاره مع ما استصحباه من حَشَرَات لا تُعَدّ، رُكبَانًا على الخيول الهجين، وحَمَلوا على العساكر المنصورة... إلخ)[٢٣].

وفي وقعة سُوَيْقة وبَدر سنة ١٢٢٦هـ: بعد زحف قوات طوسون باشا من ينبع إلى المدينة وأثناء اقترابها من بدر والسويقة (؟) حدث اشتباك بين العساكر وبين القوّات السعودية بقيادة عبدالله بن سعود الذي قاد قوّة كبيرة من أتباعه، كان من رؤسائهم مسعود بن مضيان وعثمان المضايفي ومحمد بن شكبان وابن جبارة وغيرهم. وتذكر مصادر محمد علي أنّ القوات السعودية انسحبت من أمام قوات طوسون بعد أن خسرت حوالي مئتين من القتلى في حين لا تذكر هذه المصادر شيئًا عن خسائر قوات طوسون[٢٤].

دوره في هزيمة طوسون سنة ١٢٢٦هـ: بخلاف الاعتقاد السائد بأن حربًا هم الذين سهّلوا دخول الحملات المصرية في بداية مجيئها، فقد لعبَ ابن مضيان وأتباعه من حرب دورًا حاسمًا في مقاومة هذه القوات، يوضح ذالك ما أورده ابن بشر

بعد أن ذكر خروج القوّات المصرية في حملتها الأولى ووصولها إلى الشواطئ السعودية وخروج الإمام عبدالله بن سعود بجنوده لمواجهتها، حيث يقول: (... فَنَهَضَ عبدالله بتلك الجنود ونزل الخَيْف المعروف من وادي الصفراء فوق المدينة النبوية واستعَدُّوا لإقبال العساكر المصرية. واجتمع معه من الجنود نحو ثمانية عشر ألف مقاتل وثمان مئة فارس. ولمّا نَزَل عبدالله بالخيف أمرَ مسعود بن مضيّان ومَن معه مِن بوادي حرب وجيش أهل الوشم أن ينزلوا في الوادي الذي في جانب منزلهم الذي هُم فيه مخافة أن يأتي معه دفعَة من الترك فيفتِكوا بالمسلمين). ويضيف ابن بشر أيضًا: (فالْتَقَى الفريقان وجعل عبدالله على الخيل أخاه فيصل بن سعود وحَبَاب بن قحيصان المطيري، فحَصَل قتال شديد وصَبَر الفريقان وكَثُرَ القتل في الترك والمسلمين[٢٥]، وصار عدّة وقائع ومقاتلات في هذا المنزل وابتُلِي المسلمون بَلَاء شدِيدًا)[٢٦]، ويقول أيضًا: (وأقاموا على ذالك نحو ثلاثة أيام فأرسل عبدالله إلى مسعود بن مضيان ومَن معه من حرب وأهل الوشم وأمرهم أن يَحمِلُوا على الترك، فأقبلوا وصار أوّل حملة عليهم مع جملة جنودالمسلمين فانهزمت العساكر المصرية لايَلْوي أحدٌ على أحد، وانكشفوا عن مخَيّمهم ومحطّتهم ووَلّوا مدبِرين وتركوا المدافع وهي سبعة والخيام والثقل والرحايل وكثير من السلاح وما في محلتهم من جميع آلات الحرب والذخاير)[٢٧].

ويقول صاحب «الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر» مع التحفظ على بعض عبارات هذا المؤلف المتحامل على السعوديين وأتباعهم: (فلما نفَدَت ذخاير الوَهّابي[٢٨] واوازغه واحتاج إلى رجوع النفس بَعَث [إلى] ابن مضيان من مكان مبعده عنه فيه فجاء معه ألف راية، فلما رَآه عسكر الوزير بهذا العدد قالوا هذا الوهابي الكبير يعنون سعود والذي في نجد ولده عبدالله، فأدبر عسكر الوزير مَمْشَى ثلاث ساعات على موضع يقال له بدر)[٢٩].

وقال في موضع آخر عن الشيخ مسعود بن مضيان: (والمذكور أعظم أقرانه في الشجاعة وهو الذي هَزَم عسكر الوزير المغفور له أحمد طوسون باشا ابن الوزير محمد علي باشا)[٣٠].

احتلال وادي الصفراء والاستيلاء على بعض قُرى حرب سنة ١٢٢٧هـ: بعد هزيمة طوسون باشا في وقعة الخيف السابقة مكث محمد علي باشا يجمَع الأموال ويُجَهّز القوّات من المصريين والأتراك والمغاربة وغيرهم حتى تكوّن له قوّة هائلة فأرسلها إلى ابنه أحمد طوسون الذي كان قد اتخذ يَنْبُع قاعدة عسكرية له وأخضع ما حولها من القبائل كجُهَينة وبعض قبائل حرب. وبعد وصول تلك الإمدادات له عاود طوسون باشا الكَرَّة على المدينة بعد سنة تقريبًا من وقعة الخيف ولكنْ بقوّات أكبر وخبرة أكثر هذه المَرّة. فلم يجد صعوبة في اكتساح قُرى حرب الصغيرة المتناثرة على الطريق بين ينبع والمدينة[٣١]، وبالطبع فقد سار مع قواته بعض أهل هذه القُرَى مسير المغلوب لا مسير الخائن لبلده وقومه، فمسيرهم هذا يشْبه مسير بقيّة أهل نجد الذين مرّت بهم تلك القوات وفتحت بلدانهم بالقوّة كأهل القصيم وغيرهم[٣٢].

استيلاء طوسون باشا على المدينة المنورة سنة ١٢٢٧هـ: كما تذكر المصادر التاريخية فإن الإمام سعود - رحمه الله - بعد وقعة الخيف رحل بقواته إلى مكة وحج ثم عاد إلى نجد بعد أن ترك في المدينة حامية من أهل نجد مع مسعود بن مضيان. أما طوسون باشا فإنه بعد أن استولى على القرى والقبائل الواقعة في طريق المدينة تقدّم بجيوشه إلى أن وَصلَ أطراف المدينة وبدأ الحصار والحرب للاستيلاء عليها، وقد استبسل المرابطون السعوديون في الدفاع عن المدينة، لكن القوات المصرية التركية كانت تفوقهم في العدد وفي نوعية التسليح الذي عموده المدافع والقنابل وغيرها ممّا لا قبَل لأهل الجزيرة به.

ولنستمع إلى ابن بشر في حوادث سنة ١٢٢٧هـ حيث يقول: (في هذه السنة قَدِمَ من مصر أحمد بن نابرت على العسكر الذي في ينبع البحر مع أحمد طوسون وكانوا قد أقاموا فيه بَعْدَ وقعة الخيف المتقدّمة. فقَدِمَ عليهم ابن نابرت المذكور بعساكر كثيرة من مصر جهّزَها معه محمد علي صاحب مصر، فضَبَطوا الينبع وتبعهم بقيّة عربان جُهَينة واستالوا - هكذا - على ينبع النخل. ثم على وادي الصفراء وبلدان بوادي حرب. ثم ساروا قاصدين المدينة النبويةوسار معهم بوادي حرب، فنزلوا على

المدينـة منتصف شوال وحـاصروهـا أشد الحصـار ونصَبُوا عليهـا المدافع والقنـابر الكبـار- يقصد القنـابل أو راجمـاتهـا - وهدَمـوا نـاحية قلعـة البلـد، وحفروا عليهـا السراديب وثَـوَّروا فيها البـارود، وكان فيها عـدد كثير من جميع النـواحي جعلهم فيها سعود وقت قفولـه من الحج نحو سبعة آلاف رجل، لكنهم ابتلوا بالأمـراض المؤلمة، ثم إن العسـاكر المصـرية كـادوهم بكل كيـد وسَدُّوا عنهم الميـاه الداخلـة في وسط المدينة، وحفَـروا سِردابًا تحت سـور قلعة المدينة وملـؤوها بالبارود وأشعلـوا فيه النار، فانهـدم السور فقاتلهـم من كان فيها من المـرابطة قتالًا شـديدًا، ثم إن أهل المـدينة فتحـوا للترك بـاب البلد، فلم يَـذْرِ المرابطـة إلّا والـرمي عليهم من الترك داخل البلـد وذالك لِتِسْعٍ مَضَيْنَ من ذي القعـدة، فانحـاز المرابطـة وجنود المسلمين إلى القلعـة فاحتصروا فيها. وكانت ضيّقة عليهم من كثرتهم، وصار فيها خلق كثير يرتكم بعضهم على بعض وَنصَبَ التـرك عليهم القنـابر والمـدافع. فكـانت القنبـرة إذا وقَعَتْ وسَط القلعة أهلكت عـددًا من الرجال، فكثر فيهـم المرضى والجرحى. فطلبوا المصـالحة بَعْد أيام، فنزلوا منها بالأمان)[٣٣].

ويقول: (وهَلَكَ في هذه الواقعة من المسلميـن بين القتل والوباء والهلاك في البر بعد ما خـرجوا من المدينة وقبل أن ينزل عليهم الترك نحـو أربعة آلاف رجل من عسير وأهل بيشة والحجـاز وأهل الجنوب وأهل نجـد، وظهر باقيهم إلـى أوطانهم، وأمسك الترك حسن قلعي وعذبوه بأنواع العذاب وبعثوه إلى مصر)[٣٤].

نهاية الشيخ مسعود بن مُضَيَّـان آخر سنة ١٢٢٧هـ: من المؤسف حقًّـا أن المؤرخ عثمـان بن بشر لم يـذكر شيئًـا عن مصيـر الشيخ مسعود بن مضيـان، ولعلّ له عُـذرًا ونحن نلـوم. لكنّ الله قيَّض لهـذا البطل مَن يـؤرّخ لقصـة نهـايتـه. فقـد سجل ذالك صـاحب كتاب «الـدرر المفاخـر» الذي يميل في تـاريخه إلى جـانب قوّاد الحملـة المصرية وبعض القـواد العثمانيين. حيث قال وهو يُعَدّدُ القوّاد الـذين أسَرَهم محمد علي بـاشـا وأولاده من أهل الحجـاز ونجد: (ومِـنْ الأسرَى المـذكـورين مسعـود بن مضيّان وهو مِن نواحي الحجاز وساكن المـدينة المقدَّسَة على ساكنها أفضل الصلاة

وأزْكَى التسليمات، والمذكور أعظم أقرانه في الشجاعـة وهو الذي هَزَم عسكر الوزير المغفور له أحمد طوسون باشا)[٣٥].

وقال في موضع آخـر عن قصة مقتله بعد أن وَصَف الاستيـلاء على القلعة واستلام من بقي من مـرابطـة المـدينـة: (فبقِيَ مسعـود بن مضيَّان في قصـره مُحتَصَـرًا- أي مُحاصَـرًا- حاير الأفكـار، فدَعَوْهُ بِـلا أمان وطَلَبَ الأمان فـامتنع الوزير وقـام إبراهيم نابرتـه وكَتبَ له على لسان الوزير أنك آمنٍ، فأقبَلَ وأكـرَمَه الوزير اكرامًا مفـرِطًا، فلمَّا انتهى إلى ثلاثة أيام كل يوم أعظم إكراما ممّـا قَبْله وجاء نهار رابع أوثقوا قيُودَه وناقَشوه في أفعاله، فَمَا أجاب بحُسْنَى ولا سَيِّئة لمعـرفته بالهَلاك، ومنهم حسن القلعي ضابط الحُجْرة الشريفة أخباره تطول)[٣٦].

ويؤكد محمد علي بـاشا نفسه استبسال المدافعين عن المدينـة بقيادة مسعود بن مضيان فيقـول: (إنهم ثبتوا ثبـاتًا عنيـدًا في الدفـاع زاعمين أن مدلـول النظم المجيد ﴿**ولا تحسبن الـذين قتلوا في سبيل الله أمـواتًا بل أحيـاء عند ربهم يـرزقون**﴾ في حق أمثالهم من المبطلين، واعتقدوا أن هذا الدفـاع يكون لهم ذخرًا أخرويًا، لا جَرَم حصَل الإضطـرار إلى حفر الألغـام والنسـافات من تحت الأرض.... إلـخ). ثم يذكـر أنهم تمكنوا من اقتحام قلعة المدينـة وافناء جميع المقاتلين والعفو عن بعضهم، ثم يقول: (بَيْد أن اللعين المـدعو ابن مضيان المحـروم من الإيمان من أعـاظم رؤسائهم أوقف عند الباشا...)[٣٧].

ويوضح محمد علي باشا حنقـه على الشيخ ابن مضيان فيذكر أن ذالك لا يتوقف على كونـه قائد القـوات السعودية في المـدينة بل يذكـر أنه لعب دورًا بـارزًا في نشر الدعوة وضم كثير من قبائل الحجاز إلى الدولـة السعودية معتمدًا على مكانته وقبيلته الكبيرة الكثيرة النفوس، كما يقول[٣٨].

كما ورد في إفـادة أخرى من محمد علي بـاشا إلى منـدوبه في استامبـول: أنه تم الاستيلاء على قلعة المدينة في ١٧ ذي القعدة سنـة ١٢٢٧هـ، وأنه قد تم أسر الشيخ ابن مضيَّـان، والتحفظ عليه لـدى طوسـون باشـا في الحجاز استعـدادًا لإرساله إلى

استامبول[٣٩]. وإلحاقًا لرسالة محمد علي السابقة، فقد بعث برسالة أخرى بهذا الخصوص جاء فيها: (كنت قد سطَّرت لكم قبل الآن أنه سقط في اليد في وقعة المدينة المنورة كبير مشايخ قبيلة حرب ابن مضيان... وتُرِكَ لدى ولدنا طوسون باشا. وقد أرسل الباشا المومَى إليه المزبور إلى طرفي، وأنا بدوري قد أرسلته إلى الدار العلية مع ولدي كامل إسماعيل باشا... إلخ)[٤٠].

كما أنّ إحدى الوثائق المصرية قد أشارت إلى مقتل مسعود بن مضيان ضمن تقرير مرفوع من محمد علي إلى اسطنبول حول مصير الأسرى من القوّاد السعوديين، حيث تذكر الوثيقة أنه تَمّ قتل بعضهم وإطلاق سراح البعض الآخر في حين تَمّ استبقاء مسعود بن مضيان ثم قتله من قبل الدولة وقوادها[٤١].

كما يذكر الرحّالة السويسري بوركهارت الذي كان في الحجاز أثناء وجود محمد علي بها قصة نهاية مسعود بن مضيّان بشيء من التفصيل فيقول: (أما مسعود بن مضيّان، الذي جعَله سعود شيخًا لكل قبيلة حرب ووضع تحته عددًا من القبائل الأخرى، فكان قد رَغِبَ في ألّا يقفل على نفسه داخل المدينة. وذهَبَ مع أسرته وأربعين رجُلًا من أتباعه إلى بيت في بستان كان قد حَصَّنه على بُعد ساعة من تلك البلدة.. إلى أن يقول: لكن حينما استسلَمَت القلعة، وذبح أكثر رجال الحامية نَهَبَ الأتراك بيته وقَتَلوا أبناءه ورجاله وقيّدوه بالسلاسل، وأرسلوه إلى ينبع). ثم يذكر بوركهارت أنه أرسل من ينبع إلى القاهرة ثم إلى القسطنطينية حيث قطعت رأسه[٤٢].

وأخيرًا فقد أشار بوركهارت إلى غدر رجال محمد علي باشا بأهل المدينة ومنهم مسعود بن مضيان حيث لم يراعوا عادات أهل الجزيرة التي تحترم العهود وشروط الأمان التي أعطوها للقواد السعوديين فقال: (وكان تصرّف الأتراك الغادر في المدينة اجرَاءً غير حكيم. ذالك أنهم كانوا يتحاربون مع عَدُوٍ مشهور بتمَسُّكِهِ الشديد بالنيّة الطيّبة في تنفيذ وعده بالأمان متى ما وَعَدَ بِه. وقد أثار ذالك التصرف اشمئزاز كل البدو كما وَصَمَ، مع التصرفات الأخرَى المشابهة والتي سأذكرها فيما بعد، اسم الأتراك بالعار في كل الحجاز... إلخ)[٤٣].

كما أورد المؤرخ أحمد زيني دحلان خبَـر مقتل مسعود بن مضيان بعبارة مختصرة جدًا فقـال: (... وكان عثمان المضايفي قـد بَعَثوا به إلى مصر ومعـه ابن مضيّان قبل وصول محمـد علي باشـا إلى جدّة فلم يلتقِ بـه، ووصل عثمان المضـايفي إلى مصر في منتصف ذي القعـدة فأركبوه على هجين وأدخلـوا في ألآي لِيَرَاه النـاس ثمّ أرسلوه إلى دار السلطنة ومعه ابن مضيّان فطافوا بهما في اسلامبول ثم قتلوهما)(٤٤).

علاَقة حَـرْب بالحَمْلة المِصريّة الأولى (طوسـون باشا): لعَلّ من أبرز مظاهر خطأ الاعتقاد السـائد حول دور قبيلة حرب أيضًـا، ما وقع فيه بعض المـؤرخين المتأخّرين من الخَلْط بين أخبـار قبائل حـرب مع الحملة الأولى وأخبـارهم مع الحملة الثـانية، ومن ذالك مثلًا ما أورده السباعي في «تاريخ مكة» ثم نقله عنه البلَادي، حيث ذكَرَ في أحداث سنة ١٢٢٧هـ أن طوسون باشـا: (شَرَعَ يكتب سِرًا إلى غالب فـي مكة وكِبار مشـايخ حرب)، ويضيف البـلادي نقلًا عن تلك المصـادر: (وأَخَذَتْ قيـادة الجيش المصري تصُبُّ أمـوالها وهـداياها للعـربان في ينبع والبـوادي صَبًّا. فَمِن ذالك أنهّم أعطوا كبير مشايخ حرب مئة ألف ريال ورَتّبُـوا له رواتب شهرية كانت تُصَرف له دون إبطـاء، فخَفَّتْ قبائل حـرب لمساعـدة المصريين وتقَـدّم رجالهم أمـام الجيش حتى أدخلوهم المـدينة في ٢ ذي القعـدة من السنة المـذكورة بعـد أن قبَضوا على أميـرها السعودي علي بن مضيان)(٤٥).

أقول: إنّ هذا القول وما شابهه يـدل على عدَم دقّة ما كُتب حول دور قبائل حرب، ومثل هـذا النقل الذي سـاعد على ترسيـخ هذا المفهوم الخـاطئ عن انضمـام قبائل حرب إلى الحملات المذكورة، وللتدليل على بطلان هذا التقرير نكتفي بما يلي:

١ - أن قـوله: (بَعْـد أن قَبَضُوا على أميـرهـا السعودي عَلِي بن مَضَيّـان) إنّمَا هـو تصحيف لعبـارة: قَبضُوا على ابن مضيـان أميـرها السعـودي! فلم يُعرَفْ في أسـرة آل مضيّان شيخًا اسمه علي! كما أن عبارة دحلان تثْبت خطأ ما ذهب إليه السباعي ومن نقل عنه، لكنّ عدم التحقيق حَوّل حرف الجر (عَلَى) إلى اسم عَلَم وهو عَلِي!

٢- إذا كان شيخ حرب فـي ذالك الوقت هو الشيخ مسعود بن مضيـان الذي كان يقاتل في صفوف السعـوديين حتى اسْتُشهد هو ومعظم أتباعـه من آل مضيان وغيرهم وهم يدافعـون عن المدينـة فكيف يَتّفق هذا مع مـا ذكرته تلـك المصادر من أن شيخ حرب كافّة كمـا يقول أحمد زيني دحلان: قد حضر ومعه أكـابر العربان وحصل على مئة ألف ريال فرانسة... إلخ)[٤٦].

إن هـذا الخبـر المتنـاقض قـد شكك بـه بعض المـؤرخين المحـايـدين، ومنهم الدكتـور سعد بديـر الحلواني، الذي علق على هـذا الخبر بقولـه: (... وتغالي بعض المصادر في ذكر الـرشاوي والهِبات التي كانت تعطَى لتلك القبائل فيـذكر أحدهم: أن كبير مشايخ حـرب حصل على مئة ألف ريال، ورَتبوا له رواتب شهريـة وقد خصَّه من المبلغ ثمانية عشر ألف ريال - بَيْـد أن هذا لا يمكن تصديقه لأن مثل هذا المبلغ كبير جدًا يكفي لتجهيـز جيش بأكمله في ذالك الوقت، ويبدو أن السبـاعي ناقل من الجبرتي إذ عثرت على نفس التقدير عنده)[٤٧].

أقول أيضًـا: أما إن صَحَّ ما قيل عـن إعطاء المخصّصَات المـذكورة لزعمـاء قبيلة حرب أثناء حملـة طوسون باشـا فيحتمل أن يكون المقصود به مـا دُفع من تعويضات عن مقتل الشيخ جزا الأحمدي من قبَل وزير محمـد علي في المدينة سنة ١٢٢٩هـ، يقـول بـوركهـارت: (وتسلم شيخهم الجـديد وزعمـائهم الصغـار هـدايـا ثمينـة من طوسون، كمـا دُفِعَت دِية جَزا إلى أقاربـه حسب التقليد البدوي)[٤٨]، أو أنّ المقصود ما دفعـه إبراهيم بـاشا لغـانم بن مضيان من تعـويضات عن مقتل الشيخ مسعـود بن مضيان وهذا ما حصل بعد حملة طوسون بعدّة سنوات.

٣- كما يذكر الشيخ عثمان بن بشر فإن مكاتبـة غالـب للمصريين إنّمَا كانت بعد سقوط المدينـة وتوَجُّه العساكر إلى مكة لأن هذه الحادثة أضعفـت موقف النجديين وشَجّعَتْ الشريف غالب على مكاتبة طوسون[٤٩].

٤- لـم يشتهر في المصـادر التاريخية - وخـاصة الوثـائق المصرية المتبـادلة بين محمد علي وقوَّاده - صراحة أن قبيلة حرب سَهَّلَـت مُهمّة حملة طوسون باشا، مع أن

تلك الوثائق تذكر بالتفصيل كل ما يتعلق بتحركات قواتهم والموالين لها. والحقيقة أنه لم يَسِرْ معها من قبائل حرب إلّا من تمّ اخضاعهم وفتح بلدانهم بالقوّة(٥٠).

بل إن المؤرخ المحايد الرحالة السويسري بوركهارت يذهب إلى أبعد من هذا القول ويؤكّد أن قبائل حرب لم تنفع معهم إغراءات طوسون باشا وقواده، بل هم الذين ظلُّوا مصدر الخطورة الذي يقلق قوات محمد علي، حيث يقول وهو يتكلم عن علاقة قبيلتي جُهَينة وحرب مع طوسون: (... لكنّ القِسم الأكبر من تلك القبيلة- أي جهينةِ وكل قبيلة حرب المجاورة لها بَقوا غير مبَالين بإغراءاته)(٥١).

ويضيف بوركهارت أن طوسون استولى على وادي الصفراء بعد قتال مع رجال قبيلة حرب وواصل تقدمه إلى مضيق الجدَيّدة فيقول: (وفي ذالك المَمَر الضَّيّق الذي يمتَدُ طوله ساعة ونصف الساعة فوجِئ الجيش التركي بهجوم قوّة موحَدة من قبيلة حرب)(٥٢).

ليس هذا فقط بل إن محمد علي باشا نفسه، قد وَصَف مسعود بن مضيان بأنه من أخص أصدقاء ابن مسعود وأعظم أنصاره، حسب ماوَرَد في وثيقة رفعها للدولة التركية في ٥/ ١١/ ١٢٢٦هـ يخبرهم عن حادثة أول اشتباك بين قواته وقوات السعوديين(٥٣).

بالإضافة إلى هذا فإن المصادر التاريخية تؤكد على أن قُرَى حرب الصغيرة مثل بَدر ووادي الصفراء والفُرع وغيرها لم تُسَلّم بسهولة. فقد جاء في «الأطلس التاريخي للدولة السعودية»: أن طوسون باشا أغرى أحد شيوخ القبائل من غير قبيلة حرب بالخلع والأموال والهدايا، فاستمال ذالك الشيخ عددًا من مشايخ العربان قاموا للقوات المصرية بعمليات الاستكشاف: (وبمساعدة هاؤلاء تمكّنت قوّات طوسون من الاستيلاء على السويقة وبَدر بَعد عِرَاك طويل مع القوات السعودية. وسرعان ما حَلّت بالقوّات الزاحفة هزيمة كبَرى في أول اشتباك لها مع القوات السعودية بقيادة عبدالله بن سعود ومسعود بن مضيّان في ممر وادي الصفراء)(٥٤).

ومما يؤكد ذالك أيضًا ما جاء في أحد تقارير محمد علي باشا إلى الباب العالي والذي جاء فيه ما يلي: (... إن ما أرسل على وجه الاستعجال بمعية عبدكم أحمد آغا

يكن إلى جانب الحجاز برًا من أربعة فرسان من الكشافة [دليلان]، ورؤساء العرب المدعوين نصر الشُّدَيِّد، وصالح أبي شعير لما وصلوا بمنّه تعالى إلى الإقليم الحجازي مع ما استصحبوه من قبائل الحويطات والصوالحة ما خلوا عن الإغارة ليلًا مع مشاة العساكر المقيمين بينبع البحر والبر وعساكر المغاربة الذين أرسلوا بالأخرة تارة على قرى بدر حنين والمدينة المنورة وتارة أخرى على نجعات العربان في يمين مضيقي الجديدة والصفرا وشمالها وبدأوا يداومون على وسائل استملاك المضيقين وأخذهما بنهب أزواد الوهابية وذخائرهم واغتنامها حيثما وجدوا، وبالسعي في تضييق الخناق عليهم وفي صور تضعيف العدو حتى دخلوا المضيقين واستولوا عليهما بحمد الله سبحانه وتعالى)(٥٥).

أقول: فهذه النصوص وغيرها تدلُّ على أنّ قرَى حرب على ضعفها لم تَفَتَح أبوابها لقوّات طوسون وإنما وَقَعَتْ بعد مقاومة وعراك، كما أن عربان حرب وعلى رأسهم ابن مضيان وأتباعه لم يُقدموا التسهيلات لتلك القوات بل أذاقوها طَعم أوّل وأقسى هزيمة. كما أن نصَّ الشيخ ابن بشر لا يختلف كثيرًا عن هذا حيث يُفهَم منه أن قوّات طوسون استولت على بُلدان وعربان حرب استيلاءً عسكريًا لا عن طريق الأموال والهدايا(٥٦).

ونفس الشيء أيضًا نجده عند أمين الريحاني الذي يبدو أنه نقل عن ابن بشر، فقال: (في سنة ١٢٢٧ جاءت النجدات المصرية فأعاد طوسون الكرَّة على المدينة بعد أن احتَلّ ينبع النخل وضَمَّ إلى جيشه كثيرًا من أعراب جهينة وحرب)(٥٧).

وإذا ما استثنينا ما ذكرَه ابن بشر في أحداث سنة ١٢٣٠ من أن طوسون لمّا وصل القصيم: (أرسل عسكرًا ونَزَل الشّبيبِيَّة بين عنيزة والخَبْراء ومعهم بوادي حرب... إلخ)(٥٨).

أقول: إذا ما استثنينا هذا الخبر فإنه ليس هناك ما يدُلّ على قيام حرب بدور أدى إلى تقدم قوات طوسون باشا خلال فترة تواجدها في الحجاز ونجد الذي استمَرَّ حوالي أربع سنوات. علمًا بأن هذا المسير الذي ورَدَ اسم حرب فيه انتهى سِلْمًا بالصلح بين أهل القصيم وطوسون، وكفَى الله المؤمنين شر القتال!

بل وصل الأمر إلى أنّ هناك من العوَام من يُرَدّد أن بعض شيوخ حرب وبالذات الشيخ ابن جزا الأحمدي قد ذهب إلى مصر يستقدم محمد على باشا وجاء به إلى الحجاز. حيث يقول البلادي نقلًا عن أولئك العوَام: (إنّه سافر إلى مصر في سنة ١٢٢٤هـ أو التي بعدها وصاح تحت قصر محمد علي باشا وقال: إن ابن سعود قد ربَط الخيل في الحرم، وعندما جهَّزَ محمد علي جيوشه لِغَزو الجزيرة كان ابن جَزا هذا أوّل دليل لهم... إلخ)[٥٩].

أقول: وهذا من تخرُّصَات العَوام الساذجة التي لا تقوم على أساس تاريخي، فمحمدّ علي لم يأتِ بَناءً على طلب هذا الشيخ أو غيره، فالثابث من واقع والمصادر التاريخية أنه جاء بناءً على تكليف رسمي بعد طَلَبات متكَرّرَة من الباب العالي في استانبول بعد أن فقدَتْ الإمبراطورية سيطرتها على الحرمين الشريفين وأزعجها تَوَسُّع الدولة السعودية المستَقلّة الذي أصبح يُهَدّدُ قيادة الدولة العليّة ومكانتها الإسلامية. يقول مؤلف كتاب «مجموعة وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي»: (وأمَامَ هذا الموقف الذي أصبح السلطان العثماني يُقَدّرُ خطورته على كِيَان سيادته الروحية ومكانته الإسلامية في نَظَر العالَم الإسلامي لم يكن أمامه من سبيل يستطيع أن يَحِيد عنه سِوَى اللجوء إلى الوالي الذي اغتَصَب منه ولاية مصر اغتصابا، فاتّجَه مصطفى الرابع (١٨٠٧ - ١٨٠٨م) - صَوْبَ هذا الوالي، يطلُب منه أن يقوم بمحاربة آل سعود واسترداد الحجاز -- إلى أن يقول-: وأصدر إليه أول تكليف للقيام بهذا العمل بشهر ذي الحجة ١٢٢٢هـ الموافق ديسمبر ١٨٠٧م... إلخ)[٦٠].

أما قول البلادي: إن ابن جزا هذا كان أول دليل للمصريين، فهذا خطأ آخر حيث أن هذا يتنافى مع ما تنص عليه الوثائق المتبادلة بين محمد علي وقوّاده وبين محمد علي والدولة التركية وما تتناقله المصادر التاريخية من أن شيوخًا آخرين قاموا بهذه المهمّة من غير قبيلة حرب وقد سمَّتهم الوثائق والمصادر التاريخية، ونعرض عن ذكر أسمائهم إذ لا يتعلق لنا غرض بتسميتهم[٦١].

الرياض: فايز بن موسى الحربي

الحواشي:

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» ص ١٣٨.

(٢) وبالمناسبة فقد أطلقت أمانة الرياض - مشكورة - اسم هذا الشيخ على أحد الشوارع في الدرعية الجديدة اعترافًا بفضله.

(٣) «عنوان المجد»، لابن بشر، أحداث سنة ١٢٢٠هـ ج ٢ ص ١٣٧، وانظر «تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، تأليف: سنت جون فيلبي، ترجمة عمر الديراوي، مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ص ١٦٢/١٦٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٥) المصدر السابق، نفس السياق.

(٦) «تحفة المشتاق»، ص ١٠٦.

(٧) وثائق الأرشيف التركي، وثيقة رقم ١٩٦٩٣ خطي همايوني، كتاب من والي الشام عبدالله باشا إلى الصدارة العظمى، في / / ١٢١٥هـ.

(٨) سجل ١٣١/ ١، وثيقة رقم ٨٨، ورقة ٣٦.

(٩) أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول، وثيقة رقم ١٩٣١٢ خطي همايوني، بشأن الخطاب العربي المرفوع من شيخ العرب بداي بن مضيان.

(١٠) «خلاصة الكلام»، مصدر سابق، ص ٢٨٤.

(١١) المصدر السابق، نفس الصفحة وما بعدها.

(١٢) «عنوان المجد» لابن بشر، ص ١٣٧.

(١٣) «خلاصة الكلام»، ص ٢٩٥، و «مواد لتاريخ الوهابيين»، الرحالة بوركهارت، تحقيق: د. عبدالله العثيمين ص١٢٣ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ وكتابنا: «ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية»، للمؤلف، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ٣٥ وما بعدها.

(١٤) المصدر السابق، ص ٤٣٢.

(١٥) «المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي»، تأليف: أحمد بن صالح البرادعي، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ١٩٧٢، ص ١٣٠.

(١٦) «دليل الخليج»، ص ٥٩٤.

(١٧) انظر «عنوان المجد»، لابن بشر، أحداث السنة المذكورة ص ١٣٨.

(١٨) «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد»، ابن عيسى، ص ١٣٢.

(١٩) «تحفة المشتاق» لابن بسام، السنة المذكورة ص ١٠٧.

(٢٠) «عنوان المجد في تاريخ نجد»، لابن بشر، أحداث السنة المذكورة ص ١٤٠.

(٢١) «محمد علي وشبه الجزيرة العربية»، عبدالرحيم عبدالرحيم ج ١ ص ٣١٣/ ٣١٤.

(٢٢) أرشيف رئاسة الوزراء، وثيقة رقم ١٩٥٤٤، في ١٩/ ١١/ ١٢٢٦هـ.

(٢٣) انظر: دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر ١ معية تركي محفظة ٧٧ في ٥/ ١١/ ١٢٢٦هـ (٢١/ ١١/ ١٨١١م)

من محمـد علي إلى الباب العـالي. وانظر: «من وثـائق الدولـة السعوديـة الأولى في عصر محمـد علي»، تأليف الدكتور عبدالرحيم عبدالرحيم، ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢٤) كتاب «مجمـوعة الوثـائق»، د. عبدالرحيم، ج ٢ ص ٢٠٩، وانظـر دار الوثـائق القومية، دفتـر ١ محفظة ٧٩ في ١٩/ ١٢/ ١٢٢٦هـ/ ٤/ ١/ ١٨١٢م.

(٢٥) اعتاد مؤرخـو الدعوة السلفية وخـاصة ابن بشر وابن غنام على هـذه الصيغة في ظل تلك الصراعـات السياسية، لكن هذا لا يعني نفي الإسلام عن غيرهم.

(٢٦) و (٢٧) «عنوان المجد»، لابن بشر، أحداث السنة المذكورة، ص ١٥٨.

(٢٨) الـوهابيـة مصطلح أطلقه واستعملـه المناوئون لحكـومة الـدرعية، الـذين تحاملـوا على دعوة الشيخ محمـد بن عبدالـوهاب التي ناصرهـا آل سعود وحملوا راية الجهـاد لنشر التوحيد في ربـوع الجزيرة، لكن نجاحهم أثـار نار الحقد في قلوب أعدائهم فأرادوا تشويه هذه الدعوة والقائمين عليها.

(٢٩) «الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخـر»، تأليف محمد بن بسام النجدي، تحقيق سعود بن جمران العجمي، ص ١٥٨.

(٣٠) «الدر المفاخر في أخبار العرب الأواخر» ص ٤٢.

(٣١) «عنـوان المجد في تـاريخ نجـد» أحـداث السنة المـذكـورة، ص ١٦٠ وانظر: «الـدولـة السعوديـة الأولى»، د. عبدالرحيم عبدالرحيم، ط ٤، ج ١، ص ٣١٥.

(٣٢) «الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية» تأليف د. محمد السلمان ص ١٠٦.

(٣٣) و (٣٤) «عنوان المجد في تاريخ نجد»، أحداث السنة المذكورة، ص ١٦٠.

(٣٥) «الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر»، ص ٤٠. (٣٦) «الدرر المفاخر في أخبار الأواخر»، ص ٣٤.

(٣٧) دار الـوثائق القـومية - دفتـر ١ معيـة تركي، وثيقـة رقم ٩١، تقـرير من محمـد علي إلى البـاب العالي، بتـاريخ ٥/ ١٢/ ١١٢٧هـ، ص/ مكتبة الملك فهد الوطنية، فيلم ٤).

(٣٨) دار الوثائق القومية - القاهرة - دفتر ١ معية تركي، وثيقة رقم ٩٩، كتاب محرر إلى الباب العالي للإفادة بإرسال مسعود بن مضيان إلى الآستانة، بتاريخ ٥/ ١٢/ ١٢٢٧هـ.

(٣٩) دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٧١ تاريخهـا ١٢٢٧هـ، من محمد علي والي مصر إلى مندوبه في استامبول.

(٤٠) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، قسم الوثـائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١٢٨ وتاريخ ١٥/ ١/ ١٢٢٨هـ، خطاب مرسل من محمد علي باشا والي مصر إلى معتمده لدى الباب العالي نجيب أفندي.

(٤١) دار الوثـائق القوميـة، القاهـرة، دفتر ١ معيـة تركي رقم ٩١ في ١٥/ ١٢/ ١٢٢٧هـ (٢١/ ١٢/ ١٨١٢م) وانظر كتاب: «من وثـائق الدولة السعـودية الأولى في عهد محمـد علي باشـا» - تأليف د. عبدالرحيم عبـدالرحيم، ج ٢ ص٣٠٣ ط ١٤٠٣هـ.

(٤٢) «مواد لتاريخ الوهابيين»، الرحالة بوركهارت، ترجمة د. عبدالله العثيمين، ص ١٢٣ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ.

(٤٣) المصدر السابق ص ١٢٤.

(٤٤) «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام»، ص ٢٩٦.

(٤٥) «نسب حرب» للبلادي، ص ١٢٥ و ص ١٧٨ نقلًا عن «تاريخ مكة» للسباعي ٢/ ١٤٠.

(٤٦) «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام»، ص ٢٩٥.

(٤٧) «العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩»، تأليف د. سعد بدير حلواني، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ص ٤١، هامش رقم ٣.

(٤٨) «مواد لتاريخ الوهابيين»، للرحالة جوهان بوركهارت، ترجمة د. عبدالله بن صالح العثيمين، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ ص ١٦٠ وما بعدها، وكتاب: «محمد علي وشبه الجزيرة»، للدكتور عبدالرحيم عبدالرحيم ج ١ ص ٣٢٧ وما بعدها.

(٤٩) «عنوان المجد في تاريخ نجد»، أحداث سنة ١٢٢٧هـ ص ١٦١.

(٥٠) «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز»، تأليف خير الدين الزركلي، ص ٤٦٤ ط ٣ عن دار العلم للملايين. وانظر: «الدولة السعودية الأولى»، د. عبدالرحيم عبدالرحيم، ج ٢ ص ٣٤٣ ط ٥. وانظر: «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٤٩٣.

(٥١) «مواد لتاريخ الوهابيين»، ص ١١٥.

(٥٢) المصدر السابق، ص ١١٦.

(٥٣) دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر ١ معية تركي، محفظة ٧٧ في ٥/ ١١/ ١٢٢٦هـ من محمد علي إلى الباب العالي في استامبول.

(٥٤) «الأطلس التاريخي للبلاد السعودية» - مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ملحق رقم ١ ص ١١، إصدار رقم ١١ لعام ١٣٩٨هـ. وانظر: «محمد علي وشبه الجزيرة العربية»، د. عبدالرحيم ج ١ ص ٣١٤، و «عجائب الآثار»، للجبرتي ج ٤ ص ١٣٨، وانظر: دار الوثائق القومية - القاهرة، وثيقة ٧٨ دفتر ١ معية تركي في ٥/ ١١/ ١٢٢٦هـ وثيقة رقم ٧٥ في ٢٣/ ٩/ ١٢٢٦هـ.

(٥٥) دار الوثائق القومية، القاهرة - دفتر نمرة ١ معية تركي، وثيقة رقم ٨٧، من محمد علي باشا إلى الباب العالي - بشأن التبشير بفتح الجديدة - مؤرخ في ٢٧/ ٩/ ١٢٢٧هـ.

(٥٦) «عنوان المجد في تاريخ نجد»، لابن بشر، ج ٢ ص ١٦٠ وما بعدها.

(٥٧) «تاريخ نجد الحديث»، تأليف الأستاذ أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة صفحة ٧٣.

(٥٨) «عنوان المجد في تاريخ نجد»، أحداث السنة المذكورة، ١٨٤.

(٥٩) «نسب حرب»، لعاتق بن غيث البلادي، ص ١٧٩، ص ٣.

(٦٠) المصدر: «مجموعة وثائق الدولة السعودية الأولى»، د. عبدالرحيم ج ١ ص ١٠ وانظر: دار الوثائق القومية، دفتر ١ معية تركي، وثيقة ٥ من موسى باشا إلى محمد علي في ٨/ ١٠/ ١٢٢٣هـ (٩/ ١٢/ ١٨٠٧م). وانظر أيضًا: «الرحلة الحجازية» للبتنوني ص ١٤٨ وكذالك «العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز»، فائق بكر الصواف ص ٦٠ (أصل الرسالة).

(٦١) انظر: دار الوثائق القومية، دفتر ١ معية تركي، وثيقة ٧٨ في ٥/ ١١/ ١٢٢٦هـ (٢١/ ١١/ ١٨١١م)، وكتاب «مجموعة الوثائق» ج ٢ ص ٢٠٦.

«حضرموت: بلادها وسكانها»

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف

(١٣٠٠/ ١٣٧٥هـ)

(٤٠)[1]

المحيضرة: وكانت للسادة آل سميط فخربت، ولكنها انعمرت الآن، ولها ذكر كثير في حروب يافع وآل كثير، ومنها الحيوار، وقد أدخلت بعض ذبوره في سور تريم، وعمرت فيها ديار كثيرة، ومنها يريح، كانت بين دمون وتريم، ولا أثر لشيء منها إلّا المقبرة، أما أحوال تريم الدولية فكما سبق في شبام ذرو منها وهي كرسي مملكة آل قحطان المتفرعة ولا يتهم على حضرموت، عن إمارة الهزيلي على شبام في حدود سنة ٢٧٠، وقد قال صاحب «البرد النعيم»: إن ولايتهم امتدت إلى أكثر من ثلاث مئة سنة. انتهى، والحال أنها باعتبار أصلها امتدت إلى أطول من ذالك بكثير، ثم انتهى الأمر إلى آل أحمد والصبرات، وجرى بينهم بعضهم بعضًا وبينهم وبين غيرهم أمور طويلة عريضة، فصلنا منها في الأصل ماشاء الله أن نفصل، ثم صار الأمر لآل كثير، ثم للإمام، ثم ليافع، وسبب اتصال يافع بحضرموت أنهم زاروا حضرموت في أيام الشيخ أبي بكر بن سالم، وأحبوه واعتقدوا فيه الصلاح، ثم زاروها في أيام ابنه الحسين كما سيأتي عند ذكره في عينات، ثم خرجوا مع أحد سلاطينهم، وهو السلطان عمر بن صالح بن الشيخ علي هرهرة، اليافعي وطنًا، الهمداني نسبًا نجدةً للأمير بدر بن محمد الردوف، بإشارة من الحبيب أحمد بن علي، أو من أخيه شيخ ابن أحمد على اختلاف الرواية، أو منهما كما هو الأقرب، وكانت طريقهم بأرض العوالق، فأكرمهم سلطانها، ثم قدموا على العمودي بدوعن، فأضافهم، ثم التقوا مع سلطان آل كثير عمر بن جعفر في بحران سنة ١١١٧، وهناك انهزم آل كثير واستولت يافع على جميع بلدان حضرموت الوسطى والسفلى، مثل هينن وشبام وسيوون وتريم، وبعد أن ضبطها عمر بن صالح ركب إلى الشحر، واستولى عليها، ثم بلغه أن

---

(١) حدث خطأ في ترقيم الحلقات السابقة إذ سقط رقم الحلقة ٣٤ و (٣٧) سهوًا.

أهــــــل هينن نكثوا وأخرجوا يافعًا منها، فعاد لهم واخضعهم، ورجع إلى يافع، وقد اقتسمت يافع بـلاد حضرموت، فكانت شبـام وهينن للموسطة، وسيوون ومـريمة لآل الظبي، وتـريـم للبعوس، وفـرقها بنـادق من العلوق الغـالية، والدولـة أقام أنـاس منهم بسيوون، وناس في باجلحبان بحصن بناه آل مطهر، فيه بئـر عذبة الماء، وأما بنو قاصد اليافعيون المرؤسون بابن عفيف، فقـد كان منهم ناس قليل في هذا التجهيز، ومنهـم آل يـزيد ريـاستهم بحضـرموت للبطـاطي، لأنهم وإيـاهم شيء واحد، وكـان مسكنهم بالهجريـن، والقزة، وفيه ناس أيضًا من الكلبييـن، وناس من قبيلة يهر يقـال الشناظير، أقامـوا بغيل بن يمين فنسبه بعض إليهم، وأمـا الكسادي فكان من ذي نـاخب، وجاء بعـد ذالك إلى المكلا. انتهـى. من «بستان العجـائب» للسيـد محمد بن سقـاف بن الشيخ أبي بكـر بن سـالم، وفيـه مخـالفـة لمـا سبق في المكـلا عن سبب اتصـال الكسادي بالمكـلا ولبعض مافي الأصل إِلَّا أنه خلاف يسير، لا يضر بأهل الخير، بل يتيسَّـر الجمع للنـاظـر بينهمـا بأدنى تأمل، وقـد انقسمت لبعـوس في تـريم ودمـون وضواحيهـا إلى فرق متعددة، أقـواهم آل غرامة، ورئيسهـم سالم بن غرامـة، صاحب حصن الدكين الواقع في شرقي دمون، وكان ابن أخيـه ينازعه ولما مات في حدود سنة ١٢٢٦ خلفه أخـوه عبدالله عوض غـرامة، وكان شهمًا شجـاعًا، لا يملأ الهـول صدره قبل مـوقعه، ولا يضيق بـه ذرعًـا إذا وقع، ولا ينقضي حاجـاتـه من حملة السـلاح إِلَّا بالسيف وقد قال المتنبي:

من اقتضى بِسِـوَى الهنـدي حـاجتـه	أجـــــاب كل ســـؤال عن هـل بلم

وكـان ينكر بطبعـه غلو القبـوريين، فوافقتـه آراء الوهـابية، وأكثـر التعليق بوحيـد عصره، وفريـد دهره، مقدم الجماعـة، وشيخ الصناعة، الذي انتهت إليـه ريـاسة العلم بتـريم، العـلامة الجليل السيـد أبي بكـر بن عبـدالله الهنـدوان، المتوفى بتـريم سنـة ١٢٤٨ ، وقد اتهمـه العلويون بأنه هـو الذي يعلم عبدالله عـوض غرامة آراء الوهـابية، ويحثه على الالتـزام بها، ومؤاخـذة الناس بمقتضاها، فتـآمروا على قتالـه، فهرب إلى بيت جبير، ولم يقدر عبدالله غرامة على حمـايته بتريم لأن غرامة لا يملكها كلها، وفي

أيامه كـان وصول الوهابيـة إلى تريم سنة ١٢٢٤، بقيادة الأميـر علي بن قملا، فطوى بهم حضرمـوت، ولم يفسد حرثًا ولا أهلك نسـلًا، وإنما هدم القباب، وسـوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلًا من الكتب، كَثَّرُه بعض العلويين، كصـاحبنا الفـاضل السيد علـوي بن سهل بدون مبـرر من الدليل، وأقـاموا بتريم نحوًا من أربعين يومًا، وعاهده عبـدالله عوض غرامة وعبدالله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عن بلادهمـا، على شرط أن يقومـا بنشر دعوتـه التي لاقت هوًى من نفوسهم، وقبولًا من خواطرهم، وفي سنـة ١٢٢٩ أرسل الأمير عبدالله عوض غرامة ثلة من جنده للتحـرش بأهل المسيلة، فلم يجرؤا، وعند انصرافهم التقـوا بجماعة من السادة عسكر الحبيـب طاهر إما مصادفـة وإما طمعوا فيهم، لما رأوهـم انقلبوا بدون طائل، ومعهم العلامة السيد سالم بن أبي بكر عيـديد، فانهزم السادة بمجرد ماسمعوا اطـلاق الـرصـاص، مع أن جنـد غـرامـة لـم يتعمـدوا إصـابتهم، وإنمـا أرادوا كفهم وتخويفهم، فانهزمـوا هزيمة فاحشة، حتى لقد سقط إزار أحدهـم فهرب عـريانًا وقال في ذالك بعض شعراء تريم:

إذا اقبلـــــوا يـــــــافع الثقليـــــــن تقعـــون ســادة حتـى حــزمكـم تلين

أخبرني بهذا الثقة الثبت أحمد بن عمر بن عـوض الشاطري، عن جده لأمه شيخنا ابن شهـاب، ولم يتبعهم جند عبـدالله عوض غيـر أن رصـاصة أصـابت السيد سـالم عيديد، فسقط ميتًا مع البارود، وفي اليوم الثـاني أرسل إليهم الأمير عوض بتعزية يقول فيها: إننـا لا نريـد ذالك ولا نحبه، وإنما كان قتلـه على غير اختيـار منا، لكـن شوم أعمالكم والتفـاتكم إلى غير الله، وعبـادتكم للأموات والقبـور، هو الـذي جر عليكم المصائب، وسيجـر عليكم ماهـو أعظم. انتهى. ويقال إن هـذه المكاتبة كـانت من إنشاء إمام تريم لذالك العهد، المتقـدم ذكره السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، والله أعلم، وحصلت من عبدالله عوض غرامة مساعـدات مالية للأمير علي بن قملا، كلف بها الرعـايا، حتى لقد رأيت وثيقة فيهـا أن نواب وقف المحضار باعـوا يبرين له ببيت جبير بثـلاث مئة وعشـرين ريالًا على سبيل العهـدة، في دفع ضرر ابن قمـلا وعبدالله

عـوض عن مـال المحضــار، وعليهـا إمضـاء القـاضي حسين بـن علـوي مـذحج، وتاريخها سنـة ١٢٦٣ ولعله كان غلطًا إذ تـاريخ وصول ابن قملا إلى تريـم إنما كان سنـة ١٢٢٤ أو سنة ١٢٢٦ على اختـلاف القول فـي ذالك، وأما سنـة ٦٣ فبعد وفـاة عبدالله غرامة بمدة، مالم يكونـوا استدانوا ذالك القدر ثم لم تسنح الفرصة للتعهد إلَّا بعد وفيه فائدتان: الأولى التوسع ببيع الموقوف، والثانية بيعه عهده، والأغلب أنها إنما تكون بدون ثمن المثل، وهـو ممتنع في مال المسجد، ولعبدالله عـوض أخبار عجيبة، ذكرنا منها نتفا بالأصل، ومنها أن بعض أعيان السادة ركب إلى زيارة هود عليه السلام وبينا هـو خارج من تريم وأمـامه خشارة مـن الحاكة يـرتجزون بمثل قولهم: يـاشيخنا يـامحضار إذ غضـب غرامـة واستل سيفـه ليغمـده بطلى زعيم الحاكـة لـولا أن شيخ مشايخنا وهـو الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه تدارك الأمر وقال لهم: قـولوا سبحان من لا يفنى ولا يزول ملكه، فارتجزوا بها، ولايـزال الأكرة يتغنون بها إلى اليوم، وبه ذكر من قول العلامة ابن حجر فائدة أحـدث المؤذنون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عقب الآذان للفـرائض، مـاعـدا الصبح والجمعـة، فإنهم يقـدمـون ذالك فيهـا على الآذان وإلَّا المغرب لضيق وقتها، وسببـه أن الحاكم لما قتل أمرت أختـه المؤذنين أن يقولـوا في حق ولده السلام على الإمام الطـاهر، ثم استمر السلام بعـده على الخلفاء حتى ابطلـه صلاح الـدين، وجعل محله الصـلاة والسلام عليـه ﷺ، فجزاه الله خيـرًا ونعمًّا فعل، وقـد افتى مشايخنـا وغيرهـم بأن الأصل سنـة والكيفية بدعـة، وهو ظـاهر انتهى، بفرع باختصار وكان عبدالله غرامة شديدًا على الأعداء، لين العريكة للضعفاء، سهل الجناب لهم، ولـه أصحاب من الحاكـة والأراذل يتنادرون عليه، كأنـه أحدهم، وهو يجرئهم على نفسه ليأنس بهم، وتسقط كلفة التحفظ فيما بينهم فهو:

عقـــــرٌ مـــــــرٌّ علـى أعـــــــدائه ولـــدى الأدنيــــن حلــو كــــالعسل

عاش وسيفـه يقطر مهجًـا، ويسيل دمًا من آل تميم وغيـرهـم، من حملـة السلاح، وكان لا يـأخذ صلحًا فيمن يقتلـه من آل تميم قط، تـوفي بتريم سنـة ١٢٥٥، بعد أن خبط الزمان خبطًا، وضبط الرجال ضبطًا وكان كما قال بشار:

فتى لا يبيت على دمنةٍ ولا يشرب الماء إلَّا بدم
يحب العطاء وسفك الدماء فيغدو على نعمٍ أو نقم

وتلقى راية مجده باليمين، ولده عبدالقوي وهو في إبَّان البلوغ، فكان كما قالت الخنساء:

طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا

وفي سنة ١٢٦١ اشترى آل عبدالكثيريون ناصفة الخليف من آل همام اليافعيين، بنحو من ألفي ريال، ودخلوا إليه بعض عبيدهم، وتبعوهم وإياهم على التناصف بالتصافي، وفي سنة ١٢٦٢ باع عبد القوي غرامة على آل عبدالله ناصفة ماتحت يده بتريم، وتمت الصفقة بالمسألة، بحضر العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى، والسيد الجواد حسين بن عبدالرحمن بن سهل، على نحو أربعة آلاف ريال فرانصة أو ستة آلاف لا نحفظ تحقيق ذالك، وعلى أن تكون المالية كلها في آل عبدالله، بشرط أن يدفعوا لعبدالقوي ثمانية ريالات يوميًا إزاء دخل الناصفة الباقية له، ولما دخل آل عبدالله في رمضان من نفس السنة عظم الأمر على عبدالقوي، لأنهم دخلوها على غير الصفة المشروطة بينهم، من امتناع المظاهرات، والزوامل، وبعد المراجعات، والأخذ والرد، أذكى عليهم نار الحرب، وكان عبود بن سالم يضمر الغدر لعبدالقوي، فركب إلى الجهات القبلية في شعبان، قبل أن يدخلوا إلى تريم أصلًا وأقبل في ربيع الأول من سنة ١٢٦٣ بنحو ألفين، وكاثروا عبدالقوي وضايقوه، ولكنه ثبت ثبات الرواسي، ثم تواضعوا قريبًا مما تم الأمر عليه أولًا وأراد السيد حسين بن سهل تأطيد الصلح، فسعى في صهر الأمير عبود بن سالم إلى آل غرامة، فاقترن باخت عبدالقوي، وجرت أمور طويلة عريضة مستوفاة الأصل، ولكن سكنى تريم لم تطب لنفس عبدالقوي وأصحابه اللبعوسيين، إذ كانت تلك الأسرة لذالك العهد حقيقة بقول المعري:

كانت تضم رجالًا بين أعينهم مغاطس لم تذلل عزها الخطم

فبارح تريمًا إلى المكلا، وأودع بعض سلاحه من العلوق الغوالي السابق ذكر وقوعها للبعوس، مع اقتسام يافع بلاد حضرموت عند زعيم آل عامر الكثيريين محمد

ابن عزان بن عبدات، فلم يردها عليه لنفاستهـا، وتتابع بعد عبدالقوي غرامة جلاء آل البعوس من تريم إلى عنـد آل الظبي بسيوون، وهكذا قضى على دولة غـرامة وسبحان من لا يدوم إلَّا ملكـه ودولة تـريم اليوم للسلطـان عبدالله بن محسن بن غـالـب وأخيه السلطان حسبما مر في سيوون.

المسندة: وما ورائها إلى عينـات إذا خرج الخارج من تريم وذهب شـرقًا، فأول ما يكـون عن يمينه المسنـدة، وإليها تنسب الحـرب التميميـة الكثيريـة، فيمال (حـرب المسندة)، ومن حـديثها بالاختصـار: إنه لما استقـر عبود بن سالـم في تريم طمع في مثاوي آل تميم، وكـان يتوهم سهولـة اخضاعهم، لما كـان من غطرسة عبـدالله عوض غرامـة عليهم، واحتمالهم إياها، ولمـا قرع النبع بالنبع أ.ت عيدانـه أن تكسر، ودامت الحرب بينهم سبع سنين وقـد سبق في سيوون أن السلطان غـالـب بن محسن قدم من الهنـد إلى تـاربة غـرة جمـادى الثـانية من سنـة ١٢٧٢ وبقيت تلك الفتنـة إلى سنـة ١٢٧٤، حيث انعقـد الصلح لمدة سبع سنين، علـى شروط، منهـا أن يدفع السلطـان غالب بن محسن عشرة آلاف ريـال فرانصة للمقدم أحمد بن عبـدالله بن يماني، قائد رئاسة آل تميم، وحددت بينهـم يومئذ الحدود، ومن ذالك اليـوم تحرر آل تميم، وامتد سلطان المقـدم من شرقـي تريم إلى مـاوراء قبر نبي الله هـود عليه السـلام، وتمرن آل تميم على الحـرب والضرب ونَجَّـدهم عليها اختـلاطهم بيافع فكثيـرًا مايهـز آل كثير بالجملـة في تلك الفتنة على آل تميم فينهـزمون، ولكن متى حضـر عندهم آل الظبي من سيوون نهزوا عليهم بـالجملة سمعوا صليل سيوف آل الظبي عنـد سلها، أحجموا وقالـوا: إن في المكان غير أهله ولبس التميميـون من بعد ذالك جلود النمـور، وعادوا أبطالًا لا يهـابون المـوت، ولا تتخاذل أرجلهم عنـد الصوت، وصـار أكثر أهل تـريم تحت رحمة آل تميم، لأن أكثـر أموالهم تحت سيطرتهم، وكانوا يـأخذون منها الشيء الكثير حتى تـواضعوا هم وإيـاهم بواسطـة السيد حسين بن حـامد المحضـار، وزير القعيطي، على الخمس، ولمـا انبسط نفوذ آل عبدالله بـواسطة الحكـومة الإنجليـزية، وسـاعـدهم القعيطي منعـوا آل تميم من ذالك الـرسم، وحـررت في ذالك فتـوى من

الشيـــخ فضـل بــن عبدالله عرفان، وصادق عليها الجماء الغفير، وكنت ممن صادق عليها عن غير تروٍ، ولا يزال ذالك مشكلًا عليَّ، لأنني إذا رأيت ماجاء في غير موضع من مجموع الأجداد أن رجـلًا بيده نخل يقاسم آخر في ثمرتـه سنين، ثم امتنع بالأخرة وقال: لا أعطيك شيئًـا من ثمرتـه إذ لاحق لك فيها ولا في النخـل فأقام المدعـي بينة بأنه يقاسمه سنينًا عديدة على الربع مثلًا كان القول قول صاحب النخل بيمينه وإقامة البينة من المدعى بمجرد المقاسمة غيـر مسموعة، فلا يحكم له بشيء من النخل ولا من ثمرتـه. انتهى بمعناه، ويؤيده قـول جدي علامة وادي الأحقاف علـوي بن سقاف وليس لشـارح ولا لحـراث ولا لمفخط يـد إذ رأيت مثل هـذا سكن خـاطـري، ولكن يختلجني الشك إذا رأيت قـول «التحفة» في زكاة النبـات وصرح ائمتنـا بأن النواحي التي يـؤخذ الخراج مـن أراضيها ولا يعلـم أصلـه يحكم بجواز أخـذه لأن الظاهـر أنه بحق ونحـوه في البيع ونحـوه قولهـا في مبحث أحكـام الذمـة والأراضي التي عليهـا خراج لا يعرف أصله يحكم بحل أخذه، لاحتمال أنه وضع بحق وماجاء في «النهاية» و «فتاوى ابن حجـر» من قولهما أنه لا يجـوز لمالك جدار هـدمه وفيه كوة ينـزل منها الضـوء إلى دار جاره لاحتمـال أن فتحهـا كان لـه بحق فإنهـا كـالصريح في خـلاف الأول، لاسيما وقـد رأيت في بعض الـوثائق القـديمة أنهـا مشتراه من بـاب السلطنة، فـدل ذالك على أنه خـراج سلطاني، يبـاع ويشترى، وفي «بستـان العجائب» للسيـد محمد بن سقـاف ابن الشيخ أبي بكر بن سـالم أنه كـان لآل بن يحيى مال بـالعجز، سـاوم فيه الحبيب شيخ بن أحمـد، فقـالت له الشـريفـة علويـة بنت الشيخ علي بن أحمد: يـاعم شيخ لا تشتري مـال الديوان، لآل أحمـد بن علي. قال: إنـه مال واسع رخيص الثمن، قالـت له: لا تطفئ نورنـا بنار الـديوان، فترك ذالـك ولم يشتره انتهى، وفيه قيام الشبهة مع اطراد العادة ببيعه وشـرائه، فإن قيل: هلا يكون ما اشتهر من انبناء الشراحـة على الظلم كافيًا في عدم اعتبـار ترتب اليد. قلت: غايـة مايمكن من ذالك الاشتهار بالترك أن يكون بمثابة الخبـر الصحيح، وقد صرح ابن حجر بأنه لا يرفع اليد التي لا يعـرف أصلهـا مـالم يكن معـه إقرار بينـة، وقـد بسطت القـول على هـذا في

المسألتين ١٤١٨، ١٤٧٤ من «صوب الركام» ثم رأيت الكبسي نقل في تاريخه عن كل من الخزرجي والجندي أن طغتكين بن أيوب لما استوى على اليمن دعته نفسه إلى شراء أرضهم بأسرها وأمر المثمنيين أن يثمنوها لتكون الأرض كلها للحكومة، بعد دفع ثمنها، ومن أراد حرث شيء منها فليصل إلى الديوان، وليستأجر من وكلاء الحكومة، ولكن عاجلته المنية دون تنفيذ ذالك باليمن، ومعلوم أنه وصل إلى حضرموت فلعله نفذ بها هذه الفكرة، لاسيما وأن النجير وخباية وأعمالهما فتحتا عنوة، فيأتي فيهما ما يأتي في سواد العراق ومن وراء المسندة إلى الشرق:

خباية: وفيها كانت رياض القطا بشهادة قول ياقوت، والرياض علم لأرض باليمن كانت بها واقعة للبيد بن زياد البياضي بردة كندة أيام أبي بكر وقال الشاعر:

فما روضة من رياض القطا ألم بها عارض ممطر

ومع هذا تشكك في ص ٣٢٢ ج ٢ في موضع روض القطا وذكر قول الأخطل:

وبالمغْرسَا نيَّات حل وأَرْزَمَتْ بروض القطا منه مطافيل حفَّل

ولعله متعدد في جهات كثيرة.

النجير: هو من وراء خباية شرقًا وفي «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك مايوهم قربه من القطن، وليس بصحيح، وعده في موضع منها في محافد اليمن أي قصورها المشهورة، وعده منها في الجزء الثامن من «الإكليل» وقال: إنه لبني معد يكرب، من كندة انتهى، وكأنه إنما أخذه من فيئة الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي إليه في حادثته المشهورة، وفيه أن آل نشق بن بكيل كانوا بروثان - بين لجوق ومأرب، ثم تحول - يعني روثان - إلى من بعدهم وقال أحدهم:

كان لم يكن روثان في الدهر مسكنا ومجتمعًا من ذي الجراب ويمجد
ففرقهم ريب المنون وأصبحوا قرى حضرموت ساكنين وسردد

وقد مر في المقدمة قول أبي دهبل:

أعرفت رسمًا بالنجير عفا لزينب أو لساره

لعـــزيـــزةٍ من حضـــرمـــو ت على محيـــاهـــا النظـــاره

وقال ميمون بن قيس الأعشى:

ألم تغتمض عينـاك ليلـة أرمـدا وبت كمـا بـات السليم مسهـدا

ومـاذاك من عشق النسـاء وإنمـا تنـاسيت قبل اليـوم خلـه مهـددا

ولكن أرى الـدهـر الـذي هـو خـائنٌ إذا اصلحت كفـاي عـاد فـافسـدا

كهـولًا وشبـانًـا فقـدت وثـروةً فللـه هـذا الـدهـر كيف تـرددا

ومـازلت أبغي المـال مُـذْ أنـا يـافع وليـدًا وكهـلًا حيـن شبت وأمـردا

وابتـذل العيس المـراقيـل تفتلي مسـافـة مـا بين النجيـر وصـرخـدا

وقال علي بن هوذة يذكر من أرتد من العرب:

ولسنـا بـأكفـر من عـامـر ولا غطفـان ولا من أسـد

ولا مـن سليـم وألفـافهـا ولا مـن تميـم وأهـل الجنـد

ولا ذي الخمـار ولا قـومـه ولا أشعث العـرب لـولا النكـد

ولا مـن عـرانيـن مـن وائل يسـوق النجيـر وسـوق النقـد

وقال كثير:

وَطَبّقَ مـن نحـو النجيـر كأنـه بِأَلْيَلَ لمـا خلـف النخل ذَامِـرُ

الجرب: بكسر الجيم وفتح الـراء، مكان واسع كانت به قرية جرت فيها الحـادثة المشهورة سنة ٩٥٨، وهي أن بدر بن عبدالله بوطـويق حصر فيها خمس مئة من عبيد آل يماني، ثم قتلهم على بكـرة أبيهم، حسبما في الأصل، وفي كـلام الحبيب عمر بن حسن الحـداد إنه كـان يطلع منها سبعـون من العلـويين على سبعين حمارًا كل ليلـة يصلون العصر في مسجد باعلوي.

(للبحث صلة)

٣٢- بَابُ أَدَامَ وأَرَامٍ وإِرَامٍ[١]

أَمَّا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَدَالٍ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ-: مِنْ أَشْهَرِ أَوْدِيَةِ مَكَّةَ[٢].

وَذَاتُ أَرَامٍ - بِمَدِّ الْهَمْزَةِ:- جَبَلٌ[٣].

وإِرَامُ الكِنَاسِ-: رَمْلٌ فِي بِلَادِ عَبْدِ الله بن كِلَابٍ[٤].

---

(١) عِنْدَ الْحَازِمِي. سِوَى (أَرَام).

(٢) هُوَ تَعْرِيْف الْحَازِمِيّ، وَفِي «مُعْجَم الْبُلْدان»: أُدَام- بِالْضَّمِّ: وَادٍ بِتِهَامَة أَعْلَاه لِهُذَيْلٍ، وَأَسْفَلُهُ لِكِنَانَةَ، وقال الْسَّيِّدُ عُلَيٌّ: إِدَام - بِكَسْر أَوله: مَاءَة يُقَال لَهَا بِئْرُ إِدَامٍ عَلَى طَرِيق الْيَمَنِ لِبَنِي شُعْبَة مِنْ كِنَانَـة. انْتَهَى، وَوَادِي إِدَامٍ لَايَزَال مَعْرُوْفًا، وَيَنْطِقُهُ أَهْلُ تِلْك الْجِهة بِكَسْرِ الْهمْزةِ، وَيَقَع جَنُوبَ مَكَّةَ بِنَحْو سِتِّيْن كِيْلًا، (يَقَع بِقُرْب خَط الْطُّول: ٤٧/ ٣٥° وَخَط الْعَرْض: ١٠/ ٢٧°) وانْظُر لِتَحْدِيْده مَجَلَّة «الْعَرَب» - س ٩ ص ٦٤٣ -.

(٣) هُوَ تَعْرِيْفُ الْحَـازِمِي، وَفِي «مُعْجَم الْبُلْدَان»: الآرَامُ كَأَنَّه جَمْعُ إِرَمٍ، وَهُو حِجَـارَةٌ تُنْصَبُ كَالعَلَم-: اسْمُ جَبَلٍ بَيْن مَكَّةَ والمَدِيْنَةِ، ثُم أَوْرَد قَوْلَ الْغُنْدُجَانِيِّ فِي شَرْحِ قَوْلِ جَامِع بْنِ مُرْخِيَة:

أَرِقْتُ بِـــذِي الآرَام وَهْنًـــا وَعَـــادَنِي ... عِـــدَادُ الْهَـــوَى بَيْـن الْعُنَـــاب وَحِثْيَل

قَال: ذُو الآرَام: حَزْمٌ بِهِ آرَامٌ جَمَعَتْهَا عَادٌ عَلَى عَهْدِهَا، وَقَال أَبُو زِيَادٍ: وَمِن جِبَالِ الضِّبَاب ذَاتُ آرَامٍ، قُنَّة سَوْدَاءُ فِيْهَا يَقُولُ الْقَائِل، ثُمَّ أَوْرَد شِعْرًا. انْتَهَى.

وَكَلِمَة (حِثْيَل) كَـذَا فِي مَطْبُوْعَـة «مُعْجَم الْبُلْدَان» وَصَوابُهـا (خَنْثَل) كَمَا فِي كِتَاب «بِـلَاد الْعَرَب»، وَقَـدْ جَاء فِي وَصْفِ حِمَى الرَّبَـذَة من كِتَاب الْهَجَـرِيِّ بَعْد أَنْ ذَكَر جَبَـل أَسْوَدِ الْبُرْمِ: بَيْنَـه وَبَيْن الرَّبَـذَة ٢٠ مِيْلًا مِنْ أَرْض بَنِي سُلَيْم، قَال: ثُم يَلِي أَسْـوَدَ الْبُرْمِ جبَلَان يُقَال لأَحدِهِمَـا أَرُوم ولِلْآخَرِ آرامٌ، وَهُما فِي قِبلَةِ الـرَّبَذَةِ بِأَرْضِ بَنِي سُلَيْم انتهى، وَهَذا الْجَبَلُ الَّذِي فِي حِمَى الرَّبَذَةِ يُدْعَى الْآن (أُمَّ الْغِيْرَان) جَمْع غَارٍ وَيُجَاوِرهُ جبَلَا شَابَةَ وَأَرُوْم، وَيَظْهَرُ أَنَّ اسْم آرَام أُطْلِق عَلَى مَوَاضِع مُتَعدِّدَة، إِذْ هُو فِي الأَصْل جَمْع إِرَم، والْإِرَم حِجَارة تُجْمَع وَتُجْعَل عَلَمًا لِمَكَان.

(٤) هُوَ تَعْرِيْف الْحَـازِمِيّ، وَرَمْل بَنِي عَبْد الله بن كِلَاب يُعْرَفُ الْآنَ بِـاسْم عِرْقِ سُبَيْعٍ، وَنُفُودِ سُبَيْع فِي عَالِيَـة نَجْد شَرْقَ مِنْطَقَتَي الْخُرْمَةِ وَرَنْيَةَ.

٣٣- بَابُ أُدَيْمٍ، وأَزِيمٍ، وأَرْنُمَ، وأَرْيَمَ(١)

أَمَّا - بِهَمْزَةٍ مَضْمُوْمَةٍ وَدَالٍ مُهْمَلَةٍ مفتوحـةٍ وَيَاءٍ سَاكِنَةٍ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ -: أَرْضٌ تُجَاوِر تَثْلِيْثَ، وَهِي تَلِي الْسَّرَاة، بَيْنَ تِهَامَةَ والْيَمَنِ، وَكَانَتْ مِن دِيَار نَهْدٍ وَجَرْمٍ فِي الْقِدم(٢).

وَأُدَيْم أَيْضًا: عِنْد وَادِي الْقُرَى مِن دِيَار عُذْرَةَ، وَكَانَتْ لَهُم وَقْعَةٌ مَع بَنِي مُرَّةَ بِهَا(٣).

وَأَمَّـا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَزَايٍ مُعْجَمَـةٍ مَكْسُـورَةٍ وَيَاءٍ تَحْتهـا نُقْطَتَـان-: فَهُو مَـوْضِعٌ بَالْبَادِيه(٤).

وَأَمَّا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَـةٌ مُهْمَلَةٌ ثُم نُوْنٌ مَضْمُوْمَةٌ-: وَادٍ حِجَازِيٌّ(٥)،

---

(١) عِنْد الْحَازِمِيّ: (بَابُ أُدَيْم وَأَرْنُم).

(٢) هُوَ تَعْرِيْف الْحَازِمِيّ، وَجُمْلَة: (بَيْن تِهَامَـة والْيَمَن) لَيْسَت وَاضِحَة مَع مُجَاوَرَة الْمَكَان لِتَثْلِيْث، وَتَثْلِيْثُ: وَادٍ لَا يَزَال مَعْرُوْفًا، وَهُـو مِن أَعْظَم أَوْدِيَةِ جَنُوب الْجزيْـرَة تَنْحَدِرُ فُرُوْعُهُ مِنَ الْأَطْرَاف الشَّـرْقِيَةِ الْجَنُوْبِية لِجِبَـال سَرَاةِ الْحِجَاز، وَيَتَّجِهُ صَوْبَ الْجَنُوْبِ الشَّـرْقِي حَتَّى يَفِيْض فِي أَعْلَى وَادِي الدَّوَاسِـر، حَيْثَ تَحْجِزُهُ الرِّمَـالُ، وَقَدْ يَخْتَـرِقُهَا حَتَّى يَفِيْض فِي وَادِي الدَّوَاسِر، فَهُو خَارِجُ السَّرَاةِ الْفَاصِلَـة بَيْنَهُ وَبَيْن تِهَامَة، فَكَيْف تَكُون الأَرْض الَّتِي تُجَاوِرُهُ بَيْن الْيَمنِ وَتِهَامَة، وَتِهَـامَةُ تَقَع خَلْفَ السَّرَاة، والْيَمَنُ يَقَعُ جَنُوبَ السَّرَاة، وَلَعَلَّ كَلِمَة (بَيْن تِهَـامَة والْيَمَن) وَصْفٌ لِلْسَّرَاة، وَأَن الْأَرْضَ الْمَذْكُوْرَةَ تَقَع فِي أَعَـالِي تَثْلِيْث، بَيْن هَذِا الْوَادِي وَبَيْن سِلْسِلَة جِبَـال السَّرَاة، وَفِي الْيَمَن وَادٍ اسْمه أَدِيْم - غَيْرَ هَـذَا بِفَتْح الْهَمْزَة- حَدَّدَه الْهَمْدَانِي فِي «صِفَـة جَزِيْرَة الْعَـرَب»- ص ١٢٧-. وَلَمْ يَزِد يَاقُوْت عَلَى كَـلَام نَصْرٍ مَنْسُوْبًا إِلَيْه.

(٣) هُوَ تَعْرِيْفُ الْحَازِمِيّ وَيَاقُوْتٍ عَنْ نَصْرٍ، وَلَم يَزِد، وَيَظْهَرُ أَن الْمَوْضِعَ يَقَعُ شَرْقَ صَعِيْدِ عُذْرَة شَمَال حَرَّةِ خَيْبر، حَيْث تَتَقَارَبُ دِيَار عُذْرَة، وَدِيَارُ مُرَّة غَطَفَان، فَيَكْثُر الاحْتِكَاكُ بَيْن الْقَبِيْلَتَيْن.

(٤) أَزِيْمُ: لَمْ يَذْكُرْه الْحَازِمِيُّ، وَلَمْ أَرَهُ عِنْد يَاقُوت فِي مَوْضِعه.

(٥) لَمْ يذْكُرْه الْحَازِمِيُّ، وَعِنْد يَاقُوْت: أَرْنُمُ- بِالنُّوْن مَضْمُـوْمَة-: وَادٍ حِجَازِي عَنْ نَصْر قَال: وَقِيْل فِيْه أَرْيَمُ- بَالْيَاءِ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ-. انْتَهى، وَذكَر الْحَازِمِيُّ (أَزْنُم) بَعْد الْهَمْزَةِ الْمَفْتُوحَةِ زَايٌ ثُمَّ نُوْنٌ مَضْمُوْمَةٌ-: مَوْضِعٌ فِي شِعْرِ كُثَيِّر قَال:

تَـأَمَّلْتُ مِـنْ آيَـاتِهَـا بَعْـدَ أَهْلِهَـا ... بِـأَطْـرَافِ إِعْظَـامٍ فَـأَذْنَـابِ أَزْنُـمِ

كَذَا رُوِي لَنَا، وَقَدْ يُرْوَى بِالرَّاءِ بَدَل الزَّاي.

وَأُضِيْف: عَدَم التَّحَقُّقِ مِنْ صِحَّةِ اسْم أَزْنَمَ هَلْ هُوَ بِالزَّاي أَوْ بِالرَّاء مِمَّا يُوْقِع الشَّكَّ فِي الاسْمَيْن، فَقَد تَكُون النُّوْنُ مُصَحَّفَةً أَيْضًا عَنْ أَحَـد الْحُرُوْف الْمُشَابِهَة لَهَا فِي الصُّـورَة كَالتَّاء والثَّاء وَالْيَاء الْمُثَنَّاة التَّحْتِيَّـة، وَقَد وَرَدَ فِي كِتَاب نَصْر- وَعَنْه نَقَل يَاقُوت-: أَرْنَم وَادٍ حِجَازِيٌّ، وَمَعْرُوف أَن بِـلَاد كُثَيِّرٍ، وَمَعْشُوْقَتِه عَزَّةَ فِي الْحِجَاز- شَمَال مَكَّة =

وَقِيل فِيه أَيْضًا - بِفَتْح الْهَمْزَة والرَّاء بِحَالها، وَبَعْدَهَا يَاءٌ مَفْتوحَةٌ تَحْتهَا نُقْطَتَان[1].

٣٤- بَاب أُديَّات، وأذنَات[2]

أَمَّا - بِضَم الهَمْـزَةِ ثُم دالٍ مَفْتُوحَةٍ غَيْـرِ مُعْجَمَةٍ، ثُم يَاءٍ مُشَدَّدَةٍ تَحْتَهَـا نُقْطَتَانِ-: أَرْض بَيْنَ دِيَار فَزَارَة وَآلِ كَلْبٍ[3].

= الْمُكَـرَّمَة، وَكَثِيـرًا مَايَـذْكُر مَـوَاضِع فِي تِلْك النَّـاحِيَة تَمْتَـد إِلَى خَلِيْج العَقَبَة مِثْل حَقْل، أَوْ بِقُـرْب ذَالِك الْخَلِيْج، كَشَغْبٍ وَبَدَا، وَلِهَذَا فَلَيْس مُسْتَبْعَدًا مَاجَاء فِي «تَـاج الْعَرُوْس» زَلَم-: (الأَزْلَم: أَحَد مَنَاهِل الْحَاج المِصْري سُمِّي بِهِ لأَنَّـه لَايَنْبُت بِهِ نَبَاتٌ، كَأَنَّـه مِن الزَّلَم، وَهُو السَّهْم الَّـذِي لَارِيْش لَهُ، ذَكَره هَكـذَا أَرْبَاب الرِّحَلِ، وَنَقَلـه شَيْخُنَا كَذَالِك، قُلْت: الصَّوَاب فِيـه أَزْنُم- بِالنُّون- كمَا ضَبَطَـه قَاضِي الْقُضَاة، شَمْس الدِّيْن مُحَمَّـد بن مُحَمَّد بن ظَهِير الدِّيْن الطَّرَابُلْسِـي فِي مَنْسَكِهِ) وَقَال فِي زَنَم: (وَأَزْنُمُ مَوْضِع بَيْن عَقَبَةِ أَيْلَةَ والمَدِينَةِ، وهـو الْمَعْرُوف الآنَ بِالأَزْلَم، وهَوُ أَحَد المنَاهِل لِحُجَّـاج مِصْرَ، وهَكَذَا ضَبَطَه الْقَاضِي شَمْس الدِّيْن الْطَّرَابُلْسِي فِي مَنَاسِكـه، وَضَبَطَه يَاقُوْتُ- بِالنُّون- وَأَنْشَد لِكُثَيِّر بن عَبْدالرَّحْمن، ثُم أَوْرَد الْبَيْت، وَقَوْله: وَيُرْوَى بِالزَّاء). انْتَهَى.

وَأُضِيف: الأَزْلَمُ لَايَزَال مَعْـرُوْفًا وَادٍ بَيْن ظِبَـا والْوَجْـه، وَفِي أَسْفَلِه مَنْزِلٌ مِـنْ مَنَازِل الْحُجَّاج، كَـان فِيْه قَلْعَـة وَآبَار مَاؤُهَا مُرٌّ. (وَقَـدْ تَحَدَّثْت عَنْه فِي («المُعْجَم الجُغْرَافِي» شَمَال الْمَمْلَكَة) والقَـوْل: بِأَنَّه سُمي بالأَزْلم لأَنَّهُ لَايَنْبُت فِيه نَبَات: غَيْر صَحِيْح، فَوَادِيه كَثِيْر الأَشْجَار وَمَـاقَرُب مِنَ الْبَحْر مِنْه يَكْثُر فِيْه نَبَاتُ شُجَيْرَات الْحَمْضِ الَّتِي تَنْبُت بِالْسِّبِخَات غَالِبًا. وَيَقَع وَادِي الأَزْلَم (بِقُرْب خَط الطُّول: ٠٠َ/ ٣٦ْ وَخَط العَرْض: ٢َ/ ٢٧ْ).

وَفِي «المُعْجَم» (أَزْنُمُ) - بِضَم النُّـوْن- مَـوْضِع فِي قَوْل كُثَيِّـر، وَأَوْرَد الْبَيْت وَقَـال: ويُرْوَىَ بِـالْـزَّاء مَكَان الْـزَّاي- وَالأَوَّل أَكْثَر.

(١) أَوْرَد يَاقُوْت فِي الْمُعْجَم: أَرْيَمُ- بِوَزْن أَفْعَل- نَحو أَحْمَد: مَوْضِع قُرْب الْمَدِيْنَة، قَال ابن هَرْمَة:

بَـــــادَت كَمَـــــا بَـــــاد مَنْـــــزِلٌ خَلَـقٌ ... بَيْـن رُبَـى أَرْيَـمٍ فَـــــذِي الحَلِفَــــــــةْ

انْتَهَى.

(٢) لَمْ أَرَه عِنْد الْحَازِمِيّ.

(٣) أَوْرَدَه يَاقُوْت مُضِيفًا قَوْل الرَّاعِي النُّمَيْرِيّ:

إِذَا بِتُّـمُ بَيْـن الأُدَيَّـــــــــات لَيْلَـــــــــةً ... وَأَخْنَسْتُـمُ مِـنْ عَـــــالِـجٍ كَـلَّ أَجْـــــرَعَـــــا

وَقَال: إِنَّه مَوْضِع بَيْن دِيَار فَزَارَة، وَدِيَار كَلْب. انْتَهَى.

وَكَذا وَرَد الْبَيْتُ فِي دِيْوانِه، وَفِي «اللِّسَان» (خَنَس)، وَأَرَى المَوْضِع بِقُرْب (رَمْل عَالِج) الْواقِع بيْن بِلَاد فَزَارَة.

وَأَمَّا – بِمَد الهَمْزَةِ وَكَسْر الذَّالِ المُعْجَمَةِ، وَبَعْـدَهَا نُونٌ-: جَاءَ فِي الْشِّعْر، وَأُرِيد بِهَا جَمْع أَذِنَةٍ، وَهِي خَيَالٌ مِنْ أَخْيِلةِ الحِمَى حِمَى فَيْدَ بَيْنَه وَبَيْن فَيْدَ نَحْو عِشْرِيْن مِيْلًا[1].

٣٥- بَابُ أَرْمَامٍ، وأَزْمَامٍ[2]

أَمَّا – بِالْرَّاء المُهْمَلَةِ-: جَبَلٌ فِي دِيَار بَاهِلَةَ، وَقِيْل: وَادٍ يَصَبُّ فِي الثَّلَبُوتِ مِن دِيَار بَنِي أَسَدٍ[3].

وَأَمَّا أَزْمَـامٌ-: بِالْزَّاي الْمُعْجَمَـةِ-: وَادٍ بَيْن فَيْد والْمَـدِيْنَةِ عَلَى طَرِيْق الْجَـادَّةَ، كَانَ بَيْنَـه وَبَيْن فَيْـد دُوْن أَرْبعِيْن مِيْـلًا، وَفِي كِتَـاب «مُتْعَـة الأَدِيْب»: أَرْمَـام وَرَاء فَيْـد، بَيْن الْحَاجِر وَفَيْد، وَهُو وَادٍ، وهُو بِالْرَّاء المُهْمَلَةِ[4].

---

(١) قَال الْحَـازِمِيُّ فِي (بَابُ أَذَنَةَ وآذِنَـةَ): آذِنَةُ – بِالْمَـدِّ وَكَسْرِ الذَّالِ: خَيَـالٌ مِنْ أَخْيِلَةِ الْحِمَى، حِمَى فَيْـدٍ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ فَيْدٍ، نَحْو عِشْرِيْن مِيْلًا، وَيُقَالُ لِتِلْكَ الأَخْيِلَةِ آذِنَاتُ.

وَأَوْرَد يَاقُوْت هَذَا مَنْسُوب مُضِيْفًـا: والأَخْيِلَةُ: عَلَامَاتٌ يَضَعُوْنَهَا عَلَى حُدُوْد الْحِمَى يُعْرَف بِهَـا حَدّه، وَنَقَل يَاقُوْتُ كَلَام نَصْرٍ بنَصِّـه، وَقَدْ وَرَد ذِكْر آذِنَةَ فِي كَلَام الهَجَـرِيّ فِي وَصْف حِمَى فَيْد بَعْد أَنْ ذَكَرَ الأَجْبُل الْـوَاقِعَةَ عَلَى ظَهْر طَرِيْق الْكُوْفَة بَيْن الأَجْفُر وَفَيْد، قَال: ثُم الْجَبَل الثَّالِث قُنَّةٌ عَظِيْمَةٌ تُدْعَى آذِنَة لِبَطْنٍ مِنْ بَنِي أَسَد، وَفِي نَاحِيَتِهَا مَاءَةٌ يُقَال لَهَا ثَجْرُ، وَلَكِنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْحِمَى، وَبَيْن آذِنَةَ وَفَيْد سِتَّة عَشَر مِيْلًا. انْتَهَى مُلَخَّصًا.

وَفَيْدُ: بَلْدَة لَاتَزَال مَعْرُوْفَةٌ شَرْقِيّ جَبَلِ سَلْمَى، أَحَدِ جَبَلي طِيِّءٍ، والْحِمَى مُحيْط بَهَذِه الْقَرْيَة.

(٢) زَاد الْحَازِمِي: (وَأَدْمَام).

(٣) هُوَ تَعْـرِيْف الْحَازمِي، وَقَد خَلَط يَـاقُوت فِي «الْمُعْجَم» بَيْن تَعْـرِيْف المَوْضِعَيْن، وَلَمْ يَزِد عَلَى مَـاهُنَا سِوَى قَـوْلِهِ:

وَيَوْمُ أَرْمَام من أَيَّام الْعَرِبِ، قَال الرَّاعِي:

تَبَصَّـــــر خَلِيْلِي هَـلْ تَــــرَى مِنْ ظَعَـــــائِنٍ ... تَجَـــاوَزْنَ مَلْحُــــوْبًــــا فَقِلْن مُتَـــالِعَــــا

جَـــــوَاعِـل أَرْمَـــــام شَمَـــــالًا وَتَـــــارَةً ... يَمِيْنًـــا فَقَطَّعْـنَ الْـــــوِهَـــادَ الــــدَّوَافِعَــــا

يَظْهَر أَنْ اسْم أَرْمَام يُطْلَـق عَلَى مَوْضِعَيْن، أَحَدُهُما يَقَع شَمَـال الْقَصِيْم، فِيْمَا بَيْن الْحَاجِر وَفَيْد، والثَّـانِي فِي بِلَاد بَاهِلَة، كَمَا نَصَّ على ذَالِك يَاقُوْت، إِذ قَال: إِنَّ أَرْمَام جَبَل عِنْد بَدْر، الْجَبَل الْوَاقِع فِي بَلَاد بَاهِلَة، وَأَنَّهُمَا يُقَال لَهُمَا بَدْرَان، وَبَدْر الجَبَـل هَذَا لَايَزَال مَعْرُوفًا، وَهُـو عَلى ضَفَّة وَادِي الْرِّكَاء الشَّمَـالِيَّة بِمِنْطَقَة الرَّيْب (الـرَّيْن) في إِمَارة الْعِرْض (عِرْض الْقُوَيْعِيَّة) وَهُو عِرْض بَاهِلَة. وانظر لتحديده كتاب «باهلة القبيلة المفترى عليها».

أَمَّا أَرْمَام الَّـذِي يَصُبُّ فِي الثَّلَبُوْت، وَهُو الْوَاقِعُ بَيْن الْحَاجِـرِ وَفَيْد، فَهُوَ وادٍ تَحَدَّثْتُ عَنْـه بِتَوسُّع فِي (قسم شَمَال الْمَمْلَكَـة مِن «المُعْجَم الجُغْـرَافِي») واستَنْتَجْت مِن أَقْوَال المُتَقَـدِّمِين أَنَّـه هُـو الْوَادِي المَعْـرُوف بِـاسْم شَعِيْب التُّوْزِي، وَوَادِي الخُلَّة أَحَد رَوَافِد الثَّلَبُوْت المَعْرُوف الآن بِاسْم (وَادِي الشُّعْبَةِ).

وَوَادِي الْخُلَّة هَذَا (يَقَع بِقُرْب خَط الْطُّول: ٥٤َ/ ٤١ْ وَخَط الْعَرْض: ٢٢َ/ ٢٦ْ).

(٤) وَلَنْ أُطِيْل بِأَقْوَال المُتَقَـدمِيْن عَنْ (أَرْمَام وَأَزْمَـام) إِذْ اتضح لِي مِمَّا أَوْرَدَهُ نَصْر: أَنَّ صَـوَاب اسْم المَوْضِعَيْن هُنَـا هُوَ (أَرْمَام) بِالْرَّاء المُهْمَلَة.

(خواطــر)

إيــه يــاشقــراءُ مــا أحلى الــوفــا ... من حليف الــوصــل من حِبٍّ طَمُــوح
أَنْتِ للـــــدين فنــــارٌ ســـــاطع ... شــاخــص في اللُّجِّ عن أي جُنُـــوح
إن للـــــدين هُنَـــــا مُعْتَنَقًـــــا ... تتبــــارى العَـــبَّ منـــــه كُــلُّ روح
في فِجَــــاجٍ فــــاقِعٌ نُـــوَّارُهَـــــا ... لم يُصَـــوِّح مُــزهِــرٌ في كل صُـــوح
أَمْسِ مـــــا أمسِ بعيــــدًا حينمـــــا ... هَـدَرَ الفَحْــلَانِ(١) عَـدْوًا بجمُــوُج
عـــاهـــدا الله علـى نشــر الهـــدى ... فــأزَالَا كُــلَّ أدواء الجـــــــــروح
من ضفـــاف العِلب(٢) هَبَّــا نُهْــزَةً ... زلـــزلت أصنـــام آفـــاق الفتـــوح
حَلَّقَتْ عَبْــرَ الفيــافـي فــاعتلت ... أَفْــرُعَ الآجــامِ بـــالعــزم الجَمُــوْح
يــــا لهــــا من دعـــوةٍ سُنيَّــــةٍ ... حملتهــــا كــل وَجْنَــــاءٍ مَــــرُوْح
سُنَّـــــةٌ شـــــاد بنــــاهــــا أحمــــد ... بعـــد مــا أُهْلِكَ غَــرْقَى قــوَم نــوح
يــا رمــالَ الــدِّعْصِ من خَلِّ النَّقَى(٣) ... يــامسيــلا فــاضَ بــالــوِدْقِ الطَّفُــوح
يــاشِعَـــاف القــور(٤) يــادُور الحجَى ... يـــــامــــراعي كل وجنـــاء مَسُـــوح
شـــاطــرينـــا واشهـــدِي أنــا بنـــو ... كُلِّ من بـــالشـــرع والحق صَــدُوح
كم قضينـــــا م الأَمَـــــاسِي زُمَـــرًا ... نقــرض الشعــر سِجَــالًا بــرضـــوح
وارتشفنـــا حُلْـــوَ هَنَّــات الصِّبَــــا ... بـــالتسلي حـــول قَـــوَّالٍ مَـــزُوْح
يـابطــاحًـا نــاصرت نهج الهــدى ... بعبيـــر الـــورد والـــزَّنْبَـقِ فــوحي
كَـــــرِّمي كـلَّ وفيٍّ صَـــــــادِق ... وتنــــاسَـــيْ كلَّ أفَّـــــاكٍ فَحُـــوح
كَلِّلِي بــــالغـــــار أعنـــاقَ الألى ... شــرَّفـونـــا بشَــذَى العِطـر النَّفُــوح

عبد الرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

---

(١) الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب

(٢) وادي حنيفة.

(٣) معبر في النفود شرقي شقراء بقربها.

(٤) الأكمات التي سميت شقراء باسم إحداها.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

مَعْدِنُ (بُحْرَانَ) أَيْنَ يَقَعُ؟

كتب الأخ عايض بن صويلح الحربي - من المدينة - يستوضح عن موقع معادن الفُرْع، وهل هو ما يعرف الآن باسم (مهد الذهب) معدن بني سليم؟ كما ذكر هذا الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد في كتابه «درب زُبيدة» - ص٢٦٤ - إذ قال: (ويفهم من البلاذري أن رسول الله ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني معادن بناحية الفُرْع - وينقل البلاذري رواية أخرى على النحو التالي: قال: أقطع رسول الله ﷺ بلال أرضًا فيها جبل ومعدن، فباع بنو بلال عمر بن عبدالعزيز أرضًا منها، فظهر فيها معدن أو معدنان، فقالوا: إنما بعناك أرض حرث ولم نبعك المعادن... وهذا المعدن هو مكان معدن بني سليم (أو مهد الذهب) ويبدو أن الأمويين كانوا يعينون عمالًا على المعدن) انتهى كلام الدكتور سعد.

والجواب:

١ - لاشك في تغاير الموضعين، وتباعد ما بينهما، فالفُرْع - ولا يزال معروفًا بهذا الاسم - موقعه أقرب إلى المدينة، وهو منها يقع في غربها على مسافة تقارب مئة وخمسين كيلًا، وكان في القديم من بلاد مُزينة، داخل سلسلة جبال الحجاز التي تفصل بينه وبين المدينة، ويقع بقرب (خط الطول: ٩َ / ٣٩ْ وخط العرض: ١٠َ / ٢٣ْ) كما ذكر الدكتور أسعد عبده في كتابه «معجم الأسماء الجغرافية» وهو منطقة واسعة، - انظر الحديث عنه مفصلًا مجلة «العرب» س ٢٧ ص ٦٨٣ - وموقع معدنه كان يعرف قديمًا باسم (بُحْران) - بضم الباء وإسكان الحاء، ومن أقدم النصوص في تحديد هذا المعدن ما ورد في «السيرة النبوية» في خبر عبدالله بن جحش حيث نزلت فيها آية ﴿**يسألونك عن الشهرِ الحرامِ قِتَالٍ فيه**﴾ وملخص الخبر أن رسول الله ﷺ بعث عبدالله

بن جحش الأسدي ومعه ثمـانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابًا أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظـر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكرِه من أصحـابه أحدًا، فلما سار عبـدالله يومين فتح الكتـاب، فإذا فيه: «إذا نظرت في كتـابي هذا فـامض حتى تنزل نَخْلَةَ بين مكة والطائف، فَتَرْصُدَ بها قـريشا وتَعْلَمَ لنا من أخبارهم» فمضى هو وأصحابه وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمعـدنٍ فوق الْفُرع يقال لـه بُحْران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غـزوان بعيرًا لهما، فتخلفا في طلبه، ومضى عبدالله وبقيـة أصحابه حتى نزل بنخلة، إلى آخر خبر السرية، فالنص كمـا هنا يوضح أن معدن الفرع يقال له بحران، وأنه فوق الفـرع أي في أعلاه، وهذا يوالي الطـريق الذي سلكته السريـة، ولعلها سلكت الطريـق النجديـة التي تدع سلسلـة جبال الحجـاز يمينها، وتتجـه نحو منطقـة المعدن (معدن بني سليم) الذي فيـه قريتا السويرقيـة وصُفَينة، ثم تنزل إلى نخلة اليمـانية مع ما يعرف بـاسم (المناقب) قـديمًا و (الرِّيْعَـان) حديثًـا، مارة بقـرن المنازل (السيل) أعلى وادي نَخْلَةَ اليمانية، حيث طريق قافلة قريش، عائدةً من الطائف.

وقـد اطلعني أخي الدكتـور عـايض الردادي على رأي لأحـد الإخـوة هو الأستـاذ محمد بن صالح البليهشي تحدث فيه عن الفـرع، وأشار إلى غزوته في عهد رسول الله ﷺ، وملخص ماذكـر: أن بني سليم تجمعوا لقتـال النبي ﷺ في بحران والفُـرع، فسار إليهـم، ولمـا علموا بذالـك تفرقـوا، فرجع الـرسول ﷺ إلى المـدينة. مضيفًـا: بعد أن وصل بحران في آخر وادي الفرع. وقال: إنه مر بوادي الفرع ذهابًا وإيابًا.

وقد حُرِّفَ بُحران مع مرور الأيام إلى (البَحَـرة) بفتح الباء والحاء والراء كما ينطقها العامة اليوم، والبحرة معدن من معادن الذهب القديمة في أسفل وادي الفرع بعد قرى أبي ضِبـاع. كـذا قـال الأخ البليهشي، وقـد عول فـي هذا على مـاذكـر الـواقـدي في «المغازي» - ١ / ١٩٦ - وليس فيه وصف بحران بالوادي كما في كلام الأخ محمد.

والذي في سيرة ابن هشام - ٣/ ٤٦-: ثم غزا رسـول الله ﷺ يريد قريشًا واستعمل على المدينـة ابن أم مكتوم فيمـا قال ابن هشـام، قال ابن اسحاق: حتـى بلغ بحران، معدنا بالحجـاز من ناحية الفرع، فأقام بها شهـر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا. انتهى.

وذكر الأستـاذ عاتق بن غيث البلادي في كتـابه «معجم معالم الحجـاز» أن بحران جبل يضـرب إلى الخضـرة والسمـرة، بيـن واديي حَجْـرٍ (السـائرة) ومَـرِّ عُنَيب عنـد افتراقهما في ديار زبالة، بقربـه ماء يسمى الوقيط، سرب يسح على الأرض، يبعد قرابة ٤٠ كيلًا جنوب الفرع و ٩٠ كيلًا شـرق رابغ، يمر بسفحه الطريق من رابغ إلى السائرة (حجر). انتهى.

ومفهوم كلام الأخوين أنـه يقع في أسفل وادي الفرع، ولكن هذا لا يتفق مع ما ورد في «سيرة ابن هشام».

والـذي أرى أن الموضع لا يـزال مجهولًا، وكلمـة (البحرة) كلمـة عامـة تطلق في اللغة على مواضع متعددة، وقد تكون وصفًـا وليست علمًا، ومنها ما هو علم، كما في بحرة الطائف، وبحرة الموضع الذي دون جدة.

ومهما يكن فمعدن بُحْران مغاير لمعدن بني سليـم الذي لا يزال معروفًا باسم مهد الـذهب، ويقع في سفوح حـرة بني سليم المتصلة ببـلاد نجد، خـارج سلسلة جبـال الحجاز، والمسـافة بينـه وبين المدينة كمـا أفادني الـدكتور عـايض الردادي (٢٥٨) كيلًا من الطريق الـذي سمي حديثًا خطأ بـ(طريق الهجـرة) ويقع المهد (معدن بني سليم) بقـرب (خط الطـول: ٥٢َ/ ٤٠ْ وخط العـرض: ٣٠َ/ ٢٣ْ) على مـا سجل الدكتور أسعد عبده في كتابه المذكور.

حمد الجاسر

الحصير والميثب والمصامة

كتب الأخ فراج بن شافي الملحم إلى «**العرب**» بأنه ورد في مقال «التصحيف في أسماء المواضع» س ٣٢ ص ٢ أن الحصير والميث بين بيشة ورنية.

والصحيح أن الحَصِير والمِيْثَب والمَصَامَة جميعها بين بِيشة وتَثْلِيْث.

وقد رغبت «**العرب**» من الأستاذ فراج أن يتحف قراءها ببحث مفصل في الموضوع.

مواضع في رحلة «نزهة الجليس» للموسوي المكي

كانت مجلة «الفيصل» - عدد ٢٣٠ ص ٣٥ - نشرت مطالعة لرحلة الموسوي المكي «نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس» وردت فيها أسماء مواضع ذكرها الرحالة في الحجاز وتهامة، وقد كتب الأخ الأستاذ علي بن صالح السلوك الزهراني تعليقًا على تلك المطالعة بما نصه: لقد تابعتُ ماكتبتموه عن رحلة الموسوي المكي، ووقفت عند رحلته إلى اليمن عن طريق السراة - الحلقة الثامنة العدد ٢٣٠ من مجلة الفيصل ودعوتكم لمثقفي المنطقة بإبداء مالديهم عن القُرى التي ذكرها في رحلته إلى القنفدة.

ولأن الطريق التي سلكها الموسوي هي طريق الحاج والمعتمر السروي إلى مكة المكرمة عن طريق الطائف وتسمى (طريق المسكين) لأن سالكيها يحتاجون لمساعدة الأهالي لهم من ضيافة وحماية. فقد تحققت عن القُرى التي ورد ذكرها فتبين لي الآتي:-

أولًا: قرى السراة:

١ - الصُّخَيْرَة (الصخيرات) وَعبّاسة، وأمّ شِرْب والحِوَاك، وَبِقْرَان وسُوق الضِّرَاب، والمَهْضَم وجَبَارة (جِدَارة) (الدار الحمراء).

هذه القرى على طريق الحاج القديم الذي كان يسمى (طريق المسكين) كما سبق وكلها في بني سعد.

٢- الحَدَب - بالفتح - وعَتَمة، والمَخَرَة - بالفتح - وحِصْن الشِّعاب - ودار الشِّعاب (الشَعاعِيب) - ودار الحُباب - بضم الحاء - هذه القرى من قرى بني الحارث وكانت تسمى (ناصرة) وهي على طريق الحاج أيضًا.

٣- عقبة ذي قين وتعرف عند الأهالي (ذوقين) وهي تنزل من شفا بني الحارث وبني مالك على وادي إضم بتهامة بني مالك.

ثانيًا: قرى تهامة:

١ - مراح بني هلال: سكانه اليوم من بني مالك - بجيلة - ومراح آل السني وآل صلاح يقع شمال بلدة الحَجَرة والسكان داخلون في زهران بالحلف، ومنازلهم بين آل هلال وبني سُليم - سكان الحجرة ويتبعون لمحافظة الليث.

٢ - سوق الأحد - هو سوق أحد الحجرة بتهامة زهران ويرتاده أغلب سكان تهامة الشمالية ولازال قائمًا حتى اليوم، أما سوق الاثنين فهو سوق الشعراء، ويقام حاليًا كل يوم خميس.

٣- الخَلِيف - بفتح الخاء وكسر اللام - قرية مجاورة لمدينة قلوة وتعد اليوم حيًا من أحيائها، ويسكنها المشاييخ وهي والخُلُف من البيوت العلمية القديمة لمشهورة في تهامة زهران.

٤ - دوقة - قرى تقع غرب مصب وادي دوقة في البحر الأحمر وسكانها من المشاييخ ويدخلون في زهران حلفًا.

حول سنة وفاة ياقوت: (٦٢٦)

قرأتُ في «**العرب**» س ٣٢ ص ٥١٥ ماكـان كتبه الأستاذ عبـاس هاني **الچراخ** عن سنة وفاة ياقوت الحموي رحمه الله: (٦٢٦).

و هذا نص مـا قاله: (يجمع العلمـاء والمؤرخون أن سنـة وفاة ياقـوت الحموي هي ٦٢٦هـ، وقـد أكد د. أحمـد الرَّبيعي خطأ هـذا التاريخ، ورجعت إلى «معجـم الأدباء» ٩/ ١٩٩ في تـرجمة: ابن البـاقلاني الحلي، فـرأيتـه يقول إنـه التقى بن [به] سنـة سبع وثلاثين وستة مئة. وعلى هذا التأريخ تكون وفاة ياقوت في هذه السنة أو التي يليها. وقد ذكرنا ذالك في مقال نقدي لنا نشر في جريدة «الثورة» - بغداد، ٢١/ ٤/ ١٩٩٤م).

والأستاذ عباس هاني قد أبان عن علم وفضل، بما أثرى به «**العرب**» من مراجعات نقديـة ماتعـة، فجزاه الله خيـر ما يجزي غيـورًا على تراث أُمَّتـه في زمننا.. هـذا الذي ماعاد يغري ما فيه بالتوفر على أمثال هذه المباحث الأصيلة وتحريرها.

قلتُ: رجعت إلى إحالة الأستاذ عبـاس على: «معجم الأدباء» ٩/ ١٩٩، فوجدت الأمر على ماذكر، إلَّا أن إحالته كانت على نشرة مرجليوث، ومعلوم مافي هذه النشرة من سقط وتلفيق وتصحيف وتحريف..، كل أولئك قد أفسدها حتى باتت نشرة سقيمة لا يُعتَدُّ بها[١].

وأمثل نشـرات «معجم الأدبـاء» - كمـا لا يخفـى - هي نشـرة الـدكتـور إحسـان عبـاس، وقد جـاء قول يـاقـوت فيها ٣/ ١٠٢٧: (لقيتـه ببغـداد [يعني ابن البـاقـلاني الحلي] سنة ثلاث وست مئـة وكان آخر العهد به). فكان لزامًـا على الأستاذ أن يرجع إلى هذه النشـرة، ولاسيما أنـه كان قـد قال في مـراجعته: «ديـوان يزيـد الحميري»..: «العـرب» س ٣٢ ص ١١٣: (أما بخصـوص (المصـادر والمراجـع). فالمـلاحظ أن المحقق الكريم رجع إلى طبعات غير علميـة لعدد من المصادر المهمة.. على الرغم من صدور طبعات علمية قيمة منها). أُخيَّ: ماعدا ممّا بدا[٢]؟!

ثم إن الوزير جمال الدين القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ - وليس ٦٢٤ كما ذكر على غلاف نشرة دار الفكـر من «إنباه الرواة» - قد قال في «إنباه الـرواة» ٤/ ٨٣ في ترجمة

ياقوت: (وأقام بالخان ظاهر حلب، فمرض ومات به في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وست مئة. رحمه الله). والقفطي – على الرغم من تنكره لياقوت – كان وثيق الصِّلة به، فلا يُتصور أن يهم القفطي نزيل حلب في تاريخ وفاة ياقوت المتوفى في الخان بظاهر حلب فينقصه إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة.

وعلى سعة اطلاع الأستاذ عباس ودقته في بحثه؛ فاته نصٌّ قاطعٌ لابن خَلِّكان المتوفى سنة ٦٨١، فقد قال في ترجمة ياقوت من «وفيات الأعيان» ٦/ ١٣٩ – نشرة الدكتور إحسان عباس وهي أصح نشرات هذا الكتاب –: (وتوفي يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وست مئة، في الخان بظاهر مدينة حلب.. وقدمتُ حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته، وذالك عقيب موته، والناس يثنون عليه ويذكرون فضله وأدبه، ولم يقدّر لي الاجتماع به).

هذا ما ظهر لي، ولعل عند أستاذنا مزيد بيان على ماذكره في تعليقته، والله أعلم.

الرياض: عبدالله بن عبدالعزيز الهدلق

الحواشي:

(١) ينظر: «الأعلام» ٨/ ١٣١ و «إنباه الرواة» ٤/ ٨٥، ومما قاله الزركلي: (و«إرشاد الأريب – ط» ويعرف بمعجم الأدباء، وفي النسخة المطبوعة نقص استدرك بتراجم ملفقة دُسّت فيه...). وما درى الزركلي – رحمه الله – أن يدًا آثمة ستطال كتابه – بعد وفاته – فتشوهه بالدس والتلفيق فالزركلي توفي سنة ١٣٩٦ – ومن شرطه ألّا يترجم للأحياء – وتقرأ في «الأعلام» ٢/ ٢٩ ترجمة (أنيس المقدسي) المتوفى سنة ١٣٩٧! و ٣/ ٢٣٦ ترجمة (ظافر القاسمي) المتوفى سنة ١٤٠٤! وحدثني شيخ من جلة العلماء أن أحد الغيورين خاطب القائمين على طبع «الأعلام» متسائلًا عن هذا الذي وقع فيه، فكان العذر أقبح من الذنب! وينظر في التحذير من هذا العبث: «الكشكول الصغير» لمحمود الأرناؤوط ص ٥١، و «ترتيب الأعلام على الأعوام» لزهير ظاظا ٢/ ٨٨٣، وكلام للدكتور العثيمين في «السحب الوابلة» ١/ ١٢٤ جاء فيه: (وأعلام الزركلي في طبعته الأخيرة في دار العلم سنة ١٩٨٤م فيها كثير من الإضافات ليست من كلام الزركلي، وهذا أمر خطير يجب التنبه له).

(٢) من باب الشيء بالشيء يذكر، جاء في هذه المراجعة: (ووجدت المحقق الفاضل يذكر.. «سمط اللآليء».. قلت: والصحيح: «اللآلي»، دون همز). قال العلامة الدكتور محمود الطناحي في كتابه الحافل: «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي». ص ١٢٧: (واسم الكتاب: «اللآلي في شرح الأمالي» فكلمة (سمط) من وضع الأستاذ الميمني).

وسألت شيخنا الطناحيِ – مشافهةً – عن هذا فقال – حفظه الله –: (نعم، ما فيه شك).

بلدة العطيان وسكانها

ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ٥٤٩ ما نصه: (في ضواحي حوطة بني تميم قرية باسم العطيان، وسكانها الآن من آل مرشد).

وقد كتب إلى «**العرب**» مدير معهد الحوطة الأستاذ علي بن إبراهيم بن محمد الرُّوَيِّغ بما نصه: (افيدكم أن العطيان قرية يسكنها قبائل ليسوا من بني تميم وهم:

١ - آل داوود من قحطان. ٢- آل إدريس من عائذ من قحطان.

٣- الرُّوَغَة من سبيع. ٤- آل خَميس من بني زيد.

وقد تتناوب إمارتها القبائل الثلاث الأولى. كما كتب إلى «**العرب**» الأخ حمد بن محمد آل إدريس من الرياض كتابًا في الموضوع جاء فيه: (إن آل داوود من بني هاجر).

وكتب الأخ محمد بن فواز آل داوود بما ملخصه: (إن العطيان هي القرية الوحيدة في منطقة حوطة بني تميم التي ليس فيها أحد من بني تميم، وقد كان أميرها قبل عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ابن إدريس من عائذ، ثم تولى آل داوود الإمارة وهم من قحطان وهي باقية فيهم حتى الآن، وسكان القرية أربع قبائل: آل إدريس من عائذ، وآل داوود من قحطان، والرُّوَغَة من سُبَيع، وآل خميس من بني زيد، ويخالطهم إخوة لهم لا نعلم إلى من ينتسبون). والمأمول ملاحظة ذالك عند إعادة طبع الكتاب.

آل يحيان من آل كثير من لام من طيء

فقد ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»: آل يحيان في الفيضة في السر من آل كثير من لام من طيء فقط. ولم يرد ذكر تفرعات لهذه الأسرة في غير الفيضة، وآل يحيان قبل أن يستقروا في الفيضة كانوا في الفرعة وهم من ذرية محمد اليحيى، وكان له من الولد صالح وماضي ويحيان وسليمان وهذا الأخير توفي ولم يعقب، وأثناء إقامتهم في الفرعة حصل خلاف بين محمد اليحيى وبعض المجاورين له في الفرعة على ملك قديم وصل إلى حد قتله، فلما علم أبناؤه بالخبر ثاروا على القاتل وقتلوه، ثم ارتحلوا من الفرعة فذهب صالح إلى القصيم واستقر في خب العوشز جنوب بريدة ولقب بالسديري وذريته إلى الآن لا يعرفون إلا بالسديري، وتفرع من السدارا أسرة الحنيشل وهذه الأسرة غير الأسرة الخالدية التي تسكن في بريدة وإنما بينهم مصاهرة لا صلة نسب. وأما ماضي بن محمد فإنه ذهب إلى بريدة واستقر هناك وذريته تعرف إلى الآن بعائلة الماضي وقد ارتحل بعض منهم إلى الكويت واستقروا فيها. وأما يحيان فإنه انتقل من الفرعة إلى فيضة السر واستقر فيها وذريته يعرفون بهذا الاسم إلى هذا الوقت، ويوجد من هذه الأسر أُناس في القصيم والسر والرياض وجدة والخبر والدمام وفي شمال المملكة والكويت.

الرياض: صالح بن عبدالله السديري

* «إتحاف المَهَرة بالفوائد المبتكرة، من أطراف العشرة»

هذا الكتاب كما جاء في مقدمة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عنه: روعي في اختيار نشره حاجة الخاصة من الناس، ذوي العناية بالحديث وعلومه، ليكون مرجعًا لهم، يستفيدون منه، مع صِنْوه «تحفة الأشراف» في تخريج الأحاديث الشريفة من كتب يصعب استخراج الحديث منها، واستيعاب طرقه، من عشرة كتب هي: «سنن الدارمي» و«صحيح ابن خزيمة» و «المنتقى» لابن الجارود، و «مستخرج أبي عوانة»، و«صحيح ابن حِبَّان» و «المستدرك» للحاكم، و «موطأ الإمام مالك»، و «مسند الإمام الشافعي» و «مسند الإمام أحمد»، و «شرح معاني الآثار» للطحاوي، مع إضافة «السنن» للدارقطني، لتكون الكتب أحد عشر، فهو فهرس مرتب على أسماء الصحابة الرواة، الذين لهم ذكر في تلك الكتب، فإن كان الراوي من المكثرين، رُتِّبَتْ أحاديثه بحسب الرواة عنه من التابعين ثم من يليهم، وهذا الكتاب يُعَدُّ مكملاً لكتاب «تحفة الأشراف» الذي حوى فهرس أطراف الكتب الستة المشهورة «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و «سنن أبي داود» و «سنن الترمذي» و «سنن النسائي» و «سنن ابن ماجة»، ومجموع الكتب في المُؤَلَّفَيْن المذكورَيْن تحوي دواوين السنة الجامعة لأكثر الأحاديث الصحيحة إن لم يكن كلها.

أما الأطراف، فالمقصود بها عند علماء الحديث: ذكر طرف من حديث الصحابي مفردًا، أما غير أهل الأطراف كأهل المسانيد فيذكرون الحديث كاملاً ويستقصون جميع حديث ذالك الصحابي، إذْ قصدهم حَصْرُ جميع ما روي عنه من غير نظر إلى التبويب الفقهي.

ومؤلف كتاب «تحفة الأشراف» هو الحافظ يوسف بن عبدالرحمن القضاعي الحلبي المزي (٦٥٤/ ٧٤٢هـ)، وهو من أشمل الكتب في موضوعه وأحسنها ترتيبًا،

وقـد نشـر سنـة ١٣٨٤ عن الـدار القيّمـة فـي (بـومبـاي في الهنـد) بتحقيق الأستـاذ عبدالصمد شـرف الدين، وجاء في ١٣ مجلـدًا عدا الكشاف، وهناك مـؤلفات أخرى كثيرة فـي هذا المـوضوع، أريد منهـا خدمـة الأحاديث النبـوية بإيضـاح مواقعهـا من الكتب المعروفة.

وقـد اتجه (مـركز خـدمـة السنة والسيـرة النبويـة) للعنـاية بهـذا الكتاب، وتـولى المشـرف على أعمال البـاحثين فيـه الدكتـور زهير بن نـاصـر الناصـر تحقيقه، وقـام (مجمع الملك فهـد لطبـاعـة المصحف الشـريف) بطبـاعتـه، وتَـوَلَّتْ نشـره (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقـاف والدعوة والإرشاد) بالتعاون مع (الجـامعة الإسلامية) في المدينة المنورة.

ومؤلف الكتاب هـو الحافظ أحمد بن علي بن محمد الكنـاني المصري الشافعي (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، وقد صدر الكتاب بمقدمـة ضافية ذات مباحث عن المؤلف وعن فن الأطـراف، وعن المـؤلفـات في هـذا الفن، ثم تـرجمـة أصحـاب الكتب العشـرة المقصودين بكتـاب «إتحاف المهـرة» وعن أهمية هـذا الكتاب، والخُطَّـة المتبعة في تحقيقـه، والطبعـات المعتمدة للكتب العشـرة في التحقيق مع وصف لمخطـوطـات الأصل، كل هـذا يقع في نحو ١٥٠ صفحـة، بعدهـا يبتدئ الجزء الأول مـن الكتاب ويحوي (مسند أَبي اللحم) إلى (مسند أنس بـن مالك) وفيه من الأحاديث (١٠٧٥) حـديثًا وفي الجـزء الثاني الـذي يليـه بقية (مسنـد أنس) إلى (مسند التلب بن ثعلبـة العنبـري) وهكـذا إلى الجزء السـادس حيث يحـوي (مسنـد سليك الغطفـاني) إلى (مسند عبدالله بن عامر العَنْزِي). وبقيةُ الأجزاءِ تحت الطبع.

وطبـاعـة الكتـاب حسنـة من حيث الحـروف والـورق وحسن التـرتيب، وقـد زُيِّن بتعليقات وإيضاحات وافية مما يدل على شدة عناية، وقوة اهتمام، واتجاه من الإخوة القائمين على نشره في (مركز خدمة السنة والسيرة النبوية) في المدينة المنورة.

وقد صدرت الطبعة الأولى منه كما يبدو من جميع الأجزاء سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠
للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص. ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤٦٢١٢٢٣
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ٣، ٤ س ٣٣ - رمضان، شوال سنة ١٤١٨هـ - كانون ٢، شباط (يناير، فبراير) سنة ١٩٩٨م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(١٨)

دَحْل: (دُخَّل)

قال البكري في «معجم ما استعجم» في رسم (دَحْل) - بفتح أوّله وإسكان ثانيه: واد يتَّصل بسرار، من ديار بني مازن، وقد تقدم ذكره في رسم الأشعَر، وسيأتي أيضًا. ثم ذكر مواضع وقال في رسم الأشعر: وبين ظَلم ومُلَيْحَتَيْن الدَّحْلاَن: دَحْلٌ ودَحْلٌ، وعَذْمَرُ، وهو جبلٌ عظيم بين مُلَيْحَةَ وصعيد ظَلم، ثم يلي مُلَيْحَتَيْن بُوَاطَان. إلى آخر ما ذكر، والبكريُّ هنا - رحمه الله - خلطَ وَصْفَ جبلي جُهَيْنة الأشْعَر والأجْرَد، فالأسماء التي ذكرها أخيرًا هي واقعة في جبل الأجرد الذي ينحدر منه وادي بواط.

أما قوله: (الدَّحْلاَن دَحْلٌ ودَحْلٌ) فهذا الاسم قد ورد في كتاب نصر، وفي كتاب الحازمي بعده، فقال الأول: دُخَّلُ - بضم الدال وفتح الخاء المعجمة والتشديد -: موضعٌ قرب المدينة بين ظَلم وملْحَتَيْن. وقال الحازمي: دُخَّل - بعد الدال المضمومة خاء مفتوحة مشددة -: موضع قرب المدينة. ولم يزد صاحب «معجم البلدان» على هذا، وقد علق أحد قراء مجلة «العرب» عند نقل هذا الكلام، وهو الأخ عبدالرحمن بن حُميد الحربي - س ٢٨ ص ٨٤١ - بما نصه: (دُخَّلُ الموقع هذا يعرف اليوم باسم (الدَّاخلَة) وهو واقع بين ظلم وملحتين، وهو واد ينزل من جبل في الغرب، وينحدر في سَهل مُتَّسع في الشرق، والجبل الذي ذكره المؤلف باسم (عَذْمَر) يقع شمال الدَّاخلَة، يعرفُ اليوم باسم (عَدْمَر) ولا يُعرف به أي ماء اليوم، وجهته الشرقية تعرف باسم الوشي، ولا يوجد به من الماء إلاَّ ما يجتمع وقت نزول المطر، ثم تمكث فترة قصيرة وتنتهي، وهو في جهة الجبل الشرقية. انتهى.

أما كونه قديمًا يطلق على جبل، وحديثًا يطلق على وادٍ، فمن المعروف أن الأودية كثيرًا ما تنحدر من جبالٍ، ويبدو أن اسم الجبل أُطْلِقَ على الوادي فَعُرِف به، ومثل هذا كثير في المواضع.

وإذَنْ فليس الموضع سواء كان جبلًا أو واديًا كما ذكر البَكريُّ دحل ودحل، وإنما هو دُخَّلُ بالدال والخاء المعجمة بعدها لام على ما ذكر نصر ومن تابعه وينطقه العامة الآن باسم(الداخلة).

ذَمُّوْن: (دَمُّوْن)

قال ياقوت في «معجم البلدان» في حرف الذال: (ذَمُّوْن - بفتح أولِه وتشديد ثانيه، وسكون الواو، وآخره نون، هو الموضع الذي كان فيه امرؤ القيس يشرب فجاءَه الوصَّافُ رجلٌ بِنَعْيِ أبيه، فقال امرؤ القيس:

تطاول اللَّيْلُ عليَّ ذَمُّوْنْ ... ذَمُّوْنَ إنَّا مَعْشَرٌ يمانُوْنْ

وإنَّا لأَهْلِنَا مُحِبّون

ثم قال: ضَيَّعني صغيرًا وحَمَّلني دَمَهُ كبيرًا، لا صَحوَ اليوم، ولا سُكْرَ غدًا، اليوم خَمْرٌ وغدًا أَمْرٌ، فذهبت مثلًا). انتهى كلام ياقوت، ويظهر أنه نقله عنْ «صفة جزيرة العرب» للهمداني، والأسماء فيها غير مضبوطة الهجاء، ولهذا حدث فيها كثير من التصحيف. وصواب هذا الاسم بالدال المهملة كما وردت في الكتاب المذكور - ص ١٦٩ - منشورات (دار اليمامة) - ونصُّهُ: (بلد كِنْدَة من أرض حضْرَمَوَت: فإذا خرج الخارج من العَبْرِ لقي أول ذالك دَرْب العجيز الكنْدِيِّ، ثم هَيْنَنَ، وهي قرية كبيرة في أسفلها سوق، وفي أعلاها حصن للحُصين بن محمد التُّجِيْبِي، وساكنها بنو بَدَا، وبنو سهل من تُجِيْب. ثم صُوْرَان قريةٌ مقتصدة لِتُجيب من كندة، ثم قشاقش قرية في رأس جبل لتجيب، ثم عَنْدَل مدينة عظيمة للصَّدف، وكان امرؤ القيس بن حجر قد زار الصَّدف إليها وفيها يقول:

كَأَنِّيَ لَمْ أَلْهُ بِدَمُّوْنَ مَرَّة ... ولم أَشْهَدِ الْغَارَاتِ يومًا بِعَنْدَلِ

وعَنْدَل وخَوْدُون وهَدُون ودَمُّوْنُ مُدُن للصدف بحضرموت). انتهى.

وقال الأستاذ محمد عبدالقادر بامُطْرِف في ملاحظاته على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت: (ثم يذكر الهمداني قرية قُشَاقِش بضم القاف الأولى والصحيح أنها تنطق بفتح القاف الأولى، ولعل الخطأ في عدم ضبط نطق الاسم راجع إلى

الناسخ، وقد أخطأ الهمداني حينما قال: إن هذه القرية على رأس جبل، والصحيح أنها قائمة على سفح الجبل، وهي نصف خربة، وللفائدة يجدر بنا التوضيح أن هذه القرية كانت مَقَرًّا لأحد ملوك كِنْدة، من قبيلة قُشَاقِش من بني يزيد بن معاوية، ولذا أُطْلِق اسْمُها على مساحة واسعة من الأرض المجاورة لها تسمى إلى اليوم كَسْر قُشَاقش، وكلمة (الكسر) تعني الناحية المطمئنة من الأرض الجرداء الصلبة، المجاورة للجبال أو الصحراء، وبما أن هذه الأرض الجرداء تقع بين سلسلتي جبال غربية وشرقية فقد سُمِّيَتِ الْكَسْر، ونُسِبَتْ إلى القبيلة الكندية القديمة قُشَاقش، وبصفحة ١٧٠ من «الصفة» يذكر الهمداني خطأً مدينة قديمة اسمها (هَدُون) قال: إنها في منطقة الْهَجْرَيْنِ، والصحيح أن مدينة هَدُوْن هذه عامرة إلى اليوم، ولكنها ليست في منطقة الهَجْرَيْنِ، وإنما هي جنوب مدينة رِحاب في وادي دَوْعَن الأيمن.

أما (خَدُوْن) هذا هو رسمها الصحيح، وليست خَوْدُون أو خَيْدون كما جاء خطأ بصفحة ١٧٠ من «الصفة»، و (دَمُّوْنَ) فإنهما خراب الآن، وكانتا في القديم تُشَكِّلَانِ جَزْأَيْنِ لمدينة واحدة، يقال لها المُنَيْظِرة (تصغير مِنْظَرَة) وتقع بأسفل السفح الشرقي لجبل الْهَجْرَيْنِ، دمون الوارد ذكرها هنا هي التي عناها الشاعر الجاهلي امرؤ القيس حينما قال (كَأَنِّي لم أَلْهُ بِدَمُّوْن لَيْلَةً) إلى آخر ما قال.

لكن الهمداني بصفحة ١٧٠ من «الصفة» قال خطأً: (إن خدون ودَمُّوْنَ قريتان مقتبلتان في رأس جبل حصين، يُطْلَع إليه في مَنَعة من كل جانب، يقال لواحدة خدون ويقال للأخرى دَمُّون، والصحيح هو كما ذكرناه. ثم يقول الهمداني: (الهجران تثنية الهَجْر، والهجر القرية بلغة حِمْيَرَ والعرب العاربة).

ونقول نحن: إن مدينة الهجرين (كان الحضارم قديمًا ينطقونها هَجْرَنْ) مدينة عامرة إلى يومنا هذا، ولاعلاقة لها البتة بمدينة المنيظرة، سالفة الذكر التي يشكل جُزْءَيْهَا كلٌّ من خَدْوَن ودَمُّون، وتقع الهَجْرَيْن على سطح تَلٍّ يشرف على قصبة مسيال وادِي دَوْعَن، حيث تكون النخيل والذُّبُوْرُ على ضَفَّتِيْ هذا المسيال إلى شرقي التل. انتهى.

وقد أطلت بنقل النص، لأن كثيرًا من المواضع من مدن وقرى وغيرها في الجزء الحبيب من وطننا حضرموت لايزال كثير من القراء يجهله، ومؤلفات إخواننا من أهل تلك البلاد ليست منتشرة.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

«الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به»

(١٦)

■ **المبحث الثامن: جبل نعيلة (الشرقي):**

نُعَيلة: بضم النون، وفتح العين المهملة - مصغرًا - ونعيلة هذا، هو غير نعيلة المذكور في أول هذا الفصل والذي أسميناه (نعيلة الغربي).

وجبل نعيلة: جبل ليس بالمرتفع، يمتدّ من الغرب إلى الشرق، وطوله مئة وألف متر (١١٠٠ م). ويخترق رأسه الغربي درب اليمن القديم عند شرفة ليست بالعالية. ورأسه الغربي يسامت الرأس الجنوبي لجبل لبين تمامًا من الشرق. كما أنه يسامت (دقم أبو رويكة) من الشمال. والمسافة بين رأسه الغربي هذا، وبين (دقم أبو رويكة) مئتان وألف متر (١٢٠٠ م).

وعلى ذالك فإن انتقال الحدّ من (دقم أبو رويكة) أو (الباب الأول) إلى جبل نعيلة معناه رجوع الحدّ رجوعًا عكسيًّا، أي رجوعه إلى الشمال بعد التفاتِه على الباب الأول، كما أننا لم نجد أعلامًا في رجوعنا إلى جبل نعيلة. والأرض كما سبق وَصفْها أرض رملية، ليس فيها مرتفعات جبلية لا في طريق الذهاب إلى الباب الأول، ولا في طريق الرجوع منه.

ومسألة رجوع الحدّ بهذه الصورة تثير أكثر من سؤال. فلقائل أن يقول: ما هو دليل رجوع الحدّ وسيره على جبل نعيلة؟

والجواب على ذالك من وجهين:

الأول: أن جبل نعيلة منصوص عليه في كتب الأقدمين أنه من حدود الحرم.

قال الفاكهي[١]: (كبش: الجبل دون نعيلة في طرف الحرم) انتهى، ومثل هذا القول عند الأزرقي[٢] وكبش جبل يعرفه أهل المنطقة، وهو في الحرم، وهو قبل نعيلة، أما نعيلة فلا زال هذا اسمه لم يتغيّر، وهو في حدود الحرم.

الثاني: وجود ثمانية عشر علمًا لا شبهة فيها على ظهر هذا الجبل تسير من الغرب إلى الشرق.

ورُبّ سائل يسأل فيقول: إن رأس نعيلة الغربي يسامت الرأس الجنوبي لجبل لبين، فلماذا لا نقول: إن الحدّ ينعطف من لبين إلى نعيلة مباشرة؟ من غير حاجة إلى السير جنوبًا مئتين وألف متر (١٢٠٠ م) ثم رجوعه مثل هذه المسافة؟ ولسائل هذا السؤال أدلّة تستوقف الباحث، منها:

أن درب اليمن القديم عندما يمر على الرأس الغربي لجبل نعيلة إنما يمر على شرفة ضيّقة في هذا الجبل تشبه الباب الأول إلا أنها أقل ارتفاعًا منه من ناحية أرضه ومن ناحية ضفتيه الشرقية والغربية. وهذه الشرفة يمكن أن نطلق عليها اسم (الثنية) وهي أقرب إلى جبل لبن من الباب الأول، فلماذا لا نقول إن (ثنية لبن) التي ذكرها الأزرقي هي هذه وليست الباب الأول؟ ومما يقّوي هذا أيضًا أن هذه الشرفة التي يمر عليها درب اليمن القديم - أنه يوجد عند ضفتها الغربية المسامتة لرأس جبل لبين آثار يمكن أن يقال إنها آثار رضمين متهدمين لم يبقَ منهما إلا الأُسس. وعند ذاك نجيب عن هذا السؤال فنقول: إن ما أثاره هذا السائل لهو موضع جدير بالتحقيق، لأننا إذ أردنا أن نُثبت أن (ثنية لبن) التي ذكرها الأزرقي موضعًا للحدّ على درب اليمن، هي (شرفة نعيلة) وليست (الباب الأول) إذا أردنا أن نثبت ذالك فليس لنا إلا طريق واحد: وهو معرفة موضع العلامة المبنية التي كانت تقوم على هذه الثنية، ونحن رجّحنا أن موضع العلامة هو ذالك الأساس المربّع ذو الزوايا القائمة والأضلاع المستقيمة، وموضعه كما علمنا سابقًا على الباب الأول ونحن لم نجد أثرًا للنورة على ذالك الأساس، ولكن استنتجنا من شكل الأساس وجودة رصفه أنه كان بناء، ولسنا هنا في موضع شك من أدّلتنا، على كل فاسم (الثنية) إنما يصدق إطلاقه على (الباب الأول) وقد لا يصدق إطلاقه على (شرفة نعيلة) حيث إن شرفة نعيلة أقل ارتفاعًا وأسهل مسلكًا بكثير من مسلك الباب الأول. وإنما ذكرنا ما ذكرناه من هذا الإشكال وأجبنا عنه ليعلم القارئ والباحثون أننا - ولله الحمد - منتبِهون لما قد تثيره هذه الالتواءات في سير الحدّ من شبَه وتساؤلات.

نعود بعد هذا إلى جبلة نعيلة، وأعلامه التي وجدتُها عليه، وقبل أن أبدأ بوصف

أعلام هذا الجبل، لابـدّ من ذكر أمر يتعلّق به. وهـو أن هذا الجبل واقع في أرض يقال لها (أرض نعيلة).

إن بلاد نعيلـة يحدّها حدود أربعـة، من الشرق: علوّ جبل الصحيفة ووجـه مهجرة وتمام الحـدّ جبل كساب. وغربًا: الـدرب السلطاني من مسيل وادي عرنـة إلى الباب الأوسط. وشـامًـا: الـوادي الفحل. ويمنًا: مسيـل الحوض الفـاصل بين هـذه البـلاد والبلاد المسماة (العائضية).

وهذه الحدود الأربعة المذكـورة في صك أرض نعيلة تدخل جبل نعيلة ضمن بلاد نعيلة.

أما وصف الأعلام التي وجدناها على جبل نعيلـة وعددها ثمانية عشر علمًا (١٨) فهو كالآتي:

العلم الأول: يبعد مئـة متر (١٠٠ م) إلى الشرق من شـرفة نعيلة التي يطـؤها درب اليمن القديم (الدرب السلطاني). وهو رضم متوسط قديم متهدم، وكثير من حجارته دفنتها الرمال.

العلم الثاني: يبعد عن سابقه عشرين مترًا (٢٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الثالث: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الرابع: يبعـد عن سـابقـه عشرين متـرًا (٢٠ م)، وهـو رضم قـديم متـوسط متهدم. ولكونه في موضع منخفض فقد دَفنت الرمال كثيرًا من حجارته.

العلم الخامس: يبعد عن سابقه ثلاثين مترًا (٣٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير متهدم.

العلم السادس: يجاور السابق من الشرق، وهو رضم كبير متهدم.

العلم السابع: يبعد عن سابقيه مئتي متر (٢٠٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير متهدم.

العلم الثامن: يبعد عن سابقه ثلاثين مترًا (٣٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير قطره متران (٢ م)، وبعضه متهدم وبعضه لازال قائمًا.

العلم التاسع: يجاور السابق، ولا يبعد عنه سوى مترين (٢ م)، وهو رضم متوسط متهدم.

العلم العاشر: يجاور السابق من الشرق، ويبعد عنه ثلاثة أمتار (٣ م)، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

العلم الحادي عشر: يجاور السابق من الشمال، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

وهذه الأعلام الأربعة السابقة تتوسط جبل نعيلة تقريبًا.

العلم الثاني عشر: يبعد عن العلم السابق ثلاثين مترًا (٣٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير قطره متران (٢ م)، بعضه متهدم، والبعض الآخر لازال قائمًا، وهو يشبه العلم الثامن السابق ذكره.

العلم الثالث عشر: يبعد عن سابقه ثلاثين مترًا (٣٠ م)، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

العلم الرابع عشر: يبعد عن سابقه عشرين مترًا (٢٠ م) شرقًا، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

العلم الخامس عشر: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شرقًا، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

العلم السادس عشر: يجاور السابق من الشمال، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

العلم السابع عشر: يبعد سابقه خمسة أمتار (٥ م)، وهو رضم مستطيل، طوله عشرون مترًا (٢٠ م) يمتد من الغرب إلى الشرق، ولا زالت بعض أركانه بحالة حسنة وهو جيّد الرضم، كأنه يسدّ ريعًا صغيرًا على هذا الجبل، فالرضم ينزل من مرتفع نحو ريع ضيّق، ثم يرتفع مرّة أخرى إلى الضفة الشرقية لهذا الريع. وهذا العلم من الأعلام المهمّة، إذ يبيّن لنا اتجاه الحدّ على هذا الجبل، وصحة مسار الحدّ عليه.

ويُعَدُّ هذا العلم والعلمان السابقان (الثامن والثاني عشر) أهم أعلام جبل نعيلة.

وبعد هذا العلم المستطيل ينشطر الرأس الشرقي لجبل نعيلة إلى شطرين، الأول: يتجه نحو الجنوب الشرقي، والآخر إلى الشمال الشرقي. والرأس الجنوبي الشرقي لم أجد عليه شيئًا، أما الرأس الشمالي الشرقي فوجدتُ عليه:

العلم الثامن عشر: ويقع على منتصف هـذا الشطر، وهـو عبارة عن رضم متـوسط قديم منهـدم، والملاحظ أنه أُقيم قبل هـذا العلم حجرة مربعـة، مرضومـة، كما أُقيمت حجـرة أخرى عنـد نهايـة رأس هذا الضلع، وهـي تُشبه تلك الحجـرة من حيث كونهـا رضمًا بالحجارة فقط، وقد يخيَّل للرائي أن مكان هاتين الحجرتين كان علمان كبيران.

وبالعلم الثـامن عشر تكون قـد انتهت أعلام جبل نعيلة، وهي أعـلام تشير إلى أن ما سال من هذا الجبل نحو الشمال فهو حرم، وما سال منه نحو الجنوب فهو حلّ.

وبعد (جبل نعيلـة) ينتقل الحدّ إلى (جبل غراب) وهو يقع إلى الشـرق من الرأس الشمالي الشرقي من جبل نعيلـة، مع مَيل نحو الشمال. والمسافـة بين هذا الرأس من جبل نعيلة، وبين جبل غراب ثمان مئة متـر (٨٠٠ م)، لم أجد فيها آثار الأعلام، لأنها أرض فضاء وليس فيها مرتفعات. وجَرتِ العادة بعدم بناء أعلام في الأرض الفضاء.

■ **المبحث التـاسع: جبل غـراب**: قـال الأزرقي[٣]: (غـراب: جبل بأسفل مكّـة، بعضه في الحلّ، وبعضه في الحرم) انتهى ثـم قال: (النبعة: تصب في أسفل غراب). انتهى، ثم قال: (الضحـاضح: ثنية ابن كرز، ثنيـة من وراء السلفين، تصب في النبعة، بعضها في الحلّ، وبعضها في الحرم) انتهى.

وقد أفاد الفاكهي[٤] في كتابه ما أفـاد الأزرقي. وقد سألتُ أهل المنطقة من هذيل وخـزاعة عن غـراب المقصـود هنـا فلم يعرفـوه، واختلفـوا فيه. وكـذلك سألتُ عنـه الشريف محمد بن فوزان - رحمه الله - وغيـره من المهتمين بهذا الشأن، فاختلفوا فيه أيضًا. وسبب هذا الاختـلاف هو كثرة الجبال السود التي يصـدق عليها اسم (غراب) في هـذه المنطقة. كان إذن لابـدّ من البحث في هـذا الجبل، وتعيينه، بهـذه الصفات التي حَدَّدها الأزرقي، وهي:

١ - أن يكون أسود مثل الغراب.　　　٢ - أن تكون فوقه أعلام الحرم.

٣- أن يصب في أسفله شعب، ورأس هـذا الشعب ثنية، وهذه الثنية تكـون قاسمًا بين الحلّ والحـرم، ويجب أن يكـون مـوضع هـذه الثنيـة وراء السلفين (أي أسفل السلفين اليماني والشامي).

ووفق هذه المواصفات جعلتُ أبحث عن (غراب).

وكنتُ قد حرّرتُ في تعليقاتي على كتاب الفاكهي[٥] أن المراد بالسلفين هو: أرض الحسينية اليوم، ولا يوجد ريع وراء الحسينية بعضه في الحلّ وبعضه في الحرم، ويسيل على شعب، وهذا الشعب يصبّ أسفل جبل أسود عليه أعلام الحرم. إلا (ريع مهجرة) فهو يسيل غربًا على شعب يقولون له (فجّ مهجرة)، وهذا الفجّ يسيل أسفل جبل أسود بعد ثلاث مئة متر (٣٠٠ م)، وهذا الجبل وجدتُ عليه أعلام الحرم، وعلى ذالك فإن (فج مهجرة) هو شعب النبعة، و(الضحاضح) و (ثنية ابن كرز) هما: ريع مهجرة. وسوف يأتي الكلام عن هذا الريع.

وبذالك عرفنا جبل (غراب) وهو جبل أسود ليس بالكبير، يقع عند الرأس الغربي لجبل الخاصرة (مبعّر).

ويحدّه:

من الجنوب: مسيل يقع عند الرأس الغربي لجبل (الخاصرة، أو مبعّر) هو مسيل فجّ مهجرة.

ومن الغرب: أرض بيضاء تفصل بينه وبين جبل نعيلة.

ومن الشرق: جبل الخاصرة.

ومن الشمال: وادي عرنة، وهو ليس متصلًا بجبل الخاصرة، بل هو منفصل عنه.

ويبعد (جبل غراب) عن الرأس الشمالي الشرقي لجبل نعيلة ثمان مئة متر (٨٠٠ م) كما سبق ذكره.

أما الأعلام التي وجدتُها على هذا الجبل فهي خمسة أعلام، تفصيلها كالآتي:

العلم الأول: يقع على الرأس الغربي المقابل لجبل نعيلة، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

العلم الثاني: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شرقًا، وهو رضم متوسط قديم متهدم.

العلم الثالث: متصل بالعلم السابق، وهو رضم مستطيل، يتجه شرقًا. وطوله عشرة أمتار (١٠ م).

العلم الرابع: يجاور الرأس الشرقي للعلم المستطيل السابق، وهو رضم متهدم.

العلم الخامس: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) جنوبًا عدلًا، وهذا يشير إلى انعطاف الحدّ نحو الجنوب.

هذه الأعلام الخمسة التي وجدتُها على جبل غراب، بعدها ينتقل الحدّ إلى (جبل الخاصرة).

■ **المبحث العاشر: جبل مبعّر (الخاصرة)**[٦]: جبل الخاصرة: هكذا سمّاه لنا أهل هذه المناطق من هذيل وغيرهم. وسمّاه لنا جماعة منهم: جبل (الخواصر)، والاسمان قريبان من بعضهما.

وظهر اسمه في الخرائط باسم(مُبَعِّر) بضم الميم وفتح الباء وتشديد العين المهملة المكسورة.

وهو جبل طويل ليس بالعريض كثيرًا، يمتدّ من الغرب إلى الشرق.

يحدّه من الغرب: (جبل غراب).

ومن الشرق: له رأسان: الرأس الجنوبي ينتهي بريع مهجرة ورأسه الشرقي ينتهي عند بلدان زراعية تابعة لبلدان الحسينية.

ويحدّه من الشمال: وادي عرنة. **ومن الجنوب**: فج مهجرة، ويقابله من الشمال (جبل الراقد) أو (جبل حبشى) الذي توفي عنده عبدالرحمن بن أبي بكر الصدّيق - رضي الله عنهما[٧] ولا يفصله عنه إلا وادي عرنة.

ويبعد رأسه الغربي الذي عليه أول أعلام هذا الجبل، ثلاث مئة متر (٣٠٠ م) عن الرأس الجنوبي لجبل غراب. وهذه المسافة لم أجد فيها أعلامًا، لأنها أرض فضاء ليس فيها مرتفعات.

والأعلام الموجودة على جبل الخاصرة تقسم هذا الجبل إلى قسمين:

- فما سال منه شمالًا على وادي عرنة فهو حرم.

- وما سال منه جنوبًا على فجّ مهجرة (النبعة) فهو حلّ.

والأعلام الموجودة على هذا الجبل ثمانية أعلام، وهذا وَصفها:

العلم الأول: موضعه الرأس الغربي لهذا الجبل، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الثاني: يبعد عن سابقه خمسة أمتار (٥ م) شرقًا، وهو شبيه بسابقه، كبير قديم متهدم.

العلم الثالث: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الرابع: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شمالًا شرقيًّا، وهو رضم كبير متهدم.

العلم الخامس: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شمالًا شرقيًّا، وهو رضم كبير ضخم قطره ثلاثة أمتار (٣ م) وبعض جوانبه لا زالت مرضومة، وبعضها متهدم. وموضع هذا العلم يمثل أول قمة لهذا الجبل، فهو قمة الرأس الغربي المطلّة على أرض نعيلة، وجبل غراب. والذي لاحظته على هذا الرضم ملاحظتان مهمّتان:

الأولى: وجود بقع كبيرة مع صبغ أبيض اللون، (ليس هو بالصبغة، لأنك إذا مسحته بيدك ترك عليها أثرًا). هذا الصبغ يغطّي كثيرًا من جوانب هذا العلم، ويمتدّ من الشرق إلى الغرب، فكأنه مصبوب على هذا العلم من طائرة كانت تحلّق فوق هذا العلم. ويظهر أن هذا من عمل بعض اللجان المهتمّة بشأن حدود الحرم.

والثانية: وجود صبّتين صغيرتين من الأسمنت على رأس هذا العلم من الغرب، وهذا كأنه من عمل نفس اللجنة، أو غيرها من المهتمّين بهذا الشأن.

العلم السادس: يبعد عن سابقه خمس مئة متر (٥٠٠ م) إلى الجنوب الشرقي، وهو رضم كبير قديم غالبه متهدم، وهذا الرضم يقوم على قمة عالية تتوسط هذا الجبل، وهي أعلى قمة فيه.

العلم السابع: يبعد عن سابقه خمس مئة متر (٥٠٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير قديم لكنه متهدم، ويقوم على رأس قمة عالية أيضًا، وهي أعلى قمة في الجانب الشرقي من هذا الجبل.

وبعد هذا الجبل بقليل ينشطر الجبل إلى شطرين:

الشطر الأول: يتجه شرقًا.

والشطر الثاني: يتجه جنوبًا عدلًا.

فتتبّعتُ أولًا الرأس الشرقي، فوجدتُ بعد ثلاث مئة متر (٣٠٠ م) رضمًا قديمًا متوسطًا لكنه منهدم، ويمتدّ منه نحو الشرق مع مَيل إلى الشمال رضم مستطيل، طوله خمسة عشر مترًا (١٥ م). وبعد الرضم المستطيل بقليل وجدتُ ثلاثة رضوم متقاطرة، متجهة نحو الشرق مع ميل إلى الشمال، والرضوم الثلاثة كبيرة، وأكبرها أوسطها، ونهاية هذه الرضوم الثلاثة المتجاورة عبارة عن انتهاء الشطر الشرقي لجبل الخاصرة، إذ إن موضع هذه الرضوم الثلاثة الأخيرة يطل على وادي عرنة، ويطل أيضًا على أرض الحسينية.

وفي الحقيقية أن وجود هذه الرضوم الخمسة على الشطر الشرقي لجبل الخاصرة، يثير الحيرة في ذهن الباحث، لأن الحدّ بعده غير واضح الاتجاه لأنه لو استمرّ بهذا الاتجاه فمعناه انتقال الحدّ بعد جبل الخاصرة إلى جبل عارض الحصن مباشرة، لأن الواقف عند الرضم المستطيل وما بعده من رضوم، وينظر أمامه باتجاه ما يشير إليه اتجاه هذه الأعلام، لا يرى أمامه إلا جبل (عارض الحصن) الذي سبق ذكره في أول الفصل الأول من هذا الباب.

والذي زاد من هذه الحيرة أنني ذهبتُ أتتبع الرأس الجنوبي لهذا الجبل، فوجدتُ:

العلم الثامن: يبعد عن السابع أربع مئة متر (٤٠٠م) جنوبًا شرقيًا، وهو رضم كبير لازال قائمًا، ولم يتهدم منه إلا القليل لأن غالب حجارته مسطحة.

وموضع هذا العلم على الرأس الجنوبي بعد أن اتجه جنوبًا عدلًا باتجاه ريع مهجرة.

وهذا العلم يطل على ريع مهجرة من الشمال، ولا يبعد عن الريع سوى خمسين ومئة متر (١٥٠ م)، وبعدها يهبط الماشي على هذا الريع ليجد أعلام (ريع مهجرة) التي سوف أَصِفها في المبحث القادم.

من ذالك يظهر أن المسار الجنوبي للحدّ هو الصحيح، لأن (ريع مهجرة) منصوص عليه أنه حدّ من حدود الحرم، وأعلام الحرم القديمة لازالت آثارها عليه، وعلى ما بعده جنوبًا كما سترى في المباحث الآتية.

فلا أتردّد في تقرير إلغاء الأعلام الخمسة التي توجد على الضلع الشرقي لجبل الخاصرة، لأنها أعلام مشوّشة، وما بعدها غير واضح، ولا يمكن متابعة اتجاه الحدّ على الوجه الذي تشير إليه تلك الأعلام الخمسة.

ولربّ سائل يسأل: لماذا وُضِعَتْ هذه الرضوم الخمسة؟

والجواب: أنهم لم يضعوها هنا ليسير الحدّ على ما نشير، بل وضعوها لشيء آخر، وهو تنبيه الماشي في وادي عرنة إلى أن أعلام الحرم على هذا الجبل، لأن الأعلام الملغاة يراها سالك وادي عرنة ومن كان بقربه في هذا الموضع، يراها من الأسفل، لكنه لا يرى الأعلام الحقيقية للحرم على ريع مهجرة لأنها في موضع منخفض تقريبًا، وأعلامها لا تظهر من بعيد. ولذا وُضِعَتْ هذه الأعلام الخمسة للإرشاد إلى الأعلام الحقيقية للحرم.

وبعد هذا نقول: إن أعلام جبل الخاصرة تعدادها (ثمانية أعلام) فقط، أما الخمسة الأخرى فلا أُدخلها في عداد الأعلام التي يسير عليها الحدّ.

▩ **المبحث الحادي عشر: ريع مهجرة (ثنية ابن كرز) (ريع مبعّر)**: مَهْجَرة: بفتح الميم وسكون الهاء بعدها جيم مفتوحة، ثم راء ثم تاء مربوطة. اسم يُطلق على ثنية مشهورة تربط بين الطرف الجنوبي الشرقي لجبل (الخاصرة) (مبعر) وبين جبل (المظالف). وبعضهم يقول لهذه الثنية (شرفة مهجرة) أو (ريع مبعر) لأنه يُخرِجك أيضًا على (جبل مبعر).

وكنّا في تعليقاتنا على كتاب «أخبار مكّة» للإمام الفاكهي في بعض المباحث السابقة قد ذكرنا أن الاسم القديم لريع مهجرة هو (ثنية ابن كرز) و (الضحاضح). وبهذين الاسمين ذكرهما الفاكهي[8]، فقال: (الضحاضح: ثنية كرز - عند الأزرقي ابن كرز - من وراء السلفين، تصب في النبعة، بعضها في الحلّ، وبعضها في الحرم). والنبعة تسمّى اليوم (فج مهجرة).

ولفظة (الضحاضح) مأخوذة من ضحضح السراب، إذ ترقرق[٩]، والناظر إلى هذا الريع، يرى رمالًا كثيفة تكسوه من الجهة الشرقية، حتى إنه ليتعذّر لراكب السيارة أن يصعده من الجهة الشرقية. هذه الرمال الكثيرة الكثيفة إذا ضَرَبَتْها الشمس ترقرق سرابها للناظر، ولذلك أُطلق عليها اسم (الضحاضح).

أما (ابن كرز) أو (كرز) الذي سُمِّيَت باسمه هذه الثنية، فلم أعرفه على التعيين، إلا أن عبدالله بن عامر بن كرز[١٠] الصحابي المشهور، صاحب قرية عرفة، وحياضه كانت مشهورة في عرفة، وباسمه سُمِّيَ (شعب ابن عامر) الذي يقال له اليوم (شعب عامر) هذا الصحابي كانت له أراضٍ واسعة في أطراف عرفة، وربّما امتدّت إلى الحسينية، فربّما بدا للباحث أن هذه الثنية سمِّيَتْ باسم أبيه.

أما لفظة (مهجرة) فقد ذكر ياقوت[١١]: (أنه اسم بلدة في أول أعمال اليمن بينها وبين صعدة عشرون فرسخًا).

قلت: إن هذا الريع (ريع مهجرة) منفذ لأهل اليمن إلى مكة على غير الدرب السلطاني، وعليه كان طريقهم، فرُبما سُمِّيَ باسم تلك البلدة اليمانية لكثرة من يمر عليه من أبنائها. هذا الريع لا يرى سالكه صعوبة من جهة الغرب، لأنه ليس بالمرتفع من تلك الجهة، إنما صعوبة سلوكه إنما هي من جهة الشرق، لارتفاعه ولكثرة رماله.

والأعلام الموجودة على (ريع مهجرة) أربع أعلام، هذا وصْفها:

الأعلام الأول، والثاني، والثالث: تقوم في وسط الريع، على مرتفعات تتوسط الريع، والطريق عن يمين ويسار هذه الأعلام الثلاثة، وهي رضوم قديمة متهدمة، متجاورة.

العلم الرابع: موضعه على الضفة الجنوبية لهذا الريع، وهو رضم كبير متهدم، ويبعد أربعين مترًا (٤٠ م) عن الأعلام السابقة، مما يلفت النظر أنني وجدتُ عند هذا العلم صبة من الأسمنت صغيرة مما يدل على أن بعض اللجان المهتمة بهذا الشأن مرّت على هذا العلم ووضعتْ عنده هذه العلامة.

وبهذا العلم الرابع انتهت أعلام (شرفة مهجرة) أو (ريع مبعّر) أو (ثنية ابن كرز)، وأنت ترى أن هذه الأعلام تقسم الريع إلى قسمين:

ما سال منه على (فجّ مهجرة) - نبعة سابقًا - فهو حلّ.

وما سال منه على الحسينية، فهو حرم.

وبهذا يَصْدق قول الأزرقي والفاكهي أن هـذه الثنية بعضها في الحلّ، وبعضها في الحرم.

وبعد (ريع مهجرة) ينتقل الحـدّ جنوبًا عدلًا على جبل يقـال له (جبل المظالف) ووَصْف أعلامه في المبحث القادم.

المبحث الثـاني عشر: (جبل المظـالف)[١٢]: جبل (المظـالف) - بفتح الميم وكسر اللام - جبل ليس بالمرتفع.

يحدّه من الشمال: (ريع مهجرة). **ومن الجنوب:** (ريع عشرة) أو جبل (أبو قلات).

وهـو جبل ليس بـالطويل، ولا بـالعـريض، وظهـره ليس فيـه رؤوس مرتفعـة، بل يكـاد يستوي، إلا قليـلًا، وهو جبل ليس بـالأسود، كمـا أنه ليس بـالأبيض، وحجارتـه غليظة خشنة، وليست صلدة نـاعمة، ولغلظ حجارته وخشـونتها سُمِّي بهذا الاسم - والله أعلم - لأن من معـاني لفظـة (ظلف): (أخـذ في أرض ظلفـة، وظلفـت الأرض: إذا كـانت غليظة، لا تترك أثرًا للماشي عليها)[١٣].

وقـد انتقل الحـدّ إلى هذا الجبل مـن (شرفـة مهجـرة)، مباشـرة، لأن هـذا الجبل يشكّل الضفة الجنوبية لهذا الريع.

والأعلام التي وجدتُها على هذا الجبل ثمانية أعلام، وَصْفها كالآتي:

العلم الأول: يقع على الحافة الشمالية الشرقيـة لهذا الجبل، وموضعه يشرف على ريع مهجرة، ويبعد عن العلم الـرابع من أعلام الريع مئة متـر (١٠٠ م) جنوبًا مع ميل نحو الغـرب. وهو رضم كبيـر قديم متهـدم، إلا أن بعضهـم أعاد رضم بعض حجـارته من جديد.

العلم الثاني: يبعد عن سابقه مئتي متر (٢٠٠ م) جنوبًا مع مَيل نحو الغرب أيضًا، وهو رضم كبير، لازال قائمًا لم يتهدم منه إلا القليل، ويقوم على مرتفع.

العلم الثالث: يجاور العلم السابق، لكنه رضم صغير قديم متهدم.

العلم الرابع: يبعد عن العلم الثاني مئة متر (١٠٠ م) جنوبًا، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الخامس: يبعد عن سابقه مئتي متر (٢٠٠ م) جنوبًا، وهو رضم كبير متهدم، وهذا الرضم يقوم على حافة الجبل الجنوبية، ويشرف على ريع يسيل شرقًا، وغربًا مسلوك للدواب، يقال له (ريع عشرة)، وهذا الرضم كبير وقديم ومتهدم.

العلم السادس: يبعد عن العلم السابق ثلاثين مترًا (٣٠ م) شرقًا عدلًا، ويقوم على نفس الحافة المشرفة على الريع السابق، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم السابع: يبعد عن السابق ثلاثين مترًا (٣٠ م) شرقًا عدلًا، ويقوم على نفس الحافة أيضًا، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الثامن: متصل بالسابق، وهو رضم مستطيل يتجه شرقًا، وطوله عشرون مترًا (٢٠ م)، وهو مرضوم رضمًا جيدًا، وأسسه لازالت بحالة حسنة.

وهذا العلم هو آخر الأعلام التي رأيتُها على جبل (المظالف) وأنت ترى أن العلم الأخير يشير إلى أن الحدّ يتجه شرقًا، والعلم المستطيل كأنه يقول إن الحدّ هناك شرقًا، وإلى الشرق من هذا العلم بسبع مئة متر (٧٠٠ م) يوجد قرن صغير يسامت تمامًا موضع هذه الأعلام الأربعة الأخيرة، ومنها العلم المستطيل، يسامتها تمامًا، وقد وجدتُ عليه علمًا مهدّمًا.

لكن الذي يعكر صفو سير الحدّ، كما أوضحته من جبل المظالف إلى القرن الصغير الذي يقع بينه وبين جبل (صويفة) أنني وجدتُ على ريع عشرة أحد عشر رضمًا.

و (عْشَرة) – بسكون العين، وفتح الشين المعجمة–: مأخوذ من اللفظ العامي لكلمة عشراء: وهي الناقة الحامل المتمم لأشهر حملها وقربت ولادتها(١٤)، ولذالك سكنوا عينها، وهكذا سمعتُ هذيلًا يسمون هذا الريع.

ويطل على هذا الريع من جنوب جبل مرتفع شامخ، يسمّونه (أبو قلات) وهو تابع لجبل كساب على الحقيقة.

وهكذا فإن (ريع عشرة) منحصر بين جبل المظالف، وليس عليه طريق للسيارات.

والأعلام التي وجدتُها على هذا الريع (أحد عشر) علمًا كما سبق ذكره.

ستّة منها تقوم على الجهة الشمالية من هـذا الريع، وهي متجاورة، ومنهدمة لكنها واضحة

والخمسة الأخرى تقع على الحافة الجنوبيـة لهذا الريع، وهي أكبر من تلك الرضوم الستة، ومتجاورة وبعضها لازالت رضومه واضحة من كثرة ما وُضع فيه من حجارة.

هذه الرضوم الأحد عشر لم أُدخلهـا ضمن أعلام سير الحدّ الصحيح، لأن سير الحدّ الصحيح عندي هو بُعـد جبل المظالف شرقًا على قرن صغيـر، ثم إلى جبل صويفة، ثم جبل صيفة. وجبلا صويفة وصيفة هما نهاية الحدّ الجنوبي، على ما سيأتي تفصيله.

ويمكن لسـائل هنا أن يسأل: لمـاذا وُضعت هـذه الأعلام الأحـد عشر على هـذا الريع؟ مع أن هذا الريع تخرجه أعلام جبل المظالف وتجعله في الحلّ؟

والجواب: أن وجـود هذه الأعـلام على هذا الـريع ليس لبيان أن بعضـه في الحل، وبعضه في الحـرم، بل هو إجراء احتيـاطي من الأقدمين لتنبيه القـادم من (فج عشرة) نحو هذا الريع أنـه بمجرد نزوله من الريع يكون قـد دخل في أرض الحرم، وإنما فعلوا ذالك لأن ما بعـد الريع شـرقًا هو خط الحـدّ بين جبل المظالف، وبين جبل صـويفة، والبالغة سبع مئة متر (٧٠٠ م)، وهي أرض عليهـا أقواز من الرمل، لا يثبت عليها رضم ولا بناء، ثـم إننا قد عـرفنا ممّا سبق أن الأرض الخالية من المرتفعـات الجبلية، والواقعة ضمن خط الحدّ، فإنهم يهملونها، ولا يضعون عليها أعلامًا، فلأجل ذالك، وبدلًا من أن يضعوا الأعـلام على أقواز الـرمل وضعوهـا على هذا الـريع القريب من الأقـواز، لتنبيه سالكي هـذا الريع إلى أنهم قـد قاربـوا أرض الحرم، فمن أراد منهم الإحـرام أحرم من هذا الريع، ومن أراد أن يقتطع شجرًا فليمتنع، إلى غير ذالك ممّا يتعلق بأحكام الحرم.

وعلى ذالك، فإنـه لا ينتقل الحدّ بعـد (ريع عشـرة) جنوبـًا، بل ينتقل من الحافـة الشمالية لهذا الريع شرقًا عدلًا نحو جبل (صويفة).

وفي هـذا الموضع لابـدّ من التنبيـه على شيء مهم، وهو أنـه يـوجد رضـم صغيـر مرتفع على قمـة جبل (أبو قلات) يـراه الواقف على أقواز الـرمل التي وصفت، ويراه

الواقف على جبل صويفة، فربّما ظنّ ظانٌّ أن الحدّ بعد (ربع عشرة) ينتقل إلى جبل (أبو قلات) جنوبًا. وقد كدتُ أعتقد هذا لأول الأمر، ففتشتُ المنطقة المحيطة بهذا الجبل شرقًا وجنوبًا فوجدتُ أن هذا الرضم رضم يتيم حديث، لا ثاني له، فسألتُ عنه أهل المنطقة، فقالوا: إن هذا الرضم إنما عمله رجل منّا أي من هذيل، كان يصعد إلى هذا الجبل فيتسلّى برضم الحجارة على هذا الجبل.

وبعد هذا كله نعود إلى القرن الصغير الذي ينتقل إليه الحدّ من جبل المظالف، وبيانه في المبحث الآتي.

(للبحث صلة)

د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

الحواشي:

(١) «أخبار مكة»: ٤/ ٢٣٠.
(٢) «أخبار مكة»: ٢/ ٣٠٢.
(٣) «أخبار مكة»: ٢/ ٢٩١.
(٤) «أخبار مكة»: ٥/ ٨٦.
(٥) «أخبار مكة»: ٥/ ٨٦.
(٦) الخاصرة: ومخاصر الطريق: أقربها. «القاموس المحيط»: ٤٩٢.
(٧) «أخبار مكة» للفاكهي: ٣/ ٩١. وانظر الخبر في: «معجم ما استعجم» للبكري: ١/ ٤٢٢؛ و«معجم البلدان» لياقوت الحموي: ٢/ ٢١٤.
(٨) «أخبار مكة»: ٤/ ٢٠٤.
(٩) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي: ٢٩٥، ١١٤٦؛ وترقرق: تحرك.
(١٠) عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبدالرحمن: أمير، فاتح، ولد بمكة سنة (٤ من الهجرة)، وولي البصرة في أيام عثمان سنة ٢٩هـ. وجه جيشًا وفتح به بلدانًا كثيرة، وشهد وقعة الجمل مع عائشة - رضي الله عنها-، وتولى البصرة في أيام معاوية ثلاثة سنين بعد إجماع الناس على خلافته، وصرفه معاوية عنها، فأقام بالمدينة، ومات بمكة سنة (٥٩ هـ)، ودُفن بعرفات، وكان شجاعًا سخيًا، وصولًا لقومه رحيمًا، محبًّا للعمران، اشترى كثيرًا من دور البصرة وهدمها فجعلها شارعًا، وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة وأجرى إليها العين وسقى الناس الماء، قال الإمام علي: (ابن عامر سيّد فتيان قريش)، ولما بلغ معاوية نبأ وفاته، قال: (يرحم الله أبا عبدالرحمن، بمن نفاخر ونباهي).
انظر: خبر حياض عرفة في «أخبار مكة» للفاكهي: ٥/ ٤٢ - ٤٤. وانظر: أخبار ابن عامر في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد: ٥/ ٤٤ - ٤٩؛ و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير: ٣/ ٤٩ - ٥٠؛ و«تهذيب التهذيب» للسيوطي: ٥/ ٢٧٢ - ٢٧٤.
(١١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي: ٥/ ٢٢٩.
(١٢) الظلف من الأماكن: الخشن، والأظلوفة بالضم: أرض فيها حجارة حداد كأن خلقتها جبل. «القاموس المحيط» للفيروزآبادي: ٣٠٧٨.
(١٣) «لسان العرب»: ٩/ ٢٣٠ مادة (ظلف).
(١٤) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي: ٥٦٥.

من (العربية المحكية في اليمن)
في القرن الحادي عشر الهجري
(٢)

وأعود إلى هذا الكلام الذي أثبته الذي ورد في الصفحة (٣٩) فأقول: جاء فيه قول المؤلف: (فإن يكن قد زيد في أدبه حلف وأخرج).

المراد بكلمة (الأدب) في قوله: هو العقاب والجزاء الذي استحقّه وهو الحبس...

إن دلالة (الأدب) هنا على العقوبة، وقد وجدناها في المصنّفات المخطوطة والمطبوعة في بابي «التعليم والتعلم» فأدب الصبيان لدى هاؤلاء المصنفين ومنهم ابن سحنون وابن خلدون وغيرهما يعني العقوبة.

ومازال هذا المعني لكلمة (الأدب) معروفًا في عصرنا، وقد نجده فيما بقي من الألسن الدارجة القديمة التي غطّى عليها العصر الحديث.

وقول المؤلف: (وإن لم يصلح عليه شيء أخرج وأُخذ منه البراء). أقول: لعل الأصل الصحيح: (وإن لم يصح) وعرض له الخطأ المطبعي... أما (أخذ البراء) فقد مَرَّ بنا، وهو أن يقَرَّ له بالبراءة ويطلبَ إليه أن يسمح ويعفو عما ناله من أمر الحبس فكأن في(أخذ البراء) اعتذارًا من لدن الذين حبسوه فحق له أن يسامحهم فيعفو عما كان منهم في حقّه.

وبقي شيء آخر أذكره ثم أتحول إلى الكلمات الجديدة في ما بقي من (الأوراق) دون ذكر النُّصوص.

١ – نهْمُ: قبيلة من بكيل من همدان موطنهم في المطمة (؟) شمالًا، وبني حشيش جنوبًا وشرقًا صِرْوَاح وحزم الجوف، وغربًا أرحب (كذا ذكر المحقق).

٢- (غير مكلف).. يعني أنه صغير السن ليس عليه تكليف فلا يؤاخذ.

٣- كبار في قوله: (وأظنه ثمانية كبار): جمع كبيرة لنوع من العملة في عصر المؤلف.

أقـول: كأني أفدت ممـا ورد في (الأوراق) أن (الكبار) أكبـر من الحروف التي مـر ذكرها.

٤- (صَلّب) في قوله: (لما رأيت المال صلّب) أي (جَفّ). ص ٤٠.

وأقـول: لعلـه أراد بـ (المـال) مـاهـو زرع من شجر ونبـات، غيـر أني عـرفت في قراءاتي أن (المال) ينصرف إلى الإبل وسائر الدواب.

٥- و (إذا له دعوى في شيء وادّعاه خُلْف [كذا] سلم إن شاء الله).

أقول: كـذا ذكر الأستـاذ المحقق، والذي أراه أن النص (وادّعـاء حَلَفَ وسلم له)، وليس (خُلف) بمعنى أن الموسم غير مثمر، كما أثبت المحقق.

٦- غَيل الجراف: من أملاك المؤلف.

٧- (يأذوا ويزنزنوا) ص ٤٠. أقول: (يأذوا) أي ينالهم الأذى، وأما قوله: (يُزَنْزَنوا) أي يُحبَسوا في الـزنزانة، وهي المخدع الضيـق أي المحبس، والكلمة معروفة في عصـرنا. ولم يشرحها المحقق بل اقتصر على قوله: كذا في الأصل بحذف نون الجمع!.

٨- (ياقوت طويل) ص ٤١ في قوله: (وقبضه يـاقوت طويل). أقول: هو اسم مولى مختَصٌّ بالحراسـة في بيت المال كما يبدو من نص آخر في هـذه الأوراق إن (ياقوت) من الأسماء التي أطلقهـا العرب على عبيـدهم ومن هاؤلاء (يـاقوت الـرومي الحموي) صـاحب المعجمات للبلـدان وغيـرها. ومنهم جـوهر الصقلي، ومنهـم لؤلـؤ، وكافـور، وغيرها، وحيثما وقفنا على شيء من هذه الأعلام فلابدَّ أن ندرك أن صاحبه مملوك.

٩- (مَجْبا سوق الحطب) ص ٤١. أقول: عرفنـا فيما سبق (المَجْبَا) و(المجابي)، وهو هنـا منسوب إلى (سـوق الحطب)، موضع تعليـق الأستاذ المحقق، قـال: (ذكره صاحب «قانون صنعاء» ص ٢٨. وقـال: من شروطه: يمنع المفاودون الذين هم سبب غلاء الحطب، ولا يبـاع الحطب إلّا في سوقه المعتـاد. ومن باع في غير سـوقه حُبس واستحق الأدب، وكذالك المشتري ينالـه الأدب. وتكون الصَّلحة على الحمل الكبير من البائع (بقشتين) إلى مقابل العود!! وعلى المشتري صلحة بقشتين. وعلى الحمل

الصغير بحسب ما يراه كاتب السوق، وعلى حمل البهيمة نصف ماحمل على الحمل الصغير، وبحسب ما يراه الكاتب والمصلحين في سوق الحطب ستة عشر (نفرًا) ممّن عرف أمانتهم وعدم خيانتهم. وعليهم من الحراسة الجراية المعتادة، ومن الحراسة عند الاحتياج للأبواب والخنادق ما يلزم حَمَّالين سوق الحَبّ، وعليهم من جرم الحرس قرش وربع).

أقول: في هذا جملة فوائد:

أ- المفاودون من الفائدة، والمعنى لا نعرفه بالضبط لزوال هذه الأمور.

ب- الأدب، وهو العقوبة وقد سبق ذكره.

ج- (الصَّلْحة) كأنها صنف من ضريبة أو مكس، والذي يستوفيها (المصلّح)، وهو مذكور في هذا الاقتباس.

د- النفر يدل على الواحد، وهو كذالك في عاميات عصرنا.

هـ- البقشة: عملة ليس لنا أن نعرّف بها على وجه من التَّدقيق. وهي كلمة فارسية وهي: (باغجه) ودلالتها في الفارسية (البستان الصغير) لأنّ (باغ) هو البستان أو الحديقة. وكلمة (جه) التي ذُيِّلت بها أداة التَّصغير في اللغة الفارسية.

١٠- (فَضلة) في ص ٤٢ في قوله: (وصل إليّ فضلة مسجد قدرها خمسون حرفًا). أقول: و (الفضلة) هي الزيادة، أي ما بقي من أمواله الموقوفة بعد إنفاق مايحتاج إليه أمر المسجد.

١١- (مخاريف) في ص ٤٣ في قوله: (وأنا في بير زيد من مخاريف صنعاء).

أقول: قال الأستاذ المحقق: إنه جمع (مخرف) وهو المتنزّه يخرج الناس إليه وقت نضج الثمار. أقول: إن (المخرف) يجمع على (مخارف)، ولكنه صار (مخاريف) في درج عامة أهل اليمن. وقد سبق أن عرضنا لهذه الكلمة.

١٢- (الزمزمة) في هذه الصفحة أيضًا في قول المؤلف: (وعُرفت منهم الزمزمة).

قال المحقق: الزنزنة والزمزمة: أصوات يطلقها القبائل والجند عند دخولهم

المدينـة. أقول: هي (الزمزمـة) التي تدل على الأصوات، ولعل العامـة في اليمن تبدل النـون من الميم فتقـول: (الـزنـزنـة) كمـا أثبـت المحقق. وليس في فصيح العـربيـة (الزنزنة)، والكلمـة فيه بالميم وتعني الزمْزمة تـراطن العلوج عند الأكل وهـم صموت، لا يستعملـون اللسان ولا الشفـة في كـلامهم، لكنه صـوت يـديـرونه في خيـاشِيْمهم وحلوقهم. و (الزمزمة) صوت الرعد...

١٣- (جِرْبتـان) في ص ٤٤ في قولـه: (منها جرْبتـان أحدهمـا لرجل يُسمَّى..). والأخرى لـ..). قال المحقق: مثنّى (جربة) وهي المزرعة.

أقول: و (الجرِبة) من الكلم الفصيح إلا أنهـا زالت من الفصيحة المعاصرة. وفي تونس جـزيرة صغيرة قـرب الشاطئ تُسمّى (جرْبَة) يقطنهـا جماعة من التـوانسة أهل جـدٍّ وعمل في الفـلاحـة والتجارة، و أهل سفـر ينسب كل منهـم إلى هذه الجـزيـرة فيـدعى (جِرْبي) أكثـر من نِسْبته إلى تـونس. وكأنّ أهل تـونس يشوبـون هذه النسبـة بشيء من الحسد والنبز.

١٤- (الـرَّسَم) بالتحـريك ص ٤٧ في قـوله: (والشيخ حسين واصل والـرَّسَم بني عسلان). قال المحقق: الرسم هم الجند المحافظون على السجن.

١٥- (ذِهني) في قوله: (هذا على ذهني) أي في ذاكرتي.

١٦- (الصِّنْوُ) ص ٤٨ في قـولـه: (مع بيـوت الصنـو إسمـاعيل). أقـول: دلالـة (الصنو) معروفة في العربية، وهي هنا ذات خصوصية فقد يراد بها الأخ.

١٧- (الورد)، في قـوله: (ولتخـرج زكاة الورد وغيـره الحاصل في الجـراف). قال المحقق: الورد اسم الشريك في المزرعة.

١٨- (دولاء) في ص ٤٨ في قـوله: (فـأرصد دولاء القـرية علـى جماعـة من أهل الوادي تعدِّيهم على الماء). قـال المحقق: (دولاء) هم المشرفون على دَوْل أصحاب الماء. والدَّوْلُ: المدّة التي يُسقى فيها الزرع من النهر.

أقـول: كأن هـذه الكلمـة اليمنيـة الخـاصـــة قـد استُفيـدت من (التـداول) وهـو

كالتَّساجُل، وهي الكلمة الفصيحة التي تشير إلى الاستقاء المنظّم مرّة لهاؤلاء وأخرى لآخرين. وأما التَّعدّي فهو الاعتداء.

١٩- طوايس في قـوله: (وجملة ذالك قيمـة ثلاث طـوايس). و (طوايس) جمع طاسة، وهي عاميّة معروفة الوعاء للماء وغيره. قال المحقق: وكانت هذه تستعمل بعد امتلائها بـالماء وإحداث ثقب فيها كتحـديد زمني لأصحاب الماء الـذين يخلفونهم في الدَّوْر.

٢٠- (الـلاهـوري) في ص ٥٠، في قـولـه: (الـلاهوري الفـرّاش الـذي يخـدم) و(الـلاهوري) وهـو المنسـوب إلى (لاهـور) من حواضـر الهنـد، وكأنّ الهنـود كانـوا يقصدون اليمن للعمل، وهاؤلاء اللاهوريون المسلمون مع (البانيان) غير المسلمين.

٢١- (العروض) في قولـه: (اللاهوري الفراش الذي يخدم أهـدى لي خاتم فضّة فصُّهُ عقيق، تُسلّم له قيمة الفص دراهم، ومقابل الفضة مما ينبغي من العروض). قال الأستاذ المحقق: (حتى لا يـدخل المؤلف في شبهة الـربا فيكون مقابل الفضـة مثلها من العــروض لا زيـادة ولا نقصـان، لأن الثمـن لم يكن في الحـال، وهــذا من ورع المؤلف وحرصه على ظاهر الشرع).

٢٢- (مغـرز) في ص ٥١، في قولـه: (الحاج صـالح الدمشقي الـذي سافـر إلى البصرة وصل وأهدى لنا عباءتين بصـراويتين و... ومغرز ذهبي، وملاعق ثلاث ربط... ومحرمتَين من أداة الحمام).

جاء في تعليق المحقق: المغـرز كالشمعـدان تغرز فيه الشمـوع. و (الربط) جمع ربطة من الملاعق، و (المحْرمَتَانِ) مثنى مَحْرمة أي الفوطة للغسيل.

٢٣- (بقشـة) في قـولـه: (قدر سبعين بقشـة إلاعشـرة بقش، وتصـرف في مصـارف الزكاة). قال المحقق: على اعتبار أن القرش ثمانيـن بُقْشة وهو ما يقابل حرفين إذ القرش في عصر المؤلف ثلاثة حروف، أما في زمن صاحب «قانون صنعاء» فهو حرفين فقط.

٢٤- (مَخْطى) في ص ٥٣، في قـولـه: (أنه بلغني أن غَيْل المـولى... لـه مَخْطى فـوق غَيْل الـوالد). (المخطـى): أي المَمَرُّ أو المنفـذ كمـا أثبتَ المحقق. وقـد سبق التعريف بالغَيْل.

٢٥- (الكـراء) ص ٥٤، في قـولـه: (وإلَّا سلّم الكراء). أقـول إن (الكـراء) أجـرة المستأجَر.

٢٦- (نيافة)، في قوله: (ثم من نيافة الضرب على العشر) و (النيّافة): الزيادة.

٢٦- (بـاشة) في ص ٥٥، في قـولـه: (.. (رسول بـاشـة) و (بـاشة): لقب تـركي عثماني معروف. واستعمله العرب في عدة بلدان.

٢٧- (طاقتين خـارة)، في قوله: (أهـداه رسول بـاشة طاقتين خـارة.. وشمع أظنّه يجيء عشرة أمنان). أقول: (طاقتين): مثني طـاقة أي لفة من البزّ. و (خارة) نَسيج من القطن الخشن يرتـديه الفقراء، والكلمة فـارسية. و (الأمنان) جمع (مَنٍّ) وهـو مكيال معروف، واختلف في حدّه وقدره (انظر «محيط المحيط» للبستاني).

٢٨- (أزبـود) في ص ٥٧، في قـولـه: (عليَّ قيمة أربعـة أزبـود). قـال المحقق: أزبود، جمـع زبدي، وهو مكيـال، وفي تعاليـق «شرح الأزهار» ١/ ٥٥٥: (واعلـم أنه كان في صنعاء الزَّبـدي سنة ٩٣٦هـ أربعة وعشرين صاعًا وهي ستـة عشر قدحًا، ولم تزل الـزيادة فيه - في كل دولـة - حتى صار الزَّبدي ثمـانية وأربعين صاعًـا، في مدة إمامنا أي سنة ٩٤٥هـ). وعلى هذا فالزبدي مكيال لم يُضبط.

٢٩- (الشملة) في ص ٥٨، في قوله: (وبقي أحدهم يضـرب شملته بالقاع). قال المحقق: الشملـة: رداء يصنَعُ في الغالـب من الصوف، وقـد يُتَدَثَّـرُ بـه، وهو خـاصٌّ بالقبـائل. جاء في «معجـم دوزي» ص ١٦٤: الشملة هي البـردة وأن مايميـز الشملة عن البردة هـو حِياكة شيء إضافي أي بعض الـزيْنَة في حاشية البـردة، وليست الحال بالنّسْبة للشملة. وهي أيضًا (شملا) العبرية...

٣٠- (الأُسْطـه) أي الأستـاذ من الفـارسيـة، في قولـه: (وكـذالك الأُسطـه هـادي السمان). أقول: ومازالت هذه الكلمة معروفة في بلدان عربية عدَّة.

ومن المفيد أن أشيـر إلى أن شيئًا من هـذه الكلمة مع تَغْييـر هي (الإستة) معـروفة في العـراق خاصـة بالمرأة التـي صَنْعَتُها (الخيـاطة) لملابـس النِّساء. وهـذا مما زال وبقيت الكلمة يعرفها الذين عاشوا في أول هذا القرن.

٣١- (الشقاة) في ص ٥٩، في قوله: (ومجلي عرهب أمرته أن يجعل شقاة في غَيل المولى). أقول: (الشقاة) جمع شقيّ مثل كُماة جمع كميّ. إلا أن هذا الجمع لم يعرفه المعربون، وكأن العوام درجوا عليه محاكاة، وهم العمّال الأجراء.

ومن المفيد أن أشير إلى أن الشُّقاة معروفة في عربية الصحف في عصرنا، وكأن أهل الصحف لا يعرفون الأشقياء.

٣١- (حَرَقَ) في ص ٥٩، في قوله: (فحرقت عليه).

أقول: وهذا الفعل يعني غَضِبْتُ. وهو في فصيح العربية لا يبتَعد كثيرًا عن هذا. يقال: حَرَق نَابَهُ، أي سحقه حتى سمع له صَرِيفٌ، ومنه قولهم: هو تحرُقُ عليك الأُرَّمَ، أي يصرف بأنيابِه حَنَقًا.

٣٢- (قَصاصة)، في قوله: (عليَّ للفقيه محمد زنبور أجرة قصاصة). قال المحقق: (القَصاصة: هي مقابلة الكتاب المخطوط مع أصله المنسوخ عنه).

٣٣- (الحارسي) في ص ٦٠، في قوله: (وكذالك للحارسي المسمى العفاشي) أقول: هو (الحارس).

٣٤- (أقداح) جمع قَدَح، في قوله: (وليخرج عني قيمة ثلاثة أقداح طعام). أقول: القَدَح مكيال كبير يقدَّر في زمن المؤلف بصِاع ونصف. انظر: «شرح الأزهار» ١/ ٥٥٥.

٣٥- (تجلود)، في قوله: (عليَّ بنظر الفقيه جابر أجرة تجلود كتاب الجلالين).

أقول: قوله: (تجلود) بمعنى (تجليد). و (تجلود) على (تفعول) مصدر للفعل (جَلَّد)، وهو يقابل (تفعيل) في فصيح العربية.

ومثل هذا (تعلوم) مصدر الفعل علَّم في لغة العوام في العراق، ومثله تقدوم وهذا هو بناء (تفعول) في اللغة العبرانية ومنه (تلمود) مصدر (تمد) بمعنى (تعلم).

٣٦- (طوّاف) في ص ٦١، في قوله: (نفعت على طواف من بني حشيش...). أقول: الطوّاف هو الذي يطوف على المال مراقبًا.

٣٧- (الهكم) في ص ٦٣ في قوله: (النّفاعة التي خرجت بسبب الهكم على جماعة من قَرَوَى).

و الهكم هو الإقدام أو نحوه، كما أفاد المحقق.

٣٨- (تشارع)، في قوله: (لأنهم تشارعوا) [القاضي محمد العنسي]. أقول: تشارعوا أي تقاضوا.

٣٩- (نسبة) في ص ٦٥، في قوله: (نفاعة على رجل من عصر يُسمَّى العذراني قيل إن بيَنهُ وبين السيد غوث الدين نِسبة). قوله: (نسْبة) أي صلة زواج أو صهارة. و(عصر) جبل في غربيّ صنعاء.

٤٠- (يتكلف) في ص ٦٨، في قوله: (فليسلِّم له أرشه وأجرته حتى يتكلف).

قوله: (يتكلَّف) أي يبلغ سنَّ التكليف الشرعي

٤١- (الحزبة) في ص ٦٩، في قوله: (كتبت إليه وإلى جماعة من العسكر أن يدخلوا صنعا للحزبة فتأخّر هو وجماعة).

(الحزبة): دخول العسكر بملابسهم مع أسلحتهم للقيام بالخدمة كحرس للإمام.

٤٢- (جلابة) في ص ٧٣، في قوله: (وأرسلت له جلابة وشاش من بيت المال).

أقول: و (الجلابة): جبّة واسعة الأكمام من الثياب المقصَّبة، بِخيُوط الفضة والذهب.

٤٣- (مثنى) في قوله: (والذي فعلتُ له: ثوب مثنى وثوب ساري وفوطة) المثنى و(الساري) من أنواع الثياب في ذالك العصر. وأما (الفوطة) فهي مئزر يُشَدُّ به وسط الجسم كالسراويل، وهي هندية الأصل. ومازالت الفوطة شائعة في اليمن يرتديها الناس عامّة، وهي الإزار وفيه قول في كتب الفقه.

٤٤- (الجِزْية) في ص ٧٤، في قوله: (اليهودي النَّقاش سلم إلينا رأسين غنم.. ويُحسَب من الجزية). قال المحقق في تعليق طويل: يعني جزية اليهود، وقد رسم حدودها أحد المعلقين على «شرح الأزهار» ١/ ٧٧).

٤٥- (الحُرمة) في ص ٧٥، في قوله: (فإن كانت الحرمة التي شَرَى مالها.. فهو

يستحق). المراد بـ (الحـرمة) المرأة أيَّة امرأة. ومازال هـذا يطلق على المرأة الفقيرة أو التي لا وليّ لها أو زوج في بعض البلدان ومنها العراق.

٤٦- (السَّيّار) في قـوله: (والبَرطي الـذي هو سيَّـار في حَراز بنظر القـاضي أحمد الهلفي). قال المحقق: (سيّار) كأنه مرافق للسير.

أقول: كأن السيّار صاحب عمل، ومهمة يقضيها وهو سائر مثل (الطوّاف).

٤٧- (قَلَب الماء) في ص ٧٧، في قوله: (... أنهم قلبوا الماء...).

أقول: وقوله: (قلبوا الماء) أي حوَّلوا مجراه.

٤٨- (قراعـة) في ص ٧٩، في قوله: (... وهو بنـدق صغير طوله قـدر ذراع يرمى بها بقراعة).

قال المحقق: القراعة: هي القداحة يقدح بها النار..

٤٩- (ثبت) في ص ٨٠، في قولـه: (صالح الدمشقي أرسل إليَّ بعبـاءة حساوي، وشاش مخطي، وقميص ثبت بروَجي، وملحفة ولباس في خـرقتين). أقول: مرّ بنا أكثر هـذه الألفاظ كـالعباءة الحسـاوي والشاش، وأمـا قولـه (مخطي) فهو مـا يُلفُّ على الـرأس وغيره، وهـو مُطَـرَّز في الأطـراف. وقد مـرت (الملحفـة) وأمـا (اللباس) فهـو (السراويلات) ومازال هذا في بعض البلدان كمصر والعراق.

٥٠- (بَلْسَن) في ص ٨١، في قوله: (وأنه يقلي بَلْسَن).

أقول: و (البَلْسَنُ) هو العَدَس في اليمن.

٥١- (عُقّال) في قـولـه: (وهـذا كـان يشكي [أي يشكـو] مـن العُقّـال) أقـول: (العُقّال) جمع عـاقل، وهو الشيخ والرئيس للجمـاعة، ومازال العـاقل بهذا المعنى، يقال: عاقل الحيّ، وعاقل الحارة.

٥٢- (زَقَم)، في قوله: (وأنه زَقَمه). زقم فعل بمعنى قَبَض.

٥٣- (أطلس) في ص ٨٣، في قوله: (أربع طـاقات أطلس). الأطلس: ضرب من الحرير الرفيع.

٥٤- (سكوة) في ص ٨٦، في قوله: (أجرة سكوة للجنبية) أقول: (السكوة) هي الشحذ للسكين، و (الجنبية) ضرب من الخناجر يحملها أهل اليمن وعُمان إعظامًا، ومازالت معروفة.

٥٥- (برم) في ص ٨٧، في قوله: (وقد قبض عشرًا من عِبي حساوي برم) العِبي: جمع عباءة في الألسن الدارجة، وقوله: (برم) أي مبرومة.

٥٦- (لحف) في قوله: (ست طاقات سوسي أصفر لحف). (اللحف): جمع لُحفة وهي الرداء أو نحوه.

٥٧- (العال) في قوله: (وكذالك وصل إليَّ بَزّ من العال).. العال: أي الجيد، وهذا معروف في غير اليمن، يقال مثلًا: (بضاعة عال العال..)..

٥٨- (حَلّفَ) في ص ٩٠، في قوله: (فحلّفناه) وهو أخذ اليمين، على صدق الدعوى.

٥٩- (الطبشي) في ص ٩١، في قوله: (الطبشِي عليَّ له ثلاثين حرف). أقول: هو (الطوبجي) بالتركية أي صاحب المدفع، وهو من الجند.

٦٠- (السمسرة) في قوله: (وليسارع بتَسْليم كراء السمسرة). أقول: والسمسرة موضع نزول المسافرين والتجار، كذا أفاد الأستاذ المحقق.

٦١- (مرصد) في ص ٩٢ في قوله: (وكذالك أظن أني مرصد).. ومُرْصِد: أي مُدَوِّن ومُسجِّل.

٦٢- (يُقرِّي) في قوله: (وكان يُقرّي ولد الوالد علي بن المؤيّد). قوله: (يُقرّي) بمعنى يُدرّس ويعلم. وهذا مسموع في غير اليمن من البلاد كالعراق مثلًا.

٦٣- (الحسيك) في ص ٩٧، في قوله: (وصار [الكلام على حصان] يأكل من العلف والحسيك من المخزان). أقول: والحسيك أيضًا من العلف، والمخزان هو المخزن.

٦٤- (هيكل) في ص ٩٨، في قوله: (أهدي لي هيكلي حصان) وهيكل الحصان من أدوات الخيل، وهو مايحيط بالرأس كالزنّار ونحوه.

٦٥- (صين) في ص ١٠٠، في قولـه: (وصل في اليـوم الثـاني بنحـاس وصيني وأراش ولبـابيـد). قولـه: (صين) أي من الصيـن وهي الآنية مـن النحاس والـزجـاج، واللبابِيد هي الأغطية والمفارش.

٦٦- (طعم) في ص ١٠١، في قوله: (وأيضًا إذا كانت الأوقاف إنما هي طعم في المساجد). الطعم: ما يقدّم من طعام في المساجد.

٦٧- (دحـدح) في قولـه: (فليخرج زكاتها في حول أو حولين، الفقيه جابر ومعها دحدح). (الدحدح) شيء كالجرس يعلَّق على رقبة الحصان.

٦٨- (دست) في ص ١٠٥، في قوله: (فما فيه رُسِم لي وهو الدستان).

الدستان: مثنى دست، وهو القدر الكبير من النحاس وغيره.

٦٩- (دياوين) في قوله: (ومافي الدياوين فهو بيت مال).

الدياوين: هي الدواوين جمع ديوان الغرفة الواسعة في المنزل وغيره.

٧٠- (الحضـرمي) في ص ١٠٩، في قولـه (.. مما يحمَل في السمسرة التي يباع فيها الحضرمي). الحضرمي ضرب من البزّ من حضرموت.

٧٠- (مرفع) في ص ١١١، في قوله: (.. (والمرفع يُضرب وراءه). المرفع هو الطبل الكبير يضرب به.

٧١- (سَيَّخَتْ) في ص ١١٢، في قوله: (وأن له جَدّة سَيَّخت).

قال المحقق: سيَّخَتْ بمعنى أُغميَّ عليها.

٧٢- (مضحك) في قوله: (أن جنبيّته راح منها مضحك فضّة وكوفية القرن).

قـال المحقق: (المضحك) زينة تكون في مقدّمة مَقْبض الجنبيَّة، والقرن زينة في طرفي مقبضها.

٧٣- (الشرك) في ص ١١٣، في قوله: (والله الله بإرضاء أحمد بن جابر الجزّار لما هو له من قيمة الشرك).

قال المحقق: الشرك جمع شـركة، وهو اللحم يشترك فيه جمـاعة، أو اللحم الذي يشترى من المجزرة.

٧٤- (المَرَه) في ص ١١٤، في قوله: (فَتُسأَلُ المَره). المَرَه هي المرأة.

٧٥- (خيش) في قوله: (عليّ بنظر صالح الغرباني قيمة خيش عنب). (الخيش) ظرف كبير كالمكتل يوضع فيه العنب.

٧٦- (بيرقدار) في ص ١١٦ في قوله: (أبو علي الزكي بيرقدر الخيالة). أقول: هو حامل العلم في اللغة التركية.

٧٧- (مقاشط)، في قوله:(وكذالك أبو بكر السندي لايزال يهدي مقاشط). المقاشط: جمع مقشطة، وهي سكيّن صغير لتشذيب الشجر.

٧٨- (البزي) في ص ١١٨ في قوله: (أنه كان في الصغر معنا بزيتين أحدهما تُسَمَّى مريم). قال المحقق: (البزي) هو ابنُ الأخت، والبزيّة في النّص هي الخادمة أو المربية.

٧٩- (الساع)، في قوله: (إلى تلك الساع). والمراد: إلى تلك الساعة.

٨٠- (جروم)، في قوله: (وله ولأصحابه قيمة الجروم).

أقول: هو جمع (جرم) وهو لباس كالجبّة يصنع من جلد الغنم مع صوفه، يلبسه الجنديّ في الليل اتّقاء البرد.

٨١- (صرمة) في ص ١٢١ في قوله: (أهدى إليّ دحدَح من الكبار صُرُمة ذهب). الصُرُم جمع صَرْم كالمسامير.

٨٢- (حيَّر) في ص ١٢٥ في قوله: (وكذالك حيّرتُهم في صنْعاء أيامًا).

قال المحقق: حيّره أي أخَّرَهُ.

٨٣- (أفتهم)، في قوله: (نعم كل مافي هذه الصفحة كان مكتوبًا على ظهر هذا البيان فوق الورقة الصفراء ورقة التصلوب وكله افتهم). أقول: وفي هذا النص عرفنا (التّصلوب) وهو الورقة التي تكون في باطن جلد الكتاب، والفعل (افتُهِمَ) بمعنى (فُهِمَ).

٨٤- (المحدّد) في ص ١٢٦ في قوله: (ومن جملة المرصد في ظاهر البيان أن عليَّ للمحدّد قيمة أمْيَال).

قال المحقق: المحدّد هو الحدّاد، والأميال جمع ميل للمكحلة، ولعل المرصد هو الحساب.

٨٥- (العدّة) في قوله: (وكذالك مرصد العدّة التي للولد).

العدّة من آلات الخيل كالقربوس ونحوه.

٨٦- (مقارم) في ص ١٢٨ في قوله: (شريت كسوة بيوتنا الخدّامات [كذا] قميص عنبراني ومقارم ولبس).

أقول: المقارم جمع مقرمة وهي رداء شفّاف تُغطي به المرأة رأسها.

وأما اللبس فجمع لباس وهو السراويلات، وقد مرّت بنا.

٨٧- (نظير) في ص ١٢٩ في قوله: (وما أنا مُنْوٍ أترك شيئًا من الدين إلّا وأفعل نظيرًا فيه).

النظير هو الصكُّ وفيه الحساب.

٨٨- (العددي) في قوله: (وكان بعضهم يجيء بالعددي). العددي دون القرش والحرف، كذا أفاد المحقق.

٨٩- (غالّ) في ص ١٣٠ في قوله: (خشيت أن أكون غالًّا).

أقول: هو من الغلول، أي الأخذ من الغنيمة أو بيت المال.

٩٠- (كورجة)، في قوله: (ثم ألزمت الشيخ حسن ناجي يشتريه بثلاث مئة حرف وكورجة شاهي). أقول: والكورجة وَحْدة من العدد تقدّر بعشرين جزءًا، و (الشاهي) من الملابِس منسوب إلى الشاه والكلمة فارسية.

٩١- (قحطة) في ص ١٣٢، في قوله: (فلُيسَلِّم له مقابل ذالك قيمة أربعين أو خمسين قحطة رمّان).. والقحطة هي الحبّة.

٩٢- (الأواعي) في ص ١٣٣ في قوله: (ولم يطلب الأواعي). الأواعي: جمع وعاء، وهو معروف. وقد صُرف في بلاد عربية إلى الملابس.

٩٣- (سوَّد) في قوله: (الطيش الذي في الحصين... سوّد عليه الشيخ زيد بن خَليل في ثوب مَثْنى وثوب يَلَق).

قوله: (سوَّد) بمعنى أُلزِمَ، واليْلَقُ: صدرية تلبس بدون أكمام، كلمة تركية ذكرها (دوزي) في «معجم الملابس» ص ٣٤٧.

٩٤- (يقتصرن) في صفحة ١٣٤ في قولـه: (فأمرتُ بأن النّساء يقتصرن). (يقتصرن) أي يمكثن في البيوت.

٩٥- (الصبل) في قوله: (وكذالك كراء الصبل لبني شمسان).

أقول: هو الأصطبل.

٩٦- (محراس) في ص ١٣٥ في قـوله: (وهو في جملة من كان معه في محراس الحصين). أقول: (المحراس) هو الموضع الذي يجلس فيه الجنود للحراسة.

٩٧- (سباعية) في ص ١٣٦ في قوله: (أن يشتري لـه سباعية وخمس شقق وثلاثة ردف) (السباعية): رداء مخطط، والشقق من أنواع الثياب، والمردف ثياب مردوفة.

٩٨- (الخلب) في ص ١٣٧ في قوله: (إنه كان يأكل الخلب).

(الخلب) يعني العنب الأخضر.

٩٩- (الـرَّسَم) في قـولـه: (وإن لم يعـرفـه فليسأل الـرسَمَ). الـرسم: هم الجنـد المكلّفون بالحراسة في السجن.

١٠٠- (الجَزَر) في قوله: (ذبح الجَزَر). أقول: والجَزَر بالتحريك جمع جزّار.

١٠١- (العارض) في ص ١٣٩ في قوله: (لمـا جرى ما جرى بين نهم وبني حشيش سنة ١٠٨٥ مع العارض الذي حصل مع المولى). العارض هو المرض الطارئ.

١٠٢- (مضرَّبة) في ص ١٤٠ في قوله: (وعليَّ قيمة كوفية مُضَرَّبة). (مضربة) أي مبطّنة ومطرّزة.

١٠٣- (عَدّينا) في قول: (وعدّينا العسكر). أي أنهم (عُدُّوا) النقود.

١٠٤- (بَصْنَة) في ص ١٤٤ في قـوله: (وأراد يضـرب بعض عيال أسـد ببصْنَة). البصنة نوع من الفؤوس.

١٠٥- (اعْتَزَّ) في ص ١٤٥ في قوله: (واعتـزوّا على أقاربهم). قال المحقق: اعتَزَّ بمعنى اعتَدَى.

١٠٥- (السرايـة) في ص ١٤٦ في قوله: (جماعـة من الحيمة جرى منهم جنـاية إلى رجل فتكتهُ بالسراية).

السراية هي سراية الحدّ تجاوز العطب كما هو مقرّر في الحدّ إلى غيره. كمن اقتص منه بقطع أصبعه فالتهب مكان القطع وسرى إلى جميع البدن فمات.

١٠٦ - (القسامة) في ص ١٤٧ في قوله: (مع أن الجناية واحدة إلّا أن تجب القسامة) و (القسامة) أيمان يحلفها وليّ الدم عند وجود قتيل في محلة لم يعرف قاتله، وبينه وبينهم لوث (شبهة).

١٠٧ - (بنوّر) في ص ١٤٩ في قوله: (كوز بنّور). أي بلوّر.

١٠٨ - فُسْدُق: هو الفُسْتُق.

١٠٩ - (الكشك) في ص ١٥٠ في قوله: (البرّ الذي أطلعه الدمشقي إلى كشك). الكشك بناء يحاط بأعمدة منفصلًا عن البناء..

١١٠ - (بقشة) في ص ١٥١ في قوله: (.. واشترى منه ست بُقَش). البقشة قطعة من البزّ تُلَفُّ بها الثياب، ومازالت هذه في بعض البلدان.

١١٠ - (وجه) في قوله: (وساء فعل له وجه). أقول: (الوجه) هنا هو الحجة الشرعية أو الضمان.

١١ - (تحمول) في ص ١٥٩ في قوله: (أو مثل هذا التحمول). أقول: (والتحمول) هو التحميل أي أجرة الحمّال، وهو يعدّ في المصادر على تفعول).

١١٢ - (قشّار) في ص ١٧٧ في قوله: (رجل في الحصين يسمَّى الشامي، كأنه قشار). القشّار: بائع قِشْر البُنّ.

١١٣ - (الجامكية) في ص ١٨٤ في قوله: (قيمة الحبل والغرارة التي اشتراها صالح الغرباني لما عزم بجامكية الحجاج). أقول: (الجامكية) تعني راتب العسكر ونفقتهم.

كلمة أخيرة: هذا مجمل ما رأيته جديرًا بالتّسجيل في هذا الموجز من الفوائد اللغوية. ولابد أن أشير إلى أن في هذا الكتاب فوائد حضارية تاريخية تتصل بالبلدان والحواضر والمواضع والوديان والقبائل وغيرها. وفوائد تتصل بالرجال والأعلام الذين لهم في تاريخ اليمن مكان، وفوائد أخرى تتصل بألفاظ والحضارة من فقهية وغيرها.

وأنت تستطيع أن تجد - إذا كنت من أصحاب التاريخ الحضاري - صفحات من سلوك الناس وعلاقتهم بالمكان.

عَمّان - مجمع اللغة العربية - الدكتور إبراهيم السامرائي

تعدين الذهب في (جزيرة العرب)
قائم على تراث تجاري عريق

(٣)

(٤) وجهة النظر العملية:

يبدو أن التعدين عند العرب كان يتم تمويله في مرحلة مبكرة من صدر الإسلام بأموال القطاع الخاص. ويورد البلاذري على سبيل المثال عن خليفة المستقبل عمر ابن عبدالعزيز مقللًا من شأن ملكية التعدين التي كان قد حاز عليها حديثًا قوله الذي يؤكد ذالك: (انظر ما خرج منها وما أنفقت). وينقل ابن حجر عن بعض الأفراد من بني لِهْبٍ ما يؤكد تلك الحقيقة بقولهم: (أتينا رسول الله ﷺ بركاز (خام المعادن) من العقيق، وكتب لنا كتابًا يبين فيها أنه «من وجد شيئًا فهو له». بينما يروي البكري عن نزاع نشب في مهد الذهب بين المستثمرين الأصليين والعمال وبين المشرفين من بني سليم إبَّان فترة حكم الخليفة عمر بن الخطاب[١].

ومع ذالك، وبالرغم من وجود هذه الصعوبات العملية، ومدى بدائية الأساليب المتبعة في طرق الاستخراج، فإنه من الواضح - حتى بالمقاييس العصرية - أن التعدين في الجزيرة العربية خلال العصور القديمة والوسطى كان يمثل مجالًا مهمًّا للأعمال بالنسبة لتلك الفترة. وبناء على الافتراض المحفوف بالمخاطر، على نحو لا يمكن إنكاره بأن الذهب كان يتمتع في الاقتصاديات العربية والشرقية في العصور القديمة والوسطى بنفس القيمة التقريبية النسبية التي يحتلها في الأسواق العالمية في وقتنا الحاضر. ويمكن وضع بعض التقييمات غير النهائية المتعلقة بالكميات المنتجة وقيمتها. فقد تصل قيمة ٦٦٦ (طالين) أو ٣٤ طنًّا من الذهب أحضرها أسطول الملك سليمان له في سنة واحدة، كما ورد في «التوراة» على سبيل المثال، إلى ما يقارب ٤٣٠ مليون دولار في الوقت الحاضر بمعدل ٣٧٠ دولارًا سعر الأوقية الواحدة من الذهب. كما يمكن أن تبلغ قيمة الهدية التي يذكر أن ملكة سبأ قد أهدتها للملك سليمان، والتي يقال أنها كانت تزن ٦ أطنان، ما يزيد عن ٧١ مليون دولار في عصرنا الحالي. وقد تصل قيمة ما يقارب ١٥٠٠٠٠٠ أوقية من الذهب تم

استخراجها من أكثر من مليون طن من خام المعدن، تم تعدينها في مهد الذهب خلال الفترات التاريخية إلى مبلغ يناهز ٥٥٠ مليون دولار بمعدلات الأسعار الحالية. ويمكن أن نقدر - بناء على النفايات المتخلفة - أن الكمية التي تزيد عن مليون أوقيَّة من الذهب التي تم استخراجها من موقع (الحمضة) خلال صدر الإسلام قد تجاوزت قيمتها في الوقت الحالي ٣٧ مليون دولار. وتُعَدُّ هذه نتائج اقتصادية هامة لكونها أموالًا بلغت من الضخامة ما يكفي لأن تنشأ عنها قوة شرائية محلية كبيرة، خلال صدر الإسلام في غرب شبه الجزيرة العربية وشرق حوض البحر المتوسط، وحفزت الاقتصاديات الإقليمية إلى درجة تستحق التقدير[٢].

كما تذكر المصادر العربية أيضًا أن أعمال التعدين في صدر الإسلام كانت تعتمد في أكثر الأحيان على أسلوب الاستخدام المكثف لليد العاملة. فقد كان عدد العمال يصل في بعض الأحيان إلى ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ عامل. وتبين الآثار الباقية أن هاؤلاء العمال كان يتم إسكانهم عادة في منشآت مبنية من الحجارة، وكان يتم ترتيبها عادة على نمط الثكنات المنظمة، ويبدو أن العبيد والأسرى والخدم كانوا يشكلون الجزء الأكبر من القوى العاملة في مجال التعدين. ولكن ورد ذكر لفئات أخرى كاليهود والفرس، وحتى العرب انخرطت في نشاطات التعدين في الجزيرة العربية.

فالهمداني على سبيل المثال - قد أشار إلى أن هنالك ٢٠٠ يهودي في معدن العقيق في وادي الدواسر، كانوا يستخدمون للعمل في معدن شَمَام، حتى أنهم أقاموا لهم هناك مكانًا للعبادة (بيت نار)[٣].

وفوق ذالك، فقد كانت عمليات التعدين تتلقى الدعم بواسطة البنية التحتية التي يوفرها دعم البنية التحتية المؤثر العام والخاص. وكما سيكشف التحليل اللاحق، فإن بعض مواقع التعدين كانت مقرات للحكومات الإدارية المحلية (منابر)، كما كان الكثير منها يأخذ شكل مدن تعدينية متكاملة ومجهزة بحصون، وفي بعض الحالات كانت تضم قصورًا، وبالتأكيد، كانت البنية التحتية للدعم التجاري متوفرة. ويشير صاحب كتاب «المناسك» على سبيل المثال، إلى أن مهد الذهب كان يضم فعلًا مرافق مادية أساسية لتوفير إسناد الإمداد والتموين للعمليات الجارية في الموقع-

وأورد وصفًا لقصر ومسجد في موقع التعدين، إضافة إلى بئر مستديرة، أنشأتها الملكة زبيدة، وآبار عديدة أخرى قديمة وحديثة، وخزان مربع الشكل في المنطقة المجاورة[٤] قال: (معدن بنو سليم) هو لبني سُليم بن منصور بن عكرمة، وبه قصر ومسجد، ومن المعدن إلى أفيعية ستة وعشرون ميلًا ونصف، وبه بركة مدورة زبيدية، وبه آبار كثيرة، قديمة وحديثة، لها أسماء. وعلى ميلين ونصف من المعدن المنزل الخرب الذي يقال له ريَّان، وكان الرشيد ينزله، وبه قصور له، وللقواد والموالي، وحوانيت خربة، وآبار، وبركة مربعة، على ميل من ريان، ومصفاة).

وفي الحقيقة، هنالك أخبار تفيد بأن الخليفة هارون الرشيد قد قام بما لا يقل عن سبع زيارات رسمية للمدينتين المقدستين مكة والمدينة، وكان يرافقه ما يزيد على مئة من الفقهاء، وكانت له قصور تم إنشاؤها في مواقف الاستراحة الرسمية الرئيسة على طول طريق الحج المسمى بدرب زبيدة وذالك لتسهيل مهمته.

وبالإضافة إلى ذالك، فقد أقيمت مواقع أخرى بصورة أساسية. وفي معرض حديث صاحب كتاب «المناسك» عن (معدن ماوان) على سبيل المثال، يذكر وجود قصر ومسجد وخزان وثلاثة آبار ضمن المنطقة، وكذالك المراجع المشابهة التي كثرت على طول الامتداد الجغرافي للجزيرة العربية إبَّان صدر الإسلام. ويؤكد الهمداني أن (معدن ثنية ابن عصام) كان يضم حصنًا، ويذكر صاحب كتاب «المناسك» أنها كانت تضم أيضًا ناحية (منبرًا). ويشير ياقوت إلى أنه كانت هناك ناحية أيضًا في (معدن عقيق عُقيل). بينما يذكر الحازمي أن (معدن خزبة) كان فيه أمير وحاكمية (وبها أمير ومنبر).

أما الأصفهاني فيذكر أنه كانت هنالك سوق في (معدن القشراء) وأنه كان هنالك تجار في (معدن العيصان) وأيضًا في (معدن العوسجة). وهو يصف (معدن الأحسن)، كقرية فيها قلعة ومعدن، و (معدن عراقيب) كمعدن وقرية كبيرة. كما أنه يبين أيضًا أن (معدن حِلِّيت) كان معدنًا وقرية.

ويذكر ياقوت عن أبي مِسْوَر مبينًا أنه كانت هنالك سوق في (معدن النقرة). ويؤكد صاحب «المناسك» أن (معدن النقرة) كان يضم مسجدًا وقصرًا وبركتين وأبارًا. وهكذا، فقد كانت الاحتياجات المادِيَّة والروحية للمجتمع التعديني متوفرة مع الخدمات في الموقع[٥].

وبالنسبة للتعـدين بحد ذاته، فقد تم العثـور على الذهب في شبه الجزيـرة العربية خلال صـدر الإسلام بأشكـال مختلفة. ويشيـر الهمداني إلى أن الكتل الـذهبية التي يصل وزنهـا إلى ست أَوَاقٍ لم تكن أمـرًا نادرًا. وأن حبيبـات الـذهب كان يتم العثـور عليها في كثيـر من الأحيان مختلطـة بخامـات المعادن التـرابية التي يتِمُّ إخـراجها من حفر التعدين. ويذكر صاحب «المنـاسك» أيضًا في سياق وصفه لأعمال التعدين في مواقع بني سليم عن (التراب المختلط بالـذهب) ولدى فصل الصخور عن مزيج خام المعدن، كان يتم استخلاص (غبار الـذهب) (الذهب المستخلص بالغسل) هذا عن طريق غسله في أحواض من الخشب كـانت تصمم خصيصًا لفصل التراب والشوائب الأخرى. وبعد هذا العمل، كانت تتم إعادة تنقية المزيج الدقائقي أولًا بغربلته يدويًّا في وعـاء مقعر، ومن ثم غمسه في الـزئبق للتخلص من الشـوائب المختلفة، وأخيـرًا يتم فصل الزئبق عن طريق التسخين الشديد تاركًا الذهب النقي سليمًا(٦).

ولكن - وفي كثيـر من الأحيـان - كـان الذهـب والفضة، اللـذان يجـري التنقيب عنهما، في صـورة جسيمات مجهرية متحـدة مع المعادن الأخرى كالنحـاس والزنك والحديد، وكبـريتات الرصاص (الجـوسان) والتي كانت تتطلب أساليـب تنقيته أكثر تعقيدًا. ويصف الهمداني عملية التكرير الأسـاسية بالتفصيل، مشيرًا إلى أن مهندسي التعدين في شبه الجزيـرة العربية إبان صدر الإسلام كانـوا يعمدون إلى تنقية المعادن عن طريق عملية الحرق التي كانت تتم في تنانير بالآجُرِّ الحراري المدعم بالحجارة. ويتضح من بقايا تلك التنانير التي تَمَّتِ المحافظـة عليها أنها كانت تأخذ شكل حبة اللـوز. وكان ارتفـاعهـا يبلغ ٦٠ سم تقريبًـا ومثل ذالك لقطـر القـاعدة. وكـانت تتم تهويتهـا عن طريق تجهيزها بمنفـاخ أو منفاخين من الجلد. وكـان يَتِمُّ فصل الذهب عن المعادن الأخرى التي يحتـويها المعدن الخام في التنـور - والتي كان يتم سحقها بـاستخدام المطـارق وحجر الـرُّحِيِّ ويـد الهاون - بـالإضـافة إلى استخـدام الطين والأمـلاح المعـدنيـة التي تسهل طـريقة التنقيـة، وقـد كـان فحم الخشب الـذي يتم الحصـول عليه في العـادة من خشب السنط أو (الأكاسيـا) أو العرعـر يشكل الوقـود الأساسي في عملية الصهر(٧).

وبعـد ذالك، كان يتم إشعـال المركب. وكـانت تتم تهـوية التنـانير المغطـاة بواسطـة المنفاخ لمدة تقـارب الساعة. وحيث أن الفضة والمركبـات الكبريتية المعدنيـة وغيرها من الأملاح التي يشتمل عليهـا خام المعدن تنصهـر في درجات أقل من ١٠٦٣ درجة مئـوية، وهي درجة انصهار الذهب، فقد كان يتم فصلها إلى خارج الكتلة الرئيسة مما يترك الذهب النقي ليستقر في قـدر صغيرة تم وضعها في أسفل التنـور. وبعد الانتهاء من عمليـة الصهر، يتم إخراج القدور بملاقط وتترك لتبرد. وبعد ذالك يتم استخراج المعدن النقي[٨].

وبينما كانت تنقية الفضة تشابه تلك الطريقة المتبعة في تنقية الذهب، إلا أن الطريقة التي كانت تستخـدم لصهر خام النحـاس كانت مختلفة إلى حـد ما من الناحيـة التقنية. وكـانت تشتمل السحق الأولي للخـام المستخـرج إلى قطع صغيـرة من خـلال سحقـه بـالطرق وطحنـه. ثم يلي ذالك عمليـة الصهر لفصل النحـاس عن الخـام. وكانت هـذه العملية تتم في تنور مبني بالأجر يملأ بمـزيج من المعدن الخام الذي تم سحقه، والمادة المسـاعدة (التي كـانت تتألف في العادة من الأصـداف البحريـة وكبريتـات الكالسيـوم واليمـاتيت والمرو) والفحم الحجـري. وحينمـا تتجمع الحرارة داخل التنـور، يتم تكثيف التسخين بـواسطة أنبـوب النفخ الـذي يعمل بمنفـاخ. وبعد ذالـك يتم إخراج النحـاس المصهور، الـذي ينزل إلى قعـر التنور مع شوائب النحـاس التي تتجمع على السطح إلى خارج التنـور، من خلال فتحـة تم عملها في قاعـدة التنور إلى إنـاء عميق صغير أخفض من قاعدة التنور. بعد ذالك يتم كسر التنور واستخراج النحاس والخبث[٩].

من هـذه الثـروة من الشواهـد التي تم عـرضهـا في المصادر التي تنـاولت صـدر الإسلام، يتضح أن الـدور الذي كانت تلعبـه المعادن الثمينة في تحفيـز الاقتصاد في منطقة الحجـاز خلال صـدر الإسلام لم يـوف القدر الـلازم في كثير مـن التحليلات الحـديثة. وعلـى العكس من ذالك، فإن ضم البيـانات الـوثـائقية إلـى الاكتشافـات الأثرية الحديثـة، يشير بقوة إلى أن إنتاج خامات المعـادن من معادن الذهـب والفضة والنحاس في شبـه الجزيرة قد أسهم بدرجـة كبيرة في التوسع التجاري الـذي اتسم به القرن الإسـلامي الأول، والذي كـان مفعمًا بـالحيويـة. وبعد كل ما تقـدم، وفي واقع الأمر، أنه للإجـابة عن التساؤل المقنع لـ (بتريشيا كـرون) فيما يتعلق بالسبب الكامن

وراء قيام اقتصاد في مكة إبان صدر الإسلام دونما مناقشة، لقد كان السبب متمثلًا في المعادن الثمينة التي كانت تستخرج محليًّا. والدور الحيوي الذي لعبته هذه المعادن في تنشيط حركة التجارة في صدر الإسلام عبر شبه الجزيرة العربية وعبر القارات.

وفي واقع الأمر، فإن الشواهد تشير إلى أن المعادن الصلبة التي كانت تستخرج في سوق الحجاز إبان صدر الإسلام قد لعبت دورًا بارز الأهمية كمادة حافزة لاقتصاديات غرب الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي) لا يقل أهمية عن الدور الذي تلعبه المعادن السائلة بالنسبة لاقتصاد المملكة العربية السعودية المعاصرة من حيث كونها (الإنتاج) الغالب الذي يدر المال والذي:

(١) أمكن من إقامة التنوع الاقتصادي الهائل في المنطقة و الذي ألمح إليه كل من (وات)، و (كستر)، و (شابان)، و (سبرنجر)، و (لامنس) وغيرهم.

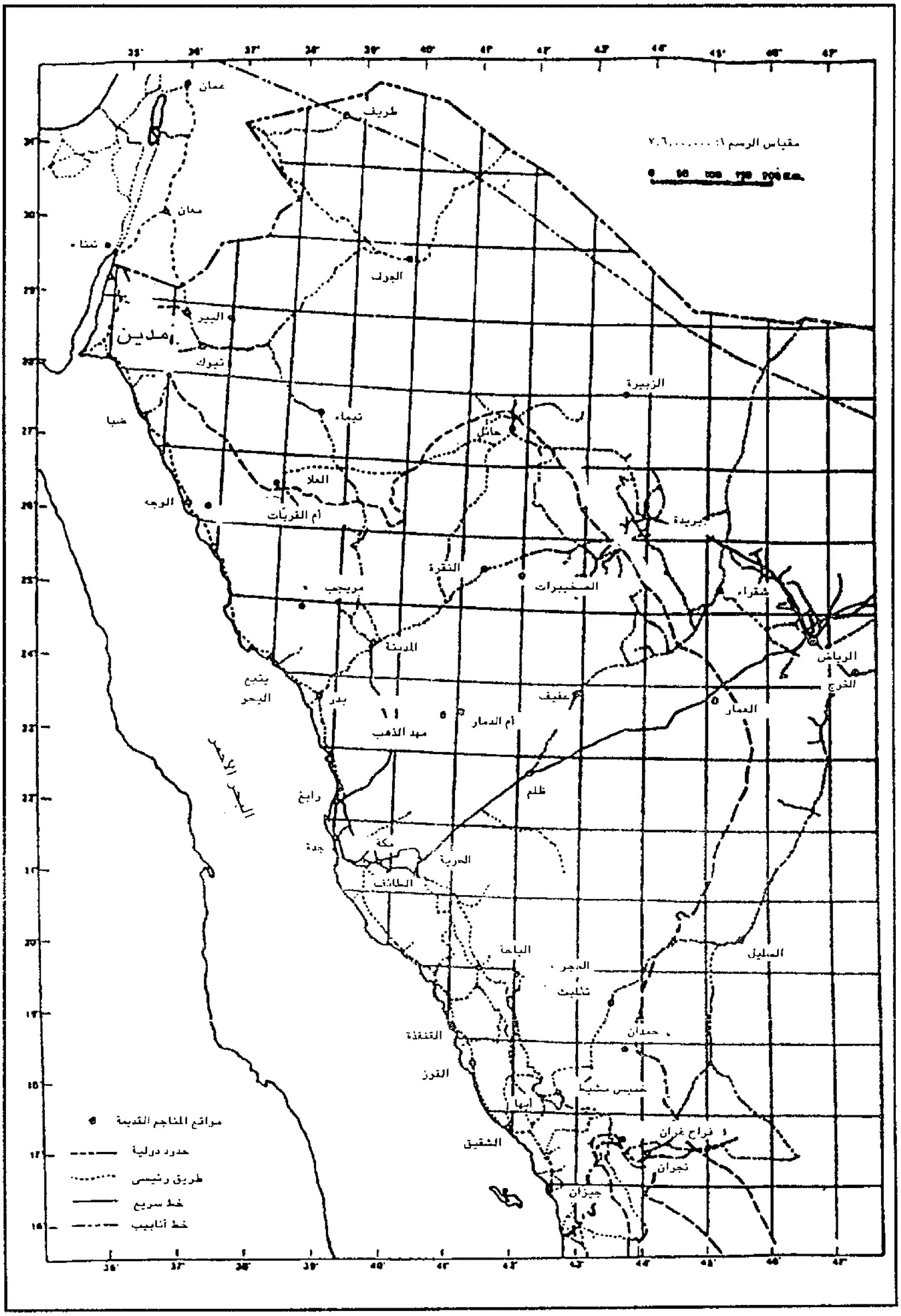
(٢) الذي كان يوفر قاعدة العملة الصعبة التي ضمنت من الناحية المالية الانطلاقة الإسلامية البارزة التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ولقد كانت هذه عملية اقتصادية تطورت على مدى مئتي عام ثم انتهى بها الأمر إلى الذبول والضعف في انحدار سريع لأسباب تعود في أغلبها إلى عدم الاستقرار القبلي في المنطقة خلال فترة القرن الثالث الهجري (القرن العاشر الميلادي)[١٠].

ولذالك، فإن الشواهد الأثرية التي تصور التأثير الاقتصادي للمعادن الثمينة على الاقتصاد في شبه الجزيرة العربية إبان صدر الإسلام يُعَد مقنعًا - وهو في الحقيقة مقنع لدرجة أنه ربما يبعث الحاجة لإعادة فحص التفسيرات التقليدية الأخرى لتاريخ الشرق الأدنى، بناء على البيانات التي سوف يتمخض عنها الاستكشاف الداخلي الجاري لشبه الجزيرة العربية. وبالنظر إلى أن نطاق الأدوات الموضوعة تحت تصرف المؤرخين المعاصرين لشبه الجزيرة العربية قد اتسع بصورة كبيرة خلال العقد المنصرم، الأمر الذي يمكن من الوصول إلى فهم اقتصادي أكبر مبني على الشواهد الجديدة المثيرة التي بدأ يقدمها النتاج الصناعي في المنطقة. وهذه الموضوعات هي مدار البحث الذي سيتناوله الكتاب المرتقب للمؤلف[١١].

الدكتور جين. و. هيك

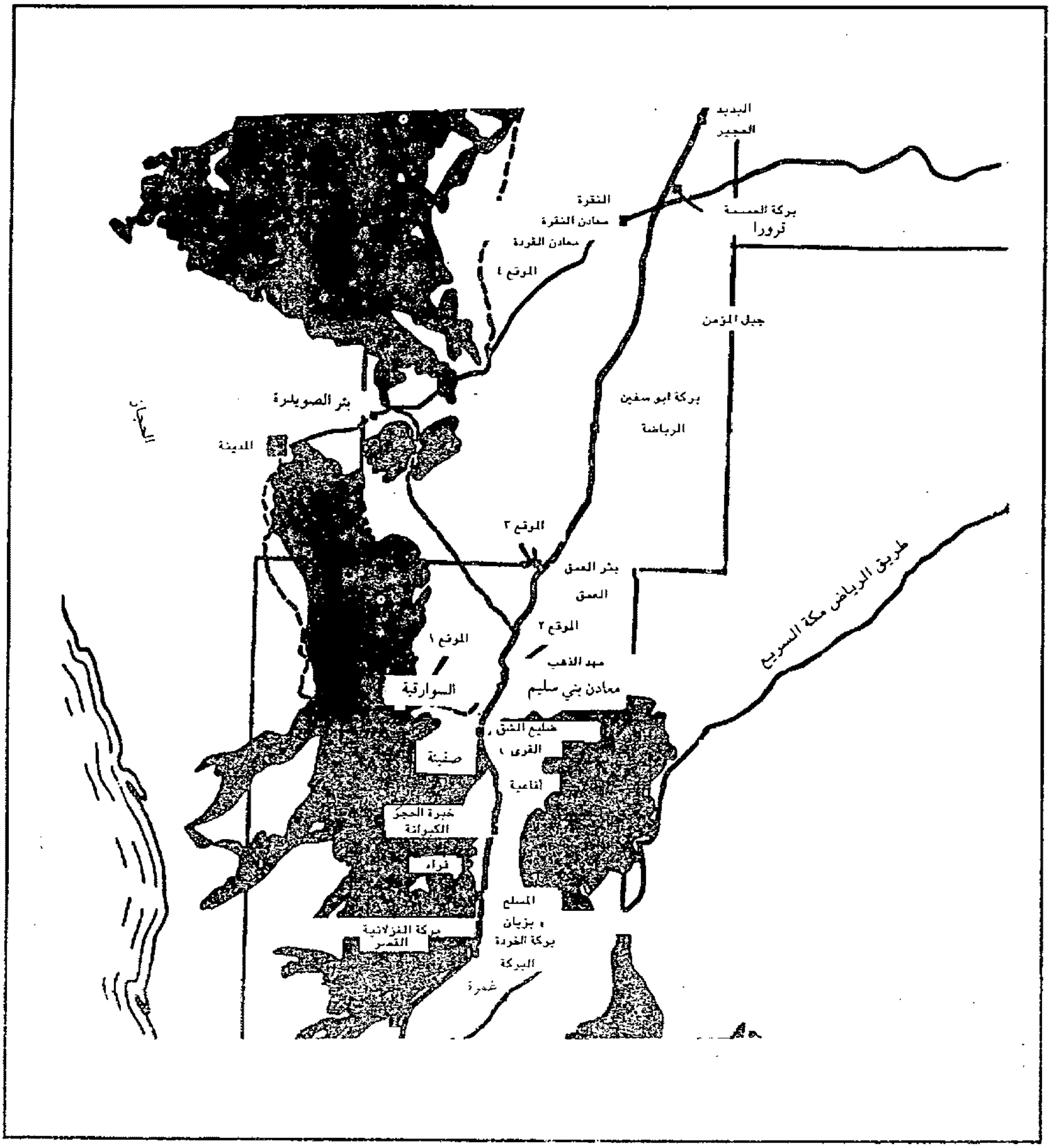
الخريطة (أ)

مواقع التعدين الفعلية في صدر الإسلام



الخريطة (ج)

مواقع التعدين الفعلية في صدر الإسلام



الموقع ١: معدن بني فـران في قران، شمال خط العرض ٢٣ درجة، و ٢٤ دقيقـة، وشرق خط الطول ٤٠ درجة و ٢٨ دقيقة.

الموقع ٢: معدن مهد الذهب، شمال خط العـرض ٢٣ درجة، و ٥٥ دقيقة، وشرق خط الطول ٤٠ درجة و ٥٠ دقيقة.

الموقـع ٣: معدن بني الشـريد في بئر العمـق، شمال خط العـرض ٢٣ درجة، و ٥٨ دقيقة، وشـرق خط الطول ٤٠ درجة و ٥٩ دقيقة.

الموقع ٤: معدن النقرة ، شمال خط العرض ٢٥ درجة، و ٣٢ دقيقة، وشرق خط الطول ٤١ درجة و ٢٤ دقيقة، وأشار الكاتب الكريم إلى المصورين (ب) و (ج) واكتفت المجلة إضطرارًا - بواحدة منهما لضيق مجالها.

الحواشي:

(١) البلاذري، نفس المصدر، ص ٢٢؛ ابن حجر، نفس المصدر، السيرة ١٢٦٣؛ المجلد ٤، ص ١٩٦؛ البكري، نفس المصدر ص ٢٨.

(٢) (Ackermann)، نفس المصدر، ص ٢٧؛ (R. Roberts, et. al)، نفس المصدر، ص ٢٧؛ (A. Helaby et. al.) نفس المصدر، ص ٢٦.

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ٢٩٣ - ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٩؛ كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، الصفحات ١٣، ٣٧٠؛ (سي مارتن) نفس المصدر، الصفحات ٤١ - ٤٢؛ جيه هيستر، نفس المصدر، ص ١٢٨، ١٣٣.

(٤) صاحب «المناسك»، نفس المصدر، الصفحات ٣٢٥، ٣٣٣؛ الفيروزأبادي. المغانم المطابة في معالم طابة (الرياض ١٩٦٩)، ص ١٦٧؛ المقريزي. الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، (القاهرة ١٩٥٥)، ص ٥٢؛ الطبري، نفس المصدر، المجلد ٣، الجزء ٣، ص ٧٤١.

(٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب، نفس المصدر، الصفحات ٢٩٣ - ٢٩٤، ٢٩٩؛ صاحب «المناسك»، نفس المصدر، الصفحات ٣٢٢، ٦١٨؛ الأصفهاني. بلاد العرب، نفس المصدر، الصفحات ١٠٧ - ١٠٨، ١٥٩، ١٩٩، ٣٦٨، ٣٧٠ - ٣٧١، ٣٨٢؛ ياقوت، نفس المصدر، المجلد ٤، ص ١٣٨؛ المجلد ٥، ص ٢٩٩؛ الحازمي، نفس المصدر، ص ٢١٤.

(٦) الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ورقة رقم ٢٦ ب، ٢٧ أ، الصفحات ٩٣ - ٩٤؛ صاحب كتاب «المناسك»، نفس المصدر، ص ٣٣٥، Dumlop، نفس المصدر، ص ٤٥؛ ٢٩٣ - ٢٩٤، جواد علي، نفس المصدر، المجلد ٧، ص ٥١٢، بدأت المملكة ثانية بمعالجة (غبار الذهب) واستخرجوا معدلاً ملحوظاً يصل إلى ٧٢ غرام ذهب من الطن متري من المعدن الخام.

(٧) الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ورقة ٢٦ ب، ص ٩٣، ورقة ٣٠ أ و ٣٠ ب، الصفحات ٩٩ - ١٠١، وورقة ٥٦ أ و ٥٦ ب، الصفحات ١٤٨ - ١٤٩، ص ٣٧١؛ بلاد العرب، نفس المصدر، ص ٣٨١؛ صابر، الاستقلال، نفس المصدر، ص ٣٥؛ دونلوب، نفس المصدر، الصفحات ٤٦ - ٤٨؛ إن أساليب تنقية الفضة في صدر الإسلام التي وصفها الهمداني مشابهة لتلك الطرق الموصوفة للذهب.

(٨) الهمداني. كتاب الجوهرتين، نفس المصدر، ورقة ٢٦ ب، ص ٩٣، ورقة ٥٦ أ و ٥٧ ب، ص ١٤٨؛ صابر، الاستقلال، نفس المصدر، ص ٣٥؛ دونلوب، نفس المصدر، الصفحات ٤٦ - ٤٨.

(٩) صابر. التعدين القديم، نفس المصدر، ص ١٦.

(١٠) مقارنة أم إيه شعبان. التاريخ الإسلامي: تفسير جديد، (كامبريدج ١٩٧١)؛ دبليو أم واط. محمد في مكة (أكسفورد ١٩٥٣)، ومحمد في المدينة (أكسفورد ١٩٥٦)؛ (M. J. Kister) «مكة وتميم (مظاهر علاقاتهم)، «JESHO، المجلد ٨ (١٩٥٦)، الصفحات ١١٧ - ١٦٣؛ (L' Arabie Occidentale Avant L' Hegire. H. L. Lammens) (بيروت ١٩٢٨)؛ «La Mecque a la Veille de Hegire» (بيروت ١٩٣٤)؛ و "La Republique Marchende de la Mecque ver l' An 600 de Norte Ere Bulletin d' Institut Egyptien.5 th ser"، المجلد ٤ (١٩١٠)، الصفحات ٢٣ - ٥٤.

١١- إضافة إلى أساليب التصوير من القمر الصناعي باستخدام التصوير بالتحسس بالأشعة تحت الحمراء والتي قد أدت حديثاً إلى اكتشاف مدن التجارة القديمة في شبه الجزيرة العربية.

السخرية في المنظور النفسي

لم يفرد الباحثون - من علماء النفس - السخريـة بموضوع خاص إنما هي عندهم بعض من ظاهرة بشرية موصولة بظواهـر أخرى مشابهة لها، ترتبط جميعًا بجذر نفسي واحد والظواهـر هي: الابتسام والضحك والفكاهـة والمزاح والدعابـة والهزل والنكتة والملحة والنادرة ثم (الكـوميديا) فهي جميعًا ظواهر نفسيـة من فصيلة واحدة. إلا أن بواعث السخـرية وغـاياتهـا تختلف عند الأفـراد والجماعات والبيئـات، فحين تتسع الانحرافـات الفرديـة، والاجتماعية، ويتفشى الفسـاد والقهر، تبـرز طائفـة من الأدباء، والمفكرين مستخدمة هـذا اللون من القول والكتابة وسيلة تقويم، أو وقـاية، أو مقابلة بالمثل. وهي في الـوقت ذاته تقوية للـذات الساخرة. ويتركـز البحث النفسي - عند المختصين - على الضحك لكونه تعبيـرًا عامًّا (مشتركًا). ويذكـرون له ثلاث وظائف هي: الوظيفـة (البايولوجيـة) و (الفسيولوجيـة)، و (السكولوجية) (النفسيـة) والأخيرة هي الوظيفـة الأهم والتي نخصها في هذا المقال بـرغم أنَّ الناحية (الفسيولـوجية) قد وصفهـا علماء النفس بـالقـول: إنها اختـلاجـات عضليـة، منقطعة تستهلك الكميـة الفائضة من التـوتر. فإذا استمر التنبيه وعجز الضحك عن استنفاد التـوتر انتقلت آثار الدغدغة إلى العضلات الحشوية، فتنبِّهُ بعض الغدد وبخاصة الغدد الدمعية ويتحول الضحك إلى بكـاء، وحينئـذ تـرتخي العضـلات ويسكن الجسـم. لـذا يميل بعض الباحثين إلى الربط بين القدرة على الضحك والقـدرة على التعبير اللغوي فيقول: إن الإنسان حيوان ضاحك لأنه حيوان مفكـر، أو حيوان متكلم. والواقع أن عملية الكلام مرتبطة ارتباطًـا (وثيقًا) بنفس العضـلات الوجهيـة والأجهزة النطقيـة التي تتركـز فيها عملية الابتسـام والضحك. وفي هذا الاتجاه قـال (لورد بيرون) - وهـو يقرن الضحك بالبكـاء-: (ماضحكت لمشهد بشـري زائل إلا وكان ضحكي بديـلًا أستعين به على اجتناب البكاء). فالإنسان أعمق الموجدات أَلَمّـا - في نظر نيتشة - لهذا كان لابد له من الضحك. فالأخير استجابـة للألم وليس للسرور. فنحن نضحك لكي نخفف عن

أنفسنا أعباء الانفعالات، والتأثيرات الوجدانية البالغة، وعواطف الشفقة المفرطة. وقد أشار المتنبي إلى هذا بقوله:

ومــاذا بمصــر مـن المضحكـــات ولكنـــــه ضحـك كــــالبكـــــا

إن في الفكاهـة شيئًا من النكوص والارتـداد نحو مرحلـة سابقة من مـراحل النمو. وكأن ذالك عودة إلى الطفـولة المبكرة التي تسقط عن الإنسان بعض تبعـات الحياة، كوسيلـة نافعة للتهـرب وقتيًا من هموم الحيـاة. مما يدل على انعـدام تكيف الفرد مع المحيط الاجتمـاعي. ولا مبالغـة في القول: من أن (المسـرح الكوميدي) يقـوم بفعل الـدواء في حيـاة بعض المـرضـى كفقـر الـدم وضغطـه والهبـوط النفسي، وأمـراض الأعصاب والقلب. ومن الطـريف أنَّ ممثلًا (كوميديًـا) محترفًا مثل (شـارلي شابلن) يقول: (مـايكاد الطـابع التراجيـدي لأي حدث يـزيد عن الحدّ حتى يصبـح الموقف بأكمله باعثًا على الضحك).

وقد لاحظ البـاحثون لجوء المسحوقين إلى السخريـة واعتصامهم بهـا لأنها الثأر السلمي العادل الـذي لا يمتلكون أمضى منه فهـو يقوي الثقـة بالنفس. وربما لكـونه مظهـرًا لبعض الغرائز الـدفاعيـة - عنـد الإنسان - والتي اضمحلت بسبب تحضـره. لهـذا فإن الإنسان البـدائي يضحك - في العـادة - من العيوب الجسميـة مما يشبـه ضحك الأطفـال الـذين يمثلـون البـدائيـة. بينمـا المجتمعـات الـراقيـةو الأفـراد المتحضرون لا يعبأون بتلـك العيوب، غير أنَّ الشعـور الظاهـر بالتفـوق يكون أحيـانًا مجـرد محاولـة للتعويض، يـراد بها تغطيـة الخوف من التعـرض لحالـة (الدونيـة) أو (النقص) كما يحـدث مثلًا حين نجـد أنفسنا في موقف مهين، يـدعو إلى السخـرية فنضحك دفـاعًا عن النفس. فـارتباط الفكاهـة ببعض حالات الخـوف والقلق يجعل من الضحك في مثل هـذه الأحوال مـؤديًا لمهمـة (إنكار الـواقع) والسمو نحـو آفاق (الأنا الأعلى).

ويصنف علمـاء النفس ضـروب الهـزل إلى ثـلاثـة أنواع هي: الفكـاهـة والنكتـة

و(الكوميـديا) وتقـابل في حياتنـا النفسية على التعـاقب: الوجـدان والنزوع والإدراك. و(الكوميديـا السخرية) هي من بين ضروب الهزل جميعًـا أقربها إلى قطب الإدراك أو المنطق. وهي بـالتالي فن عقلي يقـوم - كغيره - من الفنـون على النشاط الإبـداعي. فهي شكل من أشكال التسـامي، الذي يعتبره علم النفس داخلًا في بـاب (ميكانيكية الـدفاع النفسـي) كحيل دفاعيـة غيـر واعيـة تحاول تجـاوز التنـاقضـات. فالإنسـان يضحك - في رأي (برجسون) - بعقله وليـس بقلبه ولا شعوره. وينبغي لهذا العقل أن يكون على صلـة بعقول أخرى، فـالنكتة إذا لـم تكن محكمة التلفيق، متقنـة التزييف، بحيث يحتـاج في إدراكهـا إلى دقة فهمٍ، خـرجت بـاردة لا طعم لهـا. ولنكتة واحـدة يفهمهـا إنسـان خيـر من مئـة درس، وهنـا ينبغي الانتبـاه إلى ظـاهـرة الإشعـاع (السكوفيـزيائي) التي تجعل من الضحك ظاهرة مُعْـدِية كالعدوى النفسيـة المتمثلة في التثاؤب والفزع الشديد.

ويخلص (برجسون) إلى أنه إذا أردنا أن نفهم الضحـك على حقيقته فلابد لنا من أن نتصوره في محيطـه الطبيعي (المجتمع) فلا مُضحك إلا في ماهـو إنساني. وحين توصف (الكـوميديـا) السخريـة بالجمال - وهي تنصبُّ على وصـف القبح والشر - فَلأَنَّ الجمـال والقبح الطبيعيين هما غيـر الجمال والقبح الفنيين. وأن مـافي الطبيعة من قبح يمكن أن يصبح جمالًا في الفن.

إن السخـريـة - عمومًـا - تقـوم بـوظيفتين رئيستين: فهي تخفف من وقع المأسـاة الاجتماعية على الساخر، وتكثف الإحساس بـالمأسَاة نفسها، وهذا ما يثير العجب، أن تؤدي السخرية وظيفتين تنسخ إحداهمـا الأخرى. لكن العجب يزول إذا علمنا أن الفن الأدبي يقوم على العناصـر المتصارعة والأقطاب المتضادة، مما يـوفر عنصري التطهير في إثارة انفعالي الضحك والإشفاق في ما يسمى حديثًا بـ (التراجيكوميديا).

أ. د. عدنان عبيد العلي

كلية الآداب (جامعة الكوفة)

«رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث»

[كتب الأستاذ الكريم عصام محمد الشنطي، أحد الأساتيذ الأجلة المتخصصين بالشؤون المتعلقة بالمخطوطات العربية هذا البحث المستفيض عن كتاب «رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث» ونشر في الجزء الثاني - رجب ١٤١٧ (تشرين الثاني ١٩٩٦م) - من المجلد الأربعين من «مجلة معهد المخطوطات» التي تصدرها (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) في القاهرة ص ٢٤٥ إلى ٢٨١، ولكون كثير من قراء مجلة «العرب» لا يطلعون على مجلة المعهد، ورغبة في اطلاعهم على هذا البحث الممتع، وتقديرًا لكاتبه الأستاذ الجليل الشنطي، رأت «العرب» إعادة نشره].

الشيخ حمد الجاسر من قمم المشتغلين بالتراث العربي، ومن قمم مَن قدَّموا لهذا التراث خدمات جليلة.

علاقته بالمعهد، منذ تأسيسه، علاقة متينة، تجاوزت الباحث الذي يطَّلع على مقتنياته ويُصوِّر منها، فهو عضو فاعل في مجلسه الاستشاري، وقدَّم من خلاله للمعهد فوائد عظيمة.

لقد نال هذا العالم الجليل، في رمضان ١٤١٦هـ (كانون الثاني ١٩٩٦م)، جائزة الملك فيصل العالمية في أدب الرحلات، ووجب على المعهد أن يشارك في التهنئة والتكريم، وهاهو يقدِّم لقرَّاء مجلته المتخصصة هذا البحث الذي كتبه الأستاذ عصام محمد الشِّنْطِي، في جانب من جوانب رحلاته، إسهامًا متواضعًا لتكريمه.

نعلم أن كتب الرحلات عند العرب، يمكن تقسيمها عمومًا إلى أقسامٍ ثلاثة، الأول منها رحلات جغرافية يرصد العالم فيها أحوال الناس والعمران، وثانيها رحلات بحرية رواها تجَّار وملَّاحون، تضمنت معلومات مفيدة عن البحار وأسماكها وأصدافها، والأقوام الذين يسكنون على شواطئها، وثالثها رحلات برية تخترق الأمم والبلدان، إسلامية وغير إسلامية، عن طريق البر وفي القوافل. وهي رحلات كثيرة، أشهرها رحلتا ابن جُبَيْر في العالم الإسلامي، ورحلة ابن بطوطة وما توغل فيه من الأقطار النائية كبلاد البلغار والمغول والهند والصين[1].

أما رحلات الشيخ حمد الجاسر - علَّامة الجزيرة العربية - فهي الأخرى متنوعة الأهداف، ومختلفة الدواعي والمقاصد. فهي إما إلى بلاد عربية أو إسلامية، أو

أجنبية، أُوروبية وأمريكية، بقصد الاطلاع على التـراث العربي متمثلًا في مخطوطاته، يصف مـا يتخيـره منها، ويصـوِّر مـا يستطيع، أو رحـلات داخل بلاده مـن الجزيـرة العربيـة ليحقق مواضع تـاريخية، أو أصول قبـائل، أو رحلات للعـلاج والاستشفاء - عافاه الله وشفـاه - وقد خصَّ هذا الكتاب الـذي بين أيدينا لرحـلاته من أجل البحث عن التراث، دون الأهداف الأخرى.

ولعلّي لا أُغالي إذا عـددتُ هذا الكتـاب من أنفع وأمتع ما صنَّفـه الشيخ المؤلف من كتب، ونَشَـرهُ من بحوث ومقـالات، وما حقّقـه من نصوص تـراثية وعقَّب عليهـا، على كثرتها وتنوّعهـا. والحق أن كثيرًا من مباحث هذا الكتاب كـان قد نشره المؤلف منجَّمًا في مجلته التـراثية النفيسة «**العرب**» ثم نشرها مجمعـة بين دفَّتَيْ هذا الكتاب عـام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) وجـاء في ما يـزيـد على أربع مئـة صفحـة من قطع فـوق المتـوسط، منهـا نحـو خمسين صفحـة صنعهـا للفهـارس، فجعل الأول منهـا لموضـوعات الكتـاب، والثانـي لأسماء الأعلام، أفـراد وجماعـات، والثالـث لأسماء الكتب، والأخيـرة لأسماء المـواضع، ولا يخفى على الباحثين مـا للفهارس من قيمـة بالغة تكشف عن فوائد الكتاب، وتسهل الانتفاع بهـا، خاصَّةً ما يتعلق بالمخطوطات العربية التي اطلع عليها، وأسماء مؤلفيها، والمكتبات التي زارها ووجدها فيها.

ولا يبخس من قيمـة الكتاب، أو الحـديث عنه، أنه صـدر في طبعه الأولـى، منذ ستَّ عشرة سنة، فالكتـاب بجانب نفاسته وإمتاعه، حافل بالفـوائد الثرَّة نحو موضوع عـزيـز وأصيل، وهـو البحث عن المخطـوطـات العربيـة، والتنقيب فيهـا، ووصفهـا، واستخراج ما فيهـا من كنوز وذخائر، خاصـةً أن موضوع تغريب التـراث العربي وبعثرة مخطوطاته خارج العالمين العربي والإسـلامي مازال قيد النظر، ويحتاج إلى مزيد من البحث والتقصِّي والحصـر، فهـذا الكتـاب من الكتـب التي يـرجع إليهـا البـاحث المتخصص في كل حين، لأنـه كالصُّـوَّة أو المنارة على الطـريق، تهدي كل مسـافر، راكب وراجل.

لقد خصَّ المـؤلف هذا الكتاب بـرحلاتـه خارج الجزيـرة العربية لمهمـة جليلة،

فطاف في كثير من أقطار العرب، وأقطار المسلمين، والأقطار الأجنبية، وكان لا يبخل بشدِّ الرحال إلى كل صُقْع من هذه الأصقاع، فيه من المخطوطات ما يستحق أن يشَدَّ الرحال إليه، وهو الشيخ المسنّ، الذي أوصاه الأطباء، منذ زمن، بألّا يرهق عينيه بقراءة الكتب، فكيف بقراءة المخطوطات والتمحيص فيها، وهي تحتاج إلى أناة وصبر، وإلى عيون كعيون زرقاء اليمامة، أو إلى عيون صقر على أقل تقدير، ولعلّ صنيعه هذا يذكرنا بما كان يفعله الأجداد الأوائل الذين كانوا يَشُدُّون الرحال، ويطوفون الفيافي والقفار، من أجل التحقق من حديث نبوي، نصًّا أو سندًا، أو شاهد لغة، أو خدمة علم من علوم العربية الأخرى في عصر التصنيف والتدوين، فضلًا عمَّا كان يتكبده المؤلف في سفره من نفقات يدفعها من حرِّ ماله في سبيل هذا الهدف العلمي الرفيع، مما يندر أن نلقاه عند القدامى والمحدثين.

١ - نفائس المخطوطات ومشكلاتها: من يقرأ هذا الكتاب النفيس، يرى كيف أن المؤلف جاب أقطار الدنيا لهدف واحد، وهو البحث عن المخطوطات العربية المبعثرة في أنحاء شَتَّى من مكتبات العالَم، لا يشغله عنها شاغل آخر. والخطاب الأول في الكتاب هو خطاب المخطوطات العربية، والحديث عن نفائسها ومسائلها ومشكلاتها. وسنأتي في الكتاب إلى موضوعات أخرى طرقها المؤلف، لكنها موضوعات ثانوية لا تَرْقَى إلى رغبته الملحة في السفر وتحمّل المشاق في سبيل هذا الهدف. وبهذا يتطابق هدفه من هذه الرحلات مع تسمية كتابه: «رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث».

ويتضح اهتمام المؤلف بالمخطوطات العربية في أكثر من موضع من الكتاب، فحين يزور مدينة (بورصة) التركية، يقول: لا أريد الحديث عن جمال هذه المدينة، ولا عن حماماتها ومياهها الحارة، ولا عن جبالها الشاهقة.. فالحديث عن المكتبات[٢]. ويكرر مثلَ هذا القول حين يصل إلى مدينة (قونية) التي عدّها من أجمل المدن التركية، وأبهجها في النفس، ولكنه مشغول عنها بما أتي من أجله[٣]، أما أربه من لندن حين يزورها فمحصور - على حدّ قوله - في زيارة بعض المكتبات[٤].

وهو دائم التكرار في أن الغاية الأولى من رحلاته هي البحث عن المخطوطات العربية. فحين يزور من أوروبا هولندا ولندن وبعض المدن السويسرية وألمانيا وإيطاليا، يرغب بعض إخوانه أن يتحدث عن مشاهداته هناك، فيضطر أن يسجِّل لمحات خاطفة عن رحلته الأوروبية، تأتي بعيدة عن الطرافة التي يرغبها الإخوان، والتي اعتاد القارئ أن يجدها في أحاديث الرحالة إلى تلك البلاد، ويقطع بأن الغاية من رحلته تكاد تكون محصورة في البحث عن المخطوطات العربية، وهذه غاية بعيدة - في رأيه - عن الإطراف والتشويق للقارئ العادي[٥].

ولم يعقه عن هدفه هذا ما كان يتحمل من مشاق، فقد كان يقضي الساعات الطوال في التنقل من مطار إلى مطار، ومن مدينة إلى أخرى، وكان يتعرض لمشقات أشد نَصَبًا وألمًا، حين تكون المسافات طويلة، يسافر مرة من إستانبول إلى مدينة (قونية) عبر أنقرة، فيقضي النهار وهزيعًا من الليل وهو في أكثر من (حافلة) إلى أن يصل إلى مراده، ويقضي مرة اثنتين وعشرين ساعة في القطار ساعيًا إلى مدريد من باريس، بهدف التردد على مكتبة الإسكوريال التي تبعد عن مدريد نحو سبعين كيلًا. ويزورها أكثر من مرة، ويَطَّلع على كثير من مخطوطاتها، ويصفها، وينسخ منها، ويعلّق على مادتها، ويصوّر بعضها.

وكان حين يحطّ رحاله في مدينة ليطلع على مخطوطاتها، يسمع أن بمدينة أخرى مخطوطات، ولم يكن في خطته زيارتها، فيسافر إليها غير يائس من مظنة فائدة علمية يجنيها، على أن يعود إلى إكمال مأربه الأول. قيل له، وهو في الرباط مرة: إن بمراكش مخطوطات، فيسافر إليها يقول: (ولقد كانت رؤية هذه المكتبة [مكتبة ابن يوسف العامة] من أقوى البواعث لزيارة مراكش، لعلِّي أن أرى في مخطوطاتها ما أستفيد بمطالعته)[٦]، وكان يصل ليلًا إلى بعض هذه المدن التي يزورها، والمطر منهمر، والبرد شديد، فيقضي ساعات وهو يسعى ويشقى للحصول على غرفة في فندق، يأوي إليها[٧].

ويندر أن يظهر في كتابه، وهو يشدّ الرحال للمخطوطات، أنه جاء - بإزاء هذا

الهدف الأول - للعلاج، فقد كانت المخطوطات تنسيه نفسه، وتستنفد صحته وماله، فيرهق من كثرة المطالعة والنَّسخ، ويصرف الأموال في تصوير ما يريد منها. يقول في مكتبة الإسكوريال بإسبانيا: (لم يعد لِي أرب في المكتبة، فقد أرهقتني كثرة المطالعة والنقل، ولم يبق معي من النقود ما يزيد عن حاجتي في العلاج، ولم أشاهد في الفهرس من أسماء الكتب التي أتطلع إلى معرفة محتوياتها ما يغريني بمراجعة المكتبة. ولهذا قررتُ السفر إلى روما)(٨).

على أنه أمكنني أن أحصر هذه الرحلات تاريخًا، فأقدمها ممَّا ظهر في الكتاب وقع في الربع الأخير من عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وأحدثها وقع في صيف ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمعنى أن الزمن الذي قُطعت فيه هذه الرحلات نحو ثلاثة عشر عامًا. وليس من هَمِّي هنا أن أسرد المكتبات التي زارها في رحلاته، ولو فعلت لصنعت قائمة مطوَّلة ربما تبعث على الإملال لغير المتخصص. فليس هذا مكانها من هذا العَرْض والتحليل. وسنأتي على ذكر بعضها فيَ تضاعيف الحديث عن تفصيلات هذا الكتاب.

وحسبنا أن نعلم هنا أنه ما كان يسمع عن مدينة أو مكتبة تضم مخطوطات عربية إلَّا يسارع إليها. ويحدث أن يزور المدينة أكثر من مرة إذا ما أحس أن زورة واحدة لا تشبع رغبته في الاطلاع، فيزور إستانبول ثلاث مرات لأنها تحوي من تراث العرب والمسلمين مالم تحوه مدينة غيرها، يطوِّف في مكتباتها، وينقِّب عن نفائسها. ومثلها باريس التي يزورها مرتين(٩)، ومكتبة الإسكوريال في إسبانيا التي يزورها مرارًا في أعوام مختلفة(١٠).

وبإزاء ما يعلمه المؤلف من إشكالية هامة من إشكاليات المخطوطات العربية المتعددة، وهي توزّعها في أنحاء شتى من العالم، دون أن نملك حتى الآن إحصاءً، ولو مقرَّبًا عن أعدادها، حرص المؤلف، كلما تيسَّر له ذالك، على ذكر أعداد مخطوطات المكتبات التي يزورها، ومن ثَمَّ يفصِّل في تاريخ هذه المكتبات ونشأتها ومصادرها(١١)، وبهذا كان يسهم في وضع لبنة - وإن كانت صغيرة - للوصول إلى حلّ هذه الإشكالية ووضوحها.

ومن الأمثلة على ذالك ما سجَّله في كتابه من أن بالمكتبة السليمانية العامة في إستانبول ما يقارب عشرين ألف مخطوطة، ويفصِّل في مكونات هذه المكتبة وفهارسها، ومدى قدرة هذه الفهارس على الكشف عن كنوزها، ويذكر ما ضُمَّ إليها من مكتبات أُخرى، تقدر باثنتين وتسعين مكتبة، ذكر منها سبعًا وعشرين[١٢]، ومما يبين أن دار الكتب الوطنية في تونس تحتوي على اثنتين وعشرين ألف مخطوطة، منها مخطوطات الأحمدية والعبدلية وحسن حسني عبدالوهاب، وفي المكتبة الوطنية في الجزائر ١٩٨٧ مخطوطة موصوفة في فهرس مطبوع[١٣]، وفي مكتبة ابن يوسف العامة بمراكش نحو ١٦٠٠ مخطوطة.

وطبيعي أن تُفْضي هذه الإشكالية إلى إشكالية أزلية كبرى للمخطوطات العربية، وهي قضية تغريب التراث العربي، وإنتقال آلاف مخطوطاته إلى غير أماكنها الأصلية من العالمين العربي والإسلامي، واستقرارها في عالمين غريبين عنهما، هما العالم الأوروبي والأمريكي، فحين يزور مكتبة جامعة لَيْدِن في هولندا تثور في نفسه إشكالية التغريب متمثلة في قضية الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني الشهيرة، الذي باع مخطوطات عربية إلى مكتبة بريل.

وقد وضع لها المستشرق كارلو لندبرج فهرسًا يقع في ١٨٣ صفحة، يصف فيه ٦٦٤ مخطوطة، وقد طبع في ليدن سنة ١٨٨٣م[١٤]، وظلت هذه القضية في فكره، وظلَّ يلاحق محاولة حصوله على كراسة طبعت قديمًا عن زيارة الشيخ أمين هولندا، وحضوره مؤتمر المستشرقين أثناء انعقاده سنة ١٨٨٣م (١٣٠٤هـ)[١٥].

كما ظلَّ - من ناحية أُخرى - يلاحق انتقال بعض نسخ المخطوطات من المشرق العربي إلى مغربه، ومن ثَمَّ إلى أوروبا، فهذه مخطوطة «الحماسة البصرية» القابعة في مكتبة دير الإسكوريال في إسبانيا، وجد فيها ما يدل على أنها كانت في شمال بلاد العرب، ثم انتقلت إلى غرب البلاد، فالمغرب الأقصى، ومنه نُهبت فيما نهب من الكتب المغربية في البحر المتوسط، واستقر قرارها في هذا الدير[١٦].

ويلمس المؤلف إشكالية حادّة ثالثة من إشكاليات المخطوطات العربية، وهي أن معظمها حتى الآن في المكتبات العامة لم يتم إلَّا فهرسة جزء بسيط منها، فضلًا عَمَّا في المكتبات الخاصة. ولو سَلِمت هذه الفهارس أو القوائم المصنوعة مما وقعت فيه من خلط وخطأ لكان الأمر هَيِّنًا، فقد عانى المؤلف منها كثيرًا، واتضحت شكواه وضوح الشمس في ضحى يوم صائف. وربما تتوجه معاناته أكثر ما تتوجه إلى فهارس المكتبات التركية. يقول في هذا الصدد: (وينبغي أن يلاحظ كلّ من يزور إحدى المكتبات في البلاد التركية عدم الاعتماد على الفهاس فهي كثيرة الأخطاء)[١٧]، ويكرر عدم ثقته في هذه الفهارس في أكثر من موضع، فحين يزور مكتبة (نور عثمانية) في استانبول، يقول: (ولها فهرس مطبوع، غير أنه لا يصحّ الاعتماد عليه، وكثيرًا ما تتفق فهارس مكتبات إستانبول على الغلط)[١٨]، وتخرج دائرة عدم ثقته في فهارس تركيا إلى فهارس المخطوطات العربية عمومًا.

وتتعاظم هذه المشكلة عنده نظرًا لاتساع أُفقه، ورحابة معارفه في التراث العربي. وتتنوع الأوهام في هذه الفهارس تنوعًا عجيبًا. فحينًا توضع المخطوطة في غير موضعها عند التصنيف. فمثلًا مخطوطة «محاسن المساعي، في مناقب الأوزاعي»، وضُعت في فهرس مكتبة نور عثمانية في التصوف، لا في التاريخ والتراجم[١٩]، وكتاب «خلاصة الوفاء» من حقه أن يوضع بين كتب الجغرافية، لكنه وضع في الفهرس بين كتب (السِّيَر وقصص الأنبياء). وكذا كتاب «أُسْد الغابة» الذي ينبغي أن يجعل ضمن كتب التاريخ والتراجم[٢٠].

ومن أنواع أخطاء الفهارس نسبة المخطوطات إلى غير مؤلفيها، مما يكثر وقوعه في فهارس مكتبات إستانبول[٢١]، ومن أمثلة ذالك أن مخطوطة «غلطات العوام» منسوبة في الفهرس إلى ابن الجوزي، ولكنه بعد مطالعته إيّاها تبيَّن له أنها للسيوطي[٢٢].

ونوع ثالث من أوهام الفهارس التركية مما يشمل عنوان المخطوطة ومؤلفها، كأن يُذكَرَ الاثنان بصورة غير صحيحة، ففي فهرس مكتبة السلطان أحمد الثالث في إستانبول مخطوطة «فتوح اليمن» للوزير إبراهيم سنان باشا، وبعد اطلاع المؤلف

عليها تحقق أنها «الفتوحات العثمانية للأقطار اليمنية»، وهي نسخة ثانية من كتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني» لقطب الدين النهروالي المكي الحنفي، المتوفى ٩٨٨هـ، وهي نسخة نفيسة لأنها كتبت في حياة المؤلف.

ونوع رابع من الأوهام، وهو المتعلق بالمجاميع، الذي يضم المجلد منها كتابين أو أكثر. فيكتفي المفهرس بذكر اسم الكتاب الأول، دون تسجيل عناوين الباقي منها وأسماء مؤلفيها[٢٣].

وهذا كله يدل على جهل المفهرس جهلًا شديدًا بالتراث، وعلى قلة هذه الفئة من المفهرسين الأكفاء، وفقداننا لأمثالهم، وأمام قصور هذه الفهارس يحسّ المؤلف أن الباحث يحتاج إلى طول وقت، وشدة تعمّق، وصبر وجلد، وهي أمور - على حدّ تعبيره - لا تتاح لكلِّ إنسان.

ونعثر في كتابه على إشكالية رابعة من إشكاليات المخطوطات العربية، وهي تعرضها للتلف من أكل أرَضة، وطمس رطوبة، الأمر الذي يدعو إلى الاهتمام بسرعة الترميم الفني، والتصوير، قبل استفحال هذا التلف، أو قبل السطو عليها. يقول في مخطوطة اطلع عليها: (وقد أفسدت الرطوبة جلّ صفحات القسم الأخير من الكتاب، بحيث لا يمكن قراءتها بسهولة، وعبثت العثة بورق الكتاب، فأصبح مهلهلًا، ثم رُقع جميع الورق بورق شفاف)[٢٤].

ويلقى مخطوطة في مكتبة أيا صوفيا بإستانبول، وهي: «تصحيح التصحيف، وتحرير التحريف»، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدي، المتوفى ٧٦٤هـ، وهي بخطه، وما يلبث أن يضع يده على هذه النسخة النفيسة، ويستبشر بعلوّ قيمتها، إلّا أن تتبدد في نفسه هذه الفرحة منقلبة إلى أسف وحسرة، لأنه اكتشف أن النسخة قد سطت عليها يدٌ أثيمة، فنزعت أكثرها، بحيث لم يبق من الكتاب إلا من حرف الألف إلى نهاية حرف الزاي، في تسعين ورقة[٢٥].

والمؤلف بدرايته الفذّة بالمخطوطات العربية، وبسعة خبرته حولها، يفتح عيون الخريجين من الشباب العرب الذين لديهم استعداد للتوجه إلى التراث، والنظر في

المخطوطات اختيارًا وتحقيقًا ودرسًا، إلى مسائل لا يعرفها المبتدئ في هذا الميدان، وبهذا يعلّمهم دروسًا نافعة فيه، ومن الدروس الأولى اهتمامه بالنُّسخ الأُم النفيسة، وبرصد السماعات على العلماء، وذكر التملكات والخطوط المسجلة على المخطوطة من قِبَل علماء معروفين[٢٦]، ويتعقب في النسخ المخطوطة النَّسَّاخين العلماء، ويهتم بجمع تراجمهم وتنقلاتهم من أجل العلم إلى دمشق، ثم إلى مصر وغيرها، ويذكر مؤلفاتهم[٢٧].

ويعرّفنا بالمجاميع من المخطوطات، وهي التي تحتوي على أكثر من مخطوطة أو رسالة، ويلتقط بحسِّه التراثي العالي، النفيس منها، يطلع في الخزانة العامة بالرباط على مخطوطة «الرحلة إلى بيت الله الحرام» لأبي مَدْيَن بن أحمد الدرعي، المتوفى ١١٥٧هـ. وهي ضمن مجموعة، وقد كتبت قبل وفاة مؤلفها بعام واحد[٢٨]، ويصور من مكتبة الجزائر الوطنية رسالة بعنوان: «حكم قناديل المدينة»، للفيروزآبادي، وهي مكتوبة سنة ٨١٦هـ، أي بعد وفاة مؤلفها بثلاث سنوات[٢٩] و بهذا ينبِّه إلى أهمية المجاميع والتنقيب فيها مخطوطة مخطوطة، ورسالة رسالة.

ويعرّفنا أيضًا بأهمية نسخة المؤلف المهداة إلى سلطان أو وزير، أو غيرهما، وقريب من هذا الباب يعرّفنا ببعض مصطلحات التراث كمصطلح النسخة الخزائنية التي كتبت برسم خزانة ملك أو أمير، فتُزين طُرَّتها، وتزخرف وتزوّق، ويكتب فيها اسم من كتبت النسخة له، وكان قد اطلع على نسخة خزائنية من كتاب «الممالك والمسالك»، لأبي عبيد البكري، كتبت برسم أحد أمراء المماليك في مصر[٣٠].

ويولي عنايته بفروق النسخ حيث تكون هذه الفروق في المادة نقصًا أو تمامًا. يقارن في هذه الحالة بين نسخة وأخرى في بلد آخر كان قد رآها وسجّل ملاحظاته عليها. والعجيب أن ذاكرته تتسع لكثير من هذه الفروق فيستطيع أن يقرر أن نسخة مكتبة كذا هي من أجود نسخ الكتاب[٣١]، نراه يكشف في الخزانة العامة بالرباط عن نسخة نادرة من «الحماسة»، للأعلم الشِّنْتَمَرِي، فيطالعها ويقارن بينها وبين نسخة المكتبة الوطنية في تونس، ويربط بينهما بعد أن يقوم بوصف النسختين[٣٢]،

والأعجب من هذا قوة ذاكرته وكثرة محفوظه، فما إن يسمع من عالم عن نسخة من مخطوطة لابن خَلْدون من كتاب «العبر» فيها زيادات على المطبوعة تتعلق بتاريخ البربر، حتى يذكر له فائدة عظيمة، وهي أن نسخة من الكتاب محفوظة في مدينة صوفيا (بلغاريا) تحتوي على بضعة عشر فصلًا ليست في المطبوعة[٣٣].

وتطول خبرة المؤلف، وتتسع دائرة معارفه في التراث اتساعًا عظيمًا، فنرى منه عجبًا حين ينقِّب في مخطوطة، فيكشف عن جديدها، أو يعرف مكنونها، أو يصحح خطأها دون الرجوع إلى مصدر من المصادر، ولا شك في أن مثل هذه الثمار، هي حصاد سنين من القراءة والاطلاع والدرس. وينفع هذا كدرس خصوصي مجاني للناشئة ليتحققوا من صحة المثل القائل: مثلما يزرعون يحصدون.

ويشيع في الكتاب أمثلة كثيرة من هذا القبيل يتضح فيها أن مغاليق المخطوطات قد فتحت لهذا العالم. ونجتزئ هنا ببعض الأمثلة، يطلع على مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية العامة في تونس. موسومة بـ «التحرير فيما وقع بين الفرزدق وجرير». فيكشف عن أنه كتاب «النقائض» لأبي عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنى، وجاء أحدهم واختصره وجرّده وسمّاه بهذا الاسم الآنف الذكر[٣٤].

ويستطيع أن يصحح أسماء مؤلفات مثبتة على المخطوطات خطأ، فكتاب «اقتضا الوفا بأخبار دار المصطفى»، يصححه باسم: «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، وهو كتاب للسمهودي[٣٥]، ويصحح أسماء مؤلفين أيضًا، ففي مخطوطة محفوظة في مكتبة أيا صوفيا في إستانبول مثبت عليها اسم (جمال الدين أبو أحمد يعقوب بن أبي بكر الطبراني)، فيصوبه بالطبري[٣٦]. وتسوقه المعرفة إلى ملاحظات دقيقة واجتهادات متميّزة، يقول بعد الاطلاع على مخطوطة: (ويظهر أن الناسخ يمني، فهو يُعنى بضبط بعض أسماء البلدان اليمنية)[٣٧].

ومن دروسه التي لا تتوفر إلّا لمن طالت خبرته وعظمت معرفته، درايته بحيل الورّاقين وتزويرهم، نراه في كتابه بصيرًا بهذه الحيل دون أن تنطلي عليه، اطلع على مخطوطة وقد كتب في طُرّتها أنها نقلت من المسودة قبل تحريرها وترتيبها.. كتبها

مؤلفها، ويدقق في العبارة ويلاحظ أن عابثًا كشط كلمة (قبل) كشطًا خفيفًا، وكتب مكانها (بعد) ليبرز هذا العابث الذي فعل هذه الفعلة أن نسخته تتصف بالكمال والندرة[٣٨]. وفي مخطوطة أخرى ناقصة، يطلع عليها، تعبث بها يدُ عابث فتضيف نحو سطر بكتابة حديثة، لتبدو النسخة كأنها كاملة[٤٠].

على أن الدرس الأكبر الذي يوجهه للناشئة من الشباب المتحمس لاقتحام ميدان التراث العربي، ألّا ينظروا إليه - بإزاء حماستهم له - بعين التقديس المطلق، بعيدًا عن النقد أو التصفية، فالمؤلف برغم ما نرى فيه من شغف كبير بالتراث، وتقدير عظيم له، تلقاه غير متوانٍ عمّا فيه من خرافات لا يصدقها ذو عقل. فهو ينفي قبول ما قرأه في كتاب «الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًّا وبحرًا»، للزياني، المتوفى ١٢٤٩ هـ، من خرافات كثيرة، منها أن (الكُسْكُس)؛ وهو من المأكولات المغربية الشعبية، اخترعه طبيب الجان لنبيّ الله سليمان، لمّا حصل له السهر والأرق، فصنعه له، ولما أكله نام[٤٠]، والعجيب أن هذا الكتاب من الكتب التي لها قيمتها في المغرب، وقد نشرته وزارة الأنباء في منشورات (لجنة إحيار التراث القومي).

وكذالك حين يطالع مخطوطات في خواص الأحجار والمعادن يراها تعجّ بالتخريف. وهذه المؤلفات على قلتها بين كتب التراث العربي، حُشيت بالخرافات، لا يُسْتثنى منها - في رأيه - إلا بعض مخطوطات البيروني والهمداني وابن ساعدة الأنصاري، وضرب من الأمثلة على ما استنكره من تخريف هذه الكتب نصًا نقله إلينا، يقول فيه: (باب حجر فيلقوس: هو كثير التلون، ويلمع بالليل كالمرآة، ماكان بموضع إلا هرب منه الجن والوحش، وسائر الهوام)[٤١].

ويطلع على مخطوطة في مكتبة علي أميري بإستانبول، المحفوظة فيها برقم ٢٥٢٨، وهي «نسيم الصَّبا، ونديم الصِّبا»، لإبراهيم بن يوسف المهتار، من شعراء مكة في القرن الحادي عشر الهجري، ويقرأ فيه، في الورقة الحادية عشرة منها قصيدة فرج بن سعد الطائي التي خاطب بها الجنّ، بعد أن طرقته ليلًا، فسألته عن شيء من غريب اللغة، بشعر قالوه، فأجاب على كل بيت بمثله. فلا يتردد الشيخ المؤلف بحكمه العادل، أن (هذا من خزعبلات العرب)[٤٢].

ولاشك في أن مثل هذا الفكر المستنير يجعلنا نعتقد أن المؤلف لا يعدّ التراث ذا قدسية مطلقة، وأنه بمنأى عن النقد، وهي دعوة منه صريحة على أن هذا التراث لا يخلو من شوائب، لا بدّ من تصفيته منها، وإقصائها عنها.

وكان يقف في مكتبة من المكتبات على مئات منها، فلا يطلب الاطلاع عليها كلها، لا لضيق الوقت فحسب، بل كان بعينه الباصرة يترك ما ليس فيه كبير فائدة، ويتوجّه إلى النوادر منها[٤٣]، وواضح من كتابه أنه كان يتوجّه بالاهتمام من حيث الموضوعات إلى المخطوطات التي تتعلق بتاريخ العرب وأنسابهم وجغرافية بلادهم[٤٤]، ويتوجّه بصفة خاصة إلى تاريخ الحجاز وجغرافيته[٤٥]، ومن هنا كان ينفذ باهتمامه إلى المخطوطات التي تذكر طريق الحج، لأنها عنده جديرة بالدراسة، لا لصلتها بالمشاعر المقدسة فحسب، بل لتعلقها بجغرافية بلاده وتاريخها، ولحاجة بعضها إلى التصحيح والتحقيق[٤٦].

ولهذه الأسباب والتوجهات اهتم بمخطوطات الرحلات المغربية التي تتعلق بالحج، وبالحجاز على وجه الخصوص، وقد وجدها وفيرة في مكتبات المغرب الأقصى، لأن علماء المغرب بزّوا المشارقة في هذا الفن، وكان حريصًا على أن يصوّر منها كلما تيسَّر له ذالك، أو يسجّل فوائدها عنده على أقل تقدير[٤٧]. وقد اتصل اهتمامه بتاريخ جزيرة العرب وبالرحلات إليها، أن اهتم بالحصول على بعض المؤلفات المتأخرة المطبوعة المتعلقة بهما، فيستقصي، وهو في باريس، عن هذه المطبوعات، خاصةً رحلة شارل هوبر والكتاب المتعلق بآثار الحجر[٤٨]. وفي لندن يهتم بمؤلفات فلبي، ورحلَتَيْ دوتي Doughty وبركهارت Purkhardt[٤٩].

ولم يهمل شعر العرب، فكان يطلب للاطلاع والاختيار والتصوير دواوين الشعراء من النسخ النادرة، أو الدواوين غير المتداولة، أو للمغمورين منهم، كالذي وجده من نسخة ديوان ابن الحكاك، الشاعر المكي المغمور[٥٠].

ومن المدهش حقًّا أن يزوِّد المؤلف القارئ بمعلومات فلكية طيبة. ومهما كانت هذه المعلومات، فإنها تدل على سعة اطلاعه، وعلى تنوع معارفه[٥١].

والحق أنه في كتابه يكشف لنا بوضوح عن مجمل طريقته ومنهجه في اختيار المخطوطات والموضوعات أمام هذا الكم الهائل منها في المكتبات. يقول: (ومما ينبغي ملاحظته أنني في حديثي عن المكتبات لا أتعرض لوصف ما فيها من نسخ للكتب المشهورة المطبوعة أو المخطوطة، التي تكثر نسخها في المكتبات الأخرى، ولهذا تقلّ المخطوطات التي أشير إليها أو أصفها، وينصبّ حديثي في كثير من الأحيان على المؤلفات النادرة التي لها صلة بتاريخ بلادنا (جزيرة العرب)، أو أدبها أو جغرافيتها، في العهد القديم، مما هو غير معروف)[٥٢].

وطبيعي أن نجده على اهتمام بما يُعَدُّ من مكملات موضوع المخطوطات العربية، وهو حرصه على اقتناء كتب التراث المطبوعة، والعناية بمراكز الدراسات العلمية واللغوية والجامعات المعنية بالتراث نصًّا ودرسًا، وما تُصدره من مجلات وبحوث ودراسات. ويحرص على زيارتها، ويذكر سنة تأسيسها وتطوّرها. ومما زاره - على سبيل المثال - المركز الإسلامي الثقافي في مدريد، ويسأل عن منشوراته وبحوثه ومجلته الأكاديمية[٥٣].

٢- **الاستشراق والمستشرقون**: وحين نخرج من دائرة المخطوطات العربية الواسعة، نراه يدخل في دائرة أصغر ذات علاقة وثيقة بالتراث العربي وتحقيقه، وهي دائرة المستشرقين، فقد كان لهذا العالم صلة ببعضهم، وله رأي سديد في غاياتهم وأعمالهم، ودورهم في خدمة التراث وتحقيقه ودراسته، وما وقعوا فيه من أخطاء.

وكان حريصًا على أن يزور مراكز الاستشراق والجامعات والمعاهد التي تعنى بنشر النصوص العربية والدراسات حولها، فحين يصل إلى هولندا يسارع إلى زيارة مدينة لَيْدِن، لأنها من أهم مراكز الاستشراق في أُوروبا، ففيها مطبعة بريل ومكتبتها التي تُعد من أكبر مطبعة أصدرت، ومازالت، تصدر نوادر كتب التراث العربي، ومن أهم ما أخرجته «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»، و «دائرة المعارف الإسلامية»[٥٤].

ويزور معهد الشرق للدراسات الإسلامية والعربية في روما، ومكتبة المجمع العلمي الإيطالي، ومؤسسة المستشرق الإيطالي الأمير كَايْتَانِي للأبحاث عن تاريخ الإسلام وحضارته، الواقعة في داخل المكتبة[٥٥].

كما كان حريصًا على أن يلتقي بالمستشرقين في بلادهم، أو في مؤتمراتهم، كالمؤتمر الذي عقد في جامعة السوربون في صيف عام ١٩٧٣م[٥٦].

وممن التقى بهم في مدينة ليدن المستشرق الهولندي بروخمن الذي يجيد اللغة العربية، وألف كتابًا عن «الشريعة الإسلامية في مصر الحاضرة»، وتحدث الشيخ حمد معه عن العرب وآثارهم، وعن الاستشراق والمستشرقين في هولندا.

وقد زار بصحبة بروخمن بيت المستشرق الهولندي المعروف سنوك هر غرونيه، الذي أُضيف منزله إلى جامعة ليدن، وأصبح تابعًا لقسم الدراسات الشرقية وكان سنوك قد أتى إلى مكة متنكرًا في زيّ حاج وتسمّى باسم (عبدالغفار) في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأقام في مكة خمسة أشهر ونصفًا وألف عن تاريخها وعادات أهلها وجغرافيتها كتابًا له شهرة كبيرة عند المستشرقين[٥٧].

وممن التقى بهم في إيطاليا، في أواخر عام ١٩٦٠[٥٨] ليفي دلافيدا الذي يلقبه بشيخ المستشرقين في بلاده، وكان عمره آنذاك يقارب الثمانين عامًا بحساب السنين القمرية، وبيَّن المؤلف بهذه المناسبة شيئًا من إنتاجه ودراساته. والتقى في روما بالمستشرق غِبْرِيَلّي وهو شيخ في سنّ الخامسة والستين[٥٩].

ولقي أيضًا ماريا نالِّينو الإيطالية، وهي ابنة المستشرق المعروف كارلو نالِّينو. ولها دراسات عربية، وهي التي جمعت شعر النابغة الجعدي ونشرته مع دراسة وتعليقات عليه[٦٠]، وجيوفياني أومان المشتغل بتحقيق كتاب الإدريسي في الجغرافيا، ولورا فيشيا فاغليري[٦١] وكان في حديثه معهم جميعًا يدل على عالم ذي باعٍ طويل في تتبع إنتاجهم، ودراية عميقة بمؤلفات العرب ومخطوطاتهم وتراثهم[٦٢].

ويشيد بأخلاق بعض المستشرقين وتقبلهم للنقد والانتفاع به بصدر رحب، وهو مدعاة عندهم للتواصل والتوادّ، بينما لا يحتمل بعض علماء العرب نقد أعمالهم، وتكون عندهم مدعاة للكراهية والعداوة. يقول إن المستشرق الألماني رودلف زلهايم حين حقق كتاب «نور القبس»[٦٣] جرى التعارف بينهما بعد أن نشر المؤلف كلمة عن ذالك العمل في مجلته التراثية «**العرب**» أوضح فيها ملاحظات تتعلق بالكتاب،

فكان هذا سبب التعارف والتواصل بينهما؛ بينما كانت كتاباته - على حدّ قوله - عن بعض المطبوعات التي يقوم بها بعض الأساتذة والإخوان من العرب سببًا للقطيعة ومدعاة للوقيعة أيضًا(٦٤).

وبإزاء أخلاق المستشرقين الحميدة التي تتقبل النقد وتنتفع به وتقدّره، أشاد بما لبعض فضلائهم من آثار معروفة نافعة في مجال التراث، من أبرزها توجيه الدراسات التاريخية والأدبية واللغوية توجيهًا جديدًا، أمدت الثقافة العربية بحيوية وثروة، واتخاذ طريقة جديدة في إحياء التراث العربي تسهِّل للباحث الاستفادة منه بأسهل الطرق، والاهتمام بصنع فهارس شاملة للمخطوطات العربية في مكتبات بلاد الغرب، ونشر دراسات وافية عن نوادر المخطوطات، وعناية كثيرين منهم بدراسة تاريخ العرب من خلال آثارهم، والتنقيب عنها، ورحلاتهم في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية وغيرها.

غير أنه ينبّه إلى إن الدافع لكل ما تقدم لا يخفى على أحد، لقد كانت هذه الوسائل، في أول الأمر، بهدف السيطرةَ على الشعوب بأي نوع من أنواع السيطرة، سياسية أو فكرية أو دينية، ثم اتجه بعض أولئك المستشرقين - وقليل ما هم - وجهة أخرى هي الوجهة العلمية الخالصة، بعد أن تطورت الحياة وتغيرت أساليبها، وانتفضت الشعوب انتفاضة القوة والعلم. ووجد بين العرب أنفسهم من العلماء من لا يقل معرفة وسعة اطلاع عن كبار أولئك العلماء منهم، بل يفوقهم بفهمه لكثير من أحوال أمته. ومن هنا يصحّ القول - عنده - بأن دور المستشرقين قد انتهى، ولا يعني هذا إنكار ما لفضلائهم من الفضل وسعة العلم والتجرد من كل غاية تنحرف عنه(٦٥).

وبجانب هذا التحذير حول نشأة الاستشراق، فإنه لا يغْفَلُ أيضًا عن سلبيات بعض هاؤلاء المستشرقين، فهو ينقد بحوث مؤتمرهم الذي عقد في باريس في صيف عام ١٩٧٣م، ويصفها بالضعف عامةٌ. كما يبدي استغرابه من شدة عناية بعضهم بدراسة اللهجات العربية، وتوجيه بعض طلابهم من العرب لدراسة هذه اللهجات. ويظن أن مثل هذا التوجه ليس للفائدة التي يمكن أن تتحقق من دراسة اللهجات من الناحية اللغوية الصرفة، ويقيم الدليل على هذا الشك بأنهم يطلقون

على بعض لهجات الشعوب التي تجمعها لغة واحـدة، لغة بدلًا من لهجة، فيقولون - مثلًا - اللغة المصرية، والحقيقة أنها لهجة، وليست لغة[٦٦].

وتعقّب أخطاء المستشرقين في مـا صنعوا من فهارس المخطوطـات العربية، والتي يقول: إننا نأخذها عنهم دون تمحيص وتدقيق، ويضرب على ذالك بعضَ الأمثلة[٦٧].

٣- الآثار والحركـة الثقافية: وإذا خرجنـا من دائرة علاقة المؤلف بـالمستشرقين وتقييمـه لإنجازاتهم في التـراث، دخلنـا في دائرة أصغر، وهي دائرة الآثـار. ولـم يكن هذا في الغالب هدفه، بل كان يتوجـه إليها إذا ما أحسَّ في رحلة من رحلاته أنه يملك وقتًا فـارغًا، أو لا يُمَكَّن من الاطلاع علـى المخطوطات ويصـوِّر منها، يذهب لـزيارة بعض معالم باريس الأثرية حين يخفق في تصويـر المخطوطات من المكتبة الوطنية فيها، لكثـرة طلبات التصـوير من أسـاتذة الجـامعات وغيـرهم[٦٨]، ويزور الأمـاكن الأثريـة في داخل دير الإسكوريال في إسبـانيا حين يذهب مرة متأخـرًا فيلقي المكتبة مغلقة[٦٩]، ويزور متحف الأمة في برلين الشرقية، ويشاهد فيه آثارًا شرقية قديمة[٧٠].

وفي طليطلة بعـد أن يصف موقعها وجمـالها، يشـاهد قصرهـا الأثري العظيم، ثم متحفها، وبعض آثارها الأُخرى، ويتفحص نقـوش أبنيتها التي كتبت بخط كوفي وغيره من الخطوط، ويزور مسجدًا من مساجدها القديمة، ويفصِّل في وصفه[٧١].

ويهتم بآثـار إستانبول من قصور ومتاحـف، ويشاهد فيها آثارًا من عهـد الأمويين والقـرن الثاني الهجـري. ويمرّ بمسـاجدهـا المشهـورة الكثيرة، ويَلْفِت نظـره بناؤهـا وعمرانها وفنيتها وزخرفتها وخطوطها من الداخل.

وفي مدينة مراكش يزور مسجدها العظيم، الكتبية[٧٢]، وقصرَ البَدِيع من آثار دولة السعديين، التي حكمت مـراكش حقبة من الزمن، ولا يهتم بقبـور السلاطين، ولا يعبأ بـزيـارتهـا، ويسأل عن قبـر القاضـي عياض (المتـوفى ٥٤٤هـ)، وهـو من علمـاء المغاربة المـرموقين، فلا يعرفـه مرافقه[٧٣]، وملاحظتنا العامـة على رؤيته هذه الآثار، وعلى ما كان يشـاهد من مبان في أقطار المغـرب العربي، قديمها وحديثهـا، أنه كان دقيق النظر، دقيق المـلاحظة فيما يـرى ويشاهـد، وكأنه اكتسب هذه الصفـة من همّه

الأول، وهو التدقيق في المخطوطات كشفًا واطلاعًا ووصفًا وتحقيقًا ودرسًا.

ولم يهمل المؤلف في رحلاته الحركة الثقافية في بعض بلاد العرب، خاصةً أقطار المغرب العربي، فهو يقرر أن الصلة الثقافية بينها وبين المشرق العربي صلة واهنة، بل معدومة، بسبب الحدود بينهما. وكثير من القيود والتعقيدات والأحوال السياسية، الأمر الذي جعل الفكر العربي في دائرة ضيِّقة، والنشاط الثقافي بينهما مقطوعًا.

ويذكر في هذا المجال المؤسسات الثقافية ومدى نشاطها في نشر الكتب العربية[٧٤]، ويشير إلى المجلات الثقافية والصحف التي تصدر عن تلك الأقطار، ويعلق على بعض مقالات تلك المجلات، ويتابع تطور الفنون الأدبية كالقصَّة والمقال الأدبي[٧٥].

٤ - **المجتمع الأوروبي والعربي**: ولا نعدم في هذه الرحلات، برغم بعدها عن هدفه الأول، إعجابه بمظاهر التقدم الحضاري في أُوروبا وغيرها، وما شاهده فيها من أنظمة وإنجازات إدارية ناجحة. مع ما نجده من نظرات ثاقبة، ونقدات صائبة في صميم حياتهم الاجتماعية. يدخل مدينة فرانكفورت (ألمانيا) لأول مرة فيندهش ويقول: (أبرز مظهر لفت نظري في هذه المدينة محطة سكة الحديد التي يتفرع منها عشرات الخطوط الحديدية، والحركة الهائلة في تلك المحطة)[٧٦].

وفي إستانبول يُعجب بشباب تركيا المنهمك بالقراءة والدرس، فقلَّ ما كان يزور مكتبة فيها إلَّا يجد الأمكنة المخصصة للمطالعة مزدحمة بالشباب من فتيان وفتيات، يشاهدون منهمكين في المطالعة أو النَّسْخ[٧٧].

ولكنه لم ينبهر، ولم يعش بصره بهذا التقدم الأوروبي، فيرصد بعضَ سلبيات حياتهم مما لا يرضى عنه، فهو في الوقت الذي يعجب بالتقدم في ألمانيا ينقد الحياة السياسية فيها، ويؤاخذهم لعلاقتهم بإسرائيل، وما دفعوه لها من تعويضات[٧٨].

ويتغلغل في عادات الأوروبيين في بلادهم، ويبدي رأيًا مخالفًا فيما يقال عن حسن معاملتهم وأمانتهم ونظافتهم. ويضرب الأمثلة من مدينة لَيْدن بهولندا[٧٩]، ومن سكان باريس ولندن من طبقات الشعب، ومن حياتهم العامة، يشكو من زيادة

الحساب في مطعم، ومن قلة النظافة في مطعم آخـر، ويشاهد فأرة على مقربة من سور حديقة صغيرة تقفز أمام ابنته، مع كثـرة القطط والكلاب. ولا يعجبه من عاداتهم ما كان يراه في الصباح الباكر من قيادتهم لكلابهم يطلقونها في الشوارع تفعل ما تشاء[٨٠].

ويكشف عن رأيـه هـذا بصـراحـة، يقول: (وليـس صحيحًا مـا يقـال عن نـزاهـة الأوروبيين وغيرهم، ولا عن حسن معـاملاتهم على الإطلاق)[٨١]. ويكرر هـذا الرأي بقوله: (تـوهمت - وخطأ ما توهمته - أن مـا يقال عن نزاهة الغربيين في معاملاتهم كان حقًّا)[٨٢]، والحق أنه لا يخص الأُوربيين دائمًا بهذه الصفات، وإنما يعيدها إلى طبيعة الإنسـان حيث كان، يقول: (فالمـرء لا يعدم في أية بقعـة من بقاع الأرض، من يحاول خديعته وغشّه)[٨٣].

وكانت بعض هـذه المشاهـد والنقدات في المجتمع الأُوروبي وغيـره، تعيده إلى واقع بلاده العربية ليقـارن فيها أوضاعًا بأوضاع، ويسجِّل ما فـي أقطار العرب من سوء الإدارة، وسوء المعـاملة والخـدمات لمواطنيهـا وزوّارها، وقلة الأمـانة وطلب الهـدايا والرِّشوة. ويحـزّ في نفسه ما وَجَد عليـه شباب العرب من ظروف سيئـة، ويلاحظ كثرة المقاهي في الأقطار العربية، وازدحامها بروّادها من الشباب العاطل عن العمل[٨٤].

٥- **آراؤه وطباعـه**: ونعلم من الكتـاب بعض آرائه ومعتقـداتـه في مسـائل دينيـة، وإقباله على العلم، وخدمة أصدقـائه في سبيله، وتعليقات علمية في اللغة والأنساب والجغرافيا لا تخلو من فوائد.

ويدهشنا ما لـه من أفكار متقدمة، وآراء جريئة. وهو إيمـانه بأن يتجه رسم الكلمة العربيـة عند كتـابتها على نحـو ما نقـرأها، ويـدعم رأيه هـذا بما وجده فـي نصوص العلماء المتقدمين من أقـوال تدل على كتابة الكلمـة كما تُقرأ، فالقواعـد الإملائية - هذه - وسيلة لصحة القراءة، وليست غاية[٨٥].

وقد أخـذ يطبق هذا الـرأي في كتابتـه بجرأة واقتـدار. فهو يكتب اسمَيْ ابنتيـه سَلْوَا ومُنَا، وكذالك الاسم يَحْيـا، بألفات ممدودة، مع علمه بالقاعـدة السائدة التي ترسمها بألفـات مقصورة، ولكنـه يـؤثر كتـابتهـا كما ننطقهـا، رفعًـا للخطأ، ودفعًا للبس عنـد

قراءتها. ويشيع هذا التطبيق العملي لقاعدته بهذه الصور الجديدة في أكثر من موضع من كتابه[٨٦]، ولاشك في أنه لو أخذنا بهذه القاعدة على إطلاقها لحللنا كثيرًا من صعوبات الكتابة العربية، وسهّلنا الأمر على أطفالنا وناشئتنا على وجه الخصوص.

والعجيب أننا نجد المؤلف في كتابه - وهو صاحب هذا الرأي الأصيل - حين ينقل نصًّا من نصوص المخطوطات يرسم بعض كلماتها برسمها القديم على نحو ما يجد صورتها الإملائية في النص، ورد مثل هذا في أكثر من موضع من الكتاب مثل كلمة إسماعيل التي يرسمها بدون ألف بعد الميم[٨٧]، والمؤلف سيّد من يعلم أن من أُسس قواعد تحقيق النصوص أن تُكتب الهيئة الإملائية لكلمات النص بصورتها الحديثة على نحو ما نكتب في الوقت الحاضر، ولا تختلف مناهج التحقيق الحديثة، مهما تنوعت، في هذه القاعدة، ولا نجد من يتشدّد بالرسم القديم إلّا حين يكتب الآيات القرآنية، كما لا نجد فائدة تذكر في إبقاء النصّ على رسمه الأول، خاصة لو وضعنا نصب أعيننا التوجّه إلى مطابقة الكتابة باللفظ، آخذين بقول المؤلف إن القواعد الإملائية وسيلة لصحة القراءة وليست غاية.

وله رأي موفَّق في التصوف المنحرف، والذي هو أقرب إلى الخمول منه إلى الحياة، ويهاجم زوايا الذِّكْر. فالمؤلف، بجانب أنه رجل دين وعلم، رجل دنيا وعمل. يؤمن بقوة الأمة في كلِّ زمان حتى تستطيع أن تشق طريقها في حياة مِلْؤُها التقدم بالعلم والعمل، بعيدًا عن الخرافات.

في معرض حديثه عن القرن الحادي عشر الهجري في الوطن العربي، الذي عَمَّهُ الركود الفكري آنذاك، يعيد سبب ذالك إلى شيوع ظاهرة التصوف، التي هي - في رأيه - ظاهرة أقرب إلى الخمول منها إلى الحياة[٨٨]. وفي تضاعيف تعليقاته على النشاط الثقافي في بعض البلدان العربية، ينقد تصوف ابن عربي، لأنه يدعو للخنوع والاستكانة، ويقارنه بشيخ الإسلام ابن تيمية - وهو عدو التصوف المنحرف - الذي كان يدعو للقوة. وينهي تعليقه هذا برأي سديد، بقوله: (وما أحوجنا إلى القوة في كلّ زمان)[٨٩].

ولاشك في أن الشيخ حمدًا متأثر بتوجّه ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨هـ؛ وتلميذه ابن

قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١هـ، في موقفهما الشديد من الصوفية المنحرفين عن جادة الإسلام الصحيح، والبعيد عن منهج القرآن الكريم[٩٠]. وطبيعي أن يحمل المؤلف - وهذا رأيه - على زوايا الذِّكْر مما له صلة بالتصوف، يقول: (وزوايا الذِّكْر أفضل منها المساجد التي أَذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه)[٩١]، ومن هذا القبيل نعرف رأيه في إقامة المساجد على القبور، والبناء عليها وتزويقها وزخرفتها والكتابة عليها، كلها من الأمور المحرَّمة. ويذكر هذا في أكثر من موضع[٩٢].

وكان مُحِبًّا للعلم، والحديث في موضوعاته، وكان ينغمس في حديثه مع العلماء ويستمتع به، وينسيه هذا صخب الحياة في المدن الأوروبية الكبرى. فينعم مع عالمين عربيين التقى بهما بحديث مطوّل في أغوار التاريخ. ويمضي - كما يقول - سويعات سعيدة بهذا الحديث بعيدًا عن مباهج باريس ومفاتن الحياة فيها[٩٣]. وفي تونس يلتقي بالأصدقاء من المشتغلين بالتراث فتنحصر أحاديثه معهم فيه، وفيما يتصل به، ويسترسل استرسالًا يجعله لا يشعر بمرور الوقت حتى ينتصف الليل[٩٤]، وكان بجانب ذالك متواضعًا تواضع العلماء، لا يأنف - وهو العالم - أن يسأل علماء البلاد التي يزورها عن فائدة يفيد منها، أو عن نسخ مخطوطة، أو نسبتها لمؤلفيها[٩٥].

ومن باب حبه للعلم، وحديثه عنه، اهتم بالغ الاهتمام بأصدقائه وتلاميذه من المشتغلين بالتراث، وكان وفيًّا لهم، كريمًا معهم وفي فكره دائمًا أخبارهم العلمية وما يحتاجون إليه من نسخ المخطوطات، وكان في تجواله للبحث عنها يصوِّر ما يحتاجه ذالك الصديق، أو أحد التلاميذ، دون أن يكون قد طلبه منه، ويهديه المصوَّرة دون مقابل، أو كان - على أقل تقدير - يكتب إلى الصديق أو التلميذ بفائدة وجدها، وهو يعلم أنها تهمّه، أو يبعث إليه بخبر عن نسخة عثر عليها، أو ملاحظة يفيد منها[٩٦].

ويذهب كرمه العلمي، ورغبته الجامحة في خدمة العلم إلى أبعد من هذا، فيطلع في مكتبة أيا صوفيا بإستانبول على مخطوطة «العلل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد بن حنبل. وكان الجزء الأول منه قد صدر في أنقرة محققًا عن هذه النسخة الوحيدة. ولاحظ أن صعوبة قراءتها قد أوقع المحققين في كثير من التحريف. ويعلم أن من

هذا الكتاب قطعة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، فيبعث إلى صديقه هناك ليرسل إليه صورتها، ويقوم هو بدوره فيدفعها إلى المحققين ليستعينا بها في تقويم معوج الجزء المطبوع[٩٧].

ونلقى في كتابه تعليقات متناثرة، وخواطر عابرة مبثوثة تأتي مناسبة لمقتضى الحال. وفي هذه التعليقات فوائد لغوية مما يدخل في علوم اللسانيات، منها ما يشير إلى نطق بعض الحروف في الأقطار العربية، ويقارنها بنطقها كما رُصدت في كتب التراث[٩٨]، ومن هذا الباب اللغوي يعجبه استعمال المغاربة لكلمة (الحافلة)، ويقصدون السيارة الكبيرة لنقل المسافرين، ويبادر في استخدامها في كتاباته، يقول في هذا الصدد: (وهو اسم عربي اختير ليحل محل كلمة (أوتوبيس) أو (لُوري) في بعض البلاد العربية. وليت اسم الحافلة يستبدل بذينك الاسمين، فهو أجمل منهما وأسهل نطقًا)[٩٩].

وفي الكتاب فوائد في الأنساب حول آل الطبري وآل ظهيرة، وهم من علماء مكة المعروفين، وفوائد جغرافية حين يذكر سوقًا من أسواق مكة، وحين يسمّي المدن الكبرى بالمغرب الأقصى، وعدد سكانها[١٠٠]. وفوائد اقتصادية تكشف عن أحوال البلاد في هذا الميدان[١٠١].

ويتضح في ثنايا الكتاب ميوله الوطنية وأخلاقه وطباعه ومسلكه مع الناس. كان انتماؤه العربي ظاهرًا، فحين يمرّ به شاب مغربي كان قد تعرّف إليه في باريس، يقول: (مرَّ بنا أخونا العربي المغربي)[١٠٢]، فهو يحرص على ذكر صفة الشاب المغربي العامة، وهي انتسابه إلى العرب، ويتضح انتماؤه هذا أكثر حين يزور الجزائر، فيحزن لتغلغل اللغة الفرنسية فيها[١٠٣]. ويبتهج حين يراها تسير قدمًا نحو عروبتها وإسلامها، وتبعد عن المظهر الفرنسي، متجهة إلى المظهر العربي. وينشد أبياتًا يحفظها للإمام المصلح عبدالحميد بن باديس، يقول فيها[١٠٤]:

شَعْبُ الجـزائر مسلـمٌ ... وإلـى العُـروبَـة يَنْتَسِبْ
مَنْ قـال: حـاد عـنَ اصْلـهِ ... أو قـال ذاب، فقـد كَـذَبْ

أو رامِ إِدْمـــــاجًـــا لـــــه رامَ المُحـــــــــالَ مـــن الطَّلَــبْ

ومن طبـاعه أنه يغلـب عليه الانقباض عـن الناس، والرغبـة في عدم مخـالطتهم. يقـول ذالـك بنفسـه: (يغلب على طبعي الانقبـاض وعـدم الــرغبـة في مخــالطـة الناس)[١٠٥]، ولهذا اتصف أيضًـا بخفة الظلّ، وأبعـد ما يكون عن الثقـلاء. وكان لا يحب أن يثقل في رحلاتـه على أحد من معـارفه، فيخفي اسم الفندق الـذي يقيم فيه ليتجنب إشغالـه أو الاستجابة لإكـرامه في طعام أو غيـره، ولم يكن يستجيب إلَّا عند الضرورة القصوى، أو للتخلص من عتاب[١٠٦].

ومن صفاته اللازمـة له أنه كان فكه الروح، لا يفقـد هذه الروح في أحلك الأوقات وأضيقها. وكـان يبتدع صورًا مضحكة ولـو كانت على نفسه، وكأن طبعه الفكـه يغلبه فلا يضيع الفرصة لقـولها. وتظهر مثل هذه المواقف الساخـرة في أكثر من موضع من كتـابه، وكأنهـا تجيء تخفيفًـا لجديـة الموضـوع الأول فيـه، وتحمل كثيرًا من معـاني شخصيته البسيطة المتواضعة، البعيـدة عن كلّ تعقيد، يقول حين لم يستطع الحصول في لندن بعـد مشقة وطـول عناء إلَّا على غـرفة صغيرة في فنـدق، ذات سريـر صغير: (فـرميت بجسمـي فـوق ذالك السـريــر القصيـر، وتقـرفصتُ فيـــه – مع قِصـري–، فاستغرقت في نوم عميق حتى الساعة السابعة)[١٠٧].

ويستعد لحضـور مؤتمـر المستشرقين في بـاريس، في يومـه الأول، فيرتـدي حلّة جديدة، وكـان حذاؤه قديمًا، كالح اللـون، يبدو كجلد الأجرب، يقـول في هذه الهيئة المتناقضـة: (وكنت من تأثير مـا أحسستُ به من عـدم التناسق في لبـاسي أن صرْتُ أُركز نظري في أحـذية من أُشاهده في الطريـق، لعلّي أرى من يماثلني، وكنتُ أتصوَّر أن كلَّ إنسـان يقـابلني يفعل فعلي، بلغنـا مكـان الاجتمـاع، ولحسن الحظ لم أجـد واحدًا ينظر إلى وجهي فضلًا عن قدمي... كل واحد منهم مشغول بشأنه)[١٠٨].

ويرسمـه رسّام في مطعم ببـاريس، ويهديـه الرسم، فلمـا رأى صورته تـداعى إلى ذهنه قصـة الجاحظ والصـائغ والشيطان[١٠٩]، وفي مـوقف آخر يستحضر فـي ذهنه قصة مشهورة لجحا، وغيرها[١١٠].

٧- **أسلوبه وأدبه**: أما أُسلوبه حين يكتب، فهو أُسلوب أديب، تأتي ألفاظه عفوية،

لا يقصد اختيارها أو انتقاءها، وعباراته سلسلة تأتي من باب السهل الممتنع، وأكثر ما يظهر أسلوبه الأدبي في الوصف المبثوث في تضاعيف الكتاب، ونراه ينمُّ حينئذٍ عن أديب حقًّا. كان يحسن الوصف فيما يرى في رحلاته من مدن ومشاهد، وهو وصف واقعي بعيد عن الوصف الخيالي الممجوج. ويأتي وصفه عامًّا مقتضبًا حينًا، وملمًّا شاملًا أقل اقتضابًا حينًا.

ومن أوصافه العامة شديدة الإيجاز، قوله: (مدينة الإسكوريال من أجمل المدن وأنظفها، فهي واقعة في سفح جبل، وتحيط بها الحدائق، وفيها مطاعم نظيفة، وأخرى شعبية)[١١١]، ومثله وصفه من الطائرة غرب أوروبا وشمالها وصفًا عامًّا بعبارات موجزة، يقول: (تكاد المناظر التي يشاهدها راكب الطائرة.. تكون متشابهة، أراضٍ منبسطة ممتدة امتداد النظر، مكسوة بالنبات، وجبال قليلة الارتفاع، وتلال مستطيلة، وأنهار وبحيرات وأودية)[١١٢].

وأجمل من هذا حين يصف الطريق إلى مطار فرانكفورت في ألمانيا، بشيء من البسط، بقوله: (ومرت الثلاث الساعات كلمح البصر، فقد كان الجو صافيًا، والبصر يمتد إلى نهايته، متنقلًا بين غابات كثيفة بالأشجار الباسقة، وتلال مكسوة بالنباتات المختلفة الألوان، وأودية تزدان بانسياب المياه في أغوارها، وحقول منسقة، وقرى صغيرة وكبيرة منتشرة بمبانيها الجميلة في سفوح التلال وفي أعاليها)[١٠٣].

ولعلّ من أجمل أوصافه للمدن والمشاهد، ما وصف به مدينة مرَّاكش بقليل من التفصيلات، نجتزئ منها بهذا القدر، يقول: (مرَّاكش - خارج المدينة القديمة - فسيحة الأرجاء، كثيرة الميادين والحدائق، واسعة الشوارع التي تزين جوانبها الأشجار الكثيرة، ومنها ما هو مثمر كشجر النارنج، وتكثر (أشجار) النخيل عند مدخلها، ولكنها من النوع الذي لا يثمر. وقلَّ أن يرى المرء بيتًا لا حديقة له، ومع قربها من الجبال فهي شديدة البرودة، وأسواقها رطبة بسبب كثرة الحدائق بداخلها. ومع ذالك فقد شاهدت السَّقَّاء بقربته يرش أرض السوق الكبير في المدينة القديمة)[١٠٤].

وأكثر ما يميز كتاباته كثرة محفوظه من الأشعار والأمثال. ويأبى محفوظه من الشعر إلا أن يبدو للقارئ في كل موقف ومناسبة، كان يركب (الحافلة) إلى مدينة

مراكش، فتثير مشاهد الطريق أشجانه، فيرى المنظر يشابه بلاده لولا خصوبة هذه الأرض، ولكنه يتحسَّر - وهو ابن الصحراء - على صحراء الجزيرة العربية التي أوشكت مظاهر البداوة أن تزول منها، بسبب الجفاف وقلة الأمطار[١٠٥]، وينشد حينئذٍ إطراء أبي العلاء المَعَرِّي البداوة، وهي أبرز مظاهر الصحراء، بقوله:

الموقدون بنجد نارَ باديةٍ لا يحضرون، وفَقْدُ العزِّ في الحضرِ

وينشد كذالك قول أبي الطيب في جمال فتيات الصحراء:

أَفْدِي ظباءَ فلاةٍ ما عَرَفْن بها مَضْغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحواجِيْبِ

٧- **خاتمة**: وهكذا أتينا على هذا الكتاب النفيس عرضًا وتحليلًا. وليس لي عليه إلَّا مأخذان، أو عتابان، الأول ما يصادفه القارئ من أخطاء مطبعية بين الحين والحين. ولعلّ هذا قد جاء من أحد تلاميذ أو مريدي الشيخ الجليل الذي نهد بتصحيح تجارب الطباعة، فقام ببعض واجبه. وهو أمر - على كلّ حال - هيِّن يمكن تداركه في طبعة مقبلة.

أما العتاب الثاني، فهو متعلق بما جاء على غلاف الكتاب من أنه الجزءُ الأول. وبهذا يتضح أنه طال الانتظار للجزء الثاني، الذي نتمنى أن نراه في وقت غير بعيد، شريطة أن يكون أيضًا في رحلاته العلمية لـلانتفاع به على نحو ما انتفعنا بهذا الجزء. وقد كان هدفي من هذا العرض إظهار ما حواه من فوائد لا حصر لها، مع تكريم متواضع للمؤلف لقاء ما قدَّم من جهد كبير في سبيل خدمة التراث العربي.

القاهرة: عصام محمد الشنطي

الحواشي:

(١) «الرحلات»، د. شوقي ضيف، ص ٥ - ٦، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٧م.

(٢) «رحلات حمد الجاسر»، ص ١٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٦) المصدر السابق، ص ٩٣. وانظر ص ٧٨.

(٧) انظر مثلًا المصدر السابق، ص ١٦ وما بعدها.

(٨) المصدر السابق، ص ٣٤٤، وانظر ص ٣٣٦.

(٩) المصدر السابق، ص ٣٢٠.

(١٠) المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(١١) انظر مثلًا المصدر السابق، ص ١٢٤ وما بعدها.

(١٢) المصدر السابق، ص ١٢٥ - ١٢٨.
(١٣) المصدر السابق، ص ١٩.
(١٤) المصدر السابق، ص ٢١٣.
(١٥) المصدر السابق، ص ٣١٣.
(١٦) المصدر السابق، ص ١٦٢. وانظر أيضًا ص ١٦٩، ٣٣٥.
(١٧) المصدر السابق، ص ٢٠٢.
(١٨) المصدر السابق، ص ١٧٨. وانظر أيضًا ص ١٥٤.
(١٩) المصدر السابق، ص ١٧٨.
(٢٠) المصدر السابق، ص ١٥٥.
(٢١) المصدر السابق، ص ١٥٥.
(٢٢) المصدر السابق، ص ١٤١.
(٢٣) المصدر السابق، ص ١٢٩.
(٢٤) المصدر السابق، ص ١٧٥، وانظر أيضًا ص ٢٨٥.
(٢٥) المصدر السابق، ص ١٤١.
(٢٦) المصدر السابق، ص ١٥٩، ١٦٢، ٣٣٤.
(٢٧) المصدر السابق، ص ٢٤٨.
(٢٨) المصدر السابق، ص ٧٨.
(٢٩) المصدر السابق، ص ٢٠.
(٣٠) المصدر السابق، ص ١٨٨، وانظر ص ١٣١.
(٣١) المصدر السابق، ص ١٦١.
(٣٢) المصدر السابق، ص ٧٤، ١٠٣ - ١٠٥.
(٣٣) المصدر السابق، ص ٣١٤.
(٣٤) المصدر السابق، ص ١١٣/ ١١٤.
(٣٥) المصدر السابق، ص ٧٩.
(٣٦) المصدر السابق، ص ١٤٨/ ١٤٩.
(٣٧) المصدر السابق، ص ١٨٨.
(٣٨) المصدر السابق، ص ١٧٣.
(٣٩) المصدر السابق، ص ١٥٢.
(٤٠) المصدر السابق، ص ٨٩. ونص الزياني من كتابه في ص ٢٨٠.
(٤١) المصدر السابق، ص ١٨٨.
(٤٢) المصدر السابق، ص ١٤٦.
(٤٣) المصدر السابق، ص ٢٩٢، انظر ص ١٣٣.
(٤٤) المصدر السابق، ص ٧٩، ٢٢.
(٤٥) المصدر السابق، ص ٢٦٤.
(٤٦) المصدر السابق، ص ١٦٨.
(٤٧) المصدر السابق، ص ٥٨ وما بعدها.
(٤٨) المصدر السابق، ص ٣١٢.
(٤٩) المصدر السابق، ص ٢٣٣.
(٥٠) المصدر السابق، ص ٣٣٤.
(٥١) المصدر السابق، ص ٢٩٣.
(٥٢) المصدر السابق، ص ١٤٨.
(٥٣) المصدر السابق، ص ٣٤٥.
(٥٤) المصدر السابق، ص ٢١١، وانظر ص ٣٨.
(٥٥) المصدر السابق، ص ٢٧٢، ٢٨٤.
(٥٦) المصدر السابق، ص ٢٩٦.
(٥٧) المصدر السابق، ص ٢١١. [«العرب»: انظر عن مؤلفه هذا كتاب «رحالة غربيون في بلادنا» ص ١٠١ - ١٩٢].
(٥٨) المصدر السابق، ص ٢٧٣.
(٥٩) المصدر السابق، ص ٢٨٣. [«العرب»: وانظر عنه كتاب «رحالة غربيون في بلادنا» ص ٣٦٨].
(٦٠) المصدر السابق، ص ٢٧٢.
(٦١) المصدر السابق، ص ٢٨٥.
(٦٢) المصدر السابق، ص ٢٧٥.
(٦٣) «نور القبس المختصر من المقتبس»، للمرزباني - اختصار الحافظ اليغموري - ط. فيسبادن، ١٩٦٤م.
(٦٤) «رحلات حمد الجاسر»، ص ٣١٤ - ٣١٥.
(٦٥) المصدر السابق، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٦٦) المصدر السابق، ص ٣١٠ - ٣١١.
(٦٧) المصدر السابق، ص ٢٢١.
(٦٨) المصدر السابق، ص ٣٢٣.
(٦٩) المصدر السابق، ص ٣٢٥.
(٧٠) المصدر السابق، ص ٢٦٦.
(٧١) المصدر السابق، ص ٣٢٦.
(٧٢) المصدر السابق، ص ٩٨.
(٧٣) المصدر السابق، ص ٩٣.
(٧٤) انظر، على سبيل المثال، ما ذكره من مؤسسات المغرب الأقصى، في «رحلات حمد الجاسر»، ص ٤٤ - ٥١.
(٧٥) «رحلات حمد الجاسر»، ص ٣٣ وما بعدها.
(٧٦) المصدر السابق، ص ٢٥٨.
(٧٧) المصدر السابق، ص ١٣٦.
(٧٨) المصدر السابق، ص ٢٦٠.
(٧٩) المصدر السابق، ص ٢١٦.
(٨٠) المصدر السابق، ص ٢٩٣.
(٨١) المصدر السابق، ص ٣٢٣.
(٨٢) المصدر السابق، ص ٣٢١.
(٨٣) المصدر السابق، ص ٣٢٣.
(٨٤) المصدر السابق، ص ٢١، ٤١، ٢٩٨.
(٨٥) المصدر السابق، ص ٢٣١.
(٨٦) انظر «رحلات»، ص ٢٣١، ٢٧٩، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣٢٣. ويُذكَر أنه بقي على هذا الرأي إلى يومنا هذا، بل وسَّع تطبيقه وأمثلته وشواهده في مجلته الغرّاء «العرب». انظر المجلة، العدد ٣، ط (معًا)، رمضان - شوال ١٤١٦هـ/ شباط - آذار ١٩٩٦م، ص ٢٦٣ وما بعدها.
(٨٧) المصدر السابق، ص ٢٤.
(٨٨) المصدر السابق، ص ٥٣.
(٨٩) المصدر السابق، ص ٥٥.
(٩٠) «مدارج السالكين»، لابن قيِّم الجوزية، ١/ ٧، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
(٩١) «رحلات حمد الجاسر»، ص ٧٥. وعبارته إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة النُّور.
(٩٢) «رحلات»، ص ٩٢، ١١٢، ١٣٥، ١٣٦.
(٩٣) المصدر السابق، ص ٣١٩.
(٩٤) المصدر السابق، ص ١٠٦.
(٩٥) المصدر السابق، ص ٢٤٥.
(٩٦) انظر «رحلات»، ص ٢٦، ٩٥، ٣٣١.
(٩٧) المصدر السابق، ص ١٤٩.
(٩٨) المصدر السابق، ص ٣٠.
(٩٩) المصدر السابق، ص ٨٤.
(١٠٠) المصدر السابق، ص ٩٧، ١٨٦، ١٨٧.
(١٠١) انظر مثلًا «رحلات»، ص ١٢.
(١٠٢) المصدر السابق، ص ٢٩٤.
(١٠٣) المصدر السابق، ص ٣٣ وما بعدها.
(١٠٤) المصدر السابق، ص ٢١.
(١٠٥) المصدر السابق، ص ٢٥١.
(١٠٦) المصدر السابق، ص ٢٩، ٦٦؛ وانظر أيضًا ص ٣٤٤.
(١٠٧) المصدر السابق، ص ٢١٩.
(١٠٨) المصدر السابق، ص ٢٩٦.
(١٠٩) المصدر السابق، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.
(١١٠) المصدر السابق، ص ٣٠٠، ٣٠١؛ وانظر ص ٤٠.
(١١١) المصدر السابق، ص ٣٢٦.
(١١٢) المصدر السابق، ص ٢٧١.
(١١٣) المصدر السابق، ص ٢٥٨.
(١١٤) المصدر السابق، ص ٨٧.
(١١٥) المصدر السابق، ص ٨٦.

جبل الشَّزَم

[ورد في البحث الممتع الذي نشر في «العرب» س ٣٣ ص ٤٢ بقلم الدكتور جين. و. هيك عن التعدين ذكر جبل في منطقة (الوجه) باسم (الشَّيْزم) مع التعليق على هذا الاسم، والإشارة إلى أنَّ مادة (شزم) مهملة في اللغة العربية، وقد استوضحت مجلة «العرب» عن صحة هذا الاسم الأستاذ الأثري العليم بآثار تلك المنطقة، إذ هو من أهلها الدكتور علي بن إبراهيم آل غبان فأفضل - زاده الله فضلًا وتوفيقًا بكتابة هذا التوضيح الوافي].

الشَّزَم، جبل يقع على بعد ٣٥ كيلا إلى الغرب من مدينة العلا، غير بعيد عن مسار طريق النجد الذي يربط بين العُلا والوجه. وأقرب الجبال المشهورة إليه جبل الورد، ويمكن الوصول إليه عبر الطريق الحديث الذي نفذته وزارة الدفاع والطيران للوصول إلى موقع (رادارات جبل الورد) وجبل الشزم قريب من وادي الجِزْل أيضًا، وتفصل بينهما مسافة ١٢ كيلًا تقريبًا، كما أنه يبعد عن مدينة الوجه قرابة ١٥٠ كيلًا على طريق النجد، وهو أيضًا قريب من مسار طريق الحج المصري الداخلي، الذي يربط بين مَدْيَنَ ووادي القُرَى، مرورًا بشَغْبٍ وبَدَا، حيث أنه يقع على يسار المَقْرَح الأبيض الذي يرد في المصادر القديمة باسم البيضاء، وكنت قد ذكرت في رسالتي للدكتوراه (ص ١٩٢) أن منزل البيضاء الذي يرد عند ابن خُرْدَاذَبه وقُدامة بن جعفر كأحد منازل طريق الحج المصري الداخلي، يقع في المكان الذي يسمى اليوم المَقْرَح الأبيض، وهو فضاء واسع تنتشر على سطحه حصباء بيضاء، وبه آثار لطريق الحج، وكتابات كوفية منقوشة على الصخور، يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة، وصحة اسم هذا الجبل (كما ينطقه السكان المقيمون حوله من أفراد قبيلة بلي) الشَّزَم بتشديد الشين المفتوحة وفتح الزاي وليس الشيزم كما يرد في بعض الخرائط. ويذكر سكان المنطقة أن كلمة الشَّزَم في لهجتهم تعنيْ السواد الذي يتكون على القدر، عندما يوضع على النار، وأن الجبل سمي بهذا الاسم لأن صخوره سوداء، مثل شزم القدر، ولتميزه بلونه الأسود في المنطقة المحيطة به. وبهذا الجبل آثار تعدين قديم، تتمثل في: حفر لمناجم قديمة، وبقايا حجرات، وخبث معادن، وأحجار مصهورة، وكسر من جدران المصاهر تلتصق بها قطع الفحم، كما أن فيه ماءًا قليلًا يستخدمه الناس علاجًا للحساسية لاختلاطه بالمعادن.

ولا يرد ذكر جبل الشزم في المصادر القديمة، غير أن هناك ذكر لجبل فيه منجم يقع بين وادي القُرَى والبحر في أرض (بَلِيٍّ) ورد عند الأصفهاني في كتاب «بلاد العرب»، يقول الأصفهاني: (وفوق ذالك السقيا، قرية كثيرة الأشجار والخير، وفوق ذالك الوادي، وادي القُرَى وبه عينان يقال لأحدهما غالب والأخرى زيَّان لهما شأن،

وسوق يقال لـه الصَّعيد. وفوق ذالك العوالـي وهي قرى، وفوقها الحِجْـر، حِجْر ثمود، قرية وسوق، قريـة من منازل ثمود وهـم لا ينزلون منازل، ينزلون نـاحية منها. وعن يسار ذالك فيمـا بينه وبين البحـر جبل يقال لـه شَيْبان ينبت بـه البان والحبـة الخضراء بـه النخيل في مواقع كثيرة، وفيها معادن الصفر والـذهب والفضة، فأما المعادن التي فيها فلكلٍّ وأما ما سوى ذالك فلبليٍّ وسعد الله حَيَّيْنِ من قضاعة (ص ص ٣٩٧ - ٣٩٨).

وأعتقد أن جبل شيبان الذي ذكره الأصفهاني هو جبل الشزم، حيث إن تقرير (وزارة البترول والثـروةالمعدنية) المـرفق يشير إلى أن التكـوينات المعدنيـة بهذا الجبل يغلب عليها النحاس في الداخل، والزنك في الخارج، وأن الذهب والفضة تظهر فيه بكميات بسيطة. وقـد أشار الأصفهـاني إلى وجود معادن الصفـر في جبل شيبان، كمـا أن موقع جبل شيبان حدده الأصفهـاني في المنطقة الواقعة بين وادي القـرى والبحر وهذا ينطبق على موقع جبل الشزم الذي يبدو أنه قد اكتسب اسم الشزم في العصور المتأخرة.

الدكتور: علي بن إبراهيم آل غَبَّان

«العرب»: أما ما ذكـر الدكتور علي عن جبل الشزم وتـوقعه أنه هو ما يعـرف قديمًا باسم جبل شيبان فيحسن توضيح موقع هـذا الجبل لبعض من لم يتبين له إيضاحه من القراء، فقد أوردت في البحث المرفق بكتاب «الجـوهرتين» عن التعدين والمعادن في جزيـرة العرب بعـد إيراد كـلام الأصفهاني، عمـا في جبل شيبان من المعـادن ما يلي: (وورد اسم شيبـان في كتاب نصـر وفي «معجم البلـدان» مصحفًا بـالسين، ومضبوطًـا بهذا الصورة خلاف ماهو معـروف الآن، ويظهر أن الضمير في (فيها معادن) راجع إلى (مواضع) فهي أقرب مذكور إليه، وموقع الجبل - كما في نص كلام الأصفهاني- فيما بين مـدينة العـلا التي سماهـا العوالي وبين البحـر، وهو واقع فيمـا يعرف الآن بـاسم هَضْبِ زُبَالَه، أحـد فروع قبيلة بَليٍّ، وأقرب المـواضع المسكونة إليه هجـرة (أبو رَاكةَ) ويقع في الشمال الغربي من مـدينة العلا بما يقارب خمسةوعشـرين كيلا، ويظهر أن اسم شيبان قديمًـا يشمل كل ما يعرف الآن باسم (هَضْب زُبَالـة) وبقيت إحدى قممه معروفـة بالاسم القـديم (شيبان) وهذا الهَضْبُ جـانب من الحرَّة المعـروفة بـاسم حرة العُوَيْرِض، (بقرب خط الطول ٣٠َ / ٢٧ْ وخط العرض: ٤٠َ / ٥٥ْ) وهناك تكثر آثار التعدين القـديمة في مـواقع أم حَرْب وحَوَاويت، والكُحْل، والكـوت والشائبـة وسُطير والقبة والرُّحي وطفيـة والبني وغيرها، وهذه الأسماء لسـت على ثقة من صحتها ولكنني نقلتها من المصور الجغرافي على علاتها). انتهى.

نوري حمودي القيسي

(١٣٥٠/١٤١٥هـ = ١٩٣٢/١٩٩٥م)

لعل أبرز باحث تصدى لدراسة الشعر العربي القديم في جميع مصادره المتيسرة للبحث، بغية جمعه وتحقيقه، ونشره نشرًا علميًا، هو الدكتور نوري حمودي القيسي، الذي ولد في بغداد سنة ١٣٥٠ (١٩٣٢م) وتخرج من مدارسها الابتدائية والثانوية، ونال شهادة (البكالوريوس) في اللغة العربية من كلية الآداب في جامعة بغداد، ثم التحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة ونال درجة (الماجستير) ثم (الدكتوراه) في اللغة العربية وآدابها، وعُيِّنَ رئيسًا لقسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة بغداد فيما بين سنتي ١٩٧٤ و ١٩٧٥، وعميدًا لكلية الآداب في هذه الجامعة بين سنتي ١٩٧٤ و ١٩٧٨م وعميدًا لمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لـ(المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون) سنة ١٩٨١ لمدة أربع سنوات، ثم تولى عمادة كلية الآداب في بغداد حتى توفي في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٤١٥ (الأول من تشرين الثاني سنة ١٩٩٥م) وهو يَعْمَلُ في مكتبه في عمادة الكلية، وقد انتخب عضوًا في (المجمع العلمي العراقي) وفي (مجمع اللغة العربية الأردني) وفي (المجمع العلمي الهندي)، وأسهم في أعمال المجمع العلمي العراقي، وواظب على الحضور فيه، وعلى تتبع مادة (العامي وردها إلى الفصيح) وتعريب المصطلحات العلمية، وكان ذا نشاط وقوة في الإسهام في الندوات، والمحاضرات وحفلات التكريم، وخاصة مايتصل بالثقافة العربية والفكر العربي بصفة عامة، وله أبحاث ممتعة في «مجلة المجمع العلمي العراقي» وفي غيرها من المجلات، وجُلُّ أبحاثه يتعلق بدراسات عن مشاهير الشعراء المتقدمين، في عصورهم المختلفة، وقد جمع من تلك الأبحاث ذخيرة طيبة، تحوي جل تراجم مشاهير شعراء العرب في العهد الجاهلي ومابعده، حتى العصر العباسي، بحيث يصح القول بأنه لا يُعْرفُ شاعر ذو شهرة إلا وقد تصدى الدكتور نوري - رحمه الله - لدراسة حياته، وجمع شعره، مما لا يتسع المقام، لتفصيله، كما استدرك في أبحاثه على دواوين نشرها، أو

نشرها غيره وعلى ماورد في «معجم شعراء لسان العرب» من أوهام الدكتور ياسين الأيوبي، وله دراسات منوعة عن اللغة، وعن شعر الحرب، وعن أدب الأَدْيِرَة وعن اللِّوَاء والراية، وأبحاث نقدية عامة، وله كتابات منوعة.

ومن مؤلفاته: «شخصيات الأغاني»، وحقق شرح «هاشميات الكميت» لأحمد ابن أبي رياش - اليمامي - و «التذكرة الفخرية» لبهاء الدين الإربلي.

وبالإجمال فإن الدكتور القيسي - رحمه الله - كما وصفه أَحَدُ بارِزِي أدباء العراق في عهدنا الحاضر الأستاذ هلال ناجي في كلمته التأبينية التي ألقيت في ندوة كلية الآداب في الجامعة المستنصرية في بغداد في يوم ٢٥/ ١٢/ ١٤١٥هـ (٢٤/ ٥/ ١٩٩٥م) إذ قال: (جمع الله فيه من صفات العلماء ماتفرق في خَلْقٍ منهم، كالأمانة العلمية، والتواضع، والتثبت، والفطنة، وتحكيم العقل، والبعد عن الهوى).

وقد تناول عدد من أساتيذنا وعلمائنا في بغداد الحديث عن هذا العالم الجليل في تلك الندوة، فتحدث الأستاذ هلال ناجي عن اتصافه بصفات العلماء، والدكتور سامي مكي العاني عميد كلية الآداب عن القيسي مُحَقِّقًا، والدكتور حميد الهيتي: القيسي أديبًا، والدكتور رشيد العبيدي: القيسي شاعرًا، والدكتور داود سلُّوم: القيسي ناقدًا، والدكتور عادل البياتي عن جهود القيسي في الأدب الجاهلي، والدكتور عبداللطيف عبدالحميد عن القيسي إداريًا، والدكتور شاكر عبدالمنعم عن القيسي مؤرخًا، والدكتور عدنان الدُّوري عن القيسي مَجْمعِيًّا، والدكتور عبدالستار الراوي عن فكر القيسي ومنهجه.

وقد أوفى أولئك الأساتذة تلك الجوانب المتعددة من حياة ذالك الأستاذ الجليل بحثًا، ودراسة مبنية على أسس علمية ثابتة، وصدرت هذه الدراسة في كراسة نشرت في بغداد في شهر ايار سنة ١٩٩٦م.

قام الدكتور نوري - رحمه الله - برحلات متعددة إلى مختلف الأقطار العربية، لمصر والشام، والمملكة العربية السعودية واليمن حيث حاضر في جامعة صنعاء عن مكانة الأدب العربي ودوره في المجتمع، والجزائر وباكستان والهند، وعمل فترة في جامعة (أم القرى) وعرفته حينما كان يعمل في هذه الجامعة، وكنت إذ ذاك في بيروت

أصدر مجلة «**العرب**» فكان يبعث إليَّ بعض تحقيقاته حول ما يراه في (مكتبة الحرم المكي) من نوادر المخطوطات مثل بحثه الممتع عن كتاب «العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك» ونسبته للخزرجي، وقد نشر البحث في جزء ذي القعدة ١٣٩٠هـ (س ٥ ص ٤٣٩ و ٥٠٠)، كما كان يبعث بأبحاث منوعة عن نقد بعض المؤلفات عن الشعراء وعن الشعر القديم مثل بحثه عن (المرقش الأكبر وأخباره وشعره) الذي نشر في ذي الحجة ١٣٨٩ (س ٤ ص ٤٨١ و ٨٧١) وعن (شعر الحسين بن مطير) الذي نشر في ذي الحجة ١٣٩١ س ٦ ص ٤٠١) وهو نقد لتحقيق الدكتور محسن غياض لديوان الحسين بن مطير الأسدي، وبحثه عن (رسائل سعيد بن حميد وأشعاره) الذي نشر في صفر سنة ١٣٩٢ (س ٦ ص ٦٣٩) وهو نقد لهذا الكتاب الذي ألفه الأستاذ يونس أحمد السامرائي، ونشر في بغداد، ومقاله عن (شعر يزيد بن الطثرية)، الذي نشر في المحرم سنة ١٣٩٤ (س ٨ ص ٥٧٠) وهو نقد لما جمعه الدكتور حاتم صالح الضامن من شعر يزيد وقد نشر في بغداد، وبحثه عن «ديوان عُمَارة بن عقيل» المنشور في ربيع الأول سنة ١٣٩٤ (س ٨ ص ٧٧٣) وهو نقد لما جمعه الأستاذ شاكر العاشور من شعر عُمَارة بن عقيل. وأعادت «**العرب**» نشر بحثه الممتع عن (عبدالله بن همَّام السلولي حياته وماتبقى من شعره) الذي نشرته مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٣٧ - ربيع الأول ١٤٠٧ - أعادت نشره «**العرب**» في جزء رمضان ١٤٠٨ (٢٣ ص ١٥٠) وكان آخر أبحاثه التي نشرت له في «**العرب**» بحثه القيم عن (عبدالله بن العجلان النهدي وماتبقى من شعره) الذي نشر في جزء رجب ١٤٠٩ (س ٢٤ ص ١).

ولم تنقطع الصلة به فكثيرًا ماكنت أرجع إليه عند الأشتباه في ترجمة شاعر، أو نسبة شعر إليه، فكان لي خير العون، حتى فوجئت بكتاب من الصديق الدكتور حاتم صالح الضامن بتاريخ ٢٤ رجب ١٤١٥هـ - ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٤م. جاء فيه: (إن الأخ الدكتور نوري - رحمه الله - قد انتقل إلى جوار ربه في ٢٧/ ٥/ ١٤١٥هـ (١/ ١١/ ١٩٩٤م) فكانت صدمة لي، في وقت كنت أعرف عنه أنه على درجة من الصحة والنشاط، ومواصلة الدراسة والبحث والتأليف. فقد كانت وفاته فجأة، إثْرَ نَوْبَةٍ قلبيَّة، فتضاعف الحُزْن، ولكن تلك حالة الحياة، وسنة الله في خلقه،،

حمد الجاسر

مراجعات في كتب التراث

- ٣ -

* «الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية»:

لنجم الدين الطوفيّ. تحقيق: د. محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى الرياض ١٤١٧هـ.

بذل المحقق الفاضل جهدًا كبيرًا في إخراج الكتاب في حلة قشيبة، وقدّم بين يديه دراسة مطولة عن المؤلف والكتاب، تجاوزت مئتي صفحة، وختمه بفهارس وافية.

أ- ملحوظتان على أسلوب المحقق في الدراسة:

- قال في ص ١٨٢: (لم أعثر خلال صحبتي للطوفي وكتابه هذا على أية إشارة). وفي استعمال (أيّ) هنا، نظر، إذ المقصود بها الشمول (وهي لم ترد في الفصحى لهذا المعنى)، وعلى افتراض صحتها، يبقى مجال للقول في إلحاق التاء بها. وانظر للتوسع في ذلك ما كتبه عبدالفتاح السيد سليم في مجلة «عالم الكتب» (المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، المحرم وصفر ١٤١٨هـ ص ٣٢٥).

- في ص ١٩٨، و ٢٠٠، و ٢٠١ قال: (قمتُ بما يلي:

أ- بالنسبة للشواهد: خدمت كل مجموعة...

ب- بالنسبة للآراء والمسائل النحوية...

ج- بالنسبة للأعلام..) واستخدام (بالنسبة) هنا غير صحيح كما أرى، إذ لا معنى لها في الحقيقة، وأظنها دخلت في أساليب الكتاب عن طريق المترجمين الضعفاء.

إنه يصح أن تقول: (خالد طويل، ولكنه بالنسبة إلى محمد قصير) وما أشبه هذا، أما الاستخدام الشائع كما ورد عند المحقق فأقل أحواله أنه موضع نظر، وكان يمكنه أن يقول: (قمت بما يلي: أ- الشواهد: خدمت كل مجموعة..) أو: (أما الشواهد فقد فعلت كذا..).

ب- خدمة النص المحقَّق:

- يَرْجع المحقِّق إلى «المعجم الوسيط» في شرح بعض الغريب، مع أنه اتخذ «لسان العرب» و «القاموس المحيط» ومعاجم أخرى مصادر له.

والرجوع إلى معجم حديث مع وجود المعاجم القديمة مما لا أراه سائغًا في تحقيق التراث.

١- ورد في الكتاب عدة نصوص، علّق عليها المحقق بقوله: (إنه لم يقف عليها، وقد تسنّى لي تخريجها، فمن ذالك:

- في ص ٣١٤ نص ينتهي بقوله: (... وأما الحسن البصري فعربي مُحكّك) وهو في «البيان والتَّبيين» ١ - ٢٠٥.

- في ص ٣١٥: (إذا مُدح رجل بالفصاحة يقال: أفصح الناس إلا الحسن) وفي «البيان والتبيين» ١ - ٣٥٤ - نص يخدم هذا النص، على اختلاف كبير بينهما.

- في ص ٣١٦: قصة الحجاج مع بعض أصحاب ابن الأشعث. وهي في «البيان والتبيين» أيضًا ١ - ٢٥٩.

- في الصفحة نفسها: نص فيه ذكر خطبة قصيرة ليزيد بن أبي سفيان وتعليق لعمرو بن العاص عليها. وهي في «عيون الأخبار» ٢ - ٢٥٦.

٢- ففي ص ٣١٩ ضُبطت كلمة (الدُّرَّة) وهي آلة من آلات الضرب بضم الدال، والصواب كسرها (انظر: «اللسان» درر).

٣- في ص ٣٢٣ ورد ما يلي: (قال أبو عمرو الشيباني: لا أقول (حَلَقة) إلا في جمع حالق) وعلّق الطوفي: (قلت: وهذا هو القياس... حَلْقة القوم... بسكون اللام).

أقول: ينبغي أن يستدرك على هذا في الحاشية ما يلي: (جاء في «البيان والتبيين» ٣ - ٨: قول الشاعر:

حلفتُ بالمِلْح والرماد وبالنـ ... ـار وبالله نُسْلم الحَلَقَهْ

حتى يظل الجواد مُنْعَفِرًا ... ويخضبَ النَّبْلُ غُرّةَ الحدقَهْ

ولا تستقيم قافية الأول ووزنه إلا بتحريك اللام، وقد أنشدهما في «اللسان»: (حلق) شاهدًا على تحريكها.

٤- في ص ٦١٠ استخدم المؤلف المصدر (شياع) من (شاع) وهذا مُهِمٌّ في دراسة لغة المؤلف.

* «مهاة الكِلَّتَيْن وذات الحُلَّتَيْن»:

لبهاء الدين بن النحّاس، تحقيق د. تركي بن سهو العتيبي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

بذل المحقق الكريم في خدمة هذا الكتاب والكتاب اللاحق «هُدى مهاة الكلتين..» جهدًا مشكورًا، يُطلب مثله ممن يَتَصدَّى لتحقيق كتب التراث، وما أذكره من ملحوظات على هذا الكتاب وغيره إنما هو من باب التعاون على البّر، ومن حق كل محقق مجتهد أن يُعان بذكر الملحوظات كي يتلافاها إن عنّ له إعادة النشر.

أ- **الدراسة**: خصّ المحقق بهاءَ الدين بن النحاس بدراسة وافية في فصل كامل، أفاد فيها وأجاد، غير أنه أعادها برمّتها في تقديمه للكتاب اللاحق: «هدى مهاة الكلّتين...»، وكان يكفيه أن يُحيل القارئَ لذالك الكتاب إلى ما فصّله في الكتاب الأول

- في ص ٢٦ من هذا الكتاب و ص ٣٩ من الكتاب اللاحق قال: (أمضى الشيخ البهاء - رحمه الله تعالى - حياته عزبًا ولم يتزوج). إن جملة (لم يتزوج) بعد قوله (عزبًا) لا داعي لها.

- في ص ٣٠ هنا و ص ٤٥ هناك أورد قول ابن النحاس:

قلْتُ لَمَّا شَرَّطُوهُ وجرى ... دمُهُ القانِي على الخدِّ البَقَقْ

(البقق) كذا بالباء، وهو تطبيع، صوابه: (اليقق) بالياء المثنّاة التحتيّة، كما هو في المصدر الذي نقل عنه.

ب- **خدمة النص المحقّق**:

- في ص ١١٧: جاء قوله: (في شرح بيت الأديب محاسن) والصواب (أبي المحاسن).

- في ص ١٢٦: الحاشية رقم (٥) قال المحقق: (وبين البيتين إقواء) أقول: المتّبع أن يقال عن البيت المختلفة حركة رويّه: (في البيت إقواء).

- في ص ١٤٧ : قال الشاعر:

كـــــالطّحـن إذا ذَرَتْ ذرا لـم يُطحَـن

ووزنه مختل، والصواب:

كـــــــالطحــن أو أذْرتْ ذرا...

(«اللسان» - ذرا)

- في ص ١٥١ الحـاشية رقـم (٥) عرّف المحقق بـ (بيشـة)ولكنه نقـل ما ذكـره يـاقوت فقـال: (من عمل مكة ممـا يلي اليمن، من مكة على خمس مـراحل... وهي خير ديار بني سلول).

ومثل هـذا ما قالـه عن (طميّة) في ص ٢٠٢ حيث نقـل قول ياقـوت: (جبل لبني فزارة من نواحي نجد).

أقول: إن تعريف المواضـع والبلدان بالاعتماد على ما قاله القـدماء فقط، غير ذي جَدْوى، إن تعـريف (بيشة) بأنهـا مَن عمل مكة، وأنهـا على خمس مراحـل منها، لا يفيد القارئ في عصرنا هذا ، بل هو إلى تجهيله بها أقرب.

وهذه الملحوظـة لا تخص هذا الكتاب الذي بين يديَّ، بل هي شـائعة في أعمال أغلب المحققين، ولو أن كل محقق اجتهـد في تتبّع هذه المـواضع من خلال الكتب المعاصرة التي عُنِيَتْ بها، مثل كتب الشيخ حمـد الجاسر والشيخ عبدالله بن خميس وسـائر المـؤلفين الـذين شـاركـوا فـي إخـراج «المعجم الجغـرافي للبـلاد العـربيـة السعودية» لخرج من ذالك بتعريفات دقيقة محدّدة توافق ما هي عليه في هذا العصر.

- في ص ١٥٣ ورد قول الشاعر:

وَهُـــوَ شـــاحٍ كـأن لحيَيْــه جِنــوا قَتَـــــــــــــــــــــبٍ...

ولكي يستقيم الوزن لابد من إسكان الهاء (وَهْوَ)

- في ص ١٥٧ : قال الراجز:

فَهُــــنّ يَعْلِكْـــنَ حَـــدَائدَاتِهـــا

جُنح الظــــلَام نحْـــرًا أرِيَّــــاتهـــا

وفي الثاني خلل، كأنه صوابه:

... نحـــــــو آرِيَّـــــاتهـــــــا

يؤيد ذلك الرواية التي أشار إليها المحقق:

نحـــــو ألـــــويـــــاتهـــــا

- في ص ١٦٢ جاء قـول المؤلف: (في وقف القاضي الفـاضل)، فقال المحقق: (لعله القـاضي الآتي ذكره) يشير إلى تصـريح المؤلف في الصفحـة اللاحقة بـاسمه وهو: (أبو علي عبدالرحيم البيسـاني). أقول: قول المحقق (لعله) تحفّظ لا داعي له، فالمشهور أن إطلاق وصف (القاضي الفاضل) ينصرف إلى عبدالرحيم البيساني.

- في ص ١٦٥: قال الشاعر:

نطفـــــةٌ خُلِقـتُ يـــــوم بُـــسـريـتُ

والصواب من اللسان (ربا):

نطفـــــــــةً مــــــــــا خُلِقـتُ...

- في ص ١٦٦: قال المـؤلف: (إلا أنهم كلهم رووا في مصدره (رُبِيًّا) بـالياء، فإن كان أصله الياء فيمن كسر الياء فظاهر).

وكأن الصواب: (فيمن كسر الباء).

- في ص ١٦٩: قال الناظم:

وسأَوْتُ ثـــوبي سَـأَيْتُ مـــددتـــه...

والصواب كما ورد في ص ٤٠: وسأوتُ ثوبي قُلْ: سأيت...

- في ص ١٧٠ قال الشاعر.

وودّع للبيـنِ الخليـطِ المـــــــــزايـلُ

والصواب: (الخليطُ) بالرفع، وفي الحـاشية أشار المحقق إلى رواية أخرى: (وربّ للبن الحبيب) كذا وفيه تصحيف لا ريب.

- في ص ٢١٣: جاء قول الشاعر:

رأيتُ لســـــان المــــرء رائِدَ عقلـــــه   وعنـــوانَــه فــانظـــر بمـــاذا تعنـــون

ولم يهتد المحقق إلى قائله، وقال: (لم أقف على سابق له أو لاحق).

أقول: هو لعلي بن بَسّام، ويتلوه أربعة أبيات.

(انظر: «ربيع الأبرار» ٣ - ٢٦٥ بتحقيق النعيمي).

- في ص ٢٣٦: قال المؤلف: (ويظُفُّه بالظـاء المعجمة، ويكنسحه ويدبره... إذا أتاه في أثره).

أما (يظُفّه) فلعل صواب الضبط: (يَظِفُه)، ففي اللسان (وَظَفَ): (جاء يَظِفُه أي يتبعه).

أمـا (يكنسحه) فأغلب الظن أنهـا مصحفة أو محـرّفة، أمـا كون (الكنسح هـو أصل الشيء ومعدنه) كما نقل المحقق عن «اللسان»، فهو غير مرادٍ هنا، والسياق هو الحكم.

- في ص ٢٥٤: قال الراجز:

لــــــو عَــــــرضَــتْ لأَيْبُليّ قسِّ   أشعـث هيكلـــــــه منــــــــدسِّ

والصواب من «اللسان»: (قسس):

أشـــــــــعث في هيكلـــــــــــه..

* «هُدىٰ مهاة الكِلّتَيْن وجلا ذات الحُلّتَيْن»:

لبهاء الدين بن النحّاس، تحقيق د. تركي بن سهو العتيبي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

- في ص ٢٣: أورد المحقق شعرًا لشهاب الدين الشّوّاء، منه قوله:

تَبيّنَتْ لمــــــة الــــدجى حيـن شبّتْ   فـــاهتـــدى طـــارق وضـلّ مُحِبّ

وفي أوله كسر، ولعل الصواب (بيّنَتْ).

- في ص ٧٧: قال الناظم:

وكنـــوتُ أحمــــدَ كُنْيَـــةً وكُنْيَتُـــهُ

والصواب: (وكَنَيْتُهُ)

- في ص ٩١: قال الراجز:

مـن الخـــــــلا ومـن الخـــــــوِيِّ

وليستقيم الوزن لابد من المد: (من الخلاءِ..).

- في ص ٩٥: جـاء في المتـن: (قـالت امـرأة من العـرب: رَثَـأْتُ زوجي بأبيـات وهمزتْ، وأصله غير مهموز).

ولم يُراعِ الطابع علامات الترقيم، ولـو راعاها لكتب النص هكذا: (قالت امرأة من العرب: (رثأتُ زوجي بأبيات). وهَمَزَتْ وأصله غير مهموز).

- في ص ١٣١: قال الراجز:

احثي علـى ديسم مـن جعْل الثـــرى   أَبَى قضَـــاءُ اللهِ إلَّا مـــا تـــرى

ويظهـر لي أن (جعل) محـرفـة عـن (جعـد)، فقـد وردت هكـذا في «التعـازي» للمدائني، وهي في «التعـازي» للمبرّد: (من برْد الثرى) وكذا فـي «اللسان» (دسم) أما «الفاضل» للوشَّاء ففيه: (من حصد الثرى).

- في ص ١٦٤ قال الشاعر:

فــــاحتلْ لنفسك قبـل أَتْي العسكـــــر

وعلق المحقق بقوله: (رَجَزٌ لم ينسب) أقول: الشطر من الكامل لا من الرجز.

- وفي ص ١٢٥ جعل المحقق قول الشاعر:

وتـــرى المكّـــــاءَ فيـــه غَـــرِدًا   لِثِـقَ الــــريـش إذا زفّ زقـــــا

جعله من الرجز، والصواب أنه من الرمَل.

* **«جمع الجواهر في الملح والنوادر»:**

لأبي إسحاق الحصريّ تحقيق: علي محمد البجـاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ:

- في ص ٧٧: قال: (ودخل أبو الحارث حمير). كذا رسمه في ص ٧٨ و ص ٢١٥.

والصواب (جُمّيْن) أو (جُمّيْز)، والفيروزآبادي يختار الثانية، قال: (وأبو الحارث جُمَّيْن كقُبَّيْطٍ المديني، ضبطه المحدّثون بالنون، والصواب بالزاي المعجمة، أنشد أبو بكر بن مُقْسم:

إن أبا الحارث جُمَّيْزا ... قد أُوْتِيَ الحكمةَ والمْيَزْا)

«القاموس المحيط» (الجمان)، وضبط بالجيم والنون في «العقد» (٧ - ١٧٣).

- في ص ١١٨ قال الجماز:

تركتَ المسجد الجامع ... والتَّرك له ريبَةْ
فلا نَافِلَةً تأتي ... ولا تشهد مكتوبة
فإن زدت من الغيب ... زدناك من الغِيْبَةْ

ولعل الصواب في صدر البيت الثالث:

فإن زدتَ من الغَيْبَة

- في ص ٢١٥: قال:

خليليّ دَاوَيْتُمَا ظاهرًا ... فمن ذا يداوي باطنَا

والصواب: فمن ذا يداوي جَوًى باطِنا

- في ص ٣٤٦: وردت قصة لبشار مع مروان بن أبي حفصة، فيها أن بشارًا أنشد مروان قصيدة له، فلما بلغ قوله:

وإذا قلتُ لها جودي لنا ... خرجت بالصمت من (لا) و (نعمْ)

فقال مروان: جعلني الله فداك. هلا قلتَ: خَرِسَتْ، قال بشار: (فضّ الله فاك، إني إذًا لفي عقلك. أَتَطَنَّزُ عليّ من أن أجيب بالخرس!).

أقول: هذه الجملة الأخيرة غير مستقيمة، ويظهر لي أنها مصحفة، وصوابها: (أتَطَيَّرُ على من أُحِبُّ بالخرس!).

والله أعلم.

الرياض: عبدالله بن سليم الرشيد

الأمير الزاهد طلال الرشيد

هو الأميـر العالم طـلال بن نايف بن طـلال بن عبدالله بن علي بـن رشيد، من آل طلال، من آل عبـدالله، من آل رشيد حكام الجبلين [حـايل] سابقًـا من آل جعفر، من عَبْدة، من شمّر[١].

ولد في حايل سنة ١٢٩٠هـ، وقُتِل والـده خطأ في عرضة بحائل سنة ١٢٩٨هـ[٢] فنشأ في كفالـة عمه الأمير محمد العبـدالله الرشيد[٣]، وقرأ القرآن وحفظـه وأتقنه على الشيخ يعقوب المحمد[٤].

وأخذ العلم عن عددٍ من علماء حائل والطارئين عليها ومن أشهر مشايخه:

■ الشيخ صالح السالم والشيخ عبدالله البليهد والشيخ عبدالعـزيز المرشدي ولزمه طول حياته[٥].

وجـد واجتهد حتى أدرك جـانبًـا من العلوم، وبـرز في علمي الفـرائض والعربيـة، واشتهر بالعفة والورع والتقوى والصلاح.

قال الشيخ علي بن محمد الهندي[٦]: كان في قلبه وازع ديني فترك زخارف الملك وزينته، ولم يرض إذا مشى أن يتبعـه أحد، وكان يتلو القرآن في جلوسـه وممشاه، وكان كثيـر الخشوع والبكـاء، وكان لـرأسه ظفـائر فحلقها، وطـرح عن رأسه عقـال القصب الذي كـان يلبسه عـادة الأمراء، وكـان موصوفًـا بالعفـة والديـانة، والإعـراض عن زهرة الحياة الـدنيا، وكان يحب الغـرباء ويأنس بهم، ويحب التخشن في لباسـه ومطعمه، وكانت له زوجة صالحة كانت نعم العـون له على طاعة ربه هي دُوْشة الحمود[٧]. قتل وهو صائم عام ١٣٢٤هـ بالأُحَيْمِر جبل معروف بحائل. انتهى.

وذكر ابن بسام في «تحفة المشتاق» في حوادث سنة ١٣٢٤هـ: أن مقتله كان في اليوم الثالث عشـر من شهر ذي القعـدة من تلك السنة وذكره الشيخ ابن عبيـد في اليوم الـواحد والعشرين من ذي القعدة[٨]. وذكره مقبل الذكير في اليوم العشرين من ذي القعدة[٩].

ومازال قبره معروفًا في الأحيمر. وهو جبل قبلـة حائل إلى الشرق بمسافةٍ تقرب من عشرين كيلًا[١٠].

وله ابنـان[١١]: – عبدالله: قتل – رحمـه الله – في اليوم الثاني عشـر من رجب سنة ١٣٣٨هـ على ما ذكر الشيخ علي الصالح في [تاريخه].

– ومحمد: آخـر أمراء آل رشيـد في حـائل. وله ذريـة معروفـة، قال حمـود العبيد الرشيد من قصيدة طويلة وذكر المترجم له[١٢]:

وطـلالْ يَلْجِـي لي وأنـا لُـهْ تِـسلَاجَيْتْ   عـزَّ الله انُّـه من ضَنـايِنْ حـلالي[١٣]

ويلاحظ أن طلال النـايف الرشيد اختلط في ذهن الشيخ محمـد العثمان الصالح القاضي بالأمير طـلال العبدالله الرشيد المتوفى سنة ١٢٨٣هـ، فقال في الكلام على الأمير طلال العبـدالله ما نصه[١٤]: وكان من طلبه العلم المحصلين فيـه، توالت عليه الهموم فلم يتمالك نفسه بالصبر، بل ضاق ذرعًا في الحياة وانتحر سنة ١٢٨٣هـ وفي بعض المراجع ١٢٨٥هـ ترجم لـه الشيخ علي الهندي في «زهـر الخمائل». انتهى. والله – سبحانه – أعلم.

الرياض: أحمد الفهد العريفي

الحواشي:

(١) انظر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»: القسم الأول: [آل رشيد].

(٢) انظر: "HAIL OASIS CITY OF SAUDI ARABIA": 410.

(٣) ذكر الشيخ الهنـدي في كتاب «زهر الخمائل في تـراجم علماء حائل» في تـرجمته أنه نشأ في كفالـة عميه متعب العبدالله ومحمد العبدالله. ومعروف أن الأمير متعب العبـدالله قتل سنة ١٢٨٥هـ على ما ذكر ابن عيسى وابن بسام وغيرهما. أي قبل ولادة المترجم له بخمس سنوات.

(٤) انظر ترجمته في كتاب «روضة الناظرين» للقاضي.

(٥) انظر تراجم هاؤلاء العلماء في كتاب «علماء نجد» للبسام.

(٦) «زهر الخمائل»: ١١ – ١٢.

(٧) دوشة بنت حمود العبيد الرشيد.

(٨) «تذكرة أولي النهى والعرفان»: الجزء الثاني: ٧١ – ٧٢.

(٩) «مطالع السعود»: ١٦٧.

(١٠) «المعجم الجغرافي»: [شمال المملكة]: القسم الأول: رسم [الأخيمر].

(١١) وانظر «نبذة تاريخية عن نجد» لضاري الرشيد: ١١٦.

(١٢) مخطوطة ابن سالم: ٢٤٧ – ٢٤٨.

(١٣) الضَّنُّ – في اللغة –: الشيء النفيس المضنون به كما في [لسان العرب].

(١٤) «منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب»: ٦٦.

«حضرموت: بلادها وسكانها»

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف

(١٣٠٠/ ١٣٧٥هـ)

(٤١)

روغة: هي قريـة صغيرة من وراء الجرب إلـى شرق، قال في «شمس الظهيـرة» عند ذكـر السيـد عقيل بن محمـد بن أحمـد بن محمـد جمـل الليل بن حسن المعلم هـو السخي العـالم المشهـور، صاحـب مسجد روغـة، المتـوفى بهـا، المقبور بتـريم سنـة ١٠٠٩، عقبه بـروغة، منهم العلامـة الفاضل محمد البـاقر بن عمر بن عقيل المـذكور، توفي سنة ١٠٨٩، وجاء في ترجمـة الإمام الجليل محمد جمال الليل بن حسن المعلم أن لـه مسجدًا بـروغـة، وهـو الذي يبعـد عنهـا في شرقيهـا قليـلًا، وهـو من المساجـد المشهورة بإجابـة الدعاء، ومن أهل روغة السيد الفاضل الصـالح الكبير علوي بن علي الهنـدوان، له عبـادة واردة وأذكار، للنـاس فيـه اعتقاد وهـو واسع الفناء، رحب الفضـاء جميل الطبائع، كريم الصنـايع، ثمال الأيتام، ومجمع الكرام، له بـروغة مسجد جميل، وله بوالـدي اتصال أكيد، وإخاء صـادق، وكان كثير الدعاء لـي، جم الاعتناء بي، وكان يبشـر والـدي بمستقبل جميل لي، بشـائر عظيمـة، وهو مـن أهل الفراسـة الصـادقـة، والأنظار الصائبة، فأرجو أن يحقق الله ذالك، توفي بتريـم سنة ١٣٣٥، ومن وراء روغة:

مشطـة وكودة آل عـوض: أمـا مشطة ففيهـا جماعـة من ذريـة السيد أبي بكـر بن عيدروس بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سـالم، قال في «شمس الظهيرة»: ومنهم الآن عبدالله بن أبي بكر، شـريف فاضل عابد انتهى. ومنهم السيـد سالم بن حفيظ بن عبدالله بن أبي بكـر، عالم فاضل، لـه اعتناء بتحصيل الفوائد، واقتنـاص الشوارد، من فضلـه عليَّ أنه جمع من رسـائل والدي المفيـدة مـا دخل في ثلاثـة مجلدات، وهـو الذي جمع فتاوى الشيخ أبـي بكر بن أحمد الخطيب، كما سبق عند ذكـره في تريم، وقـد تمنيت أن لو ذكـره شيخنا العـلامة المشهـور في «شمس الظهيرة» لأنـه عرضـة ذالك، وله بـه اختصاص كثير، وقد صهـر إليه على بنت ابنه، غيـر أن الأستاذ لا يحب المحـابـاة، وكأنـه ظن في ذكـره شيئًـا من الهـراء التي ينكـرهـا طبعـه، فتحـامـاه مع

الاستحقاق، ولـو ذكره لكان ثـاني اثنين على قيد الحياة ممن جـاء ذكرهم في «شمس الظهيرة» أحـدهـم السيد أحمد بن حسن الكـاف، السابق ذكره في الهجـرين، والسيد سالم بن حفيظ هـذا، أحد من صادق علـى جواب الشيخ عمر بن عثمـان بن محمد باعثمان الذي كتبه سنة ١٣٢٠ في صالح السلطان عمر بن عوض القعيطي ضد أبناء أخيه، وله ولد نبيه ذكي داعٍ إلى الله، اسمه محمـد بن سالم، طُلِبَ للقضاء فرغب عنه، وقبل أن يكون مساعدًا للقاضي، خارجًا عن التبعة.

وأما كودة آل عوض: فلآل عوض بن عبدالله بن مرساف، وفيها كانت أكبر حوادث المسنـدة، حسبمـا فصل بـالأصل، ومن سكانهـا الشيخ سعـد بن أحمـد بن عبـدالله الصبان بـاغريب، له ريـاضـات وعلم بأسرار الأسمـاء والحروف والأوفاق، تـوفي سنة ١٣١٩، وفي سباخ مشطة قريبًا من مسجد السيد محمد بن حسن جمل الليل، الواقع ببوادي روغـة، اعتزل السيـد أبو بكـر بن عبدالله بن محمـد بن عبدالله بن أبي بكـر بن علي بن عمر بن حسن ابن الشيخ علي بن أبي بكر، وكـان من كبار العلويين، زهد في الـدنيا وأهلهـا، وانجمع عن الناس في ذالـك المكان، وكـان يصلي الجمعة بتـريم، يطلع إليهـا مـاشيًـا وقد جـاوز السبعين سنـة، ولـه خط حسن كتب بيـده جملـةً من الكتب، وطـريقته شـاذليـة، ويحفظ كتب ابن عطـاء، توفي سنـة ١٢٣١ ودفن بتـريم انتهى من «النور المزهر شرح قصيدة مدهر» للسيد أحمد الجنيد.

ومن وراء مشطـة والكودة قـوز آل مـرساف، ثم بـاعطيـر، وهي قـرية لا بأس بهـا، يخاف سكـانها من المـوت، يغضبون من ذكـره، ومتى أراد الذاهبون إلـى نبي الله هود إغضـابهم حملوا رداءً على هيئـة الجنازة، فيكـادون يقاتلـون، ومن وراء باعطيـر أنف الجبل المسمى بالسويحلي، ومن خلفه عينات، وأمـا عن يسار الذاهب من تريم إلى المشرق فأول ما يكون:

دمُّون: وهي مساكن آل سلمة، وهي قبيلة كانـت خشنة من آل تميم، ولها ذكر كثير في الحروب الواقعـة بين آل كثير ويافع وآل تميم في المسندة وغيـرها، وكان في وادي دمـون عيون جـارية تسقي كثيـرًا من المـزارع والنخيل والبساتين، فشملهـا ماكـان من تعدي معن بن زائدة بسكـرها، وكان الشيـخ عبدالكبير بـاحميد يتعبد في هـذا الوادي

وانبط الله له عينًا تجري على الأرض باقية إلى اليوم، إلّا أنها لا تصل إلى المزارع، ولا إلى قريب منها، وإنما ينتفع بالشرب منها المنتجعون إذا أجدبت نجودهم، وتسقي نخيلات بقربها، وماؤها وشل يتقاطر من شقي حجرة واحدة يخرج أحدهما حارًّا والآخر باردًا مع أنه جاء في حوادث سنة ٦١٣ من «تاريخ شنبل» أن عبدالعظيم باحميد أنبط غيل دمون وزرع عليه، وقد ذكر سيدي أحمد بن حسن الحداد بفوائده في دمون هذه ما قيل في دمون الهجرين، فإما أن يكون انتقال فكر، وإما أن يكون السبب في التسمية واحد، وفي جنوبها إلى شرقها الفجير، وهو بيوت قليلة، حواليها مزارع ومغارس نخيل، والسبير وهو مصيف القطب الحداد، وبه وجوده، وكان العيدروس الأكبر ينتابه بل قيل إنه موضع وجوده أيضًا ثم حصن دكين وهو ثغر دمون، وقد سبق ذكره في أخبار آل غرامة، ورأيت في بعض المذكرات أن عبدالله عوض غرامة هجم على هذا الحصن في سنة ١٢٢٤ وأخذه من عمه سالم، ثم:

الغويضة: لآل باشعيب، وعن خط الشيخ رضوان بن أحمد بارضوان عن خط الشيخ أبي بكر بن عبدالله باشعيب أنه لما ذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله شعيب قال: هو من آل شعيب شبام، منهم الشيخ أبو بكر بن شعيب صاحب التصنيف المشهور في الفقه، وحب هاؤلاء - اعني الساكنين بأسفل حضرموت - هو الشيخ محمد ابن علي بن سعيد شعيب الخطيب، كان بتريم من ناس مشهورين بآل شعيب الخطيب، ومنهم بنو عقيل بالريدة، كان منهم ناس على حال طيب ومنهم الآن ناس بزي البادية، ومنهم بنو عيسى وبنو علي بظفار، كانوا بيت علم وصلاح، ومنهم قضاة ومنهم طائفة بعُمَان يحملون السلاح مع السلطان ابن سيف وسمعت بعض المعمرين من آل شعيب شبام يذكر أن أصلهم من أرض الجوف. انتهى. وقد سبق أول هذا في شبام وسيعاد هذا برمته في الواسطة، ولو أنا اكتفينا بالإحالة لكان أخصر، ولكن قُدِّرَ فكان.

ومن وراء الغويضة حصن بلغيث، ثم الجحيل فيه نخل كثير وإليه الإشارة بقول شيخنا ابن شهاب فيما يعرضه على معشوقه ليرضي بوصاله.

وحيلة في الحجيل البرك في مغرس وبه يظل آل تريم، مرجعهم من زيارة هود، ثم

لا يدخلون إلَّا بالعشي في زفٍ عظيم، ثم الفرط ثم وادي جرمان.

قاصر: قريـة آل عبدالشيخ، وهم قبيلة كريمـة من آل تميم، ولكن جرت بينهم في الأخيـر دويهية تَصْفَرُّ منها الأنـامل، وذالك أن ناصـر بن سالـم أحـد آل سلمة أخـذ حملين من الحطب لآل الكاف، في أيـام فتنة بين آل سلمة وآل تريم، وكـان الجمَّال يحمل سكينًـا من سالم بن عبـود بصفة الخفارة، فلـم يبال بها نـاصر بن سـالـم، فلم يكن من آل عبـدالشيخ إلَّا أن صعـدوا الجبـل الـذي يطل على آل سلمـة، وأصبحـوا يطلقـون عليهم الـرصـاص حتى حجـز بينهـم آل تميم على شـرط أن يـردوا الحطب ويدفعـوا بندقيـة عربونًـا في الخفارة، فسـويت المسألة وانحسم العـار في أعرافهم، وصادف أن وصل السيـد حسين بن حامد المحضار إلى عينـات، واستدعى آل تميم، فحضروا ولما نهض ناصـر بن سالم راجعًا إلى دمون تبعه سالـم بن عبود، ولما فصلا عن عينـات هتف به سـالـم وذكـره بصنيعه، فتسـاوروا للقتـال، ولكن كان سـالـم أسبق بـاستعداده بحشـو بندقيتـه من قبل، بخـلاف ناصـر فما كـان إلَّا آمنًا مطمئنًـا فسقط يتشحط في دمه، وأراد سالــم أن يملأ ماضغيه عند أصحـابه الذين لم يزالـوا يلسعونه بقارص الكلام، ومع غضب السيـد حسين بن حامد من هذا الصنيع فلـولا وجوده لما انعقد بينهـم صلح أبدًا، ولكنـه أجبرهم عليـه، وفي آل سلمة طـواعية وحياء فـأطلبوه وبذالك انتفخ سالـم بن عبود، ولكنه ضربـه بناقة وضربه بطعنة، ففي ١٣٦٢ ورد سالـم ابن عبـود بن عبدالشيخ هـذا إلى قسم وبمعيتـه السيد عبـدالله بن إبراهيم بن علـوي السقاف الملقب بابن سحق، لقبح في منظـرته، وكان ممنوعًا من دخـول قسم لوحشةٍ بينه وبين المقـدم عبدالله بن علي بن أحمد بن يمـاني، فلم يكن من ابن يماني إلَّا أن أمر ابـن سحق بمغادرة قسم في الحـال، فرأى سـالـم أن شرفـه مس بذالك فحقـدها حتى مـرت سيارة فيها المقـدم وإخوانـه، يخفرهم أحـد آل عبدالشيخ، فأطلق سـالـم الـرصاص عليهم فأردى السـائق وواحدًا مـن آل يماني، ولكنـه استشعر الخـوف من خـال أولاده وهو محمـد بن علي بن عبدالشيخ، فـافرخ روعـه، وطيب خاطـره، ثم لم يشعـر سـالم بن عبـود إلَّا والـرصاص ينهـال عليـه من دار محمـد بن علي بـدون أن يصيبوه، ولكنـه لما خف لأخذ بندقيتـه من موضع مكشوف أهلكوه، ثم حصـروا ولده،

ولكنه ثبت حتى قالوا له: إن المسألة انتهت، كان لآل يماني قتيل فثأروا به، وانجلى به العار أيضًا عن ابن عبدالشيخ الذي خفرهم، وما بقي إلَّا أن تخرج معنا إلى عينات، وننادي في سوقها بانفصال القضية، وأن دمائنا بعد اليوم واحدة، فقال: لا يطمئن قلبي إلَّا أن يتعهد لي خال إخواني محمد بن علي بن عبدالشيخ، فتعهد له واعطاه وجهه، فاطمأن إليه، وخرج من داره، وسار هو وإياه وآل عبدالشيخ وبعض آل يماني، ولما كانوا في أثناء الطريق قال لهم محمد بن علي: دونكم صاحبكم فكتفوه، وأطلق عليه أحد آل يماني وهو ابن سالم بن أحمد الرصاص، فخر صريع الغدر والخيانة، فقبحه الله، وكان الأولى إغفال هذه القبيحة، ولكن الغدر يؤلم قلبي ويحرق جوفي وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا أتت الإساءة من لئيم ولَمْ أَلُمِ المسيء فمن ألوم

ولو كان هذا الصنيع قبيل اليوم بخمسين عامًا لما طمع محمد بن علي أن يشرب ماء أو يجلس مجلسًا أو يقعد على فراش أحد، ولو قعد على فراش من لم يعلم ثم شعر بعد لكان مما يوجبه عليه عرفهم أن يحرقه فرحمة الله على أهل الوفاء ولعنة الله على أهل الخيانة.

اللسك: هي من القرى القديمة، وقد كان يهجر اسمها إذ صار الناس لا يطلقون عليها إلَّا لفظ القرية، فقط، وفي جبلها مدفن عباد بن بشر الصحابي على بحث فيه استوفيته بالأصل، يسكنها جماعة من ذرية السيد محمد بن عقيل بن سالم، قال في «شمس الظهيرة»: ومنهم الآن - يعني سنة ١٣٠٧ - السيد العابد زين بن صالح وجماعة من ذرية السيد زين بن عقيل بن سالم، ومنهم آل علوي بن عبدالرحمن بالقطيعات منها، وفي حوادث سنة ٩١٠ من «تاريخ شنبل» أن السيد عبدالله بن عبدالرحمن اللسكي توفي ذالك العام، وكان اللسك قاعدة ملك آل حبسار، ولها ذكر كثير في الحروب التي بين الصبرات والأحمد وآل كثير ويأتي ذَرْوٌ منه في الواسطة، وفي الحكاية ١٥٥ من «الجوهر» مايفهم منه أن دار محمد بن أبي السعود في اللسك وكان موجودًا في زمان الشيخ عبدالله باعلوي.

(للبحث صلة)

بين عبس وبني رشيد

كتب إلى مجلة «**العرب**» الأخ عطا الله بن ضيف الله الرشيدي معلقًا على كتاب صدر للدكتور عبدالعزيز بن محمد الفيصل باسم «شعر بني عبس» ورد في هذا الكتاب ما يستحق الوقوف عنده، وإيضاح ما فيه من خطإ مما يتعلق بهذه القبيلة الكريمة قبيلة بني رشيد، أما الأخطاء الأخرى في الكتاب فهناك من القراء من يدركها وفي استطاعته أن يوضحها، وقبيلة بني رشيد وإن اخطأ في حقها تنظر نظرة تقدير وتوقير لكل من يتصدى لدراسة أحوال بلادنا وقبائلها بعين الإنصاف والتحري وسلامة القصد، وفي الأثر: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون». فمما له علاقة ببني رشيد في هذا الكتاب:

١- ص ١١ -: قوله: (ويجتهد بعض الباحثين فينسب بعض القبائل الموجودة الآن إلى عبس، فحسن عبدالله القرشي يقول: (انضم قسم من عبس إلى قبيلة جهينة فاندمج فيها، وفي بلدان القصيم أناس من عبس، وفي أبانين هتيم [يعني بني رشيد] وهم من عبس). والقرشيُّ لم يذكر مصدرًا شفويًّا ولا مكتوبًا، فذالك اجتهاد منه).

وأقول: ليس صحيحًا أن القرشيَّ لم يعتمد على مصدر مكتوب، بل أتى بمصدر، وهو («الرحلة الحجازية» -: ص ٥١) للبتنوني، فأيّده، وهو يدرك أن فروعًا من بني رشيد كانت تقيم في الساحل منذ أمدٍ بعيد، وهم فعلًا متداخلون في المواضع مع قبيلة جهينة، وإياهم يعني البتنوني، وكنت ممن لا يوافق الأستاذ القرشي على هذا الرأي عن جهل مني، وقد ثبت الآن وبالدليل القاطع أن قسمًا كبيرًا من بني رشيد كان يستوطن ساحل البحر الأحمر من (ينبع) حتى شمال (الوجه)[١] منذ القرن الثامن وإلى مطلع الخمسينات من القرن الثالث عشر للهجرة، وكان لهذا القسم سيطرة تامة على طريق الحاج المصري، استطاع من خلالها أن يفرض ضريبة على الحجاج[٢]، وكانوا يومئذ ينتسبون لعبس[٣]، وغيرهم يسيئون إلى اسمهم ويعطونه ما

للقب هتيم من صفة[٤]، وقد أخبر رجل من بني رشيد الـرحالة الإنجليزي (داوتي) أن قسمًا منهم يقيم في نواحي (الوجه) ويعـرف بالجرابيس (القرابيس) وقد ثبت الآن أن قربـوسًا هـذا هو الذي يجمع بـالنسب فروع بني رشيـد في السودان[٥] ولاتزال فـروع منهم تقيم في (الـوجه) وغيره مـن قرى الساحل وفـي جزيرة (الحسَّـاني)، ومنهـم في جزيـرة (فرسان) ويعـرفون بعبس (العبوس)، ولاشك في أن (اصطبل عنتـرة) الموضع المعروف بين (الأزلم) و (الوجـه) من مآثرهم، وياليتنا نصل إلى مـا وصل إليه الأستاذ حسن القرشي، ثم ننتقده!

٢- وفي نفس الصفحـة-: يقـول المـؤلـف: ويـذكـر حمـد الجـاسـر أن هُتَيْمًـا (الرشايدة) من عبس، ويعتمد على مصدر شفوي، وينسب القول إلى رجل لم يسمه.

وأقول: هذا من أعجايب العجب!! يعيب علـى القرشي؛ لأنه لم يأت بمصدر مع اختلافنا معه في هذا الحكم - ويخطئ شيخنا الجـاسر؛ لأنه لـم يسمِّ محدثه لمّا أتى بمصـدر. ثم إن الشيخ الجاسـر اعتمد اعتمـادًا كليًّـا على ما تـوصل إليه من حقـائق استنتجها مـن البحث الذي أفـاض فيه عن هـذه القبيلة، وفيـه بسط القول عنـد ذكره ذالك المصدر ومنها:

أ- بلاد بني رشيد ذات حصـانة ومنعة، وقد عـرف عنها منذ القدم صعـوبة التوغل بها من قبل الغزاة، وهي قاعدة قبيلة غطفان القديمة.

ب- بنو رشيد من أقدم القبائل المعاصرة استيطـانًا بهذا الجزء من الديار، وهذا - مع ما تتوارثـه القبيلة بانتسابها إلى عبـس ومنهم راوي الجاسر - يؤيد صلتهـا القوية بسكانها الأوليين.

جـ- من المعروف والثـابت أن القبائل العـربيـة تحافظ على تمـاسك كيانهـا إذا كانت تستوطن أراضي محصنة كحال ديار بني رشيد.

ولَـدى بني رشيد الآن من المـراجع القديمـة التي لـم تكن معروفـة ما يثبت صحـة وصواب ما ذهب إليه الجاسر.

٣- نفس الصفحة-: يقول: ونجد أن هتيمًا في أول القرن الخامس تقيم في الخرمة وهي قبيلة عدنانية...، ومجمل ما في النص: أنها من بني عقيل، وأنها كانت دليل القرامطة في حروبهم مع قبائل عسير، قحطان، شهران، وغيرهم، وبعد هزيمة القرامطة أسر كثير من بني عقيل هاؤلاء وحكم عليهم بركوب الحمير بدلًا من الخيول وألبسوا السواد وشهر بهم وأذِلُّوا.

فأقول: لاتزال فروع قليلة من هذه القبيلة تقيم بالمواضع التي ذكرها فيها مؤلف: «إمتاع السامر» وهم قلة من الأسر تعيش بجوار قبيلة سُبَيع من بني عامر، وتعترف هذه الأسر أن كثيرًا من فروعهم دخلوا في قبائل الجنوب، ولكنهم يتوهمون - جهلًا - أنهم من بني رشيد وهذا ليس صحيحًا من كل وجه، فمبلغ علمهم في هذا هو أنهم يُدعون بهتيم، وهو لقب يلصق بـ (بني رشيد)، ولكونها قبيلة ذات ديار وكيان متماسك كبير بخلافهم، فمن هنا نشأ هذا الظن.

ومع اعتزاز بني رشيد بهاؤلاء إلَّا أنهم يدركون أن هاؤلاء ينتمون إلى عقيل بن كعب بن عامر، وهو من أعز أرومة وأكرم معدنًا في العرب، وبنو رشيد وهم يجمعهم قيس عيلان وكفى به فخرًا وانتماء.

ويا حبذا لو أن الأستاذ فهيد بن عبدالله السبيعي أو من هو معني بالبحث عن قبيلة سبيع الكريمة أتحفنا ببحث متعمق يستنبط منه حقائق مجهولة عن تلك الأسر التي توشك على الانقراض، وعندي أن هذا اللقب الذي حط من قدرهم من دون وجه حق، ليس وليد حادثة اليزيدي، بل تمتد جذوره إلى ما فعله (بُغَا)القائد العباسي التركي بقبائل قيس عيلان في سنة ١٣١ على مافصَّل ابن جرير في تاريخه.

٤- نفس الصفحة - يقول المؤلف: ونجد في «ديوان ابن المقرب» - توفي سنة ٦٣٠هـ- أبياتًا تتضمن ذلة هتيم يقول:

فإن هتيمًا لو حوت مال هاشم — هتيم فلا يغررك طيف خيال

ستــرجع فمـا عــودت من حميـرهــا ومن حـــرق إشنـــان وخصف نعـــال

قلت: هذا ما وجده في «ديوان ابن المقرب»، ولكنه لم يجد- مع الأسف - أن من ظنهم معنيين بهـذا الشعر (بني رشيـد) فألصقـه بهاؤلاء من بـاب التوهم لا من بـاب الحقيقة كانوا إلى مطلع الأربعينات من القرن الثاني عشر للهجرة ينتسبون إلى عبس. أي: بعد ســت مئة وثلاثيــن عامًا على قــول هذا الشعـر، فمن كان يعني ابــن المقرب الأحســائي بهتيم هــذه؟ والجواب؛ أن البـاحث المتمكن يجـد أن هـذا اللقب يطلق على قبائل كثيرة، متباعدة الموطن. وبعضها غيـر معروف اليوم، فمنها من كان بنواحي الأحساء[٦]، ومنهـا من في نجـد، وفي الشمـال والجنوب، وأيضًـا على قبـائل كثيـرة خارج شبه الجزيـرة العربية كالشام ومصر والعراق، وليست لأية منهـا صلة بالأخرى، وهم أهل وبـر ونعم كثيرة مثلهم كمثل القبـائل الأخرى يَغزون ويُغـزون ولا ينطبق على واحدة منها الصفة التي ذكرها ابن المقرب عن هتيم.

ومن جانب آخر يجد الباحث أن هـذا اللقب يطلق على فئات من الناس غير أهل وبر[٧]، وكانـوا يحترفـون من الحرف ما يأنفهـا أبناء القبـائل، وهي نفس الحرف التي ذكرها ابن المقرب.

وإلصاق لقب هتيم ببعض القبائل الكريمة تبيّن لنا بـوضوح أن أوائلها قد تعرضوا لغزو قوة اجتاحتهم في يوم ما، فمنها ضعفـوا فلُقِّبُوا بهذا اللقب تشهيرًا بهم، ليكونوا - في التحقير - مع من لهم أصلًا هذه الصفة ســواء، وفي هذا المجال يجد الباحث في علاقـة قبائل قيس عيـلان بالدولـة العباسية مـرتعًا خصبًـا، فعزوة (بغا) لهـذه القبائل وقسوته عليهـا، وما أعقبها من ظهور تكتل للقبائل المواليـة للعباسيين، وهي تتحالف على القبائل القيسية إلَّا خفايا تكشف لنا كثيرًا من الحقائق التي مازالت مجهولة.

ولسائل أن يسأل: هل كان بنـو رشيد يحترفون مثل هذه الحـرف، أو يشتهرون بهذا الحيـوان، حتى يأتي المـؤلـف فيصفهم بمـا هـو - في عـرف مجتمعهم - انتقـاص لهم؟! فالجواب - قطعًا -: (لا).

إذن ماذا كانوا يشتهرون به قديمًا؟ فالجواب: للرحالة الإنجليزي (داوتي) الذي زار المنطقة قبل مئة وعشرين عامًا يقول: (إنهم - يعني بني رشيد - أحسن حالًا وأكثر مالًا من عامة العرب، كما أن إبلهم من أجود الإبل أصلًا وأطيبها منبتًا). ولا يزالون يشتهرون بأفضل سلالات الهجن الأصيلة.

وهل كان بنو رشيد قبيلة توصف بالذلة؟! فالجواب: للأستاذ مصطفى علي أحمد الذي شاهد قسمًا من بني رشيد في السودان. يقول: (الرشيدي يصر على استرداد حقوقه بنفسه متجاهلًا العمدة والمشايخ، فحياة الرشايدة صارمة كل الصرامة، شديدة كل الشدة، لا تعرف المرح ولا الهزل، وقلما يبتسم وهو عابس متجهم تقرأ في تقاطيع وجهه دلائل الإصرار، وآيات العزم وقوة الشكيمة، وليست له روح الفكاهة، وتعوزه اللمحة العابرة، والعبث البريء، ويشترك الرشايدة في المباراة وسباق الجمال بإصرار عجيب على التفوق كيدًا لمنافسيه وإبراز لمهارة القبيلة في ركوب الجمال... وهب الله الرشايدة قدرًا كبيرًا من صفات الشجاعة والوفاء والاعتزاز والفخر أما موطن الجمال والملاحة فالرشايدة يفوقون (البجا) حسنًا ووسامة، فهم عرب خلص، كريمو المنبت والأصل، لم يمتزجوا بالدماء الزنجية مثل البجا وعرب السودان).

وبعد أليس من الخطإ أن توصف قبيلة هذه صفتها ماضيًا وحاضرًا بالذلة؟! أو لم تكن هي القبيلة العربية التي حافظت على صفو نسبها، بخلاف غيرها من قبائل العرب بجوارها التي لا يميز أملحها من أشقحها؟!.

٥- ثم يقول المؤلف: وقد ناقشت انتساب هتيم.. إلى عبس - يقصد بني رشيد - عندما تحدثت على نسب القبيلة، وضعفت انتساب هتيم إلى عبس.

ولو لم يأت بعبس لفهمنا أنه لا يعنينا؛ لأن لقب هتيم يلصق بقبائل كثيرة من العرب وبجماعات غير قبلية، ولا صلة لواحدة منها بالأخرى من جهة النسب، وكان

بـودنا ألا يقع بمـا عـاب - تجـوّزًا - الآخرون عليـه، ويأتي بـالخـداع، وهو أسلـوب الإيهام، فمع من نـاقشت نسب بني رشيد في عبس؟ ومن المـؤهل لهذا الحكم؟ هل ناقشت المنتسبين إلى هذه القبيلـة؟ هذا ما لـم يذكره لنـا، وإن صح مثل هذا النقاش فـلا استبعد أنـه تم مع من ينطبق عليهم صفـة القـوم الذين روى لنـا عنهم الجـاحظ (يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء).

وأخيرًا فهذا عتب أقدمه لأهل العلم ومن عنـدهم اهتمام بالبحث ليطلعوا على ما وقع فيه المـؤلف من خطإ غير ممكن الإعـراض عنه، وكـان بالإمكان تـداركه لـو قام بـالاتصـال بمن هو معنـيٌّ بالكتـابـة عن نسبهم، فإن من يتحـدث عن نسب قـوم لـم يختلط بهم لن يتجنب كثيـرًا من الأخطـاء التي يصعب عليه تـداركهـا، والمؤلف قـد أدرك حقيقـة لقب هتيم وهو مـازال عنه غمّـة اللبس في نسب بني رشيد، وقـد أوضح هذا في إحدى الـوسائل المقروءة معتذرًا عن ما التبـس عليه فهمه ولكن من المهـم أن يطلع أرباب القلم على أن نعت أية قبيلة بهذا اللقب هو طعن في نسبها، وخروج عن الحق والعدل، وسفاهة يترفع عن ذكرها أولو العقول السليمة.

أسأل الله أن يجنبنا سوء القصد.

الرياض: عطا الله بن ضيف الله الرشيدي

الحواشي:

(١) داوتي: «صحراء العرب» ج ٢، ص ٧٠.

(٢) و (٣) بركهاردت: «ملاحظات عن البدو الوهابيين»، ص ٢٢ - ٢٣.

(٤) موري: «أبناء إسماعيل»، ص: ٢٨٤.

(٥) «دراسات في تاريخ السودان»، ص ١٧٥.

(٦) «ابن بسام» في حوادث ٩٠٠ هـ.

(٧) «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» ج ١، ص ٤٤٢.

«أنساب الأشراف» للبلاذري

-١-

هذا الكتاب عاثر الحظ من حيث إحياءه بالنشر والتحقيق، بل لعله بهذه الصفة قبل ذالك، فمؤلفه لم يتمكن من إكماله، إذ أُصيب بمرض حال دون ما أراد له وهو في أثناء تأليفه، وقد استطاع أن يُعِدَّ بما ألَّف منه - على نقصه - مصدرًا مهمًّا من مصادر التاريخ الإسلامي، التي لم تحظ بعد بالدراسة الوافية.

إن مؤلفه البلاذري أحمد بن جابر بن يحيى البغدادي، المتوفى نحو سنة ٢٧٩هـ يُعَدُّ من قدماء المؤرخين، عاش في القرن الثالث الهجري، الذي حفل بمشاهير العلماء وكبار المؤرخين، فاستفاد منهم ومن مؤلفاتهم، التي لم يصل إلينا منها إلَّا القليل، وهو صاحب كتاب «فتوح البلدان» من أهم المصادر في موضوعه.

ويبدو أنه مات قبل اختيار اسم لكتابه، ولهذا عرف باسم «جمل أنساب الأشراف» أو «جمل من أنساب الأشراف وأخبارهم» أو «الأخبار والأنساب» والمقصود بـ(الأشراف) هنا المعنى اللغوي العام، فكل إنسان شَرُفَ بفعل من الأفعال الكريمة أو اتصف بخصلة من الخصال المحمودة يُعَدُّ شريفًا، بصرف النظر عن نسبه.

والبلاذري هذا كما وصفه الدكتور عبدالعزيز الدوري[1] (مُؤَلِّفٌ فَذٌّ في أسلوبه ونظرته للتاريخ العربي، وكتابه «أنساب الأشراف» من أهم مصادرنا التاريخية في الفترات بين ظهور الإسلام وعصر الرشيد).

ولم يكمل البلاذري كتابه، فقد ابتدأ بتفريع النسب النبوي الشريف من نوح - عليه السلام - حتى بلغ ذكر سيدنا محمد - ﷺ - ففصل سيرته التي وقعت في مجلد ضخم، ثم استرسل في ذكر فروع قريش الأقرب فالأقرب، وبعد الانتهاء من قريش، ذكر نسب بني أسد بن خُزيمة، فهُذيل، ثم ولد طابخة بن الياس، مفصِّلًا الحديث عن قبائلهم، ثم شرع في ذكر قبائل قيس عيلان، فذكر منها غطفان وغَنِيًّا وباهلة وعدوان وفهمًا وسُلَيْمًا وثقيفًا، وانقطع الكلام قبل أن يكمل الحديث عن هذه القبيلة، وهو في كل ذالك يُعْنَى عناية خاصة بإبراز المشاهير ممن يرد ذكرهم، وفي

حديثه عن القبائل يتعرض لبعض حوادثها قبل الإسلام، كأيامها المشهورة، وذكر فرسانها ومشاهيرها على وجه العموم، ومع أنه قد اعتمد على ابن الكلبي في النسب الذي روى مؤلفاته عن ابنه عبَّاس، إلَّا أنه لم يكتف بذكر نصوصه، بل يضيف إليها معلومات أوْفى منها بكثير، معوِّلًا على مؤلفات لمعاصرين لابن الكلبي، أو قبله كـ(سُحَيم بن حفص) المتوفى سنة ١٩٠هـ وغيره.

ولعل أكمل نسخة عرفت من الكتاب حتى الآن هي النسخة الدمشقية التي جاء في آخرها ما نصه: (آخر المجلد الثاني والأربعين من الأصل المشروع في كَتْبه، سنة إحدى وتسعين، والمفروغ منه في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مئة بمصر) وفي آخره: (هذا آخر ما صنفه أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري من «جمل أنساب الأشراف وأخبارهم» وتمَّ الكتاب، وكان في الأصل على قدمه اضطراب في مواضع، من تقديم وتأخير، وإسقاط ومَحْوٍ، أتقنت كل ذالك من نسخة أخرى، فصار هذا الفرع مُرَجَّحًا على أصله، وكان الشروع في كتبه في يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين والفراغ منه في يوم السبت بعد صلاة عيد الأضحى سنة تسع وخمسين وست مئة، على فترات تخللت الكتابة، فصار كَتْبُ جميعه في مدة عشرة أشهر وأيام، كتبه لنفسه صاحبه عبدالله، الفقير إلى عفوه وغفره أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الموصلي ثم الدمشقي الشافعي بسكنه برباط السميساطي بدمشق).

ومن حسن الحظ أن هذه المخطوطة الدمشقية لاتزال موجودة في (الخزانة العامة) في الرباط في المغرب، وفي (معهد المخطوطات) في القاهرة صورتها وهي تقع في (٩٣٤) صفحة من القطع الكبير في الصفحة ٤١ أو ٤٢ سطرًا، وعنها نُسِخَتْ مخطوطة أخرى في (مكتبة عاشر أفندي) رئيس الكُتَّاب في استنبول.

غير أن من المؤسف وقوع نقص في أصل هذه المخطوطة التي لاتزال موجودة في (خزانة الرباط) فيما بين صفحتي (١٧٠) و(١٧١)، فالنقص هنا يقارب ست صفحات، ويظهر أنه حدث في عهد متأخر[٢]، ففي (مكتبة عاشر أفندي) رئيس الكُتَّاب التي ضُمَّت إلى (المكتبة السلمانية) في استنبول مخطوطة تقع في مجلدين

من القطع الكبير، رقمها ٥٩٦ و ٩٥٨، يقع المجلد الأول في ١١٩٦ من الصفحات، والمجلد الثاني في ١٢٦٨، تحوي الصفحة ٣٧ سطرًا، وفي طُرَّتِها نَصٌّ ماهو مكتوب في طرة المخطوطة الدمشقية، وهي منسوخة بتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ١١٢٣، وقد أكمل فيها النقص الموجود في المخطوطة الدمشقية مما يدل على أن حدوثه كان بعد كتابة هذه النسخة(٣).

ولعل أقدم ما طبع من أجزاء كتاب البلاذري هو ما نشره المستشرق الألماني (وليم أهلورد) المتوفى سنة ١٣٢٧هـ الذي نشر عددًا من كتب التراث فقد عثر على مخطوطة ناقصة كتب عنوانها (الجزء الحادي عشر من تاريخ مجهول، ولعله كتاب «أنساب الأشراف وأخبارهم» للبلاذري) نشره سنة ١٨٨٤ في مدينة (غريفرولد)، أوله (أمر مقتل مصعب بن الزبير) وألحق به فهارس وتصحيحات وافية.

ثم طبع الجزء الخامس من هذا الكتاب سنة ١٩٣٦ في القدس، بتحقيق (غويتين Goitein) أوله (أمر عثمان بن عفان وفضائله) إلى (أزواج عبدالله بن الزبير بعد مقتله).

ثم طبع في القدس أيضًا قسمان من الجزء الرابع، أحدهما سنة ١٩٣٨ بتحقيق (شلوزنيغر) ومراجعة (كِسْتر)، يحوي من (يزيد بن معاوية) إلى (بني عمرو بن الأشدق).

وطبع القسم الأول من القسم الرابع في القدس أيضًا سنة ١٩٧١، بتحقيق (شلوزنيغر) أيضًا، وفيه من (نسب بني عبد شمس) إلى (ولد معاوية بن أبي سفيان).

ثم نشر القسم الثاني سنة ١٩٧١ في القدس وهما يكونان القسم الرابع من الكتاب.

ثم قررت (الإدارة الثقافية) في (جامعة الدول العربية) نشر الكتاب بالاشتراك مع (دار المعارف) بمصر، فنشر الجزء الأول بتاريخ ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) بتحقيق الدكتور محمد حميد الله وهو يحوي أول الكتاب من (السيرة النبوية) إلى آخر الكلام على (مراثي النبي ﷺ) في مجلد ضخم صفحاته ٧٢٢(٤) وموقعه من المخطوطة الدمشقية من أول الكتاب إلى ص ١١٨.

وفي سنة ١٣٩٤ (١٩٧٤م) صدر جزء من هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد باقر المحمودي يبتدئ من حيث وقف الجزء الأول الذي حققه الدكتور محمد حميد، وينتهي بخبر (قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورثائه) ويقع من المخطوطة الدمشقية من ص ١١٨ إلى ص ١٧٤.

وقامت دار النشر الألمانية (فرانتس شتاينر) بـ (فيسبادن) في سنة ١٣٩٨ بنشر الجزء الأول من القسم الثالث من الكتاب وأوله (العباس بن عبدالمطلب وولده) إلى (أسد بن هاشم بن عبد مناف) بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري، ويقع في المخطوطة الدمشقية من ص ٢١٠ إلى ص ٢٧٦.

ثم نشر الدار المذكورة سنة ١٤٠٠ (١٩٧٩م) الجزء الأول من القسم الرابع يحوي ما سبق نشره في القدس في جزءين، ويبتدئ من حيث وقف عمل الدكتور الدوري (نسب بني عبد شمس) وينتهي بنهاية (قتل أمية بن المطرف) من أحفاد عثمان بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وهذا من المخطوطة الدمشقية من ص ٢٧٦ إلى ٣٨٩.

تلك الأجزاء التي نشرت من الكتاب لم يجر نشرها على طريقة منسقة، من حيث التسلسل والاتصال، بل نشرت مفرقة لا ارتباط بينها، ويلاحظ أن هذا التقسيم أو التجزئة لم تكن مبنية على أصل من أصول الكتاب، ولكن تواضع المحققون على تقسيمه، أو كما ذكر الدكتور الدوري (ارتُؤيَ الرجوعُ إلى طبيعة الكتاب وموضوعاته، فقسم إلى ستة أقسام، ويمكن أن يكون القسم في جزء واحد أو أكثر، حسب سعته، ومقتضيات النشر، مع إعطاء كل قسم تسلسلًا خاصًّا)(٥).

واستل الدكتور إحسان صدقي العمد من كتاب البلاذري ما يتعلق بترجمة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، وأصدر ذالك في جزء سماه «الشيخان أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، برواية البلاذري (ت ٢٧٩هـ) في أنساب الأشراف»، وقال في المقدمة: (إن سيرتهما لم تنشر بعد من رواية البلاذري، وقد نشرت ترجمة سيرة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في الجزء الخامس من «أنساب الأشراف» الذي حققه المستشرق الألماني غويتن عام ١٩٣٦، وكذالك يمكن القول بالنسبة لترجمة سيرة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - التي نشرها محمد باقر المحمودي في كتاب مستقل صدر في بيروت عام ١٩٧٤، ولذالك لم يبق من تراجم الخلفاء الراشدين الواردة في أنساب الأشراف غير ترجمة كل من أبي بكر وعمر، فرأيت أن أخرج هاتين الترجمتين في كتاب واحد).

وعلل ذالك قائلًا: ربما كان في نشر سيرتي الشيخين تسهيل على الدارسين والباحثين، إذ انتظار نشر هاتين السيرتين ضمن الأجزاء الكثيرة من «أنساب الأشراف» أمر يطول.

وقد ألحق بسيرة أبي بكر ضميمة تشمل أمر السقيفة لارتباط أخبار أحداثها بسيرة أبي بكر، ويقع ما نشر الدكتور إحسان صدقي من المخطوطة من ص ٦٤٩ من أول (نسب بني تيم بن مرة بن كعب) إلى ص ٧٢٧ بخبر (عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب) وبعده (بنو عدي بن كعب بن زيد). وقدم لنشرته هذه لمحة عن حياة البلاذري.

ومع أنه أشار إلى المخطوطة الدمشقية ورمز لها بحرف (ج) إلَّا أن رداءة تصوير ما اطلع عليه منها أوقع كثيرًا من الخطإ في بعض الكلمات مما أشرت إليه في كلمة لي في «**العرب**» س ٢٩ ص ٢٨٦ و ٧٥٥.

ما تقدم ذكره من المنشور من هذا الكتاب ينقص قليلًا عن نصفه، إذ مجموع صفحات المجلدين اللذين يحتويان على الكتاب كاملًا في مخطوطة استنبول هو (٢٤٦٤). وصفحات المنشور منها (١٠٩٣) فالباقي من الصفحات التي لم تنشر (١٣٧١).

يضاف إلى هذا أن هذا الكتاب النفيس كان عاثر الحظ من حيث النشر، فالأجزاء المحققة منه تحقيقًا جيدًا اعتمد أصلها مخطوطة استنبول وهي نسخة كثيرة التحريف، وقد كنت قرأت المجلد الأول الذي حققه الأستاذ الجليل الدكتور محمد حميد الله فاستدركت أخطاء كثيرة، يرجع أغلبها إلى رداءة الأصل المخطوط، وعندما اطلعت على هذا في المخطوطة الدمشقية اتضح لي صواب ما صححت، بل اتضحت لي تصويبات أخرى فاتتني، لأنني لم اطلع على هذا الأصل إلَّا في عهد متأخر، ولقد بذل الأساتذة الذين حققوا الأجزاء الأخرى جهودًا مشكورة فبرزت أعمالهم على خير ما يُتَطَلَع إليه، إلَّا أن الأصل الذي رجعوا إليه لا يخلو من الخطإ.

ولهذا فمن الصواب الرجوع إلى المخطوطة الدمشقية لمقابلة ما سبق نشره باستثناء الجزء الذي حققه الدكتور عبدالعزيز الدوري، فقد استفاد – فيما يبدو، من مقدمته – من الرجوع إلى المخطوطة الدمشقية، ولكن مما ينبغي إدراكه ضرورة نشر الكتاب كاملًا في أجزاء متوالية، حسب ترتيب أصله، ووضع فهارس شاملة لكل الكتاب.

وهاهو الصديق الكريم الأستاذ محمود فردوس العظم - وفقه الله - يفتح باب أمل جديد بوعده بعزمه على نشر هذا الكتاب كاملًا في أجزاء متتابعة.

فقد أصدر الجزء الثاني هذا العام ووعد في مقدمته بأنه سيبدأ بنشر الكتاب من أوله إلى آخره، وأنه أنهى تحقيق ثلاثة أجزاء، هي الثاني والخامس والسادس، وكلها تحت الطبع، ويتلوها إن شاء الله باقي الأجزاء.

وقد أكرمني بنسخة من هذا الجزء تحدثت عنه بكلمة موجزة[٦]، وبإصداره هذا الجزء يتم الوصل بين الأجزاء الثلاثة المحققة تحقيقًا علميًا من قبل الأساتذة الدكتور محمد حميد الله، والدكتور عبدالعزيز الدوري، والدكتور إحسان عباس، وبذالك يكون قد تم نشر عشرين كراسًا من المخطوطة الدمشقية نحو (٣٨٨) صفحة ونصف صفحة[٧]، من ثمانية وأربعين كراسًا وأربع ورقات، فيبقى مما لم يطبع من الكتاب نحو (٥٦٨) صفحة[٨]، ولا عبرة بترقيم المخطوطة الحديث لما حدث فيها من النقص.

وبعد كتابة ما تقدم، وقع في يدي مجلد من الكتاب عنوانه (القسم السابع، الجزء الأول، سائر قبائل العرب) قام بتحقيقه الدكتور رمزي بعلبكي، وهو من سلسلة (النشرات الإسلامية) التي تصدرها (جمعية المستشرقين الألمانية)، وهو الجزء الـ(٢٨) قسم (١٧ أ)، وفهمت من ذكر النشرات الإسلامية في آخر الكتاب أن الجزء الثاني من القسم الرابع هو ما حققه الدكتور عبدالعزيز الدوري، والجزء الثالث منه موكول تحقيقه للدكتور رضوان السيد وهو قيد الإعداد - أي أن القسم الرابع ثلاثة أجزاء-.

أما القسم الخامس فـ(سائر فروع قريش) تحقيق الدكتور إحسان عباس، وقد صدر.

والقسم السادس تحقيق الدكتورة وداد القاضي وهو قيد الإعداد.

والقسم السابع جزءان، أولهما: (سائر قبائل العرب) وهو الجزء الذي بين يدي وسأتحدث عنه حديثًا مفصلًا في موضع آخر.

والجزء الثاني من القسم السابع تحقيق الدكتور محمد اليعلاوي وهو قيد الإعداد.

ومن هذا الإيضاح فهمت أن (جمعية المستشرقين الألمانية) قررت أن تصدر الكتاب كاملًا.

ولقد وعدتُ في حديثي عن مطبوعة الصديق الأستاذ العظم بإيضاح ما ظهر لي من مخالفتها للمخطوطة الأصلية (الدمشقية)[٩] وما عن لي من ملاحظات أخرى.

وها أنا أفي بما وعدت:

١ - ص ٥: (ما رأيت لك تهمة منذ أسلمت قبلها) كلمة (تهمة) في المخطوطة (فَهَّةً) وهي الصواب، إذ لا محلَّ للتهمة هنا، وكذا وقعت في مطبوعة (ح)[١٠]، وعلق في الحاشية (خ. فهن)، والفَهَّةُ من معانيها: السَّقْطة والجَهْلة، وهي المقصودة هنا وكذا فسَّرها الدكتور إحسان صدقي، فقد أورد الكلمة صحيحة، معوّلا على المخطوطة وابن سعد ٣/ ١٨١ - «الشيخان» - ١١٣ -.

٢ - وفي الصفحة نفسها: (حدثنا عثمان حدثنا معاذ بن معاذ) وصواب (عثمان): (عَفَّان) كما في المخطوطة ومطبوعة (ح).

٣- ص ٦: في هامش المخطوطة بخط كاتب الأصل: (الأُبْلُمُ خوص المُقْلِ وفيه لغات ضم الألف واللام، وفتحهما أو كسرهما يقال: المال بيني وبينك شَقَّ الأُبْلُمَةِ) انتهى، وفوقها حرف (ص) مما يدل على أنها من الأصل، ولو رجع المحقق الكريم إلى الأصل لاكتفى بهذا التعريف عن الحاشية الطويلة.

٤ - ص ٧: (إني قائل مقالة... فمن دعاها فليتحدث بها) الصواب كما في المخطوطة (... فمن رعاها) وكذا في مطبوعة (ح) وقد تكون (وعاها).

٥ - وفي الصفحة نفسها: (ومن خشي أن لا يعقلها شيء) والصواب: (ومن خشي أن لا يعقِلَها عني) ووقع الخطأ أيضًا في مطبوعة (ح).

٦ - وفي الصفحة نفسها: (وصريم بن ساعدة) وتكرر هذا (ص ١١) وهو خطأ، والصواب: (وعُوَيْم بن ساعدة) كما في المخطوطة وفي مطبوعة (ح).

٧- وفي الصفحة نفسها: (فقال لأبي بكر: فتنة مالم يغلقها الله بك فلن تغلق أبدًا) والصواب كما في المخطوطة ومطبوعة (ح): (باب فتنة إن لم يغلقه الله بك فلن يُغْلَق أبدًا).

٨- ص ٨: (فأنتم أحق أن لا تنفسوا على إخوانكم) والصواب كما في المخطوطة ومطبوعة (ح): (فأنتم أَحِقَّاءُ...) إلخ.

٩- ص ٩: (فقال العباس ماردّه مثل هذا قط، لهذا ما قلت لك الذي قلت) وفي المخطوطة: (مارُدَّ مثل هذا قط لهذا، أما قلت لك الذي قلت؟) وفي مطبوعة (ح): (مارده مثل هذا قط، لهذا ما قلت) وهي خطأ أيضًا.

١٠- وفي الصفحة نفسها: (حدثنا عثمان ثنا معاذ بن معاد انبانا ابن عون) هذه الجملة ليست في المخطوطة، ولم ترد في مطبوعة (ح) فالصواب حذفها.

١١- ص ١١: جملة: (من نزع الشيطان إلى هنا ساقط عند حميد الله) ينبغي أن توضع في الهامش.

١٢- وفي الصفحة نفسها: (وقال الزهري كان معن بن عدي يقول) وفي المخطوطة: (قال الزهري كان معن يقول) وكذا في (ح).

١٣- ص ١٤: (والله ما حرصك على أمارته اليوم إلا ليؤثرك غدا) والصواب: (والله ما حرصك على إمارته اليوم إلَّا لِيُؤَمَّرَكَ غدًا) ووقع الخطأ في مطبوعة (ح).

١٤- ص ١٤: (ولكننا أنكرنا تركك مشاورتنا) والصواب: (ولكنا أنكرنا ترككم مشاورتنا) كما في المخطوطة، ومطبوعة (ح).

١٥- وفي الصفحة نفسها: (عن علي بن هشام بن البريد عن أبيه عن أبي الحجاف) وفي المخطوطة: (عن علي بن هشام البريد عن أبيه عن أبي الجحاف) وفي مطبوعة (ح). وخط النسخة متقن الضبط، بالتفريق بين الحروف المهملة والمعجمة[١١].

١٦- ص ١٤: (في الصلاة فماذا يوخرك) وكذا في مطبوعة (ح)، والصواب كما في المخطوطة: (في الصلاة فَمَنْ ذا يوخرك؟).

١٧- ص ١٧: (أن سعدًا رُمِيَ في حمام) وفي الحاشية: (حُمام ماء في ديار قشير قرب اليمامة) ولا محل لهذه الحاشية، فالصواب: (رُمِي في حمَّام) أي دخل في

الحمام ليغتسل، وأين حُمَام بني قشير الواقع في شرقي نجد بين منطقتي الأفلاج ووادي الدواسر من بلاد الشام؟[١٢].

١٨ - آخر ص ١٧: في هامش الأصل حاشية هي: (قيل لا يُعْرف خليفة ورثه أبوه سوى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما) والحواشي كأنها منقولة من الأصل إذ فوقها حرف (ص) وهي بخط كاتب النسخة.

١٩- ص ١٨: (الحمد لله أجله وأستعينه) وفي المخطوطة ومطبوعة (ح) (الحمد لله أحمده وأستعينه).

٢٠- وفي الصفحة نفسها: (مالي به طاقة ولا بيان) والصواب كما في المخطوطة (... ولا يَدَانِ) ووقعت في مطبوعة (ح): (ولا رد أن).

٢١- وفي الصفحة نفسها: (وعليكم بتقوى الله وإن أكيس الكيس) وكذا في مطبوعة (ح) والصواب: (وعليكم بتقوى الله فإن أكيس الكيس) كما في المخطوطة.

٢٢- وفي الصفحة نفسها: (فإن الله يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم... واحذروا) وفي المخطوطة: (فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) كما في المخطوطة ومطبوعة (ح).

٢٣- ص ١٩: (بقصيدة) بعد هذه الكلمة: (منها قوله) كما في المخطوطة ومطبوعة (ح).

٢٤- ص ٢٠: (البيت الرابع من مرثية أبي بكر) سقط من هذه المطبوعة، وهو مثبت في المخطوطة وفي مطبوعة (ح) ونصه:

فلا تبعدْ فكل كريم قوم ... سيدركه ولو كره الحُمَامُ

٢٥- ص ٢٠: (وقال شعرا كتبنا منه) وفي المخطوطة ومطبوعة (ح): (وقال عمر شعرًا).

٢٦- ص ٢٢: (وكان على قلبي) والصواب كما في المخطوطة: (كَأَنَّ على قلبي).

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) «أنساب البلاذري» القسم الثالث تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري، مقدمة - ص أ - .

(٢) اتضح لي هذا النقص من عدد كراريس الكتاب فهي (٤٨ وأربع ورقات) كما يتضح من آخر الكتاب، والكراس عشرون ورقة، ومن هذا النقص في الجزء الذي حققه الأستاذ العظم نحو اثني عشر، هي من (ص ٣٢٠ إلى ص٣٤٤) وفي المخطوطة الدمشقية خَرْمٌ - نقص - بين صفحتي (١٧٠ و ١٧١) ويلاحظ أن هذا الترقيم للصفحات حادث، فصفحات الأصل ليست مرقمة بل قد اكتفى فيها بذكر عدد الكراريس.

(٣) ويدل على هذا أيضًا أن النسخ التي نسخت عنها بعد نقلها إلى المغرب ترك محل النقص بياضًا كما في المخطوطة المغربية رقم (٦٩١٤ المكتبة الملكية) وهذه مخطوطة في ربيع الثاني سنة ١٢٠٩هـ، وصورتها في الخزانة العامة في الرباط.

(٤) تحدثت عن هذه المطبوعة حديثًا مفصلًا، نشر في مجلة «المعرفة» التي تصدرها وزارة المعارف قبل خمسة وعشرين عامًا، وكان ذالك الحديث قبل أن أطلع على المخطوطة الدمشقية، إذ فيها كثير مما يصحح ما وقع في هذه المطبوعة من أخطاء.

(٥) مقدمة الجزء الذي حققه الدكتور عبدالعزيز الدوري.

(٦) انظر «**العرب**» - س ٣٢ عدد محرم وصفر ١٤١٨هـ.

(٧) هذا الترقيم الحديث غير صحيح، فهناك صفحات ساقطة لم ترقم، فقد كتب في أعلى الصفحة الـ(٣٨٩): (حادية وعشرون) والمقصود بهذا العدد هو عدد كراريس الكتاب وورق الكراس في هذه المخطوطة عشر ورقات، عشرون صفحة، فيكون الرقم الصحيح لهذه الصفحة (٤٠٠) ويكون في هذه المخطوطة نقص اثنتا عشرة صفحة فيما تقدم، وآخر كراس منها هو الكراس الثامن والأربعون، وفيه أربع ورقات، أي ثمان صفحات، وهي موجودة في المخطوطة، أما نقص الصفحات الاثنتي عشرة فقد أكمل من مخطوطة اسطنبول.

(٨) وبإضافة ما استلَّهُ الدكتور إحسان صدقي العمد لكتابه «الشيخان» وهو نحو ٤٧ صفحة (١٢) لترجمة أبي بكر، و(٣٥) لترجمة عمر، من موضعين مختلفين من المخطوطة، يكون المجموع مما نشر نحو ٤٣٥ صفحة والباقي ٥٢٩ صفحة.

(٩) عبرت عنها بالمخطوطة الدمشقية، لأنها مخطوطة في دمشق، وهي الآن في خزانة الرباط في المغرب.

(١٠) أي مطبوعة الجزء الأول الذي حققه الدكتور محمد حميد الله.

(١١) فالجيم لا يميزها بل يكتفي بتمييز الحاء فيضع تحتها (ح) والراء يضع فوقها رأس هاء (ه) يقرب من رقم (٧) والسين يضع تحتها نقطًا، والشين يضع النقط فوقها، وهكذا، ولا يكتفي بهذا بل يضع فوق الحرف المشكل مع ضبطه (صح).

(١٢) انظر عن تحديد حُمَام - «**العرب**» س ٢٢ ص ٢٨٩ -.

(قبيلة بني بشر قحطان)

أولًا - النسب: قبيلة بني بشر إحدى قبائل قحطان المعاصرة، ولقد اختلف المؤرخون في نسب هذه القبيلة كما اختلفوا في نسب غيرها من القبائل العربية الأخرى، ومهما كان الخلاف في نسبها فهم يجمعون على أنها قحطانية النسب فنجد الهمدانيَّ من أقدم من تحدث عن هذه القبيلة في كتابه المعروف بـ «صفة جزيرة العرب» يقول: (البشريون من الأزد وقد يقال إنهم من كعب بن الحارث) قلت: إنه لا يمنع أن يكون هناك فروع من قبيلة بني بشر تعود بنسبها إلى الأزد، أو إلى كعب بن الحارث فالأصل في النهاية واحد.

ونجد هناك من يقول: إن بني بشر هم من بشر بن حرب بن سعد بن سعد بن خولان، وهذا ما ذهب إليه أحد المؤرخين المحدثين، ولا أعلم على ما استند عليه هذا الكاتب، إذ ربما تكون رواية تناقلها بعض رواة الأخبار، أو لعل التشابه في الأسماء هو الذي أوصله إلى ذالك فهناك فروع من قبيلة حرب الخولانية المعروفة، والتي تقيم بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وانداحت فروع منها في العصور الماضية إلى نجد، وفي منطقة القصيم بالذات فرع من هذه القبيلة يعرفون بـ (بشر) فلعل التشابه في الأسماء هو الذي جعل بعض الرواة يقع في مثل هذا اللبس، ولاشك أن هذا حاصل في كثير من المؤلفات الحديثة، وأعتقد (والله أعلم) أن الأمر لو كان كذالك لما خفي على مؤرخ ونسابة مثل الهمدانيٍّ ولما قال - ما تقدم عنه - وهو المعروف بتقصيه لأنساب القبائل العربية بصفة عامة، والقبائل القحطانية منها بصفة خاصة، بالإضافة إلى أنه كما تشير الروايات التاريخية عاش في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الثالث إلى منتصف القرن الرابع الهجريين، فهو قريب من الأحداث، وقد أورد في كتابه «الإكليل» الأحداث التي على أثرها انتقلت قبيلة حرب الخولانية من مواطنها الأولى في اليمن، واستقرت بين مكة والمدينة، وذالك في بداية العقد الرابع من القرن الثاني من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ولزيادة الاطلاع انظر كتاب «نسب حرب» لمؤلفه الأستاذ عاتق بن غيث البلادي، إلا أن

المشهور والمتعارف عليه بين مؤرخي قبيلة بني بشر قحطان وعُرَّافِها أنها إحدى قبائل (جَنب) الاسم الـذي يعدُّ علمًـا عرفت بـه بعض القبائل القحطـانية منذ القـدم، مثل قبائل عَبِيدة وشُرَيْف وسَنحان وجَنْب بن سعد في تهامة.

ولزيادة معرفة أخبار هذا الحلف وأعني به (حلف جنب) راجع مجلة «**العرب**» س ٢٥ ص ٦٦٣ فقـد أوردنا خبـر هذا الحلف معتمـدين على مصـادر التاريخ العـربي القديم منها والحديث وذالك عند حديثنا عن (سراة جنب القديمة وسكانها).

ومن خلال أخبار هذا الحلف يتضح أن قبائل جنب المارّ ذكرها يمكن القول بأنها تنتمي إلى فرعين رئيسين الأول ينتهي نسبـه إلى سعد العشيرة بن مـالك بن أُدَدٍ والثاني إلى يزيد بن حـرب بن عُلَةَ بن جَلْد بن مالك بن أُدَدٍ، وهم بذالك أبناء عمـومة يعودون جميعهم لمالـك بن أدد، الذي ينتهي نسبه إلـى قحطان وأن قبيلة بني بشـر تنتمي إلى الفرع الأول فرع سعد العشيرة، وقد أورد المؤرخون سبب تسميته بسعد العشيرة، كونه قد عاش حتى ركب معه من ولـده وولد ولده ثلاث مئـة رجل فكان إذا ذهـب إلى المواسم وهم معه وسأله الناس يقول: هاؤلاء عشيرتي دَرْأً للعين فسمي بسعد العشيرة.

ولاشك أن قبيلة بني بشـر في الأرجح من أبناء بشـر بن حرب بن سعـد بن منبه بن أود الـذي ينتهي نسبـه إلى سعد العشيـرة، فمن الأود على سبيل المثـال: عبـدالله بن إدريس الفقيـه وعبدالله بن النعمـان بن يـزيد المعـروف بـابن الأفكل (انظر «جمهـرة أنسـاب العرب» لابن حـزم ص ٤١١) ومن الأود هـاؤلاء من وفد على رسـول الله ﷺ بالمدينة ضمن وفود سعد العشيرة، ومنهم الصحابيُّ الجليل شداد بن ثمامةَ بن سلمة من بني مازن بن كعب بن أود الأَوْدِيُّ المـذحجيُّ انظر كتاب «قبـائل إقليم عسير في الجاهليـة والإسلام» لـلأستاذ عمـر بن غـرامة العَمْـرِي ج ١/ ٣٢١ ط ١٤١١، وكذا الشاعـر الجاهلي الحكيم صلاءة بن عمرو المعـروف بالأفوه الأودي، له ديـوان شعر مطبوع، وانظر تـرجمته في مجلة «**العرب**» س ٢٥ ص ٦٧٠، وله القصيـدة المشهورة الدالية التي منها:

لا يصلح النـاسُ فَـوضَى لا سَـرَاة لَهُمْ   وَلا سَـــرَاة إِذَا جُهَّـــالُهُمْ سَـــادُوْا

ثانيًا: فـروع قبيلة بني بشر: وتنقسم قبيلة بني بشر اليـوم إلى عدة فروع على حسب حروف المعجم هي:

١ - **الرقفين وهم:** الجهمة والـدرب وقحيم وآل فـرحان وآل الشتـاء وآل الظهر، وآل النمر وحمالـة وآل سارعة والمحافيظ، وآل عازب (وتعرف القـرى الأربع الأخيرة بالقِبل بكسر القاف).

٢- **شَغْب:** بفتح الشين وسكـون الغين بعـدها بـاء: ويضم هـذا الفـرع كل من آل الخلف، وآل العقيق، وآل العبيدية، وآل حراشي والوسط ودرامة والعرابة.

٣- **العسران:** ويعرفون بآل (لَعْسَر) وهو (بِلَعْسر) لهم قـرية عامرة تعرف باسمهم، تقع على الطريق المؤدي إلى نجران، وبها يقيم الشيـخ سعيد بن سعد بن ثقفان (شيخ قبائل بني بشر وجنب بن سعد) ومنهم - شيـاع - وسعيا، وسعيا هذه هي التي أسماهـا الرسول ﷺ بـ (سقيا) بالقـاف، وذالك عندما جاءه خراجها من حبِّ البر، وأعجب بـانتاجها منه، فقال عليه الصـلاة والسلام: «من أينَ هذا» فقيل هذا من سعيا فقـال: «بل سقيا» ويقال: إنه دعى لهـا ولأهلها بـالبركـة، ولازالت إلى اليوم، وقـد أورد المؤرخ والـرحالـة الهمداني خبرها وذالك في حدود القرن الرابع الهجري في كتابه «صفة جزيرة العرب».

٤ - **آل نجيم:** (ويعرفـون بآل حامي) وهـم زهـرة، وآل مانع وآل ظـالـم. وآل عطيف والزاوية وعثمان، وآل مَكِر بكسرِ الكاف وآل سهيل والجوبة، والشبيرمة ومثاب.

هذه الفروع المعروفة الموجودة اليوم ضمن قبيلة بني بشر، وتجمعها مشيخة واحدة كما أسلفت، والجـدير بـالذكـر أن هناك فـروع أخرى خـارج القبيلة منها مـن لاتزال مقيمة في مواطنهـا الأولى مثل بني بشر القصب والحضيرة، ومنها مـن حدر إلى نجد واستقر بـه المقام مـع بقية قبائل نجـد الأخرى مثـل قبيلة حَمَالـة، حدرت فـي القرن الثـاني عشـر الهجـري بقيـادة شيخهـا مـانـع بن علي الحمـالي البشـري المعـروف بـ(كريسيع) والذي يقول من قصيدة له:

حنـــابني بشـــر وحــــرب جـدنــا   والكـــــدش لا تعلـــو ولكن تقعــــد

فــرعــان نحن في الجنــوب مقــامنــا ولنــــا بنجــــد عــــزة لا تنفــــد

وهناك فـروع من قبيلة بني بشـر دخلت في قبائل أخـرى من قبائل قحطـان فهناك فرع في قبيلة بني هـاجر القبيلة المعروفة، وقـد أشار إليهم شاعر بني هـاجر المشهور راشد ابن عفيشة الهاجري في قصيدة شعبية معروفة.

ثالثًا: بلاد بني بشر: وتقيم معظم فروع قبيلة بني بشـر في الشَّعَف المعروف باسمها (شعف بني بشـر) وهناك فـروع لهذه القبيلـة في الفـرعين وهـم آل مَكِر وآل سعيـا وآل سهيل، الذين مـر ذكرهم ضمن فـروع القبيلة، ويحددون بـلاد بني بشر فيقـولون: من سَعْيَا إلى زهـرة ويحدهـا من الشرق إخـوانهم من قبيلتي عَبِيدَةَ وشُـرَيْف ومن الغرب إخـوانهم قبـائل جنب بن سعـد في تهـامة ومـن الشمال إخـوانهم قبيلـة رُفَيْـدة ومن الجنوب إخوانهم قبيلة آل حَيَّان.

وتتصف بـلاد بني بشر بـانبساط أرضهـا، لوقـوع معظم بلادهـا في منبسط من الأرض، تقل فيهـا التضاريس، مـاعدا المجاز وجبـل الظاهـر وعين اللوي بـالإضافة إلـى اعتدال مناخهـا وتوسطها في الارتفاع عن مستـوى سطح البحر وهي تطل من الجهة الغـربية على منحدرات تهامة وأغوارها المعروفة بوفـرة الغطاء النباتي وتنوعه، وسقوط كميات من المطر على أراضيها خصوصًا الأمطار الموسمية فتلبسها ثوبًا قشيبًا من الخضرة والجمال.

وببـلاد بني بشر قـرى وأوديـة ذات تربـة خصبـة تجود بهـا زراعـة كثير من أنـواع الحبوب مثل البر (القمح) والشعيـر والذرة البيضاء والبلسن (العدس) بـالإضافة إلى زراعـة بعض الأشجار المثمـرة والخضـار، ويمكن التـوسع في الـزراعة وتنميتهـا إذا توافرت كميات من المياه اللازمة لذالك بـإقامة السدود والحواجز المائية على بعض مجاري السيول، لحجز ميـاه الأمطار عند هطولها، للاستفادة منها لـلأغراض الزراعية بدلًا من ذهابها هدرًا عبر أودية تهامة إلى البحر الأحمر غربًا دون أن يستفاد منها.

رابعًا: أعمال السكان: ويعمل معظم أفراد هذه القبيلـة في الزراعة بصفة عـامة واقتناء وتربية المواشي والأغنام في الأماكن التي تتميز بوفرة النبات بعد سقوط الأمطار الموسمية.

ولبعض أفراد قبيلة بني بشر اهتمام بمزاولة الأعمال التجارية ومنهم موظفون بالقطاعين الحكومي والخاص.

ولهذه القبيلة سوق أسبوعي قديم يعرف بسوق (سبت بني بشر) كان يقام في كل يوم سبت، ويقع في المنبسط الواقع بين كل من قرى الجهمة وقحيم وآل فرحان وآل الشتا وآل الظهر، كان يتسوقه في الماضي أفراد قبائل بني بشر وجنب بن سعد، والقبائل المجاورة ولازال هذا السوق ينتظر أن تشمله اللفتة الكريمة من صاحب السمو الملكي أمير منطقة عسير، وذالك ليأخذ دوره بين الأسواق الأسبوعية القديمة في المنطقة التي تم إعادتها، وافتتحت في المواسم الماضية، وذالك محافظة على ماضي عريق، وترسيخ حاضر ومستقبل زاهرين في رعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين وحكومتهما الرشيدة.

ويوجد في (سبت بني بشر) اليوم مركز رعاية صحية أولية، ومدرسة ثانوية للبنين، كما يوجد عدد من المدارس بمختلف المراحل الابتدائية والمتوسطة بنين وبنات منتشرة في بعض قرى بني بشر.

ويمر ببلاد بني بشر الطريق المؤدي إلى الجوة فالفرشة في تهامة قحطان، والذي سيربط المنطقة بمنطقة جيزان في المستقبل القريب إن شاء الله، ولقد قامت الحكومة أيدها الله ممثلة في كل من وزارة المواصلات ووزارة الشؤون البلدية والقروية بربط كل من قرى آل الخلف وآل عبيدية وآل حراشي وآل العقيق وآل الشتاء وآل فرحان بشبكة من الطرق المعبدة المبلطة ترتبط بالطريق الرئيس، ثم قامت بلدية السراة بتكملة الوصلات بربط بعض القرى بهذه الشبكة منها قرى الجهمة والدرب ودرامة وقرى القبل ومثاب والشبيرمة وغيرها.

أرجو أن تكون هذه الأسطر عن قبيلتي بني بشر بداية لبحث يشمل قبائل قحطان المعاصرة في جنوب المملكة ومن الله التوفيق والسداد.

أبها: علي بن عبدالهادي الجهيمي البشري

الشيخ محمد بن عبدالمحسن الخيال

(١٣١٨ - ١٤١٣هـ)

نشأته: ولد الشيخ محمد بن عبدالمحسن الخيال في مدينة المَجْمعة عام ١٣١٨هـ، ونشأ وترعرع في كنف والده المعروف بتدينه، وكان من رجال الحسبة في ذالك الوقت، وكان ذالك عاملًا مهمًّا في نشأة الشيخ محمد وتوجهه فحفظ القرآن الكريم في صغره، وأمَّ المصلين وعمرهُ لم يتجاوز الثامنة عشرة سنة وكتب الصكوك والوثائق والاتفاقات وهو في ريعان شبابه، وكان صدق مسلكه سببًا مهمًّا في اعتماد كثير من أهل مدينته عليه واللجوء إليه في تثبيت حقوقهم ووصاياهم وهو في سن لا يؤهل أمثاله لمثل تلك الأعمال.

نسبه: ينتمي الشيخ إلى عائلة كريمة، عرف كثير من أفرادها بالعلم والفضل وهي تنتمي إلى قبيلة (عنزة) وقد نزح رب الأسرة من الدرعية على أثر مقتل أميرها زيد بن وطبان، وتولى محمد بن سعود إمارة الدرعية بعد عمه زيد، وتنقل في أماكن مختلفة، حتى استقر هو وأبناؤه في المجمعة ولقب بالخيال، لأنه كان يمتطي فرسًا أثناء تجوله في البلدة.

ونسب الشيخ محمد الخيال، حسب ما هو مدون في شجرة الأسرة: (محمد بن عبدالمحسن بن عبدالعزيز بن محمد بن علي بن زيد بن وطبان بن مرخان، ومرخان والد مقرن جد الأسرة السعودية الكريمة).

دراسته: تعلم الشيخ مبادئ القراءة والكتابة على يد والده وعمه الشيخ عبدالله الذي كان آنذاك يقوم بتعليم القراءة والكتابة للمبتدئين، ثم التحق بأحد الكتاتيب الموجودة في مدينة المجمعة وكان يُعلم فيها القراءة والكتابة شخص يدعى (ابن مطر) في ذالك الوقت فدرس مبادئ التوحيد والفقه واللغة وكان سريع الاستيعاب، حاضر البديهة، ساعده حفظه للقرآن الكريم في صغره على أن يقطع شوطًا كبيرًا في مضمار التعليم بسرعة وقد قام بنسخ كثير من الكتب المخطوطة النادرة وضمها إلى

مكتبته وهو في ريعان شبابه، وكان لـه نشاط عجيب في هذا الميدان مما جعله محطًا لأنظار أقرانه من طلبة العلم.

ملازمته للشيخ العنقري: وصل الشيخ محمد الخيال بدوافعـه الذاتية إلى مستوى من التعليم أهله لحضور حلقـات الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقـري - الذي كان قاضيًـا بالمجمعة وسـدير والزلفي فجـاوز جميع سابقيـه من طلبة العلم على الشيخ العنقـري (بعد التحـاق عبـدالله بن عبدالـوهـاب بن زاحم - رحمـه الله - بالقضـاء) وحظي بتقريبه وملازمته بحيث عُرف اسم الشيخ عبدالله العنقري واسم الشيخ الخيال كـاسمين متلازمين، ومـا يصدر عن الشيـخ الخيال كأنـه صادر عن الشيخ العنقـري وذالك للثقة التي أولاهـا له والحظوة التي منحه إيـاها بعد ما لمس فيه مـن الكفاءة ما أهله لذالك وكان للشيخ الخيال - رحمه الله - حضور كامل في هذا الميدان.

أكمل الشيخ محمـد مـا سبق أن درسـه بمـلازمته للشيخ العنقـري فـدرس الفقـه والتوحيد وعلم الفرائض وعلوم القرآن والسنـة وكان يقرأ عليه أمهات الكتب والمراجع في الدين واللغـة وكان الشيخ العنقري - رحمـه الله - بحكم فقده لبصره يعتمـد عليه في ذالك، وفي عمل البحوث والردود على الفتاوى وتسجيل الأحكـام ورصد القضايا وما شـابهها، وكـان يقضي أغلب وقته مـلازمًا للشيخ في حـل مشاكل النـاس، وتلبية حاجاتهم الدينية والدنيوية، وكـان ينيبه في كثير من القضايا، ويؤم المصلين في غيابه في مسجد الإمـام فيصل بن تركي بالمجمعـة، وقد قام رحمه الله بخط حـاشية الشيخ العنقري المعروفة بيده ونسخِها وتوزيعِها على طلبة العلم إلى أن تم طبعها فيما بعد.

حلقاتـه الدراسيـة وتلاميـذه: كان الشيـخ محمد أثناء وجـوده في المجمعـة أثناء ملازمته للشيخ عبـدالله العنقري - رحمه الله - وبإجازة منه يعقـد جلسات تعليمية في مسجد المرقب، الـذي يتولى إمامته بعـد صلاة المغرب كل يوم، وفي بيتـه بعد صلاة الظهر، يُـدرس فيها الفـرائض والفقه، والحـديث والنحو والصـرف وغيرهـا من العلوم

الدينيـة والعربية، وقـد قرأ عليـه عدد كبير من طلبـة العلم ممن أصبح لهم اسم لامع فيما بعد: ومنهم الشيخ عبـدالعزيز بن صالح - رئيس محاكم المدينـة المنورة وإمام المسجـد النبوي، والشيخ حمـود بن عبدالله التـويجري صـاحب المؤلفـات الدينيـة الشهيـرة، والذي تـولى القضـاء في رَحِيْمَة والـزلفي، وشقيقـه الشيخ عبدالـرحمن بن عبدالله التـويجري والشيخ عبـدالرحمن بن عثمان الـدهش - الذي تـولى القضاء في (أقبه) - رحم الله الجميـع - والشيخ حمد بن إبـراهيم الحقيل - الذي تـولى القضاء في الخرمة وضرماء والخرج وغير هاؤلاء.

كما كان يعقد جلسات تعليميـة في أمور الدين في كل مكان انتقل إليه للعمل في القضـاء، وكانت مجـالسه في (مبـايض ونفِي والأرطـاوية) حيث عين قـاضيًا هنـاك مقصدًا للمتعلمين والمسترشـدين يعلمهم ويوجههم في أمور الديـن، وبعد نقله إلى الريـاض في آخر عام ١٣٦٠هـ كـان يعقدِ جلساتـه الدراسية بعد مغـرب كل يوم في المسجـد الذي يصلـي فيه، وكـان يـؤم هـذه الحلقات كثيـر من المنتفعين من طلبـة العلم، يقرأون عليه ويفسـر لهم ما يشكل عليهم في مسائل الفقـه والتوحيد ومصطلح الحديث والفرائض وغيرها من العلوم الدينية والعربية.

وقد بقي على هـذا المنوال بعـد انتقاله إلـى المدينة المنـورة حيث كانت لـه حلقات تعليمية في المسجد النبوي، بالإضافة إلى قيـامه بالتدريس في القسم العالي في مدرسة دار العلوم الشـرعية، ومساهمتـه في التعليم المنهجي بوضع أسئلته وتصحيحهـا لطلاب الشهادات لكافة مواد العلوم الدينية بمـدارس المدينة المنورة آنذاك، واستمر في استقبال طلبة العلم حينما نقل لقضاء الأحسـاء، كان يؤم منزله عدد من طلبـة العلم يدرسون عليه في شتى العلوم الدينيـة والعربية ومنهم: ابن أخيه فضيلـة الشيخ عبدالمحسن بن عبدالله الخيـال - رئيس محـاكم جـدة الآن، والشيخ عبدالـرحمن بن عبـدالله الخيـال - رئيس محـاكم جـازان المتقاعـد والسيـد أحمد بـن محمد الهـاشم، والشيخ عبـداللطيف ابن الشيخ عبدالعزيز العكاس، والشيخ سعد بن حجرف البواردي وغيرهم.

أعماله وتنقلاته: بدأ الشيخ محمد - رحمه الله - أعمالـه قاضيًا من عام ١٣٤٧هـ في هجرة (مُبَايض والأرطاوية ونَفِي) بتعيين مـن الملك عبدالعزيز وترشيح من الشيخ العنقري - رحمهمـا الله - وكان هذه الهجرة آنـذاك بؤرة للمشاكل التي عاصـرت فترة التأسيس، ممـا يـدل على أن اختيـاره كـان نتيجـة لمعرفـة تـامـة بقـدراتـه على حل المشكلات وإذابة الجليـد المتراكم في عواطف (الإخوان) كما قـام بجهود كبيرة في وعظهم، وحثهم على التبصر بـالأمور، ونبـذ الفرقة والالتفـاف حول إمـامهم، حسبما يأمر بـه الدين الحنيف، وقـد عاني في ذالـك كثيرًا حتى تمكن من استقطـاب الكثير منهم، وبعد ذالك طلب الإعفـاء من القضاء والعودة إلى بلـدته المجمعة، وقـد أعفاه الملك عبدالعزيز بعد خطابات متكررة وتأكيدات بضرورة بقائه.

وفي نفس العـام الـذي تم فيـه إعفـاء الشيخ العنقـري - رحمـه الله - من قضـاء المجمعة وسُدَيـر لكبر سنه، وذالك في أواخـر عام ١٣٦٠هـ أمر الملك عبـدالعزيز- رحمـه الله- الشيخ محمـــدًا بـالتـوجـه إلـى الـريـاض وعينـه مع الشيـخ عبـدالله بن عبدالـوهاب بن زاحم قاضيًـا في الريـاض، وبقي فيها إلى آخر عـام ١٣٦٣هـ حيث صدر أمـر الملك عبدالعـزيز - رحمـه الله - بتعيينهما والشيخ عبـدالعزيز بـن صالح قضاة فـي المدينة المنـورة، وقد بـاشروا العمل جميعًـا وفي وقت واحد، وقـد بقي في المـدينة رئيسًـا للمحكمة المستعجلـة حتى عام ١٣٧٤هـ حيث أمر الملك سعـود بنقلـه لرئاسـة محـاكم منطقـة الأحساء فبـاشـر العمل بها واستمـر بهـا إلى أن أحيل للتقاعد بناءً على طلبه وإلحاحه في ١/ ٨/ ١٣٨١هـ.

إجازاتـه العلمية: إجازةُ الشيخ عبـدالله بن عبدالعزيـز العنقري بالقضـاء والإفتاء، وكان ذالك في ١٤ رمضـان ١٣٧١هـ كما أجازه الشيخ أحمـد بن مصطفى البساطي في الحديث والرواية بتاريخ ١/ ٧/ ١٣٦٦هـ.

صفاتـه: كـان رحمه الله هـادئ الطبع، لين الجانب، تطمئن إليـه النفس وترتـاح،

يشعر الجالس بجانبه بمشاعر ممزوجة بالطمأنينة والحب والوفاء، وكان جلي الفكرة عندما يتحدث عن موضوع ما، عميقًا في إجابته عن كل سؤال يوجه إليه، تجد عنده الغاية والنتيجة في كلمات يسيرة، وعندما يحدثك عن التاريخ وبالأخص تاريخ تأسيس المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز تشعر كأنه مستوعب لجميع الأحداث التي واكبت هذه الحقبة من التاريخ، وأنه ساهم بقدر كبير مع من ساهموا في تذليل العقبات والصعاب، وتهدئة الحاقدين والمناوئين وتذويب صلابتهم وتصميمهم، ويبدو أن هذا راجع لخصائص طبعه المتمثل في لين الجانب، والإفصاح عن الغاية بأسلوب واضح ومقبول، ومن صفاته التي جبل عليها النظام والترتيب والتحكم في الوقت.

كان رحمه الله محبوبًا متواضعًا، لا يؤثر فيه المديح، ولا يحب المظاهر الخداعة، ويكره التعلق بالسلطة من أجل إظهار قيمة غير قيمته، وقدْر ليس له، ويعيش حقيقته مجردًا عن كل ماعداها، زاهدًا في ترف الدنيا، مخلصًا لعمله، محبًّا لولاة الأمور، ويتحدث دائمًا عن أعمالهم وخدماتهم للوطن والمواطنين في جميع مجالسه المعتادة.

سفراته خارج المملكة: العمل في قطر: بحكم عمله في منطقة الأحساء وقربها من دولة قطر، وما اشتهر به الشيخ بين الناس هناك من قدرة علمية - ودماثة خلقية وعدالة في الحكم بين الخصوم وبتقدير منها له فقد طلب أميرها آنذاك الشيخ علي ابن ثاني من الملك سعود - رحمهما الله - تعيين الشيخ محمد مميزًا لأحكام قضاة قطر، فوافق على ذالك وطلب منه التوجه إلى هناك فباشر عمله في قطر، وبقي فيها فترة كان أثناءها محل تقدير أميرها وولاة الأمور، وكان يؤم المصلين في الجامع الكبير كل يوم جمعة، إلا أن المقام لم يطل به هناك لإحساسه بصعوبة الغربة فطلب الإعفاء والرجوع إلى المملكة واستقر في الأحساء فترة وانتقل بعدها إلى الرياض.

وبالإضـافة إلى عملـه في قطر فقـد زار كلًّا من البحـرين وسوريـة والأردن ومصر للعلاج عام ١٣٨٦هـ وكذالك لبنان وبريطـانيا حيث عولجت إحدى عينيه هناك عام ١٣٩١هـ وكان يحرص خلالها على زيارة المكتبات العامة للاطلاع على محتوياتها.

كما زار القدس، وصلى في المسجد الأقصى قبل أن يـدنسه الاحتلال الاسرائيلي عـام ١٣٧٨هـ ولـه صـداقـات عديـدة مع كثيـر من العلمـاء المسلمين، والمهتمين بالدراسـات الإسلامية، ويزورونه عنـد مجيئهم للمملكة. فمنهم على سبيل المثال لا الحصـر الشيخ أحمد شـاكـر والشيخ حامـد الفقي - رحمهمـا الله - رئيس جماعـة أنصار السنة المحمدية في مصر وغيرهم.

الخاتمة: قضى فضيلة الشيخ مـدة مديدة من عمـره مقيمًا في مسكنـه الواقع في ظهـرة (عُلَيشة) بمـدينة الـرياض، وصـرف جل وقته في تنميـة مكتبته الكبيـرة، والتي ضمت مـراجع دينية ولغويـة وكتب خطيـة نادرة، وجعل أبـوابهـا مفتـوحة، مقصـدًا للمستفيـدين من طلبة العلم، وكـان يجلس فيهـا بعد عصـر كل يـوم، ويقصده كثيـر منهم للقراءة عليـه في الفقه والحديث والنحو والفـرائض، وكان يزوره فيها عـدد كبير من الشخصيات البارزة والمقرين له بـالفضل والعلم، وقد وضع مكتبته تحت تصرف الباحثين فـي الدراسات العليـا، واستفاد منهـا كثير منهم، وكـان - رحمه الله - ملجأ لكثيـر من البـاحثين وطلبـة العلم، يجيب على استفسـاراتهم، ويبين لهم مـا غمض عليهم من مسائل وقضايا علميـة ودينية ولغوية. كما كان - رحمـه الله - له اسهامات في التعليق على بعض الكتب، وخصوصًا كتب الفقـه على مذهب الإمـام أحمد بن حنبل - رحمه الله - وله كذالك تحقيق لبعض المؤلفات.

وفاته: توفي رحمه الله في يـوم ٩/ ٩/ ١٤١٣هـ في مدينة الريـاض وقد صُلِّي عليه في مسجـد الراجحي وحضـر الصـلاة عليه جمع غفيـر، وعـدد من العلماء العـارفين بفضله وعلمه، رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته.

الرياض: عبدالعزيز بن محمد الخيال

* «فرائد الخرائد في الأمثال»:

مما يحمد للنوادي الأدبية اتجاه بعضها للعناية بالتراث العربي، إما بالدراسة، وإما بالنشر، فحياة الأمة تتوقف على صلتها بذالك التراث صلةَ استفادةٍ وانتفاع في جميع مضامير الحياة، وهذا الأمر مما يدرك بداهة.

ومما يشكر لنادي المنطقة الشرقية الأدبي في هذا المقام نشره لدراسة عن قبيلة عبدالقيس للأستاذ عبدالرحمن بن يوسف آل مبارك، تلك القبيلة التي كانت منتشرة في شرقي المملكة على ساحل الخليج، فيما بين عُمَان والبصرة.

وقيامه أخيرًا بنشر كتاب «فرائد الخرائد في الأمثال» تأليف يوسف بن طاهر الخُوَيِّي الذي قال عنه ياقوت في «معجم البلدان»: الأديب أبو يعقوب من أهل خُوَيٍّ، أديب فاضل، وفقيه بارع، حسن السيرة، رقيق الطبع، مليح الشعر مستحسن النظم، كتب لأبي سعد الإجازة، وقد كان سكن نوقان إحدى قصبتي طوس وولي نيابة القضاء بها وحُمِدَتْ سيرتُه في ذالك، وله تصانيف، من جملتها رسالة «تنزيه القرآن الشريف عن وصمة اللحن والتحريف» وقال أبو سعد: وظني أنه قتل في وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ أو قبلها بيسير. انتهى.

وهو من مشايخ أبي سعد السمعاني فقد ذكره في كتابه «الأنساب» وقال عنه: سكن طوس وكان حسن السيرة فاضلًا كتبت عنه أقطاعًا من شعره بنوقان، وكان ينوب عن القاضي. انتهى.

وخُوَيٌّ البلدة التي ينسب إليها من أعمال أَذْرِبِيْجَان وصفها الحمويُّ بقوله: (حصن كثير الخير والفواكه) وذكر بعض المنسوبين إلى هذا الموضع.

أما نوقان التي هي إحدى قصبتي طُوس فقد قال عنها ياقوت أيضًا: (أنها ولاية لها مدينتان إحداهما طابران والأخرى نوقان، وقد خرج منها خلق من العلماء).

ولتحديد هذه المواضع بصفة مفصلة يحسن الرجوع إلى كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» تأليف (لسترنج) وتعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد - ط. بغداد سنة ١٣٧٣هـ ص ٤٣٠ وما بعدها.

والخُوَيِّي هذا كان ممن تلقى العلم عن الميداني أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٥١٨) مؤلف كتاب «مجمع الأمثال» ولهذا تصدَّى لاختصاره بكتاب «فرائد الخرائد»

الـذي قـال في مقـدمتـه: (فن الأمثـال السـائرة، ويستصحب مـواقف النقل ومـدارك العقل... والسلف - رحمهم الله - قد صنفوا فيها كتبًا جمَّـة الفوائد، غزيرة العوائد، وقد وُفِّقَ الإمـام الشهيد، أستـاذي وإمامي أبـو الفضل أحمد بن محمـد الميداني - رحمـه الله- لنظم عِقْدِهـا وجمع شملها في كتاب «مجمع الأمثـال» وهو البحر الزاخـر بفرائد الأَداب، غير أن أكثر ما طول به الكتـاب مما أُهْمِلَ من الأمثال، والألفاظ التي لا تجري مجراهـا للاستعمال، وبعض ما قَصَّ مـن أخبار أولئك الأَجْلَاف المجاهيل، ومـا جرى بينهم من الأبـاطيـل، لا يحل (؟) المحصل منهـا بطـائل، ولا ينطـوي من جلهـا على حـاصل، كيف وقد فتـرت الرغبـات وقصـرت الهمات) إلى أن قـال: (ولهذه الأسبـاب طلبتْ طائفةٌ من المستفيدين إِلَيَّ، وألحـوا عليَّ في تأليف كتاب في الأمثال وسيط، لا إكثار فَيُمَلُّ، ولا إيجاز فَيُخِلُّ فالمقصود المهم، فاستخرت الله في الانتداب لما سألوا).

ثم استرسل في الثناء على مُـؤلَّفه الذي هو مختصر لكتـاب «الأمثال»، ورتبه على الحروف مبتدئًا في كل حرف بالأمثال السائرة أيًّا كان مصدرها.

ثم يتبع ذالك بنبذ من الحكم في المـواعظ والسياسة ومكارم الأخـلاق، فالأبيات السـائرة فأمثال المـولـدين، وهكذا في كل بـاب من أبـواب الكتاب المشتملـة على جميع الحروف، مختومة بالباب الثلاثين في المواعظ والحكم، وبه ينتهي الكتاب.

وقد قام الأستاذ الدكتور عبدالـرزاق الحاج عبدالرحيم حسين بتحقيق هذا الكتاب، وهـو ممن عانى هـذا الأمر، وتمـرَّس به، فقـد أشار في مقـدمته إلى شغفـه بالأمثـال، وتعلقه بها في رحلته عن كنوز اللغـة، وقد سبق أن حقق كتاب «الأمثال والحكم» لأبي بكـر الـرازي صـاحب «مختـار الصحـاح» ونشر الكتـاب سنـة ١٤٠٦هـ، كمـا قـام بـاستخلاص الأمثـال من شعـر علقمـة الفحل، ومن شعر ابن سنـان الخفـاجي ومن كتـاب «الشعـور بـالعـور» للصفـدي، ومـن كتـاب «المنتخب والمختـار في النـوادر والأشعار» لابن منظـور، وَوَجَدَ في هذه الكتب التي حققهـا ما يقوِّي رغبته، ويـزيد من شغفه بهـذا الفن. ومن هنا اتجـه لتحقيق كتاب «فـرائد الخرائد» ونقل في وصفـه: أنه كتاب عزيز المنال، قليل المثال، جامع نـافع ليس له نظير في الأمثال. وبصرف النظر عن هـذا الـوصف الفضفـاض الـواسع، إلا أن الكتـابَ - والحقُّ يقـالَ - مفيـد في موضـوعه، ويبدو أن مؤلفـه الخوبي تأثر بأفكـار سائدةٍ في عهده تجعل نظرتـه إلى ما أورده الميـداني في «مجمع الأمثـال» مما يتعلق بأخبـار العـرب القـديمة، وقصصهـا وأيامهـا تأثرًا بَدَا واضحًا في وصفـه بشيء من عدم الارتياح، إذ قـال: (وبعض ما قص

من أخبار أولئك الأَجلاف المجاهيل، وما جرى منهم من الأباطيل) إلى أخر ما ذكر مما يصدق عليه قول القائل:

وعَيَّرَني الواشون أَنِّي أُحِبُّها   وتلك (هَنَاتٌ) عازبٌ عنك عارُهَا

فالميداني - رحمه الله - قد حفظ في كتابه طائفة من الأخبار، والقصص والأشعار، التي تعد أصولًا وقواعد لكثير من الأمثال العربية، مما ترتكز عليه حياة العرب، قديمها وحديثها.

ومع ما تقدم فكتاب «فرائد الخرائد» يُعَدُّ من المصادر الأولى التي حوت من الأمثال العربية والحكم والأشعار ما غَزُرَتْ فائدته، وإن كان جُلُّ ما في الكتاب إن لم يكن كله منقولًا من كتاب الميداني، ولعل وَصْفَ مؤلفه من أن الرغبات قَلَّتْ، والهمم ضعفت من الحوافز التي تدفع بعض الباحثين إلى الاجتزاء بالقليل عن الكثير، وبالاستغناء بهذا الكتاب عن أصله.

بقيت كلمة حول طريقة النشر والتحقيق: الدكتور الفاضل الذي حقق هذا الكتاب قد عانى ما عانى فيما نشر من مؤلفات، أشار إليها في المقدمة، ولهذا جاء عمله في تحقيق هذا الكتاب مفيدًا، إلَّا أن كثيرًا من القراء كانوا بحاجة إلى أن يكون التحقيق ليس مقتصرًا على ذكر مصادر المثل مادام الكتاب مختصرًا من «مجمع الأمثال» فرواج أصله واتجاه الدراسات له يغني عن كثرة الإحالة إليه خاصة، وأن المؤلف ذكر أنه مختصر لذالك الكتاب.

ولقد عرض أمثالًا بصورة تعتري كثيرًا من الباحثين الحيرةُ في فهم معانيها، وكان من الممكن إيضاحها ببيان بعض مفرداتها اللغوية.

وأمر آخر: قد يقال بأنه لا يَدَ للمحقق فيه وهو كثرة التطبيع، كثرة تخل بالمعاني في الجمل وفي المفردات. وقد أشير إلى شيء مما تقدم - أو غيري - في كلمة أخرى، وهذا لا يمنع من توجيه الشكر والاعتراف بالفضل للمحقق الكريم، الدكتور عبدالرزاق الحاج عبدالرحيم حسين في إبراز هذا الأثر النفيس من تراثنا النافع، ثم لنادي المنطقة الشرقية الأدبي الذي تصدَّى لنشره، وقَلَّ أن نجد بين نوادينا من يتصدَّى لنشر كتاب مثله، وقد وقع في (٦٨٤) من الصفحات بمقدمة موجزة من المحقق تحدث عن قيمة الكتاب، وعن اتجاهه لتحقيقه، وعن وصفه النسخ التي عول عليها في النشر، وختمه بفهارس مفصلة، والطباعة حسنة من حيث الورق والحروف، إلَّا أن توضيب الصفحات كان بحاجة إلى عناية أكثر، ولو تم ذالك لقلت صفحات الكتاب.

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العنوان
حي الورود - شارع عبدالله السهمي هاتف ٤٦٢١١٢٣
ص. ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥، ٦ س ٣٣ - ذوا القعدة والحجة، سنة ١٤١٨هـ - آذار، نيسان (مارس، ابريل) سنة ١٩٩٨م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(١٩)

دَارَةُ تِيَل: (دَارَةُ بِتِيْل)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (دَارَةُ تِيْل: ذكرت في تِيْل. وقال في رسم (تِيْل) بِكَسر أوله ويُفْتَحُ، وثانيه ساكنٌ، ولام: جبل أحمر شاهق، من وراء تُرْبَةَ من ديار عامر ابن صعصعة، وإليه تنسب دارة تِيل، قال ابن مقبل:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِجَانِبِ الأَخْفَارِ فَبِتِيْل دَمْخ أَوْ بِسَفْح جُرَارِ)

تَقَدَّم الكلام على هذا في حرف التاء، وأن الصواب (بِتِيْل) وهو بِتِيْل دَمخٍ جبلٌ يُنَاوِحُ دَمْخًا سبق تحديده.

دَارَةُ سَعْر: (دَارَة شِعْر)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (دارة سَعْرٍ: وقيل سِعر بالكسر، قال ابن دريد: دارات الحمى ثلاثٌ: دَارَة عَوَارِم، ودَارَة وَاسِطٍ، وقد ذُكِرَتَا، ودارة سعر، وهي لبني وَقَّاص مِنْ بني أبي بكر، بها الشُّطُوْنُ بئرٌ زواره، يستقى منها بشَطَنَيْن أي بحبلين).

صواب (سَعْر) هنا (شِعْرٌ) بالشين المعجمة بعدها عين مهملة، ثم راء، ويُنْطَقُ الآنَ بكسر الشين، وهو جبل أسود كبير، يقع فيما كان يعرف قديمًا باسم (وَضَحِ الحِمَى) - حِمَى ضَرِيَّةَ في جنوبه، يَمُرُّ به طريقُ المُتَّجِهِ إلى الحجاز القديم، من ضَرِيَّة إلى عَفِيْفٍ قبل وصول بلدة عَفِيْف، وفي جنوبه منهلٌ يعرف الآن باسم (الأَشْعَرِيَّة) وقد تأسست فيه هِجْرَةٌ حديثةٌ لِفَخِذٍ من عُتَيْبَة، وتقع شمال بَلْدَة عَفِيف بِنَحْو خَمْسِيْنَ كِيْلًا (ويقع شِعْرُ بقرب خط الطول: ٠٠َ/ ٤٣ْ وخط العرض: ٢٣َ/ ٢٤ْ).

أمـا المنهل المعـروف بـاسم الأَشْعَـرِيَّـة (فبقـرب خط الطـول: ٠١َ / ٤٣ْ وخط العرض: ٢١َ / ٢٤ْ).

ويظهـر أن منهلَ الأَشْعَرِيَّـة هـو الذي كـان يعـرف باسم الشُّطُـوْن، والَّـذِي قال عنـه الهَجَرِيُّ في كلامه على بلاد بني أبي بكر بن كلاب: ولهم مَاءَان: الشُّطُوْنُ وحَفِيْرَة خَالِد.

وقد ذكـر ياقوت في «المعجم» نقلًا عن العَـامِرِي: أَسْفَلُ ماءٍ لبني بكـر بن كلاب مما يلي إخْوتَهَا بني جعفر الشطُونُ، وهو في جبل يقال له شِعْر.

أمـا دَارَة شِعْـر هـذه، فهي أرض واسعـة تقع فيمـا بيـن جبل شعـر وجُبَيْـلَاتِ (مُصَـوْدَعَة) تكتنفهـا الجِبَـال والبِـرَقُ وهي في الشمـال الغربي من منهـل الأَشْعَرِيَّـة وتسمى (دارة مصودعـة) والبعض يسميها (مَحَـامَةُ الخيل) ولـذالك قصة أشـار إليها الأستاذ سعد بن جنيدل في (قسم عالية نجد) من «المعجم الجغرافي».

أما مُصَوْدَعَةُ: فَجُبَيْلَاتٌ متصلٌ بعضها ببعض تتخللها طرق ومسالك.

دِجلَة: (رِجلَة)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (دِجْلة موضع في ديـار العرب بالبادية، قال يَزِيدُ ابن الطَّثْرِيَّة:

خَـلَا الفَيْـضُ مِمَّن حَلَّـهُ فَـالْخَمَـائِلُ　　　فَـدِجْلَـةُ ذِي الأَرْطَى فَقَـرْنُ الهـوامِل)

يبدو أن صـواب (دِجْلَة) (رِجْلَة) وَرِجْلَة: معنـاها شعبة الـوادي ذِي الأَرْطَى ويدل على هذا أنها مضافة إلى ذِي الأَرْطَى في النَّصِّ الذي أورده ياقوت.

وهناك مواضع تسمـى باسم (رِجْلَة) ذكر بعضها البكـري في «معجم ما استعجم» وقـال فيما نقل عن أبي حـاتم: أصل الـرِّجْلَةِ شعبـةٌ من مسيل المـاء، والجمع رِجَلٌ، وقال أبو حَنِيفة: الرِّجْلَةُ مِسِيلٌ يُنْبِتُ البَقْلَ.

دَحنى: (دَجنَى)

قال البكـري في «معجم ما استعجم»: دَحْنَى بفتح أوله، وإسكـان ثانيه بعـده نون مفتوحة وياء على وزن فَعْلَى: موضع بِسِيْف البَحْر، قال ربيعة بن جَحْدَر الهُذَلِيُّ:

فَلَـوْ رَجُـلًا خَـادَعْتُـه لخَـدَعْتُـه　　　ولكنَّمـا حُـوتًـا بـدَحْنَى أُقَـامِسُ

وأنشد الأصمعي:

وصـــاحـبٍ لي بِـدَخْنَى أيّمــا رَجُلٍ ... أنّـى قُتِلتَ وأنـتَ الفَـــارِسُ البَطَـلُ

وذكـر ابن اسحاق: أن النبي ﷺ لمـا انصرف من الطـائف سلك على دَخْنَى حتَّى نزل الجِعْرَانَـة، هكذا وقع في كتاب السِّير بـالنون، وكذالك ذكره الطبـري وليس هناك سيف، وأنـا أراه أراد: سلك على دَحْي المتقـدم ذكـره، ولولا أنَّـه غيـر محـدَّدٍ عندَنـا لارتَفَعَ الِارتياب. انتهى.

وجاء في «معجم البلدان»: دَحْنَـا - بفتح أوله وسكون ثانيه ونون، وألفـه يروى فيها القصر والمـد، وهي أرضٌ خَلَقَ الله تعالى منهـا آدم، قال ابن اسحاق: ثم خـرج رسول الله ﷺ، حين انصرف عن الطائف إلى دحنا حتى نـزل الجِعْرَانَة فيمن معه من الناس، فقسم الفيْءَ، واعتمر، ثم رجع إلى المـدينة، وهي من مخاليف الطـائف، والدَّحِنُ في اللغـة، السمين العظيم البطن، ودَحْنَا: مـؤنثة. انتهى كـلام العالمين الجليلين الـذي يفهم منه أن ما ورد في النصوص عن هذا الاسم ينطبق على موضع واحد، ولكنني أراه يُقْصَدُ به موضعَان:

أولهما: دَحْنَا - بـالحاء المهملة - وهي التي أورد ياقـوت أنها أرضٌ خَلَقَ الله منها آدم، ففي «تاريخ ابن جرير» - ١/ ١٣٥ - قولـه: وقيل: إنه أَخَذَ ذريَّةَ آدم عليه السلام من ظهره بِدَحْنَا، وأورد بسنده إلى ابـن عباس في قوله تعالى: ﴿وإذْ أَخَذَ ربُّكَ من بَنِي آدَمِ مِن ظُهُوْرِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهـره بِدَحْنَا، فأخرج من ظهره كلَّ نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: فيـرون يومئـذ، جَفَّ القلم بمـا هو كـائن إلى يوم القيـامـة، ومثل هذا في «تفسيـر ابن جرير» لهذه الآية الكريمة.

وجاء في كتـاب «أخبار مكة» للفاكهي: (دَجْنَـاءان قريب الطائف إحـداهما على مَحَجَّـة الطـائف وهي السُّفْلَى، والعليـا مـرتفعـة عـن يمين الـذاهب، معـارضـة في المغرب، بينهمـا أميال، وَدَجْنَاءُ هذه طَيِّبَـةٌ، مَوْضِعُهَا عَذِيٌّ، طَيِّبُ الهـواءِ، ويقال: إن الله تبارك وتعالى مسح ظهر آدم عليه السلام بدجنـاء، حدثنا محمد بن أبي عمر وغيره قالوا: حدثنا سفيان عن عطـاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم مـن ظهورهم ذريتهم﴾ قـال: مسح ظهـره بِدَجْنـاء،

وقالوا: بل مسح ظهره بِنَعْمَان وساق السند ثم قال: وفيما هنالك موضع يقال له عَلْيٌ، ماء كثير، وفيه شَعْبٌ يُؤتَى منه ومما نَاحَاهُ بحصباءِ المسجد الحرام) انتهى.

ولايزال يوجد موضع يطلق عليه هذا الاسم (دَحْنا) بالحاء المهملة بمنطقة الطَّائف، وهي أرضٌ مررت بها في رابع شهر المحرم سنة ١٣٦٣هـ أنا والأخوان الكريمان الأستاذ محمد سعيد كمال - رحمه الله - والشريف محمد بن منصور، اللذان حين علما برغبتي في الذهاب إلى ذالك الموضع أكرماني بالمرافقة، وتحدثت عن ذالك في «العرب» - س ٢٣ ص ٨٠٤ وما بعدها-: (ذهبنا إلى موقع دَحْنَا الذي لا يزال معروفاً بهذا الاسم، وبعدَ مسيرة تقرب من ٢٥ كيلًا من مدينة الطائف بالاتجاه شمالًا غربيًّا، نحو قَرْنِ المنازل، وبعد أن اجتزنا مِنْطَقَة الْحَوِيَّةِ مررنا بأرض مرتفعة، خَشِنة تدعى حُزَيْم فَوَّاز، ثم انحدرنا منها إلى أرض منبسطة مستوية، تُحَدُّ جنوبًا بقرية (رِحَاب) وشرقًا بشمال قرية (رَيِّحة)، وغربًا بـ (وادي قَرْنٍ) أعلى (وادي قَرْن المنازل)، وتمتد هذه الأرض نحو خمسة أكيال طولًا، أما عرضها فيقرب من ثلاثة أكيال، وهذه الأرض يطلق عليها السكان اسم (دَحْنَا) وفيها آثار سكن، وعمران قديم، وفيها عمران حديث للأشراف ذوي ناصر.

وتدل الآثار الباقية في (دَحْنَا) على انتشار العمران فيها، مما يؤيد قول ياقوت في «معجم البلدان» بأنها من مخاليف الطائف، وعلى هذا فيظهر أنَّ مُسَمَّى (دحنا) يشمل ما يطلق عليه الآن اسم (رحاب) و (رَيِّحة) وما بين هذين الموضعين، وأن بقايا العمران في هذه الجهات من بقايا مخلاف (دحنا) الذي ذكره ياقوت.

وقد حدثنا الشريف طايل بن محسن بن هزاع من آل ناصر بأن في أرض (دحنا) آثارَ سَدَّيْنِ واضحين، وبركة قديمة، وآثار عين، غار ماؤُها، وروى من الأشعار المنسوبة إلى بني هلال قول أحدهم:

شَدَّانَا ولا ابقانَا وَرَانَا حَسَايِفْ … غير عَسْلِجِيَّاتٍ دُقَاقٍ طحِينها[1]
ولا ينسىَ حَزْمَ الْقَمَاعْ وبَرْدِهْ … وضَيْفٍ على عِشْرَ اللَّيالِي وَلِيْنْهَا[2]
ولا تِنْسىَ (دحَنَا) وسِدَّانْها الْعِلَى … وحَضْرٍ علَى شِرَّانْها نازِلِينْهَا[3]

أما الموضع الثاني الذي ورد ذكره في خبر انصراف الرسول ﷺ من الطائف فقد ذكر في كتب في السيرة ومنها ما في «تاريخ ابن جرير» - ج ٣ ص ٨٦ -: عن ابن إسحاق قال: ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف على (دَحْنَا) حتى نزل الجِعْرَانَة بمن معه من المسلمين، وكان قدم سَبْيَ هوازن حين سار من الطائف إلى الجِعْرَانة، فَحُبِسَ بها، ثم أتته وفود هوازن بالجعرانة. انتهى - كذا ورد الاسم (دَحْنا) بالحاء المهملة.

وأرى المقصود به (دجْنى) بالجيم، وهي ثنية كانت عقبةً مسلوكة، وسماها أحد علماء مكة وهو محمد بن علي الشيبي(٨٧٩/ ٩٣٧هـ): تُجْنَى في قوله:

رأى صاحبي أثمارَ وَجّ فقال لي: ترى هذه الأثمار تُلْقَطُ أو تُجْنَى؟
فقلت له: كُلْهَا هِنِيْئًا فإنَّما أطَايبُهَا تُجْنَى وتَأْتِيك من (تجنى)

وفي كتاب «إهداء اللطائف من تاريخ الطائف» للعُجَيْمِي - ص ٥٣ - (قال المرجاني: وهي اسم عقبة دَجْنَا بالجيم ويروى بالمهملة، واليوم تُعْرَفُ بِتَجْنَا بالتاء المثناة من فوق والجيم، سلكتُها في آخر شهر ربيع سنة أربع وخمسين وسبع مئة، وتحتها من جهة مكة وادي الطود، ويقال له وادي الطاد وهو أول بلاد بني رِيْشَة انتهى.

والمرجانِيُّ أكَّد في نصِّه هذا أنه سلكها بنفسه، وأنها تُعْرَفُ بِتُجْنَى، وأنها تنزل على بلاد بني ريشة، وبنو ريشة من هذيل، وهم لايزالون في تلك الناحية حتى الآن.

إذَنْ هناك موضعان، أحدهما (دَحْنَا) بالحاء المهملة، وهو في منطقة الطائف أرض واسعة، كانت معمورة، ولا تزال.

والموضع الثاني (دَجْنَا) بالجيم وهي الثنية (العقبة) التي في طريق الطائف إلى مكة.

وكلام المتقدمين فيه خَلْطٌ بين الموضعين.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي

(١) شَدَّانَا: شَدَّيْنَا أي ارتحلنا. أبقانا: أبقينا. حسايف: أشياء يؤسفنا فقدها.

(٢) عسلجيات: رُحيّ جمع رَحيّ.

(٣) القماع: القُمَيْع تصغير قمع وهو جبيل صغير بارز، ويقال: بأن الأرض التي حوله من أشَدِّ البقاع بردًا.

(٤) تِنِّسي: تُنسى. سِدَّانها: سُدُودُها.

الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به

(١٧)

■ **المبحث الثالث عشر: جبل صويفة (جبل أبو عشاش):**

صويفة: تصغير (صيفة)، وهو جبل يقع عند الرأس الغربي لجبل (صيفة).

وصيفة وصويفة جبلان متجاوران يفصل بينهما شعب يسيل من الجنوب إلى الشمال حتى يصب في وادي عرنة.

ويحدّ (صويفة) من الجنوب: فوهة شرفة صيفة. **ومن الغرب:** فجّ مبعّر.

ومن الشرق والشمال: الشعب الفاصل بينه وبين جبل صيفة.

وهو أصغر من جبل (صيفة) بكثير، فذاك جبل مرتفع، يقابل جبل كساب من الشمال، وسوف يأتي التعريف به في المبحث القادم.

انتقل الحدّ إلى جبل (صويفة) من الحافة الجنوبية الشرقية لجبلِ المظالف وفق ما أشار إليه آخر أعلام جبل (المظالف)، وهو العلم المستطيل الذي يتجه شرقًا.

وقبل أن يصل الحدّ إلى جبل (صويفة) بالذات، فإنه يمرّ قبله على قرن صغير، منفصل عن جبل صويفة، ويقع عند الرأس الغربي، ويقابل تمامًا الحافة الجنوبية الشرقية لجبل المظالف.

وهذا القرن المنفرد ليس بالمرتفع، وبينه وبين جبل المظالف أقواز من الرمل، ومسيل شعب آتٍ من كساب، والمسافة بينه وبين جبل المظالف سبع مئة متر (٧٠٠م) لم أجد عليها أثرًا للأعلام.

وهذا القرن نُلحقه بجبل (صويفة) على المجاز، لأنه قرن منفرد، ويقع عند رأسه الغربي، وأعلام جبل صويفة سبعة، وهي كالآتي:

العلم الأول: يقع على القرن السابق ذكره، وهو رضم متوسط متهدم، وهذا العلم يُعَدُّ الرابط بين أعلام جبل المظالف وبين أعلام (جبل صويفة)، كما أنني وجدتُ أن بعض صخوره قد طُلِيَتْ بمادّة بيضاء.

ولم يتّضح الجهة التي قامت بذالك رغم السؤال والبحث عن ذالك.

العلم الثاني: يقع على الضلع الجنوبي الغربي لجبل (صويفة)، وهو الضلع المقابل للقرن السابق الذكر، وهو رضم كبير قديم ومتهدم، ويبعد عن علم القرن السابق خمسين ومئة متر (١٥٠ م) شرقًا عدلًا.

العلم الثالث: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠م) شرقًا عدلًا، ويقوم على نفس الضلع السابق، وهو رضم كبير متهدم.

العلم الرابع: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) شرقًا عدلًا، ويقوم على القمّة الجنوبية لجبل صويفة، وهذه القمة تشرف على شرفة صيفة من الشمال، كما أن هذه القمة تشرف على القرن الذي يقوم عليه العلم الأول، وتشرف على جبل المظالف أيضًا.

والعلم الذي يقوم على هذه القمة رضم كبير قطره متران (٢ م)، وبعض جوانبه لازالت قائمة، وقد رَضم بعضهم في وسطه رضمًا حديثًا مرتفعًا، وكان من المتصوَّر أن يستمر سير الحدّ بعد هذا العلم شرقًا. نحو ريع فاصل بين جبل (صويفة) وبين صيفة من حافتيهما الجنوبيّتَيْنِ، وهكذا توقعتُ أول الأمر، لكن بعد تفتيش هذه المنطقة والصعود إلى جبل (صيفة) من هذه الجهة المشرفة على شرفة صيفة، لم أجد هناك أي أثر للأعلام، فعدتُ مفتشًا عن الأعلام على جبل (صويفة) نفسه، فتبيّن لي أنه بعد العلم السابق يتجه الحدّ شمالًا بدلًا من اتجاهه نحو الشرق.

العلم الخامس: يبعد عن العلم السابق ثلاث مئة متر (٣٠٠ م) شمالًا، مع ميل نحو الشرق قليلًا، ويقوم على ظهر جبل صويفة، وهو علم كبير، قطره ثلاثة أمتار (٣م)، وبعض جوانبه لازالت قائمة، وبعضها متهدم، وهذا العلم يشرف على الشعب الفاصل بين هذا الجبل وجبل (صيفة).

العلم السادس: يبعد عن سابقه مئتي متر (٢٠٠ م) شمالًا مع مَيل نحو الغرب، وهو رضم كبير متهدم، يقوم على القمة الشمالية لهذا الجبل، وموضع هذا العلم يسامت الحافة الشمالية لجبل المظالف، ومن هذه القمة تشرف أيضًا على (ريع مهجرة).

العلم السابع: متصل بالعلم السادس، وهو رضم مستطيل يتجه شمالاً نحو نهاية هذا الجبل من الجهة الشمالية. وطوله ثلاثون مترًا (٣٠ م).

وهذا العلم هو آخر الأعلام التي وجدتُها على جبل (صويفة) إذ بعده بقليل ينتهي هذا الجبل، ونهايته هنا تقابل أحد الأضلاع الشمالية الغربية لجبل (صيفة).

وبالعلم السابع تنتهي أعلام جبل (صويفة) بعد أن أرشدنا العلم الأخير منها إلى موضع وجود الأعلام من جبل (صيفة) الكبير، كما فعل آخر أعلام جبل المظالف من قبل. وهكذا تترابط الأعلام من جبل إلى جبل، وهذا ما قصده الأسلاف- رحمهم الله- من ذلك حتى لا يضلّ المجدِّدون لأعلام الحرم بعدهم جزاهم الله عن الحرم وأهله وأمة الإسلام خير الجزاء.

■ **المبحث الرابع عشر: جبل صيفة (جبل الأحمر):**

جبل صيفة، جبل كبير، مشهور عند أهل المنطقة.

يحدّه من الشمال: وادي عرنة. **ومن الجنوب والشرق**: شرفة صيفة، وشرفة صيفة عبارة عن: شعب عريض يفصل بين جبل كساب، وبين جبل صيفة، ويسكنها اليوم جماعة من هذيل، وبعض الأشراف.

ويحدّ جبل صيفة من الغرب: الشعب الفاصل بينه وبين جبل (صويفة) و(صيفة): جبل مرتفع له قمم كثيرة، وهو يمتدّ من الغرب إلى الشرق، ونهايته الشرقية تقابل (قرن الأعفر)، كما تقابل جبل (عارض الحصن) من الجنوب.

والحدّ يسير على الجزء الشمالي من هذا الجبل، على الأجزاء المشرفة على وادي عرنة، والمطلّة على طريق الحسينية المزفّت الذاهب إلى طريق الخواجات عبر ريع المبيت.

هذه الأعلام تسير من الغرب إلى الشرق، وليس فيها إلا مَيل قليل نحو الشمال، أو نحو الجنوب حسب متطلبات مواضع هذه الأعلام، وغالب هذه الأعلام مطلّ على وادي عرنة، ولو كانت قائمة اليوم لرآها السائر في وادي عرنة واضحة على يمينه إذا اتجه شرقًا وعدد أعلام هذا الجبل أربعة وعشرون علمًا (٢٤)، وهذا وصف هذه الأعلام.

العلم الأول: يوجد على الضلع الشمالي الغربي لهذا الجبل، وهو الضلع المقابل لنهاية جبل (صويفـة) الشمالية الشرقية، وهذا الضلع يبعد عن ضلع صـويفة مئة متر (١٠٠ م)، ولا يفصل بينهمـا إلا مسيل ذلك الشعب الفاصل بين جبل صيفـة، وجبل صـويفة المتقـدّم ذكره، والعلم يقـوم على أول هـذا الضلع، وموضعـه ليس بالمـرتفع كثيرًا، لكنـه واضح، وهو علم كبير متهـدم، ويبعد عن رأس هـذا الضلع خمسين مترًا (٥٠ م) شـرقًـا، فهـو إذن يقع إلى الشمـال الشـرقي من العلم الأخيـر المستطيل من أعلام (صويفة).

العلم الثاني: يجاور العلم السابق، ويبعد عنه خمسة أمتار (٥ م) شرقًا، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الثـالث: متصل بـالسابـق، وهو رضم مستطيل يتجـه نحـو الشـرق، وطولـه خمسة عشر مترًا (١٥ م)، وهذا العلم يعطينا إشارة أيضًا إلى صحة اتجاه الحدّ.

العلم الرابع: يبعـد عن سابقـه عشرة أمتـار (١٠ م) شرقًـا مع مَيل نحو الجنـوب، ويقوم على نفس الضلع وهو علم كبير قديم متهدم.

العلم الخامس: يبعد عن سـابقه مئـة متر (١٠٠ م) شـرقًا مع مَيل نحـو الجنوب، لضـرورة انحراف هـذا الضلع، وهو رضم كبيـر قـديم، بعضه متهـدم، وبعضه الآخـر لازال بحالة حسنة.

وهذا العلم هو آخر أعلام هذا الضلع، حيث به قارَبْنا الوصول إلى أصله.

العلم السادس: يبعد عن سـابقه مئتي متـر (٢٠٠ م) شرقًا عـدلًا، لأن الحدّ انتقل إلى أصل ضلع آخـر غير ذلـك الضلع، ويفصل بين العلمين رأس شعب يسيل على عرنة. وهذا العلم هو رضم كبير قديم متهدم.

العلم السابع: يبعد عن سـابقه مئتي متر (٢٠٠ م) شـرقًا عـدلًا، ويقوم على أصل ضلع ثالث، ويفصل بيـن هذا العلم وبين سابقـه رأس شعب يسيل على عرنـة. وهذا العلم هو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الثامن: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير متهدم.

العلم التاسع: يبعد عن سابقه مئتي متر (٢٠٠ م) شـرقًا عدلًا، وهو رضم مستطيل، يمتد نحو الشرق، طوله عشرة أمتار (١٠ م)، وهذا يدل على صحة مسار الحدّ.

العلم العاشر: متصل بالعلم السابق من جهة الشرق، وهو رضم كبير قديم متهدم.

العلم الحادي عشر: يبعد عن سابقه ثلاثين مترًا (٣٠ م) إلى الجنوب الشرقي، وهو رضم ضخم، قطره ثلاثة أمتار (٣ م) ومكانه مرتفع نسبيًا، وهو من الأعلام المهمّة على هذا الجبل.

العلم الثاني عشر: يبعد عن سابقه عشرين مترًا (٢٠ م) شرقًا، ويقوم على أصل ضلع نازل من هـذا الجبل، متجه نحو الشمال الشرقي، وهـذا العلم هو رضم ضخم، قطره أربعة أمتار (٤ م)، ويحيط برأس هناك، والرضم في كثير من جهاته لازال قائمًا.

وهو من أهم الأعلام على هذا الجبل، لأنـه يلحق بالأعلام الكبرى التي على قمم الجبال مثـل علم جبل الستار، والمقطع، وحجلى، والجفـر، والرضيعـة، والناصـرية، والدومـة الحمراء، وغيـرها من الـرضوم الكبيـرة جدًا، والتي تَقـدَّم وَصْفها فيمـا سبق، ووجود هذا العلم هنا يؤكد لنا من جديد صحة سير الحدّ على هذا الجبل.

العلم الثالث عشر: متصل بالسـابق، وهو علم مستطيل يمتدّ نحـو الشرق، حيث ينتهي هذا الضلع، وطـول هذا الرضـم خمسون مترًا (٥٠ م)، وهـو علم لا يقلّ أهمية عن العلم السابق.

وهذا العلم في حقيقة الحال هو آخر أعلام جبل (صيفة) لأن الحدّ ينتقل بعد هذا الضلع إلى سلسلـة جبلية واطئـة، تحاذي طـريق الحسينيـة المزفّت الـواقع في بطن وادي عرنة، تحاذيه من الجنوب، ويفصل بينهما وبين جبل صيفة أرض فضاء عرضها خمسون ومئة متر (١٥٠ م)، قـامت فيها بلدان زراعية عثرية، وغير عثـرية تُعَدُّ امتدادًا لبلدان الحسينية.

وهذه السلسلة تمتدّ من الغرب إلى الشرق، ونهايتها هي نهاية الحدّ الجنوبي لحدود الحرم الشريف، كما أنه بنهاية جبل (صيفة) تنتهي هذه السلسلة، فنهايتهما متساويتان.

ولم ينتقل الحدّ من جبل (صيفة) إلى هذه السلسلة إلا بعد أن أعطتنا الأعلام إشارة إلى وجود الأعلام على هذه السلسلة، كما فعلتْ من قَبله أعلام (صيفة) وأعلام (جبل المظالف) وغيرهما، فرضي الله عن سلفنا الصالح وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

واعلم أنني جعلتُ أعلام هذه السلسلة الصغيرة تابعة لأعلام جبل (صيفة) وملحقة بها لأن السلسلة تُعدُّ تابعة لهذا الجبل عند أهل المنطقة.

والأعلام التي وَجدتُها على هذه السلسلة الصغيرة عددها أحد عشر (١١ علمًا)، هذا وَصْفها (مُلحقة بأعلام صيفة):

العلم الرابع عشر: يقع على أول الرأس الغربي لهذه السلسلة الصغيرة، ويفصله عن العلم السابق أرض فضاء عرضها خمسون ومئة متر (١٥٠ م)، لم أجد فيها علمًا، وهذا العلم عبارة عن رضم كبير متهدم.

العلم الخامس عشر: يبعد عن سابقه مئتي متر (٢٠٠ م) شرقًا، وهو علم كبير قديم متهدم، وقد قام بين العلمين على رأس هذه السلسلة دار حديثة، فَصَلتْ هذا العلم عن سابقه.

الأعلام السادس عشر، والسابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر: تبعد عن سابقها ثلاثين مترًا (٣٠ م) شرقًا عدلًا، وهي رضوم قديمة متهدمة متجاورة تقابل تقريبًا الطريق المزفَّت الآتي من أرض العابدية قبل انعطافه نحو الشرق.

العلم العشرون: يبعد عن سابقه مئة متر (١٠٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير متهدم قديم، يقوم على رأس هناك، وهو يقابل فوهة طريق العابدية.

العلم الحادي والعشرون: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) شرقًا، مع مَيل كبير نحو الجنوب اقتضاه ظهر السلسلة، وهو رضم كبير متهدم.

العلم الثاني والعشرون: يبعد عن سابقه خمسين مترًا (٥٠ م) شرقًا، وهو رضم كبير متهدم، يقوم على رأس هناك، ويفصله عن العلم السابق ريع صغير مسلوك للسيارات.

العلم الثالث والعشرون: يبعد عن سابقه خمس مئة متر (٥٠٠ م) شرقًا مع ميل نحو الجنوب قليلًا.

ويقوم هذا العلم على قرن منفصل عن هذه السلسلة، وهو قرن أسود غير مرتفع، يقع بين جبل صيفة وبين جبل كساب، وهو إلى كساب أقرب، عند فوهة (شرفة صيفة)، وهذا العلم هو رضم كبير منهدم يقع على رأس هذا القرن.

وبهذا العلم يكون قد انتهى الحدّ الجنوبي، حيث قد انتهت أعلامه، وبعده يتجه الحدّ شمالًا باتجاه (قرن الأعفر) الذي بدأنا ذكر الحدّ منه، ولكن قبل الوصول إلى هذا القرن (قرن الأعفر) يوجد:

العلم الرابع والعشرون: وهو رضم قديم متهدم يقوم على قرن صغير، يتوسط المسافة بين القرن السابق، وبين قرن الأعفر، وهذا القرن الصغير يبعد عن طريق الحسينية المزفّت الذاهب إلى (ريع المبيت) خمسين مترًا (٥٠ م)، وتَحفّ به من الغرب بلدان زراعية، ومن الشرق طريق ترابي يؤدي إلى (شرفة صيفة)، ويوجد بجانب آثار العلم هذا، آثار بيت قديم، كأنه كان رضمًا بالحجارة، وقد طُليتْ جوانبه بالنورة، ولم يبقَ من هذا البيت إلّا أُسسه.

وهذا العلم يُعتبَر في الحقيقة من أعلام الحدّ الشرقي، ولكن لعدم وضوحه، ولقربه من أعلام هذه السلسلة الصغيرة ذكرتُه ضمن أعلام الحدّ الجنوبي.

وهذان القرنان اللذان يقوم عليهما العلمان السابقان يسامتان تمامًا (قرن الأعفر) أو (جبل الصناع)، ويفصل بين (قرن الأعفر) وبين القرن الثاني الصغير طريق مزفّت يؤدي إلى كسّارات للصخر أُقيمتْ إلى الشرق من (العابدية)، قرب ريع مشهور يقال له (ريع المبيت)، وهذا الطريق يؤدي أيضًا إلى طريق الخواجات الذاهب إلى الطائف، وجدّة. كما يفصل بينهما بلدان زراعية تُعَدُّ تابعة لأرض (العابدية)، والمسافة بين القرنين أربع مئة متر (٤٠٠ م).

وعلى ذالك فإن جملة أعلام هذا الحدّ هي مئة واثنان وخمسون علمًا (١٥٢ علمًا).

وهكذا بوصولنا إلى (قرن الأعفر) نكون قد وصلنا إلى النقطة التي بدأنا منها في

ذكرنا لمواضع حدود الحرم المكي الشريف، وبهـذا نكون قد دُرنا دورة كاملة محيطة بمواضع حدود الحرم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا،

الخاتمة وأهم النتائج:

بعد هذه الرحلة الطويلة حول حـدود الحرم الشريف، وبعد الأبحاث التي عرضناها عن تاريخ أعلام الحرم، لابدّ من تقييد ما خرجت به هذه الدراسة من نتائج واقتراحات.

وأهمّ هذه النتائج:

١ - إن عِلْمَ (حدود الحـرم الشريف) من العلوم التي لم تُكتب كتابـة مستقلّة، ولم تدوَّن منذ أول وجود لها على الأرض تدوينًا قائمًا بذاته، إلى يوم الناس هذا.

وكان هـذا العلم يـؤخذ مشافَهـة من أصحـابه إذا احتيج إليـه، والمحتاجـون إليه ماكـان بوسعهم الرجـوع إلى مصدر مدوَّن شـامل التدوين في هذا الأمـر، ولذلك بقي غالب هذا العلم في صدور الرجال حتى الساعة.

وتُعَدُّ هذه الدراسة، هي أول تقييد وتدوين شامل لمواضع حدود الحرم وأعلام.

٣- إن لفظة (حدود الحرم) عندما يطلقها مؤرِّخـو مكّة وغيرهـم، إنما كانوا يريدون بها مواضع حدّ الحرم على الطرق المؤديـة إلى مكة فقط، ولا يريدون بها حدود الحرم التي تحيط بـه إحـاطـة السـوار بـالمعصم. وكـانت هـذه المـداخل في زمن الأزرقي والفـاكهي ستـة مداخـل، أما في عهـد الفـاسي فخَفِيَ عليهم اثنـان، وبقي المعلـوم عندهم أربعة فقط، وبذالك انحصر عِلم (حـدود الحرم) في مواضع الطرق الداخلية إلى مكّة، ليس إلّا.

٣- إن تحديـد حدود الحـرم أمر توقيفي لا مجـال فيه للاجتهـاد، فوجـود الأعلام على الجبال، إنمـا كان من وضع نبي الله إبـراهيم - عليه السـلام - بدلالـة جبريل - عليه السلام - له.

والذين جاءوا بعده ماكان عملهم إلا تجديد هذه الأعلام، على نفس مواضعها، من غير تقديم أو تأخير، أو حرف لمسار الحدّ والمنقول من فعل النبي ﷺ وهو: تجديد الأعلام على ماكانت عليه، ولم ينقل عنه أنه أوصى المجدِّدين من أصحابه بتقديم علم أو تأخيره، بل نُقل عنه ﷺ أنه قال: **«من استحلّ شيئًا من حدود مكّة فعليه لعنة الله»**[1].

وهذا هو المنقول من أعمال المجدِّدين لأعلام الحرم، من لدن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - إلى زمن المهدي، تجديد فقط.

٤ - إن تجديد أعلام الحرم كان من أعظم المهمّات وأشرفها، وما وطأت قَدَما رسول الله ﷺ أرض مكة فاتحًا لها، حتى أمر أصحابه بتجديد الأعلام، وهكذا فعل عمر، وعثمان - رضي الله عنهما - بل وصل الأمر في زمن عثمان - رضي الله عنه - إلى تأليف لجنة دائمة تجدِّد أعلام الحرم كل عام.

٥ - إن آخر تجديد لأعلام الحرم المحيطة به الواقعة على الجبال كان في زمن الخليفة العباسي المهدي بن المنصور، حوالي سنة ستين ومئة (١٦٠ هـ)، ومنذ ذالك الزمن إلى اليوم لم تجدَّد هذه الأعلام، أي مضى عليها حوالي اثني عشر قرنًا ونصف لم تحرَّك، ولم تُمسّ.

٦ - إن عدد الأعلام المحيطة بالحرم التي وقفتُ عليها هذه الدراسة ووَصْفْتها وصَوَّرتُها هي أربعة وثلاثون وتسع مئة علم (٩٣٤) كلها متهدمة الآن وانهدامها هذا منذ زمن بعيد. ولم يبق منها إلا ما تعاهدته أيدي المُصلِحين المجدِّدين، وهي الأعلام الموجودة الآن على مداخل مكة، وهي أحد عشر علمًا (١١)، واثنان لا زالا بقدرة الله قائمين على رؤوس الجبال.

وهذه الأعلام التسعة عشر والتسع مئة (٩١٩) المتهدمة، يوجد ثلاثون وست مئة علم منها عليها آثار النورة البيضاء القديمة، أي أكثر من ثلثي الأعلام كان مبينًا بالنورة البيضاء على رؤوس جبال قد يبلغ ارتفاع بعضها (٥٠٠ م) فوق سطح البحر، فرحم الله أسلافنا رحمة تُدخلهم الجنة.

أمـا بقية الأعـلام وهي تسعـة وثمانـون ومئتـا علمًـا (٢٨٩) فهي عبارة عن رضـوم متهدمة.

٧- عـدد الجبـال التي يسير عليهـا حـدّ الحـرم هي خمسة وأربعـون جبـلا (٤٥ جبـلا)، ما بين صغيـر وكبير تحيط بمكـةّ إحاطـة تكـاد تكون تـامة، وليس بينهـا من فواصل سهلية طويلة إلا قليلًا.

٨- عدد الثنـايا (الريعـان) والشرفات التي يمر بهـا حدّ الحرم، والتي عليهـا طرق سالك للسيّارات هي ست عشرة (١٦) ثنية وشرفة.

٩- عدد الفـواصل السهلية بين جبال الحدّ ثمـانية (٨) فواصل، غالبهـا قصير لا يزيد عن كيلين (٢ كيلو).

١٠- من عادة المجدِّدين القدمـاء - رحمهم الله - أن يضعوا الأعلام على الجبال والثنايـا، والمرتفعـات الأخرى، أي على مـوضع واضح مرتفع، ولم يكن من عـادتهم وضع الأعـلام في الأرض السهلة الخـالية من المـرتفعات، لأن هذه الأراضـي السهلة (الثمـانية) غـالبها أرض رملية، لا تحفظ ما يُـرضم أو يُبنى عليهـا من أعلام، ثم إنـه يسهل التعـدّي عليها من قِبل من لا عِلْـمَ له بمـا تعنيه هـذه الأعـلام. ولذالك تـراهم يُهملون الأراضي الواطئة والسهلة من وضع الأعلام فيها.

١١- إن مسار الأعلام على الجبال مسارٌ واضح في أغلب مواضعه، لا يشتبه أمره على الباحث المتتبع. هذا نقولـه الآن لأن الأعلام منهدمة، أما لو كـانت قائمة ومبنية فالأمـر لا إشكال فيه من أوّلـه إلى آخره. فالبـاحث عن أعلام الحرم نـادرًا ما يضلّ أو يضيع، وغـالبًا مـا يكـون سبب ضياعـه هـو غفلته وعـدم انتبـاهه إلى الضـوابط التي وُضعت على أساسها أعلام كل جبل من الجبال. وقـد انتبه المهندسون لأعلام الحرم إلى أمور كثيرة عملوها ليضمنوا لمن بعدهم صحة المسار، وليرفعوا عن أفكارهم ما قد يقع فيها من تشويش، وليحققوا ذالك فعلوا عدة أمور:

أ) زادوا من عدد الأعلام على الجبل الـواحد، خاصّة إذا كـانت طبيعة ظهر ذالك الجبل ملتـوية وتسيـر مسـارًا ملتـويًا، فـالعـادة عندهم أن بيـن العلم والآخر مقـدار

خمسين مترًا (٥٠ م) إل مئة متر (١٠٠ م) وأحيانًـا مئتي متر (٢٠٠ م)، وقد تزيد على ذلك حسب ما يتطلبه مسـار الحدّ فإن كان مستقيمًا وواضحًـا زادوا المسافة بين علم وآخر، وإن كان غير ذالك قلّلوا المسافة وزادوا من عدد الأعلام.

ب) ربّما هـذا قد حلّ المشكلـة إذا كان الحدّ لازال علـى جبل واحد. فكيف إذا كانا جبلين بينهما أرض سهلة؟ إنهم في مثل هذه الحـالة يضعون علامة واضحة على نهـايـة الجبل الأول، قبل أن ينتقل إلى الجبل الثـاني. هـذه العلامـة عبـارة عن رضم مستطيل يتجـه نحو الجبل الثـاني، فهم لا يتـركونك تغـادر هذا الجبل حتى يعطـوك الإشارة إلـى أين تتجه. ولـذلك كَثُرت الأعـلام المستطيلة بهـذا الشكل، وعرفنـا منها العشرات ووصفناه فيمـا سبق، وهذه الأعلام المستطيلة يكون طولهـا حسب الحاجة، من عشرة أمتـار (١٠م) إلى خمس مئة متر (٥٠٠ م). أمـا إذا انتهى بك الجبل الذي عليـه الأعلام إلى عـدة فـروع فإنهم يضعون على الـرؤوس التى لا يسيـر عليها الحـدّ إشارة مـن الحجارة على شكل هـلال متجه وجهـه نحوك ليُعلِمك أن الحـدّ لا يسير على هذا الفرع من الجبل.

ج) ربّما لـم يضعوا علمًا مستطيلًا أو هلالًا، لأن موضع العلم لا يسمح بمثل ذالك، فيستعيضون عن ذالك بتكبير حجم العلم، فبدلًا من أن يكـون قطره مترًا (١ م) يجعلونه مترين (٢ م) أو ثلاثة أمتار (٣ م)، ثم يجعلون على الجبل الثاني علمًا مثله يقابله.

د) ربّما لـم يفعلوا هذا ولا ذاك، بل يكتفون بوضع علم كبير جدًا على أعلى قمّة في ذالك الجبل. هذا العلم الكبير قـد يكون قطره خمسة أمتار (٥ م)، وقـد يكون أكبر من ذالك، حتى يصل إلى عشرة أمتـار (١٠ م)، ثم يضعون على الجبل الثاني علمًـا كبيرًا جدًا يقابل هـذا العلم، على أعلى قمّة فيه، أو أعلى موضع منـاسب لهذا العلم الكبير. وهندسـة هذا العلم مختلفة عن الأعلام الأخـرى. حيث يأتون إلى القمة، وينحتـون ما حولهـا لغرض وسع الأسس الضخمـة لهذا العلم، ورأس القمـة يتركونـه داخل العلـم، ويرضمون من حولـه بصخور كبيرة حتى يوازي هذا الرضم المستـدير أعلى هذا الرأس فتصبح قمة الجبل جزءًا من العلم الضخم تحتلّ الفراغ الذي أحاط به الرضم.

وقد رأينا نماذج كثيرة من هذه الرضوم الضخمة ووصفناها في مواضعها، وأغلب هذه الرضوم لازالت بحالة حسنة لم يتهدم منها الكثير.

وهكذا فإن أسلافنا - رحمهم الله - لم يتركوا طريقة علمية ناجحة في توضيح مسار الحدّ إلا فعلوها، جزاهم الله عن حرمه خير الجزاء.

وبهذا نستطيع أن نقول: إن الباحث عن حدود الحرم قد لا يحتاج إلى من يدلّه عليها إذا سار بنفسه، فدليله هي آثار هذه الأعلام الكثيرة، وهي أحسن وأصدق من كثير من الأدلاء.

١٢- إن غالب هذه الجبال الخمسة والأربعين (٤٥) جبال طويلة، والأعلام الموجودة على هذه الجبال لم توضع إلا بضوابط ثابتة، هذه الضوابط لا تتبدّل، وهو اتجاه سيل هذه الجبال. لأن كل جبل إذا تساقط عليه المطر بغزارة سال الماء منه بعدة اتجاهات. والأعلام على هذه الجبال ما وُضعتْ إلا لتضبط اتجاه السيل، فيجب على الباحث أن يعرف الضابط الذي قامت على أساسه أعلام الجبل الذي يريد أن يبحث عن أعلامه فإذا عرف ذالك وتيقن منه، فإنه يستطيع هو بنفسه أن يخمّن مواضع الأعلام، وقلّما يخونه هذا التخمين. لأن الذين وضعوا الأعلام وضعوها عن خبرة، ومعرفة تامّة، وما كانوا يضعون عَلَمًا إلا تحت إشراف علماء مختصين بذالك يصاحبونهم على رؤوس الجبال. وهكذا فإنك من خلال كثرة تطوافك على الجبال تعرف أن في هذا المنخفض لابدّ أن يوجد علم، وتجده، لماذا؟

لأن هذا الموضع هو النقطة القاسمة بين سيل الجبل يمينًا أو يسارًا، وهذه وظيفة الأعلام. وقد تخمّن أن في هذه القمة يوجد علم، وتجده، وهكذا، فإن القاعدة المنضبطة، وتكرار العمل بها تترك لديك ملكة منضبطة في الاستنتاج.

١٣- يشتهر عند بعض الفضلاء أن سيل الحرم كله يخرج إلى الحلّ، وسيل الحلّ لا يدخل الحرم إلا من موضع واحد عند التنعيم. وهذه المقولة معترضة ومنقوضة.

معترضة بما قرره الفاكهي حيث أفرد مبحثًا مستقلًا ترجم له (ذكر أودية الحلّ التي تسكب في الحرم) وذكر تحت هذه الترجمة عدة مواضيع. وهو بهذا نقض ما اشتهر

عند بعض الفضلاء بواقع الحال، حيث إن كثيرًا من سيل الحلّ يدخل الحرم، مثل وادي عرنة، ووادي نعمان، وغيرهما. وقد شاهدتُ ذالك وذكرتُه في مواضعه.

١٤- صَحَّحت هـذه الدراسـة خطأ مستقـرًا في أذهان بعض الفضـلاء المهتمين بهـذا الأمـر في سيـر الحـدّ الشمـالي من (ريـع رحـا) إلى (ريع المُـرَيْـر). حيث إن المستقـرّ في أذهانهم أن الحـدّ ينتقل من (ريع رحا) غـربًا، إلى (ريع المصَـانِيع) ثم غـربًـا إلى (ريع الغُمَيْـر) ثم جنـوبًا إلى (ريع المُـرَيْـر). ومـا بين (ريع رحـا) و (ريع المُرَيْر) أحد عشر كيلًا (١١ كم) تقريبًا. وهذا الخطأ إنما جاء ممن دلهم على مواضع الحدّ هنـا، ومسار الحـدّ الصحيح الذي وضَّحَتْه هـذه الدراسـة، هو بعـد (ريع رحا) ينتقل إلى (جبل الـرَّضيعـة) غـربًـا، ثم إلى (جبل أم القُـزاز) شـرقًـا، ثم إلى جبل (أم الشُبْـرُم) شرقًـا، ثم إلى (ريع المُرَيـر) غربًـا. وقد وجـدتُ على هذه الجبـال الثلاثـة سبعين ومئة علـم (١٧٠) كلها عليهـا آثار النورة البيضاء القديمة، بينمـا لا يوجد علم واحد، لا على (ريع المصانيع) ولاعلى (ريع الغُمير) ولا على الجبال المحيطة بها.

١٥- صَحَّحَتْ هـذه الـدراسـة خطأ آخـر مستقـرًا في أذهـان بعض الفضـلاء المهتمين بهذا الأمر. وهو سير الحـدّ الغربي من جبال (النُّغَيْرات) أو (الحِشْفان) إلى جبل (الدّوْمة الحمـراء). إذ عندهـم أن الحدّ بعد جبال (النغَيْرات) يتجـه جنوبًا حتى يعبر (طـريق الليث) إلى (جبال الموشّحات) حتى يحـاذي أرض (أم هشيم) ثـم بعد ذالك ينحرف شرقًا مخترقًـا أرض (أم هَشِيـم) إلى جبل (الدّوْمة الحمراء). وهذا الخطأ إنمـا جاءهم من الـدليل أيضًـا. والمسـار الصحيح للحدّ، هـو أن الحـدّ بعد جبـال (النغَيْرات) ينحـرف نحو الشمـال الشرقي قبل وصـوله إلى طـريق الليث نصف كيل (٢/ ١ كم)، يسير بين المَقْرَح والـرصيفة يميل قليلًا إلى الرصيفـة حتى يتصل بالرأس الجنوبي لجبل (الـدّومة السوداء) ثم يسير الحـدّ على (الدّومة السوداء) جنـوبًا حتى يقطع (طريق الليث) ليصل إلى (جبل نُعَيْلة) القريب من حَجْز السيارات على طريق الليث، وبعد جبل (نُعَيْلة) يتجه شرقًا ليصـل إلى جبل (الدوّمة الحمراء). وقد وجدتُ في هـذا المســار الصحيح أربعين (٤٠) علمًـا بين (جبـال النَغيْـرات) وبين (جبل الدّومة الحمراء) كاد الوهم المستقرّ في أذهان الفضلاء أن يلغيها كلّها.

هذه هي أهم النتائج التي تَوصَّلَت إليها هذه الدراسة، مع أنه توجد استنتاجات وتنبيهات أخرى منثورة في ثناياها لا أريد أن أطيل الكلام بسردها؛ فمن يقرأ هذه الدراسة بعين الإنصاف يعرف مقدار الجهد البدني والنفسي والفكري الذي بُذل فيها، والفضل كله لله سبحانه وتعالى، ومنه نرجو القبول، وجزيل الثواب.

■ الاقتراحات:

أما الاقتراحات التي تراها هذه الدراسة بشأن حدود الحرم الشريف فأهمّها ما يلي:

١ - وجوب المسارعة بتنصيب أعلام طريق جدّة السريع، على أن توضع هذه الأعلام على رأس (ريع الحمار) أي يؤخَّر موضع الأعلام من موضع العلامة البيضاء الصغيرة التي وُضعت حديثًا بدلالة بعض المهتمين بهذا الأمر، لأن المعهود في الأعلام وَضْعها على رؤوس الثنايا لا على مسايلها.

٢- وجوب المسارعة إلى وضع أعلام طريق الطائف السريع (طريق الهَدَة) بين جبلَي عارض الحصن وقرن العابدية.

٣- وجوب المسارعة إلى وضع أعلام الليث بين جبلَي الدّوْمة السوداء وجبل نُعَيْلَة.

٤-التحقيق من الموضع الصحيح لأعلام طريق الطائف السريع (طريق السيل) وهي (أعلام المُجاهدين) بمراجعة السجلات والوثائق القديمة، فيتأكّد هل وُضِعَتْ هذه الأعلام في نفس موضع الأعلام القديمة؟ أم كان هذا بدلالة بعض المهتمين. إذ أن النصوص القديمة للأزرقي والفاكهي وغيرهما تثبت أن حدّ الحرم من هذه الجهة هو (ثَنية خلّ الصفاح) الموجودة في طرف جبل (المقطع). والثنية معروفة اليوم، وأعلامها القديمة لا زالت فيها، وهي تبعد عن الأعلام القائمة خمس مئة متر (٥٠٠ م) غربًا، فلماذا أخرت هذه الأعلام عن رأس الثنية؟ إن هذا موضع نظر وتحقيق، ويحتاج إلى الرجوع إلى كبار السن الذين أدركوا بناء هذه الأعلام، ثم تُراجع السجلات أيضًا، فإن ثَبَت أنها في نفس موضع الأعلام القديمة تُركت على حالها، وإن كان باجتهاد بعض الأدلاء فيجب هدمها وإعادتها إلى رأس الثنية (ثنية خلّ الصفاح).

٥- إعـادة بناء جميـع الأعلام المهـدّمـة التي كـانت قائمـة على رؤوس الجبـال والثنايـا والمرتفعـات، بناءً محكمًـا متينًا، على أن يُكتَب على كل علم عبـارة تفيد أن هذا حدّ الحرم، واسم الآمر بالبناء، وتـاريخ البناء، على أن تكون هذه الكتابة محفورة حفرًا في لـوح من الرخام أو المرمـر القوّي وتثبت باحكـام على كل علم من الأعلام. وأن يُقـام كل علم إلى جنب العلـم السـابق المنهـدم قـدر الإمكـان، فتبقى الأعـلام القديمة على حالهـا، وتُبنى بجانبها أعلام جديدة، إلا إذا دعت الضـرورة إلى زحزحة العلـم القديـم عن مـوضعه فلا بأس، مـع مراعاة تـرقيم هذه الأعلام، على غـرار ترقيم الأعمدة الكهربائية.

ومثل هذا التجـديد لا يحتاج إلى لجان ولا إلـى بحوث، إنما يحتاج إلى مـؤسسة وطنية فيهـا رجال مخلصون، تـوضع أمامها التسهيلات الـلازمة لمتطلبات التجـديد، فيبنون علمًا جديـدًا إلى جنب العلم القديم، والأعلام القديمة واضحـة، وغالبها عليه النورة، وحجارتهـا منحوتة، و لا بأس أن يكون ذالك تحت إشـراف بعض طلبة العِلْم ممّن له حظّ من العلم والخشية، وله قدرة على تسلّق الجبال ومقاومة الصعاب.

٦- إنشـاء دائرة خاصـة لشؤون حـدود الحرم الشـريف، فيها أفـراد من أهل العلم الـذين لهم القدرة على الـوقـوف على جميع حدود الحـرم، ومعـرفتها معـرفة جيـدة، ومعرفـة أسماء الجبـال والثنايـا التي يمر بهـا حدّ الحـرم، بمعنى أنهم يعرفـون كل ما يتعلق بحدود الحرم الشريـف، عملهم هو متابعة ومراقبة أعلام الحـرم، وحمايتها من العبث والتلف. وتتـولى هذه الـدائرة صيانة هـذه الأعلام، ثم لا يصـدر صكّ بتملُّك أرض في مناطق حدود الحرم إلا بعد أخذ رأي هذه الدائرة.

٧- تقـريـر فصل من فصول (الجغـرافيـة) في أحـد مقـررات الدراسـة لسنـة من السنوات في المرحلة المتوسطة أوالثانوية، موضوعه (حدود الحرم الشريف).

يَكتب هـذا الفصل جمـاعة من المختصيـن بأسلوب سهل وجـذاب يتنـاول أهم الجبال والثنايا التي يمر بها حدّ الحرم. ثم يبيّن فيه ما تعنيه حدود الحرم.

وبعد ذالـك يمكن لهاؤلاء الطلبـة من أهل مكّة أن يقـوموا بجـولة ميدانيـة لبعض حدود الحرم على غير الطرق الرئيسة.

هذه أهم ما نراه من اقتراحات نسأل الله أن يوفق الجميع لمرضاته.

وبعـد: فهـا نحن وصلنـا إلى نهـايـة هـذه الـرحلـة. مع مـا صـاحبَهـا من تقييـد للمعلـومات، وتبـويب للمبـاحث والملاحظـات؛ وهـذا بحثي قـد وَضعتُه بين يـدي القارئ الكـريم، وقد صرفتُ فيـه من الجهد والمشقّة ما أدخـر أجره عند الله سبحـانه وتعـالى. إن بحثي هذا هـو الدراسـة الأولى في هذا الجـانب، وإنني قد أردتُ بهـذه الدراسة الميدانية المصوَّرة أن أفتح الباب لهـذا الموضوع وأضعه بين أيدي الباحثين، من أصحاب الدراسات المنهجية العميقة.

لقد سبق أن ذكرنا أن الأعلام نفسها يمكن أن تجيب على كثير من تساؤلتنا.

فالنـورة المنثورة حول كثيـر من الأعلام، قد تجـدها تختلف لونًـا وشكلًا من عَلم إلى علَم، أو من جبل إلى جبل، فلـو أُخـذتْ وحُلِّلَتْ تحليـلًا دقيقًـا لأعطتنا أخبـارًا نحن في حاجة إليها.

إن تصوير جبـال حدود الحرم، وثناياه تصـويرًا تليفزيونيًا ضـروريّ جدًا في الوقت الحاضر، لأنه لغة العصر الذي تنتشر به كثير من العلوم.

إن ضبط القيـاسات والمسـافـات بين مواضع حـدود الحـرم، بالأجهـزة الحديثـة المتطـورة، شيء بالغ الأهميـة، يساعـدنـا في حلّ إشكالات تتعلق بهـذا الموضـوع، وتجعل مَنْ بعدنا مطمئنًا لبحوثنا ونتائجها.

إن حجارة الجبـال التي تقوم عليها الأعـلام مختلفة، تركيبًـا وشكلًا ولونًـا وإعطاء الوصف الصحيح لهذا الجبل لابدّ له من رجل مختصّ في الجيولوجيا.

إن بعض هذه الجبـال التي تقوم عليهـا الأعلام جبـال طويلة وعـريضة وشـاهقة، فكيف كانـوا يبنون هذه الأعـلام بالصخر المنحـوت والنورة؟ كيف كـانت تتم عملية

البنـاء؟ ما هـو الطاقم المستعمل لهـذه العملية؟ كيف كـان يتم تنظيم هذه العمليـة الشاقّـة؟ أين هي مصانع النورة التي كـانت تزوّد هاؤلاء بـالنورة؟ أسئلة كثيـرة تحتاج إلى أجوبة عملية دقيقة.

وهكذا فأنت تـرى أن هذا البحث بحث غزير المادة، متعـدد الجوانب، لا يمكن لفرد مثلي أن يقدّم أجوبة لكل ما يدور حول هذا العلم من أسئلة

هـذا البحث يحتـاج إذن إلى المحلّـل المخبـريّ، وإلى طيّـار، ومصـوّر، ورسّـام للخرائط، ومسّاح، وجيولوجي، ومؤرّخ، وغير هاؤلاءأيضًا.

إذن أرجو أن تلتفت المؤسسـات العلمية إلى هذا الأمر وتُوليه بعض عنـايتها، فهو من الأمور المهمّة.

وقبل النهاية أقـول: إن هذا البحث عبارة عن جهد فرديّ، أضعـه بين يدي العلماء وطلبـة العلم والباحثين، ولا أَعُـدُّ أن ما تـوصَّلتُ إليه هـو الشيء النهائي الـذي ليس بعده كلام. كلّا؟ فأنا نظرتُ وشاهدتُ وسجّلتُ، وربّما فاتني شيء لم أنتبه إليه، فمن أجهد نفهس وشاهد وسجّل، وظهر له الصواب في غير ما قُلته فإنما مبتغاي الحق.

إنني سجّلتُ ما رأيتُ بكـامل الأمانة، ولـولا ما حملْنا من هـذه الأمانة لما أجـدنا أنفسنا ووضعنا هذا البحث.

هذا، وختامًا أتوجّه بالشكر إلى كل من أعانني وساعدني في هذا البحث، وخاصة أولادي الذين رافقوني في بعض جولاتي، أسأل الله أن يحفظهم وأن يوفّقهم لمراضيه.

وختامًـا أسأل الله أن يتقبّل مني هذا العمل ويجعلـه خالصًا لـوجهه الكـريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش

الحواشي:

(١) رواه أبو يعلي عن جابر – رضي الله عنه – وإسناده لا بأس به. «المطالب الغالية» لابن حجر: ١/ ٣٣٥.

إسـلام أهـل الطـائف

(دراسة في السياسة والدبلوماسية الإسلامية في عهد الرسول (ﷺ))

(١)

تمهيد: تقع مدينة الطائف في إقليم الحجاز من شبه جزيرة العرب على جبل غزوان من جبال السراة على بعد خمسة وسبعين ميلًا إلى الجنوب الشرقي من مكة. وهي مرتفعة عن سطح البحر نحو ستة آلاف قدم[١].

وقد تمتعت الطائف بمناخ معتدل وتوافرت فيها الماء العذبة المساعدة على ازدهار الزراعة. لذا وصفت بعض المصادر الطائف بأنها: (مدينة صغيرة متحضرة، مياهها عذبة، وهواؤها معتدل، وفواكهها كثيرة، وضياعها متصلة...)[٢].

وقد أشير إلى أن موقع مدينة الطائف على طريق القوافل التجارية بين اليمن وبلاد الشام قد أعطاها أهمية تجارية تجعلها قرينة لمدينة مكة في هذا المجال، غير أن توافر العوامل المساعدة على الزراعة في الطائف شجع قسماً كبيراً من أهلها على الاشتغال بالزراعة. ومن ثم غلب على أهل الطائف الاشتغال بالزراعة أكثر من الاشتغال بالتجارة[٣].

وقد ساعدت الظروف الجغرافية الآنفة الذكر على اجتذاب الناس للسكن في الطائف منذ عصور موغلة في القدم، وكانت آخر القبائل العربية التي استقرت في الطائف قبل ظهور الإسلام هي قبيلة ثقيف، وهي من القبائل العربية العدنانية التي ترتبط بصلة النسب بقبيلة قريش وغيرها من القبائل العربية الشمالية[٤].

ويبدو من شيوع اسم الطائف عند العرب قبيل الإسلام وعصر الرسالة أن هذا الاسم قد ظهر منذ زمن بعيد. وربما كان سبب تسميتها بهذا الاسم أنه كان في هذه المدينة وثن يدعى اللات، وأن ثقيفًا وغيرها من القبائل المشركة كانوا يعظمون بيت اللات ويطوفون حوله فَأُطْلِقَ اسم الطائف على المدينة لأن الناس كانوا يطوفون فيها حول اللات تعبيرًا عن قداسة المدينة وحرمتها[٥]. لذا فقد حرص أهل الطائف على تأكيد حرمة مدينتهم وقداستها كما كانت تفعل قريش بالنسبة لمدينة مكة[٦].

وبالنظر لقرب المسافة بين مدينة الطائف ومدينة مكة، وحاجة الأخيرة إلى منتجات الطائف الزراعية فقد نشأت علاقات اقتصادية وطيدة بين المدينتين، فضلاً عن العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية[٧]. لذا فقد ظهرت المدينتان في عصر الرسالة الإسلامية وكأنهما تمثلان جبهة واحدة، وبخاصة في مجال التعصب لعقيدة الشرك ومقاومة الدعوة الإسلامية.

وهكذا فقد اندفع أهل الطائف لمحاربة المسلمين بعد فتح مكة في سنة ٨ هـ في معركة (حُنَيْن) على أمل إيقاف الإسلام في د يارهم، إلا أن نتيجة المعركة جاءت لغير صالحهم. وقد حاول الرسول (ﷺ) أن يستثمر هذا الانتصار من أجل فتح مدينة الطائف إلا أن متانة أسوار الطائف، وصمود ثقيف في وجه الحصار قد حالا دون تحقيق ذالك.. لذا فضل الرسول (ﷺ) فك الحصار العسكري عن مدينة الطائف وأخذ يمارس عليها ضغطًا سياسيًا واقتصاديًا من أجل حملها على تغيير موقفها المتعنت من الإسلام[٨].

وكان أبرز ما فعله الرسول (ﷺ) في هذا المجال أنه نجح في كسب مالك بن عوف إلى الإسلام، وكان مالك هو قائد هَوازِنَ وثقيف وحلفائهما في معركة (حُنَين) ومن ثَمَّ فقد عهد إليه بقيادة من أسلم من قومه من ثمالة وسلمةَ وفهم (فكان يقاتل بهم ثقيفًا، لا يخرج لهم سرح إلّا أغار عليه، حتى ضيق عليهم)[٩].

ويبدو أن هذه الضغوط التي استمرت بضعة أشهر قد أفقدت قبيلة ثقيف الشعور بالطمأنينة والأمان، كما أنها عرضت حياتها الاقتصادية للخطر. ولم يكن في الأفق بارقة أمل لتغير موازين القوى لصالحها. وقد عبر عن ذالك عمرو بن أمية وكان أحد زعماء ثقيف، ومن أدهى رجالات العرب، في حديثه مع زعيم آخر لثقيف، وهو عبد ياليل بن عمرو بقوله: (إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة، إنه كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم)[١٠].

وقد أشير إلى أن هذا الكلام قد لقي صدى عميقًا في نفوس أهل الطائف فقال بعضهم لبعض: (أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب، ولايخرج منكم أحد إلا اقتطع)[١١].

وهكذا فقد اتفقوا على أن يرسلوا شخصًا أو وفدًا يمثل مدينتهم إلى الرسول (ﷺ) لمفاوضته والاتفـاق معه على صيغة تضمن لهم حياة الأمن والسـلام وفي إطار شروط معينة ترضي الطرفين.

وفد أهـل الطائف: لقـد طلب أهل الطائف مـن عبد يـاليل بن عمـرو وكان سيـد (الأحلاف) من ثقيف وصاحب أمرهم أن يذهب إلى الـرسول (ﷺ) لمفاوضته إلا أنه خشي من عاقبة هـذه المهمة واعتذر عن القيام بهـا وَحْدَهُ، وذالك لأنه سبق أن كلف عروة بن مسعود بمثل هـذه المهمة وكان أيضًا من زعماء الأحـلاف في الطائف، فلما ذهب إلى الـرسول (ﷺ) وعاد إلى قـومه مسلمًـا، ودعاهم إلى اعتنـاق الإسلام قـاموا بقتله، وذالك لأن قبيلة ثقيف كانت متعصبة لعقيدة الشرك وفيها (نخوة الامتناع)[١٢]. ومن ثم فلم تكن مهمة التفاوض بالنيابة عنها مهمة يسيرة، وبخاصة إذا تطلبت تقديم تنازلات تمس أوضاعهم الدينية.

في ضـوء ما تقـدم، فقد ذكـرت غالبيـة المصادر أن أهل الطـائف قد أجمعـوا أن يبعثوا مـع عبد ياليل بـن عمرو رجلين من الأحـلاف، وثلاثة مـن بني مالك، ويكـونوا ستـة. وذالك لأن معظم أهل الطائف كـانـوا ينتمون إلـى قبيلة ثقيف، وكـانت ثقيف منقسمة على نفسها إلى قسمين هما الأحلاف وبنو مالك. وهكذا فقد تألف وفد أهل الطائف من عبـد ياليل بن عمرو وكان رئيسـاً للوفد، ومعـه الحكم بن عمرو بن وهب ابن مُعَتِّب وشـرحبيل بن غيلان بن سلمـة بن مُعَتِّب من الأحلاف، وكـان معهم ثلاثـة من بني مالك وهم عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونُمير بن خَرَشَة[١٣].

لقد أورد ابن سعد رواية تشير إلى أن وفـد أهل الطائف قد تألف من سبعين رجلًا، وكان هـاؤلاء الستة الـذين ذكرت أسماؤهـم آنفًـا هم رؤساؤهـم. إلا أن ابن سعـد يورِد رواية أخـرى يرى أنهـا أصح من الرواية الأولى تقـول: إن وفد أهل الطـائف قد تألف جميعه من بضعـة عشر رجلًا[١٤]. ويبدو من القرائن التي أحاطت بـوصول الوفد إلى المدينة وطريقة استضـافته فيها أن الرواية الأخيرة حول عدد أعضـاء الوفد هي الأقرب للحقيقة.

استقبال وفد أهل الطائف: وصل وفد أهل الطائف إلى المدينة في شهر رمضان من سنة تسع الهجرة. وكان أول من قابلهم قبل دخولهم إليها المغيرة بن شعبة الثقفي من الأحلاف، وكان قد هاجر إلى المدينة ودخل في الإسلام، ففرح المغيرة بمجيء قومه، وأراد الذهاب إلى الرسول (ﷺ) ليبشره بقدومهم، لأن الرسول كان حريصًا على هدايتهم إلى الإسلام. وقد روي أنه كان قد دعا الله لهم بالهداية حين عجز عن فتح مدينةالطائف بقوة السلاح، إلا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه طلب من المغيرة بن شعبة أن يتخلى له عن هذا الامتياز، ويسمح له بأن يكون هو أول من يزف هذا الخبر السار إلى رسول الله ﷺ، فوافق عل ذالك[١٥].

وكان وفد الطائف قد أخبروا المغيرة أنهم (قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله (ﷺ) شروطًا، ويكتتبوا من رسول الله (ﷺ) كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم)[١٦]. وهكذا نلاحظ أن أهل الطائف كانوا يسعون للحصول على شروط متعددة مقابل إعلان إسلامهم. لذا لم يدخل الرسول ﷺ معهم في مفاوضات مباشرة، وإنما سعى إلى وضعهم في جَوٍّ إسلامي كي تلين قلوبهم وتتهيأ أذهانهم لقبول مبادئ الإسلام.

وقد قام المغيرة بن شعبة بجزء من هذه المهمة حينما استقبل وفد ثقيف (وعلَّمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية). كما قام المغيرة باستضافة أبناء عمومته من الأحلاف في منزله فأكرمهم[١٧]. ولابد أنه قد تحاور معهم في أثناء ذالك من أجل اجتذابهم إلى الإسلام.

أما الرسول ﷺ فقد قام بإنزال وفد ثقيف في المسجد (وبنى لهم خيامًا لكي يسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلوا)[١٨]. وقد أشير إلى أن الرسول ﷺ كان إذا خطب لا يذكر نفسه، فلما سمعه وفد ثقيف قالوا: يأمرنا أن نشهد أنه رسول الله، ولا يشهد به في خطبته؟ فلما بلغه قولهم، قال (فإني أول من شهد أني رسول الله)[١٩].

وقد ذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ كان يأتي وفد ثقيف (كل ليلة بعد العشاء فيقف عليهم ويحدثهم حتى يراوح بين قدميه - من شدة التعب - ويشكو قريشًا ويذكر الحرب التي كانت بينه وبينهم)[٢٠].

ويلاحظ أنه في أثناء هذه الجهود (الدبلوماسية) المكثفة التي كان الرسول (ﷺ) يبذلها مع وفد ثقيف من أجل استمالتهم إلى الإسلام تمكن المسلمون من كسب أحد أعضاء الوفد وكان أصغرهم سنًّا وهو عثمان بن أبي العاص، فأخذ يذهب إلى رسول الله ﷺ من دون علم قومه، يسأله عن الدين ويقرأ على يديه القرآن (حتى فَقُه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائمًا عمد إلى أبي بكر، وكان يكتم ذالك من أصحابه فأعجب ذالك منه رسول الله ﷺ وأحبه)[٢١].

وكان خالد بن سعيد بن العاص وهو من أوائل من أسلم من صحابة الرسول ﷺ يشرف على راحة وفد ثقيف في المسجد فكان (هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعامًا يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم)[٢٢].

وقد روي عن بعض أفراد وفد ثقيف قوله: إن بلالًا الحبشي كان (يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله ﷺ مابقى من رمضان بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنا لنقول: إنالنرى الفجر قد طلع. فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرنا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس كلها ذهبت بَعْدُ، فيقول: ماجئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ ثم يضع يده في الجفنة فيلتقم منها)[٢٣].

إن ما تقدم يشير إلى أن الرسول ﷺ كان قد أحاط وفد ثقيف برعاية كبيرة من أجل تألف قلوبهم، واجتذابهم إلى الإسلام ومبادئه، بصورة طوعية على الرغم من قوته وضعف موقف قبيلة ثقيف في تلك الفترة.

مفاوضات الرسول ﷺ مع وفد الطائف: كان مركز رسول ﷺ في السنة التاسعة للهجرة قد أصبح قويًّا بين العرب، وكان سلطان الإسلام قد امتد إلى مكة وأخذ ينتشر بين القبائل العربية في الحجاز، وبقية أنحاء شبه الجزيرة العربية. لذا فلم يَعُدِ الرسول ﷺ يرضى بإقامة تحالفات سياسية مع القبائل العربية المشركة إلا إذا قبلت الإسلام. وقد أكد القرآن الكريم هذا الموقف بصورة حاسمة في سورة التوبة التي أعلنت

البراءة من المشـركين وعدم إقامـة تحالفـات معهم حتى يسلموا. وقد نـزلت الآيات المتعلقة بهذا الموضوع قبيل موسم الحج من تلك السنة[٢٤].

في ضوء مـا تقدم، فقـد طلب الرسـول ﷺ من وفد ثقيف أن يعلن قبـوله لـلإسلام قبل البدء في مناقشة القضايا التي تنظم العلاقـات السياسية والاقتصادية والثقافية، وذالك لأن إسلام أهل الطائف سيضع أساسًا مشتركًا بين الطرفين يسهل حل كافة المسائل الأخرى.

وهكذا فقـد أشارت بعض المصـادر إلى أن المفاوضـات بين الرسـول (ﷺ) ووفد ثقيف قـد بدأت على النحـو الآتي: قال كنـانـة بن عَبْدِ يَـاليلَ للرسـول ﷺ: هل أنت مقاضينـا حتى نرجع إلى قومنا؟ قـال: نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام أقـاضيكم وإلا فلا قضية، ولا صلح بيني وبينكم)[٢٥]. ويبـدو أن أهل الطائف لم يكـونوا قـد استوعبـوا التعاليم الإسـلامية بصورة جيـدة. لذا فقد اعتقـدوا أن بإمكانهم أن يقبلـوا الإسلام مع عدم الالتـزام ببعض أحكامه التي بدت لهم معـارضة لمصالحهم ورغباتهم. لـذا فقد سار الحوار بينهم وبين الرسول ﷺ بالنسبة لهذه الأحكام على النحو الآتي: قال كنانة بن عبد ياليل (أفرأيت الـزنا؟ فإنا قوم نغترب ولابُدَّ لنا منـه! قال: هو عليكم حرام، فإن الله يقول: ﴿ولا تقربـوا الزنا، إنه كـان فاحشة وسـاء سبيلا﴾ قالـوا: أفرأيت الربـا، فإنه أموالنا كلها؟ قـال: لكم رؤوس أموالكم....، قالوا: أفرأيت الخمر، فـإنه عصير أرضنا، لابد لنـا منها، قال: إن الله قـد حرمهـا، وقرأ ﴿يا أيهـا الذين آمنوا إنما الخمـر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾..[٢٦].

وقد أشير إلى أن وفد ثقيف لم يستطع أن يعلن موافقتـه على هذه الشروط مباشرة، بل أنـه توقف عن المفـاوضـات مع الرسـول ﷺ وأخـذ أفراده بـالتشاور فيمـا بينهم: (فخلا بعضهم ببعض، فقـالوا: إنانخاف إن خـالفناه يومًـا كيوم مكة، انطلقوا نكـاتبه على ما سألناه، فأتوا رسـول الله ﷺ فقالوا: نعم لك ما سألت)[٢٧]. وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام وحميد بن زنجويه أنـه قد روي في بعض الحديث أنهم كانوا سألوه قبل ذالك أن يُسلموا على تحليل الزنا والربـا والخمر، فأبى ذالك عليهم، فرجعوا إلى بلادهم ثـم عادوا إليه راغبين فـي الإسلام[٢٨]. وبذالـك تكون مفاوضـات ثقيف مع

الرسول ﷺ إن صح هذا الحديث قد مرت بمرحلتين تخللتهما مرحلة انقطاع لفترة معينة من الزمن هي الفترة التي يستغرقها ذهاب الوفد إلى الطائف والعودة منها.

(للبحث صلة)

د. هاشم يحيى الملاح

أستاذ التاريخ الإسلامي - جامعة الموصل

الحواشي:

(١) د. نادية حسني صقر، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، جدة، ١٩٨١ ص ١٩.

(٢) محمد عبدالمنعم الحميري، كتاب الروض المعطار، بيروت ١٩٨٠، ص ٣٧٩.

(٣) د. هاشم يحيى الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، الموصل ١٩٩٤، ص ٣٠٨.

(٤) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، بغداد ١٩٨٩ ص ٣٣٠ - ٣٣٢.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩٥٥، ق ١ ص ٤٧، السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٧١ ص ٢٣٨.

(٦) محمد بن حبيب، كتاب المحبر، بيروت (د . ت)، ص ٣١٥.

(٧) للمزيد في التفاصيل يراجع كتابنا الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٠٧ - ٣٢٠.

(٨) للتفصيل يراجع: الدكتور هاشم الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، الموصل ١٩٩١، ص ٣٠٧ - ٣١٣.

(٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ق ٢ ص ٤٩١.

(١٠) المصدر نفسه، ق ٢ ص ٥٣٨.

(١١) المصدر نفسه، ق ٢ ص ٥٣٨ - ٥٣٩.

(١٢) المصدر نفسه، ق ٢ ص ٥٣٧ - ٥٣٩.

(١٣) المصدر نفسه، ق ٢ ص ٥٣٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة ١٩٦٩، ج ٣، ص ٩٨.

(١٤) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٦٠، ج ١ ص ٣١٣.

(١٥) المصدر نفسه، ج ١ ص ٣١٣، ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٥٣٩ - ٥٤٠، ابن كثير، السيرة النبوية، بيروت (دار الكتب العلمية) د . ت، ج ٢ ص ٢٨٩.

(١٦) ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٥٣٩.

(١٧) المصدر نفسه، ق ٢ ص ٥٤٠.

(١٨) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مصر ١٣٧١ هـ ج ٣، ص ٥٥.

(١٩) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٥٥.

(٢٠) ابن سعد، الطبقات، ج ١ ص ٣١٣.

(٢١) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج ٣ ص ٥٥.

(٢٢) ابن هشام، السيرة ق ٢ ص ٥٤٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ق ٢ ص ٥٤٠ - ٥٤١.

(٢٤) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص ٣١٣ - ٣٢٤.

(٢٥) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج ٣ ص ٥٥ - ٥٦.

(٢٦) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٥٦، يراجع أيضًا الواقدي، مغازي رسول الله، بيروت ١٩٦٤، ج ٣ ص ٩٦٧، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٧.

(٢٧) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد ج ٣ ص ٥٦.

(٢٨) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي، القاهرة ١٣٥٣هـ ص١٩٤، حميد بن زنجويه، كتاب الأموال، تحقيق الدكتور شاكر ذيب فياض، الرياض ١٩٨٦، ج ٢ ص ٤٥٨.

أطعمة أهل البادية في شبه جزيرة العرب
وأثر ظهور الإسلام فيها

(١)

البادية في معاجم اللغة العربية خلاف الحاضرة، أنشد الأصمعي قال:

فمن تكنِ الحضَارةُ أعجبتهُ ... فأيُّ رجالِ باديةٍ ترانا[١]

وسميّتْ باديةً لبروزها وظهورها، وسميّتِ الإقامة فيها بداوة، وسُمّي المقيمون فيها بَدْوًا، لأنهم في براز من الأرض، وليسوا في قرى تسترهم[٢].

وإذا انتقلنا من المنظور اللغوي للفظ إلى المنظور العمراني في اصطلاح ابن خلدون، أو المنظور المدني في اصطلاح بعض المعاصرين، وبين المنظورين صلة وثيقة، وجدنا البادية من الحاضرة في مستوى المطاعم والملابس والمنازل أقل، وحظها من العمران ووسائل الحياة المادية المختلفة أقل أيضًا، فأهل البادية يقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن، خلاف أهل الحاضرة الذين يستكثرون منها، ويتأنقون في تحسينها واستجادتها[٣].

فمنازل أهل البادية على سبيل المثال، بسيطة، تكون من الشعر أو الوبر، تتباعد عن بعضها في الصيف، وتتدانى طلبًا للدفء في الشتاء قال طرفة بن العبد[٤]:

إني من القومِ الذين إذا ... أَزِمَ[٥] الشتاءُ ودُوْخِلَتْ حُجَرُهْ

يومًا ودُوْنِيَتِ البيوتُ لهُ ... فَثَنَى قبيلَ ربيعهم[٦] قَرِرُهْ[٧]

وإذا أرادوا الكلأ والماء، أو عضهم الزمان وتحملوا بهذا أو بغيره حملوا بيوتهم معهم على إبلهم، وعفَت آثارها إلا من أثافٍ، ونُؤْي[٨]، ورماد لا تلبث السوافي أن تطمسه، وإلى ذالك أشار شعراؤهم، قال أبو ذويب[٩]:

عرفتُ الديارَ كرقم الدوا ... ةِ يزبرها الكاتبُ الحميريُّ

فلم يبقَ منها سوى هامدٍ[١٠] ... وسفعُ الخدودِ[١١] مَعًا والنُّئِيُّ

وقال ذو الرمة[١٢]:

يَبدُو لعينيك منها وهي مزمنة ... نُؤْيٌ ومستوقَدٌ بالٍ ومحتطبُ

وقال الحطيئة[١٣]:

يــادار هنــد عَفَتْ إلَّا أثــافيهــا | بين الطــويّ فصــاراتٍ فــواديهــا
قـد غيّر الـدهـرُ بعـدي [من] معارفهـا | والـريـحُ فــادّفَنَتْ فيهــا مغــانيهـا

وقال الأخطل[١٤]:

أتعــرفُ من أسمـاءَ بــالجـدّ روسمــا | محيـلًا ونـؤيًـا دارسًــا، قـد تهـدّمـا
ومــوضـعَ أحطــابٍ تحمّـل أهلُــه | ومـوقـد نـارٍ كـالحمـامةِ أسحمـا

فهذا المَعْلَـمُ الذي لـم ينفرد هـاؤلاء الشعراء دون غيـرهـم من إخوانهم فـي وصفه، كان مما يميز البادية من الحاضرة التي تعد أكثر استقرارًا وأبقى آثارا.

وليست الأبعـاد السابقـة الـذكـر من معالم البـاديـة هي كل مـا يميز البـاديـة من الحاضرة، فأطعمة البادية معلم آخر من معالمها، فماذا كانت أطعمة أهل البادية؟

ونبدأ بالحديث في هذا الجانب عن اللحوم، ومصادر اللحوم كثيرة نذكر منها:

الإبل: ومن يتتبع أشعار العـرب يجد أكثر الأطعمـة عليه هذه الأشعـار دورانًا هي لحوم الإبل، قال عوف بن الأحوص[١٥]:

إذا الشّوْلُ[١٦] راحتْ، ثم لم تَفْدِ لحمَها | بألبــانهــا، ذاق السنــانُ عقيـرَهـا

وقال حميد بن ثور الهلالي[١٧]:

وإن تعتـذر بـالمحل من ذي ضـرعهـا | على الضيف يجرح في عراقيبها نصلي؟

وقال طرفة بن العبد[١٨]:

نُقُـلٌ للحم فـي مَشْتَـــــاتِنــــا | نُحُـــرٌ للنِّيب[١٩]طـرّادو القَـــرم[٢٠]

وقال الراعي النميري[٢١]:

كأنـي وقـد أشبعتهم مـن سنـامهـا | جلـوتُ غطـاء عن فـؤاديَ فـانجلى

وقال عبدالله بن قيس الرقيات[٢٢]:

يُطْعِمون السَّديف[٢٣] من قَحَدِ[٢٤] الشّوْ | لِ مَـنْ آوَتْ إليهـم البطحـــــــاء

وهذا قليل من كثير، فقد لا تخلو قصيدة من قصائدهم من الإشارة في الأغلب، إلى الإبل ونحرها وتقديم لحومها طعاما مما قد يوهم أن لحوم الإبل كانت عند أهل البادية طعامًا راتبًا، وهو مالم يكن، فالبدوي شديد الضن بإبله لا ينحرها إلا نادرًا، فلما كان عام الرمادة، أخذ عمر بن الخطاب يبعث الإبل مع محمد بن مسلمة وعبدالله بن الأرقم إلى أهل البادية[٢٥]. وكان يقول لهما: (إياكما أن تعطيا العرب الإبل، فإنها لا تنحرها، انحرا البعير...) وأما الحديث عن نحر الجزر وتقديم لحومها في المناسبات، وما أقل ذالك، فهو من قبيل التغني بقيمة أخلاقية تعد تقديم لحوم الإبل طعامًا للناس، والإبل أعز ما يملك أهل البادية، غاية الجود والكرم، وتدل على سمو المكانة وأصالة المحتد.

ومع ما جاء عن ضن ابن البادية بإبله، فإن لحوم الإبل كانت من أطعمة أهل البادية المشهورة التي كانوا يتباهون بتقديمها في المناسبات ويبذلونها للطاعمين.

الضأن والماعز: وإضافة إلى الإبل التي كان الحديث عنها أظهر وأغلب، فقد اقتنى أهل البادية الضأن والماعز، واتخذوا من لحومها طعامًا لهم[٢٦]، قال ذو الرمة[٢٧].

كأن القوم عُشُّوا لحم ضأن فهم نَعِجون[٢٨] قد مالت طلاهم[٢٩]

الخيل: الخيل في البادية قليلة جدًا، لأن البادية لا توافقها، ومع ذالك نسمع عن حاتم الطائي أنه ذبح فرسه وأطعم الناس لحمها وذكرت أسماء قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فَرَسًا فأكلناه[٣٠].

الجراد: الجراد مشهور عند أهل البادية، فإذا جاء بلادهم راحوا يجمعونه ويأكلون منه ويجففون ويخزنون ويدخرون، وذكر من أنواع الجراد، الأهوازي والأعرابي، والجراد الأعرابي أطيبه، وقيل ما أكثر الأعراب الذين تجدهم يقولون: ما شبعنا منه قط، وذكر الجراد عند عمر بن الخطاب فقال: ليْتَ لنا منه قفعة أو قفعتين[٣١].

وقد يقدمه أهل البادية في أيام الشح قرى لضيوفهم، قيل نزل رجل من العرب ضيفا بأعرابي، فقدم الأعرابي إليه جرادًا، فقال الرجل الضيف:

أتانا ببرقان[٣٢] الدَّبى[٣٣] في إنائه ولم يك بَرقان الدّبَى لي مطعم

فقلت لــــه غيِّبْ إنـــاءك واعتـــزل فهل ذاق هــذا، لا أبــالك، مُسْلِمُ[٣٤]

الضب: الضب دويبة تشبه الحرذون لكنه أكبر، ويقال للأنثى ضبة، وبها سميت القبيلة، وروى أن هزيلة بنت الحارث بن حزن الهلالي من أهل البادية أهدت أختها ميمونة بنت الحارث الضباب والأقط والسمن، ولما أعدت الضباب ووضعت على مائدة الرسول ﷺ أخبر بها لم يأكلها لأنها لم تكن بأرض قومه ووجد نفسه تعافها، وأكل منها خالد بن الوليد المخزومي، الذي كان يحضر مع الرسول ﷺ على مائدته[٣٥].

وروى أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فذكر له أنه في غائط - الأرض المطمئنة - مِضَبَّةٍ، أي كثيرة الضِّباب، وأنها عامة طعام أهله[٣٦].

وروى أن رجلًا من أهل البادية دخل على عمر بن الخطاب عام الرمادة، فقال له عمر: مِمَّ هذا السُّمْنُ؟ فقال الرجل: من الضباب، فقال عمر: وددت أن مكان كل ضب ضببين[٣٧].

وقال أبو حجين المنقري[٣٨]:

وهل آكُلَنْ ضبًّـــا بأسفل تلعَــــةٍ وعَــرْفجُ أكمــاع المــديـد خــواني

أقـــوم إلى وقـت الصـــلاة وريحـــه بِكفيَّ لـم أغسلهمــا بشنــــان[٣٩]

ويقدم أهل البادية الضباب طعامًا لضيفانهم، ولكن تقديمه للضيفان ليس موضع مباهاة ومفاخرة، وربما عَدّوا تقديمه للضيفان ممن يجد غيره - من الإبل والغنم والتمر والزبد - عيبا يُعيَّرُ به، روي أن أعرابيًا أطعم ضيفه ضبًّا، فهجاه ابن عم له قال[٤٠]:

وتطعم ضيفك الجـــوعـــان ضبًّـــا وتأكـل دونـــه تمــــرًا بــــزبـــد

ومما يعرفه أهل البادية عن الضب أنه يحب التمر كثيرًا، ولذالك استخدموا التمر في صيده، وذكر ابن دعمي العجلي صيد الضب بالتمر كصيده بالحبالة قال:

ســـــوى أنكم دُرِّبْتُم فَجَــــريتُم على دُرْبَـةٍ والضبّ يُخْتَلُ بـالتمـر[٤١]

ومع أن أهل البادية لم يكونوا سواء في صيد الضباب وأكلها، وكان بعضهم في ذالك أشهر من بعض، فإن الضباب كانت معدودة من مطاعم أهل البادية في الجزيرة العربية وتنسب إليهم، وكانت من مأكولهم المعروف بهم دون غيرهم.

قال الشاعر التميمي[٤٢]:

لكِسْرى كان أعقلَ من تميم ... ليالِيَ فرَّ من أرض الضباب
فأنزل أهله ببلاد ريفٍ ... وأشجارٍ وأنهارٍ عذاب

وقال أبو الهندي[٤٣]:

ومَكْن[٤٤] الضِّبَاب طعام العَريب ... ولا تشتهيه نفوس العجم

وقيل: سوق الضباب خير سوق في العرب[٤٥].

وروى أن رجلا من بني هلال بن عامر قدم على بشر بن المعتمر، وكان بشر خاصًا بالفضل بن يحيى، فمضى بشر بالأعرابي إلى الفضل ليكرمه، وحضرت المائدة فذكروا الضب ومن يأكله، وأفرط الفضل في ذمه، وتابعه القوم فنظر العامري فلم ير على المائدة عربيًا غيره، فغاظه كلامهم، وكان على المائدة فراخ الزنابير فقال من الشعر:

وعلج يعاف الضبَّ لوما وبطنة ... وبعض إدام العلج هامُ ذباب[٤٦]

الأرنب: روى أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ بأرنب قد شواها ووضعها بين يديه[٤٧].

القنفذ: وهو بعض ما يأكله أهل البادية، وصنَّف البعضُ لحمه في عِداد الأغذية العلاجية التي تنفع من الجذام والسل والتشنج ووجع الكلى[٤٨].

الوبر واليربوع: الوبر كالسنور، واليربوع كالفار وكانتا مما يأكل أهل البادية[٤٩].

الضبع: والضبع مما يأكله أهل البادية، وذكر أن لحوم الضباع كانت في أيام الشافعي (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ) تباع بمكة[٥٠].

لحوم الصيد: ورد الحديث عن الصيد في أشعار العرب كثيرًا أشاروا فيها إلى بعض ما عرفوا من وحوش البر وحيواناته وطيوره، فذكروا بقر الوحش وثيرانه، وذكروا الغزلان والظباء وطيور القطا والحبارى، وتحدثوا عن أرض (وجرة) موضع بقرب مكة كانت مَرَبًّا للظباء. كما تحدثوا عن كلاب الصيد والبزاة المدربة التي كانوا يتخذونها للصيد والقنص.

قال النابغة الذبياني[٥١]:

من وحش وجْـرة مـوْشيٌّ اكـارعُـه طاوي المصير، كسيف الصيقل الفَرد[٥٣]

وقال ساعدة بن جؤية[٥٤]:

وكأنمـا وافـاك يـوم لقيتهـا من وحش (وجـرة) عـاقـدٌ[٥٥] متـربّب

وقال الأعشي[٥٦]

ظبيـة من ظبـاء (وجـرة) أدمـا[٥٧] ءَ تسفُّ[٥٨] الكبَاثَ[٥٩] تحت الهدال[٦٠]

وقال لبيد[٦١]:

زُجَلًا كـأن نِعَاجَ[٦٢] توضَح[٦٣] فوقها وظبـاء وجـرة عطّفـا[٦٤] أرامُهـا

وقال طرفة بن العبد[٦٥]:

لعمـري لقـد مـرّت ظباء عـواطس ومـرّ قبيل الصبح ظبـي مصمّع[٦٦]

وقال زهير بن أبي سُلْمَى[٦٧]:

بها العِينُ[٦٨] والأرام[٦٩] يمشين خلْفَةً وأطـلاؤهـا ينهضْنَ[٧٠] من كل مجثم

وقال علقمة بن عبدة التميمي[٧١]: يتحدث عن مطاردته بقر الوحش على حصانه الذي قوائمه غليظة وشديدة كعنق الضبع.

وغُلْب[٧٢] كأعنـاق الضبـاع، مَضيغهـا سـلام الشظَى، يغشى بهـا كلَّ مـركب

رأينـا شيـاهـا[٧٣] يـرْتَعِيْـنَ خميلـةً كمشي العـذارى في المـلاء المهـدّب

وعـادى عداء بين ثـور[٧٤] ونعجة[٧٥] وتيس شبـوب[٧٦] كـالهشيمـة قـرهب

ورحنـا كأنـا مـن جُـوَاثَى، عشيـةً نعـالي النعاج، بين عِـدْلٍ ومحقَبِ[٧٧]

وقال المتنخل الهذلي[٧٨]:

ومـرْقَبـةٍ نُميتُ إلـى ذراهـا تُـزِلُّ دوارجَ الحجل القـواطي[٧٩]

وتحدث النابغة[٨٠] عن الصياد الذي يسعى بكلاب الصيد للقنص فقال:

أهـوى لـه قـانِصٌ يسعى بأكْلِبِـه عاري الأشـاجع[٨١] من قنّاص أنمار

وقال الفرزدق[٨٢]:

وأشــلاء لحم من حُبــارَى يصيـدهــا   إذا نحن شئنــا صــاحـبٌ متألف[٨٣]

وتحدث أبو ذؤيب[٨٤]: خويلد بن خالد عن كثرة ما وقع لأحدهم من الصيد وأنه أي الصياد جففه وملأ منه الغرائر قال:

لـــه من كسبهن مُعَـــذْ لَجــات[٨٥]   قصـائد قـد مُلِئْنَ[٨٦] من الـوشيق[٨٧]

وذكـر ذو الرمـة[٨٨] والأخطل[٨٩] في مـواضع كثيـرة من د يـوانيهما بقـر الـوحش والغزال و الظباء والقطا و كثيرا من الوحوش.

ونزل رجل من بني سليم ضيفًـا على أعرابي، فجاءه الأعرابي بقـدر ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحـم، فقال الرجل لـلأعرابي: مـا هذا؟ فقال الأعـرابي: إنني رجل صياد، جمعت بين ذئب وظبي وضبع[٩٠].

وذكر آخـر أنه مكث ثـلاثًا لا يجد طعـامًا ولا شـرابًا ثم إنـه دُفِع إلى جفر[٩١] فيه ذئبان، فقتلهما، ووجد ماء، فاشتوى من الذئبين وأكل، ثم شرب[٩٢].

والذي يلاحظـه القارئ، أن أهل البادية أكلوا من اللحـوم شتى الأنواع والأصناف، أكلـوا لحوم الإبل والظبـاء والأرانب والحجل والحبـارى وأمثالهـا مثلمـا أكلوا لحـوم الذئاب والثعـالب والحيات وأمثـالها، وهي مسألـة تثير شغف القـارئ بمعرفـة مدى دلالة سلوك أهل البادية في هذا الجانب على وجهة النظر الإسلامية فيها.

ولاشك أن للإسلام رأيًا في هذه المسألة بينه الفقهاء في كتبهـم[٩٣]ولكن الإسلام- للضرورة وحفـظ الحياة البشـرية المهددة بـالجوع - أحـل ما حرم أكلـه، قال تعـالى: ﴿فمن اضطـر غيـر باغ ولا عـاد فإن ربك غفـور رحيـم﴾. (الأنعام) آيـة ١٤٥. وقال: ﴿فمن اضطر في مخمصةٍ غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾. (المائدة) آية ٣.

وذكر أبـو واقد الليثي، الحارث بن عـوف (ت ٦٨ هـ/ ٦٨٧م) قال: قلت يـارسول الله، إنا بأرض تصيبنا مخمصة، فما يحل لنـا من الميتة؟ فقال: «إذا لـم تصطبحوا[٩٤]، ولـم تغتبقوا[٩٥]، ولـم تحتفوا بها بقلا، فشأنكم بها»[٩٦].

وذكر الشـافعي وهو يتحدث عمـا يحل من ذوات الأرواح وعما لا يحل منها فقال:

(فكل ما سُئلتَ عنه مما ليس فيه نص تحريم ولا تحليل من ذوات الأرواح، فانظر هل كانت العرب تأكله، فإن كانت تأكله ولم يكن فيه نص تحريم فأحله، فإنه داخل في جملة الحلال والطيبات عندهم، لأنهم كانوا يحلون ما يستطيبون، وما لم تكن تأكله تحريمًا له باستقذاره فحرمه، لأنه داخل في معنى الخبائث خارج من معنى ما أحل لهم مما يأكلون، وداخل في معنى الخبائث التي حرموا على أنفسهم فأثبت عليهم تحريمها)[٩٧].

ولما تناول ابن قدامة في «المغني» هذه المسألة ذكر أن العرب هم الذين نزل عليهم الكتاب وخوطبوا به وبالسنة، ويرجع في مطلق الفاظ الكتاب والسنة إلى عرفهم دون غيرهم، ولكنه استثنى منهم أهل البادية فقال: (ولم يعتبر أهل البوادي منهم لأنهم للضرورة والمجاعة يأكلون ما وجدوا).[٩٨] ولذالك اجتمعت في حياة أهل البادية الضرورة والرخصة، فأكلوا كل ما وصلت أيديهم إليه وقَدَروا عليه، وقيل سئل بعضهم عما يأكلون فقال: ما دَبّ ودَرَج إلا أم حُبَيْنٍ فقال السائل: لِتَهْنَ أم حُبين[٩٩] العافية[١٠٠].

(للبحث صلة)

أ. د. محمد ضيف الله البطاينة

جامعة اليرموك - كلية الآداب

الحواشي:

(١) ابن منظور لسان العرب: مادة حضر [من قصيدته للقطامي - العرب].

(٢) انظر مادة (بدا) عند ابن زكريا معجم مقاييس اللغة، الزنجاني تهذيب الصحاح، الزبيدي تاج العروس، الفيروزآبادي القاموس المحيط.

(٣) ابن خلدون. المقدمة ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٧.

(٤) هو طرفة بن العبد بن سفيان من بني صعصعة بن قيس بن ثعلبة، شاعر جاهلي كان يتردد على عمرو بن هند وينادمه، وكان لي حسب من قومه، وقتل في البحرين، انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ١٨٥ - ١٩٦، ديوان طرفة ص ١٢٥.

(٥) أرم: اشتد. (٦) ربيعهم: يعني هنا المطر.

(٧) قرره: جمع قر وهو البرد.

(٨) نؤي، الحفرة التي تتخذ حول بيت الشعر لتحول دون دخول ماء المطر إليه.

(٩) أبو ذؤيب، خويلد بن خالد، شاعر جاهلي إسلامي خرج مع عبدالله بن الزبير في مغزى نحو المغرب ومات هناك. انظر: ابن قتيبة الشعر و الشعراء ج ٢ ص ٦٥٣.

(١٠) هامدة: الرماد. (١١) سفع الخدود: الأثافي.

(١٢) ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي من عبد مناة، شاعر إسلامي توفي بالبادية عام ١١٧هـ انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٢٤ - ٥٢٥، ديوان ذي الرمة ص ٢٥.

(١٣) الحطيئة، جرول بن أوس من بني عبس، شاعر جاهلي إسلامي يعد من فحول الشعراء، وكان رقيق الدين شيئًا، انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٥، ديوان الحطيئة ص ٢٤٠، الأصفهاني الأغاني ج ٢ ص ٥٧٥ - ٦٠١.

(١٤) الأخطل: غياث بن غوث التغلبي، كان يمدح بني أمية انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٤٨٣، ديوان الأخطل ص ٦٢٤. الأصفهاني الأغاني ج ٨ ص ٣٠٢٦ - ٣٠٦٦.

(١٥) انظر: الأخفش الصغير كتاب الاختيارين ص ٥٤٣.

(١٦) الشول: الناقة التي خف لبنها وأتى على نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية.

(١٧) عبدالعزيز اليمني ديوان حميد بن ثور الهلالي ص ١٥٦. [«العرب»: البيت في «ديوان ذي الرمة» وغير موجود في «ديوان حميد بن ثور» طبعة الميمني].

(١٨) ديوان طرفة بن العبد ص ٦٧، ١١٠، ١١١، ابن الشجري مختارات شعراء العرب ١٧١.

(١٩) النيب: النوق المسنة. (٢٠) القرم: شهوة اللحم.

(٢١) الراعي النميري: حصين بن معاوية من بني نمير، وكان هو وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشراف من وجوه قومه ومن رجال العرب، اعترض بين جرير والفرزدق، ووفد على عبدالملك بن مروان، انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٤١٥، الأصفهاني الأغاني ج ٢٨ ص ٩٦١١ - ٩٦٢٦.

(٢٢) عبدالله بن قيس من بني عامر بن لؤي كان هواه مع عبدلله بن الزبير، ثم أتى عبدالله مع جعفر ليشفع له عند عبدالملك بن مروان فشفع له وعفى عنه عبدالملك انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٣٩، الأصفهاني الأغاني ج ٥ ص ١٧١٧ - ١٧٤٤.

(٢٣) السديف: قطيع السنام. (٢٤) قحد: جمع قحده وهو قطع السنام.

(٢٥) عمر بن شبة تاريخ المدينة، ج ٢ ص ٧٤٤.

(٢٦) انظر: ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ١٢٠، ٢٤١، ٢٨٠، ٢٨١، الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٤٩، ٤٢٠.

(٢٧) الأخفش الصغير كتاب الاختيارين ص ٥١٠.

(٢٨) نعجون: ثقل القلب من أكل لحم الضأن.

(٢٩) مالت طلاهم: مالت أعناقهم ويبدو أن المقصود بالقلب هنا هو الجوف أو البطن أي المعدة.

(٣٠) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد ج ٧ ص ٨٢، ٨٣، ٣٠٥.

(٣١) الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٣٧٥.

(٣٢) البرقان: الجراد المتلون.

(٣٣) الدبى: أصغر الجراد.

(٣٤) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢١١.

(٣٥) انظر: البخاري صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد ج ٧ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ الشافعي الأم ج ٢ ص ٢٢٢- ٢٢٣.، مالك المدونة الكبرى م ٢ ج ٣ ص ٦٣ الموطأ ص ٢٢٠. وميمونة بنت الحارث هي خالة خالد بن الوليد، فأم خالد بن الوليد هي لبابة الصغرى بنت الحارث، ولميمونة وهزيلة ولبابة الصغرى أخت رابعة هي لبابة الكبرى زوجة العباس بن عبدالمطلب وهي أم عبدالله بن العباس وكنيتها أم الفضل وهو الفضل بن العباس. انظر ابن حجر فتح الباري ج ٩ ص ٦٦٤.

(٣٦) الشوكاني نيل الأوطار ج ٨ ص ٣٨٧.

(٣٧) عمر بن شبة تاريخ المدينة ج ٢ ص ٧٣٩.

(٣٨) الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٤٢٠.

(٣٩) شنان: الماء. [«العرب» لعله أراد (الأشنان) مما كان مستعملًا بدل الصابون، وهو موصوف في كتب اللغة].

(٤٠) الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٤٢٠.

(٤١) الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٤١٠.

(٤٢) الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٤٢٤.

(٤٣) أبو الهندي: هو عبدالمؤمن وقيل غالب بن عبدالقدوس بن شبث بن ربعي، شاعر مطبوع أدرك الدولتين، دولة بني أمية وأول دولة ولد العباس، وكان جزل الشعر، وإنما أخمله بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وخراسان، وما كان يتهم به من فساد الدين. انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٧٢، الأصفهاني الأغاني ج ٢٣، ص ٨٠٢٧.

(٤٤) مكن الضباب: بيض الضباب والمقصود هنا الضباب نفسه.

(٤٥) الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٤١٦.

(٤٦) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢١٠، الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٤٢١.

(٤٧) شرح مسند أبي حنيفة ص ٤١١. الشوكاني: نيل الأوطار ٨/ ٢٩٠.

(٤٨) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٢، ص ١٠٠، ابن قدامة المغني ج ١١، ص ٦٥. الشوكاني نيل الأوطار، ج ٨، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٤٩) مالك بن أنس المدونة م ٣، ج ٢، ص ٦٣. ابن قدامة المغني ج ١١، ص ٧٠.

(٥٠) الشافعي الأم ج ٢، ص ٢٢١، ابن قدامة المغني ج ٧١١ ص ٨١.

(٥١) انظر: ديوان النابغة الذبياني ص ٣١.

(٥٢) المصير: واحد المصران.

(٥٣) الفرد: الذي لا مثيل له.

(٥٤) انظر: ديوان الهذليين ج ١ ص ١٦٨.

(٥٥) عاقد: ثنى عنقه.

(٥٦) انظر: القرشي جمهرة أشعار العرب ص ٢٤٧.

(٥٧) أدماء: بيضاء.

(٥٨) تسف: تأكل.

(٥٩) الكباث: ثمر الأراك.

(٦٠) الهدال: ما يقطف من الشجر.

(٦١) لبيد بن ربيعة بن مالك بن ملاعب الأسنة من قيس عيلان، كان جوادًا كريمًا شريفًا في الجاهلية والإسلام، قدم مع قومه على رسول الله ﷺ وأقام في الكوفة ورجع بنوه إلى البادية ومات في أول خلافة معاوية، انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ، ص ٢٧٥.

(٦٢) نعاج: بقر الوحش.

(٦٣) توضح: اسم مكان.

(٦٤) عطفا: ملتفات.

(٦٥) انظر: القرشي جمهرة أشعار العرب ص ٩٧.

(٦٦) مصمع: صغير الأذن.

(٦٧) القرشي جمهرة أشعار العرب ص ١٨٠.

(٦٨) العين: بقر الوحش.

(٦٩) الأرام: الظباء.

(٧٠) الطلاء: أولاد الظباء.

(٧١) الأخفش الصغير كتاب الاختيارين ص ٥٦.

(٧٢) غلب قوائم الحصان أو الفرس.

(٧٣) الشياه: بقر الوحش.

(٧٤) ثور: ذكر بقر الوحش.

(٧٥) النعجة: البقرة الوحشية.

(٧٦) تيس شبوب قرهب: المسن من ذكر بقر الوحش.

(٧٧) عدل ومحقب: أي حصل له من بقر الوحش الذي صادره ما صار كالعدل.

(٧٨) القرشي جمهرة أشعار العرب ص ٦٠٧.

(٧٩) القواطي: التي تقطو تقارب الخطو.

(٨٠) القرشي جمهرة أشعار العرب ص ٢٣٠.

(٨١) عاري الأشاجع: ظاهر عروق ظهر الكف.

(٨٢) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة، مات أبوه غالب في أول خلافة معاوية و مات الفرزدق عام ١١٠هـ في خلافة هشام بن عبدالملك. انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٤٧١. الأصفهاني الأغاني ج ٢٥ ص٨٥١٨ - ٨٦٩٠.

(٨٣) صاحب متألف: يعني البازي الذي ربي وعلم الصيد.

(٨٤) ديوان الهذليين ج ١ ص ٨٩.

(٨٥) معذلجات: مملوءات.

(٨٦) قصائد: غزائر.

(٨٧) الوشيق: اللحم المجفف.

(٨٨) ديوان ذي الرمة ج ١ ص ٢٦، ٨٦.

(٨٩) ديوان الأخطل ص ٥٣٨.

(٩٠) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٠٩.

(٩١) الجفر: البئر الواسعة التي لم تطو.

(٩٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٠٩.

(٩٣) من أجل ذالك، انظر: البخاري صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد ج ٧ ص ٨٢ - ٨٥. الترمذي: السنن ج٤ ص ٧٢ - ٢٦٨، ابن ماجة السنن ج ٢ ص ٢ - ١١. مالك الموطأ ص ٢٢٠ - ٢٢٢، المدونة م ٢ ج ٣ ص٦٣ وما بعدها. الشافعي الأم ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٥، المسند ص ٤٥٦.

(٩٤) تصطبحوا: شربوا اللبن في الغداة أي في الصباح.

(٩٥) الغبوق: شربوا اللبن في العشاء.

(٩٦) ابن قدامة المغني ج ٩ ص ٢٩.

(٩٧) الشافعي الأم ج ٢ ص ٢١٨، ابن قدامة المغني ج ١١ ص ٦٥ - ٨٣.

(٩٨) ابن قدامة المغني ج ١١ ص ٦٤.

(٩٩) أم حبين: دويبة منتنة الريح تتحاماها الإعراب فلا تأكلها لنتنها.

(١٠٠) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٠٩، ابن قدامة المغني ج ١١ ص ٦٤.

عبدالله الطريقي والبترول والوطن

(١)

ولد عبدالله بن حمود الطريقي عام ١٩١٨ (١٣٣٧هـ) في الزلفي، إحدى قرى نجد المتناثرة في صحراء الجزيرة العربية، وفي رحلة طويلة مع الحياة سافر إلى الكويت والهند ثم إلى القاهرة التي انخرط في مدارسها حتى حصل من جامعة القاهرة، كلية العلوم عام ١٩٤٣ (١٣٦٢هـ) على البكالوريوس في علم طبقات الأرض والكيمياء، ثم واصل الدرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، طالبًا في جامعة أوستن بولاية تكساس الأمريكية، عاصمة الإمبراطورية البترولية الأمريكية، لدراسة هندسة الجيولوجيا البترولية في جامعتها. وبعد أن أكمل دراسته وتدريبه عام ١٩٤٧ (١٣٦٦هـ)، عاد إلى وطنه المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ).

وقعت المملكة العربية السعودية اتفاقيات الامتياز البترولية التي بموجبها حصلت الشركات الأمريكية المتحدة والمتضامنة تحت اسم شركة الزيت العر بية الأمريكية (أرامكو) عام ١٩٣٣ (١٣٥٢هـ) ثم عام ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، أما البترول فلم يُكتشف بكميات كبيرة إلا قبل الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة. لكن مصالح الحلفاء الغربيين اقتضت عدم التوسع في الإنتاج والتصدير حتى تضع الحرب أوزارها.

تزامن الإنطلاق في أعمال الشركات الأمريكية البترولية صاحبة الامتياز في المملكة، وعودة الشاب السعودي من عاصمة البترول الأمريكية إلى بلاده عام ١٩٤٨ (١٣٦٧هـ). فلم تُضع الحكومة السعودية وقتًا في وضع الرجل في المكان المناسب، ولم يضع هو وقتًا في البحث عن بدائل، فعُين عام ١٩٤٩ (١٣٦٨هـ) مديرًا لمكتب مراقبة شؤون البترول في المنطقة الشرقية الذي كان تابعًا آنذاك لوزارة المالية. ثم عين مديرًا عامًا لإدارة شؤون الزيت والمعادن عام ١٩٥٤ (١٣٧٣ - ١٣٧٤ هـ) وهو أعلى منصب حكومي في هذا الحقل. وفي ديسمبر من عام ١٩٦٠ (١٣٧٩ - ١٣٨٠هـ) أنشئت وزارة مستقلة للبترول والمعادن، عُين الطريقي وزيرًا لها فكان أول وزير للبترول والمعادن في المملكة العربية السعودية، أُحيل إلى التقاعد في مارس عام ١٩٦٢، (شوال ١٣٨١هـ) بعد أن أمضى ما يقارب الأربعة عشر عامًا في خدمة بلاده في مجال النفط، منها سنة وأربعة أشهر وزيرًا.

لعب عبد الله الطـريقي دورًا أساسيًا وهـامًّا في إعادة تكـوين العلاقة بين شـركات البترول العالميةالغـربية العاملة في الشرق الأوسط وبين الحكومـات المالكة للثروات البتـرولية منطلقـا من بلاده المملكـة العـربية السعـوديـة. كان اهتمـامه منصبًّـا على الإقلال من تلك الفجـوة الكبيرة بين القليل الذي تحصل عليه الحكـومة من عائدات النفط، والكثير الذي تأخذه الشركات. وكيـف لا يكون هذا جُلّ اهتمامه، وبلاده التي لِتَـوِّهَا بـدأت مشوارهـا الطـويل في البناء والتكـوين، لا تملك من مقـومات الحيـاة الماديـة إلا القليل جدًّا جـدًّا. فهي في أمس الحاجـة إلى كل درهـم يخرج مـن باطن أرضها ومن تحت ترابها لتحسين حالة المواطن الصحية والمعيشية والتعليمية.

لكن الطريقي وجد وهو يعمل من أجل تحقيق مشـروعه الوطني أن جميع شركات البتـرول العالميـة الغربيـة تحـارب من خندق واحـد، سـواء العاملـة منها في الشـرق الأوسط أو في أي مكـان في العالم، فعرف أن الشـركات البتـرولية العـالمية لا تجـابه على انفـراد، وأن الاتحاد والتضـامن بين الـدول المنتجة شـرط أساسي إذا مـا أرادت هذه الدول استرجاع بعض حقوقها.

لقد أسس عبـدالله الطريقي قواعد الفكـر الوطني البترولي في الشـرق الأوسط بعد انهيار الحركة الإيرانيةعلى يـد مصدق عام ١٩٥٤ (١٣٧٣ - ١٣٧٤هـ)، عندما دفع بتيارات انطلقت لتغييـر العلاقـة غير المتـوازنة بين الشـركات البتـرولية والحكـومات وإبدالها بعلاقات جديدة تعيد للوطن سيادته على ثروته البترولية، وتعطي للشركات ما تستحقه من عائد على استثماراتها ورؤوس أموالها.

الفكر الذي تبنَّاه الطـريقي وضحى من أجله وعمل على نشره وتطبيقه لم يأتِ من فراغ أو من استلهـامٍ لنظرية أو أيـدلوجية راديكـالية ثـورية، بل إنه فكـر مؤسس على عناصر جذرية في شخصيته وتكوينه منها:

١) الرغبة الصادقة المخلصة في خدمة وطنه وأمته العربية.

٢) الإيمان القوي بحقِّ الحكـومات والشعوب في السيادة على مـواردها الطبيعية والاستفادة القصوى منها.

٣) الاعتراف بحق الشـركات الأجنبية في الحصـول على عائد مـلائم يتناسب مع مخاطر استثماراتها وتكاليفها.

٤) المعرفة العلمية والعمليـة بفنون الصناعة البترولية ومعادلاتهـا وشؤونها المحلية والدولية.

٥) تقديـره للتخصص والمنهج العلمي في بحث القضـايا وإيجاد الحلـول، فلم يتردد في استقطـاب الخبرات والكفـاءة العربية والأجنبيـة لمساعـدته في حل قضـايا بلاده البترولية.

ويمكن للبـاحث أن يقف على هـذه العناصـر في شخصيـة الطريقي من خـلال استقراء حياته التي كانت حافلة بالمـواقف والأقوال التي توضح أن هذه العناصر جزء بنيوي في فكـر الرجل وسلـوكه. وسوف استعـرض مع القارئ نمـاذج من سيرة حيـاته تتمحـور حول دوره في إعـادة الهيكلة لمـرتكزات أسـاسيـة في منظومـة العلاقـة بين الحكومات وشركات البترول العالمية، أولًا في بـلاده المملكة العربية السعودية، وثانيًا على مستـوى العـالم. ولا يمكن لهـذا البحث السـريع أن يأتي على كل مـا يجب أن يقال، لذا فإنني سوف أحاول الجمع بين الإيجاز في الشروح والشمول في الأبواب.

أولًا: في المجال الوطني: عندما وضعت الحرب الكونية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥ (١٣٦٤هـ) بدأت شركات البترول الأمريكيـة صاحبة الامتياز لحقول النفط السعودية استخراج وتصدير خام البترول بعد أن أوقفته خـلال فترة الحرب. وقد كان العلاقة بين الشـركات والحكـومة القـائمـة على اتفاقيتي عـام ١٩٣٣ (١٣٥٢هـ) وعـام ١٩٣٥ (١٣٥٤هـ)، تتسم بعـدم التوازن، كما هي الحال بـالنسبة لمعظم العقود المبـرمة في الشرق الأوسط، حيث تسيطر الشركات بشكـل كامل وانفرادي على الإنتاج والتسعير وتعطي الحكـومات نـزرًا يسيرًا من الأربـاح الكبيـرة التي تحققها من مبيعـات النفط. فحتى عام ١٩٥٠ (١٣٦٩هـ) كـان جميع ما تحصل عليه المملكة مـن قيمة البترول هو ٤ شلنق ذهـب للطن الواحد، أي مـا يعادل ٢٢ سنتـا للبرميل الـواحد، بينمـا كان سعر البـرميل خام من الخليج العربـي حوالي دولارين، وتكلفةالإنتـاج حوالي (١٥) سنتا. [الدولار مئة سنت].

استطاعت المملكة العربية السعودية أن ترفع حصتها من دخل البترول إلى ٥٠٪ من صافي الدخل الذي تحققه الشركات بعد خصم التكاليف، بموجب اتفاقية المشاركة التي وقعت بين المملكة والشركات في ديسمبر عام ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ) وقد ساعد على قبول الشركات بهذه الاتفاقية معرفة الحكومة السعودية بوجود هذه المعادلة في توزيع الدخل بين الحكومة الفنزويلية وشركات البترول العاملة هناك.

يقول عبدالله الطريقي في تصريح له عام ١٩٦٠ (١٣٧٩ - ١٣٨٠هـ)، عندما كان مديرًا عامًا لإدارة البترول والمعادن في وزارة المالية عن تلاعب شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) في بعض المعاملات الحسابية: (في الماضي لم نشعر بالاطمئنان وراحة البال في تعاملنا مع شركات الزيت حتى في الحصول على ما وافقوا وقبلوا به ودعوني أعطيكم مثالًا واحدًا. عندما قمنا بالاتفاق مع الشركة على تقاسم الدخل الصافي بنسبة ٥٠٪ لكل طرف في عام ١٩٥٠ (١٣٦٩هـ) وبعد عام أو يزيد اكتشفنا أن أرامكو كانت تقيّد مبلغ (٤٠ , ١) دولار لحساب شركاتهم الأم على حساب ضريبة الدخل السعودية، مما ينقص حصة المملكة من ٥٠٪ إلى ٣٢٪ وعندما سألناهم عن ذالك قالوا لنا: إن هذا الخصم لحساب الشركات الأم من أجل عمليات التسويق، ونحن لم نوقع على مثل هذا الاتفاق أو نقبل به) - (مكداشي - مجموعة الدول المصدرة للبترول - ص ٢٦) -.

وفي مقابلة مع مندوب مجلة «الزيت العالمي World Oil» المستر جاك ايرل، نشرته «أخبار البترول والمعادن»، أكتوبر - نوفمبر ١٩٦١ (ربيع الثاني - جمادى الأولى ١٣٨١هـ) وجه الصحفي السؤال التالي للوزير الطريقي: (إلى أي مدى أفادت شركات الزيت العالمية دول الشرق الأوسط المنتجة للزيت؟ وكيف يمكن تحسين هذه الفوائد وكذالك تحسين العلاقات القائمة بين الشركة والحكومة؟).

وأجاب الطريقي بما يلي: (إن شركات الزيت، بما حصلت عليه من امتيازات للزيت في مناطق واسعة من الشرق الأوسط في عالم ذي احتياطي شحيح من الزيت، استطاعت أن تزود بلدان العالم بنصيب كبير مما تحتاج إليه من الطاقة على

شكل زيت، وأن تحصل بذالك على أرباح كبيرة. وخلال المراحل الأولى من الأعمال كانت شركات الزيت تدفع عوائد لا تتجاوز ٢٢ سنتًا عن كل برميل من الزيت يتم إنتاجه. ولكن هذه الأرباح الضخمة كانت حافزًا كافيًا دفع حكومات الشرق الأوسط إلى فرض ضرائب من شأنها أن تجعل إيرادات هذه الحكومات ما نسبته ٥٠ في المئة من مجموعة الأرباح الصافية التي تجنيها الشركات من بيع الزيت الخام. وعلى الرغم من حصص الحكومات البالغة ٥٠ في المئة فإن شركات الزيت العاملة في الشرق الأوسط لاتزال تحقق مردودًا سنويًا يتراوح ما بين ٦٠ و٧٠ في المئة من قيمة استثماراتها. وهذا هو أعلى مردود في العالم كله. ومع ذالك فإن تنظيم العلاقات ما بين الحكومات والشركات قائم على أساس اتفاقات امتياز الزيت وهي اتفاقات تضع الشركات في موضع يمكنها من السيطرة على إنتاج المادة الرئيسة من مواردنا الطبيعية وبيعها (هذه المادة هي في الواقع دم الحياة بالنسبة لنا)، دون أن تترك للحكومات أي سلطة للفصل في أمور قد يكون لها تأثير كبير في اقتصادنا.

وهكذا نجد أنه ليس لدى الحكومات طريقة لمراقبة التقلب في العمل ذالك التقلب الذي قد يعرض سلامتنا الوطنية للخطر. وما لم تصبح شركات الزيت الأجنبية هذه، محلية في كيانها وما لم تفصل عن الشركات الأم التي تسيطر عليها ومالم تسهم حكومات الدول المنتجة في ممارسة عمليات الزيت في بلادها، فإن الفوائد التي تجنى من الزيت ستظل ناقصة جدًا، ومقتصرة على مبلغ ما من المال يدفع بصورة أوتوماتيكية).

وفي حديث مع مندوب نفس الجريدة يسأل الصحفي الوزير الطريقي، فيقول: إن الناس يترقبون بلهفة رد وزارتكم الإيجابي على البيان الذي نشرته شركة الزيت العربية الأمريكية حول موضوع المئة والثمانين مليون دولار عن استعدادها للذهاب إلى التحكيم فما رأي وزارتكم؟

ويقول الطريقي: (إن المسائل الضريبية مع شركات البترول في بلادنا تحل بموجب نظام ضريبة الدخل السعودي الصادر بمرسوم ملكي كريم والذي تخضع له أرامكو).

ويظهر واضحًا هنا تأكيد الطريقي واهتمامه بترسيخ مبدأ السيادة الوطنية على الثروة فهو يقول، إن المسائل الضريبية تخضع لقانون البلاد، لأن سن الضرائب على المواطنين والأجانب هو من حق السيادة الوطنية، لذا فإن المرجعية الأساسية للخلاف بين المملكة وشركة الزيت العربية الأمريكية في موضوع الضرائب هو نظام الضريبة السعودي وليس التحكيم.

ويقول في هذا المجال عام ١٩٦٥ (١٣٨٤ - ١٣٨٥هـ) أي بعد ثلاث سنوات من إحالته إلى التقاعد في مقال بعنوان (سياسة ليبيا البترولية) نشر في مجلة «البترول والغاز العربي» التي كان يديرها من بيروت بالاشتراك مع زميله الدكتور نقولا سركيس: (إن محاولة الحكومة الليبية تحسين شروط الامتيازات عمل يستحق الثناء ولكن الأحسن من هذا كله القيام بمراقبة شاملة على الشركات العاملة والتأكد من أنها تنفذ شروط الامتيازات بدقة وأمانة وأنها لا تفسر لمصلحتها أو على حساب مصلحة الشعب العربي في ليبيا).

وفي مكان آخر في نفس المقال يتعرض لنقطة أخرى ذات علاقة بتصرفات شركات البترول والتزامها بقوانين العمل والعمال حيث يقول: (وجدت شركة البترول العربية الأمريكية (أرامكو) أن تطبيق قانون العمل والعمال على جميع العمال الذين تحتاج إليهم في أعمالها سيكلفها كثيرًا، ولهذا ابتدعت فكرة المقاولين وأصحاب السيارات فأتت بمجموعة من عمالها ممن يظهر على سيماهُمْ عدم الفطنة والذكاء العادي، وقالت لهم: (كونوا مقاولين) فكانوا. وكانت مهمة هاؤلاء المقاولين الجدد جمع العمال الراغبين وأن تأتي الشركة بالمعدات والمهندسين فيدربوا المقاول وعماله للقيام بالعمل المطلوب منهم. وبهذه الطريقة تكون الشركة غير مسؤولة عن تدبير المساكن والتأمين الصحي والعناية بالعامل وعائلته. والمستفيد من هذه العملية هي الشركة والمقاول الجديد، أما العامل فيحرم من جميع الخدمات والعناية التي يجب أن توفرها له الشركة. وهاؤلاء المقاولون وأصحاب السيارات بعد أن يرتفع مستواهم المعيشي من عمال عاديين إلى أصحاب أعمال، يبدو وكأنهم مقتنعون

بأنهم كـذالك، فتـراهم يـركبون السيـارات الفخمـة، ويـدخنون السيجـار، ويلبسـون كالأميركان ويعطون لمن يقابلهم الفكرة بأنهم يعتقدون بأنهم قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه بمجهوداتهم الخاصة وأنهم ليسوا أداة للأضرار بمواطنيهم).

ويقول في معـرض حديث له عن سلوك الشـركات البترولية تجاه المحـافظة على حقول النفط: (الشركـات البترولية لا يهمها إلا الربح السريع وهي قصيـرة النظر لعدم اطمئنـانها إلى المستقبل، وهي تحـاول تحقيق الـربح بأقصـر الطرق. ولهـذا فهي لا تهتم بما سيحدث للحقـول من أضرار نتيجة للطرق غير العلمية التي تتبعهـا كما أنها لا تهتم كثيـرًا بالأسعـار طالمـا أنها تحقـق أربـاحًـا خصوصًـا إذا كانت الخصميـات تذهب لمالكيها أو لشركائها).

لم يكن الطـريقي (راديكـاليًـا) في تعـامله مـع الشركـات الأجنبيـة، رغم انتمـائه الوطني والقـومي، فكان يحترم العقـود والاتفاقيات المبرمـة معها، ولكنه كـان يطالب الشـركات ويفـرض عليها احتـرام ما التـزمت به في العقـد. كان يـؤمن بمبدأ التطـور التـدريجي فكان يتقـدم إلى مـوقع لينتقل منـه إلى مـوقع أفضل. يبني مطـالبه تجـاه الشركات على أسس علمية قانونية بعيدًا عن التشنج السياسي.

تحدث الطريقي يومًا عن اتفاقية الامتياز مع الشـركة اليابانية في المنطقة المحايدة بعد توقيعها فقال قولًا نستطيع من خلالـه قراءة بعضٍ من فكره فيما يتعلق ببنود اتفاقية الامتياز مع شركات البترول الأمريكية التي يرى ضرورة إعادة النظر فيها، يقول:-

١) هـذه الاتفاقيـة (مع الشـركـة اليابـانيـة) أعطت الحكومـة الحق في الإشـراف المباشر على الإنتاج وكذالك تحديد الأسعار.

٢) كما أدخلت الحكومـة شريكة من البئر إلى السيارة حيثما وجـد نشاط للشركة في المنطقة المحايدة.

٣) حطمت هذه الاتفاقية قاعدة الـــ ٥٠٪ (مبدأ مناصفة الأرباح) وجعلت نصيب الحكومة ٥٦٪.

٤) أزاحت هذه الاتفاقيـة ما يُعَدّ بأنه غبن وتقييدات لسلطة الحكـومة كما هو وارد في نصوص الاتفاقيات الأخرى.

٥) هذه الاتفـاقية جعلت الحكومـة المشرف الأول على الثروة في البـلاد. «أخبار البترول والمعادن» العدد الثالث - أكتوبر ١٩٦١ (ربيع الثاني ١٣٨١هـ).

وفي مجـال الشأن الداخلي لـوزارته، ركـز عبدالله الطـريقي في تنظيم جهاز الـوزارة على استقطـاب مـوظفين من ذوي التخصصـات والكفـاءات العـاليـة من السعـوديين والعرب والأجانب، ليكونوا عونًا له لتنفيذ بـرنامجه الطموح في زيادة حصة الحكومة من الدخل من جهة، وأحكام الرقابة والمتابعة على الشركات الأمريكية لتطبيق بنود الاتفاقية من جهة أخـرى، لامه البعض على استخدامه لكـوادر عربية بدلًا من الكـوادر السعودية للعمل في الوزارة، وقد وجه سائل صحفي إلى عبـدالله الطريقي سؤالًا بهذا الخصوص. يقول فيه: يا صاحب المعالي هناك من يقـول إنكم تشجعون توظيف الأجانب في مراكز حساسة ولا تتيحون مثل هذه الفرصـة لأبناء البلاد، ويدللون على ذالك بأن في وزارتكم عددًا كبيرًا من غير السعوديين فهل يتكرم معاليكم بتوضيح ذالك؟

ويرد عبدالله الطريقي بقوله: (وزارة البترول والثروة المعدنية.. هي الوزارة المسؤولة عن أكبر ثـروة للبلاد.. والذين يمثلـون شركات الزيت العـاملة في البلاد رجـال أكفاء قديرون في شؤون عملهـم.. وهم بالطبع حريصون كل الحرص على مصالح الشركات التي يمثلونها والتي كثيـرًا ما تضاربت ومصلحة البلاد. لذا كان ضـروريًا أن تضم هذه الوزارة كفاءات ممتازة.. تستطيع بدورهـا أن تحافظ على مصلحة البلاد ولا أعتقد أن هناك من ينكـر ندرة الكفاءات الـوطنية خاصـة في مجال البترول فلم يكن أمـامنا إلا الاستعانـة بالخبـرات من الخارج، أما مـا يقال عن تشجيعي لـلأجانب فهـذا هراء لا أساس له من الصحة.. فأنـا أؤمن بأن حق المواطن في العمل هو حق مقدس، ولكن هل من المعقـول أن نجابـه رجالات الـزيت الذين يعملـون في الشركـات في بلادنـا والذين يحملون أرقى الشهادات بحملة الابتـدائي (الشهادة الابتدائية)؟! إن ذلك أمر سوف يـؤدي إلى ضياع حقـوقنا.. وإنني لأعجب من أولئك الـذين يقولـون هذا.. ولا أدري إذا كانـوا يعلمون بأن في أرقى جـامعات العـالم أكثر من ستين طـالبًا سعـوديًا (مبتعثون من قبل هـذه الوزارة) ويدرسون لـلالتحاق بهذه الوزارة.. وهم الـذين سوف

نعتمد عليهم في إدارتها في المستقبل. ثم ليأتوني بمثل عن سعودي واحد تقدم لهذه الوزارة.. ثم فضلت عليه أجنبيًّا في نفس مستواه العلمي.. خذ مثلًا الشباب الذين يديرون هذه الوزارة فقد سعيت إلى بعضهم قبل أن يسعوا إليّ.. وإني لانتظر الوقت الذي يحتل فيه السعوديون جميع المناصب في هذه الوزارة بلهفة بالغة.. وإن هذا ما سوف تكشف عنه الأيام). حديث مع مندوب جريدة «الخليج العربي» نشر في العدد الثاني من الدورية الشهرية التي يصدرها قسم العلاقات العامة بوزارة البترول السعودية بتاريخ سبتمبر ١٩٦١ (ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ).

ويتابع السائل موضوعه فيقول: ولكن ما رأي معاليكم في وجود شخص أمريكي على رأس دائرة الحسابات في وزارتكم - ألا ترون بأن هذا الرجل قد يعطف على بني جلدته ويساعدهم على حساب مصلحتنا؟

ويرد الطريقي ويقول: (هذا غير صحيح أيضًا لأنه (في غياب الموظف السعودي المؤهل) فإن وجود هذا الخبير الأمريكي معنا يجعلنا في موقف أحسن مما لو كان إنجليزيًّا أو هولنديًّا مثلًا.. لكي لا يكون في وسع شركات الزيت الأمريكية أن تقول: إن الإنجليزي أو الهولندي قد تحيز ضدها.. ثم في إمكاننا أن نرفض آراءَهُ إذا كانت في غير صالحنا وما رأيك في أنه يؤيدنا الآن تأييدًا مطلقًا في جميع المشاكل المعلقة بيننا وبين الشركات؟).

كان عبدالله الطريقي وزير البترول والمعادن عام ١٩٦١م (١٣٨٠ - ١٣٨١هـ) يحمل في قلبه وعقله مشروعًا وطنيًا عملاقًا للصناعة البترولية في المملكة العربية السعودية، وردًّا على سؤال عن المشاريع المستقبلية التي يخطط لها، قال الطريقي، إن أهم مشروعات الوزارة في المستقبل هي:-

١) تهيئة المواطنين للعمل في صناعة البترول وتعريب هذه الصناعة في وظائفها.

٢) إنشاء شركة وطنية مساهمة بين الدولة والشعب لاستغلال الثروات البترولية والمعدنية.

٣) إدخال تحسينات هامة على اتفاقيات الامتياز الحاضرة بحيث تتلاءَمُ ومصلحة البلاد.

٤) استغلال الثـروة المعدنية في البـلاد إلى أبعد الحـدود الممكنة لتساعـد الثروة البترولية ولتخفف من اعتماد الدولة على مورد واحد للدخل القومي.

٥) المساهمـة في إنشاء صنـاعات بتروكميـائية تـوفر مجـالات العمل للمواطنين وتقلل من الاستيـراد، وتزيـد من الـدخل القـومي للبلاد عن طـريق التصنيع. «أخبـار البتـرول والمعادن» - وزارة البتـرول والمعادن - المملكـة العـربية السعـودية، العـدد الثالث - أكتوبر ١٩٦١ ص ٢٣ (ربيع الثاني ١٣٨١هـ).

الأعمال التي قام بها عبدالله الطريقي لإعـادة هيكلة الصناعة البترولية في المملكة العربيـة السعودية انطلاقًـا من مبادئه وتوجهـاته الوطنية والفنيـة يصعب على الباحث المستعجل الإلمام بهـا، خصوصًا عنـدما يجابـه الإنسان بـذالك النقص المحزن في تـوثيق أعمال رجل وضع اللبنـات الأولى لبنـاء أو إعادة بنـاء المؤسسـة البتروليـة في المملكة العربية السعودية.

إن حفـريـات الطـريقي، وخطواتـه في القطـاع البتـرولي، ينطق بهـا المكـان قبل الإنسان وإن دستهـا في التراب ريـاح الزمن، تتعـرف على تضاريسهـا وأنت تتحدث إلى نفر من الرجال الذين عملوا معه، وساروا معه جزءًا من مشواره الطويل.

اختتم هذا الجـانب من حياة عبـدالله بن حمود الطـريقي بكلماتـه التي افتتح بها نشرة دورية لوزارة البتـرول والثروة المعدنية كان من خلالهـا يخاطب الآخرين، يقول: (لقد قلت في رسالتي الأولى - والخطاب مـوجه إلى المواطن - إنني أريدك أن تفهم رسـالتنا لتضم جهـدك إلى جهـودنا في تنميـة ثروة بـلادنـا لتكون أداة فعّـالة لإسعـاد مواطنينا ورفع مستـواهم المعيشي والفكري. نرجو أن تكون قـد وصلت مما قرأت من أعداد حتى الآن إلى تكوين فكرة عما نحاول عملـه. وإننا يا صديقي المواطن نرحب ونـرجو أن تتكـرم بـالاتصـال بنا لتنقـدنـا فالنقـد بنـاء، ولتبدي رغبتـك التي يسعدنـا تحقيقها. إن رسـالة هـذه الوزارة كمـا تفهمها هي المحـافظة على مصـالح البلاد ولا نستطيع تحقيق هـذا الهدف إلا بتعـاون المخصلين من أبنـاء هـذه البلاد). («أخبـار البترول والمعادن» - أكتوبر عام ١٩٦٠ - ربيع الثاني ١٣٨٠هـ).

(للبحث صلة)

د. عبدالعزيز بن محمد الدُّخَيِّل

- ١ -

بُجير بن زُهير المُزَني أخباره وشعره

هوَ بجير بن زهير[١] بن أبي سُلْمَىَ ربيعة بن رِيَاح (بكسر الراء)[٢] بن قُرْط (وقيل: قرة)[٣] بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن نور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان المزني[٤].

وأكاد أظن أن تكنية كبشة بنت عمار زوجة زهير بأُمِّ كعبٍ[٥]، تدل على أن بُجيرًا لم يكن أخا كعب من أمه، كما أن تكنية زهير بأبي بُجَيرٍ[٦] - في إحدى الروايات - قد تدل على أنه كان أكبر الأبناء عند زهير، أو أُحبهم إلى أبيه.

وليس بين يديَّ من الروايات ما يساعدني على تحديد سنة ولادته، ولا ما يُعينُني على دراسة ملامح طفولته، أو يدل على أن أباه كان يُدرِّبهُ، ويُثَقِّفُ لسانه على قرض الشعر، مثلما كان يفعل مع أخيه (كعب) وأخته (وبرة) كما أشارت بعض المصادر، وعلى رغم ذالك، فإنني أستطيع - قياسًا على ذالك - الذهابُ إلى أنه كان يسمع شعر أبيه وشعر غيره من المُزَنيين، ويتناشدُهُما في بعض مجالسه وأسفاره، مما جعل قريحته تتفتَّقُ عن قول الشعر، وتنبثقُ عن جَيِّدِهِ مُبكِّرًا، كأخيه كعب، وهو شعر لم يُتَح لبُجيرٍ من التدفق فيه، بما يمكّنه من مُزاحمة شهرة أبيه، ولا تدفق شاعرية أخيه، اللذين غَطَّيَا بتمكُّنهما في هذا الفن، ما كان يهمس به بُجَيرٌ في رعيه لغنمهِ وإبله، وفي رحلاتِ صيده، بالمناطق المُجاورة للحاجِرِ وقُدْسٍ والنَّقيعِ، واللِّوى وأَبرقِ العَزَّافِ، وغيرها من المراعي التي كانت قريبةً من المدينة المنورة، التي انتقل إليها الشاعرُ بعد أن شرح الله صدره لنور الإسلام.

وقد أشارت الأخبار[٧] إلى ما كان يزاوله هو وبعضُ صحبه من الصيد، إضافة إلى ما كان يزاوله هو وأخوه كعب من رعي للغنم عند أبرق العَزَّاف[٨].

وغيرُ بعيد عن أسماعنا ما تتناقله الرواياتُ المُشيرةُ إلى إسلامه هو وأخيه كعب، والثابت من هذه الروايات أن بُجيرًا قد سبق أخَاهُ، فقدِمَ على رسول الله ﷺ بالمدينة،

فسمع منه، فأسلم، وحسُـنَ إسلامه، وبلغ ذالك كعبًـا، فقال في ذالك أبيـاتًا، فكتب إليه (بُجيـر): إن كانت لك في نفسك حَاجـةٌ، فأقدُم إلى رسـول الله ﷺ، فإنه لا يَقتُلُ أحدًا جـاء تائبًـا، وأرسلَ مع الكِتَاب أبيـاتًا شِعْـريةً، وصلت إلينـا بقايـا مقطوعتينِ أو قصيدتين منها، إحـداهُما رائية[9]، والأُخرى ميمية[10]، وهو في هذه الأبيات يحضُّ أخاهُ على المُسـارعةَ بإعلان إسلامِـهِ، وترك المِلةِ البـاطلةِ التي كان عليها أبـوهُ وجَدُّه حتى ينجوَ من العذابِ في (سَقَر)، إذا هو انضوَى تحتَ لواءِ النبيِّ ﷺ.

ونسب ابن شهـرا شوب (ت ٥٨٨ هــ) لبُجيرٍ قـولهُ في مـدح النبي عليه الصـلاة والسلام[11]:

أتـــانـــا نَبِيٌّ بَعْـــدَ يأسٍ وَفَتْـــرةٍ ... مِنَ الله والأوثـــانُ في الأرض تُعْبَـــدُ
وشَقَّ لَـــهُ من اسمِـــهِ لِيُجِـــلَالِـــهِ ... فَـذُو الْعَــرْشِ محمُـودٌ وهَــذَا محمَّـدُ
وأشــــركَـــهُ في ذِكِـــره جَـلَّ ذكـــرُهُ ... تخلَّـــد في الجنـــاتِ فيمَنْ يُخَلَّـــدُ
أغَـــرُّ عليـــه للنبـــوةِ خَـــاتَمٌ ... مِنَ اللهِ مشهُـــودٌ يلـــوحُ ويشْهَـــدُ

ثم أورد في مـوضع آخـرَ من كتـابـه، بيتين من هـذه الأبيات، بـاختـلافٍ طفيفٍ، منسُوبَيْنِ لحسان بن ثـابت الأنصاري، وهما - مع البيت الرابع - لحسـان في ديوانه، إضافة إلى بعض المصادر الأخرى.

وإن صحتْ نسبـةُ هذه الأبيـات، أو بعضها، لبُجيـر، جازَ لنـا أن نَعُدَّهُ من شُعـراء النبي، عليه الصلاةُ والسـلامُ، الذينَ وقَفُوا ينهلُون من فُيُوضِ عظمتهِ، مـا يُعْلُونَ بهِ من مكانتهِ في قُلُوبِ تابعيهِ، ويُحفِّزُ خصُومَهُ إلى الاهتداء بنُورِهِ.

وقريـبٌ من أمر هذا الخلـط، ما وقع فيه كـل من (الأحولِ) و (السَّكَّرِيِّ) شـارحَيْ «ديـوانِ كعب» بنسبتهما الأبيـاتَ الفائيـة التي أنشدهـا بُجيرٌ يَـومَ فَتح مكةَ (رمضـان ٨هـ) إلى أخيه كعب[12] وهو وهمٌ تبعهما فيه صاحبا طبعتي الديوان الأخيرتين خطأ، مُـرتِّبًا ذالك على أن كعبًـا أسلم وأنشـد هذه القصيـدة قبلَ الفتحِ[13] وهو الحـديثُ الذي يُجمِعُ على نفيه كل ما بينَ يديَّ من المصادر.

وأبعدُ من هذا الـوهم خطرًا ما ذهبَ إليه صديقي الـزميلُ عثمانُ الغزالي[١٤]، نقلًا عن الألوسي[١٥]، من أن بُجيرًا هذا عـاش حتى شهِدَ مراحلَ اختلاطِ العـرب بغيرهم من الأعاجم، وما نتج عن هذا الاختلاط الحضـاري من نتائجَ، كان منها قيامُ حملاتِ الشعوبية، فقال شعـرًا يُعَيِّرُ فيه العَرَب باختلافِهم في النسبِ، واستلحـاقِهم للأدعياءِ، مُتشرِّفًا بِمُلوكِ الأكاسرةِ، منه قوله:

زعمتُم بـأنَّ الهنـــدَ أولادُ خِنْـــدَفٍ وبينكُمُ قُـــربَى وبيـنَ البَـــرابِـــرِ

ودَيْلَمُ مِـنْ نَسْلِ ابن ضَبَّـــةَ بـــاسِلٍ وبُـرْجـانُ من أولادِ عمـرُو بنِ عـامِـرِ

فَقَـدْ صَـارَ كُلُّ النـاسِ أولادَ واحِـدٍ وصـارُوا سـواءً فِي أُصُـولِ العَنَـاصـرِ

بَنُـو الأصفَـرِ الأمـلاكُ أكـرَمُ منكُمُ وأولَى بقُـرْبـانَـا مُلُـوكُ الأكَـاسِـرِ

ولستُ أملكُ من الروايات أو الشواهد أو الأخبـار ما يؤيد هذا المذهب، وأرى من الشواهـد ما يدحضُـه، إذْ كان لهذا الشـاعر نسَبُهُ الصـريحُ غيرُ المشكوكِ فيـه، مع ما نعلمه من صحة إسلامه وبلائه في الله أحسن البلاء، لذا فإنني أنفي نسبةَ هذه الأبيات ومما يُتممهـا لبُجير بن زُهير، ذاهبًـا إلى أنها ربما كانت لشـاعرٍ آخر يُـدعَى (بُجيرًا)، ممن انحدروا من أُصول أعجميةٍ، وعاشُوا في أواخرِ عصر بني أُمية وأوائل ما بعده.

وعلى رغم صمت الأخبار عن مُتابعـة سيرة هذا الشاعر، وعـدم كشفها النقابَ عن أُسرته وزوجه، وأبنائه، فنحنُ نحظى بإشاراتٍ مُـوجزةٍ عن شَرفِ انضمامه إلى كتائب الإسلام وألويتـه، مُشاركًا مع قومـه، في غزوة خيبر[١٦]، وفتح مكة[١٧]، وغزوة الطائف وغزوة هوازن[١٨]، وقال في كل ذالك شعرًا، يتوزع، إضـافة إلى ما سبقت الإشارةُ إليه، على قوافي الدال والقاف والنون.

والظاهر من صمت المصادر عن مشاركته في حـروب الردة، وما تلاها من فُتوحات إسـلامية بشتى الأمصـار، أن بُجيـرًا قد انتقل إلى جـوار ربـه في أواخر عهـد النبيِّ ﷺ بالمدينة المنورة (١١ هـ)، دون أن يكون له عَقِبٌ يحملون اسمه مِنْ بَعْدِهِ.

وما بين أيـدينا من أشعـاره، مما صحت نسبتُـه إليه، ممـا بعد إسلامـه فقط، وهي على تعدُّد قوافيها، مقطعات متناثرة، أطول مـا فيها لا تتجاوز الثلاثةَ عشرَ بيتًا، ويبدو

من موضوعات هـذه الأشعار أن أكثرها كان بقايا قصائد ضـاع بعضُ أبياتها من ذاكرة التاريخ، وربما ذهب ظني إلى أنه أنشد بعض هذه الأشعار الضائعة في جاهليته، ثم تبرأ منها هو أوغيره من الرواة، بعد أن شرفه الله بالإسلام.

الحواشي:

(١) وانفرد الأمدي في («المؤتلف والمختلف» ص، ٧٤، ٧٥) بقوله: هو بُجيرُ بن أوس بن أبي سُلْمَى، وقيل: بُجير بن زهير.

(٢) ومنهم من يصحفه بـرياح.. انظـر مثلًا: «المستدرك» ٣/ ٥٧٨، ٥٧٩، و «شـرح الحمـاسـة» للتبريـزي، القلم، ١/ ٤٠٥، و «أسد الغـابة» الشعب ١/ ١٩٨، و «مجمع الأمثال» ١/ ١٢٦، و «تجـريد أسماء الصحـابة» ١/ ٤٤، و«معجم المـؤلفين»، ٤/ ١٨٧، وفي «شـرح القصائد السبع الطـوال»، ص: ٢٣٥، بـالبـاء والياء معًـا، وفي «دائرة المعارف الإسلامية» (زهير)، (نباح) وهو وهم أيضًا، ومثله في «المنازل والديار» لابن منقذ ص: ١٥٩، (رزاح).

(٣) «طبقـات فحول الشعـراء»، ١/ ٥١، و «المـؤتلف والمختلف»، ٧٤، ٧٥، ١٥٧، و «شـرح ما يقع فيـه التصحيف والتحريف»، ٢٦٥، وفي «الجمهـرة»، ص ٦٧، ١٥٣ (ربيعة بن ريـاح ابن قرط)، وفي «نشـوة الطرب»: ١/ ٤٧١، (ابن الحارث بن مازن بن حارثة بن ثعلبة).

(٤) «جمهـرة النسب»، ٢٨٨، و «شـرح مـا يقع فيـه التصحيف»، ٢٦٥، وقـارن: «الشعـر والشعـراء»، ١/ ١٤٣، و«المعمرون والوصايا»، ٨٣.

(٥) «شرح ديوان زهير» الهيئة، ص: ٣١٣، ٣٢٦، وشرح شعره، الآفاق، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٥٠.

(٦) «المزهر»، ٢/ ٤٢٤.

(٧) «ديوان كعب بن زهير» قراقو، ٧١، والقاهرة، ١٢٦، والأحول، ٦٥، «وذيل الأمالي» ٢٤، ٢٥، وقارن: «سرح العيون»، ١٢٤.

(٨) «ديوان كعب»، القاهرة، ٥١.

(٩) مجموع شعره رقم (٣).

(١٠) مجموع شعره رقم (٦).

(١١) مجموع شعره رقم (٨).

(١٢) مجموع شعره رقم (٤).

(١٣) «ديوان كعب»، بيروت، ٥٢ (حاشية)، والشواف، ٣٧، ٣٨، وانظر أيضًا: «وحدة القصيدة في الشعر العربي»، ص: ١٣٧.

(١٤) «شعر بني مزينة في الجاهلية»، ١١١، ر. م، بمكتبة جامعة الزقازيق(١٢٤٣/ ١/ ٨١١).

(١٥) «بلوغ الأرب»، ١/ ١٦٨.

(١٦) «الأغاني»، الشعب، ١٨/ ٦٣٦٨.

(١٧) «طبقـات فحول الشعـراء»، ١/ ١١٠، و «السيرة» لابن هشـام، ٤/ ٥١، ٥٢، و «الأغاني»، نفسه، ١٨/ ٦٣٦٧، و«الروض الأنف»، ٤/ ١٠٨، و «السيرة» لابن كثير، ٣/ ٥٨٩ - ٥٦٠ و «الإصابة» الكليات، ١/ ٢٢٨.

(١٨) «السيـرة لابن هشـام»، ٤/ ٩٧، ٩٨، ولابن كثيـر، ٣/ ٦٦٤، و «جـوامع السيـرة»، ٢٤٤، و «الـروض»، ٤/ ١٥١، ١٥٢، و «الاستيعاب»، ١/ ١٤٩، و «تجريد أسماء الصحابة» ١/ ٤٤، و «المذاكرة في ألقاب الشعراء»، ص: ٥٧.

ب- مجموع شعره

أ- قال (الطويل):

١ - إِلَى اللهِ وَجْهِي والرسُولِ ومن يُقِمْ ... إلى اللهِ يوماً وجهَهُ لا يُخَيَّبُ

المصدر: «مناقب آل أبي طالب»: ١/ ٢٦٨.

ب - وشهد حنينا، وقال في ذالك (وافر):

١ - وَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمّ ارْعَوَيْنَا ... فَأَمكنَّا لِمَنْ حَضَرَ الجِلَادَا

المصدر: «المذاكرة في ألقاب الشعراء»، ٥٧.

جـ- وقال يحرض أخاه كعباً على اعتناق الإسلام الحنيف (بسيط):

١ - وِفَاقُ كَعْبُ بُجَيْرٍ مُنقِذٌ لَكَ مِنْ ... تَعْجِيلِ تَهلُكَةٍ، والخُلْدِ فِي سَقَرا

١ - الوِفَاقُ: المُوافقة وفَصَلَ الشاعرُ في صدرِ البيتِ بين المُضاف والمضاف إليه بالمُنَادى، وسقر: اسم من أسماء نار جهنم.

المصادر: البيت لبجير في «شرح شواهد الألفية»، بهامش «الخزانة»، بولاق، ٣/ ٤٨٩، و «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»: ٢/ ٥٢٤، و «حاشية الصبان على الأشموني»: ٢/ ٢٧٩، و «الدرر اللوامع»: ٢/ ٦٧، ووهم صاحب «همع الهوامع»: ٢/ ٥٣) أو ناسخه، فنسبه لزهير، وروايته في «الهمع»: (رفاق كعب بجير منقذ لك من...).

د- وقال في يوم فتح مكة (رمضان ٨ هـ) (وافر):

١ - نَفَى أهلُ الحَبَلَّقِ يَومَ (وَجّ) ... مُزَينةُ جَهْرةً، وبنُو خِفَافِ

٢ - ضَرَبْناكُم بِمَكةَ يومَ فَتْحِ النَّبِيِّ الخـ ... ـير بالبيضِ الخِفَافِ

٣ - صَبَحْناكم بألفٍ مِنْ سُلَيْمٍ ... وألفٍ مِنْ بَنِي عُثمَانَ وَافِي

٤ - حَذَوْا أكتافَهُم ضربًا وَطَعْنًا ... ورمْيًا بالمُرَيَّشَةِ اللِّطَافِ

٥ - رَمَيْنَاهُم بِشُبَّانٍ وشِيبٍ ... تُكفكِفُ كُلَّ مُمتنِعِ العِطَافِ

٦ - تَرَى بينَ الصفوفِ لهُنَّ رَشْقًا ... كما انصاعَ الفُوَاقُ منَ الرِّصَافِ

٧ - تَرَى الجُرْدَ الجيادَ تلُوحُ فِيهِمْ ... بأرماحٍ مُقَوَّمةِ الثِّقَافِ

٨ - ورُحْنَا غَانِمِينَ بمَا أرَدْنَا ... وراحُوا نادِمِينَ عَلَى الخِلَافِ

٩- وَأَعْطَيْنَــــا رَسُــــول اللهِ مِنَّــــا   مَـــواثِيقًـــا عَلَى حُسْنِ التَّصَـــافِي
١٠- فَجُــزْنَــا بَطْنِ مَكَّـــةَ وامتنعْنَـا   بِتَقْـــوَى اللهِ فِي البِيضِ الخِفَـــافِ
١١- وَقَــدْ سَمِعُــوا مَقَــالَتَنَـا فهَمُّــوا   غَـــداةَ الــرَّوْعِ منَّـا بِـــانصِـــرَاف
١٢- وحلَّ عَمــودُنا حَجَــرات نَجْـدٍ   فـــ (أَلْيـةَ) فــالقَـدُوسِ إِلَى شِـــرَافِ
١٣- أرادُوا الـــلَّاتَ والعُــزَّى إلَهًــا   كفَى بِـــاللهِ، دُون الـــلاتِ، كَـــافِي

١- قال السهيلي: الحَبَلَّقُ: أرضٌ تسكنها قبـائلُ من مُزينةَ وقَيْس. والحبلق: الغنم الصغار، ولعله أراد أهل الغنـم، ووج: هي الطائف أو أحد عيونها، وذكـر الشيخ حمد الجـاسـر (مجلـة «العـرب»، س ٢٤ ص ٦٠٥) أنـه يأخـذ أعلى مسـايلـه من ديـار (الطلحات) من هُـذيل وديار بني سفيـان، من ثقيف، وديار قـريش، فأعلاه مـن بلاد الطلحـات يعرف بـوادي المخاضـة، ويظل بهـذا الاسم حتى يصل مزارع (الـوهيط) فيلتقي بـوادي (شقــرا) الآتي من اليمين، من ديــار بني سفيـان، وبعـد التقـــائهمـا وتجاوزهمـا للوهيط يأتيهما من اليسار وادي (المـاوين) الآتي من حمى قريش، ومن ثم يطلق عليه وادي (وج).

٢- النبي الخير: ذو الخير، أو الخيِّر بالتشـديد، ثم خُفِّفت لضرورة الوزن، والبِيض الخفاف: صفة للسيوف المجردة البتارة.

٣- صبحناهم: أتيناهم صباحًا، والوافي: التام.

٤- حَـذَوْا: تبعوا، والمُـرَيَّشَةَ: السهـام ذوات الـريش، يقال: رُشْتَ السهـم أريشـه ريشًا فهو مُرَيَّش: ألزق عليه الريش («اللسان» - ريش).

٥- تكفكف: تدفع وتصرف وتمنع، والعطاف: جمع عطف، وهو الجانب من الرأس.

٦- الرشق: الضـرب والطعن، وانصاع: نصل، وخـرج: ذهب من موضعـه وانشق، والفواق: صوت الصدر، وهو بالهمـز في قول الأعرابي، لأنه من ذوات الواو (الروض) والمراد بالفـواق هنا: طرف السهم الذي يلي الوتر، والـرصاف: جمع رصفة، ورصف، وهي عظام الجنب، أو العقب الذي يلي فوق الـرعظ، وهو مدخل النصل في السهم،

وقال السكري: الفواق: عقب يشد على الفواق («شرح ديوان كعب»).

٧- الجـرد: جمع الأجرد، وهـو من الخيل، والدواب كلهـا، القصير الشعـر، حتى يقال: إنه لأجـرد القوائم، وفرس أجرد: قصيـر الشعر، وقد جرد وانجـرد، وكذالك غيره من الدواب، وذالـك من علامات العتق والكـرم («اللسان» - جـرد). وقولـه: بأرماح، يريد مع أرمـاح، ومقومة الثقاف، مقومـة التثقيف، وهو ما قومت به الـرماح، والثقاف: حديدة تكون مع القوس والرماح: يقوم بها الشيء المعوج، والتثقيف: التسوية.

٨- رحنا: عدنا، غانمين: فائزين مأجورين، الخلاف: المخالفة لرسول الله.

٩- المواثيق: العهود الموثقة، حُسن التصافي: التقوى والورع والإحسان.

١٠- جزنا: اخترقنا، وامتنعنا: لم يصبنا أذًى أو سوء.

١٢- عمودنا: ديننا وحجرات نجد: نواحيهـا. و (ألية) بئر في حزم بني عوال، بينها وبين المدينة نيـف وأربعون ميلًا، وقيل: ألية وادٍ بفسح الحبابيـة، والفسح وادٍ بجانب عرنة. («المغـانـم» - ٢٩). وشراف (بضم الشين وفتحها وكسرهـا): ماء بنجد، وقيل: هي بين واقصة، والقـرعاء، على ثمانيـة أميال من الأحسـاء التي لبني وهب، وبشراف ثلاث آبـار رشاؤهـا أقل من عشرين قـامة، وماؤهـا عذب كثيـر وبها قلب كثيـرة طيبة الماء («معجم البلدان»).

المصادر: «السيرة النبويـة» لابن هشام: ٤/ ٥١، ٥٢، و «ديوان كعب» قراقـو: ١٤٢، ١٤٣ والقاهرة ٢٤٤ - ٢٤٧، والأحـول: ٨١، ٨٢ والشـواف: ٩٨، ٩٩، وبيـروت: ٥٢، ٥٣، و «طبقـات فحـول الشعـراء»: ١/ ١١٠، و«المقتضب»: ٢/ ٢٨٢، و «المـؤتلف والمختلف» ٧٤/ ٧٥ و «الأغـاني» الشعب: ١٨/ ٦٣٦٧، و «تهـذيب اللغـة» و «اللسـان» (صبح)، و «الروض الأنف»، دار الكتب الحـديثـة: ٧/ ١٢٢، ١٢٣، و «البـداية والنهـايـة» ٤/ ٣١١، ٣١٢، و «السيرة» لابن كثير: ٣/ ٥٨٩، ٥٩٠، و «حـاشية على بانت سعاد» ص: ٥٨، و «المـذاكرة في ألقاب الشعراء»: ٥٧، و «البرصان» ١٨٢.

التخريج والروايات:

١- الأبيات لبجير في المصادر السابقة كلها (عـدا «ديوان كعب» بنسخه المختلفة)، ففيها لكعب وهو خطأ نبهتُ عليه من قبل.

٢- الأبيات عدا الثاني والثـاني عشر في «د يوان كعب»، وعدا الخامس والعاشر والثـاني عشر والثالث عشر في «السيرة» و «الروض» و «البداية»، والأبيـات (٢، ٩، ٣, ٨) في «الإصابة» و (١، ٣) في «المؤتلف»، و (٣، ٧)

في «الأغاني» موالشيالشفقطفي «الطبقات» و «التهذيب» و «المقتضب» و «اللسان»، والثاني والتاسع والثالث والسابع والرابع والثامن في الحاشية، و (٣، ٧، ٤) في «المذاكرة» والثالث في «البرصان» للعباس بن مرداس، وعنه في ديوانه، ١٧٨، وفي «المذاكرة»: منحناهم بسبع..

٣- رواية البيت الأول في «السيرة» و «المؤتلف» و «الروض» و «البداية»:

نفى أهل الحبلق بيوم فج مزينة غدوة وبنو خفاف

والثالث في «الطبقات» و «السيرة» و «الروض» و «البداية»: صحبناهم بسبع... وألف..

وفي «المقتضب» و «التهذيب» و «اللسان»: صبحناهم بألف... وسبع..

والرابع في مطبوعة قراقو من «ديوان كعب»، شذوا أكتافهم ضربًا وطعنًا..

وفي «السيرة» و «الروض»: نطأ أكتافهم ضربًا وطعنًا.. ورشقًا.

في «البداية»: نطا... وفي «المذاكرة»: وفي أكتافهم طعن وضرب ورشق..

والسادس فيها: ترى بين الصفوف لها حفيفًا...

والسابع في «السيرة» و «الروض» و «البداية»: فرحنا والجياد تجول فيهم.

وفي «الأغاني»: فرحنا والجياد تحول فيهم.. وفي «المذاكرة»: فرحنا والجياد تجول فيهم... بأرماح مثقفة خفاف..

والثامن في «الإصابة»: فأُبنا غانمين بما أردنا.. وآبوا.

وفي «السيرة» و «الروض» و «البداية»: فأُبنا غانمين بما اشتهينا.. وآبوا.

والتاسع في الثلاثة: وأعطينا رسول الله منا... مواثقنا.

هـ- وقال لما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف (٨ هـ)، بعد القتال والحصار يذكر حنينا والطائف (كامل):

١- كانت عُلَالةُ بطن حُنَيْنِكُمْ وغداةَ (أوطاسٍ)، ويوم الأَبْرَقِ

٢- جَمَعَتْ بإغْواءِ هوَازِنُ جَمْعَهَا فتبدَّدوا كالطائرِ المُتَمَزِّقِ

٣- لم يمنعُوا منَّا مقامًا واحدًا إلا جِدَارَهُم، وبطنِ الخندَقِ

٤- ولقد تعرَّضْنَا لكَيما يخرُجُوا فتحصَّنُوا منَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ

٥- ترتدُّ حَسْرَانَا إلى رَجْرَاجَةٍ شهباءَ تلمَعُ بالمنايا فَيْلَقِ

٦- ملمومةٌ خضراءُ، لو قَذَفُوا بِهَا (حَضَنًا) لظل كأنَّهُ لم يُخْلَقِ

٧- مَشْيَ الضِّرَاءِ على الهَرَاس كأننَا قُدُرٌ تُفَرَّقُ فِي القِيادِ وتَلْتَقِي

٨- في كُل سـابقَـة إذا مـا استحصنَتْ كـالنُّهْـي هبت ريحـةُ المتــرقــرقِ

٩- جُــدُلٌ تمسُّ فَضُــوُلُهُنَّ نِعَــالَنَــا مِـنْ نَسْـجِ دَاوود وآلِ مُحَـــــــرِّقِ

١ - العلالـة: الجري بعد الجـري، أو القتال بعـد القتال، يريـد أن هوازن جمعت جمعهـا علالـة في ذالك اليـوم، وحذف التنـوين من (عـلالـة) ضرورة، وأضمـر في كانـت، وهو القصة، وإن كـانت الروايـة بخفض (يوم) فهـو أولى من التـزام الضرورة القبيحة بالنصب «الروض».

و (أوطـاس): وادٍ في ديـار هوازن، وهنـاك عسكـروا هم وثقيف، إذ أجمعـوا على حـرب الرسـول ﷺ وصحبـه، فالتفـوا بُحنين («معجم مـا استعجم»: ١/ ٢١٢)، وفي «معجم البلدان» إشـارة إلى أكثر من خمسـة وعشرين منزلًا يقـال لها الأبـرق. كأبرق زياد وأبرق العزاف، وأبرق الهيج.

٢- الإغواء: التضليل والغي، وهما ضد الرشد والهداية، تبددوا: تفرقوا.

٥- الحَسْرُ والحَسَرُ: الإعيـاء والتعب، ودابة حاسر وحاسرة وحسيـر، الذكر والأنثى سـواء، والجمع حسـرى، وحسـرت الـدابــة إذا تعبت حتى تنقى، واستحسـرت: إذا أعيت، والرجـراجة: الكتيبة الضخمـة من الرجرجـة، وهي شدة الحركـة والاضطراب، وشهباء: من الشهبة، وهي لـون بياض يصدعه سواء في خلالـه، يصف بذالك الكتيبة لما فيهـا من لمعـان الحديد المشـوب بالسـواد. والمنايـا: جمع منية وهــي الموت. والفيلق: ويجمع على الفيالق، وهو الجيش العظيم الداهية.

٦- ملمومـة: مجتمعة. خضراء: تظهـر خضراء اللون لكثـرة ما عليها من الحـديد والسـلاح. (حضن): اسم جبل بأعلى نجد، وقيل: قـريـة لقريش، من بني مـالك في سراة بجيلة، جنوب الطائف.

٧- الضـراء: الكـلاب، وأراد بمشيهـا: المشـي في استخفـاف وختل، والهـراس: شجـر كبير الشـوك، وقيل: الهراس: شـوك كأنـه حسك، الواحـدة هراسـة، وقال أبـو حنيفة: الهراس من أحرار البقول، واحدته هراسة وبه سمي الرجل وأرض هَرِسة: ينبت فيها الهراس («اللسان» - هرس).

والقـدر: جمع أقـدر، وهي الخيل تجعـل أرجلهـا في مـواضع أيـديهـا إذا مشت، ويروى: فدر (بالفاء) وواحدها فادر: وهي الوعول المُسِنّة، والقياد: حبل يقاد به.

٨- السابغـة: الدروع التـامة الكاملـة، والنِّهي والجمع (أنْه) وأنهـاءِ ونهي، ونهاء: وهو الغـذير أو شبهـه، سمي بذالك لأن مـاءه نهاه ما ارتفع مـن الأرض عن السيلان، فوقف «الروض».

٩- جـدل: جمع جـدلاء، وهي الـدرع الجيدة النسج والفتـل والمنسوجـة نسجًـا محكمًـا يجعلها شـديدة، ومن رواه: جـدل، فمعناه: ذات جـدل، والفضل: الزيـادة، ومحرق: عمرو بن هند ملك الحيرة، وفي زمانه ولد رسولُ الإنسانية محمد ﷺ.

المصادر: الأبيات كلها لبجير في «سيرة ابن هشـام» ٤/ ٩٧، ٩٨، وتهذيبها: ٢/ ٢٧٣ و «السيرة» لابن كثير: ٣/ ٦٦٤، و «الروض الأنف»: ٤/ ١٥١، ١٥٢، والأربعة الأول فقط له في «الاستيعاب» ١/ ١٤٩، و «أسد الغابة»: ١/ ١٩٩، والأول في «العمدة» ١/ ١٦٥.

و- وكتب إلى أخيـه كعب، يـدعوه إلى الإسـلام، قـائلًا: إن كـانت لك في نفسك حاجةٌ فأقْدُمْ إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا.. وبعث مع هذه الرسالة قوله (طويل):

١- فَمَنْ مبلغٌ كَعْبًـا، فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي ... تلـومُ عليهَـا بـاطِـلًا، وَهْي أحْـزَمُ

٢- إلى اللهِ، لا العُزَّى ولا اللَّاتِ وحدَهُ ... فتنجُـو إِذَا كـانَ النجـاءُ وتسْلَمُ

٣- لـدى يـوم لا ينجُـو وليسَ بِمُفْلِتٍ ... منَ النـارِ إلا طـاهـرُ القلب مُسْلِمُ

٤- فَـدِيْـنُ زُهيـرٍ، وَهْـوَ لا شـيْءَ دينُـهُ ... وديـنُ أبِـي سُلَمى عَلَـيَّ مُحَـرَّمُ

٢- النجاء: النجاة والفوز.

المصادر: وردت هذه الميمية في عشرات المصادر المطبوعة والمخطوطة، ومنها: «فتح بـاب الإسعاد في شرح بانت سعاد» خ، الـورقة الثانية، و «كنه المراد في بيان بـانت سعاد» خ/ ٣/ ١، و «شرح قصيدة المكي»، خ، الورقة الثانيـة، و «راحة قلب المستجيـر»، خ، الورقـة، ٤٣/ ب، و «سيرة ابن هشـام»: ٤/ ١٠٨، ١٠٩، و «ديوان كعب» قـراقـو، ٢، والقـاهـرة: ٤، والأحـول: ٢، و «عيـون الأثـر» ٢/ ٢٦٨، و «العفـو والاعتـذار»: ٢/ ٤٤٩، و«الاستيعـاب»: ١/ ١٤٩، و «المستدرك» وتلخيصـه: ٣/ ٥٨٢، ٥٨٣، و «الـروض الأنف» دار الكتب الحديثـة:

٧/ ٢٥٧، و «البداية والنهاية»: ٤/ ٣٦٩، و «سيرة ابن كثير»: ٣/ ٧٠٠، و«زاد المعاد»: ٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦، و«طبقات الشافعية الكبرى»: ١/ ١٢٢، و «شرح ابن هشام لقصيدة كعب» الحلبي ص: ٥ وغيرها.

التخرج والروايات:

١ - الأبيات الأربعة لبجير في المصادر المسابقة، عدا «كنه المراد» ففيه (١ - ٣) فقط.

٢- صدر البيت الأول في جميع المصادر من دون الفاء في كلمة (من) عدا «الاستيعاب».

٣- روايةالبيت الثاني في «طبقات الشافعية» (فتنجوا إذا كان النجاة وتسلم).

والرابع في «شرح المكي»: (فدين زهير وهو لا دين دينه).

وفي مطبوعة قراقو من «الديوان» و «الاستيعاب»: (فدين بن زهير وهو لا شيء غيره).

وفي «المستدرك» وتلخيصه: (فدين زهير وهو لا شيء باطل).

ز- وقال في يوم حُنَيْن وغزوة هوازن، حين فر الناس من هول المعركة (كامل):

١ - لــولا الإلــهُ وَعبْــدُهُ وَلَّيْتُمُ ... حينَ استخَفَّ الـرُّعْبُ كُلَّ جَبَانِ

٢- بالجِزْعِ يـومَ حَبَا لَنَا أقـرانُنَا ... وسـوابحٌ يكبُـونَ لـلأذْقَـانِ

٣- من بيْن سـاعٍ ثـوبُـهُ فـي كَفِّـهِ ... وَمُقَطَّـر بسنـابِكٍ وَلَبَـانِ

٤ - والله أكـرمَنَـا، وأظهَـرَ دِينَنَـا ... وأعـزَّنَـا بعبَـادَةِ الـرَّحْمَنِ

٥ - واللهُ أهلكَهُـمْ وفـرَّقَ جَمْعَهُـم ... وأذلَّهـمْ بِعِبـادَةِ الشيطـانِ

٦ - إذ قَـام عَـمُّ نَبِيِّكُـم، ووليُّـهُ ... يَـدْعُـونَ: يَـا الكَتيبَـةِ الإيمـان!!

٧- أينَ الـذينَ هُمُـو أجابُـوا رَبَّهُم ... يـومَ (العُـرَيْضِ)، وبيعَةِ الرضـوانِ!!؟

١ - وليتم: فررتم هاربين، استخف: تملك.

٢- الجزع: منعطف الوادي، وفي «معجم البلدان» ذكر مواضع باسم (الجزع) ولا أدري أي المقصود من هذه المواضع، أو غيرها.

وأقران: جمع قرين، وهو المثل، الكفء، والسوابح: جمع سابحة، وهي الخيول السريعة القوية، يكبون: يسقطون، يخرون، يذودون.

٣- مقطر: مُدمَى، ومقرب بعضها إلى بعض على نسق.

٦- عم النبي: يقصد العباس بن عبدالمطلب، ووليه: الإمام علي رضي الله عنهما.

٧- العُرَيضُ: واد بالمدينة له ذكر في المغازي.

المصادر: الأبيات السبعة لبجير في «سيرة ابن هشام»: ٤/ ٧٦، و «سيرة ابن كثير»: ٣/ ٦٤٥ و «البداية والنهاية»: ٤/ ٣٣٠، والبيتان الأول والسابع في «معجم البلدان» (عريض). و «المغانم المطابة»: ٢٦٠.

ب- ما ينسب له ولغيره:

جـ- نسبَ ابنُ شهرا شوب (ت ٥٨٨ هـ) لبُجير قوله: (طويل)

١- أتــانـا نَبِيٌّ بعْــدَ يَأْسٍ وَفَتْــرَةٍ … مِنَ اللهِ والأوثـانِ فـي الأرضِ تُعْبَــدُ

٢- وشقَّ لَـهُ من اسمِـهِ لِجَـلَالِـهِ … فَـذُو العَـرْشِ مَحْمُـودٌ وهَـذا مُحَمَّـدُ

٣- وأشـرَكَـه في ذكـره جَـلَّ ذِكْـرُهُ … تَخَلَّـدَ فِي الجنـاتِ فِيمَنْ يُخَلَّـدُ

٤- أغَـرُّ عليـهِ للنبـوةِ خَـاتَمٌ … مِنَ اللهِ مشهـودٌ يلـوحُ ويشْهَـدُ

المصادر: ١- «مناقب آل أبي طالب» ١/ ٦٩.

٢- وقد أورد المؤلف نفسه، في موضع آخر من كتابه، ١/ ١٦٥، البيتين الثاني والأول منسوبين لحسان بن ثابت الأنصاري، وروايتهما:

وشـق لـه مـن اسمـه ليجلـه … وذو العـرش محمـود وهـذا محمـد

نبي أتـانـا بعـد يأس وفتـرة … من الـرسل والأوثـان في الأرض تعبـد

٣- وهما - مع الرابع - لحسان في ديوانه، الهيئة: ٣٣٨، ٣٣٩، وصادر، ٣٠٦، وشرح ديوانه: ١٣١، ١٣٢، و«خزانة الأدب»، بولاق، ١/ ١٠٨، ١٠٩، و«شرح المواهب اللدُنّيّة»: ٣/ ١٥٥... وغيرها.

٤- رواية البيت الرابع في «الخزانة» (من الله من نور يلوح ويشهد).

عبدالمجيد محمد عبدالمجيد الإسداوي

كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر

نظرات في تحقيق كتاب:
«فرائد الخرائد في الأمثال»

لأبي يعقوب الخُوَيي، تحقيق: د. عبدالرازق حسين - النادي الأدبي في الدمام [انظر «العرب» س ٣٣ ص ٢٨٦].

١ - لمحقق هذا الكتاب معاناة مع هذا الفن، فقد صدر بتحقيقه:

- «الأمثال والحكم» للرازي عام ١٤٠٦هـ و «المنتخب والمختار في النوادر والأشعار» لابن منظور عام ١٤٠٩هـ و «الشعور بالعُوْر» للصفدي عام ١٤٠٩هـ، و«المختار من شعر شعراء الأندلس» لابن الصيرفيّ عام ١٤٠٦هـ.

٢- قال المحقق في مقدمته لهذا الكتاب الذي بين أيدينا: (وها أنذا اليوم أحقق هذا الكتاب الفريد حقًّا).

أقول: وصْفُ هذا الكتاب بأنه (فريد) لا يخلو من مجازفة، فليس فيه ما يرشحه لهذا الوصف، إذ هو لا يعدو أن يكون اختصارًا لكتاب أستاذه الميداني «مجمع الأمثال»، أما ادّعاء المحقق بأنه تميّزَ (في الأسلوب والعرض والطريقة) فهذا كلام لا معنى له، فأسلوبه أسلوب الميداني، وطريقته طريقة الميداني، بل إنه ينقل المثل أحيانًا بنصه وشرحه.

هذا يدعو إلى إعادة النظر فيما يُحقَّق ومالا يُحقَّق، ومثل هذا الكتاب ليس بعظيم جدوى، ماذا لو توفّر المحقق الفاضل على إخراج كتاب نادر مما تمتلئ به الخزانة العربية؟!

٣- ملحوظات مجملة:

أ- كثرة الأغلاط الطباعية في الإعجام والشكل، ما قيمة أن يُحقَّق الكتاب، ثم لا يُدقَّق في تجاربه عند الطباعة؟!

ب- أخطاء في وضع بداية الفِقَر، انظر مثلًا: ص ١٩، ٣٤، ٤١١.

ج- لم تُوْلَ الأمثالُ عناية من حيث شرح الغريب، ونحوه.

و- عدم انضباط المنهج في الترجمة للأعلام، ففي ص ٢٦ لم يترجم لجرير البجلي، وفي فهرس الأعلام ألحق اسمه باسم (جرير الشاعر) انظر ص ٦٢٥.

هذا مع كـونه ترجم لبشر بن أبي خـازم مرتين: في ص ٥٩ و ص ١٤٤، وأخطأ في فهرس الأعلام أيضًا، فجعل (بشرًا) غير (بشر بن أبي خازم) وهما امرؤ واحد.

هـ- يخرّج الحديث النبوي أحيانًا (ص ١٧١ مثلًا)، ويشير إلى أنه لم يجده أحيانًا (ص ٣٩٣ مثلًا)، ويسكت عنه في مواضع (ص ٤٠٩ مثلًا).

و- يتكثّر أحيـانًا من المصادر بـلا حاجة، فـلا يكتفي مثلًا بتخـريج شعر المتنبي من ديوانه، بل يضيف مراجع أُخر، انظر مثلًا الصفحات ٧٢، ٧٣، ١١٢، ٢٥٤، ٢٦٦.

ز- أحيانًا يخرّج الشعر، ويسكت عن تخريجـه في مواضع كثيرة انظر الصفحات: ١٧١، ٣١٩، ٣٢٠ من باب المثال.

وفي بعض المـواضع يخرّج الشعـر، ويأتي بأبيـات أخـرى من القصيدة التي هـو منها، انظر مثلًا: ص ٤٥٣، ولم يلتزم ذالك. فأين المنهج؟!

ح- في قائمة مصادر التحقيق ومراجعـه، ذكر المحقق منها: «الأطفال في التراث العربي» و «شعـر الخوارج، دراسـة فنية مـوضوعيـة مقارنـة» وهما كتابـان من تأليف المحقق نفسه.

مـا حاجـة من يحقق كتابًا في الأمثـال إلى (الأطفال في التـراث العربي)؟! ومـا حاجته إلى الكتاب الآخر؟! ألأنهما من تأليفه؟!

علمًا أن المحقق رجع إلى كتب، لم يذكرها في قائمة المصادر كديوان أبي فراس الحمداني، وديوان الشافعي!

٤- ملحوظات منفصّلة:

- في ص ١٠ من المقدمة قال المحقق: (جمادى الأول) والصواب (الأولى).

- في ص ١٧ قال: (وخاثر في غَمَـرات الحين) ولعل الصواب:؟ (وخائضٍ...) أو بحذف حرف التعدية.

- في الصفحة نفسها: (وزجر عباب الكفر وطما) والصواب: (وزخر عبابُ)..

- وفيها أيضًا: (حتى ردّ الكُفْرَ حفاول الظُبَي!) وهو تطبيع بلاشك صوابه (مفلول..).

- في ص ١٨: (وأضَن روضـه النـاضـر مُجـاج الثـرى) والصـواب: (وآض... مَجّاج...)، وينبغي أن يلاحظ أن المحقق قرأ الكلمة الثانية كما كُتِبَتْ (مُجاج) بضم الميم وفتح الجيم، بدليل شرحه إياها، وهذا لا يستقيم مع السياق.

- في ص ١٩: قال: (والمـرادُ شيّبَ الغراب وخـرط القتاد). والصـواب: (والمراد شيْبُ).

- وفي الصفحة نفسها: (ولهذه من الأسباب طلبـت طائفة) كلمة (من) مقحمة لا معنى لها.

- في ص ٢٢: (والذُّرق نَبْتٌ يقال له الخندقوق) صوابه: الحندقوق.

- في ص ٢٤: (إن من القول عيْلا: يقال عِلتُ الضالة أعيلُ).

قال المحقق: (لم أجد هذا المثل في مصادر الأمثال).

أقول: (ورد هـذا المثل في «لسان العرب» (عيـل) منسوبًا للنبي ﷺ، وجعلـه تتمة للحـديث المشهـور: (إن من البيـان لسحــرا...)، وفيـه: (عـال للضـالـة...) فعـدّاه بالحـرف. وهو في «جمهرة الأمثـال» لأبي هلال العسكري)، ولفظـه: (وإن من القول عيالا)، ولم يتنبّه له المحقق، مع اتخاذه إياه مصدرا).

- في ص ٢٥: (فكان لا يقدلّ منهن..) و (لا يُدِكُ علينـا) وهما تطبيعان صوابهما: (لا يقد رُ) و (لا يَدُلُّ...).

- وفي الصفحة نفسها ورد اسم (عبيد بن عبدالله بن مسعود) وصوابه (عبيدالله).

- في ص ٢٧: (وهذا تصغير يُراد التكبير) صوابه (يُراد به).

- في ص ٣٠: (إن المعافى غيـر مخدوع: المعنى: إن من عـوفي مما خُـدع به لم تضُّره الخديعة، وكأنه لم يخدع، يضرب لمن يُخدع فلا ينخدع).

وفيه مـلاحظتان: (لم تضـرُّه) صوابه (لـم تضرَّه)، وقولـه: (يضرب لمن يُخـدع فلا ينخدع). كأن السياق يوجب أن يكون هكذا: (... لم يُخدع فلا يضره أن ينخدع).

- وفي الصفحـة نفسها جـاء هذا المثل: (إن في الشـرّ خيار الخيْـر) وتبدأ الفقـرة الشارحة هكذا: (يُجمع على الخيار والأخيار، أي إن في الشر أشايءَ خيارًا).

ثم قال المحقق في الحاشية: (ورد هـذا المثل في مجمع الأمثال... برواية (إن في الشر خيارًا).

أقـول: رواية الكتـاب الذي بين أيـدينا هي عينهـا رواية الميـداني، ولكن المحقق توهّم أن كلمة (الخير) جزء من المثل، وهي في الحقيقـة بداية الشرح، وهكذا هي في «مجمع الأمثـال» (١ - ١٥)، وكان الصـواب أن يكتب هكـذا: (إن في الشر خيـارًا؛ الخير يُجمع..).

ويجب التنبه إلى التطبيع في قوله: (أشايء) والصواب (أشياء).

- في ص ٣٢: جاء بيت المتنبي:

كوضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضـرٌّ ووضع السيف في موضع النـدى

ولا معنى لـه هكذا، وقـد اكتفى المحقق بـالإشارة إلـى الصواب: (ووضع.. كـوضع السيف..)، وكان الأولى أن يصحح المتن، ثم يشير إلى ما فيه من تحريف في الهامش.

- في ص ٤٠ جاء قـوله: (إذا أخذتم عند رجـل يدًا فَانْسوهـا) وأشار المحقق إلى رواية الميداني (إذا اتخـذتم..) أقول: لعل ما في المتن محرّف، فـالمشهور أن يقال: (اتخذ عنده يدا) لا (أخذ).

- وفي ص ٤٢: (التلعة: مسيل الماء من السد إلى بطن الوادي).

والصـــواب: (السَنَــد) وهـو (مــا ارتفع مـن الأرض في قُبل الجبل أو الـــوادي) «اللسان» (سند).

- في ص ٤٣: (وأصله أن رجـلا أخذ من رجل بعيـرًا، وكان في عنقـه حبل، فدفع البعير) ثم انقطع الكلام، جـاء هذا في شرحه للمثل: (أخذه بـرمّته)، ونص الشرح في («مجمع الأمثال» ١ - ٥٥):

(وأصل المثل أن رجلًا دفع إلى رجل بعيرًا بحبل في عنقه. فقيل لكل من دفع شيئًا بجملته: دفعه إليه برمّته).

- في ص ٤٤: (فقال لهـا: أنا خـولطت فاقـرعي لي العطا). والصـواب: (إذا أنا) كما في «مجمع الأمثال» ١ - ٦٣).

- في ص ٤٥: (إن الشرك قُدّ من أديمه) والصواب (الشِّراك).

- في ص ٥١: (إنك لتحذو بجمل ثِقال... يقال: جمل ثِقال إذا كان بطيئًا).

والصواب: (إنـك لتحدو بجمل ثَقال) أو (ثَقَـال) وكلاهمـا بمعنى (بطيء) بفتح الثاء، وهذا القول ينسب للأحنف بن قيس.

- في ص ٦٦: قال بعض الشعراء:

أفسدتَّ بالمنِّ ما أوليتَ من نشرٍ

والصواب: (من نشبٍ).

- وفي الصفحة نفسها جاء قوله: قال (الحطيئة:

إذا كنتَ في قــوم عِـــدًى لستَ منهمُ　　　فكل مـــا عُلفْتَ من خبيـث وطيب)

قال المحقق: (ولم أعثر على البيت في ديوانـه) قلت: البيت لخالد بن نضلة كما في «البيان والتبيين» ٣ - ٢٥٠.

- وفي الصفحة نفسها نسب هذا البيت:

أزمعتُ يأسًــا مــريحًـــا من نــوالكم　　　ولن تــرى طــاردًا للحُـــرّ كــاليـــاس

نسبه لعروة بن الورد، والصواب أنه للحطيئة وهو في ديوانه.

- في ص ٦٩ جاء هذا البيت:

إذا مـــا اتّقيـتَ في فـــرحـــة　　　فكـل بـــلاء بهـــا مـــولـع

كذا: وكأن في صدره تحريفًا، وفي الهامش قال المحقق: (نسب البيت للحزيمي في «نهاية الأرب» ٣ - ٨٧).

أقول: البيت ليس في «نهاية الأرب» (!) والذي فيه بيت ينتهي بكلمة (مولع) غير هذا البيت، منسوب للجـرهمي، فهل كان المحقق على عجلة من أمـره، فوقعت عينه على الكلمـة الأخيـرة، فظن أنـه نـال بغيتـه، ثم لمـا طبع الكتـاب صُحّفت كلمـة (الجرهمي(إلى (الحزيمي)؟

- في ص ٧٥ سقطت الواو من أول هذا البيت:

وإذا مـــدة الشقيّ تنــاهَتْ ... جــاءه مـن شقــائه متقــاضي

والوزن لا يستقيم بغيرها.

- في ص ٧٦ جاء قول البستي:

أنــا كــالـورد فيــه راحــة قــوم ... ثـم فيــه لأخـــرين زكــام

قال المحقق: (لم أعثر على هذا البيت في ديوانه). قلت: هو في ديوانه ص ١٧٠ (بتحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال).

- في ص ٧٧ قال:

إذا أنــا عــاتبتُ الملــوكَ فإنمــا ... أخط بأقــلامي على المــاء أحــرفــا

والصواب: (الملولَ) باللام، بدليل قوله بعده (وهو بيت لم يرد في الكتاب):

وهَبْــه ارعـوى بعــد المــلام ألم يكن ... تــودّد طبعًــا فصــار تكلفّــا

فأعاد الضمير في قوله (وهَبْه) على مفرد.

- في ص ٧٨: قال المعري:

تقيك على أكنــاف أبطــالهـا القَنـا ... وهــاتيـك في أغمــادهّن المنــاصل

وصوابه من «سقط الزند» ١٩٦:

تَقِتْكَ علــى أكتـــــــــاف... ... وهـــــــــــابَتْـك ....

- في ص ٧٩ هـامش ٧ قـال المحقق: (ولعل في هـذه الأخبـار مبـالغة وتـزيّـد) والصواب: (وتزيدًا).

- في ص ٩٤، ٩٥: (فقال له: ألم تسألن آنفا)؟ والصواب (تسألني) وانظر الخبر في «البصائر والذخائر» ٧ - ١٩٥ و «ربيع الأبراء» ٢ - ٦٣٥.

- في ص ١٠١: (وإنما سَمُّوْهُ أعورَ لحدة بصره) الصواب (سمَّوْه).

- في ص ١٠٩: قال أبو نواس:

خيـــــر هـــــــذا بشـــــر هــــــذا فـإذا الـــــرب قـــــد عفــــــا

والصواب: (بشرذا)، ليستقيم الوزن.

- وفيها: (سمّن لكلبك يأكلك) الصواب: (سمّن كلبكَ).

- في ص ١١١: أورد المثل: (تنزو وتلين وتؤدِّ الأربعين).

والصواب: (... وتؤدي...).

- في ص ١٢٢: قال الشاعر:

تقـولين مـــافي النـاس مثلك عـــاشق جِـــدِي إن أحببتـــهِ تجـــدي مثلي

وفي عجزه خلل، ولعل الصواب: (جديه فإن).

- في ص ١٢٣ جاء بيتان نسبهما المؤلف للمتنبي وأولهما:

تكـــاشـــرني كـــرهًـــا كأنك نـــاصحي وعينـك تبـــــدي أن قلبك لــي دوي

وعلق المحقق: (لم أعثر عليهما في ديوانه)، قلت: همـا من قصيدة سائرة ليـزيد ابن الحكم الثقفي (انظر «أمالي القالي» ١ - ٩٦).

- في ص ١٣٠: (ثَلُـول جسده لا يُنـزع) الصـواب (ثُؤْلـول) كمـا ورد في «مجمع الأمثال» (١ - ٢٧٢).

- في ص ١٣٣ قال الشاعر:

ثـــــلاثـــــة يمنـــــة تـــــدور الطــــــاس والكــــاس والبخــــــور

وهو غير مستقيم، ولعل الصواب:

ثـــــلاثـــــة بِيَمْنـــــة تـــــدور الطــــــاس ثم الكـــــاس والبخــــور

- وفيها أيضًا:

ثـــلاثـــــة أكلتُهـــــا فـــــاحشــــة البطيخ والـــــرمَّــــان والــــــلاكشـــة

وعجزه مختل الوزن، ولم يشرح المحقق الكلمة الأخيرة منه.

- وفيها: (أحـزم من فرخ عقـاب، وذالك أنه يخـرج من بيضه على رأس نيـق، فلا يتحرك حتى ريشه، ولو تحرك سقط).

وفيه نقص تتمه: (فلا يتحرك حتى ينمو ريشه).

- وفي ص ١٩٣: (كان لبقرة حالبين) الصواب (حالبان).

- في ص ١٩٦: قال الشاعر:

اعـفُ عنـي فقـــد قـــــــــدرت وخيـر العفو مـا قـد يكـون بعد اقتـدار

وصواب كتابته:

اعف عني فقد قدرت وخير الـ... ـعفو.. البيت -

- في ص ١٩٨: ضُبط هـذا المثل هكـذا (خُطَيْطَة فيهـا كـلابُ شُغَّر) والـذي في «مجمع الأمثال» (١ - ٤٣٥) (خَطِيطة فيها كلابٌ..).

- في ص ٢٠٢: خلت الدار فسدتُ غير مسوّدِ.

صوابه: (خلت الديار..) وهو لحارثة بن بدر.

- في ص ٢٠٣: (وطلحة الفياض فهو طلحة بن عبدالله التميميّ من الصحابة من المهاجرين) وهنا وقفات أربع:

الأولى: لا داعي للفاء في قوله (فهو).

الثانية: هو ابن عبيدالله.

الثالثة: هو التيْميّ لا التميميّ، من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.. القرشيّ.

الرابعـة: في تلقيبـه بـ (طلحة الفيّـاض) حديث للـرسول ﷺ في إسنـاده ضعف، وقيل: إنه عليـه الصلاة والسلام سمـاه يوم أحـد طلحة الخير، وفي غـزوة ذي العُشيْرة طلحة الفيـاض، ويوم خيبر طلحـة الجود. [انظـر «سير أعلام النبـلاء» ١ - ٣٠ وفيه تخريج هذه الأحاديث].

- في ص ٢٠٦: (فسمع سميـرًا الإبليّ يغنّي) صـوابـه (سُمَيْـرًا الأيْليّ) نسبـة إلى أيلة، ثم أورد شعرًا فيه تصحيفان.

- في ص ١٤٤، ١٤٥: قال: (وهذا تصغير يراد به التكبير، كالدُّهَيْم واللُّهَيْم والخويخيّة والغُوَيهية) والذي في «مجمع الأمثال» (١ - ٢٩١): (والخويخيّة والفُويْمية).

- في ص ١٥٥: (وفي الحديث: لأعرفن أحدكم جيفة ليل قطرب تنهار).

والصواب: (لا أعرفنّ... نهار) وقد وضع المحقق له رقمًا في الحاشية، ونسي أن يهمّش.

- في ص ١٦٠ ورد هذا المثل: (اجلس حيث يؤخذ بيدك وتُبرّ، لا حيث يؤخذ برجلك) وفي «مجمع الأمثال» (١ - ٣٤٠) زيادة تتم بها الفاصلة: (برجلك وتُجَرّ).

- في ص ١٦٢: (قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط: أُقْتَلُ من بين قريش؟ فقال عمر رضي الله عنه: حنّ قِدْح ليس منها).

وفي «مجمع الأمثال» (١ - ٣٤٢): (قال الوليد بن أبي معيط...).

أقول: الصواب فيهما: (قال عقبة بن أبي معيط) (انظر: «تمثال الأمثال» ٢ - ٤٢٨) والمعلوم أن عقبة هو المقتول صبرًا يوم بدر.

- في ص ١٧٦: أورد هذين البيتين، وقبلهما قال: قال(آخر:

وحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا

كالحوت لا يرويه شيء يلهمُهُ ... يصبح ظمآن وفي البحر فمُه)

كذا ورد البيتان بلا فاصل، والصواب أنْ لا علاقة بينهما، فينبغي أن يوضع قبل الثاني: (وقال رؤبة:).

- وفيها نسب المحقق هذا البيت لعنترة:

واحذر محل السوء لا تنزل به ... وإذا نبا بك منزل فتحوّل

والمشهور أنه لعبد قيس بن خفاف من كلمة مفضلية («المفضليات» ٣٨٥).

- في ص ١٧٩: ورد قول الشاعر:

صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

اشتـــــــر بمــــــــا بيـــــــــــع فمــــا العـــــزّ بغـــــالي
ليس بـــــالمغبـــــون عقــــلا مشتـــــري عــــــزًّا بمــــــال

والصواب:

اشتـــــر العــــزّ بمـــــا...

مشتري عزٍّ بمال [وأعيد هذا البيت بخطئه في ص ٤٦٦].

- في ص ٣٠٩: (قيل إن أعرابيًا قدم الحضر بمال فباعها بمال جم).

والصواب: (بإبل فباعها).

- في ص ٣١٠: وبعثتَ من ولد الأغَرَّ مُتَعَّبٍ.

والذي في مجمع الأمثال (٢ - ٢٢٠): مُعَتِّبًا).

- في ص ٣١٢: (وكان سليمان أول أخذِ الجار بالجار).

وكأن الصـواب: (آخذِ الجـارَ...) أو لعلـه كما في «مجمع الأمثـال» (٢ - ٢٣٥) (أولَ من أخَذَ..).

- في ص ٣١٦: صوت كأنني ذبالةٌ نُصِبَتْ

وصوابه: صرتُ كأني..

- في ص ٣١٩ وقع تصحيفــان في اسميْ علمين: الأول: (قـريعـة بنت همـام) والصواب: (الفريعة). والثاني (نضر بن الحجاج) والصواب: (نصر).

- في ص ٣٢٤: (الضبع تأكل العظام ولا تدري من قدر استها).

والصواب: (ماقدر).

- في ص ٣٢٥: (ضَرْبـة بيضاء في ظرف سـوء،... يضرب للشيء المـرآه الكريم المخبر).

والصـواب: (ضَرَبـة) بـالتحريك ويـراد بهـا العسل و (يضرب للسيئ المـرآةِ...) [انظر: «أمثال أبي فيد» ٦٤].

- في ص ٣٢٧ ورد بيت، نسبه المحققُ للأخطل - وهو لـه - معتمدًا على «نهاية الأرب». ولم يرجع إلى ديوانه مع ذِكْره إياه في قائمة المصادر.

- في ص ٣٣٢: (ويـروى أطّـري بالظـاء المعجمـة، أي اركبي الطـرر.. والجمع طِرّان) والصواب (أظّري... الظرر.. ظِرّان).

- في ص ٣٤٨:

وأنت كـــــالأفعى التـي لا تحتَفِـــز   ثـم تجيء ســـــــادرة فتنجحـــــز

ولا يستقيم البيت إلا بتسهيل الهمزة: (ثم تجيْ).

- في الصفحة نفسـه: (قد أكثـر أمثال العرب بظلم الـذئب) والصواب (قـد كثُر) كما عند الميداني (٢ - ٣١٣).

- في ص ٣٥٨ سقطت كلمة (بريًا) من هذا البيت:

يـابـاري القـوس بـريًـا، ليس تُحسنهـا   لا تفسِـدنْهـا وأعط القــوس بـاريهـا

- في ص ٣٥٩: (فأطعمه... لحم حوار ولبنًا حاذرًا) صوابه (حازرا) بالزاي.

- في ص ٣٧٠: خرّج المحقق أحـد الأبيات، بقوله: (للفلتـان الفهمي في «البيان والتبيين» قلت: كان الأوْلَى أن يذكر اسمـه صحيحًا (الصلتان)، وقد ذكر ذالك محقق «البيان» عبدالسلام هارون مشيرًا إلى أن الفلتان تحريف.

- في ص ٣٧٤: قال رؤبة:

فقلـتُ لـــــو عُمّـــــرتَ سِمَّ الحَسْـل

وصوابه: سِنّ الحِسْل.

- في ص ٣٧٥: ورد هذا المثل: (أعتق من بُردة النبي، ومن لا هبيّ ومن [بُرّ]).

ثم علق المحقق على جـزئه الأول المنتهي بكلمـة (النبي): لم يرد هـذا المثل في مصادر الأمثال التي بين يدي، والإضافة من «مجمع الأمثال»

أقول: هـذا يوهم أن ما بعد كلمـة (النبي) ورد كله في «مجمع الأمثال» وهـذا غير دقيق، فالذي فيه: (أعتق من بُرّ) فقط.

وليت المحقق الفاضل اجتهد في شرح هذا المثل، فإنه لا يخلو من غموض، وبخاصة في كلمة (لا هبي).

- في ص ٣٨٢: ورد: (غضب الأسير على القَدّ).

والضبط الصحيح: (القِدّ) وهو السير الذي يُقدّ من الجلد «اللسان» وعلق المحقق عليه: (لم يرد هذا المثل في مصادر الأمثال التي بين يديّ).

أقول: هذا في الأصل عجز بيت للمتنبي:

وغيظ على الأيام كالنار في الحشا ولكنه غيظ الأسير على القدّ

وبما أنه لم يرد في مصادر الأمثال كما ذكر المحقق، فموضعه الصحيح إذن في أمثال المولدين.

- في ص ٣٩٠: قال عدي بن أرطاة لإياس: (أين أنت؟ قال، بيني وبينك الحائط) والصواب كما في «مجمع الأمثال» (٢ - ٤٤٢): (بينك وبين الحائط).

- في ص ٤٠٥: (هي دويبّى) صوابه (دويّبة).

- في ص ٤٢٢: (تقول العرب: ذهبت النعام تطلب قرنًا فجدعت أذنه) وهذا لا يستقيم، وصوابه من «مجمع الأمثال» (٣ - ١٨): (ذهب النعام يطلب..).

وبعده قال:

كمثل الحمار للقرن طالبا فأب بلا إذن وليس له قرن

وصواب صدره من المصدر السابق:

كمثل حمارٍ كان..

- في ص ٤٣٠: (كطالب الصيد في عرينة الأسد) وكذا ورد في «مجمع الأمثال» (٣ - ٤٨)، غير أن الصواب (عِرِّيسة) وهو عجز بيت [انظر: «اللسان» (عرس)].

- في ص ٤٣٧: سقطت الواو من أول هذا الشطر:

وكل وَمِيض بارقة كذوبُ

- في ص ٤٤٠: كم أكلة عرضتْ للهلاك صاحبها

كحبّة الفخّ دقتْ عنقَ عصفور

لعل الصواب (للهُلْك) فبه يستقيم الوزن.

- في ص ٤٤٩: (فعند ذالك يُضربُ هذين المثلين).

صوابه: (هذان المثلان).

- في ص ٤٦١: (فإذا صاروا في الرتب سواء... فحينئذ يهلكوا) وهذا لا يصح نحويًا، والذي في «مجمع الأمثال» (٣ - ١٤٥): (هلكوا) ولعل ما هاهنا محرّف عن هذا، وإلا فالصواب (يهلكون).

- في ص ٤٦٥: نُسب هذا البيت لابن الصائغ:

لعمرك ما ضاقت رجال بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

والمشهور أنه لبشار، والرواية المعروفة: (ما ضاقت بلاد).

- في ص ٤٦٦: قال: أبو نواس:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وفي صدره خلل، يستقيم بحذف الواو.

- في ص ٤٧٤: في قول النبي ﷺ لأبي عزة الشاعر: « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، حتى تمسح عرقك بمكة..».

(عرقك) محرفة عن (عارضيك) [انظر: «الفاخر» ٣٠٣].

- في ص ٤٧٦: (يقال لإبرة الخياط والمخيط) والصواب مع الضبط: (يقال للإبرة: الخِيَاط والمِخْيَط).

- وفيها أيضًا: ورد هذا المثل: (لا أخاف إلا من سبيل تلعتي). كلمة (سبيل) محرفة عن (سيل)، قال المحقق: (لم يرد في مصادر الأمثال التي بين يدي). قلت:

هو في «مجمع الأمثال» (١ - ٥٥) وروايته: (إنما أخشى سيل تلعتي).

- في ص ٤٨٤: (أي لا يتّسع فقيرًا مكان) صوابه (لا يَسَعُ).

- وفيها أيضًا: تقيم الرجال الأغنياء بأرضيهم.

وهو صدر بيت، صوابه: بأرضِهم.

- في ص ٤٨٨: نسب هذا البيت:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... البيت.

نسبه للأفوه الأودي، والمشهور أنه لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة ذكرها البغدادي في «خزانة الأدب» وينسب أيضًا للمتوكل الليثي [«الحماسة البصرية»].

- وفيها أيضًا: لا تجزعن عن سنة أنت سرتّها

والصواب: لا تجزعن من...

- وفيها أيضًا: لا تكسع الشول بأغباره. وصوابه: بأغبارها.

- وفيها أيضًا:

إن ارعوى عاد إلى غيّه ... كذا الضنى عاد إلى نكسه

وصوابه: كذي الضنى.

- في ص ٤٨٩:

ولا تجزعنّ على أيكة ... أبت أن تُظَلّلَ أغصانُها

ولعل الصواب: (تُظِلَّكَ).

- في ص ٤٩٥: جاء هذا المثل: (مثل جليس السوء كالقين، إلّا يحرقُ ثوبك بشرره، يؤذيك بدخانه).

والصواب: (إلّا يحرقْ... يؤذِكَ) ففعلا الشرط يجب جزمهما، والذي في «مجمع الأمثال» (٣ - ٢٤٧):

(.. أو يؤذيك) ولا أظنه مستقيمًا.

- في ص ٥٢٨:

مـــــوّدة الفـــاسـق الـــوقيعَـــــةْ   المنّ ممـــــا يفســــد الصنيعَــــــةْ

وكأن صـوابه: مـودّة الفـاسق والوقيعـة   والمـــــــــــــــــــنُّ...

- في ص ٥٤١: (قيل له: لم تلقَ عدوَّك حاسرًا؟) صوابه: (تلقى).

- في ص ٥٤٤: (والـذي لا يحفظ الحرمـة .. فـلا تستصْحِبَنّ من هـذه صورتـه) وكلمة (الذي) مصحفة عن (الدّنِيّ).

- في ص ٥٤٧: (على أن للعلم آفة، وإضاعة ونكدٌ).

صوابه: (آفةً وإضاعةً ونكدًا).

- في الصفحة نفسها: (من هاماتها أم من لهاذمها) والصواب: (لهازمها).

- وفيها أيضًا: إن على سـائلنا أن نسألَهْ   والعبء لانعـــــرفـــه أو نحملَـــهُ

والصواب: (لا تعرفه) («مجمع الأمثال» ١ - ٢٦).

- في ص ٥٤٨: (من ضعا الثغرة) صوابه: (من صفاء).

- وفيها: (ورجال مكة مسنون عجاف) صوابه: (مسنتون).

- وفيها: (كان في وجهه قمرٌ) صوابه: (كأن في وجهه قمرًا).

- وفيها: (أفمن المعيضين بالناس أنت؟) صوابه: (المفيضين).

- وفيها: (فرجع إليه النبي ﷺ) صوابه: (فرجع إلى النبي..).

- وفيها: (أو ما به دغفل؟) صوابه: (أوَ ما أنا بدغفل؟).

وكل هذه التصحيحات من «مجمع الأمثال» (١ - ٢٦، ٢٧).

- في ص ٥٤٨: (قال حمزة في كتـاب «الأفعال» صوابه: «كتـاب الأمثال» واسمه «سوائر الأمثال على أفعل»، مطبوع بتحقيق فهمي سعد عام ١٤٠٩ هـ.

- وفيها: (وانفع بقوسي ولدي وعدسي) صوابه (عِرْسي).

(صفراء ليست كقسيّ النكس) صوابه (صلداء).

- وفيها عند الحديث عن قصة الكُسَعيّ: (ثم عمد إلى ماكان من بُريتها، فجعل حُمرُ الوحش، فكمن فيها). وفي النص اضطراب بسبب سقوط بعض الجمل، وبمعارضته بما في «الأمثال» (٣٥٦) يمكن إصلاحه هكذا: (... من بُرَايتها، فجعل فيه خمسة أسهم، ثم أتى قترةً على موارد حُمُر الوحش..).

- وفي القصة نفسها قال: (فرمى عيرًا فانحطه السهم) وبعدها بقليل: (فأفحطه السهم) وصوابهما: (فأمْخَطه السهم) («سوائر الأمثال» ٣٥٦).

- في ص ٥٥٠: قال الفرزدق:

فلو ضنّتْ نفسي وكفّي لكان عليَّ للقدر الخيار

لعل الصواب ليستقيم الوزن: (فلو ضنت بها).

والذي في «سوائر الأمثال»: ولو أني ملكت يدي ونفسي (ص ٣٥٨).

أما رواية الديوان فهي: ولو رضيت يداي بها وقرّت (١ - ٢٩٤).

- في ص ٥٥٧: (كان والله كزار حرب ... وكما قالت الأخيلية:

كزار حروب يكره القوم درءه ...

كما يحذر الليثَ الهزبرَ الغضنفرُ)

والصواب: (لزاز) و (يُحذر الليثُ الهزبرُ).

(«مجمع الأمثال» ٣ - ٤٢٤).

- وفيها: (فلا رقأت عين بكته ولا رأت شرورًا ولا زالت تهان وتحقر)

صوابه: (سرورًا).. «مجمع الأمثال» (٣ - ٤٢٤)

- وفيها: (وكان قد تزوج بأهلة) صوابه: (بأهْلِه).

- في ص ٥٥٨: (ولذالك قيل: سِلاحُها سَلاحُها) صواب الثانية (سُلَاحُها).

- في ص ٥٥٩: (ياقوم بيضتكم لا تفضحَنّ بها) صوابه: (لا تفضحُنّ).

- وفيها: (يضرب عند لقاء النجم) والصواب: (النجح).

- وفيها: (وقع على الشحمة الرَّكِي) والصواب: (الرُكّى بزنة فُعْلَى) (انظر في التصحيحات السابقة: «مجمع الأمثال» ٣ - ٤٣٢).

- في ص ٥٦٢: (فإن فيها النجحُ) الصواب: (النجحَ).

- في ص ٥٦٣: (أوْلِ المحسنَ ما يستحقّه يُحْسِنُ الوفاء لك) والصواب: (يُحْسِنِ) جواب الطلب مجزوم والكسرة لالتقاء الساكنين.

- وفيها أيضًا تتمة الجملة السابقة (ووَلّ المسيء) وصوابه: (وأوْلِ).

- وفي ص ٥٦٤: (وكم بعدو مولدهُ اقترابُ) صوابه: (بُعْدٍ).

- وفي ص ٥٦٥: (طفيل بن ذلّال) وفي «مجمع الأمثال» (٣ - ٤٥٦): (زلّال).

- وفيها: (أوغلُ في التطفل من ذباب) والصواب: (التطفيل).

- في ص ٥٦٨: (فقال لها زوجها: لتُغْضِبَنّه) والصواب: (لتغضِبِنّه).

- وفيها: (يكلفها الخنزير شتميَ ومابها) والبيت لا يستقيم إلا بإسكان الياء في (شتميْ).

- في ص ٥٦٩: (إن الهوان هوى الهوى غَلَطُ اسمه) والصواب: (غُلِطَ اسمُه).

- في ص ٥٧٠: (هم كنِعَم الصدقة) والصواب: (كَنَعَم).

- في ٥٧١: (وعن جناحك ناقزين ... كان ﷺ طبها) والصواب: (ناقرين) بالراء، و (طبها) محرفة عن (يحبّها) «مجمع الأمثال» (٣ - ٤٩١).

- في ص ٥٧٢: (إن هؤلاء النفر رعاع عُتّر) والذي في «مجمع الأمثال» (٣ - ٤٩١): (رعاع ثغر).

- في ص ٥٧٤: (وقد بَهَرَتْ فما تخفى على أحد) والصواب: (بَهَرْتَ).

- وفي ص ٥٧٥: (إنا ينبتُ على قدر).. والصواب (إنما).

- في ص ٥٧٧: قال القاضي عبدالعزيز (؟):

هي الشمس مسكنها في السما فعزِّ الفؤاد عزاءً جميلًا

ومعه بيت آخر، قال المحقق عنهما: (لم أعثر عليها في مصادر ترجمته).

أقول: لم يمرّ بي شاعر بهذا الاسم - على قلة بضاعتي - ولعله في الأصل القاضي عليّ بن عبدالعزيز، فوقع في اسمه الخلل عند الطباعة.

أما البيتان فهما للعباس بن الأحنف «أسرار البلاغة» ٣٠٧).

- وفيها أيضًا:

هي الضِّلَع العوجاء لستَ تقيمها ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

وهل يستعيض المرءُ من خمس كفّه ولو صاغ من حُرّ اللجين بنانَها

كذا (!) والروي مختلف كما ترى، وكأن المعنى والمبنى يقتضي أن يكون:

ولو صيغَ من حُرّ اللجين سوارها

- وفيها:

هل نحن إلا كمن تقدّمنا منا ومِنْ ثمَّ ظمئه يردُ

والعجز غير صحيح، وأحسبه هكذا:

منا ومَنْ تَمَّ ظَمْؤُهُ يَرِدِ

- في ص ٥٧٨: (أهون من السقي التشريع) و (من) زائدة («مجمع الأمثال» ٣ - ٥٠٥).

- في ص ٥٧٩: (أن تورد الإبل ماءً لا يحتاج إلى فَتْحةٍ).

والصواب: (إلى مَتْحِهِ) «مجمع الأمثال» ٣ - ٥٠٥).

- وفيها: (أهون من مُرزئةٍ لسانٌ مُمِخٌ).

وأشار المحقق إلى أن رواية «مجمع الأمثال» بدون (من). أقول: هذا هو الذي يقتضيه المعنى، أي بحذف (من).

- في ص ٥٨٣: (يوم النارلين بنَيّتُ سوق ثمانين) والصواب: (يومَ النازلين بُنِيتْ)... «مجمع الأمثال» ٣ - ٥٢٢).

- في ص ٥٨٤: (وينشي له الخَمَرَ) والصواب: (يمشي).

- في ص ٥٩١: ورد اضطراب في نسبة بيت، وفُصِل بينه وبين الذي يليه، وصورته في الكتاب هكذا:

(الحطيئة:

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدي الفتى في دهره وهو عالم

أبو تمام الطائي:

فلو كانت الأرزاق [تجري] على الحجا هلكن إذًا من جهلهنّ البهائم)

والصواب: أنهما كليهما لأبي تمام، وهما متّصلان، ولم يُرد المؤلف إفراد الثاني؛ لأنه في باب الياء، والثاني أوله فاء.

ويلاحظ أن الفعل (تجري) غير مذكور، وكلمة (إذًا) كتبت (إذنْ) والصواب بغير النون؛ لأنها غير عاملة.

- وفي الصفحة نفسها، الحاشية رقم (٥): (ابن طبطبا) والصواب (طباطبا).

- وفي ص ٥٩٢:

(يهوى الثناءَ مبّرزٌ ومقصّلًا) صوابه: (ومقصّرٌ).

- وفي ص ٥٩٣:

يُخبِركُمْ أنه ناصح وفي نُصحه ذنب العقرب

صوابب: (يُخَبِّركمْ) وبه يستقيم الوزن.

- في ص ٥٩٥:

عـن المــــــرء لا تســأل وسـل عـن قـــــــــرينـــــــه

كتب هكذا، فأوهم أنه شطرا بيت، والصواب: أنه شطر واحد، عجزه:

فكل قـــرين بـــالمقـــارن يقتـــدي

- في ص ٥٩٦: زيدت واو في أول هذا الجزء من الآية: ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ سورة الحج، الآية رقم ٢.

- في ص ٥٩٧: (ألا وإن وراء ذالك اليـــوم أشـدُّ من ذالك اليــوم)، والصــواب: (أشدَّ) منصوبة. وبعدها: (ألا وإن وراء ذالك جنةٌ) صوابها (جنةً).

- في ص ٥٩٩: (وتركوا منهـا ماعلموا أنه تاركهم، عادَوْا منها مـا سالم المغترّون) ويظهر أن بين الجملتين حرف عطف، هكذا: (وعادَوْا)..

- في ص ٦٠١: قال المحقق معرّفًا بالهيثـم بن عديّ، الحاشيـة رقم (١): (كان مغرمًا في نقل أخبار الناس) وتعدية (أُغرِمَ) بـ (في) عاميّة، والصواب (مغرمًا بنقل).

- في ص ٦٠٢: (من ساءته سيئة لم تضرُّه) صوابها (لم تضرَّه).

- في ص ٦٠٣: (وكما أنه رجـل مات عند بعض الحكماء، فقال رجـل: ما كانت علة موته؟). وفي الجملة الأولى خلل، وكأن الصواب: (وكما أنه ذُكِر رجلٌ)..

- في ص ٦٠٧: (فاستزد من حسن، بدوام الشكر له) كأنها: (من حسن النِعَم).

- في ص ٦٠٨: (كُنْ رجلًا قويًا فأَعْمَل قوّتَهُ في طاعته تعالى).

وأظن الصواب: (فأَعْمِلْ قوّتك)..

وبعد: فهـذا ما جـرى به القلم من تقييـد الملحوظـات والاستدراكـات، على أني أغفلت عددًا جمًّا منها، إما لكونهـا لا تخفى على القارئ، وإما لأنها من أثر التطبيع، والله المسؤول أن يتولّانا بتوفيقه وتأييده.

الرياض: عبدالله بن سليم الرشيد

«أنساب الأشراف» للبلاذري

(مطبوعة الأستاذ محمود فردوس العظم)

- ٢ -

٢٧- ص ٢٤: (وكان يقول: ما سرني) والصواب كما في المخطوطة: (فكان يقول ما سرني).

٢٨- وفي الصفحة نفسها: (من حلف محولّا، فالنفر) والصواب كما في المخطوطة: (مثل حلف هاؤلاء النفر).

٢٩- وفي الصفحة نفسها: (لذي الجوار) والصواب كما في المخطوطة: (لَدَى الجوار).

٣٠- ص ٢٥: (من فَيافٍ ومركب) والصواب: (من فَيافٍ ومن سَهْب).

٣١- وفي الصفحة نفسها: (سيأبى لكم حلف الفضولِ) والشطر ناقص وصوابه كما في المخطوطة: (سيأبى لكم حلفُ الفضول ظلامتي).

٣٢- وفي الصفحة نفسها: (يوجَبُ بالغَصب) والصواب كما في المخطوطة: (يؤخذ بالغضب).

٣٣- ص ٢٦: (وأبيتُ في إغوائها) والبيت غير واضح في المخطوطة، والواضح فيه: (... تّ في أحشائها).

٣٤- وفي الصفحة نفسها: (لقد فعل هاؤلاء القوم فعلًا فهم به على الثابت فضول). والصواب كما في المخطوطة: (لقد فعل هاؤلاء القوم فعلًا لهم به على الناس فضول).

٣٥- وفي الصفحة نفسها: (مما سّرني بذالك حمر النعم) والصواب كما في المخطوطة: (فما سرني أن لي حمر النعم وأني نكثته).

٣٦- ص ٢٧: (وحدثني إبراهيم الدورقي) والصواب كما في المخطوطة: (وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي).

٣٧- (شهدت حلف الفضـول) وفي الأصل: (شهدت حلف المطيبين) مع وضع إشـارة بيـن كلمتي (حلف) و (المطيبين) وكتب في الهامش (الفضول صح) بحيث يبدو أن صواب الجملة: (شهدت حلف الفضول المطيبين) ويدل على هذا ما ورد من قول المؤلف: (أن بطون المطيبين هم الذين تعاقدواعلى حلف الفضول).

٣٨- ص ٢٧: (فكيف بحضور رسول الله ﷺ) والصواب كما في المخطوطة: (فكيف يَحْضُرُهُ رسول الله ﷺ).

٣٩- ص ٢٧: (بمسكننـا البيـوت مع الحمـام) والصواب كمـا في المخطـوطـة: (بِمَكَّنَا البيوت مع الحمام).

٤٠- ص ٢٧: (لم يُزْجَ رِسلٌ) وهي كما في المخطوطـة: (لَمْ يُزْجَ رسلٌ) ولا حاجة إذن للتفسير الذي في الحاشية.

٤١- ص ٢٧: (أسقينا زواءً) والصواب كمـا في المخطوطة: (أسقينـا رَواء) بالراء ولاحاجة للتفسير الذي في الحاشية.

٤٢- ص ٣٠: (وَأغفِرُ من عوز الكريمِ وإنْ بَدَتْ) والصواب كما في المخطوطة: (وأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيْمِ وإنْ بَدَتْ).

٤٣- وفي الصفحة نفسها: (مغمسة صفة من الغماس) وفي المخطوطة: (مغمسة صَعْبَةٌ، من الغِمَاس).

٤٤- ص ٣٠: (جَبَتُها واقِفًا) والصواب كما في المخطوطة: (حَيَّيْتُها واقفًا).

٤٥- وفي الصفحـة نفسها: (إني إذا راع حـالي) والصواب كمـا في المخطوطـة: (إنّي إذا رَاع مالي).

٤٦- ص ٣٠: (نجـارُ ربيع لـهُ وابِلٌ لَـــهُ أَخْضَـــرٌ ولَـــهُ زَاهِـــرُ)

والصواب كما بالمخطوطة:

نجـــــاءُ ربيعٍ لـــــــه وابـل لَـــهُ خَضِـــرٌ ولـــهُ زَاهِـــرُ)

٤٧- ص ٣٢: (بأن أتركَ) والصواب كما في المخطوطة: (أن أتركَ).

٤٨- ص ٣٣: (فكان شيخًا عزيزًا) والصواب كما في المخطوطة: (فكان منيعًا عزيزًا).

٤٩- وفي الصفحة نفسها: (وينـاويء قـريشًا) والصـواب كمـا في المخطوطـة: (ويُنَاءِيْ قريشًا).

٥٠- ص ٣٣: (لا تقول إلا الحق) والصواب: (لا تقول إلا حقًّا).

٥١- وفي الصفحة نفسها: (وأتى عليٌّ عليه السلام فأخبره) والصواب كما في المخطوطة: (وأتي عليٌّ عليه السلام رسولَ الله ﷺ فأخبره).

٥٢- ص ٣٤: (وَمَـاكَان لِلْنَبِي والَّـذِين آمَنُوا) والصـواب: ﴿مَـاكَان لِلْنَّبِي والَّـذِيْنَ آمَنُوا﴾ بحذف الواو، وهي الآيَة الـ(١١٣) من سورة التوبة.

٥٣- ص ٣٦: (وكانت بحقٍ) وفي المخطوطة: (وكانت أَحَقَّ).

٥٤- ص ٣٦: (بمكَّةَ مثله) والصواب كما في المخطوطة: (بمكة مُتْلَدٍ).

٥٥- ص ٣٦: (بلا ذنبٍ ولا دَخْل أُصيبوا) والصواب كما في المخطوطة: (بلا ذنب ولا دَخَل أُصِيبُوا)

٥٦- ص ٣٨: (ماعِشت لحظةً) والصواب كما في المخطوطة: (ماعِشْتُ خُطَّةً).

٥٧- ص ٣٨: (إن الله حرّمها) وفي المخطوطة: (إن الله حرمهما).

٥٨- ص ٣٩: (يا أمة) وفي المخطوطة: (ياأُمَّهْ).

٥٩- ص ٣٩: (أبو موسى الغروي) والصواب كما في المخطوطة: (أبـو موسى الفَرْوِيْ) يروي البلاذري عنه كثيرًا.

٦٠- ص ٣٩: (عن باذان) وهي كما أشار المحقق عن (ماهان) ولا عبرة بالتعويل على «فهرس أعلام النبلاء».

٦١- ص ٣٩: (أو قال: لنسائي) والصواب كما في المخطوطة: (أو قال: نسائي).

٦٢- ص ٣٩: (مظفر بن مرجة) والصواب كما في المخطوطة: (مُظَفَّر بن مُرَجَّا) وهذا الراوي تكرر ذكره كثيرًا في كتاب البلاذري.

٦٣- ص ٤٢: (سحوقٍ بهضّبةٍ) والصواب كما في المخطوطة: (سحوق بِهَضْبَةٍ).

٦٤- ص ٤٣: (كان ليسمع عليًا) والصواب كما في المخطوطة: (كان يسمع عليًّا).

٦٥- ص ٤٣: (قبل دعاه) والصواب: (قبل دُعَائِهِ). وناسخ المخطوطة لا يثبت الهمزة وإنَّما يكتفي بوضع المدَّةِ فوق الألف (دُعآه).

٦٦- ص ٤٣: (فلم يزل بالحبشة) والصواب كما في المخطوطة: (فلم يزل مقيمًا بالحبشة).

٦٧- ص ٤٣: (فسمى جعفر الطَّيار) والصواب كما في المخطوطة؛ (فسمي ذَا الجناحينِ، وسمي جعفر الطَّيار).

٦٨- ص ٤٣: (الواسطي القرير) والصواب كما في المخطوطة: (الواسطي الضَّرِيْر).

٧٠- ص ٤٤: (أبو اليقظان النصري) والصواب: (أبو اليقظان البصري).

٧١- ص ٤٥: (الحسين عليهم السلام إلى يزيد بن معاوية) والصواب: (الحسين عليهم السلام، وأَتَى يزيدَ بن معاوية) وبهذا لا حاجة إلى ما أُلْحِق من الزيادة في الأصل ونُبِّهَ عليه في الحاشية.

٧٢- ص ٤٦: (إن الحديث طرفه من القِرى) والصواب: (إن الحديث طَرَفٌ من القِرَى) ولا حاجة للحاشية.

٧٣- ص ٤٧: (مالي آمر أحدًا من شبابنا بالكتابة) والصواب: (ما نأمر شُبَّانَنَا بالكتاب).

٧٤- ص ٤٨: (وكنت حُجّة) والصواب: (وكنتَ حُجَّتَهُ).

٧٥- ص ٤٨: (القراءة والكتابة) والصواب: (القراءة والكتاب).

٧٦- ص ٥٠: (بن أبي أَزيهر الرؤاسي) والصواب كما في المخطوطة: (ابن أبي أُزيهر الدَّوْسِي)، وابن أبي أُزيهر من قبيلة دَوْسٍ، وهو معروف، ولهذا لا داعي لما جاء في الحاشية.

٧٧- ص ٥٠: (كيف تركت خبيثة) وتكررت الكلمة، والصواب كما في المخطوطة (كيف تركْتَ خَبْثَةَ).

٧٨- ص ٥١: (وإن خفت له صانك) والصواب كما في المخطوطة: (وإن خَفَفْتَ له صانك).

٧٩- ص ٥١: (ثمن جمل لعبدالله بن جعفر) وفي هامش مخطوطة الأصل فوق كلمة (جمل): (حبل) - خ - أي من نسخة أخرى، ولعل ما في هذه النسخة أصح. فَالْحَبْلُ هو الذي يُسْتَكْثَرُ ثمنه، لا الجمل.

٨٠- ص ٥٣: (إني رجل حاج أَيْدَع بي) والصواب كما في المخطوطة (أُبْدِعَ بي) بالباء الموحدة وعلى هذا فتغير الحاشية.

٨١- ص ٥٣: (لأيُنبّه قيس في هذا القدر) والصواب كما في المخطوطة: (أَيُنَبَّهُ قيس في هذا القدر؟).

٨٢- ص ٥٣: (إلى بيت الرجال فليأخذ أي رجل أحبّ) والصواب كما في المخطوطة: (إلى بيت الرحّال فيأخذ أيَّ رحْلٍ أحب).

٨٣- ص ٥٤: (يجاوره) والصواب: (تجاوره).

٨٤- ص ٥٥: (تخيّرت فيممت) والصواب: (تحيَّرْتُ فميَّلْتُ).

٨٥- ص ٥٥: (يحسن.. قال فأدخله إلى المومنين؟) أصاب ورقة الأصل بلل فأثّر في الأسطر العليا منها، وبقي منها كلمات واضحة لا يرتبط بعضها ببعض سوى جملة: (أفأُدْخِله إلى أمير المؤمنين).

٨٦- ص ٥٦: (سائب خاثر، فاخترَ له) والصواب: (سائب خاثر قال: فاختر له).

٨٧- ص ٥٦: (غناء خاثر غير صدوق) والصواب: (غناء خاثر غير مَمْذُوق).

٨٨- ص ٥٨: (كان متروكًا) والصواب: (كان مُتَّركًا).

٨٩- ص ٥٨: (كان يشتهي) والصواب: (كان يَتَشَهَّى).

٩٠- ص ٦٠: (أنا أمرت لك) والصواب: (إنما أمرت لك).

٩١- ص ٦١: (إلى رأس علي بن عبدالله وضحكت) وفي المخطوطة: (إلى رأس علي ففطنت لما أرادت العجوز) ثم بياض مقدار ثلاث كلمات بعده: (أمير المومنين إليها ووضعت أصبعها على رأسها) ومافي آخر هذه الصفحة لا يتفق مع مافي المخطوطة بسبب ما أصاب أعلى ورقها من بلل، وقد نبَّه المحقق إلى أنه أكمله من بعض الكتب.

٩٢- ص ٦٣: (خمير القلب) والصواب: (ضَمِيْر القلب).

٩٣- ص ٦٣: (كان شيئًا مزملا) والصواب: (كان نَسْيًا مُزَمَّلًا).

٩٤ - ص ٦٥: (هـرب سليمـان بن حبيـب فلحق بفـارس) والصـواب كمـا في المخطوطة: (هرب سليمان بن حبيب من بُنَانَةَ فلحق بفارس).

٩٥ - ص ٦٦: (نُبَاتة بن حنظلة) والصواب: (بُنَانَة بن حنظلة).

٩٦ - ص ٦٧: (فكتب إليـه: فـالبيت مـودع ومـولى سـامع) والصـواب كمـا في المخطوطة: (أمَّا بعد فلك بيت مودع ودائع، ومولى شافع).

٩٧ - ص ٩٧: (ألحقّ هو أم مبطن) والصواب: (أَلِحَقٍّ هو أم مُبْطِل).

٩٨ - ص ٦٧: (لو أطلق أفسد) والصواب: (لو أُطْلِق لأفسد).

وفي هذه الصفحـة: (وقال... في عبدالله بن معاويـة) وكتب المحقق: (وقال رجل من خراسان) والمـوضع الذي لم تتضح منه الكتابـة لا يتسع إلا لكلمة واحدة، وكيف يمدحه رجل من خراسان وهو يصفهم بالحمق.

٩٩- ص ٧٣: (فقال عقيل: أخبـر عنك) والصواب كمـا في المخطوطـة: (فقال عقيل: أَأُخْبِرُ عنك).

١٠٠ - ص ٧٣: (عليّ عليه السلام: أحد الثلاثة) والصواب: (عليّ عليه السلام: إنَّ أحد الثلاثة).

١٠١- ص ٧٣: (أَحْيَنُ مني من سفك دمه) والصواب: (أَحْيَنُ مني أن سَفَكْت دمه).

١٠٢- ص ٧٤: (تجدهما متصاحبين) والصواب: (تجدهما مُتَضَاجِعَيْن).

١٠٣- ص ٧٤: (المدائني عن ابن معدية) والصواب: (المدائني عن ابن جُعْدُبَة).

١٠٤- ص ٧٤: (حـدثني المـدائني عـن حسـان بن عبـدالحميـد) والصـواب: (حدثني المدائني عن غسان بن عبدالحميد).

١٠٥- ص ٧٤: (رأيت تَهَنّى بعمتك) والصـــواب: (رأيـت من لَهَـى بعمتك) ولاداعي إذن للحاشية.

١٠٦- ص ٧٥: تعليق على فقع بقـرقر: (الفقع الكمـاة، وقرقـر: جانب القُـرَيَّة بـه أضاة لبني سِنبس، قـال: واظن القُرَيَّة هـذه بين الفلج ونجران) هـذه الحاشية منقـولة من «معجم البلدان» ولم ينبه على هذا.

١- القـرقر هنـا هو القـاع الأملس كمـا في كتب اللغة، فهـو عـام وليس موضعًـا خاصًّا. وصـواب الجملة: فَقَعٌ بقاع قرْقَر - أي أملس - وفَقْعُهُ تـدوسه الرَّجل ولا يبقى له جذع، بخلاف ما لو كان في أرض ليست مَلساءَ.

٢- قرية بني سِنْبِس في جبلي طيء، ولا صلة لها بالقُرَيَّة التي بين الفلج ونجران.

٣- قَـرية بفتح القـاف التي بين الفلج ونجـران لا تـزال معـروفة، والفلجُ ونجـران جنوب الجزيرة وقُرَيَّةُ بني سِنْبِس في شمال الجزيرة.

١٠٧- ص ٧٩: (فاتني به لنتثبت في الذي فرط) وهي: (فَأْتني به لنتلافي الذي فرط).

١٠٨- ص ٨٠: (وأسرع في شفته السفلى، فنضلت ثنيتـاه) والصواب: (وأشرع في شفته السفلى، فنصَلت ثنيتاه). ولعل ما في المطبوعة تطبيع.

١٠٩- ص ٨١: (إلى ابن زيـاد هانيء بن عـروة) وهي: (إلى ابن زياد في هـانيء ابن عروة).

١١٠- ص ٨٢: (جبار ولا وجب الفواد ثقيل) وهي: (جبان ولا وجْب الفواد ثقيل).

١١١- ص ٨٣: (ابن جلحب) وتكررت، وهي في المخطوطـة: (صَلْخَب) وفوقها كلمة (صح).

١١٢- ص ٨٥: (كان يكنى) وهي: (فكان يكنى).

١١٣- ص ٨٥: في الحـاشيـة: (البـوغـاء: الغبـار ودقيق التـراب) وفي هـامش الأصل: بخط كاتبه: (البوغاء التربة الرِّخْوة).

١١٤ - ص ٨٦: (ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل) وهي في الأصل: (أنبأنا شعبة).

وهنـا ملاحظـة: هـو أن المحقق - وفقـه الله - ترك كلمتي (ثنـا) و (أنبأ) كمـا في الأصل، ومعـروف أن المراد بهمـا: (حـدثنـا) و (أنبأنا) ولكن ليـس كل قراء الكتـاب

يـدركون هـذا، فكان الأولى إثبـات الكلمتين كـاملتين كما جـرى على هذا محققـو الأجزاء المطبوعة من الكتاب.

١١٥ - ص ٨٦: (حدثنـا عفان حدثنـا شعبة بن عمـرو بن مرة) وهي في الأصل: (حدثنا عفان حدثنا شعبة أنبأنا عمرو بن مرة).

١١٦ - ص ٨٦: (زياد بن أرقم) وهو: (زيد بن أرقم).

١١٧ - ص ٨٦: (عن بلج بن عمـرو بن ميمون) و هـو: (عن أبي بلج، عن عمـرو ابن ميمون).

١١٨ - ص ٨٧: (أن عليـا كـان صـاحب رسـول الله) والصـواب: (أن عليًّـا كـان صاحبُ لِوَاءِ رسول الله).

١١٩ - ص ٨٧: (الا أن كره صحبته) والصواب: (إلا أنَّهُ كره صحبته).

١٢٠ - ص ٨٧: (عبدالله بن رقم) وهي: (عبدالله بن رُقَيْم).

١٢١ - ص ٨٩: (وان سكت ابتدأني) وهي: (وإذا سكت ابتدأني).

١٢٢ - ص ٩١: (ان وليتوها) وهي: (ان وليتموها).

١٢٣ - ص ٩١: (ثنا عبدالرزاق بن معمر) وهي: (حدثنا عبدالرزاق أنبانا معمر).

١٢٤ - ص ٩١: (لئن ولوها الأجلح) والصواب: (لئن ولوها الأُجَيْلِحَ).

١٢٥ - ص ٩٢: (إنك لـرخـو الليث) وهي: (إنك لـرخـو الليـت) بـالتـاء المثناة،وتصحح على هذا الحاشية.

١٢٦ - ص ٩٢: (فهد بن عوف) وهي: (نَهْد بن عوف).

١٢٧ - ص ٩٤: (عامر بن وائلة) وفي المخطوطة: (عامر بن واثلة) - بالثاء -.

١٢٨ - ص ٩٥: (فاتوا بها) وهي: (فأتوها).

١٢٩ - ص ٩٧: (بن سلمان عن ابن البزان) والصـواب: (بن سلمان عن أبي عمر البزار).

١٣٠ - ص ٩٧: (عن أبي السواد الضبعي) وفي المخطوطة: (عن أبي التياح عن أبي السوَّار الضبعي).

١٣١ - ص ٩٨: (وبغضته اليهود) وهي: (وأبغضته اليهود).

١٣٢ - ص ٩٨: (لن ياكلوا العتر) وفي المخطوطة: (لن يأكلوا الصبر).

١٣٣ - ص ٩٩: (معمر عن أبي طاووس) وهي: (معمر عن ابن طاووس).

١٣٤ - ص ٩٩: (عن أشرس بن الحسن) والصواب: (عن أشرس عن الحسن).

١٣٥ - ص ٩٩: (ولكن حملوه) وهي: (ولكنهم حملوه).

١٣٦ - ص ١٠٠: (نعت إليَّ عليًا) والصواب: (نَعَتَ أبِيْ عليًّا).

١٣٧ - ص ١٠٠: (بشير بن آدم) والصواب: (بشير بن آزاد)، وفوقها في الهامش (آراك).

١٣٨ - ص ١٠٠: (ان الحسن وعمار قدما) وتكرر هذا، والصواب: (أن الحسن وعمَّارًا قدما).

١٣٩ - ص ١٠٠: (اشكنب آمد) وهي: (اشكنب آمذ).

١٤٠ - ص ١٠١: (والله ليمنعني) وهي: (والله إنه ليمنعني).

١٤١ - ص ١٠١: (وقد لحق إزاره ركبتيه) وهي: (وقد لحق إزاره بِركبتيه).

١٤٢ - ص ١٠١: (قميص رازقي) وهي: (قميص رازي).

١٤٣ - ص ١٠١: (فقال: يخشع له القلب لعله يستتر من العدى، وهو وضع كل حجر على شيء يستره ويعتدى به المؤمن) كل هذا الكلام لا معنى له، ومكانه في المخطوطة: (ويقتدي به المؤمن).

١٤٤ - ص ١٠٢: (ثنا مسلم ماحب الحناء) وفي الحاشية: (هكذا جاءت في المخطوطتين ولم أجد لها تفسير وصواب الكلمة كما في الأصل: (حدثنا مسلم صاحبُ الحِنَّاءِ).

١٤٥ - ص ١٠٤: (خُذْ فقسم ما فيه بين المسلمين) وفي الأصل: (خُذْ خُذْ فقسم ما فيه بين المسلمين).

١٤٦ - ص ١٠٤: (عن جعفر بن خالد عن جار عن أبيه) وفي المخطوطة: (عن جعفر بن خالد عن جابر عن أبيه).

١٤٧ - ص ١٠٤: (لما شاهد عليا) وفي المخطوطة: (أنا شاهِدٌ عليًّا).

١٤٨ - ص ١٠٥: (مال وعظك) وهي: (ما وعظك).

١٤٩ - ص ١٠٥: (يقال له أحكم) والصواب: (يقال له الحكم).

١٥٠ - ص ١٠٥: وفي هذه الصفحة على الحاشية عن (الطلا) وفي الأصل في الهامش: (الطلا: ما طُبخ من عصير العنب، حتى ذهب ثلثاه).

١٥١ - ص ١٠٦: (كنا فاقدم به ونختاضه بالماء) وهي: (كنانأتَدِمُ بـه ونختاضه بالماء).

١٥٢ - في الصفحة: (كان يقسم العطور بيننا) وهي: (كان علي يقسم بيننا). ومع هذا فلا حاجة لما زيد في الأصل.

١٥٣ - وفيها: (قسم علي بيننا) وهي: (قسم علي فينا).

١٥٤ - وفيها: (ثنا يعلى بن الحارث) وهي: (حدثنا علي بن الحارث).

١٥٥ - وفيها: (وماخبرتك) وهي: (وما خبرتك به؟).

١٥٦ - وفيها: (ان يقطع له خبر بين قاطع) وهي: (ان يقطع له ضِرْسٌ قاطع).

١٥٧ - ص ١٠٧: (يطوف ومعه) وهي: (يطوف في السوق ومعه).

١٥٨ - وفي الصفحة: (سنبلاني فخرج) وهي: (سنبلاني فلبسه فخرج).

١٥٩ - ص ١٠٩: (بن سلمة عن عكرمة) وهي (ابن سلمة عن أيوب عن عكرمة).

١٦٠ - وفي الصفحة: (ابي رجل محارب) وهي: (قال إنّي رجل محارب).

١٦١ - وفيها: (اروي شيئًا فخذوا به) وهي: (أَرْوي عنه شيئًا فخذوا به).

١٦٢- ص ١١٠: (بأبي سعيد وذكر كلامًا) وهي: (بأبي سعيد إليَّ!، وذكر كلاما).

١٦٣- ص ١١١: (حريث عن الهيثم) والصواب: (حُدِّثْتُ عن الهيثم).

١٦٤- وفيها: (من امره إن له اثنتين) وهي: (من أمره اثنتان).

١٦٥- وفيها: (فإني امرو زاجر فلم تاخذ) والصواب: (فإني أمِرٌ زَاجِرٌ مالم تاخذ).

١٦٦- وفيها: (هام الدجّال) وهي: (هام الرِّجّال).

١٦٧- ص ١١٢: (فاستقريته) وهي: (فاستقرأته).

١٦٨- وفيها: (فجاءت بحروقه) وهي: (فجاءت بجردقة) وإذن فلا داعي للحاشية. والجردقة الخبز الغليظ معرب (كرده).

١٦٩- وفيها: (ثنا هشيم قال أخبرني أحمد بن أبي زائدة) وهي: (حدثنا هشيم: أخبرني عمر بن أبي زائدة).

١٧٠- وفيها: (نحوًا من المئة) وهي: (نحوًا من الْمُدِّ).

١٧١- وفيها: (واطعمي صبيانك) والصواب: (وأطعمي صبيتك).

١٧٢- ص ١١٣: (علي أفضل) وهي: (أَعَلِيٌّ أفضل؟).

١٧٣- وفيها: (ثنا بن عدي) وهي: (حدثنا بن أبي عدي).

١٧٤- ص ١١٤: (حتى مجلت فقلت لها) وهي: (حتى مَجِلَتْ يَدُهَا فقلت لها).

١٧٥- وفي الصفحة: (فاسأليه) وهي: (فَسَليه) وتكررت مرتين.

١٧٦- وفيها: (يارسول الله تدق الدرمك) وهي: (يارسول الله كانت تدقُّ الدرمك).

١٧٧- وفيها: (فذلكما مئة كان) وهي: (فذالكما مئة فإنه كان).

١٧٨- وفيها: (قال: ولا ليلة صفّين، ولا ليلة صفين) والصواب: (ولا ليلة صفِّيْنَ، قال: ولا ليلة صِفِّيْنَ).

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

المستدرك على:

ديوان جميل بثينة

يُعَدُّ جميل بن مَعْمَر من أشهر شعراء الغزل العذريّ، ولعل شعره في صاحبته (بُثينة) وأخباره معها دليل على ذالك، حتىٰ وفاته سنة ٨٢هـ - ٧٠١ م، علىٰ ما هُوَ مُفصَّل في المظانّ المختلفة، ولا سيما كتب العشق!

على أنني وددتُ الوقوف علىٰ بيتٍ شهير جدًا هو[١]:

رمى الله في عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بالقَذَىٰ ... وبِالْغُرِّ من أنْيَابِهِا بِالْقَوَادِحِ!

فالبيتُ فاحش الهجاء، لا يعقل أن يصدر عن عُذريٍّ عاشق، وقد حاول بَعْضُ اللّغويين تخريج معناه إلى معنًى جديد، فهذا محمد بن القاسم الأنباريّ (ت ٣٢٨ هـ) يقول: إنَّ معنىٰ البَيْت: وفي سادات قومها، ومعنىٰ رَمَىٰ الله عينيها بالقذىٰ: التّعجب من حُسنها![٢]، وحمله ابنُ منظور (ت ٧١١هـ) على الدّعاء على سادات قومها بالهلاك والفساد لِقَاءَ حيالهم بينه وبينها![٣]

قال عباس الجراخ: ولعلّ أول من رَفَضَ نسبة البيت إلى جميل، هو اللّغويّ البارع رضي الدين الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، في معجمه القيّم «العُباب»[٤]، إذْ نَصَّ على أَنَّ البيتَ هو لابن أخي شَمَجَى يُخاطب: أُذَيْنَةَ بنتَ عمِّ صَعْب بن كُلثوم، وروايته الصحيحة:

رمىٰ الله في عَيْنَيْ أُذَيْنَة ... ...

وقد نَقَل رأيَ الصغَانِي هذا - الأديبُ عبدُ القادر البغداديّ (ت ١٠٩١ هـ) في كتابه «خزانة الأدب»[٥] وذكر نسبته لأخي شمجَى (كذا)، كما أشار إلى ذالك د. فير محمد حسن محقّق «العُباب»، وأكد أَنَّ الصَغَانيّ: (على ثقةٍ من علمهِ).

ديوانه: أما ديوانه فقد أشار ابنُ النديم (ت ٣٨٥هـ) إلى أَنَّ إبراهيمَ بن إسحاق الموصليّ (ت ٢٣٥هـ) قد ألَّف كتابًا بعنوان: «أخبار جميل»[٦]، ولم يصل إلينا، ومنَ المؤكدِ أنَّه احتوى على شعرٍ كثير له، وذكر ابنُ خير الإشبيليّ (ت ٥٧٥ هـ) أنَّ

أبا عليّ القاليّ (ت ٣٥٦ هـ) قد نَقَلَ «شعر جميل» - في جزء[٧]، والقالي - كما هو معروف دخل بغداد سنة ٣٠٣هـ، وغادرها إلى الأندلس سنة ٣٢٨هـ.

وفي عصرنا الحالي جَمَعَ د. صباح نُوري مرزوق «أخبار جميل بُثينة» من المظانّ المتفرّقة بعد تحقيقه تحقيقًا علميًّا، ونُشرها في «مجلة كلية المعلمين» - الجامعة المستنصرية ١٩٩٧م.

وقد طُبِع ديوانه - كما علمنا - على النحو الآتي:

١ - طبعة المكتبة الأهلية - بيروت ١٩٣٤م، جَمْع وتحقيق بشير يموت.

٢ - طبعة دار صادر، دار بيروت - لبنان ١٩٦٦.

٣ - دار الكتاب العربي، بيروت.

٤ - «شرح ديوان جميل بثينة» بتقديم إبراهيم جزيني، المكتبة الشعبية، بيروت، د. ت.

٥ - تحقيق د. حسين نصّار، دار مصر للطباعة ١٩٦٧م.

قلت: وطبعة د. حسين نصار هي الطبعة العلمية المعتمدة في التوثيق والتخريج.

وكَأَيِّ عمل يعتمد على الجمع واللّملمة، فإنه يظل عرضة للاستدراك والتنقيح، وهذا أمر طبيعي وأكيد، لذالك استطعتُ - بحمد الله وعونه - أنْ أعثر على أكثر من ستين بيتًا أَخَلَّتْ بها طبعة د. نصّار. فصنعتُ هذا المستدرك المتواضع الذي يُضيف أبياتًا جديدة إلى شعره المنشور مما حفلتْ به كتبُ اللّغة والأدب.

ولقد بذلنا جهدًا كبيرًا في تقصّي شعر جميل غير المثبَّت في ديوانه، بالرجوع إلى المصادر التي أوردتْهُ، ثم رتّبناه وفق الحروف الهجائية على شكل قطع، وأعطينا لكل قطعة رقمًا متسلسلًا نسهل الرجوع إليه، مع تخريج بحور كلّ منها.

وقد أردفنا كلّ ذالك بتخريج كلّ قطعةٍ بصورةٍ علميةٍ دقيقةٍ.

ودونكم: المستدرك على ديوان جميل بثينة.

المستدرك

١ - قال جميل [الطويل]:

فما صاديات حُمْنَ يومًا وليلةً ... على الماء يُغْشين العِصيَّ حَوابي (؟)

التخريج: «الزاهر في معاني كلمات الناس»: للأنباري ٢/ ٩٤ (تحقيق د. حاتم الضامن، بغداد، بيروت ١٩٧٩م).

٢- جميل [الطويل]:

١- أرى شجراتِ الدارِ خُضْرًا ولا أرَى ... سوى شجراتِ الدار شيئًا تَرَوَّحُ
٢- أمِنْ أجلِ أنْ حلَّتْ إليكُنَّ وأنتدتْ ... بُثينةُ يَنْدىٰ غُضْنُكُنَّ الملَوَّحُ؟

التخريج: «التعليقات والنوادر» ٢/ ٥٨٠ (لأبي علي الهجريّ، ترتيب الشيخ حمد الجاسر - الرياض، ١٩٩٣م).

٣- جميل: [الطويل]:

١- ألا هل لعهدٍ من بُثينة قد خَلا ... وأورث شَجْوًا لا يُريمُك من رَدٍّ
٢- وهل أنا معذورٌ فأبكي من التي ... أراها على الهِجران يَنْمِي لها وُدّي
٣- ولو حاولتْ هجرانَهَا النفسُ لم يعد ... إلى سلوةٍ بل زاد وجدًا على وجدِ
٤- فما لام فِيها لائم لو علمتها ... من الناس إلّا زاد في حُبِّها عندي
٥- فلا تكثرا لَوْمي فما أنا بالذي ... سَنَنْتُ الهوىٰ في الناس أو ذقته وحدي!

التخريج: «التذكرة السعدية» ١/ ٥٢٢ - ٥٢٣ (محمد عبدالرحمن العبيدي)، تحقيق عبدالله الجبوري، مط النعمان، النجف، ١٩٧٢م، ط ٢، الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس ١٩٨١م).

٤- جميل [الطويل]:

١- وليت الرياحَ الهوج في ذات بيننا ... بما لاتَبُثُّ الكاشحين بريدُ
٢- فيأتيكم منّا جَنُوبٌ مُطلةٌ ... وتأتينا هَيْفُ العَشيِّ برودُ
٣- يمانيةٌ تزجي أغنَّ مهلهلًا ... كأنّ النعام الرُّمْدَ فيه يرودُ [؟]
٤- تزجّيه لا نكباءُ وَانٍ هَبُوبُها ... ولا سفوانٌ للسحاب طرودُ

التخريج: «التعليقات والنوادر» ٢/ ٥٧٩.

٥- جميل [الطويل]:

١- وهلْ يرسِمَنَّ النِّضوُ بي بين غُلَّزٍ ... ونُغْضَةَ وهْنًا والْعيونُ رُقُودُ
٢- على مَتْنِ عادِيٍّ كأنَّ الصُّوىٰ به ... رِجَالٌ يؤدّون الصَّلاةَ قُعُودُ

التخريجُ: «التعليقات والنوادر» ٢/ ٥٧٨.

٦- فلو أنَّ نفسي طاوعتْنِي لأصبَحتْ لهـا حَقَـدٌ مِمَّـا يُعَـدّ كثيـرُ

التخريج: «لسان العرب» (حقد)، وهو بلا عزو في: «الزاهر» ١/ ١٦٥؛ ولعبادة بن الصامت في: «أخبار أبي القاسم الزجاجي» ٢٨ (بغداد ١٩٨٠م) و «محاضرات الراغب» ٣/ ٢٠٩ مع بيت آخر.

٧- جميل: [الطويل]:

١- لا تَصْرِمي ياجُمْلُ حبلي فإنني وروْدٌعلى سَكِّ الأمـور صَـدُورُ
٢- وإني على سَفْح الدموع التي تُرى لَجَلْـدٌ على بَيْـن الحبيب صَبـورُ
٣- وإني بنارٍ أوقـدَتْها بِـذي الغضا على مـا بعيني منْ قَـذَىً لبصِيْـرُ
٤- أضاءَتْ لنـا وحشية غيـرَ أنها مع الأُنس تـرعى مـارعـوا وتَسِيْـرُ

التخريج: «مواد البيان» ١٤٨ (تحقيق د. حاتم الضامن، مجلة «المورد» ع ٣ - مج ١٧ - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م). (علي بن خلف ت ٤٣٧هـ).

٨- جميل [الطويل]:

١- لعمر ٱبْنـة العُـذْريِّ (بُثَنَـةَ) إنني عن الشيء ولَّى مُـدْبـرًا لصبـورُ
٢- وإني عن الماء الذي يَجْمَعُ القَذَى إذا كـان طَـرْقًـا آجِنًـا لصَـدُوْرُ

التخريجُ: «لُبَابُ الألباب» ٢/ ٥٥ - ٥٦ (للثعالبي، تحقيق د. قحطان رشيد صالح، بغداد ١٩٨٨م).

٩- وممّا يستدرك على القطعة ص ١٤٣ قوله: [الطويل]:

يضمُّ عليَّ الليلُ أطبـاقَ حُبِّهـا كمـا ضَمَّ أزرارُ القَميصِ البنَـائقُ

التخريجُ: «التذكرة السّعدية».

١٠- جميل: [الطويل]:

١- أظنّ هـواهـا تـاركي بِمضلـةٍ من الأرض لا مـالٌ لـديَّ ولا أهلُ
٢- محـا الله حبّ (؟) الألىٰ كنّ قبلها وَحَلّتْ مكـانًـا لم يكنْ حُـلَّ منْ قَبْلُ

التخريجُ: «التذكرة السعدية» ٥٤٠.

١١- جميل: [الكامل]:

١- ما هَاجَ شَوْقَكَ من بِلَى الأطلالِ   بالبَرْقِ مَرَّ صَبًا وَمرَّ شَمَالِ

٢- لَعِبَتْ بِجِدَّتِها الشَّمالُ وصَابَها   نَوْءُ السِّمَاكِ بِمُسْبِلٍ هَطَّالِ

٣- جَرَّتْ بها هُوجُ الرِّياحِ ذُيُولَهَا   جَرَّ النِّسَاءِ فَواضِلَ الأذْيَالِ

٤- فَضِرنَ (؟) عن دُهْمٍ تقادَم عَهْدُهَا   وَبقِيْنَ في حِقَبٍ من الأحْوالِ

٥- وذَكَرْتُ رَبْعًا حَلَّ أهْلوُنَا بِهِ   إذْ نَحْنُ في حَلَقٍ هُنَاكَ حِلَالِ

٦- نَقِفُ الحديثَ إذَا خَشِينا كاشِحًا   ونَلِطُّ حينَ نخَافُ بالأمْثَالِ

٧- حتَّى تَفَرَّقَ أهْلُنَا عن نِيَّةٍ   قُذُفٍ وآذَنَ أهْلُنَا بِزَوالِ

٨- بَانُوا فَبَانَ نَواعِمٌ مثْلُ الدُّمَى   بِيْضُ الوُجُوهِ يَمِسْنَ في الأغْيالِ

٩- حَفِد الولائِد حَولَهُنَّ وأسْلَمَتْ   بأكفهنَّ أزِمَّةَ الأجْمالِ

١٠- زاحُوا منَ البَلْقَاءِ يَشْكُو عِيْرُهمْ   عُنُفَ السِّياقِ مُرَفَّعَ الأذيَالِ

١١- جَعَلُوا أقَارِحَ كُلَّها بيمينِهمْ   وهِضَابَ بُرْقَةِ عَسْعَسٍ بِشمَالِ

١٢- ولقدْ نَظَرْتُ فَفَاضَ دمعي بعدَما   مَضَتِ الظَّعَائِنُ واحتَجبْنَ بآلِ

١٣- عرْضَ الجباجِبِ من أُثَالَ كما غَدَتْ   رُجُحُ السَّفِينِ دُفِعْنَ بالأثقَالِ

١٤- أفكُلُّ ذِي شَجْوٍ عَلِمْتَ مكَانَه   تَسْلُو مودَّتَهُ ولَسْتَ بسَالِ؟

١٥- منْ غيرِ إصْقَابٍ يكونُ منَ النَّوى   إلا اللِّمَامَ ولا كبيرَ وِصَالِ

١٦- قَالتْ بُثَيْنَةُ: لا تُبالِي صَرْمَنَا   جَهَلتْ بُثَيْنَةُ إنَّنِي لأُبَالي

١٧- والمُجْرِمِينَ مخَافَةً وتَعبُّدًا   يَخْدونَ كلَّ نَجيْبَةٍ شِمْلالِ

١٨- غَضَبًا كأن عُيونَهُنَّ من السُّرَى   ومن الكَلالِ مَدَافعُ الأوشَالِ

١٩- إنِّي لأكتُمُ حُبَّها إذْ بَعْضُهمْ   فِيْمَنْ يُحِبُّ كناشِدِ الأغفَالِ

٢٠- أبُثَيْنَ هل تَدْرِيْنَ كم جَشَّمْتِني   من عَقْرِ نَاجِيَةٍ وحَزْبِ مَوَالِ

٢١- وتعسُّف المَوْمَاةِ تعْزِفُ جِنُّها   بعدَ الهُدوءِ بِعَرْمَسٍ مِرْقَالِ

٢٢- ولقد أشَرْت على ابن عِمِّك لاقحًا   من حَرْبِنَا جَرْباءَ ذَاتِ غِلالِ

٢٣- حربًا يُشَمِّصُ بالضَّعيف مِرَاسُهَا ... لَقِحَتْ على عُقُرٍ وطُولِ حِيَالِ
٢٤- أَوَلا تَراني من جَريرةِ حُبِّها ... أمسي الدِّلاصَ مُقَلَّصًا سِرْبَالِي
٢٥- صَدَأُ الحديدِ بمنكِبَيَّ كأنَّني ... جَوْنٌ يُغَشِّيه العَنِيَّةَ طَالِ
٢٦- ياليتَ لذَّةَ عيْشِنا رَجَعتْ لنا ... في مثل عصرٍ قد تَجرَّمَ خَالِ
٢٧- فنبيعُ أيامًا خَلَتْ فيما مَضى ... قَصُرتْ بأيَّامٍ عقبنَ طِوالَ
٢٨- وإذا العَدوُّ مكذَّبٌ أنْباؤهُ ... وإذا النَّصيحُ مصدَّقُ الأقوالِ
٢٩- مِنْ كُلِّ آنِسةٍ كأنَّ نُيوبَها ... بَرَدٌ مُسَقَّطُ روضَةٍ مِخْلالِ
٣٠- هَطِلٌ كغادِي السَّلْمِ يجري صعْدَهُ ... فوقَ الزُّجَاجةِ عن أجبَّ ثِقَالِ
٣١- مَنْ تُؤْتِهِ أشفَى على ما فاتَهُ ... منهَا وإنْ لم تجزِهِ بِنَوَالِ
٣٢- ومَنَاكِبٌ عرضَتْ وكَشْحٌ مُضمَرٌ ... جَالَ الوِشَاحُ عليه كلَّ مجَالِ
٣٣- وعَجِيزةٌ رَيَّا وسَاقٌ خَدْلَةٌ ... بيضَاءُ تُسْكِتُ منطقَ الخَلْخَالِ
٣٤- حتَّى إذا مَلَّتَ الظَّلامُ وفُتِنْني ... غَلَبَ العَزاء وهُنَّ غيرُ أوالِ

التخريجُ: القصيدةُ في «أمالي المرزوقي» ٣٦٧ - ٣٧١ (تحقيق د. يحيى الجبوري، بيروت ١٩٩٥م)، والبيتان ١١ و ١٩ فقط في ديوان جميل.

١٢- جميل [البسيط]:

قامتْ تُودِّعُنا والعينُ ساكبةٌ ... إنسانُها بقضيض الدَّمع مكتحِلُ
ثم استدارَ علىٰ أرجاء ساحته ... حتىٰ تَبادَرَ منها دمعُها الهملُ
كأنَّهُ حين جَدَّ المأقِيَانِ به ... دُرٌّ تقطَّع منهُ السلك مُنْسجلُ

التخريج: «الزّهرة» النّصف الثاني ٣٤٣ (تحقيق د. نوري حمودي القيسي ود. إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٧٥م)- ط ٢، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) «مواد البيان» ١٣٦ - ١٣٧ (المورد - مج ١٨ - العدد ٣ - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) ورواية الأول: والعين ساجمة.. ورواية الثاني: على حوراء ساجية لما.. ورواية الثالث: حين مار... ردّ تقطّع.

١٣- قال جميل: [الطويل]:

١- فلما طلعْنَ ذَا الغِلالةَ وانْتَحتْ ... بهنَّ الحُداةُ في خَويٍّ لَه سَهْلُ

٢- ولما بـدا هَضْبُ المِحَزِّ وأعـرضَتْ شماريخُ من شَـرْعات يـردَى بها النَّحْلُ

التخريج: «التعليقات والنوادر» ٢/ ٥٧٩.

١٤- جميل: [الطويل]:

لطـافُ الحشَـا بِيْض الخـدود أوَانِسٌ عِــذابُ الثّنـايـا قَـدْ مثلْنَ بنا مَثْـلا

التخريج: «المذاكرة في ألقاب الشعـراء» ٢١٥ (مجد الدّين النشابيّ (ت ٦٣٢ هـ) تحقيق شاكـر العاشور، بغداد ١٩٨٩م).

١٥- جميل: [الكامل]:

فَبَعَثْتُ جَــارِيتي فَقُلْتُ لهــا اْذهبي قُــولي مُحِبُّـك هــائمًــا مَخْبــولا

التخريج: «الزاهر» ٢/ ٢٩١، وبلا عزو لي: ٢/ ١١.

١٦- جميل: [الكامل]:

وأتىْ صــواحِبُهـا فقلْـنَ: هَـذَا الــذي مَنَحَ المــودَّة غَيْـرَنَــا وجفــانــا؟

التخريج: أنشده اللّحياني عن الكسائي «اللسـان» و «التاج» (ذا)، ويُنظر: «المفصّل» ٢/ ٢٦٢، «شرح المفصَّل» ٢/ ٤٣.

١٧- جميل: [الطويل]:

تَمــاشَيْنَ ذَا الأَرطىْ فلمــا قَطَعْنَــهُ لخــــرْقٍ أَمَـقٍّ الشــــاطِئَيْنِ بطيـنِ

التخريج: «بقيَّةُ التنبيهات على أغلاط الرواة» ٣٩ (علي بـن حمزة البصريّ (ت ٣٧٥ هـ)، تحقيق ودراسة د. جليل العطية، بغداد، ١٩٩١م).

١٨- جميل: [الطويل]:

١- أشـوقًـا ولمَّـا تَمضِ بي غيـر ليلـةٍ رُوَيْــدَ الهَـوَى حَتَّىْ لِغبِّ ليــاليــا

٢- لحــا الله أقـوامًــا يَقُــولُـون إننــا وَجَـدْنــا طَـوال النأي للحبّ شــافيـا

التخريج: «التذكرة السعدية» ٥٣٥، «ذَمّ الهوىْ» ٤٠٢ (ابن الجوزي).

وصَدْر الأول في «ديوان سُحَيْم عبد بني الحسحاس» ٥٦ (تحقيق عبدالعزيز الميمني، ط ٢، بغداد ١٩٩١م).

١٩ - قول جميل: [البسيط]:

١ - فهل بثينــةُ يــا للنّــاس قــاضِيتي ... دَيْني وفــاعلــةٌ خيــرًا فأجــزيهــا؟

٢- تــرمي بعينَي مهَــاةٍ أقصــدتْ بهمــا ... قَلْبي عشيـــةَ تـــرميني وأرميهـــا

٣- هيفــاءُ مقبلــة عَجْــزاء مُــدْبــرة ... ريَّــا العظــام بــلا عيبٍ يُــرَى فيهــا

٤- من الأوانــسِ مِكْســـالٌ مُبَتّلـــة ... خَــوْدٌ غَـذَاهــا بلِين العيش غـاذيهــا

التخريج: «البرهـان الكاشف عن أعجاز القرآن» ٢٣٨ (للـزملكاني (ت ٥٦١ هـ)، تحقيق د. أحمـد مطلوب و د. خديجـة الحديثي، بغداد، ط ١، ١٩٧٤م)، «التبيان في علـم البَيان» ١١٢ (للزملكاني، تحقيق د. أحمـد مطلوب و د. خـديجة الحـديثي. بغداد، ١٩٦٤م)، «دلائل الإعجـاز» ١١٥ (للجرجـاني (ت ٣٩٦ هـ)، تحقيق محمـد رشيد رضـا، القاهرة، ط ٥، ١٣٧٢هـ).

وبعـد، فنـرجو أن يكـونَ لهـذا المُستَـدْرَك(٨) المكـان الطبيعيّ عند إعـادة جمع وتحقيق «ديوان جَميل بُثَيْنة»، والحمدُ لله رب العالمين.

العراق/ بابل - الحلة - عباس هاني الجرّاخ

الحواشي:

(١) «ديوان جميل» ٥٣ (تحقيق د. حسين نصار).

(٢) «المـذكر والمـؤنث» ٢٠١ (تحقيق د. طـارق عبد عـون الجنـابي، ط ١، بغـداد، و ط العاني، ١٩٧٨م)، وينظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» ٢/ ٥٣.

(٣) «اللسان» (نيب) - دار صادر، بيروت. ويُنْظر: «شرح أمالي القالي» لأبي عبيد البكري.

(٤) «العباب الزّاخر واللُّبـاب الفاخر»: ٦٥ (المقدمة) (تحقيق د. فير محمـد حسن، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ويُنْظر: (ت ر ح) و (ق د ح) في الأجزاء التالية.

(٥) «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» ٦/ ٤٠٣ (تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة) ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٦) «الفهرست» ١٥٩ (تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م).

(٧) «فهرست ما رواه عن شيـوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعـارف»، ٣٩٥ (تحقيق فرنسشكة قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوة، بيروت، ط ٢، ١٣٦٩هـ - ١٩٧٩م.

(٨) وهنـاك قطعةٌ على قـافية الحـاء المضمومـة في: «التعليقـات والنوادر» ٢/ ٢٧٨، لم يُصـرّح الهجري بنسبتهـا إلى جميل، وقد علّق الشيخ الجاسـر: (ونَسَبَهَا بعضُـهم لجميل) ولما لم أجد مصدرًا قديمًا تحت يدي يؤكد ذالك لم أثبتها في هذا المستدرك.

عينات: من أشهر قرى حضرموت على نحو نصف مرحلة من تريم، وأول من اختطها آل كثير في سنة ٦٢٩، وفي سنة ٧٨٧ هجم آل الصبرات على عينات وأخربوها، وقتلوا سبعة من آل كثير حواليها، وساعدهم راصع على ذالك، وفي سنة ٨١٧ بنى آل كثير عينات، ثم أخربها آل أحمد في تلك السنة نفسها، وقتلوا ثمانية، اثنين من آل كثير، وخمسة عبيد و رامي، وكثيرًا ما تقلبت بهم الأحوال وأضرت بها الحروب الواقعة بين آل كثير وآل يماني والصبرات والغز، حسبما فُصِّلَ بعضه في الأصل، وقد اندثرت ولم يبق إلَّا آثارها البالية، هذه هي عينات القديمة، وأما الجديدة فحيث ابتنى داره ركن الإسلام وعلم الأعلام الشيخ أبو بكر بن سالم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف المتوفى بها سنة ٩٩٢، وقد ترجمه الشلي في «المشرع» و «السنا الباهر» وأفرد مناقبه العلامة ابن سراج وغيره بالتأليف وهو بالحقيقة في غنى شهرته التي تغني عن التعريف:

تجاوز قدح المدح حتى كأنه   بأكبر ما يثنى عليه يعاب

ولما مات وقع رداؤه على ابنه عمر المحضار، ومن كلامه ما ابتلى أهل حضرموت إلَّا بقدحهم في الشيخ أبي بكر بن سالم، وماشكوا فِي ولايته إلَّا لسوء حظهم، ولكنه كفي شرهم بالعطاء وبغيره، وكل من شك في الشيخ أبي بكر فهو اليوم يبغضني ويرانى خصمه، بل زادوا وطعنوا في العرض، ولكننا نرثي لهم وندعوا لهم. انتهى، توفي بعينات سنة ٩٩٧، وله أعقاب منتشرون بمرخة وبيحان وروضة بني إسرائيل وحبان وخمور الهند وجاوا ودوعن وغيرهم، ومنهم السيد حسين بن محمد بن علي بن عمر المحضار وصل إلى مسورة أرض الرصاصي، فاقترن بابنة السلطان، فأقطعه مكانًا بمرخة يسمى الهجر، لايزال إلى يومنا هذا، والمحاضير فيه على استقلالهم، وقد سبق في بالجان وبير علي أن منصبهم في سنة ١٣٤٩ أمضى على الوثيقة التي

وقع عليها أعيان تلك الجهات وسلاطينها بـالسمع والطاعة لي، وكفاني الله شر الفتن برأي مولانا الإمام يحيى حسبما تقـدم، ومهم آل دوعان السيد أحمد المحضار وأولاده مساعـد وسالم، لهم أخبـار في النجدة والشجـاعة تنفخ الأدمغـة وتملأ الأفئـدة، وقد أوصى المحضار برضى من إخوانه بأن يخلفه أخوه الحسين:

اغــر، وأتقـى ابني نـــزار ويعـــرب وأوثقهم عقـــدًا يقـــول لســـان

وأوفـــاهم عهـــدًا وأطـــولهم يـــدًا وأعـــلاهُـمُ فعـــلًا بكـل مكـــان

ترجمه الشلي في «المشرع» ووهم في قوله: إنـه ولي الأمر بعد أبيه لأنه لم يله كما قدمنا، إلّا بعـد أخيه وبعد أن تربع على كرسي المنصبـة حصل عليه أذى من آل كثير فسار إلى مكة وأقام بها سبع سنين قدم في اثنـاءها رؤوساء يافع إلى مكة وكان حصل عليهم تعب من الزيديـة فتأكدت بينه وبينهم الألفة وتاطدت قـواعد الحلف ووعدوه أن نصرهم الله أن يأخذوا بيـده وقد سبق القول بأنهم وصلوا في أيامـه إلى حضرموت، توفـي بعينات سنة ١٠٤٤ ووقعـت عمامته علـى ولده أحمـد، وقام بمقام أبيـه أحسن قيـام إلى أن توفي سنـة (....) ، فاجتمع رأي السـادة على تقديم ابنـه سالم السـابق ذكـره في الغيظة وكثـرت الخيرات في أيـامه، واتسع جـاهه وأكثـره من أرض الظاهـر وجبل يـافع، وحصلت له أمـوال طائلـة، ثم إن الزيـدية استـولت على يافع، فـانقطع المدد منها، ولمـا انتهى إليه عزم الزيـدية على غزو حضرمـوت، ارتحل إلى الحجاز، فحج ثم استقـر بالغيظـة، وسار معـه بأهله، وبعـد أن أقام بـالغيظة أحـد عشر شهـرًا اجتوتها زوجته فاطمة بنت محمد بن شيخ بـن أحمد فأذن لها بالرجوع إلى عينات مع ابنه علي بن سـالم، وتنازل لـه عن ولاية عينات، وأبـاح له أمـواله بحضرمـوت، وكان يرسل لـه فوق ذالك بما يكفيه لكلف المنصبـة، وكانت له أراضي واسعـة من عينات إلى العر، ترعى بها مواشيه ونعمه، وكان يشرك السادة آل الشيخ أبي بكر بما يصل إليه من الفتوح، وبأثر انصـراف الزيدية عن حضرموت أراده الناس علـى الرجوع إليها فلم يرض، وبعضهم يزعم أن الشيخ عمر بامخرمة لحظه بطرف الغيب إذ يقول:

سلم الأمـــر يـــاســـالم وخل الحـــراره خل ذا الكون يابن أحمد على الله مداره

عـاد رب السمـاء يعطـف علينـا بغـاره يـوم قـالـوا لنـا الـزيـدي تـولى شهـاره

لأن شهارة حافة معروفة بسيوون والأمر محتمل فإن للشيخ عمر فراسات كثيرة صادقة، ولكن شهارة من ثغور اليمن في غربي صنعاء استولى عليها إمام الزيدية في أيام الشيخ عمر بامخرمة، توفي الحبيب سالم بن أحمد بالغيظة سنة ١٠٧٧ وبأثر موته أحضر ولده علي سائر إخوانه وكتب للغائبين منهم وقال لهم: إنني لا أقدر على القيام بأعباء المنصبة إلَّا بأموال والدي، وقد صارت لكم، فخذوها واقيموا من تحبون. فقالوا له بل ابحناها لك كما كان أباحها لك أبونا لا تزد عما كنت تنفقه علينا في أيامه. وقد أدرك الحبيب علي بن سالم عامًا من حياة جده الحسين، وفي أيامه عاد الظاهر وجبل يافع لأهله بواسطة السلطان معوضة بن سيف بن عفيف، والسلطان صالح بن أحمد بن هرهرة فدرَّت الأموال عليه، وقال لإخوانه: اقتسموا ماتركه أبوكم فقد اغنانا الله عنه، وأبقى ماكان يجريه عليهم، توفي سنة ١٠٩٦ عن إحدى وخمسين سنة، وكان اقامته بالمنصبة ثمانية عشر عامًا وخلفه ولده أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين، فقام بالمنصبة وسنه نحو العشرين، وأعانه عليها السيد شيخ بن أحمد بن الحسين، توفي أحمد هذا سنة ١١١١ بعد أن مكث في المنصبة خمسة عشر عامًا، وخلفه عليها ولده علي بن أحمد بن علي بن سالم، واتسع جاهه بسبب اتساع نفوذ يافع في أيامه، حتى لقد كان الشعيب المشهور بحسن مــــــاء ورده اقطاعًا له، وكان شديدِ الورع والتواضع، وساء التفاهم بينه وبين القطب الحداد بسبب واشٍ من الطغام قال له: إن الحداد يحاول منصبًا مثل منصب جدك الشيخ أبي بكر بن سالم، ويزعم أنه أفضل منه، فلم يكن من القطب الحداد إلَّا أن ورده إلى عينات وبعد الإيناس قال له: إني سائلك هل خزائن الله ملاء أم لا؟ فقال: بل ملآى. قال له وهل ينقصه أن يعطي أحدًا مثل ما أعطى الشيخ أبا بكر؟ فقال له: لا. فقال الحداد: إن الذي أعطى الشيخ أبا بكر يعطينا من الهداية ويعطيك ويعطي غيرنا مثل ما أعطاه. فاعتبر السيد أحمد وجعل يلطخ الحداد بزباد من وعاء كبير حتى نفد وهو ذاهب عن شعوره، ثم كان يزور الحداد في كل أسبوع أو في كل شهر مع كثرة انشغاله وعِظَم منصبه، ويستغرق سحابة اليوم في قراءة الكتب النافعة وفي أول قدمةٍ على الحداد قال - أعني الحداد-:

جــــــزاك الله عن ذا السعـي خيـــــرًا ولكن جئـت في الــــزمـن القصيـــــر

وإليه الإشارة بقوله من الأخرى:

زارني بعــــد الجفـــاء ظبي النجـــود

والحبيب أحمد بن علي هذا الذي كتب للسلطان عمر صالح بن أحمد بن الشيخ علي هرهرة ليخرج إلى حضـرموت لما كثرت بها المظالم والفوضـوية كذا في «بستان العجائب» للسيـد محمد بن سقاف، والـذي بالأصل عن الشيخ علي بن عبـدالرحيم ابن قاضي في تـرجمته للسيد شيخ بن أحمد ما يصـرح بأنه هو الذي تـولى الأمر بعد أبيه، وأنه هـو الذي كتب ليافع مساعـدة لبدر بن محمد الرؤوف على عمـر بن جعفر وأنـه توفي سنـة ١١١٩، وأن أخـاه عليًّا إنمـا تـولى بعده، وهـذا هـو الأثبت، ثم إني اطلعت بعـد هـذا على رحلة عمـر بن صـالح وفيهـا ما حـاصلـه: كان نهـوضنـا إلى حضرموت في أول شهر القعـدة سنة ١١١٧، كتب إلينا مولانا وسيدنـا وصاحب أمرنا قطب الحقيقة والطريقة الشيخ الحبيب علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم أن نخرج إلى حضـرموت، لأن السلطان عمر بن جعفـر طغى وبغى، وعظم شعائر الـزيديـة، واستولى على الشحـر، وهرب السلطـان عيسى بن بدر إلى عينات، فهجم عليه بها وهو ومن معه من الزيدية، وأخذه منها قهرًا واستولى على حضرموت كلها وأرسل لعيسى بن بدر إلى عند الإمام، ثم انكفأ على آل همام ويـافع الذين بـالشحر وحضـرموت، فأخـرجهم من القلاع، وسلمهـا للزيـدية، واستهان بالسادة، فعنـد ذالك عزمنا ثم استاق الرحلة إلى آخـرها، توفي الحبيب علي ابن أحمـد بعينات سنة ١١٤٢، وخلفـه على المنصبة ابنـه أحمد بن علي بـن أحمد، وكان مضيافًـا يذبح كل يوم ستًا من الأغنام، سـوى ما يذبحه للواردين، وله لـوع شديد بـالقنص، وكان كـريمًا شفيقًـا، حتى لقد غضبت عليـه زوجته أم أكبـر أولاده بنت آل يحيى من زواجـه بغيرهـا، وأبت أن تعـود إلَّا بمئة دينـار، ولمـا حصلها آذنهم فعملـوا ضيافة عـامة، دعوا إليها أهل عينات أجمعين، فبينا هـو ذاهـب إليهم سمع امرأة تقول من حيث لا تراه: نحن جـائعون عارون ولا عيد لي ولا لأيتامي، وأحمـد بن علي يدفع

لبنت آل يحيى مئة دينار، فظهر عليها ورماها بالصرة وقال لها: حلال لك حرام على بنت آل يحيى. فامتنعت من قبولها لعلمها بالمهمة، فلم يأخذها منها وبعث لآل يحيى بالاعتذار، فعظم الأمر عليهم وأخبروا ابنتهم فقالت: إني لأعلم أن لا يخلف وعدًا ولا يبيت على جنابة، ولا يأكل إلّا مع ضيف، ولن يتأخر إلّا لمهم، وبحثت عن الواقع حتى عرفته، فذهبت هي وأولادها إليه فكاد يجن جنونه من الفرح، لأنه بها مغرم، وشكرته على صنيعه، وقالت له: إن لم تزر زرناك، وقد ترجمه الجنيد في «النور المزهر» توفي سنة ١١٧٧ وفي «شمس الظهيرة» أن وفاته كانت في السجود وهو يصلي الظهر، وخلفه ولده سالم بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بنِ الحسين، وكان أبيض السريرة، لا يعرف شيئًا من أمر الدنيا، وهو الذي وصلت مؤاساة صاحب المغرب لسادات حضرموت في أيامه، واختلفت الرواية، فالذي قاله السيد محمد بن سقاف أنه رضي بأكياس الدراهم الحريرية المزركشة بالفضة قياضًا عمًّا لَهُ ولأسرته منها، والذي قال غيره: إنه أراد الاستئثار بجميعها، فما زالوا به حتى اقتنع بالأكياس زيادةعن نصيبه مثل الناس، وفي أيامه طلبت يافع بتريم مواساة من أهلها، فثقلت عليهم، فذهب أحد آل شامي بهدية تافهة إلّا أنها ملونة، فعزم على يافع أن لا يأخذوا شيئًا فانتهوا وكذالك الحال كان في العام الذي بعده، توفي سنة ١٢١١، و خلفه ابنه أحمد بن سالم، وكان كثير الخيرات والمبرات، وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى حضرموت، بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير، وإنما كانوا ينشرون دعوتهم ويستجيب لهم الناس، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر، غربي شبام، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبدالله عوض غرامة بتريم، فتمكنوا بذالك من هدم القباب، وتسوية القبور، ولما علم الحبيب أحمد بن سالم بوصولهم إلى حضرموت تريم استدعى منصب آل الحامد السيد سالم بن أحمد بن عيدروس واتفقوا على الدفاع عن عينات، واستدعى الحبيب أحمد من اطاعه من يافع وآل تميم والحبيب سالم من اطاعه من الصيعر والمناهيل، ولما علمت الوهابية وغرامة بذالك كتب الأخير كتابًا للمنصبين يقول لهم فيه: إن ابن قملا وصل بقوم ما تعقل من القبلة، وقصدهم دخول عينات، وإن دخلوا بها يخربون قباب مشائخنا ومناصبنا، والأولى أن تصلون أنتم ويكون الاتفاق واحتملوا المشقة في الوصول،

وهذه منا نصيحة ومحبة وشفقة وما يشق عليكم يشق علينا. في كلام طويل، وكانوا يعرفون محبته وموالاته لهم، فاطمأنوا بكتابه، فوصلوا إلى تريم وألقوا عليهم القبض وألقوهم تحت المراقبة، وأرسلوا العسكر إلى عينات، وقالوا لأهل عينات: إن أحدثتم أدنى أمر بعثنا لكم برؤس المناصب، فتركوهم يفعلون ماشاؤا، وخافوا منهم خوفًا شديدًا، وكلفوهم غرامة شديدة دفعوا فيها حلي نسائهم، ثم إن آل قملا تصادقوا هم والمقدم أحمد بن عبدالله، ففتح لهم الطريق إلى شعب نبي الله هود عليه السلام، فهدموا قبته، وبأثر رجوع آل قملا من الجهة الحدرية اطلق غرامة سراح المناصب وبإثر وصول الحبيب أحمد بن سالم إلى عينات أرسل ولده أبا بكر إلى جبل يافع، وأتى باقوام وأذكى نار الحرب على غرامة، وضيق عليه الخناق، هذا ما يقوله السيد محمد بن سقاف وفيه خلاف أو تفصيل لما في شرح بيت آل تميم من الأصل إذ الذي فيه أن السيد أبا بكر بن أحمد إنما ينهض إلى يافع ليأتي بقوم يحارب بهم السيد سالم بن أحمد الحامد، وأنهم لما وصلوا تريم بعد اللتيا واللتي في أول رمضان من سنة ١٢٣٧ أرضوهم بخمس مئة ريال على سيوون وتريم وعينات، ولم يكن حرب. والله أعلم أي ذالك كان وفي الأصل عن الجنيد أنه انتقد على الحبيب أحمد ابن سالم هذا كثرة حروبه مع قوته في العبادة وصيامه للأشهر الحرم، وأن الحبيب طاهر بن حسين أجابه بما يزيل سوء ظنه به فليكشف منه ومن هذا المنصب كانت تولية القضاء، ولجدنا محسن بن علوي بسيوون وأعمالها بوثيقة محررة في ذالك بتاريخ محرم سنة ١٢٣٦، وفي ذالك ما يدل على نفوذ أمره واتساع سلطانه، ودخول يافع تحت طاعته، وقد حج الحبيب أحمد بن سالم وأكرم شريف مكة وفادته، وأهداه كسوة فاخرة، وفرسًا عربية محلاة، وألفًا وخمس مئة من الريالات الفرانسة، وكانت له نفقات جليلة، وصدقات جزيلة، توفي سنة ١٢٤٢، ووقع رداؤه على ابنه أبي بكر، وكانت له عبادة ومحاسن وايثار للسلم، فاصطلح هو وابن يماني والمناهيل وأهدروا الدماء التي ظلت بينهم، ولكن يافعًا اساءت عليه الأدب، ونهبوا في عينات، ووصل إلى سيوون ليصلح بينهم فلم يقبلوا له كلامًا توفي سنة ١٢٦١، وقام في مقامه ابنه سقاف بن أبي بكر بن أحمد ابن سالم بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين، وفي أيامه انتشر الجهل، فحرص الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر على

كشف غمراته، فبعث بالحبيب عمر بن عبدالله بن يحيى فلم يحسن سياستهم فردوه مكسور الخاطر، ثم بعث بجدي المحسن فأقام لديهم أربعين يومًا، وحصل به نفع عظيم لا يحصل مثله في أعدادٍ من السنين، لأن قلوبهم سليمة، وأذهانهم نقية، وفي أيامه وصل السيد عمر بن علي بو علامة السابق ذكره في المكلا إلى عينات، وسار هو وإياه إلى دوعن، ثم حج في سنة ١٢٨٠، وتوفي سنة ١٢٨٣ وابنه سالم في بندر المكلا، فنادوا به مع غيابه منصبًا ساعة دفن أبيه، وكتبوا له وللنقيب صلاح بن محمد الكسادي وأولاد عمر بن عوض القعيطي وهم مجتمعون بالمكلا، وعندهم يافع من الجبل ومن حضرموت، وناس من الأعجام المسلمين، يقال لهم الرويلة من كابل، يريدون بذالك إخراج غالب بن محسن الكثيري من الشحر، فتم لهم مايريدون، وكان الحبيب سالم هذا أدى نسكه مع أبيه توفي سنة ١٢٩٥، ونادوا بابنه أحمد منصبًا مع أن سنه يومئذ إلا تسعًا، فكان كما قال مروان بن أبي حفصة:

لبانت خصال الخير فيه وأكملت ... وما بلغت خمسًا سنوه وأربعًا

وكان عمه الفاضل السيد محمد بن سقاف غائبًا بجاوا، فترك كل شيء وخف إلى حضرموت اهتمامًا بتعليمه وفي حدود سنة ١٣٠٦ اتصل بسيدي الأستاذ الأبر اتصالًا أكيدًا، ولبس منه وأخذ عنه وتمكن له وعهدي به وهو مائل بين يد الأستاذ في مصلى والدي بعلم بدر، وفي ذالك العهد كان وصول الفاضل الجليل المنصب أبي بكر بن عبدالرحمن بن أبي بكر من ذرية الحبيب عبدالله بن شيخان بن الحسين بن أبي بكر صاحب الأمر إلى حضرة الأستاذ وهو رجل شهم ذو أيدٍ وقوة، فلقد شهدت سيدي الأستاذ الأبر تحت نخلة من بستاننا ظليلة بعد الظهر إذ سقط عذق والناس ملتفون، وكاد يقع على عمامة سيدي الأستاذ، فنهض المنصب بوبكر نصف نهضة وتلقاه بيدٍ واحدة، كأنه كرة، مع أنه لا ينقص وزنه عن أربعين رطلًا وله اطلاع على أسرار الأسماء والحروف، ومعرفة بالأوفاق وله خط جميل، وكتب رسالة أظنها تتعلق برحلته واتصاله بالأستاذ، ذكر فيها أخذ الحبيب أحمد بن سالم منه وفرقان ما بين حاله قبل أخذه وبعده وأطنب في بصورة معشوقة، لم يبق بذهني منها إلّا اليسير، ولا لوم، فقد كنت يومئذ حوالي السابعة من عمري ولولا أن الرسالة كانت مزينة بالألوان والنقوش لم يبق لها أثر عندي البتة، لكن وجودها بالصفة التي تستلفت أنظار الصبيان هو

الذي حملني منها ما لاتزال بقاياه بالذاكرة على بُعْد العهد، وصغر السن، توفي الحبيب أحمد بن سالم فجأة سنة ١٣٢٤ ووقع رداؤه على ولده علي وكان شابًا نشيطًا مضيافًا كثير الإصلاح بين الجنود، وكان السيد حسين بن حامد يكرهه ويحسده لامتداد نفوذه وجاهه، وله معه مواقف لم يكن فيها جانبه، ولم يزل فعله ولم يعط المناده ولم يسلس الزمام، توفي سنة ١٣٤٩ وخلفه ولده المبارك أحمد ابن علي، وقد اعتنى بتربيته الشاب العفيف شيخ ابن أحمد بن سالم، عم أبيه وأحضره على العلماء ودبر أمور دنياه، حتى لقد مات أبوه مدينا باثني عشر ألف ريال (١٢٠٠٠) ولم يكن ضيفه ولا خرجه بأقل من خرج أبيه ومع ذالك فقد قضى جميع ديون والده ومرت الأزمة وفناؤه رحب، وضيفه كرم، وخاطره رخو، وكاهله خفيف، بفضل تدبير السيد شيخ، فجزاه الله خيرًا، وله فوق ذالك من المحاسن ولين النخيزة، وكرم الطبيعة، واستواء السر والعلانية، والخبرة بأحوال الزمان، والتمرن على سياسة أهله مالا يساهمه أحد فيه، وللسادة آل الحامد بن الشيخ أبي بكر منصب بعينات وجاه ضخم لدى الصيعر والمناهيل، وغيرهم، وفي «شمس الظهيرة» أن القائم بمنصب جده بعد أبيه هو السيد عيدروس بن سالم، ذو الغيرة الحميدة، توفي بعينات سنة ١١٧٠، وعقبه هناك ومنهم ولده المنصب الجليل سالم بن محسن توفي سنة (....) وخلفه ولده المنور البار عبدالقادر توفي سنة (....) وخلفه ولده صالح، ومنهم الفاضل العالم الواعظ السيد حسن بن إسماعيل تخرج برباط تريم على الفاضل السيد عبدالله بن عمر الشاطري ثم عاد إلى عينات، وابتنى بها رباطًا، هو مقيم به على نشر العلم، وقد انتفع به خلق كثير من أهل تلك النواحي، وفي عينات جماعة من آل باوزير منهم العلامة الشيخ عبدالرحمن بن أحمد باوزير، وجماعة من آل بافضل منهم العلامة الشيخ رضوان بن أحمد بافضل من أعيان أهل العلم والصلاح، وحسبك أن سيدي عبدالله بن حسين بلفقيه على تحريه يشهد له بذالك، توفي سنة ١٢٦٥ وأول من نقل منهم من تريم إلى عينات الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بارضوان، المتوفى سنة ١١٨٨، وفي عينات جماعة من آل يعقوب أظنهم من أعقاب قاضي تريم في عصر السقاف الشيخ بو بكر بن محمد بن أحمد بايعقوب.

(للحديث صلة)

بنو شعبة: تحقيق نسبهم في تَغلِب

[انظر «العرب» س ٨ ص ٨٩٢ و س ٩ ص ٦٩].

بنو شعبة: قبيلة عربية أصيلة ذات تاريخ عريق، تميّزت ببأسها الشديد، وتمردها الدائم، وغزواتها المستمرة التي أشار إليها غير واحد من المؤرخين.

قال ابن المجاور (ت ٦٩٠ هـ)[*] في وصفهم بما لا داعي لذكره، إلى أن وصفهم بأخذ مال الحاج لأنهم يسمّون الحاج (جفنة الله) فإذا قيل لهم في ذالك يقولون: إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منه الصادر والوارد. وإذا قلت لأحدهم: قطع الله رزقك من الحرام يقول: (لا بل قطع الله رزقك من الحلال ما ترى عندنا من الخير سوى هذه الجبال السود، لا لنا زرع ولا ضرع ولا أخذ ولا عطا وجميع ما تعملوه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح والغنائم فسلّطنا الله عليكم حتى نستقضي للحاج منكم الحق وثلث الباطل)[١].

وهذا يبين لنا مَدَى المخاطر التي كان يُسببها بنو شعبة لقوافل الحجيج وعدم قدرة الدولة على إيقاف هذه القبيلة عند حدها، والحق أن مهاجمة قوافل الحجيج وغيرها من القوافل لم يكن شأن بني شعبة وحدهم بل هو شأن أكثر قبائل العرب في الجزيرة العربية وبلاد العراق والشام والديار المصرية وغيرها في زمن الجهل والتخلف الذي كان يسود هذه البلاد إلى عهد غير بعيد، وبنو شعبة هاؤلاء رغم شهرتهم وعراقتهم إلا أن الباحثين اختلفوا في نسبهم ما بين قائل بأنهم قحطانيون من خثعم وقائل بأنهم عدنانيون والقائلون بهذا مختلفون بين قائل بأنهم من بني تَغْلب وقائل بأنهم من بني كنانة.

وبنو شعبة مدار البحث يقطنون جنوبي الحجاز وبلاد تهامة ففريق منهم تمتد دياره من جنوب مكة على نحو ٥٠ كيلًا[٢] إلى دوقة[٣] على نحو ٢٨٥ كيلًا جنوب مكة فيما يقطن الفريق الآخر وادي بَيْض وما حوله إلى وادي بَيش[٤] وقاعدتهم بلدة الدرب المعروفة بدرب بني شعبة وهذان الفريقان يُعد الفريق الشمالي منهما من بني كنانة فيما الفريق الجنوبي مستقلّ بنفسه.

وفيما يلي عرض للآراء المختلفة حول نسب بني شعبة:

١- الرأي الأول: أن بني شعبة من بني كنانة: ومن القائلين بهذا القول الأستاذ محمد ابن أحمد العقيلي الذي كتب في بحثه عن بني شعبة في «العرب» سنة ١٣٩٤هـ يقول: (من استقرائنا للتاريخ وكتب الرحلات و «معجم البلدان» يظهر لنا ما يلي:

أ- أن بني شعبة عدنانيون من قبيلة كنانة لما يأتي:

١- أن مواطن قبيلة كنانة منتشرة كما يفيدنا الهمداني من شمال منطقتنا إلى ما بعد اللِّيث.

٢- أن ما أوردناه فيما تقدّم - أي خلال بحثه - يثبت أن بني شعبة من كنانة ونرى أن ماكانوا يقومون به من أفعال دفع السلطات الحاكمة في الحجاز إلى إجلاء من كان يفسد من تلك القبيلة.

٣- أن ترحيل أو رحيل تلك القبيلة إلى جزء من موطن القبيلة الأم أيسر وأسهل من ترحيلهم إلى بلاد قبيلة أخرى.

٤- ما ذكره الفاسي والرحالة ابن جبير والرحالة ابن المجاور يؤيد ما ذكرنا كما أن صاحب «الرحلة اليمانية» يفيدنا ما نفهم منه أن أصل تلك القبيلة موجود في جهة وادي المحرم والفرع إلى سنة ١٣٢٩)(٥).

قلت: وهنا لابد أن نُبيِّنَ أن النصوص التي أوردها العقيلي أشارت إلى الحوادث التي أثارها بنو شعبة ولم تُشِرْ إلى نسبهم إلى كنانة إلا ما ذكره السيد عُلَيّ العلوي (ت نحو ٥٥٦ هـ) قال العقيلي: (جاء في «معجم البلدان» مادة إدام-: أُدام - بالضم- قال محمد بن عمر: أُدام واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة وقال عُلَي العلوي - المتوفى سنة ٥٥٦ تقريبًا - إدام بكسر أوله وقال: إدام فيه ماءة يقال لها بئر ادام على طريق اليمن لبني شعبة من كنانة)(٦)، أما ما ذكره الشريف البركاني صاحب «الرحلة اليمانية» فليس فيما أورده ما يؤكد ما ذهب إليه العقيلي الذي نقل عنه ما يلي: (جاء في كتاب «الرحلة اليمانية» ص ١٥ في المرحلة الثالثة من مكة: (وادي الخضراء به قبائل شعبة التي هي فرع من هذيل) وهذا الموضع لا يبعد كثيرًا عن الموضعين اللذين ذكرهما السيد عُلَي العلوي ثم ابن المجاور ونفهم مما أورده البركاتي أن تلك القبيلة لا تزال موجودة وذالك في سنة ١٣٢٩هـ)(٧).

قلت: والموضع الذي ذكـره العلوي هو (إدام) والموضع الـذي ذكره ابن المجاور هو (الفرع)[٨].

وبهـذا الرأي قـال الأستاذ عـاتق بن غيث البـلادي الذي كتب يقـول: (بنو شعبـة الشمال: هذه القبيلة من قبـائل كنانة القديمة وتقسم بنو شعبـة في سكناها إلى شعبة الشام وشعبة اليمن)[٩] وقال: (قبائل بني شعبة وهم ممن نسبهـم ثابت في كنانة)[١٠] وقال أيضًا: (بنو شعبة فـرع شهير من كنانة)[١١]. وقال: (الذي اعتقـده أنهم من كنانة ذالك أن بني شعبـة الكنانية لازالت حـول الليث إلى مكة وديـار كنانـة قديمًـا كانت تصل إلى درب بني شعبـة هـاؤلاء)[١٢]، وأضـاف يقـول في ذكــر درب بني شعبـة: (سكانـه بنو شعبـة وهم يدّعـون أنهم من تغلب ولعلهـم من شعبة كنـانة فهـذه كانت ديار كنانة)[١٣].

قال الأحيـوي: ومستند العقيلي والبـلادي هو نـص السيد عُلّي العلـوي (ت نحو ٥٥٦هـ). كما أنهما وجدا قسمًا من بني شعبة لازال في عداد بني كنانة حتى اليوم.

٢- الرأي الثاني: أن بني شعبة من بني أكلب من خثعم القحطانيـة: وبهذا القول قـال الأستاذ عبـدالله بن هادي الأكلبي في بحثـه: (عشائر وأسـر خثعمية نـزحت من بلادها) قـال: (بنو شعبة: ومسكن هاؤلاء في الـدرب على وادي عِتودِ، في المخلاف السليمـاني وهم من أكلب وقـد انتقلـوا من بيشـة إلى الـدرب في عهـد متقـدم قـال العلامة الشيخ عبـدالرحمن بن أحمد البهكلي المتوفى سنـة ١٢٤٨هـ: كان مسكنهم فيما قبل بلاد شهران وبيش، وقال: وهم يزعمون أنهم من تغلب).

وأضاف: (وفهمت من بعض رؤسـائهم أنهم من أكلب). انتهى ومما يـزكي القول أن بني شعبـة من أكلب ما قـاله الشيخ عبـدالله بن مضفّ العطيان شيخ شمل قبـائل أكلب إذ قال لي: أنـه سار إلى الجنوب مع القوات النجـدية في أيام معارك التـوحيد وفي أثناء مروره بالدرب انضم إليه مع من معـه من رجاله خمسة وستون من بني شعبة وقالـوا له: نحن منكم وتحدثـوا له عن روابط النسب بين أكلب وبني شعبـة وقول بني شعبـة: أنهم من تغلب لا يناقض قـولهم أنهم من أكلب فـالمعروف أن أكلب تعـرف

بتغلب أيضًا وتفتخر بتغلب وأكلب، وتغلب كلاهما من ربيعة النزارية عند ابن الكلبي الإمام في علم النسب ومن نحا نحوه[١٤]. ويبدو أن الأكلبي لا يأخذ أو يسلّم بهذا أي إنه لا يأخذ بقول القائلين: إن أكلب من تغلب حسب رواية بني شعبة أو رواية بني أكلب أنفسهم ولا بقول ابن الكلبي أنهم بنو أكلب بن ربيعة بن نزار ذالك أنه يرى أن بني أكلب هم من بني خثعم صليبة[١٥].

قلت: ومستند الأكلبي ومن رأى رأيه ما ذكره العلامة المؤرخ الشيخ عبدالرحمن ابن أحمد البهكلي المتوفى سنة ١٢٤٨هـ فقد أشار عند وفاة الداعية عرار بن شار إليهم بقوله: (وبنو شعبة اختلف الناس في نسبهم فهم يزعمون أنهم من تغلب ولم يكن لهم على هذه الدعوى شاهد، وفهمت من بعض رؤسائهم أنهم من أكلب وأكلب من خثعم وخثعم يمانية إلا أني رأيت أبا محمد عبدالله بن قتيبة ذكر أن من ولد ربيعة أكلب بن ربيعة فمنهم أُناس دخلوا في خثعم ويمكن أن يكون بنو شعبة من أكلب بن ربيعة الداخلين في أكلب بالحلف، ومسكنهم الآن الدرب المعمور بهم على وادي عِتْوِد، وهو معمور بهم وليس لهم كسب إلّا الخيل العتاق والبيض الرقاق والسمر الطوال والسوابغ الثقال) إلى أن قال: (وكان مسكنهم فيما قبل بلاد شهران وبيشة)[١٦].

قلت: ونص البهكلي يفيدنا بأمور منها:

١- اختلاف الناس في نسب بني شعبة الذين ينتسبون إلى تَغلب ويذكرون أنهم أقرباء بني أكلب.

٢- إن البهكلي لم يستبعد أن يكون بنو شعبة من أكلب ربيعة ثم دخلوا في خثعم.

٣- إن البهكلي يرى أن هناك قبيلتين تسميان أكلب دخلت أحداهما وهي أكلب ابن ربيعة بالحلف في الأخرى وهي أكلب الخثعمية.

وفي تعليقنا على هذا نقول: إن قبيلة أكلب قبيلة واحدة وليس هناك قبيلتان بهذا الاسم إحداهما نزارية والأخرى خثعمية ثم اندمجتا ببعضهما حلفًا، بل هناك قبيلة واحدة هي أكلب بن ربيعة التي دخلت في خثعم كما سيأتي بيانه.

٣- الرأي الثالث: أن بني شعبة من تغلب بن وائل: وهذا ما يدعيه بنو شعبة حسبما توارثوه كابرًا عن كابر عبر القرون.

قال البهكلي في ذكرهم: (هم يزعمون أنهم من تَغلب ولم يكن لهم على هذه الدعوة شاهد)[١٧]، وقال البلادي في ذكرهم: (بني شعبة الذين يصرّون على إنهم من تغلب)[١٨]، وقال في ذكر درب بني شعبة: (سكانه بنو شعبة وهم يدّعون أنهم من تغلب)[١٩]. وقال الأكلبي: (قول بني شعبة: أنهم من تغلب)[٢٠] وهذا شائع في أشعارهم.

قال الشاعر الأعمى الشعبي في واقعة لهم حوالي سنة ١٣٠٠هـ مع بني عبس وأهل الحقو:

كانوا بني شعبة زمام العائما	قدّام بيّاع البضايع والبقر
كبُّوا سروج الخيل ماعد به شبب	كنّا نسميهم بني الرجال
ياتغلب أنتم للقبائل مرسما	واليوم كبيتُوا الرعية بلا خبر
ماهي لكم عادة ولا شور صوب	لا غيّب الراعي يروح المال
عسى نسيتوا الكد دهرًا تقدما	زمان ابن نمشة بدولته قد حضر
يوم طرح في الجنبين بالكتب	وجوه تغلب كم صبى رجال
السروي خاين وثاره ظالما	طاوع غرامه يوم دلَّه بالخبر
شلّوا عليهم خيلهم وأخذوا الثيب	وقال: هيا مطرحي شلال
غرامة بن حديب شغله يرغما	يقول بيد الدرب يأخذ كسب
وما درى أن الدرب بيبانه قطب	دونه بني تغلب رجال أبطالِ

وقال:

ليلة سرت تغلب على دهم النجب	وشار فارس قبلهم خيال[٢١]

وبهذا الرأي قال الشيخ حمد الجاسر: (ومن فروع ربيعة بنو شعبة الذين كانوا في القرن السادس الهجري وبعده في نواحي مكة ثم انتقلوا إلى جنوبي تهامة في درب

بني شعبة ونـواحيه إلى عهـدنا الحـاضر وكـانت لهم صولـة في القرنين الثـاني عشر والثـالث عشـر الهجـريين ولهم مقـام محمـود في نشـر الـدعـوة السلفيـة في تلك الجهات)[٢٢]. وأضاف الجاسر يقول في منـاسبة أخرى: (قبيلة بني شعبة التي تعيش الآن في تهامة يكاد يتفق النسابون على أنهم من بني تغلب وكانت بلاد بني تغلب في نجد ومع ذالك انتقلت إلى تهامة)[٢٣].

* نسب بني شعبـة: في بحثنـا عن بني شعبـة نسبهم وأصلهم لابـد لنـا من تنـاول ذالك من ثلاثة جوانب وهي كما يلي:

١ - الجانب الأول: الرد على نص العلـوي بأن بني شعبة من كنانة: مـا ذكره السيد عُلَيّ العلوي - على قـدمه - بأن بني شعبـة من كنانة وهـو ما أخذ بـه ابن خلدون في إحـدى روايتيه عن نسب بني شعبـة بقولـه: (فيمـا بين مكة والمهجم ممـا يلي اليمن قبائل بني شعبة من كنانة)[٢٤] لا يعوّل عليه بأن بني شعبة من بني كنانة صلبيةً فليس فيما ذكر مـا يصل نسب بني شعبة ببني كنانة وليس فيه مـا يبين من أي كنانة هم، ولم يرد نص آخـر يؤكد ما ذكـر العلوي وذكره أنهم من بني كنانـة لا يعني أنهم منهم نسبًا صلبية فذكر قبيلة أو عشيرة أو أسرة في عداد قبيلة أخرى لا يعني اشتراكهما في أصل واحد وانحـدارهما من جـدٍّ واحد فها نحن نـرى اليوم قبيلة مـزينة تعـد من قبائل بني حرب منذ أمد بعيد، بل إننا نجدهم كمـا هو الحال في بلاد الطور في سيناء والحجاز ونجـد يؤكـدون أنهم من بني حرب ولا يكـادون يعرفـون شيئًا عن جـذورهم المغايـرة لجذور بني حـرب، فحرب قحطـانية يمانيـة النسب فيما مـزينة عدنـانية اسمـاعيلية النسب كمـا هو معلـوم، فهل يعني ذكـر مزينـة في قبـائل بني حرب أنهم من حـرب نسبًا؟ بـالطبع لا وهذا ينطبق علـى كثير من قبائل العـرب التي دخلت فروع منهـا في قبائل أكبـر منها فعدت منها مع اختـلافهم في النسب وهو ما ينطبق تمامًـا على قبيلة بني شعبة، ذات الأصـل التغلبي الذي تدعيـه القبيلة لنفسهـا حتى يومنـا هذا وكي لا يظن البعض أن بني شعبة اسم لقبيلتيـن لكلٍّ منهما أصل مختلف، فإحداهمـا تغلبية والأخرى كنانية، نقول: إن النصوص المتـوافرة للقدماء والمحدثين تتفق بأن بني شعبة

قبيلة واحدة بل إن النصوص القديمة عن ديارهم تشير لبني شعبة الداخلين في كنانة بأنهم من بني تغلب كما سيجيء وهنا لابد من الإشارة في ختام ردنا على نص العلوي إلى شبهة أوردها ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) الذي قال في ذكر المهلهل وأخوه كليب: (ومن بني الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب: كليب ومهلهل وعدي وسلمة بنو ربيعة ابن الحارث بن زهير بن جشم ولا نعلم لمهلهل ولدًا ذكرًا ولا عقب له إلا من قبل ابنته ليلى وهي أم عمرو بن كلثوم ولا نعلم لكليب ولدًا إلا الهجرس بن كليب ولا نعرف له عقبًا مذكورًا ولا لعدي ولا لسلمة)[٢٥].

قلت: وربيعة المذكور هو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب[٢٦].

قلت: ومناسبة ردّنا على شبهة ابن حزم هو أننا سنجد - كما سيجيء أن بني شعبة من ذرية المهلهل التغلبي وما ذكره ابن حزم مردود فعدم علمه بوجود ذرية لهاؤلاء لا يعني عدم وجود ذرية لهم، فعدم العلم بالشيء لا يعني بالضرورة عدم وجوده كما هو معلوم، هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن غير واحد من علماء النسب ذكر لبعض هاؤلاء ككليب ومهلهل عقبًا وذرية فابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ) يذكر لكليب ذرية قال في ذكر بطون تغلب: (ومن بطون تغلب كليب وائل الذي يقال فيه: أعزُّ من كليب وائل، وهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم وأخوه مهلهل بن ربيعة)[٢٧]. وهذا يعني أن بني كليب كانوا من بطون بني تغلب المعروفة في القرن الرابع للهجرة ومما يدل أن لكليب أولادًا آخرين غير الهجرس ما ذكره ابن عبد ربه في ذكر حرب للبسوس بين تَغلب وبكر قال: (... ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها ودعت تغلبُ النمِرَ بن قاسط فانضمت إلى بني كليب وصاروا يدًا معهم على بكر، ولَحِقَتْ بهم غُفَيْلة بن قاسط)[٢٨]. كما نجد أن للمهلهل ذرية من ابنة أخرى وهي عَبيدة بنت مهلهل، وبنو عَبيدة من قبائل مَذْحِج الكبرى المشهورة حتى يومنا هذا، قال ابن رسول الغسّاني (ت ٦٩٦ هـ) في ذكر بني عبيدة: (بنو عبيدة من مَذحج، وعَبيدة اسم امرأة وهي عبيدة بنت مهلهل التغلبي تزوجت في جَنْب فنسب

ولدها إليها، منهم أصحاب الجوف، ومنهم شهوان)[٢٩]. وقال في ذكر آل مُنِيْف: (دخلوا في نسب جنب، لأن أمهم عَبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي من تغلب بن وائل أخي عَنْز بن وائل، تزوجها روح بن مدرك من بعد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي)[٣٠] وخبر زواج عبيدة ذكره ابن حزم، إلا أنه لم يُسَمِّها، حيث قال في ذكر مذحج: (ومنهم كان معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبّه بن يزيد ابن حرب بن عُلَة الذي تزوج بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي بنجران ومهرها أدَمًا فقال في ذالك أبوها.

أنكَحِهَا فَقْدُهَا الأراقِمَ في جَنْبٍ وكانَ الحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطِبُهَا ضُرِّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ)[٣١]

وهي عَبيدة كما ذكره ابن رسول وغيره، وبهذا اتضح أن ما ذكره ابن حزم غير صحيح.

٢- الجانب الثاني: علاقة بني شعبة بأَكْلُب: يذكر بنو شعبة أن لهم صلة بنسب وقرابة ببني أكلُب إحدى أشهر قبائل خثعم قال الأستاذ عبدالله بن هادي الأكلبي: (ومما يزكي القول أن بني شعبة من أكلب ما قاله الشيخ عبدالله بن مضفٌ العطيان شيخ شمل قبائل أكلب إذ قال لي: إنه سار إلى الجنوب مع القوات النجدية في أيام معارك التوحيد وفي أثناء مروره بـ(الدرب) انضمَّ إليه مع من معه من رجاله خمسة وستون من بني شعبة وقالوا له: نحن منكم وتحدثوا له عن روابط النسب بين أكْلُب وبني شعبة)[٣٢] وقولهم هذا ليس حديث عَهْد بل هو متوارث لديهم كابر عن كابر، فالبهكلي قال في ذكرهم: (فهمت من بعض رؤسائهم أنهم من أكلب)[٣٣] فهل في هذا تناقض مع ادِّعائِهم أنهم من بني تغلب؟ وللإجابة على هذا التَّساؤل نقول: لا تَناقض البتّة بين ادِّعاء بني شعبة بأنهم من تَغلب وادّعائهم صلةَ النسب والقرابة مع بني اكْلب، بل هو ادعاء صحيح يدل على اهتمام قبائل العرب بأنسابها على مرّ القرون، فقد ذهب عدد من علماء النسب إلى أن بني أكلب هم فرع من ربيعة بن نزار أي إنهم أقرباء لبني تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمِيٍّ بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار قال ابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) في ذكره ولد ربيعة بن نزار

ابن معد بن عدنـان: أن منهم أكلب قال: (أكلب دخل في خثعم، وهم رهط أنس بن مدرك (الشاعر)[٣٤].

وقـال البكري (ت ٤٨٧ هـ): تيامنت قبـائل من ربيعـة إلى بلاد اليمن فحـالفت أهله وبقُـوا على أنسابهم منهم أكلب بن ربيعة بـن نزار نزلت نـاحية تَثْلِيثَ من اليمن وما والاها، فجاورت خثعم وحالفوهم وصـاروا يدًا واحدة معهم على من سواهم وقال رجل من خثعم ثم من شهران ينفي أكلب بن ربيعة:

مـــا أكلـب منـــا ولا نحْن منهـم ... ومـــا خثعم يـــوم الفخـــار وأكْلُبُ
قبيلـــةُ سِـــوءٍ من رَبيعـــة أصْلُهَـــا ... وليس لهـــا عمّ لـــدينـــا ولا أبُ

فاجابه الأكلبي:

إني مـن القـــوم الـــذين نَسَبْتَنـي ... إليهم كـــريـم الجـــدّ والعمّ والأبُ
فلـــو كنـتَ ذا علم بهم مـــا نَفَيْتَنِي ... إليهم تُـــرى أنّـي بـــذلك أُثْلَـبُ
فَإِلّا يكن عمَّـــايَ خَلْفًـــا ونـــاهِسًـــا ... فإنـي امـــرؤ عمَّـــايَ بكـــر وتَغلبُ
أبـــونـا الـــذي لم تـركب الخيل قبلـه ... ولم يَـدْر امْـرَؤٌ قبلـه كيف تُـركبَ[٣٥]

وقال ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) في ذكر ولد ربيعة بن نزار إن منهم: (اكلب دخل بنوه في خثعم وهمْ رهط انس بن مـدرك الخثعمي)[٣٦] وقـال: (أكلب بن ربيعة بن نـزار، دخلوا في بني خثعم فقالـوا أكلبُ بن ربيعة بن عِفْرس)[٣٧]. وقال اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢ هـ) في ذكر ربيعـة بن نـزار: (ولد لـه أولاد منهم: اسـد وضَبيعة وأكلب وتسعـة بعدها ولا ينسبون في اليمن)[٣٨] وبه قال ابن عبد ربـه وغيره من علماء النسب وبهذا تبين لنا أن ادِّعاء بني شعبة قرابتهم لأكلب يتّفـق مع ما ذكر علماء النسب حول نسب أكلب وهذا يتفق أيضًا مع مـا يذكره بنو أكلب وبنو خثعم كمـا مرَّ في شعر الخثعمي والأكلبي، ونجد أنه بمرور الـوقت انْضَوتْ قبيلة بني أكلب تحت مُسَمَّى تغلب ذالك أن قبيلة تغلب هي من أجلّ وأشهر فروع بني ربيعة بن نزار.

وهذا واقع يؤكده ما ذكره المؤرخون وما يذكره بنو أكلب حتى يومنا هذا ومن ذالك:

١- قال جَحَّاف في ذكـر حوادث سنة ١١٩٥ هـ في ذكر حاج اليمن عنـد وصوله محلّة الصلبـات قال: (فَفـاجأتهم قبائل الأكلب وهـو بنو تغلب)[٣٩]. وقال فـي ذكر حـوادث سنـة ١١٩٦هـ وقـد اقتصـر بـاسم بني تغلـب عن أكلب قـال: (في نهـار الخميس ثـالث شهـر الله المحرّم عَـدَتْ قبـائل بني تغلب وخثعم على حـاج اليمن) وأضاف يقول في ذكرهم: (إن بني تغلب قد أجابت داعية نجد)[٤٠].

٢- ذكـر الأستـاذ محمد بـن جرمـان العـواجي السعـدي الأكلبي أن: (قبيلـة أكلب لانْتِسَابها إلى ربيعة تفتخر بقبيلة تغلب ورد ذالك في أشعار شعرائهم قديمًا وحديثًا)[٤١].

٣- قال الشيخ حمد الجـاسر بعد ما ذكر نسبة أكلب لربيعـة: (لاتزال قبيلة أكلب تفتخر بنسبتهـا إلى تغلب قال علـي بن محمد الهِـزْرِي الأكلبي - من قصيدة بـاللغة العامية-:

حِنّـا بني تغلب حِمَى هُـذْبَ الاغْـراس　　عـدوّنـا نجعل فـؤاده رَعيب)[٤٢]

٤- قـال الأستـاذ عبدالله بن هـادي الأكلبي: (قـول بني شعبـة أنهم من تغلب لا ينـاقض قـولهم إنهم من أكلـب فـالمعـروف أن أكلب تعـرف بتغلب أيضًـا وتفتخـر بتغلب، وأكلب وتَغلب كـلاهمـا من ربيعـة النزاريـة عنـد ابن الكلبي الإمـام في علم النسب ومن نحا نحوه ومنذ القدم وشعراء أكلـب يذكرون تغلبًا في قصائدهم وينسبون إليه قال رجل من أكلب:

فإلّا يكنْ عَمَّـاي حَلفًـا ونَـاهِسًـا　　فإنـي امـرؤ عمّـاي بكـر وتغلب

واستمر الشعـراء من أكلب يفاخرون بتغلب حتـى هذا العهد قـال علي بن محمد الهِزْري أحد شعراء أكلب النبطيين قبل نصف قرن:

حينّـا بني تغلب حمى هُذْبَ الاغْـراس　　عـدونـا نجعل فـؤاده رعيب

وأضاف الأكلبي يقول: وقال سعيد بن ثنيان الأكلبي:

إنّا من بني تغلب وهـو من قبائل عبس　　ويـابعـد مـا بيني وبينـه قُطعْ حَيّـة

وقال آخر من شهران يمدح أكلب:

بني تغلب من ذمّهم عيّت المـــلا   وشيوخ نَجد والذي في شروقها
بني تغلب كم أغرقوا من طلابة   إلا طلايبْنا خَذَيْنَا حقوقها

وقال: (كذالك قال الكثير من شعراء أكلب والقبائل المجاورة فأطلقوا اسم تغلب على أكلب. بل بلغ بهم الأمر في بعض الأحيان أن أطلقوا اسم كليب بن تغلب على أكلب وما ذالك إلا لوجود صلة نسب بني أكلب وهاؤلاء وشهرة كليب وتغلب وهذا شاعر من بني سلول يُدْعى فروان يوجه قصيدة إلى الفارس الشاعر محسن المدافع الأكلبي فيقول:

يقول فروان بْعَيْنٍ مريضة   بمثل الرمَدْ نوم الملا ماتلايْمِه
خلّه ولّا ياراكب عيدهِيّه   أو عيدهيّ دارْبٍ في خَدَايْمه
يسرح من الحجْفَ الهلالي مغبّش   وإن ملحة السَّراح بأول جهايمه
يسرح مع ذي خشا بأول الضحى   ويلقى فريق نازلين عدايمه
يلقى فريق من كليب بن تَغلب   ما يذبحون إلا من الجلب عايمه
تَحُط للضيفان ما هي بجزية   قصيرهم منها كبار ضغايمه
ثم خص لي ولد المدافع محسن   شيخ ترى كسب الثنا من هايمه[٤٣]

وبهذا اتضح لنا أن بني أكلب ظلّوا يحافظون على أنسابهم وأنهم من ربيعة النزارية، منذ العهد الجاهلي حتى يومنا هذا وبذا فإنه إن عددْنَا بني شعبة من أكلب فإنَّ هذا لا يصطدم مع انتسابهم لتغلب ذالك أن بني أكلب بن ربيعة وبني تغلب بن وائل هما قبيلتان من ربيعة بن نزار، فكيف بنا ونحن نجد أن بني أكلب ينتسبون إلى بني تغلب أصل بني شعبة؟

٣- **الجانب الثالث**: أدلة نسب بني شعبة لتغلب: أخذ شأن بني شعبة بالبروز منذ ما قبل القرن السادس للهجرة، وقد أشار الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في بحثه عن بني شعبة أنه: (لم تشر تواريخ المنطقة إلى أصولهم الأولى، وهل هم قحطانيون أو عدنانيون، وإن كانت تتفق على صدق عروبتهم الخالصة واتصافهم بالفروسية

والشهامة والبطولات الفائقة)[٤٤] واستثنى من ذالك ما ذكره البهكلي وفي حديثه عنهم ذكر العقيلي أن العلوي ذكر وجودهم في إدّام، وفي سنة ٥٨٩هـ ذكر ابن جبير أن بني شعبة كانوا يغيرون على الحجاج في طريقهم إلى عرفات، وفي سنة ٦٢٠هـ ذكر ابن المجاور وجودهم في الفرع جنوب إدام وفي سنة ٦٩٦هـ ذكر التُّجيبي ارتحال الحجاج من منى خوفًا من بني شعبة، وذكر المقريزي وجودهم بمكة سنة ٧٥٠هـ، ونقل العقيلي عن «العقيق اليماني» في ذكر سنة ١٠٣٨هـ أنهم أهل الدرب من عِتود، وفي سنة ١١٠٣هـ كان فريق منهم يقيم في وادي بَيْش[٤٥].

قال الأحيوي: وأقدم خبر وقع بين يدي عن بني شعبة هو ما ورد في حوادث سنة ٥٥١هـ قال الجزيري (ت نحو ٩٧٧هـ) في ذكر حوادث سنة ٥٥١هـ: (وفيها جلب الوزير الماء إلى عرفات وقاطع عليه بني شعبة سكان تلك الناحية المجلوب منها بقطيعة من المال كثيرة على أن لا يقطعوا الماء عن الحجاج)[٤٦]. وهذا يفيدنا أن ظهورهم كان قبل القرن السادس للهجرة حيث امتد نفوذهم من بلاد تهامة إلى بلاد الطائف ومكة، وأنهم كانوا على قدر من القوة لتَسْتَجِيْبَ الدولة لمطالبهم، وتمنحهم الأموال الطائلة كفافًا لأخطارهم وشرورهم، ورغم ظهورهم المبكر وعراقتهم القديمة، فإن تواريخ المنطقة لم تشر لأصولهم وأنسابهم على ما ذكره العقيلي مؤرخ المخلاف السليماني، إلّا ما ذكره البهكلي الذي يتعارض نصه مع نص العلوي، ويعارضهما ما يرويه القوم عن نسبهم في بني تغلب، وأول معلومة وردتنا - فيما وقع بين يدي - تؤكد ادّعاء القوم أنهم من بني تغلب تعود للقرن السابع للهجرة، ثم تلتها معلومة أخرى في القرن الثامن فثالثة في القرن التاسع للهجرة وبيان ذالك فيما يلي:

١ - قال ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ): (دخلت جزيرة العرب فَسألتُ هل بقي في أقطارها أحد من ربيعة؟ فقالوا: لم يبق من يركب الخيل وفيه عربية وحَلٌّ وترحال غير عنزة وهم بجهات خيبر، وبني شعبة المشهورين بقطع الطرقات وهتْك

الأستار في أطراف الحجاز مما يلي اليمن والبحر، وبني عنز في جهة تَبالة وغير ذالك لا نعلمه في المشرق ولا في المغرب)[٤٧].

قلت: وابن سعيد ثقة في بابه كما أنه ناقل عن عرب الجزيرة، وهم أعلم العرب بأنسابهم وهذا نص صريح على صحة نسب القوم، وقد أضاف ابن سعيد يقول محدّدًا من أي ربيعة هم قال: (فيما بين السَّرَّيْنَ ومكة في شامة وطَفيل وهما جبلان، بنو شعبة ..... وهم من بني تغلب، ولم يبق في البادية ممن ينسب لتغلب وفيه قائمة غيرهم)[٤٨]. وبهذا فإن ابن سعيد نسب بني شعبة لبني تغلب من ربيعة وهذا من أصرح النصوص وأصَحّها في نسب بني شعبة.

٢- قال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): (بنو شعبة الذين بالطائف لهذا العهد من ولد شعبة بن مهلهل[٤٩] بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب)[٥٠].

٣- قال القلقشندي (ت ٨٢١هـ): (بنو شعبة بطن من بني تغلب من العدنانية وهم بنو شعبة بن المهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب)[٥١].

وبهذا ثبت لنا صحة ادّعاء بني شعبة بأنهم من بني تغلب قوم كليب ومهلهل من أبطال ربيعة في العهد الجاهلي.

قال الأحيوي: وقد ذهب غير واحد من المستشرقين إلى أن المهلهل - والد شعبة- قد توفي في الثلث الأول من القرن السادس للميلاد بحدود سنة ٥٣١م[٥٢] بعد أن اسنّ وضعف[٥٣] - أي أنه توفي بعد عمر طويل وكان قد تولى قيادة بني تغلب في حرب البَسوس التي استمرت زهاء ٤٠ سنة إلى أن انتهت الحرب حوالي سنة ٥٢٥م[٥٣]، ولم يلبث المهلهل بعد انتهاء الحرب طويلًا حتى مات، ومن هنا نستطيع القول أن شعبة بن المهلهل ولد في القرن الخامس للميلاد، أي قبل ما يزيد

عن قرن قبل الهجرة النبوية الشريفة، ومن هنـا فلا غرابة أن نجدهم في القرن السادس للهجرة وما قبلـه قد أصبحوا قبيلة ذات شـوكة ومنعة وكي لا يخرج علينـا من يقول ان ستة قرون لا تكفي لتكوّن قبيلـة ذات صَوْلة وجولة نقول: إنها فترة زمنيـة كافية لذالك، فقـد وجـدنـا أن ذريـة العبـاس بن عبـدالمطلب رضي الله عنـه قـد بلغـوا في قـرنين ٠٠٠ , ٣٣ أي أنه منذ ولادة العبـاس سنة ٥١ ق هـ حتى سنة ٢٠٠ هـــ أضحت ذريته تعد ذالـك العدد قال الـزركلي في تـرجمة العباس: (أحصـي ولده في سنـة ٢٠٠ هـ فبلغوا ٠٠٠ , ٣٣[٥٥]) وهـذا العـدد يزيـد عن أعـداد عـدد من القبائل ووجـدنـا أن الجعفريين والحسنيين صـاروا قبائل يحارب بعضهم بعضا في القـرن الثالث للهجرة، فأبو زيد البلخي الذي عاش بين سنتـي ٢٣٥ و ٣٢٢ يذكر في حديثه عن (وَدَّان) أن: (بها كان في أيام مقامي بـالحجاز رئيس للجعفريين أعني جعفر بن أبي طالب، ولهم بـالفرع والسـايرة ضيـاع كثيرة، وعشيـرة وبينهم وبين الحسينيين حروب ودمـاء، حتى استـولى طـائفـة من اليمن يعـرفـون ببني حـرب على ضيـاعهم، فصـاروا حـربًـا لهم فضعفوا)[٥٦]. هذا ما نقله ياقـوت عن لأبي زيد البلخي، وقد أورد ابن حوقل (ت بعد ٣٦٧ هــ) هـذا النص دون أن يسنـده أبي زيد، وفـي نصه زيـادة فيهـا في ذكـر جبل رضوى: (وفيمـا بينه وبين ديار جهينـة وسائر البحـر ديار للحسنيين يسكنونهـا ببيوت الشعر نحـو سبع مئة بيت كالأعراب ينتجعـون المراعي والمياه بزي كـزيّ الأعراب لا تميّز بينهم في خلق ولا خُلُق)[٥٧] وبذا فإنـه لا غرابة أن نجد أن بني شعبـة قد صاروا قبيلة لها شأنها في القرن السادس للهجرة وما قبله، وهم اليوم من القبائل المعروفة في جنوبي الحجاز وتهامة في المخلاف السليمانـي في المملكة العربية السعودية وبهذا نكـون قـد انهينـــا البحث في نسب بني شعبـة وأنهم من بنـي تغلب بن وائل من بني ربيعة بن نزار.

الحواشي:

(*) [«العرب» هـذا تاريخ وفـاة ابن المجاور الـدمشقي وليس مؤلف الكتـاب الآتي ذكره كمـا توَهّم بعض البـاحثين فالمؤلف رجل فارسي يدعى ابن المجار ويغاير اسمه واسم أبيه واسم واب وزمن الاثنين متقارب والفارسي عاش في أول القرن السابع. انظر «العرب» س ١٥ ص ٢٣٤ وما بعدها].

(١) «صفة بـلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمـاة تاريخ المستبصر». جمـال الدين أبو الفتح يـوسف بن يعقوب المعروف بابن المجاور. تصحيح وضبط اوسكر لوفغرين. مطبعة بريل. ليدن ١٩٥١م ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) «معجم قبـائل الحجـاز». عـاتق بن غيـث البـلادي. ط ٢/ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م دار مكـة للنشـر والتـوزيع. مكـة المكرمة. السعودية. ص ٢٤٧.

(٣) «بين مكة واليمن». عـاتق بن غيث البلادي. دار مكة للنشـر والتوزيع. مكة المكـرمة. السعوديـة ط ١/ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ص ٢٠٢.

(٤) المصدر السـابق ص ٢٣٦.

(٥) مجلة «العرب» س ٨، ص ٨٩٧، ٨٩٨.

(٦) المصدر السـابق سنة ٨، ص ٨٩٥.

(٧) المصدر السابق سنة ٨، ص ٨٩٧.

(٨) المصدر السابق سنة ٨، ص ٨٩٦ و ٨٩٧.

(٩) «بين مكة واليمن» ص٢٠٢.

(١٠) المصدر السابق ص ٢٣٥.

(١١) المصدر السابق ص ٢٣٦.

(١٢) «بين مكـة وحضـرمـوت». عــاتق بن غيث البـلادي. دار مكـة للنشـر والتـوزيع. مكــة المكـرمـة. السعـودية ط١/ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ص ١١٩.

(١٣) المصدر السابق ص ١٧٧.

(١٤) مجلة «العرب». س ٢٤، ص ٥٦٧

(١٥) المصدر السابق سنة ٢٤، ص ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٥.

(١٦) مجلة «العرب» سنة ٨، ص ٨٩٢ - ٨٩٣.

(١٧) المصدر السابق سنة ٨، ص ٨٩٢.

(١٨) «بين مكة وحضرموت» ص ١١٩.

(١٩) المصدر السابق ص ١٧٧.

(٢٠) مجلة «العرب» سنة ٢٤، ص ٥٦٧.

(٢١) مجلة «العرب» س ٩، ص ٧٤ - ٧٦.

(٢٢) مجلة «العرب» س ١٨، ص ١١٢٤.

(٢٣) مجلة «العرب» س ٢١، ص ٨٣٣.

(٢٤) «تاريخ ابن خلدون». دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١/ ١٤١٣هـ ١٩٩٢م المجلد ٦، ص ٧.

(٢٥) «جمهرة أنساب العرب». ابن حزم. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١/ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. ص ٣٠٥.

(٢٦) المصدر السـابق ص ٣٠٥ و ٣٠٦.

(٢٧) «العقد الفـريد». ابن عبـد ربه. مطبعـة لجنة التأليف والتـرجمة والنشـر. القاهـرة. مصر. الطبعـة ٢. ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، مجلد ٣ ص ٣٥٩.

(٢٨) المصدر السابق مجلد ٥، ص ٢١٦.

(٢٩) «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب». السلطان عمر بن يوسف بن رسول. تحقيق ك. و. سترستيين. مطبعة الترقي. دمشق. سورية ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م ص ٣٥.
(٣٠) المصدر السابق ص ١٢٠ - ١٢١.
(٣١) «جمهرة أنساب العرب» ص ٤١٣.
(٣٢) مجلة «العرب» سنة ٢٤ ص ٥٦٧.
(٣٣) المصدر السابق سنة ٨ ص ٨٩٢ وسنة ٢٤ ص ٥٦٧.
(٣٤) «جمهرة النسب». ابن الكلبي. تحقيق د. ناجي حسن. عالم الكتب. بيروت ١٤٠٧هـ.
(٣٥) «معجم ما استعجم». البكري. عالم الكتب. بيروت. لبنان ط ٣. ١٤٠٣هـ. ج ١، ص ٨٢ - ٨٣.
(٣٦) «جمهرة أنساب العرب» ص ٢٩٢.
(٣٧) المصدر السابق ص ٣٩١.
(٣٨) «تاريخ اليعقوبي». دار صادر. بيروت. لبنان مجلد ١ ص ٢٢٤.
(٣٩) مجلة «العرب». س ٢٦. ص ٤٤١.
(٤٠) المصدر السابق سنة ٢٦، ص ٤٤١.
(٤١) المصدر السابق سنة ٢٦، ص ٤٤٤.
(٤٢) المصدر السابق سنة ٢٦، ص ٤٤٤.
(٤٣) المصدر السابق سنة ٢٤، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.
(٤٤) المصدر السابق سنة ٨ ص ٨٩٢.
(٤٥) المصدر السابق سنة ٨ ص ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٩٠٠.
(٤٦) «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة». الجزيري. نشر حمد الجاسر. دار اليمامة. الرياض. الطبعة ١/ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ج ١، ص ٥٦٣.
(٤٧) «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب». ابن سعيد الأندلسي. تحقيق د. نصرت عبدالرحمن. مكتبة الأقصى. عمان. الأردن. ط ١/ ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٦٠٣.
(٤٨) المصدر السابق ج ٢، ص ٦٤٠.
(٤٩) «تاريخ ابن خلدون» مجلد ٢، ص ٣٤٧.
(٥٠) المصدر السابق مجلد ٢، ص ٣٤٧.
(٥١) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب». القلقشندي. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط٢/ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص ٣٠٥.
(٥٢) «شرح ديوان امرئ القيس» ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، ويليه أخبار النوابغ وآثارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، حسن السندوبي. المكتبة التجارية الكبرى. مصر. ط ٥ ص ٢٦٨، تاريخ العرب. د. فيليب حتى ود. ادورد جرجي و د. جبرائيل جبور. دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ط ٤/ ١٩٦٧م، ج ١، ص ٣٧٨، المنجد في الإعلام. دار المشرق. بيروت. لبنان ط ١٤/ ١٩٨٦م، ص ٦٩١.
(٥٣) «نشوة الطرب» ج ٢، ص ٦٤٥.
(٥٤) «تاريخ العرب» ج ١، ص ١٢٠، دراسات في تاريخ العرب - تاريخ العرب قبل الإسلام. د. السيد عبدالعزيز سالم. مؤسسة شباب الجامعة. الاسكندرية. مصر. ج ١، ص ٣٧٨.
(٥٥) «الأعلام». الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. ط ٦/ ١٩٨٤م، ج ٣، ص ٢٦٢.
(٥٦) «معجم البلدان» لياقوت. دار احياء التراث العربي. بيروت. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) رسم (ودان).
(٥٧) «صورة الأرض». ابن حوقل. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان ١٩٧٩م، ص ٤٠.

٤١- بَابُ أُرُلٍ، وأُرُكٍ، وآرَكٍ، وآوُلٍ(١)

أَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَآخِرُهُ لَامٌ-: مِنْ بِلَادِ فَزَارَةَ بَيْنَ الغُوطَةِ وَجَبَلِ صُبْحٍ عَلَى مَهَبِّ الشَّمَالِ مِنْ حَرَّةِ لَيْلَى، وَذُو أُرُلٍ: مَصْنَعٌ فِي دِيَارِ طَيِّءٍ يَحْمِلُ مَاءَ الْمَطَرِ، وَعِنْدَهُ الشُّرَيْفَاتُ والْغَرِقَاتُ وَهِي أَيْضًا مَصَانِعُ، وَزَعَمَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ أَنّ أُرُلَ أَحَدُ الْحُرُوفِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِيْهَا اللَّامُ بَعْدَ الرَّاءِ، وَلَاخَامِسَ لَهَا، وهَي أُرُلٌ، وَوَرَلٌ، وَغُرْلَةٌ وَأَرْضٌ جَرِلَةٌ فِيْهَا حِجَارَةٌ وَغِلَظٌ(٢).

وَأَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ والرَّاءِ وَآخِرهُ كَافٌ-: مَدِيْنَةُ سَلْمَى [أَحَدِ] جَبَلَيْ طَيِّءٍ(٣).

---

(١) عِنْد الْحَازِمِي: (بَابُ أَرَكَ وَأُرُكَ وَأُرُلَ وَأَوَلَ).

(٢) قَالَ الْحَازِمِي عَنْ أُرُلٍ: جَبَل فِي شِعْر النَّابِغَة، وَأَوْرَدَ قَوْلَه:

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرُلٍ ... تُزْجِي مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمَا

وَقَال أَبُو عُبَيْدة: أُرُلٌ: جَبَلٌ بِأَرْضِ غَطَفَانٍ، بَيْنَهَا وَبَيْن أَرْضِ عُذْرَةَ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْحَازِمِيُّ الْمَصْنَعَ الَّذِي فِي دِيَار طَيِّءٍ، وَنَقَل قَوْله أَئِمَة اللُّغَةِ عَنْ الرَّاء واللَّام كَمَا عِنْد نَصْر.

وَيُلاحَظُ عَلَى قَوْل أَبِي عُبَيْدة: أَنَّ بِلَاد عُذْرة بَعِيْدَةٌ عَنِ الغُوطَةِ الَّتِي هِي الأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ الْوَاقِعَةُ غَرْبَ جَبَلَيْ طَيِّءٍ، فِيْمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْن الْحَرَّةِ، وانْظُرْ عَن هَذَا الْمَوْضِع (قِسْم شَمَال الْمَمْلَكَة) مِن «الْمُعْجَم الْجُغْرَافِي لِلْبِلَاد الْعَرَبِيَّة السُّعُوْدِيَّة».

(٣) وَكَذَا ذَكَر الْحَازِمِيُّ، وَقَال يَاقُوت: أُرُكٌ - بِضَم أَوَّلِهِ وَثَانِيه وَكَافٌ-: جَبَلٌ، وَقِيْل: أُرُك اسْمُ مَدِيْنَةِ سَلْمَى أَحَدِ جَبَلَيْ طَيِّءٍ، وَقِيْل: جَبَلٌ لِغَطَفَان، وَيَوْمُ ذِي أُرُكٍ مِنْ أَيَام العَرَب، وَهُو وَادٍ مِنْ أَوْدِيَة العَلَاةِ مِنْ أَوْدِيَة الْيَمَامَة انتهى. وأَرَى الأَسْمَاء اخْتَلَطَتْ عَلَى يَاقُوت - رَحِمَه الله - وَبَلْدَةُ سَلْمَى قَرْيَةٌ صَغِيْرَة تَقَعُ فِي سَفْح جَبَلِ سَلْمَى مِنَ الشَّرْق وَتُدْعَى الآن بِاسْم (رَكِّ) وَهُو اسْمٌ قَدِيْم، كَمَا أَوْضَحْتُ ذَلِك فِي مَوْضِعه مِن (قسم شَمَال الْمَمْلَكَة) مِن «الْمُعْجَم».

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْـزَةِ والرَّاءِ وَآخِرُهُ كَـافٌ-: مَدِيْنَةٌ مَعْـرُوْفَةٌ بِـالْشَّامِ مِن فُتُوحِ خـالِدِ بنِ الْوَلِيْدِ وَقَالَه ابنُ دُرَيْدٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ. وَأَرَكُ أَيْضًا طَرِيْقٌ مِنْ قَفَا حَضَنٍ[1].

وَأَمَّـا - أَوْلٌ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُـونِ الْـوَاوِ وَآخِرُهُ لَامٌ-: وَادٍ بَيْنَ الْغَيْلِ وَأُكْمَـةَ عَلَى طَرِيْقِ الْيَمَامَةِ إِلَى مَكَّة، وَقِيْل بِضَمِّ الْهَمْزَةِ[2].

---

(١) نَقَلَهُ الْحَازِمِيُّ، وَعِنْد يَاقُـوتٍ: أَرَكُ - مَدِيْنَةٌ صَغِيْرَةٌ فِي طَرَفِ بَرِيَّةِ حَلَب، قُرْبَ تَـدْمُرَ، ذَاتُ نَخْلٍ وَزَيْتُونٍ، مِن فُتُوحِ خَالِدِ بنِ الْوَلِيد. وَأَرَكٌ أَيْضًا: طَرِيْقٌ فِي قَفَا حَضَنٍ، جَبَلٍ بَيْن نَجْدٍ والْحِجَازِ.

(٢) نَقَلَهُ الْحَازِمِي، وَأَضَاف: وَفِي شِعْرِ نُصَيْب:

وَنَحـنُ مَنَعْنَـــا يَـــوْمَ أَوْلٍ نِسَـــاءَنَـــا ... وَيَـــوْمَ أُفَـيٍّ، والأَسِنَّـــــةُ تَـــــرْعُـفُ

وَيُلَاحظ عَلَى هَذَا:

أ- أُكْمَةُ والغَيْلُ مِن بِـلَادِ الأَفْلَاجِ، أُكْمَة تُعْرَفُ الآن بـاسْمِ الْحَمَرِ (الأَحْمَر) وَلَيْسَتْ مَعَـرَّفَةً بِاسْمِ أُكْمَة وَسَيأْتِي ذِكْـرُهَا فِي بَابِها - انظُرْ «بِلَاد العَرَب» - ٢٢٤/ ٢٣٢-: والغَيْلُ لَايَزَالُ مَعْرُوفًا وَادٍ فِيْه قَرْيَةٌ بِهَذَا الاسْمِ.

ب- نُصَيْبُ- عِنْد الإِطْلَاق - شَاعر حجازِيٌّ مَوْلًى مِنْ أَهْل وَدَّان فِي تِهَامَة، مَالَهُ وَمَا لِلافْتِخَارِ بِيَوْمِ أَوْل.

جـ- لَا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُون قَائِلُ الشِّعْرِ من قَبِيْلَةِ عُذْرَة، أَوْ غَطَفَان، إِذْ هَاتَان القَبِيْلَتَان كَانَت تَحْصُلُ بَيْنَهُمَا مُنَاوَشَات، وَقَدْ يَكُون الْبَيْتُ مِنْ قَصِيْدَةِ جَمِيلِ الْفَائِيَّة.

د- قَدْ يَكُـون اسمُ أُفَيٍّ مُصَحَّفًا عَن أُخَـيٍّ - بِالْخَاء الْمُعْجَمَـة بَدَلَ الفَـاء-: وَهُو مَـوْضِعٌ فِي بِلَاد عُـذْرَة، ذَكَره يَـاقُوتُ والْبَكْرِيُّ وَغَيْرُهُما، وَجَرَى فِيْه يَوْمٌ بَيْن بَنِي عُذْرَة وَبَنِي مُرَّة مِنْ غَطَفَان.

هـ- ذَكَر يَاقُوت فِي «الْمُعْجَم»: يَوْم ذِي أُرُكٍ مِنْ أَيَّام الْعَرَب، وَهُو وَادٍ مِنْ أَوْدِية الْعَلَاة بِأَرْضِ الْيَمَامَة، والْعَلَاة هِي سِلْسِلَة جِبَال الْيَمَامَـة الجَنُوْبِيَّة الَّتِي تَنْحَدر مِنْهَا أَوْدِيَـة الأَفْلَاج، وهِيَ قَرِيْبَةٌ مِنَ الْغَيْل وَأُكْمَـة، أَفَلا يَكُون (أول) و (أرك) أَحَدُهُمَا مُصَحَّفًا عَنْ الثَّانِي.

وَبِالإِجْمَـال: فَلَم يَتَّضِحْ مِنْ جَمِيْعِ الْمَوَاضِـعِ المذْكُوْرَة فِي هَـذَا الْبَاب مِمَّـا هُوَ فِي نِطَـاقِ بَحْثنا وهُـو الْمَوَاضِع الْوَاقِعَـة فِي الْجَزِيْرَة، سِوَى رَكٌ الْقَـرْيَة الَّتِي فِي شَرْقِيِّ جَبَل سَلْمَى، وَأَوْل الجَبَل الْـوَاقِع شَرْقَ الْحَرَّة حَرَّة ضَـرْغَد، وَغَرْبَ جَبَلَيْ طَيِّءٍ، وَبَقِيَّةُ الأَسْمَاءِ اعْتَرَاهَا التَّصْحِيْفُ، فَلَم يَتَّضِح وَجْهُ صَوَابِهَا.

وَأَوْل أَيْضًا: مِنْ أَرْضِ غَطَفَان بَيْن خَيْبَرَ وَجَبَلَيْ طَيِّءٍ عَلَى يَوْمَيْنِ مِنْ ضَرْعَدَ[1].

٤٢- بَابُ أَرْثَدَ، وَإِرْبِد[2]

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَة وَبَعْـدَهَا رَاءٌ مُهْمَلَةٌ ثُم ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَفْتُوحَةٌ-: وَادٍ بَيْـن مَكَّة والْمَدِينَة، وهُوَ وَادِي الأَبْـوَاءِ، وَفِي شِعْرٍ أَرْثَادٌ جَمَعَـهُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ، وَقِيْل: أَرْثَـادُ جَبَلٌ فِي قِصَّةٍ لِمُعَاوِيَة رَوَاهَا جَابِرٌ، فِي يَوْم بَدْر قَال: فَأَيْنَ مَقِيلُكَ؟ قَالَ: بِالْهَضَابِ مِنْ أَرْثَدَ[3].

---

(١) نَقَلَه الْحَازِمِيُّ بِنَصِّه، وَأَوْلُ: جَبَلٌ لَايـزال مَعْرُوفًا، وَقَدْ يطْلَقُ الاسْمُ عَلَى وَادٍ تَنْحَدِرُ فُروعُـهُ مِن هذا الجبلِ، وهو واقِعٌ شَرْقَ قَرْيَة ضَـرْعَدِ الوَاقِعَةِ في الحَرَّة، والجَبَلُ مُنْفَصِلٌ عنِ الحَرَّة، وَقَد تَحَـدَّثْتُ عَنْه فِي (قسم شَمَالِ الْمَمْلَكَة) مِن «الْمُعْجَم» (وَيَقَع بِقُـرْب خَط الطُّول: ٤٥َ / ٤٠ْ وَخَطِّ الْعَرْض: ٤٠َ / ٢٦ْ) وَقَد كُتِبَ خَطَأً فِي إِحْـدَى الخَرَائِط (عَوْل)، وَفِي دَاخِل هَذَا الْجَبَل بِئْرَانِ عَلَيْهِما نَخْلٌ قَلِيلٌ وَبيـوت قَلِيْلَة وَمَسْجدٌ في بَرَاحٍ واسعٍ دَاخِلَ الْجَبَل، وَيَبْعُد أَوْلُ عَنْ مَدِيْنَةِ حَائِل نَحْو ١٨٠ كِيْلًا فِي الْجَنُوب الْغَرْبِي مِنْهَا كَمَا يَبْعُد عَنْ قَرْيَةِ (ضَرْغَد) بِمَسَافَة تُقَارِب ٥٠ كِيْلًا.

(٢) عِنْد الْحَازِمِي.

(٣) وَأَوْرَد الحازمِيُّ كَلَام نَصْر سِوَى مَا يَتَعَلَّق بِأَرْثَاد، وأَضَاف: قَالَ كُثَيِّر:

فَـإِن تَبْـــرُزِ الْخَيْمَـــاتُ مِنْ أَرْضِ أَرْثَـــدِ ... لَنَـــا وَجِبَـــالُ الْمَـــرْخَتَيْنِ الْـــدَّكَـــادِكِ

وَنَقَل يَاقُوت نَصَّ كَلَام الْحَازِمِيِّ مَعَ زِيَادَةِ شَوَاهِد شِعْرِيَّة، وَنَصُّ الْبَيْت فِي «ديوان كُثَيِّر»:

وأَنْ تَبْرُزِ الْخَيْمَاتُ ... إلخ.

وَأُضِيف: وَأَرْثَدُ - وَيُقَـال يَرْثَدُ مِثْلُ أَلْمَلَمَ وَيَلَمْلَمَ - وَسَيَأْتِي ذِكْـر يَرْثَد فِي (بَابُ بَـذْبَد وَيَرْثَد) والقَـوْل بِأَنَّه وَادِي الأَبْـوَاءِ نَقَلَه الْبَكْـرِيُّ عَن ابْن حَبِيْب فِي «مُعْجَم ما اسْتَعْجَم» وَأَرَى أن كَلِمَـة (وَهُو وَادِي الأَبْـوَاء) صَوَابهـا: (فِي وَادِي الأَبْوَاء) كَمَا فِي «مُعْجَم الْبُلْـدَان» إِذْ يَرْثَدُ مِنْ أَوْدِيَةِ جَبَلِ ثَافِل (جَبَلُ صُبْح الآن) وَأَوْدِيَـةُ هَذَا الْجَبَلِ يَنْحَدِرُ قِسْم مِنْهَا فِي وَادِي الأَبْـوَاءِ في أَسْفَلِه، وَوَادِي الأَبْـــواءِ فُرُوُعُهُ تَمْتَدُّ مِن جِبَال الْفُرْعِ شَرْقَ جَبَلِ ثَافِل بِمَسَـافَات بَعِيْدَة، وَفِي «رِسَالة جِبَال تِهَامة» لِعَرَّام بن الأَصْبَغ السُّلَمِي: وَفِي ثَافِلِ الأَكْبَرِ آبَارٌ فِي بَطْن وَادٍ يُقَال لَهُ يَرْثَد.

وَفِي «مُعْجَم ما اسْتَعْجَم» - ١٣٦ -: والدَّلِيْلُ أَنَّـه يَدْفَعُ فِي الأَبْواءِ قَوْلُ نُبَيْهِ بن الْحَجَّـاجِ يَرْثِي الْعَاصِيَ بن وَائِل، وَكَان دُفِنَ بِالأَبْوَاءِ، أنشدَهُ الزُّبَيْرُ:

يَـــارُبَّ زِقٍّ كَــــالْحِمَـــارِ وَجَفْنَـــةٍ ... دُفِنَتْ خِـــلَافَ الـــرَّكْبِ مَـــدْفَعَ أَرْثَـــدِ

وَبَيْت كُثَيِّر فِي الأَصْل (وَجِبَال الْمُرْتَجين) والتَّصْحِيح مِنْ «مُعْجَم الْبُلْدَان» إنْ كَان تَصْحِيحًا وَلَمْ يَكُن تَحْرِيفًا.

أَمَّا جَبَل ثَـافِلَ: فَهُو سِلْسِلَـة مِن الْجِبَال، تَمْتَدُّ مِن الْجَنُوب إِلَى الشَّمَال مِن قُرْب رِيْـع هَرْشَا جَنُـوب بَلْدَةِ رَابِغ، الْوَاقِعَـة عَلَى شَاطِيءِ الْبَحْـر بَيْن مَكَّة والْمَدِيْنَـة، إِلَى أن تُقَارِبَ وَادِيَ الصَّفْـرَاءِ فِي الشَّمَال، حَيْث مَفِيْض وَادِي الْمَلَفّ ووادِي الْخَائِع جَنُوبَ مَفِيْضِ وَادِي الصَّفْرَاء، وَيُتَاخِمُ هَذِه السِّلْسِلَةَ مِنَ الْغَرْبِ سَهْلُ الْخَبْت عَلَى =

وَأَمَّا بِكَسْر الْهَمْـزَة وَبِالزَّاي الْمُعْجَمَةِ بَعْـد بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ-: فَهِـي بِالْشَّام مِنْ أَرْض الْبَلْقَاءِ بِهَا قَبْرُ يَزِيدَ بن عَبْد المَلَك[1].

٤٣- بَابُ أَرْوَل، وَأَوْرَل[2]

أَمَّا بِالرَّاءِ قَبْلَ الْوَاوِ-: أَرْضٌ لِبَنِي مُرَّةَ مِن غَطَفَانَ[3].

وَأَمَّا بِتَقْدِيم الْوَاوِ-: ذُو أَوْرَلَ: حِصْنٌ عَادِيٌّ مِنْ حُصُونِ الْيَمَامَةِ[4].

٤٤- بَابُ أُسُرٍ، وأُسُنٍ[5]

أَمَّا - الَّذِي آخِرُهُ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ-: بَلَدٌ بِالْحَـزْنِ أَرْضِ بَنِي يَرْبُوعِ بن حَنْظَلَة، وَيُقَالُ فِيه يُسُرٌ أَيْضًا[6].

= سَاحِل البَحرِ، وَمِن الشَّرق وَادِي القَاحَةِ الَّـذِي يَفِيْض فِي وَادِي الأَبْوَاءِ، وَهَذَا يَحُفُّ بِالطَّرَفِ الجَنُوبِي مِن تِلْك السَّلْسِلَةُ حَيْث يَنْتَهِي فِي سَهل مَسْتورَة، وَطُولُ هَذِه السَّلْسِلَـة يُقَارِبُ مِئَة كِيْل فِي عَرْض بَيْن ٣٠ و ١٠ من الأَكْيَال وَهِي فِي جَانِبِهَـا الشَّمَالِيّ تَعْظُمُ وَتُكَـوِّنُ قِممًا عَـالِيَة، وَجَانِبُهَـا الجَنُوبِيُّ يَبْـرُزُ بِشَكْل سِلْسِلَة أَصْغَـرَ مِنَ الجَانِب الشَّمَالِيّ، الَّـذِي كَان يُدْعَى ثَافِـلَا الأَكْبَر، وَيُدْعَى الجَنُوبِيُّ ثَـافِلَا الأَصْغَر، ثُم عُرِفَ الجَـانِبُ الشَّمَالِيُّ الآن بِجَبَل صُبْحِ، وَهُم مِنْ بَنِي سَالِم مِنْ حَـرْب، والجَانِبُ الجَنُوبِيُّ يُعْـرَفُ الآن باسْم جَبَل بَنِي أَيُّوب، وَيـنْطِقُونهـا (بِنْيُوب) وَهُم مِن صُبح أيضًـا (تقع سِلسِلَـةُ ثَافِلَ بَيْن خَطَّي الطُّـول: ٥٥َ / ٣٨ْ و ١٠َ / ٣٩ْ وَخَطَّي العَرْضِ: ٥َ / ٢٣ْ و٤٢َ / ٢٣ْ) تَقْرِيبًا.

(١) قَالَ الْحَازِمِيُّ عَن إِزْبِد: قَرْيَةٌ فِي نَوَاحِي دِمَشْق بَيْنَهَا وَبَيْن أَذْرِعَاتِ ثَلَاثَةَ عَشَر مِيْلًا، فِيْهَا تُوفي يَزِيْدُ بنُ عَبْدِ الملكِ، إِلى آخِرِ مَاذَكَر عَنْ وَفَاة يَزِيْد.

(٢) لَمْ أَرَهُ في كِتَاب الْحَازِمِي.

(٣) لَمْ يَزِد يَاقُوْت عَلَى هَذَا عَنْ نَصْر.

(٤) كَذَا قَال يَاقوت.

(٥) لَيس فِي كِتَاب الْحَازمي.

(٦) نَقَل هَذَا يَاقُوتُ عَنْ نَصْرٍ فِي حَرْف الْهَمْزَة، وَقَال فِـي رَسْم (يُسُر) ضِدُّ الْعُسْرِ وَهُو نَقْبٌ تَحْتَ الأَرْضِ يَكُون فِيْه مَاءٌ لِبَنِي يَرْبُوع بِالدَّهْنَاء، وَأَوْرَد مِنْ قَوْل طرفة:

أَرَّقَ العَيْـنَ خَيَـــــــالٌ لَـمْ يَقِـــــــرْ   طَـــــافَ والـــــرَّكْبُ بِصَحْـــــرَاءِ يُسُـــــرْ

وَلِجَرِيْر: =

وَأَمَّا مَاآخِرُهُ نُونٌ-: وَادٍ بِالْيَمَنِ، وَقِيل مِنْ أَرْض بَنِي عَامِرِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْيَمَنِ(١).

- لَمَّـــا أَتَيْنَـــا عَلَى خَطَـــابَتَيْ يُسُـــر أَبْـدَى الْهَـــوَى مِنْ ضَمِيـــر الْقَلْبِ مَكْنُـــونَـــا

ثُمَّ ذَكَر بَيْتَيْنِ بَعْدَه وَرَدَ فِيهِمَا أَسْنِمَةُ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي «النَّقَائِض» - ١٠٨٨ - فِي خَبَر يَوْم إِرَاب أَنَّ الْهُذَيْل التَّغْلِبِيّ خَرَج غَـازِيًا يُرِيدُ بَنِي سَعْدٍ بِالرَّمْلِ، حَتَّى إِذَا صَدَر عن الصُّبَيْبَـاء وَطَلَّحَ، لَقِيَ الْمُوَجَّـهَ أَخَا بَنِي إِهَـاب بن حِمْيَرَ بنِ رِيَـاح مِنْ بَنِي يَرْبُـوعٍ فَأَخَذَهُ فَقَـال: فِيمَا أَنْتَ؟ فَقَال الْمُوَجَّهُ: أَنَـا رَاحِلٌ إِلَى أَهْلِي، قَال: وَأَيْن هُمْ؟ قَال: تَرَكْتُهُمْ بِإِرَاب، فَقَال: فَأَيْن الْمُقَـاتِلَةُ؟ قَال: غَازُون كُلُّهُمْ، فَمَال عَلَيْهِم حَتَّى وَرَدَ إِرَاب، فاحْتَمَل مَنْ قَدِر عَلَيْه مِنْهُمْ حَتَّى وَرَدَ يُسُرًا، وَعَلَى يُسر جَيْشُ بَنِي تَغْلَبَة وَجَيْش بَنِي رِيَاح، قَـدْ سَبَقُوا الْهُذَيْلَ إِلى الْماءِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْقَوْمَ رَئِيسهـم عُتَيْبَة بن الْحَارِث، أَرَادُوا مَنْعَ الْهُـذَيْل وَمَنْ مَعَه الْمَاء، وَلَكِنَّهم خَشُـوا أَنْ يَقْتُلُوا مَنْ مَعَهم مِنَ الأَبْنَاءِ وَالنِّسَـاءِ، واشْتَرَى بَنُو رِيَاح وَهُم بِيُسُـرٍ بَعْضَ سَبيِهم، وَأَطْلَقُوا الْبَاقِينَ انْتَهَى مُلَخَّصًا. وَفِي «مُعْجَم مَا اسْتَعْجَم»: يُسُرُ دَحْلٌ لِبَنِي يَرْبُوع بِـالدَّهْنَاء، وَقَال يَعْقُـوب: بِالْحَزْن، وَأَوْرَدَ قَوْل طَرَفَة، وَأَضَاف: وَفِي شِعْرِ الْحُطَيْئَة: مَاءٌ دُوْن زَبَالَة، وَأَوْرَد بَيْتًا مِن شِعْرِه، وَآخرَ مِنْ شِعْر عَدِيِّ بن زَيْد:

مَـــــرَّ عَلَـى حُـــــرِّ الْكَثِيـب إِلَـى لِيْنَـــة فَـــاغْتَـــالَ الطِّـــرَاقَ يُسُـــرْ

لِينَة: عَنْ يَمِين زَبَالَة. والطِّرَاقُ: جَمْع طَرِيْق: واغْتِيَالُه لَهَا: مِلأُهُ إِيَّاهَا بِمَائِه، وَقَال فِي شَرْح قَوْل جَرِيْر:

لَمَّـــا أَتَيْنَـــا عَلَى خَطَـــابِتَـيْ يُسُـــرٍ أَبْـدَى الْهَـــوَى مِن ضَمِيـــر الْقَلْب مَكْنُـــونَـــا

خطابتاه: أُكَيْمَتَانِ به فيهما عِضَاهٌ. انتهى. ولا استَبْعِدُ أَنَّ (يُسَـرًا) في شعر عَدِيٍّ يُرَادُ بها (يَسَارًا). وليْسَ اسمَ مَوضِع وَيُفْهَم مِمَّا تَقَدَّم أَنْ يُسُرًا خَارِجَ الدَّهْنَاء شرقها فِي حَزْنِ بَنِي يَرْبُوع.

(١) فِي «مُعْجَم الْبُلْدَان»: أُسُنٌ - بِضَمَّتَيْن-: اسْم وَادٍ بِالْيَمَن وَقِيْل: وَادٍ فِي بِلَاد بَنِي الْعَجْلَانِ، وَأَوْرَدَ بَيْتًا لابن مُقْبل، ثُمَّ نَقَل كَـلَام نَصْـر بِنَصِّه، وَأَوْرَد شِعْـرًا لابن مُقْبل، وَفِي «مُعْجَم مـا اسْتَعْجَم»: أُسُنٌ: جَبَلٌ فِي دِيَـار بَنِي جَعْـدَة فِي نَجْرَان وَهُـو مَذْكُور مَع مَا يَتَّصِل بِـهِ فِي رَسْم (الْكُورِ) ثُم نَقَل عَنِ الأَصْمَعِي: أُسُنٌ بَلَد بِـالْيَمَنَ، وَأَنْشَد لابن مُقْبل بَيْتًا مِن شِعْرِه، وَفِي رَسْم (الْكُور) أَوْرَدَ مِنْ قَوْل النَّابِغَة الْجَعْدِي:

بِمَغَـــــــامِيْـــــــــدَ فَـأَعْلَى أُسُـنٍ فَحُنَـــــــانَـــــــاتٍ فَـأَوْقٍ فَـــــالْجَبَـلْ
فَبَـــــرَعْمَيْن فَـــرَبْطَـــــاتٍ لَهَـــا وَبِـأَعْلَـى حُـــــــــرَّيَـــــــاتٍ مُنْتَقَـلْ
فِـــــذَهَـــــابُ الْكَـــور أَمْسَـى أَهْلُـــــهُ كُلُّ مَـــــــوْشِـيِّ شَـــــــوَاهُ ذِي رَمَـلْ
دَارُ قَـــــــــومِي قَبْـل أَنْ يُـــــــدْرِكَهُم عَنَـتُ الـــــــدَّهْـــــــرِ وَعَيْشٌ ذُو خَبَـلْ

وَيُفْهَم مِنْ شِعْر الْجَعْدِي هَذَا أَن أُسُنَ فِي جِهَة الْكَوْرِ، وَأَنَّه فِي بِـلَاد بَنِي عَامِرٍ، وَالْكَوْرُ جَبَلٌ لَايَزَال مَعْرُوفًا فِيمَا بَيْن رَنْيَة وَبِيشَة، وَتِلْـك الْبِلَادُ كَانَت مِن مَنَازِلِ بَنِي عَـامِرٍ، وَهُم يُجَاوِرُون بَعْض قَبَائِل الْيَمَن، وَمَن هُنَا نُسِب الْمَوْضِعُ إِلَى الْيَمَن، والْمُتَقَدِّمُون يَتَوَسَّعُونَ بِإِطْلَاقِ كَلِمَة الْيَمَن عَلَى مَوَاضِعَ جَنُوبِ الْجَزِيْرَة.

بنو رشيد وسّامة الكِفّة

جاء في مجلة «الشراع» التي تصـدر من الأردن في العدد: الثالث من السنة الأولى – مقـــــــال للأستاذ راشد بن حمدان الأحيوي تحت عنوان: أنساب قبائل عربية – وقد خصصه لـذكر أنساب قبائل: العـوازم، العزايزة، القـزايزة، العرينات في صعيـد مصر، فنسبها إلى قبيلة كلب القضاعية استئناسًا بما قدمه من نصوص أبحاث لعلماء أفاضل، أغلبها تتعلـق بقبيلة الشرارات، وقـد تضافـرت جهودهم على نسب الشـرارات إلى بني كلب من قضاعـة، وليس فيها ما يشيـر إلى ذكر أية قبيلة من القبـائل التي ذكرها مـاعدا بعض الإشارات السريعة إلا أنه – كأي باحث آخر – وجد في سمات إبلها مدخلًا إلى النسب، وقال: والشرارات هـاؤلاء كما قررنا آنفًا هم بقيـة بني كلب... ولها وسم لإبلها يميّـز إبلها عن غيـرها من القبـائل، وهذا الـوسم (الكفّـة) يضعونـه على الورك الأيسـر للإبل، وشكلـه هكذا: () أو () أو ()... وهذا الوسم توارثـه الشرارات عن أسلافهم بني كلب، وهذا سيكشف لنا حقيقة أنساب القبائل مدار البحث..

ثم استرسل في الحديث عن نسب أربع القبائل المذكـورة، فوجد أن هذه القبائل الأخـرى تسم (الكفّـة) وقال: يـدل ارتبـاط قبائل: العـزايـزة، والعـرينات، والعـوازم، والقزايزة، وتجاورهـا في منطقة (قنا) على وحدة أنسابها وأصـولها، ومما يقطع بصحة هذا اتحاد سماتها، فقد كتب ليّ الأخ الكـريم حسن العازمي [من عوازم مصر] فقال: يسم كل من: الرشـايدة، العرينات، القـزايزة، العزايزة.. وسم الكفّـة... فثبت من هذا أن العزايزة والقـزايزة ينتمون إلى ذات الأصل الذي ينتمي إليه العوازم أي كنـانة عذرة من بني كلب... وسبق في بحثه أن أثبت العرينات في نفس النسب.

ولقائل أن يقـول: ولماذا لـم تكن الرشـايدة في مصر من ذات الأصل طـالما أنهم يسمـون الكفّة، وصلـة هذه القبـائل بهم أظهر من صلتهـا بغيرهم؟! لا أدري!!، وقـد بعثت رسـالة إلى الأستـاذ: راشد الأحيـوي استفسره عمـا جاء في مقـاله الـذي أوردنا مقتطفات منـه، وإرسال لي نسخـة منه، فمـا كان منه إلَّا حسن الاستجابة، فـأكرمني أكرمه الله بصورة من هـذا البحث ضمن رسالة خطيّة سعدت بها كثيـرًا، ومما جاء فيها قولـه: فيما يتعلق بهـذا الوسم () بصـوره ورسومه وزيـاداته المختلفـة: فقد تحقق

لدينـا تمامًـا وذالك بعد نشر المقـال أنه وسم أصيل لبني صخـر، وتحديـدًا هو وسم (الطوقـة) وهـم فرع كبيـر جدًا من الأحامـدة من بني صخر... وأن لهم وجـود قوي في العُلَا والحِجْـر (مدائن صـالح) كما ذكـر المؤرخـون، ومن أحلافهم الشـرارات، ومع هاؤلاء العـوازم وغيرهم، والـذي اتضح لي أن حلفاء بني صخـر وسموا وسم الطّـوَقة، ويعرف بالطـويقي... وعليه فإن ما ورد في المقال المشار إليـه يكون دليلًا على وسم الحليف وليس دليلًا على النسب...

ومما يـلاحظ فيما سبق ذكره هو أن هـذا الوسم الذي هو (الكفـة) قبل زمن - عند الأستاذ راشد الأحيـوي - كان وسمًا توارثه الشـرارات عن أسلافهم بني كلب، ثم بعد فترة وجيزة صار وسمًا أصيلًا لفرع من بطن من بني صخر القبيلة الكريمة المعروفة.

وعلى أيـة حال فهو يبحـث عن غاية، وهـي الوصول إلـى الحقيقة وإثباتهـا عن حسن نية، فمن أجلها قدّم لنا ما اتضحت لـه رؤيته واعتقد صوابه، فهو في كل ذالك مجتهِد، فإن أصاب فهو الذي استهـدف، وأن أخطأ فالسبيل إلى تصحيحه هو تكريم المُخطئ له بما يُبيِّن له وجه الحقيقة، وليس باللوم والتقريع.

ولقـائل أن يقـول: (إذا كان وسم (الطـويقي) هـو وسم (الكفّـة) أو العكس، فهل يعقل أن تكون قبـائل: بني رشيد، الشرارات، العـوازم، العزايـزة، القزايزة، العـرينات، والتي لها جميعًا وسم واحد لإبلهـا وهو (الكفّة)، ولها مع بعضها صلة قـديمةمعروفة، قـد جعلت بعضها - عنـد بعض قدمـاء المؤلفين - بطـونًا من قبيلـة واحدة أخـذت سماتها ذات الجذر الواحد من فرع من بطن من بني صخر؟! إن قلنا بمثل هذا فلماذا لا يكون العكس هو الصحيح؟! وهو الأرجح أن صُيِّر الطويقي كِفّةً.

ولنفرض أن وسم الطويقـي عند (الطوقة) من بني صخر - مـن جهة الشكل شبيهًا بوسم الكفّـة فهل يعني هذا أن الوسـوم إذا تشابهت بـالرسم، واختلفت أسماؤهـا عند أكثـر من قبيلـة أرجعنـاهـا إلى أصل واحـد؟ ليس ذالك صحيحًـا. فخـذ مثلًا وسم العلاط عنـد العرب: فهو عبارة عن خـط يرسم رأسيًا هكذا: (ا) أو أفقيًـا كذا: (-) وللقبائل فيه أسمـاء مختلفة باختلاف مواضعه من البعيـر، فإن وضع ميسمه على رقبة البعير في العرض يُسمَّى عِلاطًا، وإن جعل طُولًا فهو علاب، أما إذا وضع ميسمه على فخذ البعيـر فله اسمان؛ هما: الخبـاط، والعراض؛ فإن جعل طولًا فهـو الخباط، وإن

كان في العرض يسمّى عراضًا، وقد يكون خطين أو خطوطًا، و لكل حالة له فيها اسم، فمثلًا البرثان: سمة لقبيلتي نهد، والحارث بن كعب هذه صفتها: (أبو علي الهجري) ١٤٣، و ١٤٤ «التعليقات النوادر» ولاشك في أن لكل منهما شاهدًا يميز إبل إحداها عن الأخرى، وهذا الوسم سمة لقبائل مختلفة الأصول، ومتباعدة، الموطن من عدنانية وقحطانية وهو اليوم ما يعرف بالمطارق، وهو شائع بين مختلف القبائل، فالعرف في تمييز إبل القبائل والبطون التي تسمه، من بعضها هو في موضعه من البعير، وفي عدد خطوطه، وشاهده، وليس في شكله، وعليه فالأصل في الوسم هو الاسم ليس الشكل، ومثل هذا يقال في كل من وسم: الكفّة، الطويقي، الحلقة، الوقاع، وكل وسم على هيئة الحلقة المغلقة، فكل حلقة مغلقة تسمّى كفّة، وليس اسم الكفة لكل حلقة مغلقة - ابن منظور، مادة: كفف، وطوق، وحلق «اللسان».

والحق أن وسم (الكفّة) هكذا أصله: () وسم أصيل لبني رشيد، وقد اشتهروا به بين القبائل قديمًا وحديثًا، وفيه شهرهم أحد القضاة من جهينة، وقد أغار أحد شيوخ بني رشيد على إبلِهِ منطلقًا من أَبْلَةَ واد يفلق حَرَّتَهم وقال:

جاها العقيد اللي من أبْلَه نحرنا | اللي يحطون المزاهب بالاكوارْ
اللي ربيع قلوبهم شوف اثرنا | وسّامة الكفّة عسى مالهم دار

وقد ارتبط هذا الوسم بعزة بني رشيد ومفاخرهم، ففي حوادث العصور الأخيرة سيّر أمير حائل أحد قواده للإغارة على قبيلة بني رشيد، وهم في (النقْرة) الموضع المعروف، وكان وسم إبل أمير حائل يُسمَّى مُطَقِّعًا، وفي هذه الوقعة غنمت بنو رشيد هذا الجيش فوضعت فوق سمته وسمها (الكفّة)، وفي ذالك تمثّل شاعرهم وقال:

كم رحُول حِسّها طَنَّبْ | لجّت الضلْعان بِرْغاها
وكم ذلول وسمها مْطَقِع | فوقه الكفّه وسمناها

وإحقاقًا للحق فإن هذا الوسم ورثه بنو رشيد جيلًا عن جيل، وهو ما تعترف لهم فيه قبائل شبه الجزيرة العربية بلا تحفظ، وعليه فإن وُجِد وسم يتفق معه في الاسم ولو اختلف قليلًا عنه بالرسم فهو فرع من هذا الأصل، بخلاف لو وُجِد وسم يشبهه بالشكل ولا يتفق معه في الاسم، فليس لهذا صلة بذالك، ومن المكايدة أن يجادل أحد بأصل وسم الكفّة لغير بني رشيد.

أمّا ما يتعلق بقبيلتي الشرارات والعوازم، وصلتهما القوية بهذا الوسم، فهذا هو الواقع والثابت، فصلتهما ببني رشيد منذ القدم أشهر من أن تذكر، ونحن فخورون بها، ويكفي - عن التوسع فيها - ذكر حادثتين جرتا خارج شبه الجزيرة العربية للدلالة على عمق جذورها:

فالأولى: لرجل من الشرارات هاجر إلى صعيد مصر، وهناك نزل على البيت الذي يعرف - يومئذ - أنه يأويه، وهو قبيلة بني رشيد في الصعيد، فمنهم تزوّج، وعاش بين ظهرانيهم، وخلّف ذرية هم اليوم يعرفون بأولاد الشراري في جنوب مصر. «العرب» س٣٢ ص ٥٤٥.

الثانية: لشيخ من العوازم يدعى عبدالله بن مصلح العازمي، هاجم معسكره عصابة من الحِبَاب في السودان، فقتلته هو وإخوته وبعضًا من أهله، فما كان من بني رشيد في السودان إلا أن هبُّوا على قلب رجل واحد، فتعقبوا العصابة ليأخذوا الثأر بمقتل أخيهم العازمي، وأهله، فلحقوا بها عند وادي (رحيب) وهناك وجدوا الحباب قد تجمعوا في نحو ألفي رجل بقيادة زعيمهم، بينما لا يتجاوز عدد بني رشيد - ساعتئذ - مئة رجل، واصطف الفريقان على جانبي الوادي استعدادًا للقتال، إلا أن تدخلت قبيلة من بني عامر، فحملت المصاحف بين الجانبين على ظهر جمل للصلح هو الذي منع حدوث معركة لا تترك بيتًا من بني رشيد إلا ونالته «دراسات في تاريخ السودان» ص: ١٩٠.

وإلى صلة الرحم والدم هذه يعزى إليها هذا التوحّد في سمات الإبل لبني رشيد، والشرارات وبعض فروع العوازم، فنعم الصلة.

وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر طرفة صادفتُها أثناء رحلة قمت بها لقبيلة بني رشيد في السودان عام ١٤٠٣هـ عن العرينات، ففي أثناء هذه الرحلة مررتُ براع يرعى إبلًا له على جانب النيل الأزرق، فأحببتُ الحديث معه، فكان لي ذالك، فمن خلال حديثنا فهمتُ أنه من العرينات، وقد ارتاب من أمري، وقال: لا أدري عما تبحث عنه، فإن كنت تسأل عن نسب العرينات فهم من عرينات قبيلة سُبيع في السعودية. فسألته عن وسم إبله، فخطّ لي على الأرض وسم الكفة، من دون أن يذكر الاسم للوسم، فقلتُ: ما اسم هذا الوسم؟ فقال: الكفّة، قلت هذا وسم لبني رشيد، قال: نعم؛ ولكننا حلفاء

معهم ونسم وسمهم، ونحن وهم على الخيـر والشر سواء، قلتُ: هل لك أن تـذكر لي دليلًا يثبت صلتكم بقبيلة سبيع، قال: يذهب بعض أبنائنا للسعودية ويذكرون لنا أن في سبيع فرعًا يعرف بالعرينـات، فنحن منهم. وهذا مبلغ علمه. وأقول: رحم الله الهمداني الذي دوّن لنـا ظاهـرة تماثل الأسماء في القبـائل سببًا في الخلط بين الأنسـاب، وأكاد أجزم أنهم من الشرارات، ورأي الأستاذ راشد الأحيوي فيهم له وجه من الحقيقة.

أمّا العزايرة والقزايزة؛ فالأولى كـانت تقيم في الساحل شمال الوجه «الدرر الفرائد المنظمة» ١٠٠٣ في نفـس المنطقة التي كان يقيم بهـا قسم كبير من بنـي رشيد قبل هجرتهم إلى السودان ومصـر، وهجرتهم أقدم من هجرة الرشايـدة، وللثانية ارتباط مع الأولى ارتباطًا وثيقًا، وللرشايدة في مصر، وكذالك في السودان بينهما صلة وثيقة جدًا.

فلمّـا هاجـر بنو رشيـد إلى السودان افتـرق منهم فروع تـوجهت إلى جنوب مصـر «دراسات في تـاريخ السودان»: ١٨١ وهنـاك انضموا إلى قبيلة العـزايزة «العرب»: - س ٣٢ ص ٥٤١ - وهـاؤلاء يسمـون الكفـة، وهـو وسم من انضم إليهم من الفـروع الرشيديـة، ومن غير المنطق أن يسموا وسم من هو - يومئـذ - أضعف قوة وأقل عددًا منهم، وفي هذا دليل على أن لهذه الفـروع صلة معروفة من قبل بالعـزايزة، ولو لـم يكن الأمر كـذالك لكان أولى لهـم أن ينضموا إلى قبيلـة جُهينة أو بَلِي بالصعيـد، وهما من القبائل التي يألفونها، ولهم معها صلة جوار قديمة.

ومما يعـزز هذا الدليل مـا ذكره (موري) بأن (براملي) و (كلنـزيقر) ذكرا فـروعًا من عبس كان لها وجود في سـاحل قويح وسفاجة من الديار المصـرية «أبناء إسـماعيل» ص ٢٨٤، ولكنهم في عهـد (موري) ١٩٣٥م قـد اختفوا كما يـذكر. فأيـن ذهبوا؟ إن صح ذالك فـلاشك فـي أنهم دخلـوا في أحـد فـروعهم، وبـه اشتهـروا من جـديـد. والسؤال: من هم العزايـزة والقزايزة هاؤلاء؟ والإجابة تكمن في استقصـاء المعلومات المكتوبـة عنهم ما أمكن، ثم الاختلاط بهم، وأخـذ عنهم ما يعرفـونه عن أنفسهـم، مع دراسـة أحوالهـم دراسـة مستفيضـة، وكذالك دراسـة لهجـاتهم التي يتميزون بهـا عن غيرهم، وهذا ما أنوي القيام به إن شاء الله مستقبلًا.

الرياض: عطا الله بن ضيف الله الرشيدي

مع القراء في اسئلتهم وتعليقاتهم:

الحُطَيْئة لَمْ يَهْجُ القُرَيَّة

تحدَّث إلى «العرب» أحد الإخوة سائلًا عن القُرَيَّة التي هَجَاهَا الحُطَيْئَة بقوله:

(إِنْ اليَمَـــامَــــة شَـــرٌّ سَـــاكِنِهَـــا)

العرب: الحُطَيْئَـة لَمْ يَهْجُ القُـرَيَّة لأنـه من أهلِهـا كمـا ورد هـذا في خبر ذكـرتـه «العرب»- س ٢٣ ص ٢٨٩ - في كلامها على «ديوان الحُطَيْئَة» وإِنَّمَا مَدَحَهَا بقوله:

إِنَّ اليَمَـــامَــــة خَيـــرُ سَـــاكِنِهَـــا ... أَهْـلُ القُـــرَيَّـــة مِـنْ بَنِي ذُهْـل

أما الذي هَجَـا القُرَيَّة فهو المُخَبَّل السَّعْدِيُّ واسمه: رَبِيْعَـةُ بن مَالِك من بَنِي سَعْد ابن زَيْد مَنَاة بن تَمِيْم، شـاعر مُخَضْرَم، أُصِيْبَ بالخَبَل بسبب حُبِّه فَتَـاة تدعى خُلَيْدَة، رَغِب الزَّوَاج بها بعد عِشْقه إِيَّاهَا، فَمُنِعَ من ذالك فَأُصِيْب بالخَبَل، وهو الذي قال في شِعْرِهِ على ما ذَكَر البَكْرِي في «معجم ما استعجم»:

إِنْ اليَمَـــامَــــة شَـــرٌّ سَـــاكِنِهَـــا ... أَهْـلُ القُـــرَيَّـــة مِـنْ بَنِي ذُهْـل

قَـــوْمٌ أَبَـــارَ الله سَـــادَتَهُـــمْ ... فَشَـــرِيْـــدُهُم كـــالقُمَّـلِ الطُّحْل

فَنَاقضه الحُطَيْئَةُ بِشِعْرِهِ في مَدْح القُرَيَّـة المَعْرُوْفَةِ الآن باسم قَرْيَة بَنِي سَدُوْس وهي الآن بلدة سَدُوْس، وذالك حين كان سكانُهَـا بنو ذُهْلِ بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَة من بني وَائِل من رَبِيْعَة.

وكان بنـو تميم يجاورون بني حنيفـة في المنازل فهـم منتشرون في منطقتي سُـدَيْر والوَشْـم، بينما بنو حَنِيْفَـة وإخوتهم من بنـي بَكْر بن وَائِل منتشـرون في أودية اليَمَـامَة وادي العِرْض (عِرْض بَنِي حَنِيْفَة) ووادي قُـرَّان المعروف الآن باسـم (شَعِيْب أَبِي قَتَادة) في أعلاه مدينـة حُرَيْمِلاء، وفي أسفله بلـدة مَلْهَم، ومعروف أن بَيْن القبيلتين حَزَازَاتٍ وعَـدَاوة سَبَّبَتِ الاحْتكاك بينهم في الحَـرْب، والتَّهَـاجِي بين شُعَرَائِهِم، لهـذا لَيْس من المُسْتَغْرَب أن يَهْجُو المُخَبَّل أهل القُرَيَّةِ.

أما الآن فَقَـدْ زَالَت ولله الحمد العَـدَاوَات بَيْنَ القَبَائِل، فـأصبحوا إخوة متحـابين، وتغَيَّر سكان القُـرَيَّة فَحَلَّ فيها سكانها الحَالِيُّـون المنتمون إلى بني تَمِيْم. وإِنَّما نُسِب

ذالك الهِجَاءُ إلى الحُطَيْئَةِ لاشتهاره بهذا الأمر، بحيث هَجَا أَبَاه وأُمَّهُ وَنفْسَهُ - فأُضِيْف إلى ذَالِك هَجْو بلدتِهِ، وكما قِيْل:

مَقَـــالَـــةُ السُّـــوْءِ إِلَـى أَهْلِهَـــا   أَسْـــرَعُ مِـنْ مُنْحَـــدِرٍ سَـــائِلِ

ومَنْ دَعَـــا النـــاسَ إلى ذَمِّـــهِ   ذَمُّـــوْهُ بِـــالْحَقِّ وَبِـــالْبَـــاطِلِ

حول «الرحلة اليابانية»

جاء فيما علقّتُ به على «الرحلة اليابانية» في كلام الرحالة الياباني بعد مجاوزته (نفود السر) ووصفه للواحة الواقعة بين نفود السرة وبلدة (مرأة)، وأنه شاهد فيها أشجار التين الكثيرة. قولي: لاشك أن الرحالة رأى أشجارًا أخرى غير التين، فهذه المسافة التي قطعها لم تكن معمورة بالزراعة لينتشر فيه التين بهذه الصفة.

فكتب إلى «العرب» الأخ بدر بن ناصر العُمَيْم من (المجمعة)، موضحًا أن ما شاهده الرحالة ليس شجر التين بل شجرة مشابهة لها وتوجد بكثرة في منطقتنا، الممتلئة بالمياه وتسمى الشجرة (دهن العجم). ولما استوضحت منه «العرب» عن صحة اسم الشجرة ومن يطلقه عليها، أجاب بواسطة (اللاقط) أن ذالك الاسم يطلقه أهل الحاضرة من نجد وبالأخص منطقتنا نقلًا - والله أعلم - عن سكان الساحل الشرقي للمملكة، والاسم الحقيقي العلمي له (الخِرْوَع).

والعرب تشكر الأخ الكريم بدر على إيضاحه هذا، وفقه الله.

آل ناصر لا آل نصار

كتب الأخ دخيل بن فهد الناصر إلى مجلة «العرب» يشير إلى أنه ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عند ذكر آل نصار وأنهم من آل مفيد. نقلًا عن كتاب «بنو تميم في بلاد الجبلين» للشاعر الكبير عبدالله بن صقيه، وقال: إنه وقع في غلط، فآل نصار صوابهم (آل ناصر) وكذا نسبتهم إلى آل مفيد، وأضاف: أن آل مفيد أبناء عمومة، ويشرفنا الانتساب إليهم، لكننا من أسرة أخرى هي أقرب الأسر إلى آل مفيد موقعًا ونسبًا، إننا من آل غنام من آل حماد، ومحلتنا في قفار من ناحية

الشرق، واسمها محلة آل حماد إلى الآن، والذي يليها من ناحية الغرب مباشرة هي محلة آل مفيد وهو اسمها إلى الآن.

وآل ناصر هم من ذرية ناصر بن راشد بن سالم بن رشود، وآل غنام من آل حماد من آل منذر بن الحارث بن جهمة بن عدي بن الجندب بن العنبر بن عمر بن تميم، وناصر من المشهورين والمعدودين، اشتهر بالكرم و المروءة، وهو سيد قومه، وقد مدحه الشعراء.

آل مهنا أهل (صياح) من آل سليمان
من عبيدة من قحطان

كتب إلى «العرب» بواسطة (اللاقط) الأخ عبدالله بن حمد بن سعد المهنا ما نصه: لقد قرأت في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» - ص ٨٢٢ - بأن آل مهنا أهل صياح هم من وائل.

والصحيح أن آل مهنا أهل صياح من آل سليمان أهل (الحريق)، منهم الشيخ محمد بن سليمان رئيس محاكم المنطقة الشرقية وإخوانه، وأبناء عمه وأقاربهم في (الحريق) ويعلمون بأن ابن مهنا صاحب صياح هو حمد بن سعد بن عبدالله بن ناصر بن عبدالرحمن بن محمد بن مُهَنًّا من آل سليمان من عَبيدة من عَايذ، من قحطان، ولكنه عرف في الرياض بـ (ابن مهنا) فقط.

«العرب»: القول بأن قبيلة (عايذ) من عبيدة قحطان ناشِيٌ بكون بني عقيل الذين منهم (عايذ) كانوا يستوطنون وادي تثليث وما بقربه، هم وإخوتهم من بني عامر من هوازن من عدنان، فانتقلت إلى هذا الوادي وما حوله من اليمن قبيلة قحطانية تعرف باسم (مذحج)، فبسطت نفوذها وسيطرتها على البلاد وأهلها، ومن ثم انتسبت فروع من السكان الأولين إلى عبيدة من قبيل الجوار والحلف.

والأمر الذي لاشك فيه أن قبيلة (عايذ) عدنانية النسب من بني عقيل بن كعب ابن عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان ثم مضر، وليسوا من قحطان، وقد أوضح نسبهم الهجري في كتابه «التعليقات والنوادر» الذي صدر حديثًا في أربعة أجزاء عن (دار اليمامة).

الأرباع (آل أبو رباع)

اطلعت على ما كتبه الأخ الفاضل خالد بن مشاري الناصري التميمي - وفقه الله - في مجلة (العرب) الغراء (س ٣١ ص ٨٣٩) تحت عنوان: (حول جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد) فذكر أن الأرباع الذين في القصيم هم آل أبو رباع، وأقول:

١ - الصواب: أن يقال: إن الأرباع هم من آل (أبو رباع)، وليسوا هم (آل أبو رباع): فبين كلا التعبيرين فرق ظاهر إذ الأسر الربَّاعية لا تنحصر في هاؤلاء الذين ذكرهم الأخ.

٢ - إن هذا يوهم القارئ بأن الشيخ حمدا لم يتكلم عن (آل أبو رباع)، بينما قد فصل القول عن آل (أبو رباع) في حرف الراء، فراجعه غير مأمور في الكتاب المذكور، ص (٢٦٧).

٣ - الذي يظهر لي - والله أعلم - أن الشيخ حمدا يقصد بكلمة (الأرباع) الربعي، بدليل أنه ذكر تلك الأسرة في ص (٢٦٩)، وقال: (الأرباع تقدم).

٤ - الذي أرى أن تحذف كلمة (الأرباع)، اكتفاءًا بما ذكر عنها في الموضع السابق، ودفعًا لتوهم وجود أسرتين في القصيم الأولى (الأرباع)، والأخرى (الربعي)، والله الموفق.

الرياض - كلية الملك فهد الأمنية

عبدالعزيز بن عبدالله بن إبراهيم الزير آل حمد الرباعي

تطبيع (خطأ مطبعي):

الهبور من الدياحين من مطير

ورد في المقال المتعلق بـ (الهبور) - س ٣٣ ص ٢٨١ - العنوان خطأ حيث ورد (الهبور من الدياحين من بني تميم) والصواب كما يتضح للقارئ من المقال نفسه أنهم من (الدياحين من مطير) فمعذرة للكاتب الكريم ولجميع الإخوة القراء.

العمراني في حريملاء من المزاريع
من بني عمرو من تميم

تعقيبًا على ما كتبه الأخ محمد العمراني، من (أنَّ العمران بحريملاء من بني ثور من سبيع) في مجلة «العرب» س ٣٢ ص ٨٤٧ ردًّا على الأخ خالد بن مشاري الناصري.

أقول: إن ما أشار إليه الأخ محمـد العمراني من أن العمراني من بني ثور من سبيع ليس صحيحًا جملة وتفصيلاً، فالعمراني في (حُريمـلاء) من المزاريع من بني عمرو من تميم، ولا نعلم خلاف ذالـك إلا ما قالـه الأخ محمد بدون إسنـاد يوضح مقـولته، والذي علمته من الوالـد حسن أمير (مراة) سابقًا - رحمه الله - قـوله: إن العمراني في حريملاء هم أبنـاء عمومة لنا، وله معهـم مواقف قديمة، وصلات حميمـة وكثيرة كان يذكـرها لنا، وكذالك مـاكنا نسمعه من العم محمـد بن ناصر العمـراني - أمد الله في حياتـه وجمع له بين الأجر والعافيـة، حيث يرقد مريضًـا في منزله - وهو والـد الأستاذ ناصـر العمراني وعبـدالرحمـن وعمران، وقد أخـذت منه الكثيـر من المعلومـات عن أسباب النـزوح إلى (حريملاء) وسنـة النزوح تقريباً، ومـاكان قد ذكـره العم عبدالله بن ناصر العمـراني - رحمه الله - والد الشيخ عبدالرحمن وناصـر والأستاذ حسن عبدالله العمراني فكيف يقال: (إن من المعروف أنهم من سُبيع، وأن ذالك مستقرًّا عند الأسرة جمعـاء) هذا يتنـافى ماهـو معروف لـدى كبـار السن في الأسرة، إذ المـرجع في تلك الحقبة ينبغي أن يكون إلى أقوال الرجال ممن عـاصروا وخالطوا رجالاتها، ولهم تاريخ فيها، ومواقف يُشهـد لها، وليس الحكم على الأمر من مقولة رجل قـد لا يعرف الكثير عن تاريخهـا، ممن قَدْ يكـون اختلط الأمر عليـه، والقول في الأنساب بـلا علم ليس سَهْلًا بل تُرَدُّ الأمور إلى أهل المعرفة بها، والله من وراء القصد.

عبدالله بن حسن بن ناصر بن عمران المزروع

* «تاريـخ مدينـة دمشـق»

قد يقال: ولماذا إعادة الحديث عن تاريخ مدينة دمشق، على جلالة قدر هذا المؤلف الذي يُعَدُّ من مصادر الثقافة الإسلامية والمراجع المهمة في كثير من تراجم أعيانها، وقد صُوِّرَ الكتاب كاملًا، ثم طبع أيضًا كاملًا، فما الداعي لإعادة الحديث عنه[1]؟!

والجواب على هذا: أن النسخة المصورة كان الأصل الذي صورت عنه ليس مُحقَّقًا ولا مُوَثَّقًا ولا قديمًا، وفيه نقص في مواضع كثيرة بحيث سقطتْ تراجم كاملة، كما أن فيه من التحريف والتصحيف ما قلَّ أن تَخْلُوَ منه صفحة واحدة.

أما المطبوعة فليست على درجة من الثقة بِمَنْ تولى نشرها أو حققها، ولا أراها بالمكانة التي تمكن الباحث من الاعتماد عليها كمصدر فيما ينسبه إلى هذا الكتاب من معلومات، ولا أريد التوسع في هذا.

أما الأجزاء التي تحدثت عنها فقد نُشِرت باشراف مجمع علميٍّ يُعَدّ من أهم مراكز الثقافة في البلاد العربية منذ أن أنشئ هو (المجمع العلمي العربي بدمشق) الذي عُرِف أخيرًا باسم (مجمع اللغة العربية).

لقد حرص هذا المجمع على لَمِّ شَتَات ما استطاع من مخطوطات هذا الكتاب الذي يعد من أوسع مصادر التاريخ الإسلامي، وهَيَّأ في مقرِّهِ مكانًا خاصًّا لمن اختارهم للقيام على تحقيقه، حتى تمكن من إصدارِ عدَدٍ من مجلداته، وهي وإن لم تكن مرتَّبَةً، حسب ترتيب المؤلف إذ هناك من الظروف ما حال دون ذالك إلَّا أنها من حيث التحقيق والتوثيق خَيْرُ مَا يَطْمَئنُّ إليه المعْنِيُّ بِهذا الكتاب.

ولقد تَتَالَى على تحقيقه أساتذة أجلة اختارهم (المجمع) كالدكتورين صلاح المنجد، وشكري فيصل، ومعه آخرون، والأستاذ مطاع الطرابيشي، والأستاذ محمد أحمد دهمان، والأستاذ عبدالغني الدقر، والأستاذ نشاط غزاوي، وأخيرًا انفردت السيدة الجليلة الأستاذة سكينة الشهابي بالعمل، فحققت من هذا الكتاب ثمانية أجزاء، وهاهي تواصل عملها الدؤوب، فيصدر بتحقيقها المجلد الخامس والأربعون يبدأ بترجمة (عبيدة بن عبدالرحمن) وينتهي بترجمة (عثمان بن عطاء).

ويلاحظ أن ترجمة (عثمان بن عفان) والمفروض أن تكون في هذا الجزء قد سبق نشرها مفردة بتحقيق الأستاذة سكينة، وصدرت عام ١٩٨٤م.

وهذا الجزء كسابقاته من حيث الحرص على إبرازه بخير صورة ممكنة، تحقيقًا ووضع فهارس شاملة، وطباعة، وقد وقع في أربع مئة صفحة شملت الفهارس منها نحو (٨٠) صفحة ولا يتسع المجال لإيضاح بعض الملاحظات حول هذا الجزء، ومنها ما سبقت ملاحظته كإفراد شيوخ ابن عساكر عن أسماء الأعلام، ولعل الأصوب إدماج الفهرسين.

أما حدوث التطبيع (أي الخطأ المطبعي) فهذا داء قد يكون متأصِّلًا في الطباعة العربية ومن ذالك - ص ٦٠-: (حليف بني تميم) والصواب: (حليف بني تَيْم) فالمترجم حليف لأبي بكر الصديق، وهو من تيم من قريش، وليس من تَميم، وما أكثر ما يقع الخلط بين الاسمين في المطبوعات العربية.

أما الجزء السادس والأربعون: فلعله لوحظ أن ترجمة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - التي سبق أن نشرها (المجمع) تحل محل هذا الجزء، وقد أشارت المحققة الكريمة إلى ذالك في مقدمة الجزء السابع والأربعين الذي حظي منها كما حظيت الأجزاء الأخرى بجهد متميز مشكور، في جودة التحقيق، وحسن الإخراج، وقد وقع هذا الجزء في (٥٤٧) صفحة كالأجزاء الأخرى من القطع الكبير، ويَضُمُّ من التراجم من عثمان بن علي إلى عطاء بن أبي رباح.

وحبَّذا لو أن المحققة الكريمة وضعت لكل ترجمة رقمًا يتسلسل مع تسلسل إيراد التراجم. وأنَّها أشارت في أول الترجمة إلى مصادرها، وهذا القول من قبيل لفت النظر، وإلَّا فللأستاذة الجليلة من طول ممارستها لهذا العمل، وعنايتها بهذا التاريخ الحافل، بحيث أبرزت منه تسعة أجزاء غير هذين الجزءين، تبتدئ من ترجمة عبدالله ابن قيس بن مخرمة وينتهي آخر هذين الجزءين بترجمة عطاء بن أبي رباح - لها من كل ذالك مالا تحتاج معه إلى لفت النظر إليه.

ولا يسع من طالع تلك الأجزاء التي حققتها الأستاذة سكينة الشهابي، إلَّا أن يُبْدِيَ إعجابه بأن تتولَّى مثل هذا العمل سيدة كريمة، بتلك الصورة المشرقة، وأن يعجب بما تتمتع به من سعة معرفة وعمق إدراك، وخاصة حين يطالع المصادر التي رجعت إليها من مطبوعة أو مخطوطة وهي من الكثرة بدرجة تعبِّر عن مدى حرص هذه المحققة ليكون عملها تامًّا وِفْقَ ما تستطيع.

والله الموفق،

الحواشي:

(١) انظر «العرب» - س ٢٩ ص ٨٤٤ - وما بعدها.

العنوان
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص. ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤١٦٩١٢٢٣
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠
للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

ج ٧، ٨ س ٣٣ - محرم وصفر، سنة ١٤١٩هـ - أيار، حزيران (مايو، يونيو) سنة ١٩٩٨م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٠)

دُمَاح: (رُمَاح)

قال ياقوت في حرف الدال من «معجم البلدان»: (دُمَاح: موضعٌ في قول جَرِيْر:

تقـــول العــاذِلاتُ: عَـــلاكَ شَيْبٌ   أهـــذَا الشَّيْبُ يمنعُني مِـــرَاحِي؟
يُكَلِّفُنِي فـــــؤادي مِـنْ هَـــــوَاه   ظَعَـــائِنَ يَجْتَـــزِعْـنَ عَلَى دُمَـــاح
ظَعَـــائِنَ لم يَـــدِنَّ مـع النَّصَـــارى   وَلَا يَـــدْرِيْـنَ مـــا سَمَـكُ الْقَـــراح)

لعل صـاحب «المعجم» - رحمه الله - نقل الشِّعـر عن ديوانٍ لجـرير غير مُـوَثَّق بالنقل والرواية فَصُحِّف اسم (رُمَاح) بكتابته بالدال (دُمَاح).

والغريب أنه أَوْرَدَ هذا الاسم مُصَحَّفًا أيضًا (رُمَاخ) كما سيأتي.

وفي آخـر كلامـه قـال: والصحيح أن رُمَاح - بـالحـاء - مـوضع لاشكَّ فيه لقـول جرير، ثم أورد بيته:

يُكَلِّفُنِي فُـــــؤَادِي مِـنْ هَــــوَاهُ   ظَعَـــائِنَ يَجْتَـــزِعْـنَ عَلَى رُمَـــاح

وقد نقل كَلَام ابن السَّكِّيْت: رُماحُ نَقًا بِالدَّهْنَاء، ويقال: نَقَا آخر بِرَمْل الوَرِكَة وهو عن يسار أُضَـاخ من شَرْقِيّها، كذا نقل، ولكنـه لما صحح الاسم لم يورد تعريفًـا. وقد أورد شواهد شعرية قَبل قوله: (والصحيح أن رماحَ بالحاء المهملة).

أما البكريُّ فقال: رُماح بضم أوله وبالحـاء المهملة، ويقال أيضًا بالخاء المعجمة على وزن فُعَال، وأبُو بَكرٍ يرى أَنَّه بالخاءِ، لأَنَّهُ لم يذْكرْه في حرف الحاء.

وقال في حرف الخاء: ويقال رُمَاخ قال عُمارةُ: رُمَاحُ بأرض بني ربيعة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم، وأورد قول جرير. ثم أضاف: قال عمارةُ: ورُمَاح في غير هذا الموضع نَقًا ببلاد رَبِيْعَة بن عبدالله بن كِلَاب، يقال: (نَقَا رُمَاح وفي أصله الرماحة) ماء لبني ربيعة أيضًا ولكثرة المَهَا بِرُمَاح قال الشَّاعِرُ يعني النِّساءَ، وهو: عَبِيْدُ بْنُ الأَبْرَص:

وَقَدْ بَاتَتْ عَلَيْهِ مَهَا رُمَاح   حَوَاسِرَ مَا تَنَامُ وَلَا تُنِيْمُ

انتهى كلام البكري.

وتحسن الإشارة إلى أن تصحيف الحاء إلى الخاء نقله البكريُّ عن أبي بكر - يعني ابنَ دُرَيْد - وابن دُرَيْد - رحمه الله - في كتابه «جمهرة اللغة» وقع له كثير من أسماء المواضع مُصَحَّفَة.

أمَّا رُمَاح: فليس من المستبعد أن يكون الاسم يُطْلَقُ على مَوْضِعَيْن، ولكن المعروف الآن: رُمَاح الواقع في شِعْر جَرِيْر، وكان من أشهرِ مناهلِ البادية المتصلة بِالدَّهْنَاء، ومع عُمْقِ آبارِهِ، فقد كان ماؤُهُ عذْبًا ويقع غرب الدَّهْنَاء فيما بينها وبَيْنَ جبال (الْعَرَمَة)، ولقربه من الدَّهْنَاء التي كانت مَرَبًّا لِلْوَحْش، فقد نُسِبَت إليه أنواع منها في شواهِدَ شِعْرِيَّة وَرَدَت في معجمات الأمكنة. ويقع ذالك المنهل في الشَّمَال الشَّرْقِي من الرِّيَاض بما يقارب مئة كِيْلٍ، وقد أصبح الآن بلدة مَعْمُوْرَة، فيها مرافق حكومية، ويضاف إليها عدد من القرى والمَنَاهِل، ويقع رُمَاح (بقرب خط الطول: ٠٩َ/ ٤٧° وخط العرض: ٣٤َ/ ٢٥°).

(رُمَاخ): (رُمَاحُ)

تحدَّثَ صاحب «معجم البلدان» عن (رماخ) مُعْجَم الخاء، ولم يورد الاسم بالحاء المهملة، مع أنه صَحَّح أنه بالحاءِ، ولعله عول على إعجام الخاءِ على ما ورد في كتاب «جمهرة اللغة» لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، وما أكثر الأسماء التي وردت في هذا الكتاب مصحَّفة.

وتقدم الكلام على أن الاسم (رماح) بالحاء المهملة، مع تحديد الموقع الوارد في

شعر جـرير، وكان فـي القديم من بلاد بني تميم - كمـا ذكر عُمـارة بن عقيل بن بلال ابن جرير الشاعر، لاتِّصَالِهِ بِالدهناء التي كانت من بلادهم.

دَمْح : (دَمْخ)

قـال الحـازمي في كتـاب «الأماكن»: (بَـابُ دَمْحٍ وَرُمْحٍ، أمـا الأول: بِفَتْحِ الـدَّال وسُكُوْن المِيْم وآخِرُهُ حَاء مُهْمَلَةٌ: جَبَل فِي دِيَار كِلَاب، قَال طَهْمَانُ:

كَفَى حَـزَنًـا أنِّي تَطَـالَلْتُ كَي أَرَى ذُرَى قُلَّتَيْ دَمْـحٍ فَمَـا تُـرَيَـان

وَيَوْم دَمْح يُذْكَر فِي أيَّام العَرَب).

وقد أورد يـاقوت في «معجم البلدان» نَصَّ كـلام الحازميِّ منسوبًا إليـه، ومُضِيْفًا: هكذا رواه الحازمـي بالحاء المهملة، وما أَرَاه إِلَّا خَطَـأً وصوابه بالخـاء المعجمة، كذا ذكره الأزهريُّ والجوهريُّ والسكريُّ وغيرهم.

ثم ذكـر في رسم (دَمْخ) آخـره خـاء معجمـة أنه جبلٍ لبنـي عمرو بن كـلاب فيـه أوشال كثيرة، وأورد قصيدة طهمان بن عمرو كـاملةً، ولكنه قال عن طهمان (الدَّارِمي) وليس دَارِميًّا بل كلابيٌّ.

وجبل دَمْخٍ، لا يـزال معروفًـا في عاليـة نجد، وليس جبـلًا واحدًا، بل هـو سلسلة جبـال عاليـة فيهـا ميـاهٌ وأوديةٌ وداراتٌ وتلك السلسلـة واقعـة بمنطقـة (الْخَاصِـرة) ومعدودة الآن من بلاد الشَّيَابِيْن من عُتَيْبَـة (وتقع سلسلة جبال دَمْخ بين خطَّي الطول: ٨َ/ ٤٤ْ و ٥٨َ/ ٤٣ْ وبين خطي العرض: ٢٥َ/ ٢٣ْ و ٤٢َ/ ٢٣ْ).

وطهمان هو ابن عمـرو الكلابي أدرك زمن الوليد بن عبـدالملك، وقد قُطعت يده، أمر بقطعها نَجْـدَةُ بن عامر الحَنَفِي حين استولى على اليمامة، ولِطَهْمَـان ديوان شعر بِشَرْحِ السكَّري مطبوع، وانظر عنه «العرب» - ١١/ ٩٦ -.

دومة: (دَوْقَة)

قال البكريُّ في «معجم ما استعجم»: دُوْمَةُ الْجَنْـدَل بِضَم الدَّالِ، وَهِي مَا بَيْنَ بِرْكِ

الغِمَادِ وَمَكَّة، قَالَ الأَحْوَصُ:

فَمَـا جَعَلَـتْ مَـا بَيْنَ مَكَّـة نَـاقَتِي ... إِلَى البِـرْكِ إِلَّا نَـوْمَـةَ المتهَجِّـد

وَكَـادَتْ قُبَيْـلَ الصُّبْح تَنْبِـذُ رَحْلَهَـا ... بِـدُوْمَـةَ من لَغْـطِ القَطَـا المُتَبَـددِ

ثم استرسل البكري - رحمه الله - واصفًا ومحددًا موقع دومة الجندل التي هي قاعدة بلاد الجوف، فخلط بين الموضعين وهنا تصحيف شنيع، فما ورد في شعر الأحوص (بدوقة) بالقاف، والموضع لا يزال معروفًا، بين البِرْك وبين مَكَّة، وقد قُلتُ في تعليقي على شعره، عند الكلام على بيته هذا في مجلة «العرب» - س ٢٦ ص ٧٦٩ وما بعدها-: (ودَوْقَة هذه في تِهَامَة، وقد مَرَّ ذكرها في قصيدة أبي دَهْبَلٍ التي وصف فيها رحلته من مكة إلى تِهامة، فقال بعد أن ذكر (عِلْيَب):

ومَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ دَوْقَـةَ بِـالْضُّحَى ... فَمَـا حَـدَرَتْ لِلْمَـاءِ عَيْنًـا وَلَا فَمَـا

ثم ذكر بعد هذا (البِرْك) وَوَادِي دَوْقَة بين عِلْيَبَ شَمَالًا والبِرْكِ جَنُوبًا، واسم دَوْقَة يطلق على واد طويل، يمتد منحدرًا من سراة الحجاز من الجنوب نحو الشمال محاذيًا لوادي حَلْي شرقَهُ، حتى يجتمع به مع وادي بَقَرة، وبعد اجتماع الأودية الثلاثة تتجه غربًا حتى تفيض في البحر (بقرب خط الطول: ١٥َ/ ٤٥° وخط العرض: ٤٥َ/ ١٨°)وامتداد وادي دَوْقَة (من ٣٠َ/ ١٨° إلى ٤٥َ/ ١٨° عرضًا، وبقرب ٥٠َ/ ٤١° طولًا) والوادي يقع شمال وادي الْحَسَبَة (الأَحْسبة) وفيه قرى منها: مسيلم ومشرف ودوقة، ومُتَّسَعُ الوادي (يقع بقرب خط العرض: ٣٥َ/ ١٩°، وخط الطول: ٥٨َ/ ٤٠°) أما قرية دَوْقَة فإنها تقع (بقرب خط العرض: ٤٥َ/ ١٩° وخط الطول: ٥٨َ/ ٤٠°) ووادي دَوْقَة مأهول بالسكان، ومشهور بزراعة الدُّخْن الجيِّد، وقاعدة الوادي تبعد عن القنفذة بنحو سبعين كيلًا شمالًا، وعن مدينة اللِّيثِ بنحو تسعين كيلًا جنوبًا.

وكان سكان دَوْقَة في أول القرن الرابع الهجري (العُبَيْدِيِّين) من بقايا جُرْهُم، عَلَى مَاذَكَر الهمداني في «صفة جزيرة العرب» - ٣٤١ - طبع دار اليمامة - وذكر ياقوت في «معجم البلدان» أنها كانت لغامد وسكانها الآن منهم ومن غيرهم.

(الحديث متصل)

حمد الجاسر

من مشكلات الترجمة والتعريب

قال أحد النقاد الإيطاليين: (المترجم خـائن) إنه قصد المترجم الذي لم يستكمل أدواتـه في الوصـول إلى هذه الصنعـة العسيـرة. ومن غير شك أن أُوّلى أدوات النشـر الجديد ينبغي أن تكون معـرفة المادة التي يضطلع بنشرها، سواء أكـانت ترجمة لمادة غريبـة أو تصنيفًا أو تحقيقًا لنص قـديم. فإن لم يملك الناشر هـذه المعرفة عـرض له وهـم كثير لا سبيل إلى رأب الصدع فيه.

ولنبدأ بالترجمة فنقول: على المترجم أن يعرف المادة ويكون له فيها اختصاص أو ما يقرب من ذالك. ثم لا بُدَّ له من معرفة تـامّة وافية باللغتين: الأولى التي ترجم منها، والثانية التي ترجم إليها.

أقول: فإن لم يتيسّر للمترجم معـرفة مادته على النحو الذي أشـرنا إليه كان الغلط وكان بعد عن الحقيقة، وكان تَزَيُّدٌ مرفوض.

وقد دعاني إلى إثبات هذا الموجـز ما قرأته في بحث في مجلة «العرب»[1] وسمه صـاحبه بـ (ملاحظـات حـول كتاب «صـور من شمالـي جزيـرة العرب» في منطقـة الجبلين (حايل). إن صـاحب هذه (المـلاحظات) هو الأستـاذ عبدالـرحمن بن زيد السُّويـداء. و الكتاب لمؤلفه جـورج أوغست فالين (عبدالمـولى)، ولا أدري أفرنسي هو أم إنجليزي، وقد اضطلع بترجمته سمير سليم شلبي ويوسف إبراهيم يزبك [2]

أقول: وملاحظات الأستـاد السويداء تتناول ماهو مُتَـرْجَم، ولا أقول: (معرّب) لأن المترجمان قصرا في ضبط الأعلام العربية وكان ينبغي لهما الوفاء بذالك كما سنرى.

وقـد اجتزأت من مـلاحظـات الأستاذ صـاحب الملاحظـات بمـا عرض لأسمـاء المواضع فأقول:

قـال الأستاذ السـويداء: (وأوّل محلـة نزلـوها [أي قبيلـة طيّء] كانت سميـرة إلى الجنوب الغربيّ من سَلْمَى).

فعلّق الأستـاذ المعقّب قـائلًا: والصـواب (سميـراء) وتقع إلى الجنـوب الشـرقي وليس الجنوب الغربيّ عن جبل سَلْمَى.

أقول: نعم، هـذا هو الصـواب الذي نعرفـه في مصادرنـا لمواضع بـلاد العرب(*)، ولكني أقول: كـان ينبغي للمترجمين، وقد نظـرا إلى ما أثبتـه المؤلف الغربي بـالحرف اللاتيني (Samira) أن يعـودا مثلًا إلى «معجم البلـدان» أو غيره ليعـرفا أن المـؤلف لم يكن له أن يضبط هذا العَلَم على النحو الصحيح واكتفى بما قرَّبَهُ إلى القارئِ الغربيّ.

ولو أن المـؤلف من المستعربين لأثبت العلم (Samira`,)، وذلك لأن للمستعربين وعامّة من ندعوهم المستشرقين لهم زيـاداتهم التي أضافوها للحرف اللاتيني ليتسنّى لهم أن يضبطـوا النصّ العربيّ على نحـو مـا يكون لـدى العرب. وأنت تجـد في أوّل «دائرة المعارف الإسلامية» بالنصّين: الإنكليزي والفرنسي قائمة بما تواضعوا عليه في معرفتهم للأصوات العربية.

أقول: والتقصير في هذا الكتاب المترجم يرجع للمترجمَين.

ومثل هذا ما ورد كما أشار الأستـاذ السويداء في الصفحة ١٢١ من الكتاب: قال: (كبني قذاعة القحطانيين) والصواب (قضاعة) ولعل الخطأ كان من المترجم.

أقول: ليس لك أخي الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويداء أن تقول: (ولعل الخطأ كان من المترجم).

إنهما مخطئـان ومقصّران فالقـذاعة لا تنسب للقحطانيين، وهم بُـراء منها، بل إن (الإقذاع) أو القذع عائد إليهما، ولا أقول:- غفر الله لهما.

أقول: إذا افترضنـا أن المؤلف قد قصر فأتى بـ(القذاعـة) فكيف ساغ للمترجمين وهما من العرب أن يكون منهما ما كان!!

ولو أن المـؤلف من أهل الاستشراق لأثبت (قضـاعة: (Quda`ᶜa)، وفي هـذا الذي دعوه Transcription.

وقد يكون لي أن أعـود إلى (تقرير) عن عشائر العراق كتبه أحـد العاملين الإنكليز، فترجمه أحد العراقيين في كتاب(٣) جاء فيه: (عشيرة الجرّاه) [كذا].

ولا نعرف نحن العراقيـين هذه العشيرة، وإذا كان الكاتب الإنكليـزي قد اخطأ في إثبات الاسم، فهل جاز للمترجم العراقي أن يقلّد صاحبه الأعجمي في غلطه؟

أقول: و(الجـرّاه) هذا صوابـه (الجرّاح). ولو أدرك المتـرجم هذا الأمـر وكان على علم اجتمـاعيّ تـاريخي بعشـائر العـراق لاهتـدى إلى أن الكـاتب الإنكليـزي أراد (الجرّاح)، ولو أنـه عرف أن الكاتب لم يعرف كيف رسـم المستشرقـون الحاء وهو (H) لكان لـه أي المترجم أن يعود إلى الصـواب. ولكن المترجم، وهـو العراقي، لم يسأل نفسه ما معنى (الجرّاه)

وأذكر ما صنعـه أحد العراقيين في ترجمة لكتاب كتبـه إنكليزي ممن كان يعمل في العراق في عهد الاحتلال عن (ثورة العشرين) جاء فيه: (وكان الشيخ زاري [كذا]...).

قلت: لو كان المترجم غير عراقي لالتمست له وجهًا للعذر، ولكنه عراقي جاهل لم يحسن إلا القليل من الإنكليـزيـة فكـان منـه أن جعل (الشيخ ضـاري)، وهـو علم مشهور ممن شاركوا في الثورةالعراقية.

وقد كان للشيخ (ضـاري) أن قتل القائد الإنكليزي (لِجْمن) فاشتهر وسجل ذالك في سجلّ مفاخره.[٤]

أقـول: كـان على المتـرجم أن يثبت العلم صحيحًـا. ثم ألم يعلم أن ليس لنـا في العربية عَلَم هو (زاري) بالزاي؟[٥]

لقد سمع القدامى الأعلام الأعجمية إبّان الحـروب الصليبية وقبلها فأعطوها صورة أخرى. وأبدلوا في أصواتها لما بَدَالهم أنـه مناسبٌ للعربية. لقد قالوا في (رودريك): (لُذَريق) وفي (الكسندر) (اسكندر) وغير ذالك كثير.

لقد كـان ذالك من دأبهم في (التعريب)، ولـم يكن عن جهل منهم كالـذي يكون في عصرنا.

وقد يحـزّ في نفسك أن تجد أحـدًا من أهل العربيـة في عصرنـا يترجم رسـالة في «تاريخ اللغـات السامية» عن الألمانيـة فتجد فيها (شنفـرة) و (سوقوطري). والنـاظر إلى الكلمتين لا يشكّ فيهمـا، ولا يختلج في ذهنـه أنهمـا من التصحيف والخطأ. وكأن المتـرجم قد غُمَّ عليـه الصواب فغـاب عنه أن مـا أثبته هـو (الشنفَرَى) الشـاعر الجاهلي صاحب (لاميّـة العرب)، وغاب عنه اسـم (سقطـرة) من بلاد جنوبيّ اليمن، وقد ذكرها البلدانيون العرب.

ثم آتي إلى شيء آخر أساء فيه المترجمون العرب فقد قرأوا (Jabrin) علمًا مبدوءًا بالحرف اللاتيني (J) فجعلوه جيمًا عربية فأثبتوا: (جَبْرين) والصواب: (يَبْرين). لقد فاتهم أن الحرف اللاتيني (J) ينطقه الألمان ياءً (ي) فأتوا بـ(جَبرين) - لا غفر الله لهم -.

ولو أنهم رجعوا إلى «معجم ياقوت» لعرفوا: أن يَبْرين رمل لا تدرك أطرافه، وجعلها السكّري: من أصقاع البحرين. ولو أنهم من أهل العربية لعرفوا الاسم في قول جرير:

لمّا تذكرتُ بالدَّيْرَيْنِ أرَّقَني | صوتُ الدجاج وضربٌ بالنواقيسِ
فقلتُ للركب إذ جدَّ الرحيل بنا | يابُعْدَ (يَبْرينَ) من باب الفراديس[٦]

أقول: إذا كان الأوائل قد عرض لهم الوهم بسبب الإعجام والإهمال فكان المصحَّف والمشتبه، فربَّما وجدنا لهم فسحة من عذر بسبب نقص الرسم، أما اليوم فلا عذر لهاؤلاء بعد أن عرفت الأصوات وتميّزَت.

ولما كنَّا بصدد الكلام على ما آلت إليه الترجمة، ومافرّط به المترجمون يحسن بي أن أمضي قليلًا في هذا السبيل فأقول: إن أحدًا من الفضلاء قد ترجم كتابًا ألمانيًّا في الأدب العربي فوقع في شرّ هذه الترجمة التي حوّلت (أنطون صالحاني) اليسوعيّ إلى (أحمد الصالحاني) وكأنه مسلم بهذه التسمية التي أعيرت إلى هذا النصراني بسبب جهل المترجم أن ناشر «ديوان الأخطل» هو (أنطون صالحاني) وليس (أحمد الصالحاني) كما أثبت المترجم.

وتفصيل هذا الخطأ الكبير أن المصنف الألماني (كارل بروكلمان) صاحب كتاب «تاريخ الأدب العربي» يرمز للاسم الأول للمؤلفين بالحرف الأول من الاسم فكان حرف(A) لمن هو أحمد ولمن هو أنطون وغيرهما، وغُمّ هذا الأمر على المترجم فجعل كلّ من بدئ بحرف (A)، هو أحمد، وكان ماكان!!

وأختم هذا الموجز بما كان من الدكتور جواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب...».

لقد جعل (الأحابيش) الـذين وردوا في تاريخ العرب (أحباشًـا) من بلاد الحبشة، ولو أنه رجع إلى كتـب العربية لوجد أنهم (أحـابيش قريش) أي بني المصطلق وبني الهون بن خـزيمة الذين اجتمعـوا عند جَبَل (حُبْشيّ) في أسفل مكـة فحالفوا قـريشًا وتحالفوا بالله أنهم يَدٌ على غيرهم ما سَجَا لَيْلٌ ووضح نهار ومارَسَا (حُبْشِيّ).

أقـول: ذهب هذا كلـه على مؤلف كتـاب «المفصل في تاريخ العـرب...» فجعل (الأحابيش) أحباشًا.

وأختم أيضًا ثانيـة فأشير إلى ما ورد في بحث نفيس عن (بلاد الشـام) كما يصفها قُطب الدين المكي(٧)، وصاحب البحث أستاذنـا العلامة الشيخ حمد الجـاسر جاء فيه ألفـاظ عرّبهـا العرب فأقـول: وردت لفظة (الجَنتـة) فكان لأستـاذي الشيخ حمد تعليقه: (الجنتة: يقصد الشنطة، والكلمتان أعجميتان محرّفتان وعربيتهما (الحقيبة).

أقول: وأود أن أضيـف: إن (الجنتة) كلمة فـارسية هـي (جنتة) بالجيـم الأعجمية، وقد عـرَّبها العرب في الألسن الـدارجة فقالوا: (شنطـة) بالشين والطاء، وقـال آخرون (جنطة) كما هي في العراق [وكذا في نجد وغيرها].

وقد أخـذها الكـرُد فقالـوا: (شَمْتة) بـالشين والميم لكشكول الـدراويش، وجعبة الصائد.

ثم تحولنـا في العربية المعـاصرة إلى (الحقيبة) فقلنـا: الحقيبة المدرسيـة وحقيبة السفر و (الحقيبة) فـي أصل العربية شيء لا نعرفـه في عصرنا، وهي كالبَـرذَعة تتّخَذ للحِلْس والقَتَب.(*)

وقد توسَّع المعاصرون فيها فكانت أداة جديدة معروفة.

وجاء في بحث العـلامة الشيخ حمـد: (الاسباهية) فعلق قـائلًا: (الإسباهيـة) وقد تنطق (آل صباهية) هم الفرسان واحدهم (إسباهي).

وأضيف فأقول: إن (إسباهي) فـارس فرسان الخليفة العثماني، وقد عـرفها العرب في بلدانهم إبّان تبعيتهم للامبراطورية العثمـانية. عرفها العرب في الشمال الإفريقي، وظهـرت في كتبهم كما في تـاريخ ابن أبي الضيّاف. ومن هنـا أخذهـا الفرنسيـون في أدبياتهم عن الشمالي الإفريقي، وذكروها في معجماتهم Spahi.

قلت: وقد عـرفها العـرب في تلك الحقبة فكان (سبـاهي) من أعلام الـرجال في العراق.

والكلمة فارسية الأصل (إسباهي) بمعني الفارس، واستعارها الترك العثمانيون.

عمَّان: الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) مجلة «العرب» ج ٩، ١٠ س ٣٢ - الربيعان ١٤١٨هـ.

(٢) منشورات أوراق لبنانية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(*) [العرب: انظـر عن سميراء - قسم شمال المملكـة من «المعجم الجغرافي للبلاد العـربية السعوديـة» ففيه بحث وافٍ عن الموضع، وتحديد دقيق لموقعه].

(٣) كان لي أن ضمنت هذا في بحث لي نشرته في مجلة «الأمة» القطرية سنة ١٩٨٤م، العدد ٤١ من السنة الرابعة.

(٤) أصل هذا الكتاب بالروسية، والمؤلف روسي.

(٥) من بحثي في مجلة «الأمّة» القطرية.

(٦) «معجم البلدان» لياقـوت (يبرين). ولا أدري من أين جئنا بـ (واحـة) في (يبرين) أهي Oasis من الإنكليزية وليس في العربية هـذا المولّد. [العرب: لقد تحدثت عـن (يَبْرِين) فأوردت أقوال المتقدمين عن هـذا الموضع الذي لا يزال معروفًا وله ذكـر كثير في تاريخ المملكة الحديث، وكان في القديم واحـة واسعة ذات نخيل ومياه - كما ذكر ذالك الهجري وغيـره - فزحفت عليها رمـال الدهناء، فطمـرتها سوى جـانب يسير يوشك أن يضمحلَّ عمـرانه - انظر عـن (يبرين): قسم المنطقـة الشرقية - البحـرين قديمًـا في الجزء الـرابع من «المعجم الجغرافـي للمملكة العربية السعودية].

(٧) مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ٢ المجلد الحادي والسبعون (ذو القعدة (١٤١٦هـ).

(*) [العرب: الحقيبة - كما استفدنا من أستاذنا السامرائي وغيره من علمـائنا كما عرفها علماء اللغة ومن معانيها وعاءٌ يجعل فيه الرجل زاده ويضعه في مؤخر القتب أي فوق حقب الـراحلة، ثم استعير بعد ذالك لما تحمل به الأشياء الخفيفة].

إســلام أهــل الطــائف

(دراسة في السياسة والدبلوماسية الإسلامية في عهد الرسول (ﷺ))

(٢)

يبدو مما تقدم أن موافقة وفد الطائف على هذه الشروط جاءت عن اضطرار لا عن قناعة تامة، لأنهم كانوا يخشون إن رفضـوا هذه الشروط أن يتعرضوا لما تعرض له أهل مكـة من قبلهم. لذا فقـد استأنفوا المفـاوضات حـول مسألة الصـلاة، ومسألة هـدم صنمهم اللات الـذي كانوا يـدعونه (الـربة) و (الطـاغية). يقول ابن اسحـاق إن وفد ثقيف سألوا رسول الله ﷺ فيمـا سألوا (أن يدع لهم الطاغية، وهي الـلات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبـى رسول الله ﷺ ذالك عليهم، فما بـرحوا يسألـونه سنـة سنة، ويأبَى عليهم، حتى سألـوه شهرًا واحدًا بعـد مقدمهم، فأبـى عليهم أن يدعها شيئًـا مسمى، وإنمـا يريـدون بذالك يظهـرون أن يسلموا بتـركهـا من سفهائهم ونسـائهم وذراريهم ويكرهـون أن يروعوا قومهم بهـدمها حتى يدخلهم الإسـلام، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبـا سفيان بن حـرب والمغيرة بن شعبـة فيهدمـاها، وقـد كانـوا سألوه مع تـرك الطاغية أن يُعفِيَهُم مـن الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيـديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيدكم فسنعفيكم منـه، وأما الصلاة، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه». فقالوا: يامحمد فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة)[١].

وهكذا فقد اضطـر وفد ثقيف إلى قبول كافة الشروط التي يتطلبهـا اعتناق الإسلام منهم، لأنه لم يكن بإمكان الـرسول ﷺ أن يتسامح فيها. ومن ثم فقد انتقلـوا لمناقشة المسائل السيـاسية والاقتصاديـة والثقافية التي تنظم أوضـاع مدينة الطـائف في إطار الدولة الإسلامية. ويبدو أن الرسول ﷺ كـان مرنًا ومتسامحًا جدًّا مع أهل الطائف في هذه المسائل وكما سنوضـح ذالك عند دراسة بنود الكتاب الذي كتبه لهم.

وقد جاء في أحد الأحاديث التي أوردها أبو داوود ما يوضـح سر موقف الرسول ﷺ المتسامح من ثقيـف في هذا المجال. يقـول جابـر: لما بايعت ثقيـف اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صـدقة عليها ولا جهـاد، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقـول بعد ذالك (سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا)[٢].

كتاب الـرسول ﷺ لثقيف: أورد أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٤ - ٢٢٤هـ) نص كتاب رسول الله ﷺ لثقيف. وقـد قدم له بذكـر سنده فقال: (حدثنـا عثمان بن صالح عن عبدالله بن لَهِيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير).[٣] ثم ذكر نص الكتاب وهو يتألف من حـوالي عشـرين فقـرة نظمت حقوق ثقيـف في بلادهـم وأمـوالهم بصـورة شاملة[٤].

وقد أورد حميد بن زنجويه (المتوفى في سنة ٢٥١هـ) نص هذا الكتاب في كتاب «الأمـوال» بنفس السند السـابق نقلًا عن أبي عبيـد القـاسم بن سلام، ثم قـدم بعض الشروحـات لهذا الكتـاب[٥]. وقد وردت بعـض الإشارات إلى هذا الكتـاب وبعض مضامينه في مصادر أخرى، منها ما ذكـره ابن اسحاق أن وفد ثقيف قدموا إلى المدينة (يريـدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهـم رسول الله ﷺ شروطًا، ويكتتبـوا من رسول الله ﷺ كتـابًا في قـومهم وبلادهم وأمـوالهم[٦] (فلمـا أسلموا وكتب لهم رسـول الله ﷺ كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص)[٧].

ويبدو أن هـذا الكتاب الـذي أشار إليـه ابن إسحاق هـو الكتاب الـذي أورده أبو عبيد، ولـم يقدم ابن هشـام لنا نصه في مختصره لسيرة ابن اسحـاق وإنما أورد لنا نص الكتـاب الثاني الـذي كتبـه الرسـول ﷺ إلى (المسلمين)[٨] و (المؤمنين)[٩] بشأن حماية وادي وَجّ بأرض الطائف، أوضح فيه أن من يتعـدى على حرمة هذا الوادي من المسلمين فإنـه يعاقب بأن تنـزع ثيابـه ويجلد. ويبـدو أن هذا الكتـاب قد كُتب بعـد الكتاب الأول لأنه جاء لضمان تنفيذه من خلال ماجـاء فيه من عقوبات. لذا فقد ذكر الواقـدي أن الرسـول ﷺ استعمل على حمى وجٍّ سعدَ بن أبـي وقاص[١٠]. وقد ذكـر نص هـذا الكتاب أيضًـا أبو عبيـد القاسـم بن سلام وابن زنجـويه بعـد أن أوردا نص الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ لثقيف والذي سنتحدث عن تفاصيله بعد قليل.

ومن أجل إبراز الفـرق بين الكتابين نورد نص الكتـاب الذي كتبه الـرسول ﷺ إلى المؤمنين بشأن حمـاية وادي وج «بسم الله الـرحمن الرحيم، من محمـد النبي، رسول الله، إلى المؤمنين: إن عِضَاهَ وَجٍّ - أي الشجر الذي في وادي وج - وصيده، لا يُعْضَد

- أي لا يقطع - من وُجِـدَ يفعل شيئًا من ذالك، فإنـه يجلـد وتنزع ثيـابه، فإن تعـدَّى ذالك فإنـه يؤخـذ فيبلغ بـه إلى النبي محمد، وإن هـذا أمـر النبي محمد رسـول الله. وكتب خالـد بن سعيد بأمـر الرسـول محمد بن عبدالله، فـلا يتعداه أحـد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ»[11].

وقد أضاف ابن سلام في الرواية التي أوردهـا عن هذاالكتاب أنه شهد على نسخة هذه الصحيفة علي بن أبي طالب وحسن بن علي وحسين بن علي[12].

يتضح مما تقدم أن هذا الكتاب (الثاني) هو توجيه من الرسول ﷺ للمسلمين من أجل ضمان احترام مـا جاء في الكتاب (الأول) الذي كتبـه لثقيف بشأن حماية وادي وج، ومنع الناس من قطع الشجـر الذي ينمو فيه، أو صيـد ما يوجد فيه مـن حيوانات بريَّة. أما الكتـاب الأول الذي كتبه الرسول ﷺ لثقيف والذي تضمـن أحكامًا تفصيلية حول حقـوق أهل الطائف وأرضهم وأموالهم فسنتولى عـرضه وشرح مسائلـه الأساس وذالك عن طريق إيراد النص كما ورد عند ابن سلام ثم نقوم بشرح الجوانب الغامضة منه وبحسب سياق النص التالي:

١ - هذا كتـاب رسول الله ﷺ لثقيف[13]. لقد وصف الـرسول ﷺ مـا ورد في هذه الصحيفـة بأنه كتـاب أي إعـلان من جانبـه لتنظيم حقـوق وواجبات ثقيف في إطـار الأمة. وهـو بهذا المفهـوم يختلف عن المعاهـدة التي تأتي نتيجـة تعاقد بين طـرفين مستقلين. لـذا فإن مـا ذهب إليـه أحـد البـاحثين في وصف هـذا الكتـاب بـأنـه (معاهدة)[14] غير دقيق، وبخاصة أن ثقيف بعد إسـلامها قد أصبحت جزءًا من الأمة وليست كيانًا منفصلًا عنها كي توقع معاهدات معها.

٢ - «أن لهم ذمة الله الذي له إله إلا هو، وذمة محمد بن عبدالله النبي على ما كتب (عليهم)[15] في هـذه الصحيفـة»[16]. إن كلمـة (ذمـة) في اللغـة هي (العهـد والكفالة)[17]، وبذالك يكـون معنى هذا النص أن لثقيف عهد الله وعهد رسـوله على ضمان تنفيذ ما ورد في هذه الصحيفة.

٣- «إن واديهم حرام محرم لله كله: عضاهه، وصيده، وظلم فيه، وسَرْقٌ فيه، أو إساءة»[١٨]. أن هذا النص يقرر أن وادي وج في الطائف حرم لله كله، شأنه في هذا شأن حرم مكة وحرم المدينة، فلا يجوز لأحد أن يقطع أشجاره البرية، وكانت تنبت فيه أشجار ذات أشواك، تدعى عِضاهًا، ولا يصطاد من الحيوانات التي توجد فيه، ولا يتعرض لشيء من الأموال فيه بالسرقة أو الإساءة». وبذالك أعطى ﷺ لثقيف مركزًا مرموقًا من الناحية الدينية ورفعها إلى مستوى المدينة المقدسة[١٩].

والحقيقة أن الطائف كانت تحاول أن ترتفع إلى هذا المستوى في فترة ما قبل الإسلام، و كانت تسعى لمنافسة مكة في هذا المجال بالنظر إلى وجود اللات فيها. يقول ابن حبيب (وكان اللات بالطائف لثقيف على صخرة. وكانوا يسترون ذالك البيت ويضاهون به الكعبة. وكان لها حجبة وكسوة. وكانوا يحرمون واديه...)[٢٠].

٤- «وثقيف أحق الناس بوج، ولا يُعبرّ طائفهم[٢١]، ولا يَدْخُله عليه أحدٌ من المسلمين يغلبهم عليه. وماشاءوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه بواديهم[٢٢].

لقد ضمن هذا النص لأهل الطائف السيطرة على مدينتهم واستغلال ثرواتها بأنفسهم، وعدم السماح لغيرهم بالتغلغل فيها واستغلالها من خلال التجارة وتملك الأراضي وغير ذالك من الوسائل إلا بإذن أهلها. ويبدو أن هذا النص جاء من أجل تبديد مخاوف أهل الطائف من احتمال سيطرة قريش على مدينتهم، وذالك لأنه - كما يذكر البلاذري - (كان لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها، فلما فتحت مكة وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها حتى إذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكيين، وصارت أرض الطائف مخلافًا من مخاليف مكة)[٢٣].

٥- «لا يحشَّرون ولا يعشَّرون، ولا يستكرهون بمال ولا نفس، وهم أمةٌ من المسلمين يتولجون من المسلمين حيث ما شاءوا، وأين تولجوا ولجوا»[٢٤]. لقد عد هذا النص ثقيف أمةً من المسلمين لهم حق التنقل في ديار الإسلام بحرية تامة. ومع ذالك فقد منح هذا النص قبيلة ثقيف امتيازًا في مجال دفع الضرائب وجبايتها تألفًا لقلوبهم لحداثة عهدهم في الإسلام فقرر أنهم «لا يحشرون» أي تؤخذ منهم

صدقات المواشي بأفنيتهم، يأتيهم المصدق هناك، ولا يأمرهم أن يجلبوها إليه)[٢٥].

«ولا يعشَّرون» أي لا يؤخذ منهم عشر أموالهم، إنما عليهم الصدقة، من كل مئتين خمسة دراهم[٢٦]. «ولا يستكرهون بمال ولا نفس» أي أنهم لا يجبرون على دفع الصدقات أو الجهاد. لذا فقد روى أبو داوود عن وهب بن منبه قال: (سألت جابرًا رضي الله عنه عن شأن ثقيف إذ بايعت، فال: اشترطت أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»[٢٧].

٦- «وما كان لهم من أسير فهو لهم، هم أحق الناس به حتى يفعلوا به ماشاءوا»[٢٨]. لقد ضمن هذا النص لقبيلة ثقيف حق التصرف بالأسرى الذين وقعوا في أيديها قبل إسلامها، وقد فسر أبو عبيد القاسم بن سلام هذا النص بقوله: إن المقصود بالأسرى هم من أسروا في الجاهلية ثم أسلموا وهو في أيديهم، فهو لهم حتى يأخذوا فديته[٢٩].

٧- «وما كان من دين في رهن فبلغ أجله فإنه لِواطٌ مُبَرًّأ من الله»[٣٠]. لقد تضمن هذا النص تحريم الربا حيث أوضح أنه ماكان لثقيف من دين على الناس فبلغ لأجله فإن لهم أخذ ما أدوه من دين دون (لواط) أي إضافة شيء من المال إلى أصل الدين لأن ذالك ربا[٣١].

٨- «وماكان من دين في رهن وراء عكاظ فإنه يقضى إلى عكاظ برأسه»[٣٢]. وهذا النص تفصيل لما ورد في النص السابق ويعني أنه ماكان لثقيف من دين في رهن بعد انعقاد سوق عكاظ التجاري فإنه يقضى عند انعقاد سوق عكاظ في الموسم القادم، في حالة عدم القدرة على قضائه في الحال. ويكون القضاء مقتصرًا على دفع الدين من دون الربا[٣٣].

٩- «وما كان لثقيف من وديعة في الناس، أو مال، أو نفس غنمها مودعها، أو أضاعها، ألا فأنها مؤداة»[٣٤] يؤكد هذا النص حقوق ثقيف المكتسبة على الآخرين سواءٌ أكانت ديونًا أو غير ذالك. وقد أشير إلى أن كتاب رسول الله ﷺ لثقيف قد تضمن الموافقة على رباهم على الناس، ولكن ما عليهم من ربا رفعه عنهم، وبذالك

حفظت أموال ثقيف المدانة للآخرين والمودعة لدى المسلمين وألزمتهم بضرورة ردها والإلتزام الكامل بشروطها السابقة، حتى نزلت الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾[٣٥]..[٣٦].

لقد ذكر القرطبي أن هذه الآية (نزلت بسبب ثقيف، وكانوا عاهدوا النبي ﷺ على أن ما لهم من الربا على الناس فهو لهم، وما للناس عليهم فهو موضوع عنهم، فلما جاءت آجال رباهم بعثوا لمكة للاقتضاء، وكانت الديون لبني عبدة وهم بنو عمرو بن عمير من ثقيف، وكانت على بني المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة: لا نعطي شيئًا فإن الربا قد رُفع. ورفعوا أمرهم إلى عَتَّاب بن أسيد، فكتب به إلى رسول الله ﷺ، ونزلت الآيةفكتب بها رسول الله ﷺ إلى عتاب فعلمت بها ثقيف فكفت)[٣٧].

إن ما تقدم يتعارض مع الروايات التي تؤكد أن الرسول ﷺ قد رفض في مفاوضاته مع وفد ثقيف السماح لهم بالتعامل بالربا. كما أن نصوص الكتاب الذي كتبه لهم ليس فيه ما يدل على أنه قد وافق على أخذهم الربا على ديونهم السابقة. أما الرواية التي أوردها القرطبي حول موافقة الرسول ﷺ على أن ماكان لثقيف من ربا على الناس فهو لهم، وما للناس عليهم فهو موضوع عنهم. فإننا نستبعد صحتها، وذالك لأنها تقتضي في حالة صحتها أن الرسول ﷺ كان يكيل للناس بمكيالين، فيبيح الربا لبعضهم ويحرمه على البعض الآخر، وذالك أمر بعيد عن خلق الرسول الكريم وقيم الإسلام.

وإذا جاز للباحث أن يستنتج شيئًا من الرواية التي أوردها القرطبي فإنه يفترض أن بني عبدة بن عمرو من ثقيف قد حاولوا أخذ مالهم من ربا على دَيْنهم خلافًا لأوامر الرسول ﷺ واتفاقهم معهم فرفع المدينون شكوى ضدهم إلى عتَّاب بن أَسِيد الذي كتب إلى الرسول ﷺ حول ذالك فنزلت الآيات التي تحرم ذالك بصورة قاطعة وتتهدد المخالفين بحرب من الله ورسوله. أن التعامل في نصوص الآيات الكريمة التي نزلت في هذا الخصوص تؤيد هذا الافتراض: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون﴾[٣٨].

١٠ - «وماكان لثقيف من نفس غائبة، أو مال، فإن له من الأمن مثل ماشاهدهم»[٣٩].

إن هذا النص يشير إلى أن أحكام الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ لثقيف تسري أحكامه على كافة أهل الطائف من حضر منهم المفاوضات ومن لم يحضر.

١١ - «وماكان لهم من مال بِلِيَّةَ، فإن له من الأمن ما لهم بَوجٍّ»[٤٠]. وهذا يعني أن أموال ثقيف الموجودة في منطقة لِيَّـةَ في الطائف تسري عليها نفس الأحكام التي تسري على الأموال الموجودة في وادي وج.

١٢ - «وماكان لثقيف من حليف أو تاجر، فأسلم فإن له مثل قضية أمر ثقيف»[٤١]. إن هذا النص يؤكد سريان أحكام هذه الصحيفة على حلفاء ثقيف والتجار الذين يتعاملون معها إذا أسلموا.

١٣ - ««وإن طعن طاعن على ثقيف أو ظلمهم ظالم، فإنه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس، وإن الرسول ينصرهم على من ظلمهم والمؤمنون»[٤٢]. إن هذا النص يؤكد ضمان الرسول ﷺ لكافة الحقوق التي منحها لثقيف بموجب هذه الصحيفة فلا يسمح لأحد أن يطعن فيها أو يعتدي عليها.

١٤ - «ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم»[٤٣]. يبدو أن هذا النص أراد أن يطمئن ثقيف على حقوقهم في مدينتهم بعد دخولهم في الإسلام، فلا تكون مدينتهم مفتوحة لكل من أراد دخولها أو السكن فيها، وإنما ذالك متوقف على رغبة أهلها وموافقتهم على مثل هذا الأمر.

١٥ - «وإن السوق والبيع بأفنية البيوت»[٤٤]. يبدو أن الرسول ﷺ أراد من هذا النص تحقيق الوضوح في البيع والشراء من أجل منع الغبن والاستغلال.

١٦ - «وإنه لا يؤمر عليهم إلا بعضهم على بعض: على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم»[٤٥]. إن أهل الطائف كانوا حريصين على إدارة أمورهم الذاتية بأنفسهم. لذا فقد ضمن لهم الرسول ﷺ بموجب هذا النص ألا يؤمر عليهم أحد من خارج قبيلتهم. ويبدو من ظاهر النص أنه كان من حق بني مالك أن يكون لهم أميرهم. وأن يكون للأحلاف أميرهم. إلا أن المصادر تذكر أن الرسول ﷺ قد قام بعد

هـذا الكتـاب بتعيين عثمـان بن أبي العـاص من بني مـالك أميـرًا عليهم (وكـان من أحـدثهم سنًّـا وذالك أنـه كـان أحـرصهم على التفقـه في الإسـلام)[٤٦]. إن تصـرف الرسول ﷺ هذا يدل على أن الأحـلاف وبني مالك قد وافقوا على أن يعين لهـم رسول الله ﷺ أميـرًا واحـدًا عليهم من بينهم وهي خطـوة إيجـابية على طـريق تـوحيـد أهل الطائف وتجاوز حالة الانقسام التي كانت سائدة في مدينتهم.

١٧ - «وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطـرها لمن سقاها»[٤٧] يعالج هذا النص العـلاقـات الاقتصاديـة بين بني ثقيف وبعض رجـالات قـريش الذيـن كانـوا يمتلكون مزارع للعنب فـي الطائف وكان منهم العباس بن عبـدالمطلب، وأبو سفيان بن حرب وعتبة وشيبة من بني عبد شمس وغيرهم[٤٨]. لقد قرر هذا النص أن من حق ثقيف أن تأخذ نصف غلـة المزارع التي يتولـون أمر سقايتهـا والعناية بهـا. إن اهتمام الرسول ﷺ بمعـالجة هذه المسألة في الكتـاب الذي كتبه لثقيف يوحي بأنهـا كانت من المسائل الخلافية بين قريش وثقيف، فأراد معـالجتها وإزالة أسباب الخلاف بين القبيلتين اللتين أصبحتا جزءًا من الأمة الموحدة.

١٨ - «وماكـان لهـم من دين في رهن لـم يُلَطْ، فإن وجد أهلُهُ قضـاءًا قضوا، وإن لـم يجدوا قضاءًا فإنه إلى جمادى الأولى من عام قـابل، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه، وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم إلا رأسه»[٤٩].

ويلاحظ أن هذا النص تأكيد لما ورد في النصوص الواردة في الفقرات (٧، ٨، ٩) التي أوضحنـا معانيهـا آنفًـا والتي تتلخص في حق ثقيف في استـرجـاع ديونهـا على الآخرين من دون أخذ الربا.

١٩ - «وماكـان من أسير باعـه ربه فإن له بيعـه، وما لـم يُبَعْ فإن فيـه ست قلائص، نصفان حِقَاقٌ وبنات لَبُوْنٍ كرام سمان»[٥٠]. يعالج هذا النص بعض حالات الأسرى السابقة فيقرر استحقاق صاحب الأسير الـذي باع أسيره للثمن الذي قبضه عن أسيره. أما من لـم يبع أسيـره فإن له أن يأخـذ فدية مقـابل إطلاق سراح الأسيـر ستًّا من الإبل بمواصفات معينة.

٢٠- «ومن كان له بيع اشتراه فإن له بيعه»[٥١]. يتضمن هذا النص الموافقة على إحدى صور المعاملات التي كانت قائمة في الطائف، ولا تبدو لنا صورتها واضحة من خلال هذا النص.

عودة وفد ثقيف إلى الطائف: بعد أن كتب الرسول ﷺ لثقيف الكتاب الآنف الذكر توجه الوفد عائدًا إلى مدينة الطائف على أن يقوم الرسول ﷺ بإرسال من يتولى أمر هدم وثنهم (اللات) وإزالة آثار الوثنية والشرك من المدينة تنفيذًا لما تم الاتفاق عليه بينه وبينهم.

وقد ذكر ابن اسحاق أن الرسول ﷺ أرسل أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الثقفي من الأحلاف إلى الطائف من أجل هدم اللات[٥٢].

وقد عمل أهل ثقيف على تهيئة أذهان قومهم على تقبل أمر هدم اللات لأن ذالك كان من أصعب الأمور على أهل الطائف بسبب ما استقر في نفوسهم من تقديس اللات وتعظيمها بصفتها (الربة) التي يعبدونها على مدى أجيال متعاقبة.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، فقد تظاهر أفراد الوفد بأنهم قد فشلوا في التفاهم مع محمد ﷺ لأنه حسب رواية موسى بن عقبة عن أفراد الوفد (إنما جاءوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف، يحكم بما يريد، وقد دوَّخَ العرب، قد حرم الربا والزنا والخمر، وأمر بهدم الربة، فنفرت ثقيف وقالوا: لا نطيع لها أبدًا. قال فتأهبوا للقتال وأعدوا السلاح، فمكثوا على ذالك يومين أو ثلاثة، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب فرجعوا وأنابوا وقالوا: ارجعوا إليه فشارطوه على ذالك وصالحوه عليه. قالوا: فإنا قد فعلنا ذالك، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه، فافهموا القضية واقبلوا عافية الله. قالوا: فلم كتمتمونا هذا أولًا؟ قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم ومكثوا أيامًا)[٥٣] ينتظرون قدوم من يهدم لهم اللات.

وحين قدم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة إلى الطائف تولى المغيرة بن شعبة هدم اللات، وقد تولى قومه من بني مُعَتِّبٍ حمايته وهو يقوم بهذه المهمة خشية أن يُعْتَدَى

عليه من قبل بعض المتعصبين للشـرك، إلا أن المغيرة أنجز مهمته بسـلام. وقد أدرك عامة أهل الطائف بعد هدم اللات فساد المعتقدات التي أحاطت بهذا الحجر بصفته رَبَّةً تنفع من يعبدها وتلحق الضرر بمن يكفر بها(٥٤).

وهكـذا أخـذت عقـائد الإسـلام تستقر في نفـوس أهل الطـائف، وأخـذ أبنـاؤهـا يندمجون في الأمة الجديدة، ولم يعودوا يقيمـون كبير وزن للشروط التي كانوا حريصين عليها أثنـاء مفاوضـاتهم مع الرسـول ﷺ لأن مصلحتهم قـد أخذت تندمـج بمصلحة الدولةالإسلامية وعموم الأمة. ومن ثَمَّ فقـد أقبلوا على الجهاد ودفع الصدقات، والقيام بكافـة الالتزامـات التي يلتزم بها المسلمـون الصادقـون. وقد وصف المغيـرة بن شعبة قومه بعـد إسلامهم فقال: (فدخلـوا في الإسلام، فلا أعلم قومًـا من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلامًا ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم)(٥٥).

د. هاشم يحيى الملاح

أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الموصل

الحواشي:

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ق ٢ ص ٥٤٠.

(٢) عبدالرحمن ابن الربيع الشيبـاني، تيسير الـوصول إلى جامع الأصـول من حديث الـرسول، القـاهرة ١٩٣٥، ج ٣ ص ٢١٠، ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٢ ص ٢٩٠.

(٣) ابن سلام، كتاب الأموال، ص ١٩٠ - ١٩٣.

(٤) الدكتـور محمد حميد الله الحيـدر أبادي، مجموعـة الوثائق السيـاسية للعهـد النبوي والخلافـة الراشدة، القـاهرة ١٩٥٦، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.

(٥) ابن زنجوية، كتاب الأموال ج ٢، ص ٤٥٣ - ٤٥٦.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٥٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ق ٢ ص ٥٤٠.

(٨) ابن زنجويه، كتاب الأموال، ج ٣ ص ٤٥٦.

(٩) ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٤٥٣.

(١٠) الواقدي، مغازي رسول الله، ج ٣ ص ٩٧٣.

(١١) ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٥٤٣.

(١٢) ابن سلام، كتاب الأموال، ص ١٩٣.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(١٤) د. عبدالجبار منسي العبيدي، الطائف دور قبيلة ثقيف العربية، الرياض ١٩٨٣، ص ١٧٢ - ١٧٣.

(١٥) ذكر ابن زنجوية في كتاب الأموال ج ٢ ص ٤٥٣ هذه العبارة هكذا: (ماكتب لهم في هذه الصحيفة).

(١٦) ابن سلام، كتاب الأموال، ص ١٩٠.

(١٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت ١٩٨٣، ج ٤ ص ١١٥.

(١٨) ابن سلام، الأموال، ص ١٩٠ - ١٩١.

(١٩) العبيدي، الطائف، ص ١٧٣.

(٢٠) ابن حبيب، المحبر، ص ٣١٥.

(٢١) ابن زنجوية، كتاب الأموال، ج ٢ ص ٤٥٣ ورد فيه هذا النص على هذه الصورة: (ولا يغيَّر طائفهم لهم).

(٢٢) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١.

(٢٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٨.

(٢٤) ابن سلام الأموال، ص ١٩١.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٢٧) الشيباني، تيسير الوصول إلى جامع الوصول، ج ٣ ص ٢١٠.

(٢٨) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٣١) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٣٣) ابن زنجويه، كتاب الأموال، ج ٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٣٤) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١.

(٣٥) سورة البقرة: ٢٧٨.

(٣٦) العبيدي، الطائف، ص ١٧٤.

(٣٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة ١٩٥٧، ج ٣ ص ٣٦٣.

(٣٣٨) سورة البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٣٩) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١، وفي كتاب الأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٥٤ وردت كلمة (الأمر) بدلًا عن كلمة الأمن وهي لا تغير المعنى العام للنص.

(٤٠) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١، وفي كتاب الأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٥٤ وردت كلمة (الأمر) بدلًا عن كلمة الأمن.

(٤١) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١، وفي كتاب الأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٥٤ وردت كلمة (قصة) بدلًا عن كلمة قضية.

(٤٢) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٤٦) ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٥٤٠.

(٤٧) ابن سلام، الأموال: ص ١٩١.

(٤٨) نعمان ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، الموصل ١٩٨٨، ص ٤٠ - ٤١.

(٤٩) ابن سلام، الأموال، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٥١) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٥٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٥٤١ - ٥٤٢.

(٥٣) ابن كثير، السيرة النبوية، بيروت، دار الكتب العلمية، بلا تحقيق، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٥٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢ ص ٥٤١ - ٥٤٢.

(٥٥) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٤.

لهجة قبيلة سُليم

(١)

عُنِيَ الدارسون المُحْدَثون بدراسة اللّهجاتِ العربيةِ القديمةِ، بوصفها مجالًا جديدًا من مجالات علم اللغة العام، وانصَبَّتْ جهودهم على دراسة الوحدات اللهجية الكبرى التي تمثلت بلهجاتِ الحجاز وقيس وتميم وأسد، وهي تشكل بيئات لهجية اكتنفت عَدَدًا من القبائل العربية القديمة. ودراسة اللهجات مُهِمَّةٌ، لأنَّها تمثّل طَوْرًا من تأريخِ العربيَّةِ، وفي الوقت نفسه تمثّل رافدًا من روافدها، وسبيلًا إلى معرفة خصائص لهجاتها المعاصرة، التي مايزال البحثُ فيها يسير ببطءٍ شديدٍ، قياسًا إلى الجهود المثابرةِ التي يقومُ بها علماءُ اللُّغةِ في الغرب الذين ما فَتِئوا يبذلونَ جُهُودًا حثيثةً لدراسةِ اللهجاتِ العربيةِ المعاصرة وغيرِها.

وتُمثِّلُ لهجةُ قبيلةُ (سُلَيم) وحدةً لهجيةً صُغْرى تفرَّدَتْ بخصائص لغوية. أشار إلى بعضها علماءُ العربية القدماء في أثناء دراساتهم، لكنَّهُم لم يُعْنَوا عنايةً خاصةً بدراسةِ سِماتها وتعليل ظواهرها، فجاءَتْ ملاحظاتُهُم متفرقةً في بطونِ الكتبِ على اختلاف مضامينها ومناهج البحث فيها، شَأنهم في ذالك شَأن مَنْ يسجّل الظاهرةَ من غير تعليلٍ أو تحليلٍ، وصنيعهم ذالك شَمَلَ اللَّهجات العربية الأخرى، مما شكّل عائقًا أمامَ تبيّن الصفات اللغوية لهذه اللهجة أو تلك.

وكان لزامًا عليَّ القيام بَجمْع النصوص اللَّهجية من مصادر متنوعة لتوثيقها، ثم قُمْتُ بتصنيف تلك النصوص بحَسب المجال الذي تنتمي إليه، على وفق مجالات علم اللغة الحديث، وحاولتُ أَنْ تكونَ هذه الدراسة وَصَفِيَّةً تاريخية، مبينًا السِّماتِ التي تَفَرَّدَتْ بها لهجة (سُلَيم)، وما اشتركتْ به مع غيرها، وقسَّمْتُ البحث إلى فقرات شملتْ نبذة تأريخيةً عن نسبِ القبيلةِ ومواطنها في الجاهلية وصدر الإسلام، ثم فصَّلْتُ الحديثَ في خصائص لهجية صوتية كالميل إلى الكسر والمعاقبة والإبدال، وخصائص صرفية تميَّزت بها القبيلة لا سيما حَذْف أحد المثلين في الفعل الصحيح المضعَّف عند إسناده إلى تاء الفاعل، وظواهر أخرى، أما في مجال النَّحو

فتميَّـــــزتِ القبيلةُ بخصائص منها: إجراء القول مَجْرىٰ الظن، ورفع الاسم بعد (منذ) واشتركتْ مع القبائل الأخرى في خصائص منها إلزام المثنَّى الألف في حالاتِهِ كلّها.

أما في مجال الدلالة فقد عنيتُ بجـرد طائفة من الألفاظ وردَتْ ذات دلالة خاصة في لهجة سليم ألحقتها في نهاية البَحْثِ.

وقـد تتبعْتُ هذه اللهجـة في شعر السُّلَميِّيْن الـذين شملهم عصر الاستشهـاد إلى منتصف القرن الثانـي للهجرة، لكني لم أَعثُرْ في حقيقة الأمـر - إلَّا على النَّزْر اليسير، وذالك لأنَّ الكثيـرَ مُن خصـائصِ اللهجـات الواردةِ في الشّعـر الجـاهليّ قَـدْ طُمس بفعل عبث الرُّواة ونُسّاخ الدَّواوين.

التعريف بالقبيلة: تُعَدُّ قبيلة (سُلَيم) من القبائل العدنـانية، وهي فَرْعٌ كبيرٌ من فروع قَيْس عَيلان، قَـال عنها القلقشنـديُّ: (بنو سُلَيم بن منصـور بن عكرمة بـن خصفة بن قيس عيلان وهم أكثر قبائل قيس عددًا).[1]

واتسعتْ بطونُ القبيلة وأفخاذها، حسبما يصوره لنا ابنُ حزم[2].

وكانت على صلةٍ قـرابةٍ بقريش وبينهما مُصاهرة وتحـالف واختلاط فضلًا عن أنَّ عددًا من القبائل اليمنية التي تنتهي إلى قُضاعة وبَجِيلة قد جاورتْ قبيلة سُلَيم.[3]

وذكر الهمدانيُّ أنَّ عددًا من الأنصـار وَصَلَ إلى حَرَّةِ سُلَيم وخالطهم،[4] واشتهرتْ ديارهُمْ بـوَفْرةٍ في المياه استفـادَتْ منها القبيلةُ في الـزَّرع، وكثرتْ فيها الحِـرار مثل حَرَّة سُلَيْم وحرَّة لَيْلى، وكانَتْ الحرار مناجمَ لمعادن اشتهرَتْ بها، مثل مَعْدن بني سُلَيم.[5]

وعُدّت من القبائلِ ذات الصَّلاتِ الواسعةِ بغيرها، لأنها جاورت عددًا من القبائل كغطفـان وهوازن وهـلال، ولها صـلات باليهـود وقريش، وتحـالفٌ مع أشراف مكـة وكبارها، لِما لها من صِلات اقتصادية بهذه القبيلة.[6]

أمـا موطن القبيلـة فَحَـدَّدَهُ ابنُ حوقل وقـال: (ثم إذا جُـزْتَ العَذْنَ (؟) عن يسـار المدينة فَأَنْتَ في بَني سُلَيم).[7]

وقـال القلقشنـديُّ: (وكانتْ مسـاكنُهم في عـاليـةَ نَجْـد بالقـرب من خَيْبَـر، ومن منازلهم حرَّة سُلَيْم وحرة النار بين وادي القرىٰ وتَيْماء).[8]

وعُني الشَّيخ حمد الجاسر بتحديد مواطنهم فقال: (تَمْتَدّ في غرب الجزيرة من الجنوب إلى الشمال بامتداد الحَرّة الممتدة من قرب (عُشَيْرَة) إلى قرب المدينة المنورة وبلادهم منتشرة في سفوحها وأوديتها الشرقية. مُنْساحةً في عالية نجد، حتى (حِمَى الرَّبَذَةِ) الواقع غرب (حِمَى ضَرِيَّة) حيث تشمل بلادهم الجزء الغربي الجنوبي منه وتمتد بلادهم جنوبًا حتى تشمل منهل (الدَّفِيْنة).[٩]

الإبدال بين الأصوات الصامتة: كثيرًا ما وقع الإبدال بين الأصوات الصامتة في العربية ولا سيما في لهجاتها القديمة، وقد استرعَتْ هذه الظاهرة اللغويين القدماء فألَّفوا في هذا المجال من البحث اللغوي.[١٠] واشترط بعضُ اللّغويين وجود علاقةٍ صوتية بين الأصوات التي يحدث فيها الإبدال، فقال الفراء: (إنما يعلم ما ينسب من الحروف باللغة أن يبدل الحرف من أخيه ويكون معه في قافيةٍ واحدةٍ مثل: مَدَحَ ومَدَه، والنون والميم والعين والهمزة مثل: استأديت واستعْدَيْت وهذا كثير يبدل الحرف من أخيه فيدغَم فيه إذا قرب ذالك القرب).[١١]

وحتم المحدثون وجود علاقة صوتية بين أصوات الإبدال،[١٢] ولا نغالي إذا قلنا إنَّ هذه الظاهرة سمة لهجية ماتزال تعيش في لهجاتنا المعاصرة ولا تخلو منها لهجة من اللهجات.

أما النُّصوصُ اللهجية التي أكدت وجود هذه الظاهرة في لهجة (سُلَيم) فعلىٰ قلتها تُومِئُ إلى وجود هذه الصفة في لهجة سُليم، وبذالك فهي لا تختلف عن غيرها من اللَّهجات العربية القديمة. ويمكن الوقوف علىٰ ذالك على النحو الآتي:

الفاء والثاء: لاحظ اللُّغويون القدماء أن الإبدالَ بين الفاء والثاء شائعٌ في العربية، فقال الفراءُ: (والعرب تُبدل الفاء بالثاء فيقولون: جدثٌ وجدفٌ ووقعوا في عاثور شرّ وعافور شرّ والأثاثي والأثافي)[١٣] وذهب (انوليتمان) إلى أن الإبدال بين الثاء والفاء عرفته العربية منذ قديم الزمان، وعُرف في جنوب جزيرة العرب.[١٤]

وقد أُثِرَ عن بني سُلَيم أنهم يقولون: تكرفأ السحاب: إذا اجتمع، وأُثِرَ عن أسد أنها تقول: تكرثأ.[١٥]

إنَّ الصوتين كليهما يتماثلان في صِفَتَي الرَّخاوة والهمْس[١٦]، مما جعل مجال تبادلهما متاحًا.

وقد وَرَد في كلام قبيلة طيِّىء أنها تبدل الثاء فاءً وتتفق مع سُليم في نطقها فتقول: تكرفأ السحاب، والكرفيُ بدلًا من الكرثِيُ[١٧] وهو السحاب المتراكم.

ورجَّح (برغشترا سر) أن الأصل في هذه الألفاظ هو الثاء بدلالة أنَّ الثومَ في العبرية بالثاء، وفي الأرامية بالثاء وهما ناشئتان في رأيه عن الثاء.[١٨]

ووقع هذا الإبدال في شعر الخنسَاء فقالت:[١٩]

ككـرفئـة الغَيث ذا الصَّبِيُـ ـرِ تـرمي السَّحـاب ويُـرمَى لَهَـا

وَوَرَد في شعرها ما يخالف ذالك، فقالت:[٢٠]

أقـول صخـرٌ لـه الأجـداث مرمـومُ وكيف أكتُمُـهُ والـدمعُ تَسَجيم

ونصّ شارح ديوانها على أنَّ الجَدَثَ لغة تميم، والجدف في قيس، فتقول تميم: فروغ الدّلو وثروغهُ والواحد فَرغ وثَرغ وهو مجرى الماء بين عَراقي الدلو.

وأغلب الظن أنَّ البَيْت قَـدْ تَغَيَّر بفعل الرواة، ذالك لأن بني سُلَيم من قيس وهي أقرب إلى أنْ تَتأثَّر بها أكثر من تميم التي مالت إلى الثاء في مثل هذه الألفاظ، فكثيرًا ما غيّر الرواةُ في مثل ذالك وطمسوا آثارًا لهجية عديدة، كما يمكن أنْ نعُدَّ ميلهم إلى الفاء هو الشائع في لغتهم اليومية، لكنهم حين يتوخّون الفصحى يُؤْثرون الشائع فيها.

السين والصاد: يتفق الصوتان في صفتي الهمس والرخاوة[٢١] وفي المخرج والاختلاف بينهما هو في كون الصاد من الأصوات المطبقة أو المفخمة أما السين فليست من أصوات الإطباق، وقد جنحت لهجة سُليم إلى إبدال السين صادًا موافقة هوازن وهذيل وأهل العالية، نقل ذالك الفَرَّاءُ، فهم يقولون: (هو أخوه صوغه - بالصاد - أي هو يساويه وعلى قدره وذكر أن أكثر الكلام بالسين، وقال ابن بَزرج: (هو سوغ أخيه أي طريده ولد في أثره).[٢٢]

وأُثِر نظير هذا الإبدال في لهجات أخرى، فجاء في لهجة تميم: إلصاق والصراط، وصيقل وصلخ وصخب وفي غيرها: الساق والسراط وسيقل وسلغ وسخب.[٢٣]

وإيثار الصاد على السين جرى لما في الصاد من قوّة ووضوحٍ سمعيٍّ وميل إلى تضخيم الأصوات غير المضخَّمة الذي يعد صفة من صفات البداوة.[٢٤]

تحقيق الهمز: من المعروف عن قبائل الحجاز ابتعادها عن تحقيق الهَمْز، ذكر ذالك أبو زيد الأنصاريّ فقال: (أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون)[٢٥] ومما لا شك فيه أن قبيلةَ سُليم توسطت المسافة بين الحجاز ونجد، لذالك تضاربتَ الرواياتُ التي عَرَضَتْ لهذه الظاهرة، فقد روى الأزهريّ عن الفرَّاء قوله: (سمعت أعرابيًا من بني سُلَيم ينشد:

فَإنَّهــا حيل الشيطــان يحتئل

قال: وغيره من بني سليم قوله: يحتال بلاهمز).[٢٦]

وجاء في «مجمع الأمثال»: (ماءٌ ولا كَصَدَّاء) أنهم يهمزون: صدّاء، واستشهد بقول شاعرهم ضرار بن عتبة السعديّ:

كَأنّـيَ من وَجْـدٍ بِـزينَبَ هـائمُ يخالِسُ من أحواضِ صدّاء مشربا

(وسُئِلَ رجُلٌ في البادية من بني سليم عنها فلم يَهْمزها).[٢٧]

وَوَرد في شِعرَ الخَنْساء استعمالها لفظة: (جُؤْنَة) مرةً مهموزة وأخرى غير مهموزة.[٢٨] وعلّقَ الشارحُ على ورود اللَّفْظة مهموزة بقولهِ: (جؤنة: سواد، وقالوا: جونة وهي لغتهم).[٢٩]

إن اختلاف اللهجات العربية في هذه الظاهرة يرجح أن تكونَ قبيلة سُلَيم قد أخذَتْ من الظاهرتين معًا، وأعني بهما تحقيق الهمز وتسهيله وذالك لتأثر اللّهجة ببيئتَيْنِ، هما بِيئةُ نجدٍ التي تحقق الهمز، وبيئة الحجاز التي تُسَهِّلُ الهمز، فلربما كانَ الأعرابيُّ الذي أنْشَدَ الفَرّاءَ مُتأثرًا بمن حقق الهمز وغيره تأثّر بِمَنْ سهّل الهمز، أو أن الشعراء غالبًا ما يتوخون اللُّغة الفُصْحَى وهي التي تحقق الهمز وبها نزل القُرآن الكريم أما اللغة اليومية فلا يعتدُّوْن بها كثيرًا.[٣٠]

المعاقبة بين الواو والياء:[٣١] آثرت بعضُ القبائل الصيغ اليائية على الصيغ

الواويـة، وذالك في ظـاهرة عـرفت بالمعـاقبة.[٣٢] وعزا صـاحب «المُخَصَّص» هذه الظاهرة لأهل الحجاز[٣٣]، وعُرِفتْ بالمعـاقبة الحجازية إذْ مـالَتْ هذه اللَّهجة إلى الياء بـدلًا من الواو، في بعض الألفاظ. ومن الـراجح أنَّ قبيلةَ سُلَيْم كانت تـوافق بيئة الحجاز فأثَـرَت الصيغ اليائيـةَ على الواويـة فقد ذكر الفـراء في قولـه تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إليكَ﴾ (البقرة/ ٢٦٥)، أن عادة القُرَّاء يضُمُّونَ الصاد، وكان عبدالله بنُ مَسْعـود وأبو جعفر المـدني يكسران الصـاد وقال: (فأما الضم فكثيـر وأما الكسر ففي هذيل وسُلَيم، وأَنْشَدَني الكسائيّ عن بعض بَني سُلَيم:

وَفَـرْعٍ يُصِيْـرُ الجِيـدَ، وَحْفٍ كأنـه على اللِّيت قِنْوانُ الكرومِ الدوالح)[٣٤]

ولـذا فالفعل في لَهْجـة سليم صـار: يَصير بمعنى: مـال يميل، على حين أنـه في اللهجات الأخرى صار: يصور.

ونقل ابن جني عن الكسائي قوله: (سمعْتُ مـن أخوين من بني سليم يقولان: نَمَا يَنْمُو ثم سألت بني سُليم عنه فلم يعرفوه)[٣٥] والراجح أنَّ الشائعَ في لَهْجةُ سليم هو أنهم يقولون: نمى ينمي، بمعنى زاد، وقد رَجَّح صاحبُ «اللسـان» هذه الصيغة بقوله: (النماءُ الـزيادةُ: نمىْ ينمي نميا ونميـا ونماء: زاد وكثر، وربمـا قالوا: ينمـو نموًا).[٣٦] ولعل الاختـلافَ في الأداء الذي ذَكَـرَهُ الكسـائيُّ ناجم عـن تأثُّر قبيلـة سُلَيْم بسمتين لهجيتين، وَرَجَّحَ الدكتور أحمـد علم الدين الجندِيُّ أن تكونَ القبـائل الحضريَّة أمْيَلُ إلى استعمالِ الصّيغ اليـائيَّة على حين جَنَحَتِ القبائلُ البدويـةُ إلى استعمال الصّيغ الواوية.[٣٧]

الميل إلى الكسر: فسرّ المحـدَثُوْنَ ميل بعض القبائل إلى الكسـر بأنه ينسجم مع حيـاة التحضر، ويـدل على الرقـة في معظم البيئات اللغـوية، وأن الضم يتفق وحيـاة البداوة التـي تؤثر الخشـونة (فإذا رويت لنـا الكلمة بـروايتين إحداهمـا تشمل على ضم في موضع معين مـن هذه الكلمة، والـرواية الأخرى تتضمن الكسـر في الموضع نفسه من الكلمـة، رجّحنا أنَّ الصيغةَ المشتملـةَ علىْ الضـم تنتمي إلى بيئةٍ بـدويةٍ وأَنَّ المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئةٍ حضريةٍ)[٣٨].

وقد ناوبت اللهجاتُ العربيةُ القديمةُ بين أصوات المدّ القصيرة والطويلة، لكن هذا التناوب لا يَطَّرد في تلك اللَّهجات جميعها على نَحْوٍ ثابتٍ، ويندرج ذالك في ضمن سلوك لهجيّ إذا تكرَّر يشكّل ظاهرةً لهجيةً.

وقد آثرت لهجةُ سُليم الكسر في ألفاظ عدة، على حين آثر غيرها الضمَّ أو الفتح، ويمكن عرض النصوص اللهجية التي تنمّ عن هذا المنحى على النَّحو الآتيّ:

- رُوي عن بني سُلَيم ميلهم إلى كسر ميم (مُنذُ) فقالوا: مِنذُ(٣٩).
- جنحت سُلَيم إلى كسر همزة (أيان) فقالت: (إِيّان)(٤٠).
- وقالوا في القسم: (إِيم الله) وقالت تميم: (أَيم الله).
- وقالوا في الآية الكريمة ﴿فصِرهُنّ إليكَ﴾(٤١).
- وذكر ابنُ جني نَقْلًا عن ابن أبي إسحق أن لغة بني سُلَيم الشِّجَرَة بكسر الشين(٤٢).
- ومالوا إلى كسر الميم في ضمير جماعة الغائبين إذا تلاه اسمٌ معرَّفٌ بأل(٤٣).

وأغلب الظن أنَّ قبيلةَ سُلَيْم آثرت الكسرَ في هذه الألفاظ لارتباطها ببيئة الحِجاز الحضريّة وصِلاتها الوثيقة بقُريش، وهيمنتها على طُرُق التجارة، فهي في ضِمْن القبائل المتحضّرة(٤٣).

تقصير صوت المد الطويل: ورد في العربية الفصحى إتمام ألف الاسم المقصور عند إضافته إلى ياء المتكلم على حين جنحتْ بعض القبائل إلى تَقْصير صوت المد الطويل وهو ألف الاسم المقصور والضغط على ياء المتكلم، ومن القبائل التي عَرَفتْ هذه الظاهرة قبيلة سُلَيم فقد نَقَل الفَرّاءُ عن بعض بني سُلَيم قوله: (اتيك بمولَيَّ فإنه أروىٰ مني)(٤٤) يريد بمولاي.

وقد قُرئَ قوله تعالى: ﴿يابُشْرايَ هذا غُلامٌ﴾ (يوسف/ ١٩): (يا بشرَيّ) وعزا الفراء هذه اللهجة إلى بعض قيس وهذيل، وعزيت إلى طيِّئٍ وقريش(٤٥).

وفي قراءة عُزِيَتْ لعبدالله بن أبي إسحاق وعيسى بن عُمَر وأبي الطفيل:(٤٦) ﴿فَمَنْ

تَبِعَ هُدَايَ فلا خَوْفٌ عليه ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/ ٣٨).

وقال أبو ذُؤَيْب الهُذلي:[٤٧]

تركوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهم ... فَفَقَدْتُهُم ولكلّ جَنْبٍ مَضْرَعُ

وفسَّرَ الدكتور جليل العطية هذا المنحى في لهجة هذيل على سبيل المماثلة فقال: (وهو ضرب من تأثُّر الأصوات بعضها ببعض يعرف بِالتَّأثُّر الرجعي وفيه يتأثر الصوتُ الأول بالثّاني)[٤٨] لكن الواضح في هذا المنحى: أَنَّ السعيَ إليه هو لأجل التخلُّص من صوت المد الطويل وتقصيره إلى الفَتْحة فلو كان الهدف من ذالك المماثلة لفنيت الفتحة التي تسبق الياء أو تغيرت والراجح أنَّ الياء في هذه الحال ياء واحدة ساكنة هي ياء المتكلم، أما ألف الاسم المقصور، فاخْتُصِرَتْ إلى الفتحة التي تسبقها، أما وصف الفراء لهذه الظاهرة بأنها (كل ألف أضافها المتكلم إلى نفسه جعلتها ياءً مشددة)[٤٩] فإن الياء ليست مضعَّفة إنما جرى توضيحها بالضَّغط عليها فَحَسْب.

وهذا المنحى في لهجة سُلَيم ينسجمُ مع الميل إلى التخفيف وتوفير الجهد العضلي.

الإتباع الحركي: وتعني هذه الظاهرة ميل الحركات المتباينة في الكلمة الواحدة إلى التوافق.

ويُعَدُّ هذا النزوع ميلًا إلى تقليل الجهد المبذول، ومظهرًا من مظاهر التطور الصوتي[٥٠].

ومن مظاهر هذه الظاهرة في لهجة سُلَيم جنوحها نحو فتح لام الأمر فقالوا: لَيَقُمْ زيد[٥١].

وعزا ابنُ مجاهد فتح لام الأمر إلى عُكْل فضلًا عن بني سُلَيم[٥٢] وأنشد لذالك شاهدًا:

لا دَنَــــاهــــــا ومـــــا فِيهــــــا دَنِيّ   لَيَـــرقُـــدْ ثُمَ يـــرقُـــدْ لن يُصــــارا

والمعـروف في العـربية الفصحـى كسر لام الأمـر إذا لـم تُسْبَقْ بعـاطف، ولـذالك جنحت سليم إلى الإتبـاع الحـركي، وحَـدَثَ انسجـام بين حـركة لام الأمـر وحَـرْف المضارعة، وهو أخف من الانتقال من كسرة إلى فتحةٍ.

وعـد هذا الضـرب من الإتباع ذا أثـرٍ رجعيٍّ، حيث تَأَثَّر الصـوتُ الأول بالصَّـوت الثاني.

وحَدَثَ هذا الضَّرب من الإتباع في مَيْلِهِم إلى الكسر في تراكيب عِدَّة، منها: كسر همزة أيَّانَ فقالوا: إِيَّان، وكذالك استعمالهم. إيم الله، في القَسَم بكَسْر الهمزة.

أداء ضمير الغـائبين (هم): حكى الفـراء عن بعض بني سليم أنهم يكسـرون ميم ضميـر الغـائبين (هـم) إذا سَبَقَ اسمًـا معـرَّفًـا بِأل[٥٣]، على حين وَرَدَت هـذه الميم مضمومة في العربية الفصحىٰ على سبيل الإتباع الحركي[٥٤].

وأنشد قُطربُ لعُروة بن الوَرْد:

ألا إِنَّ أَصحــــابَ الكنيفِ وجــــدتهم   هُمِ القــوم لمّـــا أخصبـــوا وتمـــولـــوا

وأنشد الكوفيّون:

فهُـمُ بطـــــــانتهُـم وهـم وزراؤهُـمْ   وهُمِ القُضَــــاةُ ومنهُـمِ الحكّـــامُ[٥٥]

ويتبين لنا من الشـاهدين أن ميم (هـم) تكسـر إذا وقع بعدها اسم معـرف بأل، أما إذا لـم يتعـرف بأل فإنَّ الميمَ تُـرفع على سبيل الاتبـاع ويمكن تفسير هـذا النهج بأَنَّـهُ ميل إلى الكسـرِ وهو الأَصل الـذي تَطَـور عنه الميـل إلى الضَمّ على الاتباع لقَصْـد السرعـة في النطق أما في حالة الكسـر فلابد من أَنَـاةٍ في النطق تَنسجم مع مَيل قَبيلةِ سُلَيم إلى الكَسْرِ.

كسر همزة أيّان: تستعمل (أيان) في أسلوبي الاستفهام والشّـرط دالة على الظرفية وتأتي همزتها مفتوحة دائمًا لكن بني سُلَيْم جَنَحوا إلى كسرها[٥٦].

وانعكسَ هـذا الأثر اللَّهجيُّ في قـراءة أبي عبدالـرحمن السُّلَمِيِّ فَقرأهـا مكسورةً أينما وَرَدَتْ في القرآن الكريم، جَرْيًا على عادة قومه، فَقَرَأ قولَهُ تعالى: ﴿يسألُوْنَكَ عَنِ الساعةِ أيانَ مرسَاها﴾ (الأعراف/ ١٨٧) وقولَهُ تَعالَى: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النحل/ ٢١) بكسر الهمزة[٥٧].

(إيم الله) صيغة في القسم: استعُملتْ صيغ عدَّة في أسلوب القَسَم منها: يمين الله وأيمن الله وأَيْمُ الله وإيم الله[٥٨]، والأخيرة اختصَّت بهـا لهجة سُلَيم، ومن الـواضح أن الصيغ جميعهـا ذات دلالة واحـدة، ولكن الاختـلاف فيهـا يرجع إلـى عاداتٍ نطقيـة تميَّزت بها بعض اللهجات عن غيرها.

ومن الطـريف أن صـاحب «اللســان» ذكـر صيغًـا عـديـدةً تـدلّ على اختـلاف اللهجات العـربية القـديمة في أدائِهـا وهي: أيمن الله، ولَيْمُنِ الله، وأَيم الله، وإِيم الله، وأَمُ الله، ومُ الله، ومِ الله، ومُنُ الله، ومَنَ الله، ومِنِ الله، ومَ الله، ولَيْمُ الله، وهِيْمُ الله[٥٩].

(للبحث صلة)

د. علي ناصر غالب

جامعة بابل - كلية التربية

الحواشي:

(١) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان»: ١٢٣، «صبح الأعشى»: ١/ ٣٤٥.

(٢) «جمهرة أنساب العرب»: ٢٦١ وما بعدها، ويُنْظر: «معجم قبائل العرب»: ٢/ ٥٤٣.

(٣) «معجم ما استعجم»، البكري: ١/ ٢٨. (٤) «صفة جزيرة العرب»: ١٣١.

(٥) «جمهرة أنساب العرب»: ٢٤٩ - ٢٥١، صفة جزيرة العرب: ١٥٤ و«معجم ما استعجم»: ١/ ١٤.

(٦) «تاريخ العرب قبل الإسلام»: ٤/ ٣٢٤. (٧) «صورة الأرض»: ٤١.

(٨) «قلائد الجمان»: ٦٧.

(٩) مجلة «العرب»، مج ١ السنة الثامنة: ٤، وقد فَصَّل الدكتورُ عبدالله عبدالرحيم عسيلان في تاريخ القبيلة ومواطنها في الجاهلية والإسلام، يُنْظر العباس بن مِرداس السلمي الصحابي الشاعر» ٧ - ٢٠.

(١٠) من ذالك: «القلب والإبدال» لابن السكيت (٢٤٤هـ). و «الإبدال والمعاقبة والنظائر» للزّجاجي (٣٤٠هـ). و«الإبدال» لأبي الطيّب اللغويّ (٣٥١هـ).

(١١) شرح «كتاب سيبويه» للسيرافي (مخطوط) جـ ٣ نقلًا عن «القراءات القرآنية في ضوء علم اللُّغة الحديث» للدكتور عبدالصبور شاهين: ٧٣. وينظر «سر صناعة الإعراب» لابن جني ١/ ٧٢.

(١٢) مقدمة «الإبدال» لأبي الطيب اللّغويّ: ١/ ٩، ومن أسرار اللغة: ٧٥، «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»: ٧٣.

(١٣) «معاني القرآن»: ١/ ٤١.

(١٤) «بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي»: ١٦.

(١٥) «لسان العرب»: ١/ ١٣٧ (كرثاء).

(١٦) «الكتاب»: ٤/ ٤٣٥.

(١٧) «الإبدال»: ١/ / ٢٠٠، «تاج العروس»: ١/ ١٠٦ (كرفاء).

(١٨) الإبدال: ١/ ١٩٤ وينظر لهجة طيء الدكتور جليل العطية: ٩٧.

(١٩) «التطور النحوي»: ٢٣.

(٢٠) «ديوان الخنساء»: ١٠٣. وعزي البيت لأحد شعراء طيءٍ ينظر «الإبدال» ١/ ١٩٤.

(٢١) نفسه: ١٢٦ وينظر كذالك: ١٨٦.

(٢٢) «الكتاب»: ٤/ ٤٣٤، وينظر «علم اللُّغة العام»، الأصوات، د. كمال محمد بشر: ١٢٠.

(٢٣) «اللسان»: ٨/ ٤٤٢ (صوغ).

(٢٤) يُنظر مفصل ذالك في لهجة تميم د. غالب المطلبي: ٩٢.

(٢٥) في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس: ١٢٧.

(٢٦) «اللسان»: المقدمة: ١/ ٢٢.

(٢٧) «اللسان»: ١١/ ١٨٧ (حول).

(٢٨) «مجمع الأمثال»: ٢/ ٢٧٨.

(٢٩) «شعر الخنساء»: ١١٢، ٢٩٤.

(٣٠) نفسه: ٢٩٤.

(٣١) «لهجة هذيل»: ٢٠٠ (وقد عُرِفَتْ هذه الظاهرة في لهجة هذيل لكن الشعر المروي عن هذيل هو بالتحقيق وهو من خصائص اللغة المشتركة أما التسهيل فمن خصائص عامتهم من تعليق الدكتور جليل العطية على هذه الظاهرة).

(٣٢) عرض لهذا المصطلح الدكتور أحمد علم الدين الجنديّ في بحث «دراسات في اللهجات العربية» ٦٨ – ٧٥ وينظر: في «اللهجات العربية» ٩٢ – ٩٤.

(٣٣) «المخصص» مج ٤ س ١٤/ ١٩.

(٣٤) «معاني القرآن»: ١/ ١٧٤، «اللسان»: ٤/ ٤٧٨ (صير).

(٣٥) «الخصائص»: ١/ ٣٨١، «اللسان»: ١٥/ ٣٤١ (نمي).

(٣٦) «اللهجات العربية في التراث»: ٢/ ٥٧٢.

(٣٧) في «اللهجات العربية»: ٩٢.

(٣٨) «لسان العرب»: ٣/ ٥١٠ (منذ) ويُنْظر: «الهمع»: ١/ ٢١٦.

(٣٩) «البحر المحيط»: ٤/ ٤٣٤، ٧/ ٩٢ «الهمع» ٢/ ٥٧.

(٤٠) «الهمع» ٢/ ٣٩ - ٤٠.

(٤١) «معاني القرآن»: ١/ ١٧٤ «اللسان» ٤/ ٤٧٨ (صير).

(٤٢) «المحتسب»: ١/ ٧٤.

(٤٣) «سر صناعة الإعراب»: ٢/ ٥٥٨ - ٥٥٩.

(٤٤) «اللهجات العربية في التراث»: ١/ ٢٥٦.

(٤٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٩.

(٤٦) «لهجة هذيل»: ٢٠١.

(٤٧) «مختصر شواذ القراءات»: ٦٢.

(٤٨) «معاني القرآن»: ٢/ ٣٩ ويُنْظر «أوضح المسالك» ٣/ ١٩٩.

(٤٩) «لهجة هذيل»: ٢٠٠.

(٥٠) «معاني القرآن» ٢/ ٣٩.

(٥١) «في اللهجات العربية»: ٩٦.

(٥٢) «معاني القرآن»، ١/ ٢٨٥، «البحر المحيط»: ٢/ ٤١، «مغني اللبيب» ٢٨٤.

(٥٣) «مختصر في شواذ القراءات» ١٨٠.

(٥٤) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٥٨ - ٥٥٩ «شرح المفصل»: ٣/ ١٣٢، «ارتشاف الضرب»: ١/ ٤٦٩ - ٤٧٠.

(٥٥) فَسر ابنُ يَعيش العدولَ عن الكسر إلى الضم للإتباع، يُنْظَر: «شَرْحُ المُفَصَّل»: ٣/ ١٣٢.

(٥٦) البيتان في «شرح المفصل»: ٣/ ١٣٢.

(٥٧) «معاني القرآن»: ٢/ ٩٩ ويُنْظَر: «اعراب القرآن» للنحاس: ٢/ ٢٠٨، «البحر المحيط»: ٤/ ٤٣٤، ٧/ ٩٢ «هَمْع الهوامع»: ٢/ ٥٧ ونقل الأشموني أنَّ القراءة بها شاذة يُنْظر: «شرح الأشموني» ٣/ ٥٨٢.

(٥٩) ينظر في قراءته: «معاني القرآن»: ٢/ ٩٩ و «البحر المحيط» ٧/ ٩٢.

(٦٠) «هَمْع الهوامع»: ٢/ ٣٩ - ٤٠.

(٦١) «اللسان»: ١٣/ ٤٦٢ - ٤٦٣ (يمن).

عبدالله الطريقي والبترول والوطن

(٢)

ثانيًا: في الساحة الدولية: المجال الدولي والمجال الوطني، ساحتان مترابطتان رغم الحدود الفاصلة بينهما، لسببين: الأول يتعلق بطبيعة السوق حيث يستخرج النفط من دول ويصدر إلى دول أخرى تستهلكه، فالعالمية هنا جزءٌ من تكوين السوق. والسبب الآخر لأن معظم مؤسسات الإنتاج شركات دولية أجنبية. وهذا يفرض أيضًا عالمية في عقود الامتياز والإنتاج بين الشركات المنتجة للنفط والدولة المالكة له. واهتمام عبدالله الطريقي بقضايا التعاون الدولي كان نابعًا أساسًا من اهتمامه بالمجال الوطني المتمثل في رفع مستوى الدخل الحكومي من إيرادات النفط وزيادة مساهمتها في القرارات الاستراتيجية المتعلقة بشؤون النفط. يقول الطريقي في هذا المجال: (استغلت الشركات الاحتكارية جهل حكومات البلاد العربية وفرضت عليها بواسطة الحكومات الاستعمارية (التي كانت قد بسطت حمايتها على بعض الإمارات العربية) شروطًا مجحفة كان من نتائجها أنه في الفترة السابقة على العام ١٩٥٠ (١٣٦٩هـ) حين كان سعر البرميل من البترول الخام من الخليج العربي حوالي (دُولَارَيْن) وكانت تكلفة إنتاجه حوالي (١٥) سنتًا لم يكن ما يعطى للحكومات العربية من الأرباح يزيد في معدله عن ١٠ - ٢٠ سنتًا عن كل برميل). («مجلة البترول والغاز العربي» - ديسمبر ١٩٦٧ ص ٦ - رمضان ١٣٨٧هـ).

لقد وجد الطريقي من خلال بحثه المتواصل عن مداخل وثقوب توصله إلى أهدافه الوطنية المتمثلة في إعادة التوازن إلى معادلة تقسيم الدخل بين الحكومة والشركة، أنه حيثما يتجه يجد نفسه في دائرة محكمة مغلقة من الشركات البترولية العالمية المتضامنة، فازداد يقينه ورسخ إيمانه أن التحزب بين الشركات لن يقوى عليه إلا تحزب مثله بين الدول المنتجة للنفط. هذا الاتجاه الاستراتيجي للطريقي نحو العالمية من أجل توظيفها في خدمة الإقليمية والوطنية، يختلف عن الاستراتيجية التي يلاحظها الدارس لتاريخ السياسات النفطية الحديثة في الشرق الأوسط، التي أعطت العالمية مكان الصدارة على حساب القضايا والمسائل الوطنية

البترولية لا من أجلها. ولاشك أن للزخم الإعلامي الدولي وصحافة البترول الدولي دور هام في دعم هذا الاتجاه ونشره.

كان عبدالله الطريقي المدير العام لشؤون الزيت والمعادن في المملكة العربية السعودية المسؤول الفعلي عن هذا القطاع أمام جلالة الملك ورئيس مجلس الوزراء، يراقب عن كثب ما يحدث لإيران بعد أن أممت ممتلكات شركة البترول الأنجلو - إيرانية عام ١٩٥١ (١٣٧٠هـ) (سميت لاحقًا بريتش بتروليوم B. P)، حيث قاطعت جميع الشركات البترولية الغربية البترول الإيراني تضامنًا مع الشركة البريطانية وشلت حركة البلاد الاقتصادية، وسقطت حكومة مصدق الإيرانية عام ١٩٥٤م (١٣٧٣هـ) تجربة إيران كانت بالنسبة له مثالًا حيًا للقبضة التي تسيطر بها الشركات البترولية العالمية على السوق العالمية، والتي تضرب بها كل دولة منتجة تحاول الانعتاق من هذا الطوق الحديدي.

عقدت حكومة المملكة العربية السعودية في ٢٩ يونيو ١٩٥٣ (١٨ شوال ١٣٧٢هـ) مع الحكومة العراقية أول اتفاقية تعاون رسمية بين دولتين منتجتين للنفط. وقد استفادت الحكومة العراقية من اتفاقية التعاون مع المملكة فطالبت الشركات البترولية العاملة بالعراق بتطبيق اتفاقية المشاركة ٥٠ - ٥٠ المعمول بها في السعودية. وهكذا بدأت الاتفاقية السعودية تنتقل من دولة إلى أخرى حتى عمت دول المنطقة المنتجة للنفط.

وفي عام ١٩٥٥ (١٣٧٤هـ) رفض عبدالله الطريقي السماح لشركات البترول إجراء حسم على الأسعار لصالح الزيادة في الكميات المنتجة Volume Discount، والتي تصل إلى ١٨,٥٪ واعتبر ذالك مخالفًا لاتفاقية المشاركة. وقد نجحت المملكة في ذالك وألغت الحسومات على الأسعار وفي عام ١٩٥٨ طالبت العراق الشركات البترولية بتطبيق نفس المبدأ عليها، وإلغاء الحسومات التي تقتطعها الشركات من أسعار البترول العراقي.

وعلى المستوى المؤسسي العربي كان الطريقي نشطًا في تفعيل دور الجامعة

العربية لخدمة قضايا النفط العربي، ففي عام ١٩٥٤ (١٣٧٣هـ) قرر مجلس الجامعة العربية إنشاء مكتب خاص للبترول أصبح إدارة لشؤون الزيت عام ١٩٥٩ (١٣٧٨هـ). وقد قامت إدارة شؤون الزيت بصياغة الكثير من الاتفاقيات وإعداد الكثير من التقارير، ولكن هذه المساعي لم يكتب لها النجاح بسبب الصراع السياسي والأيدلوجي الذي كان مستعرًا في هذا الوقت، وهذه هي حال الحكومات العربية قديمًا وحديثًا خلافاتها السياسية و الأيدلوجية تجُبُ ما قبلها وما بعدها وتلغي كل مجال للتعاون وإن كان في ذالك التعاون فوائد جمة لمواطنيها.

أما على المستوى العالمي فقد بدأ التعاون وانطلق مع فنزويلا تلك الدولة البترولية الكبرى في القارة الأمريكية الجنوبية والتي تعمل بها شركات بترولية عالمية لها امتيازات وعمليات إنتاج في الشرق الأوسط أيضًا. لقد بدأت فنزويلا تحركًا من أجل تحسين ظروفها التعاقدية مع الشركات البترولية في نهاية الأربعينات، حتى استطاعت الوصول إلى مبدإ مناصفة الربح الصافي من مبيعات البترول مع الشركات البترولية. هذا المبدأ عُرف بمبدأ الـ ٥٠٪ والذي انتقل من فنزويلا إلى الشرق الأوسط عن طريق المملكة العربية السعودية، كما ذكرنا سابقًا.

بعد اكتشاف حقول النفط الكبيرة في المملكة بدأ نفط الشرق الأوسط يحتل مكانًا هامًا في سوق البترول العالمي في بداية الخمسينات. وحيث أن تكلفة إنتاج نفط الشرق الأوسط وخصوصًا العربي منخفضة التكاليف فقد قامت شركات البترول العاملة في فنزويلا بتخفيض سعر البترول الفنزويلي الذي تزيد تكلفة إنتاجه عن منطقة الشرق الأوسط، وذالك ليساوي سعر بترول الشرق الأوسط المنخفض بقرار من الشركات البترولية العاملة في الشرق الأوسط.

السعر الأمثل عندما يوجد منتجان أحدهما يتمتع بتكلفة إنتاج منخفضة والآخر بتكلفة إنتاج مرتفعة هو السعر المساوي لتكلفة المنتج الحدي أي المنتج ذو التكلفة العالية، خصوصًا عندما تكون مصالح الشركات البترولية في الشرق الأوسط وفنزويلا مترابطة وليست متنافسة، وهذا يعني إبقاء سعر البترول الفنزويلي على ما هو عليه

ورفع سعر بترول الشـرق الأوسط إلى مستوى سعر البترول الفنـزويلي. وبذالك يحقق البتـرول العربي ربحًـا أعلى من نظيـره الفنزويلي. وتـزداد بـذالك نسبة الأربـاح على مبيعات البتـرول السعودي فتستفيد الشـركات وتستفيد الـدولة. ولكن بما أن شـركات البترول العالميـة تولي أهمية أكبر لمصـالحها ومصالح دولها، لـذا، فإنها عمدت إلى تخفيض سعر البتـرول العربي وتخفيض سعـر البترول الفنزويلي معـه. هذه السيـاسة السعرية تخـدم مصالح الشركات ودولها الغـربية المستهلكة خصوصًـا إذا أخذنا في الاعتبار أن الشـركات التي تشتري البتـرول الخام بهدف تكـريره وبيعه هي الشـركات الأم في الـولايات المتحـدة والدول الغـربية المـالكة للشـركات البتـرولية في الشـرق الأوسط وفنزويلا.

وبعد طـول عناء ومعـاناة مـع الشركات البتـرولية رأت فنـزويلا أن مـن مصلحتها القيام باتصال مباشر مع حكـومات الدول المنتجة للنفط في الشرق الأوسط، للتفاهم حول قضيـة تخفيض الأسعار من قبل الشـركات العالميـة التي بدا أنهـا تستخدم كل ظـرف لضرب مصـالح الطرف الآخـر. فأرسلت بعثة من المسـؤولين الفنزويليين عـام ١٩٤٩ (١٣٦٨هـ) لـزيارة المنطقـة والاتصال بالحكـومات والمسـؤولين عن البترول فيها ومنهـا المملكة العـربية السعـودية. وفي صيف عـام ١٩٥١م (١٣٧١هـ) دعت فنزويلا وفودًا من الدول العربية المنتجة للنفط وإيران، لزيارتها.

لم يجـد الفنـزويليـون القـادمـون إلـى منطقـة الشرق الأوسط بحثًـا عن التعـاون والتضامن بين الدول المنتجة للنفط حماسًا ودعمًا لمشروعهم مثل الذي وجدوه لدى الشاب السعودي عبـدالله الطريقي، العائد لتوه إلى أرض الـوطن بكل الأمل والإصرار على إعادة تنظيم العـلاقة بين الشركـات والدول المالكـة للنفط التي سادت في وقت لم يكن لدى الحكومـة كفاءة وطنية تساعدها على فهم أسـرار تلك الصناعة ولم تكن لديها المـادة التي تغنيها عن الحاجة إلـى ذالك المبلغ الزهيد الذي دفعتـه الشركات ثمنًا لامتياز هو الأكبر في العالم.

ينقل فهـد بن عبدالعـزيز الكليب في كتـابه «علماء وأعـلام وأعيان الـزلفي»، عن

عبدالله الطريقي قوله: (إن الهدف من التحاقي بكلية العلوم هو خدمة وطني بما أن البترول هو الثروة الطبيعية التي أنعم الله تعالى بها على المملكة).

وكما لعبت شخصية الطريقي الوطنية واستراتيجيته البترولية الهادفة إلى إعادة التوازن للعلاقة بين الشركات العالمية والحكومات، فإن شخصية (بيريز الفونسوا) وزير الطاقة الفنزويلي لعبت هي الأخرى دورًا مماثلًا. لقد التقى الرجلان على ذات المبدإ والهدف، فاندفعا في دعم العلاقة التعاونية بين بلديهما بشكل خاص وبين المنطقتين الأمريكية الجنوبية والشرق الأوسط بشكل عام وجوانب هذا التعاون كثيرة، منها على سبيل المثال تبادل كبار الموظفين للعمل في كل من وزارتي البترول السعودية و الفنزويلية، فقد أوفد الطريقي كلًا من الأستاذ هشام ناظر والأستاذ محمد جخدار من موظفي وزارة البترول السعودية آنذاك للعمل في وزارة البترول الفنزويلية لمدة عام أو حوله للاطلاع على نظام العمل وأسلوبه هناك وجاء بالمقابل إلى وزارة البترول السعودية موظفون من وزارة البترول الفنزويلية لنفس الغرض.

في السادس من شهر فبراير ١٩٥٩ (٢٨ رجب ١٣٧٨) أجرت شركة (شل أويل Shell OIl Co.) وهي إحدى شركات البترول العالمية العاملة في فنزويلا تخفيضًا للأسعار يتراوح ما بين خمسة إلى خمسة عشر سنتًا للبرميل الواحد. وفي الثاني عشر من نفس الشهر ١٩٥٩ (٥ شعبان ١٣٧٨)، قامت شركة (بريتش بتروليوم British Petrileum Company) وهي شركة بترول عالمية أخرى تعمل في الشرق الأوسط بإجراء تخفيض في أسعار البترول الكويتي والإيراني والقطري بنسبة تزيد على ذالك التخفيض الذي قامت به شركة (شل أويل) في فنزويلا. وبعد شهر واحد خفضت شركة (شل أويل) العاملة في فنزويلا سعر البترول الفنزويلي مرة أخرى ليوازي ذالك التخفيض في الأسعار الذي أجرته شركة (بريتش بتروليوم) في الشرق الأوسط.

وفي الشهر ذاته فبراير ١٩٥٩ (شعبان ١٣٧٨هـ) تقدمت فنزويلا باحتجاج إلى الحكومة البريطانية التي تملك ٥١٪ من أسهم شركة (الزيت البريطانية) تدعوها فيه مساعدتها على وقف ما تقوم به الشركة من تخفيض لأسعار البترول في الشرق الأوسط الذي أثر بشكل سلبي على أسعار البترول الفنزويلي، ولكن الحكومة

البريطانية و(شركة البترول البريطـانية) لـم تُعِيْرَا هذا الاحتجاج أي انتباه أو تقيما له أي وزن بدليل استمرار الشركات في إجراء المزيد من التخفيضات.

عقد المؤتمر العربي الأول للزيت (First Arab Oil Congress) في القاهرة في شهر إبريل من عام ١٩٥٩ (رمضـان ١٣٧٨ هـ) ودُعيت إليه فنزويلا وإيـران كمراقب، وقد لعب عبدالله الطـريقي الذي رأس وفد المملكة إلى هـذا المؤتمر دورًا هامًـا وأساسيًا في دعم المـوقف الفنزويلي المطـالب بالتعاون بيـن الدول المنتجة للحـد من تسلط الشركات البترولية وعدم اهتمامها بـالأضرار الاقتصادية المترتبة على قيامها بتخفيض أسعار البتـرول. وشكل المؤتمرون لهـذا الغرض لجنـة استشارية لشـؤون الزينت (Oil Consultative Commission) شـاركت فيهـا إيران وفنـزويـلا والـدول العربيـة المنتجـة للنفط والجـامعـة العـربيـة للنظر فـي إمكانيـة العمل الجمـاعي للـوقـوف في وجـه الشـركـات. ولكن اللجنـة لم تنجح في الـوصول إلـى قرارات هـامـة بسبب الصــراع السياسي آنـذاك بين الجمهورية العربيـة المتحدة بزعامـة الرئيس جمال عبدالنـاصر، وبعض الدول المشاركـة في اللجنة مثل إيران الشاه، وعراق عبدالكـريم قاسم. وأمام فشل مشروع التعاون بين الدول المنتجة للنفط التي أعمتهـا أهدافها السياسية الضيقة عن رؤية الأهداف الاقتصـادية الكبرى، استمرت شركـات النفط الدولية في تخفيض أسعار النفط العربي والفنزويلي الواحد تلو الآخر.

وأمام هذا التحدي السـافر من قبل شركات البترول العالميـة للمصالح الاقتصادية القومية للدول المنتجة للنفط، كان الطـريقي قطب الحركة المضادة لتسلط الشركات البترولية في المنطقة العربية والشرق الأوسط، يتبـادل الرأي مع زميله الوزير الفنزويلي (بيـريز الفـونسوا) فيمـا يجب عملـه. وفي الثالث عشـر من شهـر مايـو ١٩٦٠ (ذو القعـدة ١٣٧٩ هـ) أطلق الاثنـان دعـوة للدول المنتجـة للنفط لتبني سيـاسـة بتروليـة مشتـركة تحمـي مصالح الـدول المنتجـة والمستهلكـة وتضع حدًّا لتسلـط شركـات البترول العـالمية على سيـاسة الإنتاج والتسعيـر من جانب واحـد وتوقيف استهتـارها بالأضـرار الاقتصاديـة التي يعاني منهـا الوطن والمـواطنون من جـراء تخفيض أسعار البترول وإيرادات الحكومة منه.

الشركات البترولية لم تعبأ بهـذا النداء بل على العكس من ذالك وقفت منه موقف التحـدي، وأمرت بتخفيض جـديـد لأسعار البتـرول في الشـرق الأوسط في أغسطس ١٩٦٠ (صفـر ١٣٨٠) وصل إلى ٦٪. وأمام هـذه الغطـرسة والتحـدي من شركـات البتـرول العـالمية كـان على وزيـر البتـرول والمعـادن السعودي عبـدالله الطـريقي أن يتحرك، وأدع الكلام لـه كي يحدثنا عماجرى في ذالك الوقت، يقـول رحمه الله: (بعد أن قـامت الشركـات مـرة أخـرى بتخفيض أسعار البتـرول في شهـر أغسطس ١٩٦٠ (صفر ١٣٨٠) قررت حكومات البلاد المنتجة والمصدّرة للبترول أن تعمل معًا لوقف تلاعب الشركات العاملة في بلادها فهذه الشركات قد أقدمت على تخفيض الأسعار تدفعها مصـالح شخصية وقومية ولـذالك لابد من اتخاذ تدابيـر تحمي مصالح البلاد المنتجة. وقـد أبرق كاتب هـذه السطور (والحديـث هنا لعبدالله الطـريقي) إلى وزير النفط الفنزويلي متسائلًا عن المـوقف الذي ستتخذه حكومة فنزويـلا إزاء الشركات. فجـاء الرد بأن فنـزويـلا تـؤيد مـوقف المنتجين في الشـرق الأوسط ولن تـوافق على تخفيض أسعـار صادراتهـا. وفي نفس الوقت تلقيت بـرقية من الشيخ جـابر الأحمـد الصباح وزير ماليـة الكويت يطلب فيها توحيد موقف الحكـومات المصدرة للبترول، وبعد ذالك اتصلت بحكـومة العراق وطلبت الـذهاب إلى بغداد وقد وافقت حكـومة العراق على توجيه دعوة لكل من إيران وفنزويلا والكويت والمملكة العربية السعودية وقطـر (التي حضرت كمـراقب فقط) لـلاجتمـاع في بغـداد في شهر سبتمبـر ١٩٦٠ (ربيع الأول ١٣٨٠) وتقـرر في هـذا الاجتمـاع تنفيـذ فكـرة منظمـة الـدول المنتجـة والمصدرة للبترول. وفعلًا تم تكوين هذه المنظمة..

ويقـول في عـام ١٩٦٥ (١٣٨٤ - ١٣٨٥هــ)، بعـد مضي خمس سنـوات على تأسيس (الأوبك) وفي نفس المقال: (وهكـذا نرى أن المنظمة منذ إنشـائها في شهر سبتمبـر ١٩٦٠ (ربيع الأول ١٣٨٠) حتى اجتمـاع طرابلس في ليبيـا لم تحقق شيئًـا مهمًّا من أهدافها ولكنهـا حققت شيئًا مهمًّا جدًا وهو وجودهـا نفسه. فلو أن المنظمة لم تنشأ لربما كـانت خسارة البلاد المنتجة والمصـدرة للبترول لا تقل عن ألف مليون من الـدولارات وذالك لأن إنشاءهـا جعل الشـركات المستغلـة للبتـرول وحكومـات

البلاد المستهلكة تـوقف ضغطها لتخفيض البترول الخام ممـا جعله يثبت على الحد الذي وصل إليه في عام ١٩٦٠ (١٣٨٠).

ويقول في نهاية المقال: (إن تماسك أعضـاء المنظمة والمثابرة على العمل سوية كفيل بأن يحفظ مصلحة جميع المنتجين، كما أن زيادة الطلب العالمية على الموارد البتروليـة في المستقبل كفيلـة بأن تعطي للجميع فرصـة لتطويـر إمكانيـاتها البتـرولية بشكل يحقق مصالحهـا الوطنيـة). («مجلة البترول والغـاز العربي» - نـوفمبر ١٩٦٥ ص ١٣ - رجب ١٣٨٥هـ).

منظمـة الدول المنتجـة والمصدرة للبتـرول - أوبك - التي بـذر فكرتهـا واستنبت كيانها من أرضيـة سياسية متناقضـة في الدول المنتجة للبترول عبـدالله الطريقي وزميله الوزيـر الفنزويلي (السنيور جـوان بابلو بيـريز الفونسـو) قلبت العلاقات البتـرولية بين الـدول المنتجة وشـركـات البترول رأسًـا على عقب. انتـزعت للـدول حقوق السيـادة المطلقة على الإنتـاج والأسعار من أيـدي الشركـات فلم تعد قـرارات رفع الأسعار أو خفضها وزيادة الإنتاج أو الحد منه خاضعة لإرادتهـا توجهها حيث ما تكون مصالحها ومصـالح دولهـا دون اعتبـار لمصـالح الـدول المـالكة للبتـرول أو تقـديـر لظـروفهـا الاقتصادية. ولكن هل أحسنت الحكومات الوطنية صنعاً ورشدت قرار السعر والإنتاج ورفعت المصلحة المشتـركة الكبرى لها مجتمعـة فوق المصلحة الفرديـة الآنية؟ وهل غلّبت الاستغلال الأمثل للثروة الـوطنية الذي تعتمد عليـه رفاهية مواطنيهـا الاقتصادية في حاضرهم ومستقبلهم، على المصالح السياسيـة والشخصية الضيقة؟. هذه وغيرها أسئلة سيجيب عليها التاريخ، وخوفي أن تكـون معظم الإجابات نفيًا والمحصلة سلبًا، ولكن مهما كانت النتيجة، فإن تحرير القـرار الاقتصادي لموارد الأمة الاستراتيجية من الإرادة الأجنبية إلى الإرادة الـوطنية، يظل هـدفًا يسمـو فوق كل الأهـداف، لأنه يتعلق بـالسيـادة الـوطنيـة. هـذا الإنجـاز وحـده كـافٍ لكي يبقى اسم وتـاريخ وزيـر النفط السعودي الأول عبدالله الطريقي حاضرًا في ذاكرة بلاده وأمته جيلًا بعد جيل.

عاد عبدالله بن حمـود الطريقي إلى وطنه عام ١٩٤٨ (١٣٦٧هــ)، ووطنه في أشد الحـاجـة إلى مـواطن متعلم مخلص تُـوكل إليه شـؤون الـزيت وتنظيم العـلاقـة مع

شركـات البترول العـالمية، فـوجدت حكـومة المملكـة العربيـة السعودية في الـرجل مطلبها وسلمته الزمام، فأصبحت شريكة في العطاء لأنها صاحبة القرار.

الطريقي من جانبه عاد وهو في أشـد الشوق للعمل والعطاء الوطني، المعرفة التي أخذهـا من مصادرهـا العلمية، والوطنيـة المؤسسـة على الأمانة الأخـلاقية والمـالية، كانت مبـادئه ومرتكزاته، لـم يكن من أصحـاب (الأيدلوجيات) اليمينيـة أو اليسارية، المستوردة أو المهجَّنة رغم انتشارها ورواج سوقهـا آنذاك، بل كان وطنيًا مخلصًا لأهله وأمته جدول أعماله من حاجة بلاده، وسياساته لصالح وطنه.

أُحيل إلى التقـاعـد في سبتمبـر من العام ١٩٦١ (ربيـع الثاني ١٣٨١ هــ)، ولـو توقفت عقارب الساعة عند هذا الزمن لكفاه ما قدمه. لكن تغيير المواقع والألقاب لـم يقعده ولـم يثنـه من عزمـه، فما كف عن العطـاء وما سـاوم على المبادئ. قـدم الرأي والمشورة لمن طلبها في الكـويت وأبو ظبي والعراق وسوريا وليبيا والجـزائر، زعامات متنوعة، وأيدلوجيات مختلفة، أما بالنسبة له فجميعهم عرب.

لم يكن (راديكـاليًا) لا يعترف بـدور الشركـات الأجنبية ومسـاهماتهـا ولا بأهمية رأس المـال الأجنبي وحقـه في الربح والأمان ولـم يكن من الرفاق وبـائعي الشعارات ولم يخرج عن الصـراط لكي يعود إليـه، بل كان ثابتًـا على صراطـه الوطني المستقيم رغم كل الزوابع والرياح.

فَلْنَقرأْ مَعًا مـا كتبه الطريقي في مقال له عن سيـاسة ليبيا البترولية في شهـر أكتوبر عام ١٩٦٥ (جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ).

أولًا: إنني اعتبر أن البترول الليبي ملك خالص للشعب العربي في ليبيا، ويجب أن تذهب جميع الفوائد التي تنتج عن استخراجـه إلى هذا الشعب، بعد أن يسمح لرأس المـال الأجنبي باستـرداد جميع المصـاريف التي تكبدهـا للعثـور على هذا البتـرول وتطـويره وإنتـاجه ثم تصـديره. يضـاف إلى كل هذا ربح معقـول على هذه الأمـوال المـوظفة يضمن استمـرار تـدفق رأس المال الأجنبي إلى ليبيا ومسـاعـدة حكومتهـا الموقرة في تطوير إمكانيات البلاد الأخرى.

ثانيًا: إن ماهـو في مصلحة الشعب الليبي هو في مصلحـة الأمة العربيـة كلها من محيطها إلى خليجهـا. وأن أي خير يصيب شعب ليبيا تستفيـد منه الجماهير العـربية في كل مكان. كما أن أي غبن يقع على الشعب الليبي نتيجـة لتطبيق شروط امتيازات مجحفة بحقوق العرب في ليبيا يضر المصالح العربية كلها في المدى الطويل.

ثالثًا: إننا ونحن نكتب هـذا الكلام نريد أن يتـأكد إخواننا في ليبيـا أن دوافعنا هي مصلحة ليبيا وشعبها البـاسل، وأننا لسنا غرباء عن هذا الشعب المكـافح، فقد قدمنا النصيحة لحكومة ليبيا عندما كـانت لا تملك ذهبًا ولا فضة، ونحن نقدمها الآن بدون ذهب ولا فضة لنفس السبب وهو أن شعب ليبيا شعب عربي ونحن عرب.

وقـد قلنا فـي الماضي أنـه يجب على الحكـومـة التساهل إلى أبعـد الحـدود مع الشركـات الأجنبية وإعطـاء هذه الأخيـرة الفرص المنـاسبة والتشجيع الـدائم للبحث والتنقيب عن الرواسب البترولية في الصحراء الليبيـة. وبعد اكتشاف البترول واسترجاع رأس المال الموظَّف تفرض الحكومة الليبية شـروطًا عادلة تضمن استمرار بقاء الخبرة الأجنبية وتحفظ لليبيا الفوائد التي يجب أن تجنيها من ثرواتهـا الطبيعية، كما أننا نريد أن نقول لإخـواننا الـذين جعلوا من أنفسهم حـراسًا للمصـالح الأجنبية في ليبيـا وفي بعض البلاد العربيـة الأخرى: إن أصحاب رأس المال وكذالك حكـومات البلاد التي يأتي منهـا هذا الـرأسمال الأجنبي قـادرة كل المقدرة على القيـام بهذه المهمـة، وأن الثـروات البتروليـة في الوطن العـربي مِلْك خالص للشعـوب العربيـة، ولو أرادهـا الله ملكًـا للشعـوب التي تملك رأس المـال والخبـرة لأوجدهـا في بـلادهم فـلا تعطـوا الأجانب أكثر مما أعطاهم الله.

رابعًا: نحن نؤمن بـالقول الذي معناه: (إن أهـل مكة أدرى بشعابها) ولكننـا نؤمن أيضًا بالحديث الشريف الذي معناه «أشقى الناس من أخذ تجاربه عن نفسه».

وعليه فليسمـح لنا إخوتنـا في ليبيـا بعد هذه المقـدمة الطـويلة أن نضع أمـامهم تجارب الدول العـربية المنتجة والمصدرة للبترول وكذالك تجـارب الشعوب الأخرى التي سبقتهم في هـذا المضمار، والتي عـانت كثيـرًا من مغالطـات شـركات البتـرول

العالمية، لعل ما سنقدمه هنا يساعـد إخواننا على وضع الأمور في نصابها والمحافظة على ثـروة شعب ليبيـا البتـرولية التي أودعهـا الله أرضهم لا لمصلحـة هـذا الجيل من الليبيين فقط بل ولمصلحة الأجيـال القادمة. («مجلـة البترول والغاز العربي» أكتـوبر ١٩٦٥ ص ٤ جمادى الآخرة ١٣٨٥).

وفي حـديث أجريتـه مع زميله الـدكتـور نقولا سـركيس، الذي كـان يشاركـه إدارة المكتب العربي للـدراسات البترولية في بيـروت، ويرأس تحرير «مجلـة البترول والغاز العـربي» قال لي:- (لقـد كـان رحمه الله مثـالًا للوطنيـة والإخـلاص، وقد كـان يتمتع باحترام جميع المسؤولين عن الشؤون البترولية في الـدول العربية، باختلاف توجهاتهم السياسية، شـاركت معه في حل قضايـا بترولية عربيـة باختلاف توجهاتهـم السياسية، شاركت معـه في حل قضايـا بتروليـة عربيـة كتلك التي نشبت بين العراق وسـوريا في صيف عام ١٩٧٢ (١٣٩٢هـ) عندما تنازعا على رسوم (الترانزيت)عن أنبوب البترول العراقي المار عبر الأراضي السورية. وشاركته في تقديم المشورة للحكومة الليبية أثناء صراعها مع شركات البترول العالميـة عام ١٩٧١ (١٣٩١هـ) وعملنا سويًا في الجزائر مستشارين لقضـايا البترول. لم تكن المـادة معبودةُ أو مطمعه، فهموم الـوطن والعرب كانت قضيته الأولى ومركز اهتمامه، هموم تلازمه أينما كان وتشغل فكره في كل زمان).

الحركـة الوطنيـة للسيطرة على الثروةالبتـرولية للبـلاد المنتجة للنفط تلقت ضـربة قاضيـة على يد شـركات البترول العـالمية ومن ورائها الـدول الغربيـة المستهلكة في المعـركـة التي استهـدفت تأميـم شـركـة البتـرول (الأنجلـو - إيـرانيـة) عـام ١٩٥١ (١٣٧٠ هـ) وانتهت بسقوط حكـومـة مصدق الإيـرانيـة عام ١٩٥٤م (١٣٧٣هـ). عبدالله الطـريقي أعاد بنـاء قواعد الحـركة الوطنيـة وأسس مدرستهـا على مبادئ أقل (راديكاليـةً) وأكثر عقـلانية وواقعيـة، أقام مبدأ السيـادة الوطنيـة على الثروة البتـرولية وثبتـه، ولكنـه لم يلغ حق الشـركات العـالميـة في الاستثمـار والربح. احتـرم العقـود الموقعـة مع الشركـات ولكنه طـالبها بالأمـانة والصـدق في التطبيق. اعترف بشـرعية اتفاقيـات الامتياز الموقعة ولكنـه طالب بحق السيادة للدولـة في سن الضرائب على

المـواطنين والأجانب أفـرادًا وشركـات وإعادة النظـر في الاتفاقيـات لذا فإن عبـدالله الطريقي يعتبر بحق مؤسس المدرسة الوطنية في الفكر البترولي العربي.

كـان سلاحـه في شق هذا الطـريق وإقـامة هـذا البنيان، القـانون الـدولي ومنطق العـدالـة. يطلب الخبرة المـؤسسـة على الإخـلاص والأمانـة، أينمـا كـانت لتأسيس وتحقيق مصلحة بلاده. حاجَّ الشـركات الأمريكية المدعوة إلى مـؤتمر البترول العربي الثاني في بيـروت عام ١٩٦٠ (١٣٨٠هـ)، وطالبهـا باسم الوفد السعـودي منطلقًا من مبادئ القانون الـدولي بالاعتراف بقوة السيادة الوطنيـة على نصوص العقد المبرم بين الشركة والحكومة إذا كان الأمر يتعلق بالمصـالح الوطنية. راجع القيود والدفاتر ودقق الحسابـات والتكاليف من أجـل الوصول إلى تقـدير صحيح وسليم لحجـم الأرباح الصافية التي تتقاسمها الدولة والشركة، فكشف حسومات كانت تقدمها شركة الزيت العربية الأمريكيـة لشركاتها الأم على حساب ضريبة الدخل السعـودية، فأوقفها وأعاد الأموال لخزينة الدولة.

وأنا أبحث عن أعمال الرجل في زوايا ذاكرة الرجال التقيت بأحد الذين عملوا مع الطريقي زمنًـا طويلًا وسألتـه عن ما يحمله فـي الذاكرة عن ذالك الـزمن البعيد. رفع حاجبيه وأطلق نـاظريه إلى الفضاء البعيد كـأنه يرصد شيئًا في سمـاء التاريخ، فقال: لقد كـان زمانه كلـه عطاء، أذكر منه قصـة ميناء صيدا. قلت ومـا هي؟ قال: (أسست شركـة أرامكو عام ١٩٤٨ (١٩٦٧هـ) شركة (التـابلاين) لنقل الزيت السعـودي عبر الأراضي السعودية والأردن وسـوريا إلى ميناء صيدا في لبنان، وقد وجـد الطريقي بعد القيـام بمراجعـة حسابـات الشركـة أن هنـاك أرباحًـا تتحقق من عمليات النقل عبـر الأنـــابيــب مقارنة بالنقل البحري من ميناء رأس تنورة إلى صيدا، وبما أن اتفاقية الشراكة بين الحكـومة والشركة تـوجب تقاسمهما للربح الصـافي مناصفة، وحيث أن شـركة التـابلاين وإن كـانت مملوكـة للشركـات الأمريكيـة فإن عملياتهـا تتعلق بنقل البترول السعودي الذي يمر معظمه بالأراضي السعـودية، فقد طلب الطريقي من شركة الزيت العـربية الأمـريكية (أرامكـو) أن تدفع الـربح المستحق للحكومـة من عمليات

شركة التابلاين بأثـر رجعي لمدة عشر سنوات ١٩٤٨ - ١٩٥٨ (١٣٦٧ - ١٣٧٧هـ) لم توافق الشـركة على طلب وزيـر البترول السعودي ودخل الطـرفان في حوار قـانوني ظل قـائمًا لسنوات طـويلة حتى انتهـى في نهايـة المطاف لصـالح المملكة العـربية السعودية).

وفي حديثٍ آخر مع أحـد كبار موظفي وزارة البترول ورد اسمه ضمن قـائمة أسماء الطلبـة السعـوديية الـذين ابتعثهم الطـريقي وزيـر البتـرول للـدراسة في الجـامعـات الأمريكيـة تهيئة لالتحاقهم للعمل في مؤسسـات البترول الحكومية، قلت لـه: أخبرني كيف تم ابتعـاثك، فقال: (كنت طـالبًا في بيـروت عام ١٩٥٧ (١٣٧٦ - ١٣٧٧هـ) عندمـا علمت بمقدم الأستاذ عبـدالله الطريقي إليها فـذهبت إليه في فندقـه وقلت له: إنني شـاب سعــودي في المـرحلـة الأخيــرة من دراستي الثـانـويــة، وأرغب دراسـة (الجيولـوجيا البترولية) فحيـاني وشجعني، وكتب لي عنوانه في جدة، وقـال لي: حال انتهاء دراستك أرسل إليّ بشهـاداتك ودرجاتك. وهذا مـا فعلت بعد ثلاثـة شهور من مقابلتي لـه. ومرت ثـلاثة أسـابيع ولم يأتني رد، فذهبت إلى جـدة وقابلته وسـألته عن حـال طلبي فقال: كتبنـا لثـلاث جامعـات أمريكيـة نبحث لك عن قبـول، ونحن في انتظار الـرد. ثم أمر لي بتذكـرة ذهاب وإياب إلى حيـث يقيم الأهل، وقال لي: اذهب لـزيـارة أهلك وسنبـرق لك حـال وصول الـرد، ولم يمضِ أسبـوعُ إلَّا والبـرقيـة تصلني وتطلب حضوري، وكنت قد سبقتها بيـوم إلى جدة، وفي غضون أيام أُكملت لي جميع إجراءات سفري، وكنت في طريقي إلى الجامعة في الويات المتحدة الأمريكية).

رُويت لي في هذا المجال قصص كثيرة، وأرقـام كبيرة عن الطلبة السعوديين الذين تم ابتعـاثهم للدراسـة والتخصص في علـوم البترول المختلفـة من أجل تعريب هـذه الصناعـة الوطنيـة، ونقلها مـن أيْدٍ أجنبيـة إلى أيدٍ سعـودية مـدربة مـؤهلة. لقـد كان للطريقي رأي وأسلوب في السعودة يقوم على بنـاء الإنسان علميًّا وفنيًّا كمدخل وشرط أسـاسي لحقه في الـوظيفة فيكسب رزقـه بجده واجتهـاده لا بثوبـه وعقالـه. فيصبح المواطن منتجًا ويصبح الوطن كبيرًا.

الخاتمة: هذه الورقة الصغيرة لا تكفي لاستيعاب التاريخ الكبير لعبدالله بن حمود الطريقي، إن هي إلَّا خطوة متواضعة لتوثيق تاريخ هذا المواطن والمسؤول الذي أثبت في هذا الزمن أن للمواطنة الحقة أهلها، وللأمانة والأخلاق العليا سدنتها، لا يثنيهم عن مبادئهم قوة قاهر، ولا يصدهم عنها إغراء مقتدر.

يا صديقي وصديق كل مواطن، أحب هذه البلاد بصحرائها وجبالها وسهولها ووديانها ومدنها وموانئها قبل بترولها ومالها، يا من أعدت إلى هذا الوطن الكثير من حقوقه التي سلبتها شركات البترول العالمية، وأعدت إلى الدول النفطية سيادتها على ثرواتها، ويا من أطلقت في عالم البترول صوتًا لا يزال صداه يقرع الآذان الصم. خرجت من الدنيا زاهدًا بجاهها ومالها، صامتًا، وفي صمتك نسمع نداء يدوي وصوتًا يعلو يشحذ الهمم من أجل الوطن، نداء ما توقفت عن الجهر به، أينما كنت وكيفما كنت. لك في قلوب من عرفوك شخصيًا أو عرفوا أعمالك المكانة العليا ولك في جوف التاريخ الوطني صفحات مشرقة، لابد هو كاتبها، ولابد للأجيال أن تعرفها.

تغمدك الله بواسع رحمته وأسكنك فسيح جناته.

الرياض: د. عبدالعزيز بن محمد الدُّخَيِّل

العرب:

١ - استأذنت مجلة «العرب» من الأستاذ الكريم الدكتور عبدالعزيز في نشر هذا المقال فأذن بذالك مشكورًا.

٢ - استوضح رئيس تحرير المجلة من الدكتور عبدالعزيز بما نصه:

١ - وقفت عند ما جاء في مقالكم من أن الطريقي - رحمه الله - ولد عام ١٩١٨م وأول هذه السنة يوافق من السنة الهجرية (١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٦)، ونهايتها يوافق (٢٨ ربيع الأول عام ١٣٣٧) ومع أن هذا التاريخ يوافق ما أخبرني به نفسه - رحمه الله - من أنه ولد سنة الرحمة (١٣٣٧) ومثل هذا ما ذكره أحد الكُتَّاب في جريدة «اليوم» بعد وفاته، إلا أنني أبديت شكي في هذا، فالمرء يميل دائمًا إلى تنقيص سني عمره، وأنا أراه ولد قبل هذا بفترة قد تبلغ ثماني سنوات، ذالك أنه -

رحمه الله - ابتُعِثَ في أول بعثة إلى القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ فهو على ما ذكر من تاريخ ولادته يكون سنه إذ ذاك نحو عشر سنوات، وليس من المعقول أن يكون من بين تلك البعثة المختارة من قبل ديوان الملك عبدالعزيز من هو بمثل هذه السن، فأنا أراه إذ ذاك قد تجاوز سن البلوغ أمثال زملائه في تلك البعثة عبدالعزيز بن إبراهيم بن محمد بن معمر ويوسف بن إبراهيم الهاجري ومهنا المعيبد، ولا أدري على مَ عَوَّلْتُمْ في تحديد هذه السن. أكون شاكرًا إيضاح هذا لي.

٢- مثل هذا ما ذكر أحد من كتب عنه في جريدة «اليوم» بأنه سافر إلى الهند للتجارة، وقد يكون سافر مع أبيه إلى الهند وهو صغير حيث التقى أبوه بشيخ التجار العرب في ذالك العهد الشيخ محمد الفوزان وهو دوسري من القبيلة التي ينتسب إليها الطريقي، فلعله هو الذي توسط لضمه للبعثة التي اقترحها هو أيضًا.

فأفضل بهذا الجواب:

١- بالنسبة للسنة التي ولد فيها المغفور له عبدالله الطريقي وهي عام ١٩١٨م كما جاء في البحث، فمصادري التي استقيت منها هذه المعلومة هي ما نشر في الصحافة، والذي وجدته مأخوذًا عن كتاب «أعلام وأعيان الزلفي» لمؤلفه - فهد بن عبدالعزيز الكليب، لذا فإنه يبدو لي أن كل المصادر تعود في أصلها إلى ما ذكره المرحوم عن سنة ولادته والتي أشرتم في ملاحظاتكم أنه ذكرها لكم أيضًا. وإنني اتفق من الناحية المنطقية والتسلسل التاريخي مع ملاحظتكم بأن المرحوم قد يكون ولد في سنة متقدمة عن السنة التي ذكرها.

٢- وبالنسبة لسفره إلى الهند فقد رأيت في بعض المصادر رأيًا يتفق مع رأيكم وهو أن سفره كان بصحبه والده. أما ما ورد عن تجارته في الهند فإنني أعتقد أنها لا تعدو أن تكون تحويرًا قصد به رفع المكانة لعمل كتابي أو ما شابهه كان يقوم به لصالح شيخ التجار العرب في ذالك الوقت الشيخ محمد الفوزان. انتهى.

وآمل أن أتحدث بكلمة مفصلة عما أعرفه عن الأستاذ الطريقي، فقد عرفته طالبًا في البعثات، ثم بعد أن تولى أول عمل له في (الظهران) وكنت إذْ ذاك رئيسًا لمراقبة التعليم في المنطقة، وقويت صلتي به، ونشرت له أول مقال في مجلة «اليمامة» بعنوان (أين نحن مسوقون) كان له من التأثير ما أثار كثيرًا من التساؤل.

أطعمة أهل البادية في شبه جزيرة العرب
وأثر ظهور الإسلام فيها

(٢)

تحضير اللحم وإعداده للأكل: تحدث الشعراء عن تحضير أهل البادية اللحم وإعداده للأكل، فذكروا الزناد التي كانوا يقدحونها ليتطاير الشرر منها في الحطب، ولا يزالون يقدحونها حتى توري النار ويشتعل الوقود، ويكون إشعال النار أكثر صعوبة إذا كان الوقود مبتلًا، ويفتخر أهل البادية بكثرة الحطب لإنضاج الطعام، ومن أنواع ما ذكروا من اللحوم المعدة للأكل ثلاثة هي: اللحم الشواء، واللحم المحنوذ واللحم المطبوخ.

فأما اللحم الشواء فيكون تحضيره بتعريض اللحم مباشرة للنار حتى ينضج، قال أبو ذؤيب[١].

فكأن سفُّودَيْنِ لمّا يُقْتَرا ... عَجِلا له بشواءِ شَرْبٍ ينزعُ

وقال عمرو بن شأس الأسدي[٢]:

وإني لأشوي للصحاب مطيتي ... إذا نزلوا وحشا[٣] إلى غير منزل

وأما اللحم المحنوذ فهو الذي يتم تحضيره بوضع الحجارة المحماة عليه من فوقه، ويظل يوقد عايه حتى يتم نضجه، فهو لحم حنيذ.

قال أبو الهندي[٤]:

ولحم الخروف حنيذًا وقد ... أتيت به فاترًا في الشبم

وقال بعض الأعراب[٥] يذكر الضب المحنوذ:

فأصبح محنوذا نضيجا وأصبحَتْ ... تمشّى على القيزان[٦] حُولًا حلائله

وروى عوانة بن الحكم، أن عبدالملك بن مروان صنع طعامًا كثيرًا طيبًا ودعا الناس إليه فأكلوا، فقال بعضهم: ما أطيب هذا الطعام وما أظن أحدًا أكل أطيب منه؟ فقال أعرابي من ناحية القوم: أما أكثر فلا، وأما أطيب فأنا قد أكلت أطيب منه، فطفق

القوم يضحكون منه، فأشار إليه عبدالملك فدنا فسأله عن أطيب ما أكل؟ فذكر إنه اصطاد أتانا وحشية، ثم جمع حطبا جزلًا ورضفًا وألقى الصيد فيه، وأشعل الحطب عليه وتركه ونام، فلما استيقظ وجده قد نضج فأقبل يتناول الشحمة واللحمة بالتمر، فقال له عبدالملك: لقد أكلت طيبا فمن أنت؟ فأخبره أنه من بني عُذْرة(٧).

وأما اللحم المطبوخ: فهو الذي يتم تحضيره بوضعه مع الماء في قدر ثم يوقد تحتها حتى ينضج، فهو لحم مطبوخ، قال عبيد الراعي(٨) يصف إشعال النار لطبخ اللحم:

كدخان مرتجل(٩) بأعلَى تلعة غرثان (١٠)ضرَّم عرفجًا مبلولَا

وقال عبدة بن الطبيب التميمي(١١):

لما نزلنا رفعنا ظلّ أخبيةٍ وفار باللحم، للقوم، المراجيل

ووصف الراعي النميري(١٢) حاطبيه وهما يقومان بوضع الحطب تحت القدر فتشتد غليانا حتى ينفصل اللحم عن العظم قال:

إذا جمّشاها بالوقود تغبطت على اللحم، حتى تترك اللحم باديا(١٣)

الأطعمة الأخرى: **الحليب**: يعد حليب الإبل بخاصة والغنم والماعز بعامة من المواد الغذائية الرئيسة في أطعمة أهل البادية، فلما جاء الأعرابي يستفتي النبي ﷺ في الميتة سأله عما إن كان يجد صبوحا وغبوقا، وهما اللفظان اللذان يستخدمان للدلالة على شرب الحليب في الصباح أي الغدا ة، وشربه في المساء، أي العشاء(١٣).

وقيل جاء طارق بليل بيوت أعراب، فلم يجد عندهم شيئًا يأكله خلا بيتًا قال أصحابه: بل قد بَقَّيْنَا في ضرع فلانة (ناقة) لطارق(١٤).

واتخذ أهل البادية من الحليب اللبنَ الرائبَ، واستخرجوا الزبد وصيّروا الزبدَ سمنًا، وعملوا اللَّبَنَ الذي لا زبدَ فيه أَقِطا، وادّخَروا السمن والأَقِط لاستعمالهما في الأكل عند الحاجة، والمبادلة بهما سلعا ومواد غذائية أخرى(١٥).

التمر: والتمر من محاصيل أهل الحواضر الزراعية، ولكن أهل البادية كانوا

يحصلون عليه من الحواضر المجاورة لهم بـالمبادلة، وكان البيت الـذي يمون اللبن والتمر في أنعم حياة وأرغـد عيش، قيل: إن الزبرقان بن بدر قـال للحطيئة لماعلم من الحطيئة أنـه يريـد العراق فرارا من الجـدب وطلبا للعيش قـال للحطيئة: هل لك في لبن وتمر؟ فقال الحطيئة: ذالك العيش(١٦).

واشترى أعـرابي تمرا وتـرك الدقيق مع استـوائهما في السعـر، فلما سئل الأعـرابي عن ذالك قال: إن في التمر أدمة وزيادة حلاوة(١٧). وقد يأكل أهل البادية التمر مأدوما بالزبد.

الخبز: كـان الخبز يتخـذ في الأغلب من دقيق القمح أو من دقيق الشعير، وكـان أهل البادية يشتـرون هذه الحبوب من الحواضر المجاورة، وكـان الخبز والتمر واللبن والزبد من العيش الرغيد، قال بعض الأعراب(١٩).

ألا ليت لـي خبـــزًا تســربل رائبًـــا وخيلًا من البـرني(١٩) فـرسانهـا الزُّبْـد

وروى أن رسول عامر بن الظرب العدواني كان ينادي: ألا من أراد الدَّرْمَكَ واللحم والتمر واللبن فليأت دار عامر بن الظرب(٢٠). ولكن الخبز كان في أطعمة أهل البادية قليلًا.

الثريد: كان الثـريد يتخذ من الخبـز يفتُّونه ويضيفـون إليه اللبن والسمن واللحم ويطبخونه، قالت ابنة لبيد بن ربيعة(٢١):

أبـــا وهــب جـــــزاك الله خيـــــرا نحــرنــاهــا وأطعمنـــا الثــريـــدا

وكان لمحبـة العرب، بدوا وحضـرا، الثريد يسمى طعام العـرب، وقد يخلو الثـريد من اللحم، قيل سئل بعض الأعـراب: مالكم تأكلـون اللحم وتدعـون الثريـد؟ فقال: لأن اللحم ظاعن والثريد باق(٢٢).

المضيرة: وهي مريقـة تعمل باللبن المضيـر أي الحامض، وقـد تعمل من اللحم مطبوخًا باللبن الحامض(٢٣).

الحيس: ويكون الحيس تمـرا مخلوطًـا بالسمن والأقط، ومعجونًـا عَجْنًا شـديدًا، وربما أضافوا إلى ذالك السويق(٢٤).

الخزيرة: وهي شبه العصيدة، وهي مرقة تتخذ من غلالة النخالة وتكون بلحم وبلا لحم، وكانت مجاشع قوم الفرزدق يعابون بالخزيرة، لأن ركبا من مجاشع مروا على شهاب التغلبي فسألهم أن ينزلوا، فقالوا: نحن مستعجلون، فقال: لا تجوزون حتى تصيبوا القرى، وصنع خزيرة وحملها إليهم فجعلوا يأكلون وهم على إبلهم ويعظمون اللقم، فصار يسيل على لحاهم[٢٥].

العسل: وعرف أهل البادية العسل وأكلوه، قيل إن ثابت بن جابر بن سفيان المعروف بـ (تأبط شرا) خرج يريد ماء من مياه قومه فرأى على الماء نحلة فتتبعها حتى آوت إلى جبل فوجد هناك عسلًا كثيرًا[٢٦].

ويبدو أنهم أكلوا العسل ممزوجًا بالحليب. قال أبو ذؤيب[٢٧]:

وإن حديثا منكِ لو تبذلينه جَنَى النحلَ في ألبان عُوْذٍ مَطَافل[٢٨]

البقل: كان فيما سأل الرسول ﷺ الأعرابي الذي جاء يستفتيه في الميتة، سأله إن كان يجد بقلا، وقيل: إن زياد بن أبيه سأل غيلان بن خرشة عن العرب وجهدها وضنك عيشها في الجاهلية، فأخبره غيلان أن عمه حدثه أنه توالت على العرب في الجاهلية سنون تسع حطمت كل شيء، وأن عَمَّهُ خرج على بكر له يبحث في العرب عن طعام، فمكث سبعة أيام لا يطعم شيئًا إلا مما ينال منه بعيره، أو من حشرات الأرض[٢٩].

ومما أكل أهل البادية من البقل، الكراث، قال طفيل بن عوف[٣٠]:

رأى مجتنو الكرّاث من أهل عالج رِعَالًا قطت من أهل شَرْج وأَيهب[٣١]

وأكلوا الكمأة، روى أن أم تأبط شرا قالت له: ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهليهم الكمأة فيروحون بها، فأخذ جرابا وملأها أفاعي[٣٢].

ولعل القارئ يظن من خلال ما ذكر من الأطعمة أن أهل البادية كانوا في سعة من العيش ووفرة طعام وكثرة غذاء وهو مالم يكن، فأهل البادية كانوا في الجدب والقحط - وما أكثرهما - في مشقة وكبد من أجل لقمة العيش، وكانوا يأكلون ما يجدون من حيوانات ودواب وحشرات الأرض ونباتاتها وحتى الجلود والهبيد (حب الحنظل) كانوا ينقعونها بالماء ثم يطبخونها ويأكلونها[٣٣].

أدوات الطبخ: احتاج أهل البادية إلى عدد محدود من الأدوات في تحضير طعامهم وإعداده، يشاكل مستوى حياتهم في التمدن، ومن هذه الأدوات:

الجفنة: والجفنة أعظم القصاع من أوعية الطبخ تليها الصحفة ثم المثكلة، ثم الصحيفة(٣٤)، ويوصف الأجواد بكبر جفانهم واتساعها كأنها الجوابي، قال عبيد الله ابن قيس الرقيات(٣٥).

جفنـــات كأنهن جـــوابٍ ... مُتْــرعــات كمـــا تفيض النِّهـــاء(٣٦)

وقال الفرزدق:

تُفـــرّغ في شيــزى كـأت جَفَــانهـــا ... حيــاض جُبّى منهـــا مُــلاء ونصَّفُ

القدر: وهي من أواني الطبخ، ويمدح أهل الجود والكرم بسواد قدورهم، ويذم أهل البخل ببياضِها، قال الشاعر(٣٧):

رأيت قـدورَ النــاس سـودًا من الصَّلَى ... وقــدر الــرّقَــاشِيِّيْـنَ زهـراء كــالبـــدر

وقال الفرزدق(٣٨):

تُعجِّلُ للضيفـان في المحـل بـالقِرى ... قـــدورا بمعبـــوطٍ تُمَــــدُّ وتغـــرفُ

هذا وقد ورد من أواني الطبخ الدسيعة، وقيل أنها أكبر الأواني، والقصعة وهي التي تشبع العشرة، والصحفة وهي التي تشبع الخمسة، والمئكلة وهي التي تشبع الرجلين والثلاثة(٣٩).

آداب الأكل: تفيد الأخبار أن أهل البادية كانوا لا يأكلون كثيرًا، ولعل ذالك كان لشح الطعام لديهم، وكان حظهم من الشبع أقل من حظ إخوانهم من أهل الحواضر، ولم يزالوا على هذا الحال من قلة الأكل حتى صار عادة غالبة فيهم، ولم يعرفوا البطنة والكظة والتخم والبشم(٤٠) إلا نادرًا، وعدوا هذه العوارض عيبا، وتعلقت بها الحكم والأمثال، وصار من الحكمة أن البطنة تذهب الفطنة وتزيل صفاء الذهن وتسفُّه الأحلام(٤١).

وروي أن الأعرابي يأكل بملء الفم، ويمضغ الأضراس، وهو ما يسمى الخضم

خلاف القضم وهو الأكل بأطراف الأسنان وهي الطريقة التي قيل يتبعها أهل الحواضر، قيل: إن إعرابيًا قدم على ابن عم له بمكة، فقال: إن هذه بلاد مقضم وليست ببلاد مخضم[٤٢].

وقدم أعرابي على عمر بن الخطاب، فأخذ يأكل عنده اللقمة بعد اللقمة وذكر أنه لم يأكل سمنًا ولا زيتًا ولا رأى أكلا لها منذ كذا وكذا[٤٣].

وكانوا إذا أكلوا غسلوا أيديهم، أو مَشُّوها بأجسامهم، أو مسحوها بثيابهم، أو بما يكون أمامهم من أثاث بيوتهم، أو ببيوتهم نفسها.

قال أبو حُجَيْن المنقريُّ[٤٤] بعد أن تحدث عن أكل الضب:

أقوم إلى وقت الصلاة وريحه　　　بكفِّيَّ لم أغسلهما بشنان[٤٥]

وقال امرؤ القيس[٤٦]:

نمشُّ بأعراف الجياد أكفَّنَا　　　إذا نحن قمنا عن شِواءٍ مُضَهَّب[٤٧]

وروى أن عبدالملك بن مروان سأل جلساءه عن أفضل المناديل، فقال قائل منهم: مناديل مصر، وقال آخر: مناديل اليمن، فقال عبدالملك: أفضل المناديل ما قال أخو تميم عبدة بن الطبيب[٤٨].

لما نزلنا نَصَبْنَا ظل أخبية　　　وفار للقوم باللحم، المراجيل

إلى قوله:

ثُمّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ　　　أَعرافهن لأيدِينا مناديل

وقال غيلان بن خرشة لزيادة بن أبيه: إن عمه لما نزل بأهل بيت من العرب ونحروا له جزورا، أخذ يتناول البضعة من اللحم ويهوي بها إلى النار، فإذا نضجت أكلها، وكان يمسح ما في يده من إهالتها[٤٩] على جلده[٥٠].

أثر الإسلام في حياة أهل البادية: لقد تبحبح العرب بعد عصر النبوة ريفَ العراق وريف الشام فضلا عن مصر والبلاد الأخرى، ولاحاجة في هذا المقام أن نبين ما أصاب العرب من مظاهر الحياة المدنية من أطعمة وغيرها في هذه البلاد التي أقاموا فيها، فالأخبار والشواهد التي تدل على تحسن أوضاعهم المعيشية مستفيضة.

وأما بالنسبة لأهل البادية، فأمرهم مختلف، فمنذ فتحت مكة في السنة الثامنة للهجرة توقفت الهجرة إلى المدينة، وصار «لا هجرة ولكن جهاد ونية» فمنهم من التحق من أهل البادية بمعسكرات القتال، وأقام في مدن الجهاد وسجل في ديوان الجند، وصرف له العطاء، وشارك إخوانه الحياة الجديدة في البلاد المفتوحة، ومنهم من آثر الإقامة في البادية على الجهاد فظل أعرابيًا، وصار في الحقوق والواجبات دون المهاجر ابن الحاضرة أمام الدولة، ولم تصرف له الدولةعطاء و لا رزقا على نحو ما فرضت لأهل الحاضرة أهل الغناء في الإسلام(٥١) وإلى أعرابي ومهاجر، أشار الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته بأهل الكوفة قال:

مهـــاجـــر ليس بـأعـــرابي(٥٢)

ولاشك أن بعض أهل البادية كانوا لأسباب كثيرة يهجرون الأعرابية، ويصيرون مهاجرين يغزون ويأخذون العطاء(٥٣).

وما يعنينا بالنسبة لأهل البادية أنهم أصبحوا كجزيرة وسط عالم إسلامي كبير، تترامى من أطرافه عند حدود السوس والبرنيه في الغرب، وسيحون وجيحون وبلاد السند في الشرق، وتتولى أموره دولة واحدة، وهو، وإن بدا أن أعراب البادية كونوا دون أهل الحواضر في الحقوق والواجبات أمام الدولة، فإنهم كانوا من رعاياها الذين استوجبوا حق رعايتها لهم، قال أبو عبيد القاسم بن سلام: ولأهل البادية حقوق.

أولها: أن يظهر عليهم عدو من المشركين، فعلى الإمام والمسلمين نصرهم والدفع عنهم بالأبدان والأموال.

وثانيها: أن تصيبهم الجوائح من جدوبة تحل ببلادهم، فيصيرون إلى الحطمة في الأمصار والأرياف، فلهم في المال المعونة والمواساة.

وثالثها: أن يقع بينهم الفتق في سفك الدماء حتى يتفاقم الأمر، ثم يقدر على رتق ذالك الفتق و إصلاح ذات البين، وحمل تلك الدماء والأموال.

فهذا حق واجب لهم: الجائحة والفتق وغلبة العدو من المشركين(٥٤).

ولما كان عام الرمَادة في بلاد الحجاز وما حولها من البوادي أيام عمر بن الخطاب،

رحل أهل البادية نحو عاصمة الدولة في المدينة، وجاء الغوث من البلاد الإسلامية، وأُحْصِي من تعشى من الأعراب ذات ليلة فوجدوا سبعة آلاف، ووجدت عيالاتهم ومن معهم أربعين ألفا، ثم ارتفع العدد إلى عشرة آلاف، وعدد عيالاتهم والذرية إلى خمسين ألفا، وظلت الموائد تنصب لهم حتى جاء الحيا، وأغيث الناس(٥٥).

بعث عمر بن الخطاب إلى غيرهم من أهل البادية بالإبل والطعام مع محمد بن مسلمة إلى قبائل قيس وتميم وطيىء وأسد بنجد، وغيرها من القبائل التي تنزل على طريق العراق، ومع عبدالله بن الأرقم إلى غطفان وأدنى قضاعة ولخم وجذام على طريق الشام(٥٦).

وذكر المدائني عن أبي بردة قال: قال أبو بردة: ولأني زياد بن أبي سفيان في ولايته على العراق زمن معاوية - صدقة أسد وغطفان، وأعطاني من بيت المال ثلاثة عشر ألف درهم وقال: انطلق فأعط، والصق بأهل الفاقة، ومن أعطيته ورقا فلا تعطه غنمًا، ومن أعطيته غنمًا فلا تعطه ورقًا، وما وجدته من شغار فاردده، وما رأيت من امرأة معضولة فأنخ إبل صاحبها في العطن (وطن الإبل ومبركها حول الحوض) حتى ينكحها كفوا(٥٧).

وأقحمت السنة، فدخل نابغة بني جعدة على عبدالله بن الزبير في المسجد الحرام فمدحه وقال:

أتاك أبو ليلى يجوب به الدُّجَى — دجى الليل جَوَّابُ الفلاة عثمثم(٥٨)
لتجبر منه جانبا ذعذعت(٥٩) به — صروف الليالي والزمان المصمم(٦٠)

فأعطاه عبدالله بن الزبير قلائص تسعًا، وجملا رحيلا وأوقر له الركاب برا وتمرا وثيابا(٦١).

ووفد عطاء بن أبي رباح على هشام بن عبدالملك فسأله هشام حاجته، فقال عطاء: يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب، وقادة الإسلام، ترد فيهم فضول صدقاتهم(٦٢).

وروي عن الراعي النميري أنـه كان يفد على عبدالملك بن مروان فيمـا فيه صلاح بني قومه من قبائل نمير، وقيل: شكى إليه عمـال الصدقات واستعطفه أن يرد صدقات بني نمير فيهم ففعل[٦٣].

ولاشك أن أهل البادية صاروا يجـدون في البلاد التي فتح الله على المسلمين أهلا من أهليهم وقبـائل مـن قـومهم، وولاة وسـلاطين مسلمين يفـدون عليهم ويسألـون رفدهم، ويشكـون إليهم حاجتهم[٦٤]، وكانـوا إذا عَضَّتهم السنون رحلـوا إليهم، وهم وإن كانوا يرحلـون في سني القحط من قبل إلى بلاد الخصب، فإن رحلتهم هذه المرة كانت تتم وسط ظروف أفضل، و عبر أجواء أكثر أُخُوَّةً ومودة.

روي عن الشعبي أن زياد بن أبي سفيان في ولايته على العراق من قبل معاوية ابن أبي سفيان خطب العرب سنة قحط فقال لهم: إن عشـائركم قد وردت علينا، فاختاروا أن نأخذ نصف أعطياتكم وأرزاقكم فنقوتهم بها مع مالهم عندنا، أو تكفينا كل عشيرة من فيها، فمنهم من ضم عشيـرته ومنهم من طابت نفسه بنصف عطـائه ورزقه وأرزاق عيالـه، وكان لكل عَيِّلٍ جريبـان ومئة درهم، ومعونـة الفطر خمسين (درهما) ومعـونة الأضحى خمسين (درهمـا) وكـان زيـاد يعهـدهم كل يـوم ويشـرف على رعـايتهم بنفسه[٦٥].

وإضافـة إلى ما سبق، فإن أهل البـادية وجـدوا في الحواضر الإسـلامية الجـديدة أسـواقًـا لجلبهم وميـرتهم، ذكـر الجمحي[٦٦]: أن ابن داود بن متمم بن نـويـرة قـدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة.

وبعث غالب بن صعصعـة ابنه الفرزدق إلى سـوق البصرة في عِيْرٍ لـه وجلب يبيعه ويمتار له ويشتري لأهله كُسًا[٦٧].

وقال أبو ذؤيب[٦٨]:

مـا حُمِّلَ البختي[٦٩] عـام غِيَـارهِ[٧٠] ... عليـه الـوسـوق[٧١] بُـرُّهـا وشَعِيـرُهَـا

أتى قـريـة كـانـت كثيـرًا طعـامهـا ... كـرفغ[٧٢] التـراب كل شيء يميـرهـا

ولابـد أن أهل الباديـة في اتصالهم بأهل الحـواضر، وزيـاراتهم إياهم وإقـامتهم بعض الوقت بينهم، قـد رأوا من مطعوماتهم مـالم يكونوا يعـرفون، وربما عـرفوا منهم طريقـة تحضيرها، فأدخلـوها في أطعمتهم، روى الأصمعي، أن بعض الإعـراب قال: اشتهي ثـريـدة دكناء من الفلفل، رقطـاء من الحمّص، ذات حفـافين من اللحم، لهـا جناحان من العراق[٧٣]، اضرب فيها ضرب ولي السوء في مال اليتيم[٧٤].

ومع أن الإسـلام لم يحول البـادية إلـى بلاد وارفـة الظلال، وحـدائِق غناء ومـزارع خضراء، وظلت ثروتها محكومة في الأغلب بظـروفها المناخية، وظلت سطوة الجفاف والجـدب وشح الموارد وأمثـال ذالك باديـة في حياتهـا، فإنه - أي الإسـلام - ألْحَقَ الباديـة بسلطان دولة أصبحت معهـا البادية رعيـة من رعاياهـا تبثها آلامها وشكـواها وتستوجب حقَّ رعـايتها، وخلصها من الغـارة والغزو سداد الجوع وحـذر موت، وفتح أمامهـا عضويـة الانتماء إلى مجمع كبيـر تسوده عاطفـة الإخاء والتـراحم، ويحارب الجوع والعوز والفاقة ببذل المال، تعبدًا واحتسابًا.

سئل مالـك بن أنس عن رجال من المـوالي يأخذون صبيـانا من صبيـان الأعراب تصيبهم السنة، فيكفلون صبيانهم ويربونهم حتى يكبروا[٧٥]..

وهو مثل من أمثلةٍ على مبدإ التضـامن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، ولم يعد أهل البادية كما كانوا في الجاهلية يُتْرَكون في سني القحط والجدوبة يموتون جوعًا.

جامعة اليرموك - كلية الآداب - الأردن: أ. د. محمد ضيف الله البطاينة

الحواشي:

(١) «ديوان الهذليين» ١/ ١٤.

(٢) الجبوري «عمرو بن شاس الأسدي» ٥٣.

(٣) وحشا: يعنى هنا: قفرا.

(٤) «الحيوان» للجاحظ ٢/ ٤٢٠.

(٥) ابن قتيبة: «عيون الأخبار» ٣/ ٢٢١.

(٦) القيزان: جمع قوز وهي الكثيب الصغير من الرمل.

(٧) القرشي جمهرة أشعار العرب ص ١١٢ - ١١٣.

(٨) الأخفش الصغير كتاب الاختيارين ص ٩٤.

(٩) مرتجل: الذي ينصب رجلًا لطبخ الطعام اللحم وغيره ويقدح النار بزنده.

(١٠) الغرثان: الجائع.

(١١) عبدة بن الطبيب: اسم الطبيب يزيد، وهو شاعر من تميم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا معه بالمدائن. انظر: ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ٢، ص ٧٢٧، ص ٧٢٧، الأصفهاني ج٢٣، ص ٨١٨٣.

(١٢) نوري حمودي القيسي شعر الراعي النميري ص ٢١٨. [العرب: البيت في طبعة راينهرت ص ٢٩١ (حمشاها) وذكر هناك مصادره].

(١٣) الشوكاني نيل الأوطار ج ٩ ص ٢٩.

(١٤) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٤٥.

(١٥) انظر: الجمحي طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٤٧. أبو جعفر الطبري تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٤١، ديوان الهذليين ج ١ ص ١٥٤.

(١٦) عمر بن شبة تاريخ المدينة ج ٢ ص ٥٢٦، ديوان الحطيئة ص ٩ - ١٠. الجمحي طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١١٤ - ١١٥.

(١٧) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٠٢.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) البرني: نوع من التمر.

(٢٠) البكري معجم ما استعجم ج ١ ص ٦٥ - ٦٦.

(٢١) ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٧٧، القرشي جمهرة أشعار العرب ج ١ ص ٨٨.

(٢٢) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٢٦.

(٢٣) الفيروزآبادي القاموس المحيط مادة (مضر).

(٢٤) المصدر نفسه مادة حاس.

(٢٥) ابن قتيبة الشعر والشعراء ج ١ ص ٤٧١.

(٢٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٢١٢.

(٢٧) ديوان الهذليين ج ١ ص ١٤٠.

(٢٨) عوذ مطافل: أبكار الإبل.

(٢٩) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٤٥.

(٣٠) الأخفش الصغير كتاب الاختيارين ص ٣٢.

(٣١) عالج وشرج وايهب: أسماء مواضع. رعال: القطيع من الخيل والحمر والقطا.

(٣٢) الأصفهاني الأغاني ج ٢٤ ص ٨٣٢٤.

(٣٣) الفيروزآبادي القاموس المحيط، مادة هبد.

(٣٤) المصدر نفسه مادة صحف.

(٣٥) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٩٤.

(٣٦) النهاء: الغدير.

(٣٧) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٦٨.

(٣٨) القرشي جمهرة أشعار العرب ج ٢ ص ٨٨١.

(٣٩) جواد علي المفصل في تاريخ العرب ج ٥ ص ٦٤ وما بعدها.

(٤٠) البطنة مثل الكظة، وهي شيء يعتري الإنسان من امتلاء المعدة بالطعام امتلاء لا يطيق معه النفس.

(٤١) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢١٧ - ٢٢١.

(٤٢) الفيروز آبادي القاموس المحيط مادة قضم.

(٤٣) عمر بن شبة تاريخ المدينة ج ٢ ص ٧٤٠. (٤٤) الجاحظ كتاب الحيوان ج ٢ ص ٤٢٠.

(٤٥) الشنان: الماء البارد («الحيوان» ٦/ ٨٦). [لعله أراد الأشنان مما كـان مستعملًا بدل الصابون، وهو موصوف في كتب اللغة].

(٤٦) الأخفش الصغير كتاب الاختيارين ص ٩٥. (٤٧) مضهب: لم ينضج.

(٤٨) المبرد الكامل ج ٢ ص ١٤٦، الأخفش الصغير كتاب الاختيارين ص ٩٥.

(٤٩) أهالتها: شحمها المذاب. (٥٠) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٤٦.

(٥١) أبو عبيد القاسم بن سلام الأموال ص ٣١٩، ٣٢٤ - ٣٣٣.

(٥٢) الجاحظ البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٠٨، ٣٠٩. أبو جعفر الطبري تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٠٣.

(٥٣) عمر بن شبة تاريخ المدينة ج ٢ ص ٢٨٨.

(٥٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الأموال ص ٢٩١ - ٢٩٥.

(٥٥) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣١٤ - ٣١٦.

(٥٦) عمر بن شبة تاريخ المدينة ج ٢ ص ٧٤٤.

(٥٧) عثمثم: الجمل الشديد. (٥٨) ذعذعت به: أذهبت ماله.

(٥٩) انظر: البلاذري أنساب الأشراف القسم الرابع الجزء الأول تحقيق إحسان عباس، بيروت عام ١٩٧٩م من ٢٤٠.

(٦٠) المصمم: الشديد. (٦١) ابن عساكر تاريخ دمشق، ترجمة عبدالله بن الزبير ص ٤٣١.

(٦٢) ابن عساكر تاريخ دمشق، مخطوط ج ١١ ص ٦٣٠ ترجمة عطاء بن يسار.

(٦٣) الجمحي طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥١٠ - ٥١٢. نوري حمودي القيسي شعر الراعي النميري ص٦١ - ٦٥، ٨٢، ٩٠.

(٦٤) انظر: الأصفهاني الأغاني ج ٣ ص ٥٨٥ - ٥٨٦.

(٦٥) انظار البلاذري أنساب الأشراف القسم الرابع الجزء الأول ص ٢٣٧.

(٦٦) الجمحي طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٤٧.

(٦٧) أبو جعفر الطبري تاريخ الطبري ج ٥، ص ٤١.

(٦٨) ديوان الهذليين ج ١، ص ١٥٤. (٦٩) البختي: البعير.

(٧٠) عام غياره: عام ميرته، يقال فلان خرج يغير أهله، أي خرج يميرهم.

(٧١) الوسوق: الأحمال. (٧٢) رفع التراب: أي طعام كثير كثرة التراب.

(٧٣) دكناء: كثيرة التوابل. رقطاء: سوداء تشوبها نقط بيضاء. العراق: العظم إذا لم يكن عليه شيء من اللحم.

(٧٤) ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٣ ص ١٩٨.

(٧٥) مالك بن أنس: المدونة م ٢ ج ٣ ص ١٧٠ كتاب النكاح.

علماء من بلادنا

- ٣ -

الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن فارس

[١٣٣٣هـ - ١٤١٨هـ]

بيت آل فارس بيت علم، وقد اشتهر منهم الشيخ حمد بن فارس المتوفى عام ١٣٤٥هـ في الرياض، وآل فارس من فخذ العرينات الذين هم بطن من تيم، الذين هم قبيلة من قبائل الرباب، تتألف من سبع قبائل هي: تيم وعدي، وثور وعكل، ومزينة وأشيب وعوف، والمعروف عندهم أنهم من سبيع، وقد ألف - رحمه الله - كتابًا في نسب آل فارس وغيرهم، ممن ينتهي نسبه إلى سبيع يبلغ ٧٤ صفحة.

والرباب هم بنو عبد مناة بن أدّ بن طابخة، بن الياس بن مضر بن نزار، بن معدّ بن عدنان.

ولد فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد آل فارس بالرياض في شهر ذي الحجة م عام ١٣٣٣هـ، وهو واحد من العلماء الأجلاء، والفقهاء الورعين، وقد فقد بصره في التاسعة من عمره واتجه إلى قراءة كتاب الله الكريم وحفظه، فدخل مدارس تحفيظ القرآن عند كل من الشيخ: عبدالرحمن بن محمد بن مفيريج، وعبدالله بن مفيريج، وعبدالعزيز بن مفيريج، وعبدالعزيز بن يُحيَّان، ومحمد بن سليمان.

وقد وفقه الله فحفظ القرآن الكريم قبل بلوغه السابع عشرة من العمر، وطلب العلم على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في العقيدة والحديث، و النحو والفقه والفرائض. وكان من أقرانه في حلقات الشيخ محمد بن إبراهيم سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، مفتي عام المملكة العربية السعودية، كما قرأ على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأفاد منه كثيرًا.

أعماله: تم تكليفه بإمامة بعض المساجد، و التدريس فيها وهي: مسجد محمود

بالرياض، ومسجد السِّدرة بالقرب من قصر الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وهذان المسجدان قد دخلا في توسعة (قصر الحكم) وسط مدينة الرياض، وكان ذالك من عام ١٣٥١هـ.

ثم رشح للقضاء، حيث عين في قضاء شقراء والوشم عام ١٣٦٦هـ، خلفًا للشيخ محمد البواردي، وفي عام ١٣٧٠هـ، انتقل عمله إلى قضاء حوطة بني تميم، وملحقاتها، وفي عام ١٣٧٤هـ تولى قضاء الخرج في مدينة (الدلم) التي كان فيها الشيخ عبدالعزيز بن باز.

وقد استمر في قضاء (الدُّلم) إلى أن تم نقله للقضاء في محكمة الرياض في عام ١٣٧٩هـ، وبقي في محكمة الرياض، حيث تولى رئاسة المحكمة الكبرى في الرياض، وفي عام ١٤٠٢هـ تم تعيينه قاضيًا في محكمة التمييز في الرياض وانتظم في عمله بها إلى أن رغب التقاعد في عام ١٤٠٧هـ، ليتفرغ للبحث والتعليم.

مكانته العلمية: كان الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله - محبًا للعلم، مشجعًا على طلبه، وكثير القراءة ميالًا للتأليف، إلَّا أن مشاغل القضاء، واهتمامه بقضاء حاجات الذين يقدمون إلى منزله إمّا لطلب الفتوى، أو الاستشارة الشرعية، وكان وجيهًا محبًا للمساعدة وبذل المعروف، كل هذا حال دون حصوله على الوقت الكافي للتأليف، أو الجلوس للطلبة.

ومع هذا فقد كان يخصص وقتًا في المدن التي عمل فيها للطلاب، ففي شقراء كان يجلس للتدريس بعد صلاة العصر في الجامع، وقد كان عنده حلقة كبيرة منهم فضيلة الشيخ صالح الحصين، وإبراهيم الحصين، والشيخ عبدالله بن منيع، وعبدالعزيز بن عيفان وعبدالله بن إدريس، وابنه عبدالله بن عبدالرحمن بن فارس وغيرهم ولا تقل حلقته عن ٢٠ طالبًا، ومثل هذا في الحوطة والدلم.

وكان ملمًا بالفرائض، وحريصًا على تبسيطها للدارسين، وقد ألف فيها كتابًا يعد مرجعًا سمّاه: «بداية المبتدى، ونهاية المنتهى».. في علم الفرائض والحساب، وقد

طبعه على نفقته الخاصة ووزعه، جزاه الله خيرًا في عام ١٤١٤هـ.

وفي الرياض كان يجلس بعد صلاة العصر في كل يوم في المسجد في حلقة كبيرة من طلاب العلم، ضمن دروسه في الفقه والتوحيد والفرائض واللغة العربية.

وكان من الأعمال التي ترتبط بالقاضي، وخاصة في المدن الصغيرة: الإمامة بالمصلين في المسجد الجامع، وأداء خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء، فكان خطيبًا بليغًا، كما كان من صفاته قوة الحافظة، أما في مجلسه فكان حليمًا مترويًا، مع تواضع ولين جانب، وتفهم لما يدور حوله.

ولبراعته في الفرائض، فقد تميز بطريقة اتخذها، وعَلَّمها طلابه في حل المسائل المعقدة في حساب الفرائض، تلك الطريقة هي: الضرب باستعمال اليدين.

- وقد عكف بعد تقاعده على تجديد فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية - رحمه الله - وذالك بالقيام على اختصارها وتنظيمها، لتكون سهلة على القارئ، للوصول إلى الفتوى التي تقصد بدون إطالة.. فحرص على استبعاد المقدمات التي لا تؤثر على نص الفتوى، حيث اهتم بجعلها في يسر أمام الباحث.

وقد نتج عن ذالك أن جاءت مختصرة في ستة مجلدات بدلًا من ثلاثة عشر مجلدًا، بجمع الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، لكن الأجل المحتوم عاجله قبل أن يتم طبعها.

وفاته: توفي الشيخ عبدالرحمن - رحمه الله - في يوم الاثنين الرابع من شهر صفر ١٤١٨هـ وقد صلي عليه ظهر يوم الثلاثاء بجامع الإمام تركي بن عبدالله بالرياض، وقد حضر الصلاة عليه وتشييعه إلى مثواه الأخير جمع غفير من محبيه وعارفي مكانته، وقد تجاوز الخامسة والثمانين من العمر. ودفن في مقبرة الدرعية حيث رغب في حياته أن يدفن بجوار والده وأهله هناك - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته -.

الطائف: الدكتور محمد بن سعد الشويعر

إمــارة بنــي مســـالة

(إمارة إباضية منسية)

تعـد الدولـة الرستميـة (١٦٠ - ٢٩٦هـ) - (٧٧٦ - ٩٠٩م) أول كيان سيـاسي يؤسس في المغـرب الأوسط. ورغم أن هذه الـدولة قد حظيت بـدراسات عـديدة في المشرق والمغرب[1] إلا أنه تبقى هناك بعض القضايـا التاريخية تحتاج إلى دراسات معمَّقة. ومن بين هذه القضايا الافتراق الثاني الـذي تزعمه محمد بن مسالة. فهل كان هذا الافتـراق مجرد عصيـان، وخروج عن الإمـام الرستمي أو هـو بداية لتـأسيس دولة وإمارة مستقلة تنافس الرستميين رغم وحدة المذهب؟

لقـد استطـاع عبدالـرحمن بن رستم أن يـؤسس دولـة إبـاضيـة اتخـذت مـدينـة (تاهرت)[2]عاصمة لها سنة ١٦٠هـ (٧٧٦م)، وأن يصبح إمامًا للظهور[3] على كافة إباضية بلاد المغـرب. وبلغت الدولة أوج عظمتها في عهد ابنـه عبدالوهاب (١٦٨ - ٢٠٨هـ) - (٧٨٤ - ٨٢٣م). فقـد نجح هذا الإمـام في نهايـة القرن الثـاني الهجري (الثامن الميلادي) وبـداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميـلادي) أن يجعل كافة قبائل البـربر الإبـاضية خـاضعة لحكمـه. ويعتقد أن ثـورة صالح بن نصيـر الإباضي (١٧١ - ٧٨٧م) كان هدفهـا ضم بلاد إفريقية إلى الدولة الـرستمية. وأدَّى فشل هذه الثورة إلى لجوء عبدالوهـاب إلى عقد الصلح مع روح بن حـاتم بن قبيصة بن المهلب الذي خلف داوود بن يزيـد بن حاتم على ولاية إفريقية كممثل للخلافـة العباسية في بلاد المغرب. وبدأت المفـاوضات بين (تاهرت) و (القيروان) مباشـرة بعد فشل هذه الثورة، وانتهـاء حصار عبـدالوهـاب لمدينـة (طرابلس). وتم الاتفاق بيـن ولي العهد الأغلبي عبـدالله بن إبـراهيم الـذي خلف والـده وبين إمـام (تـاهـرت) على أن تظل المدينة وأقاليمها الساحلية تحت حكم الأغـالبة، وأن تصير الأقاليم الداخلية الأخرى إلى حكم عبدالوهاب.

وعلى الرغـم من ذالك فقد ظل أمـراء بني الأغلب يثيرون المشـاكل لقبائل البـربر الإباضية لمدة ربع قرن تقريبًا. وكانت الدولة الرستمية قد بلغت أوج عظمتها في عهد

الإمام عبدالوهاب. يقول ابن الصغير: (كان عبدالوهاب هذا قد اجتمع لـه من أمر الإباضية وغيرهم مالم يجتمع للإباضية قبله، ودَانَ له مالم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد من قبله. ولقد حكى لي جماعة من الناس أنه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملا المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها (تلمسان)[٤] فلم يزل كذالك وعلى ذالك وأمور الناس مجتمعة، وكلمتهم واحدة لا خارج عليها ولا طاعن)[٥].

وكان مركز الدولة يتكون من (تاهرت) والأحياء القريبة منها ومنطقة سرسو. وكانت تسكن هذه الأحياء قبائل إباضية مثل لماية[٦] مطماطة[٧] ولواتة[٨] أما عن حدود الدولة من الشمال فكان يحدها البحر الأبيض المتوسط قرب مدينة (مستغانم) الحالية. وفي الجنوب أمتد نفوذها إلى (وادي أريغ)[٩] و (وارجلان)[١٠]، بالإضافة إلى ممر يتكون من جزء من الحضنة والزاب[١١] وجبل أوراس[١٢] تسكنه قبائل إباضية تربط الجهات الغربية للدولة بأحياء الإباضية في جنوب أفريقية وطرابلس. وتذكر المصادر التاريخية أن هذه المناطق كانت خاضعة لسلطة الإمام عبدالوهاب مثل: قسطيلية[١٣] وقفصة[١٤] وجبل نفوسة[١٥] وسرت[١٦].

كما كانت قبيلة هَوَّارة[١٧] القاطنة بين سرت وجبل نفوسة خاضعة للإمامة الرستمية. لذالك نجد أن الإمام عبدالوهاب قدّم لها يَدَ المساعدة أثناء ثورتها على الأمير الأغلبي في (طرابلس) سنة ١٩٦ هـ ـ (٨١١م)[١٨]. وتشير المصادر إلى وقوع عدة خلافات وإفتراقات مذهبية أثارت مشاكل للدولة خاصة في عهد عبدالوهاب مثل الافتراق الذي قام به النكارية[١٩] والواصلية[٢٠]. أما الافتراق الثالث فتزعمته قبيلة هوارة – موضوع الدراسة – والتي كون أفرادها إمارة في ضواحي (تاهرت) ووفق ما رواه ابن الصغير المالكي فإن مواطن هوارة كانت قرب (تاهرت) رفقة القبائل البربرية الاباضية الأخرى. ومن بين بطون هذه القبيلة بطن تزعمته أسرة تعرف بـ(الأوس). وعرف أفراد هذه الأسرة فيا بعد باسم (بنو مسالة). فقد طلب زعيم الأوس الزواج من امرأة من قبيلة (لواتة) النازلة قربهم. وكان أهل الفتاة قد وافقوا على

هذا الـزواج، لكن الإمام عبـدالوهـاب خشي من عـواقب هذه المصـاهرة. يذكـر ابن الصغيرأن بعض من كـان يناوئ الأوس سعى إلى عبدالوهـاب وقال له: (إن فلانًـا قد خطب على نفسـه أوعلى ابنـه ابنة فـلان وقـد علمت مكـانه من قـومـه ومقـامه عنـد الخـاص و العام مـن الناس، وإني لا آمن أن يـزوجـه ابنتـه، فإذا زوجه إيـاهـا وقعت المصاهـرة، وإذا وقعت المصاهرة صـارت نسبة، وإذا انضمت قبيلة إلى قبيلـة ناوأك في البلد، ولكن أخطب إلى هـذا الرجل ابنته إمـا على نفسك أوعلى ابنك أو على من سوف يؤثرك عليه لسلطانك)[٢١].

أخذ عبدالوهاب بنصيحة هذا الـرجل وطلب يد الفتاة لنفسه، وحصل على موافقة أهلهـا. فأدَّى هـذا التصـرف إلى غضب زعيم الأوس. وقـد عبـر عن سخطتـه قـائلًا: (عمل علي في جارية خطبتهـا ورضي إليَّ بتزويجها فانتزعهـا مني بسلطانه لا سألت بأرض هو)[٢٢] فانتقل رفقـة قبيلته ونزل في (وادي هـوارة) الذي يبعد بعشـرة أميال أو أكثر عن (تـاهرت) ورغم عـدم معرفتنا لهـذه المنطقة إلا أنهـا على الأرجح تقع قرب الشلف[٢٣]. ونشيـر هنا إلى أن بطـونا أخـرى من (هوارة) التحقت بـالأوس، وأعلنت الحـرب على الإمام الـرستمي. وخـرجت أول غـارة لهوارة فأصـابت رجـلًا قرب نهـر يسمى (نهر أبي سعيـد الله). فلما رأى الناس القتيل. وقـد استحلت أمواله كبّـر القوم وتهيئوا للحرب. ولمـا بلغ الخبر إلى الأوس قاموا بتركيز قـواتهم على طول نهر يسمى (نهر أسلان)[٢٤]. وقامت معركة ضاريـة بين الجيشين أبلى فيها أفلح بن عبدالوهاب بلاء حسنًا حتى أن الإمام عبدالوهاب لمـا رأى ابنه يقاتل بقوة قال: (لقد استحق أفلح الإمامة)[٢٥]، فكان أول يوم عقدت له الإمامة.

وكان عدد القتلى في هذه المعركة ضخمًـا من الطرفين خاصة من جانب (هوارة) التي أدبر رجالها ولاذوا بالفرار إلى جبل (ينجان). ويبدو أن هذا الجبل يعرف كذالك باسم (تنجان) وهـو اسم لقبيلة زناتية تسكن جبل الونشريس. ويحتمل أنـه بعد هذه المعركة انفصل الأوس عن الدولـة الرستمية رغم الهزيمة التي مُنُوا بهـا. وكانت بداية للإمـارة التي أسسوهـا في عمق الدولـة أي قرب العـاصمة (تـاهرت). ولا يـذكر ابن

الصغير - للأسف - تاريخًا معينًا لموقعـة نهر أسلان. ونعتقد أنها كانت على الأرجح في سنة ١٨٢ هـ في الوقت الذي أصبح فيه أفلح بن عبدالوهاب شابًا يافعًا.

ولا نعرف الكثيـر عن هذه الإمارة في فترة حكم أفلح (٢٠٨هـ - ٢٥٨هـ) ولا في إمامة أبي بكر (٢٥٨هـ - ٢٦١هـ) الذي ثار عليه الناس، وانقسمت الدولة في عهده إلى شيع وأحزاب متناحـرة، وتخلّى الأهالي عنه، فخرج بنو رستم من المدينـة وتوزعوا في عدة أمـاكن وفر زعيم الحـزب الرستمي الأميـر محمد بن أفلح (أبـو اليقظان) إلى مكان يسمى (أسكدال) يبعد بمسيرة يوم أو أزيد جنوب (تاهرت)[٢٦]، وهنا يظهر بنو مسالة من جديد، فابن الصغير يذكر أن محمـد بن مسالة استولى على حاضرة الدولة أثناء فـرار أبي بكر بن أفلـح منها[٢٧]. ولا ندري كيف تم ذالك ولا التـاريخ الذي تم فيه الاستيلاء نظرًا لسكوت المصادر. ويبدو من خلال حديث ابن الصغير أن المدينة استولت عليهـا (هوارة) ولـواتة بطلب من الأحـزاب المتنازعـة. وقد عـاد الهدوء إلى المدينـة عندما تـولى زعيم هوارة الإشراف علـى تسيير شؤونهـا، ولكن ذالك لـم يعمر طويلًا إذ سـرعان ما دب الخلاف بين لـواتة وهوارة. يقول ابن الصغيـر: (لـم تزل أمور الناس هادئة حتى وقع شيء بين هـوارة ولواتة. وكانت لواتة إذ ذاك بـالمدينة مع أهل المدينـة، فتسلطت عليهـا هوارة بسلطانهـم وأعانتهـا أهل المدينـة. فلما رأت لـواتة ذالك ظعنت عن المـدينـة، وخلت عنها ونـزلت بحصنهـا المعـروف بحصن لواتـة، وأرسلت إلى أبي اليقظـان فأنزلتـه في جوار منهـا على مسيرة أميـال بموضع يقـال له (تسلونت)[٢٨].

من خلال هذا النص يتبين أن الإمام الرستمي إحتمـى بلواتة، ومن هنا نشأ تحالف ضد قبيلـة هوارة وزعيمها محمـد بن مسالـة وضد الأهالي في (تـاهرت) الـذين ظلوا مخلصين لهذا الأميـر لمدة طـويلة. وإذا سـايرنـا رواية ابن الصغير فـإن الحرب بين الطرفين دامت سبع سنـوات، عجز فيهـا أبو اليقظان من القضـاء على خصومـه، مما جعله يستنجد بقبيلة نفوسة فتمكن بمؤازرتها من إخراجهم من المدينة. وإذا كان ابن الصغير لا يعطينا معلومات كافية عن موقع الإمـارة ومناطق نفوذها فإن اليعقوبي يذكر

أن الإمارة كانت في أرباض (تاهرت)، وأنها كانت تتكون من مدينتين الأولى تسمى (يلل) والثانية تسمى (الجبل). يقول اليعقوبي: (ومن مدينة (تاهرت) وما يحوز عمل ابن أفلح الرستمي إلى مملكة رجل من هوارة يقال له ابن مسالة الاباضي إلا أنه مخالف لابن أفلح يحاربه، ومدينته التي يسكنها يقال لها (الجبل)، منها إلى مدينة (يلل) تقرب من البحر المالح مسيرة نصف يوم[٢٩] ويبدو أن المدينة المسماة اليوم (هلل) الواقعة جنوب شرق مدينة (مستغانم) الحالية، هي نفس المدينة التي أشار إليها اليعقوبي خاصة وأنها تبعد عن الجبل بحوالي ١٩ كيلًا. ويسمي البكري هذا الموقع بـ (قلعة هوارة) أو (تاسكدالت)[٣٠] ويصفها صاحب كتاب «الاستبصار» بقوله: (هي قلعة منيعة في جبل خصيب، وتحتها فحص طوله نحو أربعين ميلا، يخترقها نهر سيرات... وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر (مطغرة) وغيرهم من قبائل زناتة)[٣١] وهذا الموضع أو الجبل هو جزء من سلسلة جبلية يسميه ابن خلدون (جبل هوارة) ويقع قرب نهر مينة[٣٢] ويبدو أن مدينة (الجبل) لم تكن وحدها تابعة للإمارة بل جبل هوارة كله. وهناك فرع من قبيلة هوارة كان يستوطن منطقة (سرسو) جنوب شرق منداس، على الحافة اليمنى لنهر مينة. ولا يستبعد أن يكون هذا الفرع الهواري خاضعًا هو الآخر للإمارة.

وخلاصة القول: فإن الثورة التي أشعل فتيلها ابن مسالة لم تكن مجرد خلاف مع الإمام الرستمي، كما تصوره المصادر الاباضية، إنما كان الهدف منها إنشاء إمارة هوارية مستقلة، والدليل على ذالك نستنتجه من حديث ابن الصغير المالكي المعاصر للدولة الرستمية، الذي قال بأن الدعوة والإمامة كلها صارت لأبي اليقظان[٣٣] والدعوة للأئمة وللخلفاء معروفة في التاريخ الإسلامي. ويضيف في موضع آخر قائلًا: (حمل أبو اليقظان الناس على الخيل، ودُعِيَ له بالإمارة والإمامة، وألغي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة.)[٣٤] ومعنى هذا أن محمد بن مسالة كان أميرًا مستقلًا يدعى له على منابر المساجد.

جامعة باتنة: الجزائر: الدكتور مسعود مزهودي

أستاذ التاريخ الإسلامي بمعهد اللغة العربية وآدابها

الحواشي:

(١) محمد عيسى الحريري: «الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي» (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس) (١٦٠ - ٢٩٦ هـ)، دار القلم ط ٣ الكويت ١٩٨٧، بحاز إبراهيم بكير: «الدولة الرستمية» (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية) مطبعة لافوميك الجزائر ١٩٨٥، جودت عبدالكريم يوسف: «العلاقات الخارجية للدولة الرستمية»، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤، محمود إسماعيل عبدالرازق: «الخوارج في المغرب الإسلامي» دار العودة، بيروت ١٩٧٦.

(٢) هي مدينة تتكون من مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة أزلية والأخرى محدثة وصفها ابن حوقل بكثرة تجارتها خاصة في المحدثة، وبكثرة أشجارها وحماماتها وخاناتها وماشيتها، انظر: «صورة الأرض» دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت/ ١٩٧٩، ص ٨٦.

(٣) تمر الإمامة عند الإباضية بأربع مراحل: إمامة الكتمان، وتُعَبِّر عن مرحلة الضعف إذ يركن الإباضية إلى السرية، وإمامة الشُّرَاة وهي أن يخرج إمام بأربعين رجلًا فما فوق، معلنًا الجهاد، ويسمون شراة، لأنهم اشتروا الجنة بأرواحهم، وإمامة الدفاع، وهي مرحلة بين الظهور والكتمان، فحين تعرضهم لهجمات العدو يعلنون حالة الدفاع بمبايعة إمام يسمى (إمام الدفاع)، وأما إمامة الظهور فتتمثل في تأسيس دولة إباضية المذهب، وذالك عندما يشعرون بأنهم أقوى من غيرهم. انظر بحاز إبراهيم بكير: «الدولة الرستمية» ص ٧٩ - ٨٠.

(٤) هي مدينة تقع في المغرب الأوسط، كانت دارًا لمملكة زناتة، وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر. وهي كثيرة الخصب، لها قرى كثيرة متصلة بها. انظر: مجهول: كتاب «الاستبصار في عجائب الأمصار» نشره سعد زغلول عبدالحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية (د. ت) ص ١٨٦.

(٥) انظر: «أخبار الأئمة الرستميين» تحقيق محمد ناصر بحاز، إبراهيم بكير، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦، ص ٤٥.

(٦) هي بطن من بطون بني فاتن، من ضريسة إحدى بطون البربر البتر، وكلهم من ولد فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر، ولها بطون كثيرة نذكر منها: بنو زكوفا، مزيزة مليزة، بنو مدينيين. وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط. انظر: ابن خلدون «كتاب العبر» دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٨، مج ٦ ص ٢٤٦.

(٧) قبيلة تنتسب إلى لوا بن مطماط، انتشرت في عدة مناطق مثل فاس، قابس، مناداس وجبل كزول بنواحي تاهرت. نظر: ابن خلدون: المصدر نفسه، مج ٦ ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

(٨) هي إحدى بطون البرب البتر تنسب إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك، ولوا الأصغر هو نفزاو، ولوا هو اسم أبيهم. انظر ابن خلدون: المصدر نفسه، مج ٦ ص ٢٩٠.

(٩) تقع بلاد اريغ شرق (وارجلان) بالمغرب الأوسط، بها نخل كثير ومياه كثيرة، ولها سوق كبير يعقد يوم الجمعة يفد إليه التجار من كل مكان. انظر: الادريسي: «المغرب والسودان ومصر والأندلس» نشره دوزي ودي خويه، المطبعة الشرقية، امستردام ١٩٦٩، ص ٨٥ - وانظر كذالك: ابن سعيد: «كتاب الجغرافية» تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط ٢، الجزائر ١٩٨٢، ص ١٢٦.

(١٠) هي مدينة تقع في صحراء المغرب الأوسط يحدُّها شرقًا بلاد الزاب، وغربًا منطقة وادي ميزاب، وجنوبًا مدينة سدراتة وقراها، وصفها ياقوت الحموي بأنها كورة بين افريقية و بلاد الجريد وأن عاصمة هذه الكورة تسمى فجوهة. انظر «معجم البلدان» منشورات مكتبة الأسدي طهران ١٩٦٥، مج ٤ ص ٩٢٠.

(١١) هي بلاد على طرف الصحراء قريبة من بلاد الجريد التونسية، تبعد عن (القيروان) بعشرة مراحل أهمّ مدنها (طبنة) التي كان ينزلها الولاة في عصر اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) بالإضافة إلى مدينة باغاية ومدينة بسكرة قاعدة الزاب -. انظر: مؤلف مجهول «كتاب الاستبصار» ص ١٧١، اليعقوبي «صفة المغرب المأخوذة من كتاب البلدان» نشره دي خويه، بريل ١٨٥٠، ص ١١.

(١٢) هو جبل يقع جنوب شرق المغرب الأوسط طوله مسيرة اثني عشر يومًا، فيه مدن كثيرة وآثار كثيرة للأولين. انظر: ابن حوقل «صورة الأرض» ص ٨٤، مجهول «كتاب الاستبصار» ص ١٦٤.

(١٣) هي كورة كبيرة فيها مدن كثيرة أهمها: توزر، عليها سور مبني بالحجارة والطوب، وحولها قرى كثيرة. وهي أكثر بلاد الجريد تمرا، فمنها كان يشحن إلى جميع بلاد أفريقية وبلاد الصحراء لكثرته ورخصه، انظر: مجهول: المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(١٤) هي مدينة تقع في بلاد الجريد كانت تسمى (الحنية) تقع بين القيروان وقابس. اشتهرت بكثرة نخيلها وزيتونها ورمانها، حيث كان يصدر إلى بلاد الأندلس ومصر والشام. انظر: مجهول: المصدر نفسه، ص ١٥٠ - ١٥٤.

(١٥) هو جبل يقع في ليبيا، كانت تسكنه قبيلة نفوسة الإباضية، وإليها ترجع تسمية الجبل يحيط بمدينة طرابلس كالهلال. وصفة ابن حوقل بأنه جبل عال مسيرته ثلاثة أيام فيه مدينتين كبيرتين تسمى إحداهما (شروس) والأخرى (جادو). كان هذا الجبل تابعًا للدولة الرستمية، وبعد سقوطها أصبح كيانًا مستقلًا. انظر «صورة الأرض»، ص ٩٢ - ٩٣.

(١٦) تبعد عن طرابلس بإحدى عشرة مرحلة، وعن البحر بميلين، انظر: الشريف الإدريسي «القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس» تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٣، ص ١٩٨ - ١٩٩.

(١٧) هي بطن من البربر البرانس، تنسب إلى هوار بن أوريغ بن برنس جد البرانس، وتتفرع إلى عدة بطون مثل: هريان، وورفل، سراتة ومجريس. وكان أهلها إباضية المذهب. انظر: ابن خلدون «كتاب العبر» مج ٦ ص ٢٨٤، أحمد الطاهر الزاوي «تاريخ الفتح العربي في ليبيا» دار المعارف، القاهرة (د. ت) ص ٢٧ - ٢٨.

(١٨) ابن خلدون: المصدر نفسه مج ٦ ص ٢٨٦ - ٢٨٧، سليمان الباروني «الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية» تحقيق محمد علي الصليبي، المطابع العالمية، روي، سلطنة عُمَان ١٩٨٧، ج ٢ ص ١٩٧،

(١٩) سميت جماعة النكار بالنكارية لأنهم أنكروا إمامة عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم (١٦٨ - ٢٠٨هـ) (٧٨٤ - ٨٢٣م). كما سموا بالنجوية لأنهم أكثروا النجوى في إبطال إمامة عبدالوهاب، وسموا بالشغبية لإكثارهم من الشغب في تاهرت وأرباضها. كما عرفوا باسم النكّاث لأنهم نكثوا بيعة الإمام عبدالوهاب بعد أن بايعوه رافضين مبدأ الوراثة في الحكم انظر: الشماخي «السير» طبعة حجرية، القاهرة (د. ت) ص ١٤٨، يحيى هويدي «تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية» مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥، ج ١ ص ٤٥.

(٢٠) هي فرقة تنسب إلى واصل بن عطاء مولى بني مخزوم، وقيل مولى بني ضبّة. ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة وتوفي سنة ١٣١هـ، وواصل هذا هو رأس المعتزلة. فلما كفّرت الخوارج مرتكبَ الكبيرة قال واصل: بل هو لا مؤمن ولا كافر، فهو في منزلةٍ بين المنزلتين، ولذلك اعتزل حلقة الحسن البصري، رفقة عمرو بن عبيد، ومن يومها سمي أتباعه بالمعتزلة والواصلية. انظر: ابن تغري بردي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» مطابع كوستا تسوماس، القاهرة (د. ت) ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٢١) ابن الصغير «أخبار الأئمة»، ص ٥٢.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٢٣) نفسه، ص ٥٣.

(٢٤) هو نهر يقع في شرق مدينة (أسلن) التي تبعد عن تاهرت غربًا بأربع مراحل. انظر: البكري «المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب» طبعة دي سلان، الجزائر ١٨٥٧ ص ٦٩، ٨٩، ٩٠.

(٢٥) ابن الصغير: المصدر السابق، ص ٥٥.

(٢٦) نفسه، ص ٨٤.

(٢٧) نفسه، ص ٨٤.

(٢٨) نفسه، ص ٨٥.

(٢٩) اليعقوبي «صفة المغرب»، ص ١٧.

(٣٠) البكري: المغرب، ص ٦٩.

(٣١) انظر: ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٣٢) ابن خلدون «كتاب العبر»، مج ٧ ص ١١٤.

(٣٣) ابن الصغير «أخبار الأئمة»، ص ٨٥.

(٣٤) نفسه، ص ٨٦.

- ٢ -

مُكْنِفُ بنُ نُمَيلَةَ المُزنِي وشعرهُ

عرف تراثنا الأدبيُّ المجيدُ عددًا كبيرًا من بيوتات الشعر التي امتدت جذوة الشعر فيها جيلًا بعد جيل.. ومن أشهر هذه البيوتات بيت أبي سُلْمَى المُزَنِي ربيعة بن رياح ابن قُرط الذي كانت شاعريتهُ المتواضعةُ قبسا اهتدى به أبناؤه: زهير وأوس والخنساء، وأحفاده: كعب وبُجير وسَلْمى ووبرة، وعُقبة بن كعب وأبناؤه: العَوّام والممزّق وبشير، وغيرهم ممن لم يحظوا بكثير من اهتمامات الرواة والنقاد، بسبب عدم تخصصهم في قرض الشعر، أو بسبب قلة ما وصل إليهم من أشعارهم.

ومن هاؤلاء المزنيين الذين يُمتُّون بنسب قويٍّ لآل أبي سُلْمَى الشاعر المزني أبو سُلْمَى مكنِفُ بن نُميلةَ، الذي نصَّت الأخبارُ على أنه من ولد آل زهير بن أبي سُلْمَى.. دون أن تلقي بعض الأضواء على جوانب من حياته وأسرته، وموطنه، وصلاته بوُجهاء عصره.

وقد وصلت إلينا ستُّ قصائد قصيرةٍ ومقطوعاتٍ من شعره، تشتمل على (٣٤) بيتا يتقاسمها كل من بحري الطويل (٢٣) بيتًا.. والكامل (١١) بيتًا، وأحرف الهمزة والراء والعين والقاف واللام رويًا.

ويدل تصريعُه لثلاث قصائدَ ومقطوعات[1] من هذه الست على أنها مجرد بقايا لقصائد ربما كانت مطولة، وضاعت من ذاكرة التاريخ الأدبي، أو طَوَتْهَا بطون الكتب، مما لم تتيسر لنا مطالعته حتى الآن.

ويكشف بعض ما بين أيدينا من مجموعه الشعريّ على أن مُنشده كان أحد شعراء العصر العباسي الأول، معاصرًا لكل من هارون الرشيد (ت ١٩٢هـ) وابنيه الأمين (١٩٨هـ) والمأمون (٢١٨هـ) الذين كانوا من أعلام أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين، بدليل صلاته المضطربة بأبي العباس ذفافة العبسي أحد وجهاء عصره، ممن واكبوا هذه الكوكبة، واتصلوا بهم، فوصلت إلينا بقايا من

شعره في هجاء العبسيين آل ذُفَافة، والسخرية منهم من جهة[٢] وبقايا أخرى في رثائه بعد موته[٣] إضافة إلى رثاء إحدى الشخصيات الأخرى التي لا أعلم عنها شيئًا، ممن كان يُسمى إسحاق[٤]، مفردًا صفحاتٍ أخرى من قريضه للغزل والنسيب[٥] الشكوى من آلام الشيب، والوقوف على الأطلال[٦] مواكبًا شعراء عصره وسابقيهم في اختيار أدوات معجمه الشعري من جهة، وبناء صوره الفنية من جهة أخرى.. تاركًا لعثورنا على جزء آخر من جوانب حياته وشعره فرصة أكبر، لتأكيد هذه الخصائص الفنية والموضوعية أو تعديلها، وهو ما نرجوه في قابل الأيام، إن شاء الله تعالى.

الحواشي:

(١) مجموع شعره، الأرقام ٢، ٣، ٦. (٢) مجموع شعره، رقم ٤.

(٣) مجموع شعره رقم ٢. (٤) مجموع شعره رقم ٥.

(٥) مجموع شعره رقم ١ و ٣. (٦) مجموع شعره رقم ٦.

مجموع شعره

أ- قال يتغزل (طويل):

١- تـذكَّـرَ لَيلَى أُمَّ بكـرٍ وذِكْـرُهَـا ... جَـوًى بينَ أطـلاحِ الضُلُـوعِ وَدَاءُ

٢- ومـا ذكْـرُ ليلَـى أمّ بِكـر إذا نَأَتْ ... بِهـا الـدارُ إلا حَسْـرَةٌ وعَنَـاءُ

٣- وَلَمْ تجْـزني بـالـوُد ليلَى ولم يكُنْ ... لَنَـا عِنْـد لَيْلَـى بِـالبِنَـاء قَضَـاءُ

٤- ولاخيـرَ في وَصْل إذا لم يكُنْ لَـهُ ... عَلَى طُـول جَـرِّ الحَـادثـات بَقَـاءُ

٥- ومـا بُحثُ بالسِّـر الـذي كان بيننَا ... وبينـك إلّا أن يَبُـوح بُكَـاءُ

٦- لَعَمْري، لَئنْ قُنِّعْتُ بالشيب وَانكَفَا ... بِمَـا فيـه من مَـاءِ الشَّبَـابِ إِنَـاءُ

٧- لقد كان ماءُ الحُسْنِ يدعُو إلى الصِّبا ... نِسـاءَ أعـارتْهَـا العُيـونَ ظِبَـاءُ

١- الجوى: الصبابة. ٢- نأت: بعدت وصدت. حسرة: لوعة وأسى. عناء: تعب وآلام.

٣- تجزيني: تكافئني. البناء: الاصطناع والإحسان.

٤- جرّ الحادثات: مرور الدهر بتقلباته ومحنه ومصائبه.

٥- قنعتُ بالشيب: أبيض شعر رأسي من المشيب والشيخوخة.

المصدر: «حماسة الخالديين»: ٢/ ١٦٩.

ب- وقال في رثاء ذفافة العبسي أحد بني قيس عيلان (كان معاصرًا للرشيد (ت١٩٢هـ) (طويل):

١- أبعدَ أبي العبّاس يُستعتَبُ الدَّهْرُ ... ومـا بَعْـدَهُ للدَّهْـر عُتْبَى ولَا عُـذْرُ
٢- ولو عُـوتب المقـدارُ والدَهـرُ بَعْدَهُ ... لَمَـا أعْتَبَـا مـا أورق السَّلَمُ النَّضْـرُ
٣- ألا أيُّهـا النّـاعِي ذُفَـافَـةَ ذَا النَـدَى ... تَعِسْتَ وشُلَّتْ مـن أنـامِلِكَ العَشْـرُ
٤- أتنعَى فتًى من قيْس عيـلانَ صَخْرَةً ... تُفَلَّق عنهـا من جبَال العِدَا الصَخْـرُ؟!
٥- إذا مـا أبـو العبـاسِ خَلَّى مكـانـه ... فـلا حَمَلَـت أنثَى ولا مَسَّهـا طُهْـرُ
٦- ولا أمطرتْ أرضًـا سَمَاءٌ ولا جَـرَتْ ... نُجـومٌ، ولا لـذَّتْ لِشَـارِبِهَـا الخَمْـرُ
٧- كأنّ بَني القعقـاع يـوم وَفَـاتـهِ ... نُجـومُ سَمَـاءٍ خَـرَّ من بينهَـا البَـدْرُ
٨- تُـوفّيت الآمـالُ بَعـدَ ذُفَـافـةٍ ... وأصبحَ في شُغْـل عَنِ السَفْـرِ السَّفْـرُ
٩- يُعـزُّوْنَ عـن ثَـاوٍ تُعَـزَّى بـه العُـلا ... ويبكي عليـهِ المَجْـدُ والبأسُ والشِّعْـرُ
١٠- ومـاكـانَ إلا مـال من قَلَّ مَـالَـهُ ... وذكـرًا لِمَـنْ أمْسَى ولَيْس لَـهُ ذُخْـرُ

١- يستعتب: يطلب رضاه، العتبى: الرضا.
٢- المقدار: الأجل والقدر. السلم النضر: النبات الأخضر المعشب.
٤- تفلق: انشق. ٥- خلَّى: ترك.
٧- خرّ: سقط ووقع. ٨- السّفْر: المسافرون.
٩- الثاوي: المقيم. ١٠- الذخر: العون المدخر.

المصادر: الأبيات كلها لمكنف في «الموشح» السلفية ٣٢٨، والنهضة: ٥٠٣ و (١ - ٨) في «تاريخ دمشق» الدار: ٤/ ١٦١، ١٦٢، وتهذيبه: ٤/ ٢٨، ٢٩، و (١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨) في «الأغاني» دار الفكر: ١٥/ ٢٤٦، و «الموازنة»: ١/ ٧٢، ٧٣، و «أخبار أبي تمام»: ٢٠٠، ٢٠١ و (١، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) في «الوساطة بين المتنبي وخصومه» ١٨٧، ١٨٨، وحل الخامس محل الثالث في «الموازنة»، و (١، ٥، ٦، ٧، ٨) في «الحماسة البصرية»، بيروت: ١/ ٢٣٦، والسابع لجرير في «المخصص»: ٩/ ١٠، وليس في ديوانه.

الروايات: ١- رواية الأول في «الأغاني»:

أبعـد أبي العبـاس يستعتب الشِّعْـرُ ... فَمَـا بعـدَه للـدهـرِ حُسْنٌ ولا عُـذْرُ

وفي «أخبار أبي تمام»:

أبعـدَ أبي العبـاس يُستعـذَبُ الـدَّهْـرُ ... ومـا بعـدَه للـدهـرَ حُسْنٌ ولا عُـذْرُ

٢- رواية الثاني في «تاريخ دمشق» وتهذيب:

... ... لما أغنتنا ما أورق السلَم النضُرُ

٣- والثالث فيهما: تَعِسْتَ وشُكَّتْ من أناملك العَشْرُ

٤- الرابع في «الأغاني» و «أخبار أبي تمام»: (أتنعى لنا من قيس عيلان صخرةً).

٥- السادس في «الموازنة» و «الوساطة» (ولا مَطَرت أرضًا سَماءٌ ولَا جَرَتْ).

٦- السابع في «الأغاني»: (كأنّ بني القعقاع يوم مُصابه).

وفي «المخصص»:-

(نُجومٌ هوى من بينهَا القَمَرُ البَدْرُ)

٧- والثامن فيه: (تُوفيت الآمالُ يوم وفاتِهِ).

جـ- وقال متغزلًا (طويل):

١- يبوحُ بما يُخفي حَشًا وضُلُوعُ سقيمةُ أطراف الدُّموع جَزُوعُ
٢- لها عارضٌ يُبدي الضميرَ تُهيجُه طُلُولٌ تَعَفَّتْ بِاللِّوى وربُوعُ
٣- ولي عَبَراتٌ كُلما عِجْتُ عَوْجَةً على عَرَصَاتٍ خَيمُهُنَّ صَرِيعُ
٤- وإني لأشقَى الناس بالدّمْع كلما تصدَّعَ شِعْبٌ أو أشتَّ جَمِيعُ
٥- يقولون: لو عزَّيْتَ قلبَكَ لَمْ يُبحْ ضَميرٌ ولم تَنمُمْ عَلَيْكَ دُمُوعُ
٦- فقُلتُ لهُم: لا ذنبَ لي أنْ تكلَّمتْ دُموعٌ جَرَى في جَرْيِهنَّ نَجيعُ

١- الحشا: مفرد الأحشاء وهي ما في البطن، والجزوع: الضعيف الهزيل السقيم.

٢- العارض: صفحة العنق وجانب الوجه، وتهيجه: تثيره، وطلول: أطلال وهي بقايا الديار، وتعفت: درست وبليت، واندثرت، واللوى: وادٍ من أودية بني سُلَيم [«العرب»: في الأصل وصف، وسميت به مواضع].

ربوع: جمع ربع، وهو المرتع والمقام.

٣- عجتُ: أقمتُ، عرصات: جمع (عرصة) وهي كل بقعة بين الدُورِ واسعة ليس فيها بناء، والخِيمُ: السجية والطبيعة.

٤- الشَعْب: ما انفرج بين الجبلين، أو كان مسيلا للماء في بطن أرض، وأشَتَّ: تفرقّ وتصدَّع الجمع.

٥- عزيتُ القلب: خففتُ من آلامه وسلّيتُه، تنمُّ: تدلُّ وتُوحي.

٦- النجيع هنا: دَمُ الجَوْفِ.

المصدر: «حماسة الخالديين»: ٢/ ١٦٩.

د- وقال في أبيات يهجو بها ذُفافةَ العبسي (كامل):

١- إن الضراطَ به تعاظَمَ جَدكُمْ فتعاظَمُوا ضَرِطًا بني القَعْقَاعِ

المصدر:

١ - البيت في «الموشح» السلفية: ٣٢٨، والنهضة: ٥٠٣، و «الموازنة»: ١/ ٧٢، و «الأغاني»، الفكر: ١٥/ ٢٤٦، و «أخبار أبي تمام» ٢٠٠.

٢ - في «الموازنة»: (إن الضراط به تعاظم مَجْدُكم).

وقال (الكامل):

١ - بكتِ العُيونُ فأقْرَحَتْ عَبَراتُها ... أجفانَهَا حُزنًا على إسحاقِ
٢ - ولئن بَكَتْ جَزَعًا عليه لَقَد بَكَتْ ... جَزَعًا عليه مكارمُ الأخلاقِ
٣ - ياخيرَ من بكتِ المكارمُ فَقْدَهُ ... لم يَبْقَ بعدَك للمكارِمِ بَاقِ
٤ - لو طافَ في شرقِ البِلاد وغربِها ... لم يلقَ إلا حامدًا لك لاقِ
٥ - مابتٌّ من كرم الطبائع ليلةً ... إلا لِعرْضِكَ من نَوالِكَ واقِ
٦ - بَخلتْ بما حوتِ الأكفُّ وإنما ... خَلَقَ الإلهُ يَدَيْك للإنْفاقِ

١ - أقرح: أتعب وأمرض. والعبرات: الدموع الغزيرة.

٢ - الجزع: الضعف والحزن. ٣ - الفقد: الموت.

٤ - العرض: ما تجب على المرء حمايته من شرف وأرومة.

٥ - حوى: اشتمل، تضمن.

المصدر: «البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي، تحقيق د. وداد القاضي، دار الجيل ودار صادر ببيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ٢٢.

هـ - وقال يصف أحواله واقفًا بالديار (كامل):

١ - حتى متى أنا بالديار تَبِيلُ ... وَجَدى الديار ونفعُهُنَّ قليلُ
٢ - هاجَتْ بِذي بَقرٍ عَلَيْكَ صَبَابةٌ ... دِمَنُ الديار، ورسمُهُنّ مَحيلُ
٣ - إن المنازل لا تزالُ عَلَى البلى ... بالطلح تُسعفُنِي لَهُنَّ طُلُولُ
٤ - فَسقَى بِذي بقرٍ ديَارَك مُسْبِلٌ ... هَزِمٌ، يَجُودُ عِراضَها ويَسِيلُ

١ - التبيل: المأخوذ، الذاهب العقل، المتيم. والجَدَى: الجدوى والنفع والفائدة.

٢ - الدمَن: آثار الديار، مفردها (دمنة) والمحيل: المجدب.

٣ - البلى: الفناء والعفاء والاندثار.

٤ - المسبل: المطر الوفير المتقطع، المصحوب بصوت الرعد المتكسر.

المصدر: «الأنوار ومحاسن الأشعار»: ٢١٦.

د. عبدالمجيد محمد عبدالمجيد الإسداوي
كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر

السلطان العماني سليمان بن سليمان النبهاني (٨٧٤ - ٩٠٩ هـ)
وامتداد نفوذ دولة الجبور إلى عُمَان في عهده

نشأت سلطنة بني نبهان الأزديين العتيكيين في عمان الداخلية قبل القرن السادس الهجري في تاريخ مجهول لدينا، وامتد بها العمر قرونًا عديدة مرت خلالها بفترات من القوة والضعف، والمد والانحسار، ومما يؤسف له أن المؤرخين العمانيين أغفلوا التأريخ لها، ولم يتطرقوا إلى ذكرها إلا فيما يتعلق بالأئمة، الإباضيين الذين كانوا يتجاذبون معها أطراف النفوذ في عمان، والذين نالوا نصيب الأسد من اهتمام مؤرخي القطر العماني.

وقد حفظ لنا شاعر النباهنة المتقدمين أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي المعروف بالستالي في ديوانه أسماء عدد من سلاطين بني نبهان وأمرائهم في القرن السادس الهجري كما يمرُّ بالمتتبع لكتب التواريخ العمانية نِتَفٌ متفرقة من أخبارهم لا تبل الصدأ، ولكن مع مجيء القرن التاسع تبدأ الرؤية في الاتضاح تدريجيًا للباحث بسبب توافر المادة التاريخية وتزايدها باطراد، حتى سقوط دولة بني نبهان المتأخرين سنة ١٠٢٦هـ.

ولقد تميزت العلاقات بين بني نبهان والأئمة الإباضيين بالخصام المزمن، إذ كان الأئمة وعلماء المذهب الإباضي المساندين لهم ينظرون إلى سلطنة بني نبهان باعتبارها سلطنة جور واستبداد، وينعتون سلاطينها بالجبابرة.

وقد أدت الحروب الأهلية التي كانت تندلع بين الطرفين بين فترة وأخرى إلى ضعفهما معًا، مما مهد السبيل أمام القوى الخارجية لضم أجزاء من عمان، فسقطت سواحلها في أيدي حكام (هُرمز) خلال القرن الثامن، ومالبثت مناطقها الداخلية أن ضمها الجبور أواخر القرن التاسع، ثم تمكن البرتغاليون من احتلال سواحلها من أيدي عمال ملك هرمز أوائل القرن العاشر.

ويُعَدُّ عصر السلطان الشاعر سليمان بن سليمان بن المظفر النبهاني (٨٧٤ - ٩٠٩هـ) فترة مهمة من فترات التاريخ العماني لكونها حافلة بالأحداث الجسام،

والتي لم تنل ما تستحقـه من الدراسة والبحث حتى اليـوم - حسب علمي - فمن هو سليمان بن سليمان؟

هو أحد سلاطين بني نبهان المتأخرين وهـو ثالث ثلاثة من أبناء السلطان سليمان ابن مظفر بن سليمان النبهاني (توفي سنة ٨٧١هـ) وهم: مظفر، وحسام، وسليمان.

ولد حوالي منتصف القرن التاسع، وتربى على الفروسية وحمل السلاح فنشأ فارسًا مقدامًا، وكان شاعرًا مجيدًا فخورًا تدل أشعـاره الجزلة على أنه نال من الثقافة اللغوية والأدبية حظًا وافـرًا، وكان إلى جانب ذالك زير نسـاء يغلب عليه الفسق والتهتك، وله صواحب كثيرات ذكرهن في أشعاره[١].

وقـد تـولى الحكـم في سنـة ٨٧٤هـ خلفًـا لأخيـه مظفــر بن سليمـان (٨٧١ - ٨٧٤هـ)، وكانت مـدة حكمه الطويلة نسبيًا حـافلة بالصراعات والمعـارك الطاحنة، حيث ابتلي السلطان المـذكور بخصوم ألِدَّاء عملـوا جاهدين على تقـويض حكمه، والاستئثار بـالحكم والنفوذ دونـه، فلم يتردد في امتشاق الحسـام مدافعًـا عن حكمه، وذائدًا عن حياضه.

ويمكن إجمال أولئك الخصوم المنافسين له كما يلي:

- أخوه حسام بن سليمان.

ب- الأئمة الإباضيين.

ج- بعض زعماء القبائل العمانية:

أولًا: صراعه مع أخيه حسام بن سليمان (المكنى بأبي ناصر):

يظهر أن الصـراع المسلح بين سليمان بن سليمان وأخيـه الثائر عليه حسـام يعود إلى عقد السبعينات من القـرن التاسع، وهو العقد الذي قبض فيـه سليمان على زمام السلطة، وقـد وقفت قبائل عمـانية عديـدة إلى جانب الأخ الثـائر، وخاض الفـريقان معارك طـاحنة أشهـرها معركـة (حبل الحديـد أو الحبيل) - نسبة إلى مـوضع شرقي (نَزْوَى) - التي انتصر فيها سليمان على قوات أخيه رغم تفوقها في العدد، ولاذ حسام بالفرار حينما رأى أن الهزيمة قد حاقت بجيشه.

وبما أن المعركة لم تحسم المنافسة بين الأخوين فقد كان من المتوقع أن يعيد حسام تنظيم صفوفه ويعاود الكرة ضد أخيه، مما دفع بسليمان إلى طلب النجدة من حكومة الجبور في الأحساء زمن السلطان أجود بن زامل الجبري العقيلي (؟ - ٩١١هـ) وقد أرسل إلى السلطان أجود بقصيدة ميمية يطلب فيها دعمه ضد أخيه المناوئ له، ويصف له فيها معركة (حبل الحديد) وفي ختامها عتاب رقيق للجبور لتخيلهم عن مساعدته[٢] وقد أطنب سليمان في الثناء على السلطان أجود وبنيه، فقال مخاطبًا رسوله إليهم:

إذا جئت بعد العشر قوما أعاظما ... تدين لهم في الخافقَين الأعاظمُ
كماةٌ حماةٌ لا يُضام نزيلُهم ... ولا يدَّعي ما يدَّعيه المُراغم
صناديدَ ضرَّابين للهامِ في الوغَى ... إذا صافحت بيضَ السيوفِ الجماجمُ
بهَاليل (جَبْرِيِّين) شادت علاهُمُ ... ظباةُ المواضي والرماحُ اللهاذم
(أبا سَنَدٍ) قرمَ الملوكِ (ابن زاملٍ) ... ومن يتَّقيه في المِكَرِّ المُصادمُ
و (سيفًا) يروي كل سيفٍ وذابلٍ ... إذا أحجمت خوفَ الحِمام المقَادمُ
و (زاملَ) ربَّ الفضل والبأسِ والوفا ... ومن قَصُرت عنه الملوك الأكارم
هم القومُ سادوا كلَّ حي وشيدوا ... مراتبَ لم تبلغ مداها النعائم
ليوثٌ سناديدٌ غيوثٌ هواطلٌ ... جبالٌ مُنيفاتٌ بحارٌ خَضَارمُ
هم الأسد إلا أنهم في نزالهم ... تذل لهم أُسْدُ العرينِ الضراغم
بحورٌ طوامٍ غير أن أكفهم ... إذا زخرت غاضَ البحورُ القَماقم
فمِن شأنهم حوزُ الممالك والعُلى ... ومن طبعهم بذلُ الندى والمكارم

وأردف سليمان هذا المديح بوصف موقعة (حبل الحديد)، وما أبداه فيها من ضروب الشجاعة والبأس نقتطف منه هذه الأبيات:

سأخبركم ياعصبةَ الخير بالذي ... جرى بقضاء الله والله حاكمُ
أتانا (حسامٌ) مصلتا لحسامه ... يجر خميسًا بحره متلاطمُ

يـؤمل أن يحـوي (عُمـانَ) بجمعـه ... ولله حكمٌ فـي البـــريـــة قـــائم

بيوم على (حبل الحـديـد) غـدت بـه ... تُـريق الظُّبـا مـالا تـريقُ الغَمـائم

نجيعًـا كأكبـادِ الـركـابِ رمَتْ بـه ... شفـارُ المـواضي والـرمـاحُ اللهـاذم

فجـاؤوا مجيءَ البحـرِ عَبَّ عُبـابُـهُ ... وجئنـا كمـا يأتي الأَتيُّ المـزاحِمُ

وكنـا - وبيتِ الله[٣] - في العَـدِّ دونَهم ... رِجـالا وخَيـلا حين حُمَّ التصـادم

فأقبلتهم وجهي وقـد مـال جمعهم ... علي وعـزمي لم تُمتـه العظـائم

أَنَثُّـرهم فـوق (الحبيلِ) ودونـه ... كمـا انتثـرت من صُـرَّتَيها الـدراهم

بِضَـرب يُبين الهـامَ عن مستقـرهـا ... وتنأى عن الأكتـافِ منـه المعـاصمُ

وطعنٍ كـأفـواه المـزَادِ تحللت ... وقـد أُتـرعت بـالمـاءِ منهـا المحـازم

وأشـرعت رمحي طـاعنـا لمـدجَّجٍ ... فأخيلتُ منـه سـرجَـه وهـو راغم

وبـادرت (عُكْلي بن عـزيـز) بضـربـة ... فخـر صـريعًـا لـم يقم فيـه قـائم

وطـاغٍ قُضـاعيٌّ أطـرت قـذالَـه ... بسيفي ولـم تحفظـه مني التمـائم

فظل عفيـرًا نـاضحًـا بنجيعـه ... تنـاهَبُـهُ تحت العجـاجِ القَشـاعم

فكلـوا وملـوا وابـذَعَـرُّوا وأوجفـوا ... فـرارا كمـا فـرت - لعَمَـري - النعـائم

وحـاد (حسامٌ) عن حسـامي مُهَلِّلًا ... يـروح ويغـدو وهـو للنفسِ لائم

ويعـاتب سليمان حكـام الجبـور لتخليهم عنـه مع أنه يكـن لهم المودة والـولاء، ويحثهم على توجيه ضربة قاضية لخصومه المناصرين لأخيه الثائر عليه، فيقول:

وإني - وإن سلمتمُ أو نصـرتُم - ... لَخِـلٌ وفيٌّ بـالمـودة دائمُ

أراكم بعينِ الـوُدِّ غيبًـا ومشهـدًا ... وأسمـو بكم والله بـالغيب عـالم

أعـادي معـاديكـم وأهـوى محبَّكم ... ولـم يثنـي عنكـم عـذولٌ ولائم

فَلِمْ تخـذلـوني عنـد كـل عظيمـة ... وكفِّي بكـم - بـاللمـروءة - لازم

تخليتمُ عنـا فطـالت يـدُ العـدى ... علينـا وثـار المُستَنِيمُ المُخـاصم

أخيفوا قلوبَ القوم تخضعْ رقابُهُم ... لكم أبدًا فالقوم صُمٌّ صلادم
أميتوا نفوسَ الأمرِ منهم بصولةٍ ... خُوَيخيَّة تنفَضُّ منها الحيازم
أريقوا عليهم وابلًا من عِقابكم ... عسى يقعد البغيُ الذي هو قائم
وإن أنتم لم تذعَروهم بسطوةٍ ... فما الأمر مسموعٌ ولا الخوف لازم
فكونوا كظني فيكم إن لي بكم ... لظنًا جميلًا عهده متقادم
بقيتم ولا زال الإله مساعدًا ... وظهرًا لكم والله بَرٌّ وراحم

ويتبين للباحث من خلال هذه الأبيات بعض الحقائق الهامة:

١- رغم أن السلطان العماني لم يذكر اسم السلطان أجود صراحة واكتفى بكنيته (أبو سند بن زامل) إلا أنه من الواضح أن المقصود به هو السلطان أجود بن زامل وليس أخوه سيف الحاكم قبله، فقد ورد اسم أبي سند مقدمًا على اسم سيف مما يدل على أن سيفًا هو ابنه، وأردفه باسم الابن الآخر زامل، وماكان سليمان ليقدم (أجود) على أخيه سيف لو كان في فترة حكم الأخير.

٢- كنى سليمان ممدوحه بأبي سند مما يشير إلى أن لأجود ولدا يسمى (سندًا)، ورغم أننا لا نعرف عنه شيئًا إلا أنه من المحتمل أن يكون قد توفي بعيد هذه الأحداث فبرز إخوته التالون له على مسرح الأحداث في حياة أبيهم وبعد موته، والاحتمال الثاني أن يكون هذا الولد خامل الذكر لم يقم بدور يذكر في الحياة السياسية والعسكرية لدولة الجبور فلم يشتهر كاخوته: سيف وزامل ومقرن وعلي ومحمد[٤].

٣- إذا ثبت هذا فمن الراجح أن يكون السلطان أجود قد تولى الحكم في عقد السبعينات من القرن التاسع خلفًا لأخيه سيف بن زامل الذي توفي في سنة مجهولة، ومن الثابت تاريخيًّا أن السلطان أجود كان حاكمًا للبحرين والقطيف في سنة ٨٨٠هـ.

٤- في هذه المرحلة التي كان السلطان سليمان بن سليمان النبهاني يواجه فيها تحديًا عسكريًّا خطيرًا يكاد يعصف بعرشه، لم يكن أمامه إلا الاستنجاد بحكومة الجبور، ويبدو أن نداءاته قد تكررت للحصول على المساعدة العسكرية من تلك

الدولـة الصاعدة، وأنـه لم يظفر ببغيته فلـم يتـدخل السلطان أجود في الصـراع الدائر بين الأخـوين المتنافسين، ربمـا بسبب الظروف السيـاسية التي تمـر بها دولـة الجبور يومئـذ أو أن الجبور آثـروا التريث في انتظار نتيجـة الصراع بين الأخـوين قبل الإقدام على أية خطـوةغير محسـوبة النتـائج، ويبدو أن الظـروف قد أصبحت مـواتية لبسط نفوذهم على عمان في سنة ٨٩٣هـ. كما سيأتي.

ومن الجدير بالذكر أن الأمير الثائر حسام بن سليمان قد قتل في معركة جرت بينه وبين أخيه بعد معركة (حبل الحديد) آنفـة الذكر، ولم يتمالك سليمان نفسه فجاشت في نفسه عاطفة القرابة فرثـاه بمرثية تفيض حزنا وندامة[٥] تجعلنا نشك في أن حساما قتل بيد أخيه سليمان:

(أحســـامُ) أوجَعنـي رَداك ولم أكـن ... قِـدْمًـا ليـوجعني مصـابٌ مـوجِعُ

(أحســامُ) عــزَّ علي فقـــدُك من أخٍ ... عفُّ الشمـــائل جـــودُهُ مـــا يُقلع

شُحقًـا ليـومك كم أراقَ وكم شجـا ... دمعًـــا وقلبًـــا قبلـــه لا يجـــزع

ضَعْضَعْتَنَـــا أسفًــا عليك ولـم نكن ... لــــولا رَداك لنكبـــةٍ نَتَضَعْضَـعْ

إن أمسِ مـأثــــومًـــا بقتلك إنني ... بك يـــا ابـن سيـــدِ يعـــربٍ لمفجَّع

قطعَتْ يــدي عمـدًا يـدي وتــوهمي ... مـن قبلُ أن يـــــدًا يــــدًا لا تقطـع

ولا صحة إطـلاقًا لما ذكره الأستـاذ عز الدين التنـوخي في مقدمة تحقيقه لـديوان سليمان بن سليمان من أن حساما قتل في مـوقعة (حبل الحديد) حيث نجد سليمان في قصيدة أخرى بائية[٦] يحذر أخاه من التمادي في غيه ويـذكره بهزيمته في (حبل الحديد) فيقول:

فمن مبلغ عنـي (حُسَـامًـا) ألُـوكَـةً ... تبلغ مُعطـاهـا لأهـدى المـذاهبِ

ألـم تنهَكَ الحـــربُ التي سلفت لنـــا ... بـ (حبـل الحديد) يـا كريمَ المنـاسبِ

- ولـدينا نص شعـري هام ورد في كتـاب «اتحاف الأعيـان في ذكر بعض علمـاء عُمَـان»، تأليف الشيخ المحقق: سيف بن حمـود بن حامـد البطـاشي (فقيه ومـؤرخ

وشاعر عماني معاصر) والنص عبارة عن قصيدة ميمية للفقيه الإباضي الشيخ مَدَّاد ابن محمد بن مَدَّاد بن فضالة الناعبي القضاعي وهو من فقهاء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، يتناول فيها حادثة غزو تعرضت لها (عَقْر نَزْوى) اشترك فيها أهل البحرين والأحساء وظاهرة عمان، وقد تصدى لهم أهل (عَقْرِ نَزْوى) بقيادة طلبة العلم وردوهم على أعقابهم(٧) ولم يذكر تاريخ هذه الحادثة إلا أنها كما يبدو قبل سنة ٨٩٣هـ ويظهر أن القصيدة تعرضت للتحريف والتصحيف من قبل النساخ، وفيها اضطراب واضح وسأكتفي هنا بالأبيات التي هي موضع الاستشهاد:

سَلْ تُنَبَّأْ بهم خبيرًا إذا الحر ... ب حشاها المستوقدون ضراما
إِذْ أتتهم رجراجة ذا دفاع ... ترى للمنون فيها مداما
يحتوي شربها التنابلة الأغـ ... ـمار لا يقربون فيها الرجاما
واستنارت سنابك الخيل رهجا ... مثلما تدفع الرياح الجهاما
واستجاش الأعداء من كل فج ... كل قوم قد جمعوا أقواما
من أقاصي البحرين فالجوِّ فالأحـ ... ـساءَ حقًّا يبغون منا اصطلاما
وأتتنا (رساتقُ الجوفِ) عَدُوًّا ... و (رِيامٌ) وما عددنا رياما
يَرِدُون البطاح بالخيلِ والرجْـ ... ـل كما تورد النصيح الهياما
حين سال الواديان سيوفًا ... ورماحا وصافنات صياما
ودلَاصًا مثل الأضَاة وبيضا ... وزجاجًا سمرا تقيء السماما
وأسودًا ينهَمن في أجمات ... وكِباشًا لا تأجم الاصطلاما
ثم داروا بنا فكان لنا النصـ ... ـرُ عليهم والله يجزي انتقاما
فتولوا ما بين ثاو وقتيل ... وكسير لا يستطيع قياما
واستبيحت (عَقْرى) من الخيل لا تصـ ... ـلح إلا للخامعات طعاما
فترى خيلهم تصد صدودا ... كالعذارى رأين رهطا قياما

يتقهقـــــرن مشيهن علـى الأعـــــــ ـــــقاب إذ لا يطقن إلاّ انهـــزامـــا

يـــالهـــا وقعـــة تظلل للشمــــ ـــمس من البيض والـرمـاح غيامـا

كــان فيهـــا مغــاور العقـــر أســـدا تـــرد المـــوت حين حم وحـــامـــا

ومن هذا النص نستنتج ما يلي:

١- أن هذا الجيش الغازي كـان يضم قوات من البحرين والأحسـاء ومنطقة الجَوّ (البريمي) والجوف (داخلية عمان) وقبيلة بني ريـام العمانية القحطانية، مما يعني أن هاؤلاء الأقوام جميعًا كـانوا يومئذ من رعايا دولة الجبور أوحلفـاء لها، وفيه دلالة على تزايـد نفوذ هـذه الدولة حينئـذ وسعيها لبسط نفـوذها بالقـوة على بقية منـاطق عمان الداخلية.

٢- يتبين لنا من خلال الأبيـات موقف علماء الإباضية يومئـذ - وآل مَدَّاد من أبرز بيوتـات العلم والفتيا في عمان لقرون عـديدة - من هاؤلاء الغـزاة المخالفين لهم في المذهب، وتصـدي فقهائهم لقـوات الغزو واستمـاتتهم في الدفاع عـن (العقر) (حي من أحياء نَزْوَى) حتى تمكنوا من كسر شوكة القوات الغازية وردوها على أعقابها.

ثانيًا: صراع سليمان بن سليمان النبهاني مع الأئمة الإباضيين:

إن ممـا يلفت النظر في تـاريخ الإمامـة الإباضيـة في عُمان وجـود فترات انقطـاع متفرقة تعطل فيها منصب الإمـامة مدة قد تطول أو تقصر، وأبرزها الفتـرة الواقعة ما بين سنة ٥٥٧هـ (وفاة الإمام محمد بن خنبش) إلـى سنة ٨٠٩هـ (تولي الإمـام الحواري بن مـالك) أي قرابـة قرنين ونصف، ثـم فترة انقطـاع أخرى امتـدت من سنة ٨٤٦هـ (وفاة الإمام أبي الحسن بن خميس بـن عامر) إلى سنة ٨٨٥هـ (تـولي الإمام عمر بن الخطـاب بن محمد الخـروصي)[٨] ففي السنـوات الإحـدى عشـرة الأولى من حكم السلطان سليمان بن سليمــان النبهاني لـم يكن ثمة إمامٌ إباضيٌّ ينازعـه النفوذ، إلا أنه في سنة ٨٨٥هـ عقـد علماء المذهب الإمامة لعمر بن الخطـاب الخروصي، معتبرين حكم بني نبهـان حكمـا جبروتيـا غيـر شرعي، وبعـد مـرور سنـة واحدة وقع الصـدام المرتقب بين الخصمين، فاشتكبت قواتهمـا في موقعة (حممت أو الحمة) من وادي

سمائل في سنة ٨٨٦هـ، وتمكن سليمان من إلحاق الهـزيمة بقوات الإمام عمر، غير أن أهل الحل والعقـد جددوا البيعة لـلإمام، ومـالبث أن انتصر على خصمـه سليمان في سنة ٨٨٧هـ، وشكل الإمام هيئة من كبـار فقهاء المـذهب للحكم في أموال بني نبهان المهـزومين، فنصب القاضي أبا عبـدالله محمد بن سليمان بن أحمـد بن مفرج مشـرفًا على التحكيم، وجعل ابن عمـه القاضـي محمد بن عمـر بن أحمد بن مفـرج وكيلًا للمظلومين من أهل عمان الذين ظلمهم سـلاطين بني نبهان منذ عهد السلطان مظفـر بن سليمان جـد المتـرجم له وحتى عهـد سليمـان بن سليمان حفيـده ونصب القاضي أحمد بن صـالح بن عمر بن أحمد بن مفرج وكيلًا عن ملـوك بني نبهان. وقد قضى القضاة المذكورون بمصادرة جميع أموال الأسـرة النبهانية الحاكمة، وردها على المظلـومين: (فقضى أحمـد بن صـالح بن عمـر أن جميع مال آل نبهـان من أمـوال وعروض ونخيل وبيـوت وأسلحة وآنية وغلل و تمر وسكـر وجميع مالهم كائنا مـاكان من مـاء وبيوت ودور وأطـوى وأثـاث وأمتعة - وقبل محمـد بن عمـر هذا القضـاء - للمظلـومين من أهل عمـان... فصـارت هـذه الأمـوال بـالقضاء الكـائن الصحيح لمظلومين قد جهلوا معرفتهم فصار كل مال مجهـول ربه جاز للإمام - أعزه الله ونصره - قبضه ويصرفـه في إعزاز دولة المسلمين والقيام بها، وكل من أصح حقـه وأثبته فهو له من أموالهـم ويجزأ له فيها بقسطه إن أدرك ذالك، وإن لم تـدرك التجزئة ولم يحط بهـا فذالك النصيب نصيبـه غير معلـوم، والمجهول للفقـراء، والإمام يقبض الأمـوال المغيبة، وما لارب له ويجعله في عز الدولة للمسلمين)[٩].

وكان هذا القضاء عشية الأربعاء لسبع أو لتسـع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ٨٨٧هـ.

ولسنا نعرف شيئًا عن أحداث السنوات التـالية لصدور هذا الحكم سواء عن الإمام عمر أو خصمه سليمان حتى سنة ٨٩٣هــ وهي السنة التي انتزع فيها سيف بن أجود ابن زامل الجبري ما تبقى تحت يدي سليمان بن سليمـان الذي كانت سلطته ضعيفة - كما يبدو - بعد النكسة التي حاقت به في سنة ٨٨٧هـ، ويؤرخ العلامة ابن مَدَّاد في

سيرته لدخول عامل الجبور إلى (بهلا) عاصمة سليمان فيقول: (خرج سليمان بن سليمان بن مظفر وجميع خدامه وأعوانـه من حصن (بهلا) ودخلها عامل ابن جبر يوم الأربعاء رابع شهـر ربيع الأول سنة ثـلاث وتسعين بعد ثمـان مئة، وضـرب (أو خرب) حصن (بَهْلا) يوم الأحد غرة شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين بعد ثمان مئة).[١٠]

وقد ذكر أحمـد بن ماجد في كتابه «الفـوائد»: أن سيف بن أجود بن زامل أمرَّ على أهل عمان الإمـام عمر بن الخطـاب الإباضي بعـد ما أخـذها[١١] غير أن هـذا القول تنقصه الدقة، لأن الإمام عمر كان في منصب الإمامة منذ سنة ٨٨٥ هـ باتفاق مؤرخي عمان، والصحيح أن سيفـا أقره في منصبه ولم يعزلـه، واكتفى منه بالخراج كمـا يظهر من سير الأحـداث، وهذا يبـرر لنا ما ذكـره ابن ماجد من أن أهـل عمان ناصـروا سيفا ربما اعترافا بالجميل لإبقائه إمامهم في منصبه، وتخليصهم من سلطة بني نبهان.

- ويحتمل أن يكون الإمام عمر بن الخطاب قـد قضى نحبه في العام التالي، وفي الفترة الواقعة بين موته حوالي سنـة ٨٩٤هـ وحتى سنة ٩٠٦هـ (التي تولى فيها الإمام محمد بن إسمـاعيل الحاضـري) تعاقب على منصب الإمامـة عدد من الأئمـة لمدد قصيرة، وبعضهم تولى أكثر من مرة، وأولهم محمـد بن سليمان بن أحمد بن مفرج في سنة ٨٩٤هـ، ولم تطل مـدة ولايته إلا سنة فعُزل أو اعتزل، فتولى بعـده عمر الشريف وأقام سنة واحدة، ثم خرج إلى (بَهْلا) في ظـروف غامضة، ثم أعيد تنصيب محمد بن سليمـان ثانيـة، ثم عقدوا لأحمـد بن عمـر بن محمد الـربخي، ثم نصبـوا الفقيه أبـا الحسن بن عبدالسلام النزوي، ثم أعيد تنصيب محمد بن سليمان للمرة الثالثة[١٢].

ولم يحـدث خلال ولايـة هاؤلاء الأئمة مـا يستحق الذكـر إلا خروج سليمـان بن سليمـان ثـائرًا على سلطـة الإمام أبي الحسن بـن عبدالسـلام - في تـاريخ مجهـول لدينا- وحدثت بينهما اشتباكات مسلحـة انكسر فيها سليمان، فخرج إلى بلاد فارس طالبًا النجـدة من حكام شيراز، ولما لم يظفر بحاجتـه اضطر للإقامة مؤقتـا في جزيرة القَسْم (قشم حاليّـا) في انتظار الفرصة المـلائمة لانتزاع حكمه الضائع، وفـي ديوانه

قصيدة لـه نظمها وهـو مقيم في الجـزيرة المـذكورة يتشوق فيهـا إلى عمـان ويتهدد خصمه بالحرب[١٣] نقتطف منها هذه الأبيات:

دعاني الهوى العذريُّ بـ(القسْم) موهنا لبــرق تنشَّت مـن عمــان سحــائبــهُ
فأرقنـي والخــالي البــالِ هــاجع فَبِتُّ لــــه حتى الصبـــاح أراقبــــه
خليلي هل أبصــــرتمــا أو سمعتمـــا بمـــا نــابني والــدهــر جم نــوائبــه
إلا لان واخلَــــولَى لقــــوم تكـــدرت لهم وقَسَت أخــــلاقُـــهُ ومشــــاربـــه
خليليَّ هل (حصن العميــري) عـامرٌ وهل (عَقْر نَـزْوى) مخصبات مـلاعبه؟
وهل شـــرع بَهْـلا ذو المعــاقل عــائدٌ بأيـــامنــــا لــــذاتــه ومطـــاربـــه؟
فإن أكُ قــد فــارقتُ قــومي وأسـرتي لإدراك شأوٍ شـــاسع أنـــا طـــالبــه
فقبلي سيـفٌ رب غســـان طـــوَّحَت بـــه نيــةٌ إذ أنكـــر الضيمَ جــانبـــهُ
سـأفجأ أجنــــــادَ الطغـــــاة بفيلـقٍ من العــزمِ مَجْـرٍ مُـــردِفــاتٍ كتـائبــهُ
يسيـر بــه النصـر الــذي هـو حـزبُهُ وينجـده النصـر الـذي هــو صـاحبـه
فــلا ملك يــرتــاد مــا أنــا طــالب ولا يـركـب الصعبَ الـذي أنـا راكبـه
ملكنـا الورى بـالسيف حتى تضـاءلت أعـــاجمــــه ذلا لنـــا وأعـــاربُـــه

وقد ذكـر المؤرخ حميـد بن رزيق في كتابـه «الشعاع الشائع بـاللمعان في ذكـر أئمة عمان» أنه لما بويع الإمام أبو الحسن بـن عبدالسلام (خرج عليه سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني بجند كثير العدد فعجز أبو الحسن عن ملاحمته لما خذلته رعيته، فحصره سليمـان بن سليمان - وهـو يـومئـذ بحصن نَزْوَى - ومـا أفـرج لـه سليمان الخروج من الحصن بالحصر حتى مات في الحصن محصورًا فاستولى سليمان على نزوى)[١٤].

وذكـر شارح ديـوان سليمان أنـه (كـانت بينهما وقـائع داميـة أسفرت عن خـروج السلطان إلى (هُرْمـز) من أرض فارس واستنجد ملوك شيـراز فلم ينجح، وظل كذالك إلى أن مات الإمام أبو الحسن فرجع إليه وملكه بالقوة والجبر)[١٥].

ومن المحتمل أن يكون سليمان قد حصل على مساعدة من بعض القبائل العمانية، وأن حصاره لأبي الحسن كان بعد مجيئه من بلاد فارس، وقد أدى تخاذل رعية الإمام عنه إلى تمكن سليمان بن سليمان من تضييق الخناق عليه حتى توفي محصورًا في حصن نَزْوى في تاريخ غير معلوم، إلا أنه من المحتمل أن يكون على رأس المئة التاسعة من الهجرة، وقد ذكر صاحب «كشف الغمة» أن ولاية أبي الحسن كانت سنة واحدة[١٦] بينما ذكر ابن رزيق أنها دون السنة[١٧] والمصدر الأول أثبت لكونه أقدم زمنًا، ثم لكثرة نقل ابن رزيق عنه.

- كما انتقم سليمان من قبيلة بني خروص التي ينتمي إليها الإمام عمر بن الخطاب جزاء مصادرة أموال أسرته آل نبهان زمن الإمام المذكور، فقد أقدم سليمان على مصادرة أموال مشايخ بني خروص ومنهم: مبارك بن يحيى، وأحمد بن عامر، وكانوا مقيمين في عاصمته (بهلا) فانسحب الشيخ مبارك إلى الجبل الأخضر المعروف قديمًا بجبل اليحمد، واستصفى سليمان أموال المشايخ، ووقعت بين السلطان سليمان والشيخ أحمد بن عامر وقائع بـ (أزْكي) أسفرت عن انسحاب الشيخ إلى (وادي بوشر) قرب مسقط[١٨].

- وفي سنة ٩٠٦هـ تم تنصيب الإمام محمد بن إسماعيل الحاضري القضاعي إماما (٩٠٦ - ٩٤٢هـ) وسبب اختياره لمنصب الإمامة هو (أن سليمان بن سليمان هجم على امرأة تغتسل بـ (فلج الغَنْتَق) فخرجت من (الفلج) هاربةً عنه عريانة، فجعل يعدو في أثرها حتى وصل حارة الوادي، فرآها محمد بن إسماعيل فخرج إليه وأمسكه عنها وصرعه على الأرض، حتى مضت المرأةُ ودخلت العقر فخلى سبيله، فعند ذالك فرح المسلمون لما رأوا من قوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنصبوه إماما)[١٩].

وقد ورد في «الفتح المبين» لابن رزيق: أن محمد بن إسماعيل حينما قبض على سليمان وصَرَعَهُ داسَ صدره برجله ونعالها، ثم جرد خنجره وذبحه به، وجاء برأسه إلى أهل العقر[٢٠]، كما ذكر رواية أخرى حول مصير سليمان في كتابه الآخر «الشعاع

الشائع باللمعـان» فقال: (وقيل هو ما قتله بل صرعـه إلى الأرض وداس صدره وبطنه فبقي عليلًا إلى أن مات)[٢١].

ويرجح الخبر الأول بأن محمدًا ذبح سليمان بحنجره فيقول: والخبر الأول أصح[٢٢].

غير أنـه انفرد بهذين الخبـرين في حين أجمع كل من سرحان بن سعيـد الأزكوي ونور الـدين السالمي أن محمـد بن إسماعيل خلـى سبيل سليمان بعد مضـي المرأة، وممـا يقوي هـذا ما ذكـره شارح ديـوانه من أن الإمـام المذكـور دخل لاحقًا في نـزاع مسلح مع سليمـان حيث وقعت بين الفـريقين وقـائع، آخـرها ملحمـة (الحمـة) في الوادي الغـربي سنة ٩٠٩ هـ، وفيها ناصـر بنو رواحـة العبسيون السلطـان على الإمام فـانتصر الإمـام عليهم، وحكم بمصـادرة أمـوال الداخلين في الفتنـة من بني رواحـة القائدين لسليمـان بن سليمان وولده مظفـر: (أن الذي اجتـرحه سليمان وولـده صار ضمانه على من قادهم إلى الحمة من بني رواحة وغيرهـم، ونظر المسلمون (أي فقهاء الإباضيـة وأهل الحل والعقد منهـم) في أموال بني رواحـة وفي الضمان الذي لـزمهم فكان أقل من العشر وعشر العشر، أعني جميع أمـلاكهم فصارت أملاكهم بالانتصار لأهل الضمانات)[٢٣].

وكان هذا الحكم في شهر شعبان من سنة ٩٠٩ هـ.

ويبدو أن لم تقم بعـدها قائمة لسليمـان بن سليمان النبهاني، ولـم نعـد نسمع عنه شيئًا، فلعله مات خلال تلك الفترة.

ثالثًا: صراعه مع زعماء بعض القبائل العمانية:

أدى افتقار عمان إلى حكومـة مركزية قوية إلى سيطـرة العصبيات القبلية، ونشوب النزاعات المحلية، وكثر الطامعـون في السلطة حينئذ، ولـم تسلم السلطنة النبهانية من تطلع بعض زعماء القبائل الطامحين إلى اقتطاع أجزاء منها أو الإغارةعلى ممتلكاتها، وقد واجه السلطـان سليمان بن سليمان محاولات هاؤلاء الزعمـاء القبليين بقوة وحزم، وجرت بينه وبينهم معارك أشار إلى بعضها فـي أشعاره الحماسية - التي تعد المصدر الأول لمعلوماتنا عن تلك الصراعات - وذكر أسماء بعض أولئك الخصوم:

فسلهم غداةَ (الحشر) يوم دهمتهم | بمجرٍ لُهامٍ باسلٍ وكماةِ
فلما ابذَعَرُّوا والسيوف تنوشهم | تغمدتهم بالصفح والحسنات
و بـ (العُقْرِ) قد صالقتُ (عامرَ) صلقةً | تذاكرها الراوون في الندوات
وسل عن ضِرابي يوم (أزكي) حاسرا | بسيفي وقد فرت جميع حماتي
و بـ (المَيقع) المعروف طاعنت عامرًا | لدى الطعن حتى عار متن قناتي
لقيتهم وحدي وقد فر (مانعٌ) | وأصحابه كالأُتُنِ النِّعِرات
فظلت أذودُ القومَ بالرمح مُستَحٍ | من الله أن أمضي عن الخَفِرات

ونمَى إلى علم سليمان أن أحد زعماء القبائل ويدعى - (صعب) - يؤلب الناس، ويحشد الحشود لحربه، فبعث إليه سليمان مهددًا متوعدًا:

ألا هَبَلَتك ياصعبُ الهَبولُ | أصاحٍ أنت أم سَكِرٌ ثَميلُ
جمعت (موينعًا) و (أبا شريحٍ) | ووافاك (السوالمُ) و (النُفولُ)
وجئت لتملكن بهم عمانا | فرأيك - والعُلَى - رأي ضليل
أما خلق الإلـه لكم عقولًا | وأيم الله ليس لكم عقول
فوالبيتِ العتيق ومن بناه[٢٤] | وماجاء العبادَ به الرسولُ
يمينًا لا نَعِمتُ بذات دَلٍّ | كِعابٍ أو يُرى صعبُ قتيلُ
تناوشه الصوارمُ والعوالي | وتركضُ فوق أضلعه الخيولُ

وفي قصيدة له يحذر خصما يدعى (وشاح) من التمادي في معاداته والاستمرار في مناوأته:

أبلغ وشاحًا إن بلغـ | ـتَ ألُوكَةَ الملكِ الهمامْ
كم ذا تغالبُ أغلبًا | ألوىَ ألدَّ لدى الخِصام
كم ذا تُناطحُ صخرةً | تهوي مجلمدةَ الرُضام
فكأنني بكمُ وقد | جُرِّعتُمُ غُصَصَ الحِمام

فـــاخشـــوا عقـــابي واحـــذروا سَخَطي فـإنـي ذو انتقـــــام

ولو رحنا نتتبع في ثنايا ديوانه تلك الإشارات الشعرية الخاصة بصراعه مع خصمه لما وسعنا المقام[٢٥].

أين حكومة الجبور من تلك الأحداث؟

هناك تساؤل ينبغي أن يطرح على بساط البحث:

لقد شهـدت سنة ٨٩٣هـ دخول قـوات الجبور إلى عمان بقيـادة الأمير سيف بن أجـود بن زامل الجبري، وإخـراج سليمان بـن سليمان من حصنـة في (بهلا) وإقـرار الإمام عمـر بن الخطاب الخروصي في منصبـه، ولقد شهدت عمان خـلال السنوات اللاحقة أحداثًا جساما وصراعًا على السلطة بين الأئمة والسلطان النبهاني، وبين هذا الأخيـر وزعماء القبـائل العمانيـة المعادين لـه، ومع ذالك لـم نسمع شيئًا عن مـوقف حكومة الجبـور - التي أصبحت عمان تابعة لها - من تلك الأحداث، فمـا هو تفسير هذا الموقف؟

في الحقيقة هناك عدة قضايا ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار:

١ - إن هناك شحًا فـي المادة التاريخية المحليـة الخاصة بهذه الفتـرة، إذ لا يتوفر بين أيدي البـاحثين مصدر تاريخي عماني معـاصر لها، وأول كتاب تـاريخي متداول يؤرخ لتلك الفتـرة صنف في أوائل القرن الثاني عشـر الهجري أي بعد هـذه الأحداث بمالا يقل عن قرنين من الزمان، ذالكم هـو كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» لمؤلفه: سـرحان بن سعيد الأزكوي، وأخباره عـن تلك الحقبة مقتضبة لا تشفي غليل الباحث، بل إنه أغفل أحـداثًا جسامًا وقعت في تلك الحقبـة، ولا نزعم أنه لـم تصنف تواريخ مفصلة لكنها ما بين مفقودٍ ومخبأ مضنونٍ به - والأيام كفيلة بإخراج الخبايا - وبالتالي فإننا لا نستغرب إذا أغفلت المصادر العمانية المعتبرة أحداثًا هامة مثل ضم الجبور لعمان، واحتلال البرتغاليين لمدن عمان السـاحلية الهامة رغم ما ارتكبوه فيها من الفظائع، واكتفى المـؤرخون العمانيـون بتدوين نتف من أخبار الأئمـة الإباضيين

الذين كانت سلطتهم مقتصرة تقريبًا على داخلية البلاد دون سواحلها تلك الفترة.

٢- يبدو أن الجبور مالوا منذ دخولهم عمان إلى تثبيت حكم الأئمة الإباضيين، والاكتفاء منهم بدفع الخراج فنجد سيف بن أجود بن زامل يقر الإمام عمر بن الخطاب الخروصي في منصبه، في حين أخرج سليمان بن سليمان النبهاني من حصنه في مدنية (بهلا) وهدم الحصن بعد أشهر.

وقد ذكر ابن ماجد أن سيفا هدم جميع حصون عمان[٢٦]، وفي هذا مبالغة لا تخفى على الباحث لأن عمان من أكثر بلاد الله حصونا، ولأن الأئمة أنفسهم - وهم تابعون للجبور - في حاجة إلى وجود تحصينات يحتمون بها من المناوئين لهم، فلعله هدم بعض حصونها التي في أيدي بني نبهان.

ونلاحظ من خلال المعلومات القليلة المتوفرة استمرار نصب الأئمة الإباضيين من قبل أهل الحل والعقد من علماء المذهب، في حين أن الخصم اللدود لهم وهو سليمان بن سليمان النبهاني الساعي لاستعادة سلطته المفقودة كان يُعَدُّ خارجًا على السلطة الشرعية، ولذالك نجده بعد هزيمته أمام أبي الحسن بن عبدالسلام يسعى للحصول على دعم عسكري فارسي، ولم يطلب النجدة من الجبور هذه المرة كما فعل في نزاعه مع أخيه حسام في بداية حكمه، مما يعني أنه في خصام معهم وأنهم في صف أعدائه الأئمة.

٣- في سنة ٩١٣هـ بعد مرور عشرين سنة من استيلاء سيف بن أجود بن زامل على عمان وبعد وفاة والده السلطان أجود بحوالي سنة جاءت أساطيل البرتغاليين لتستولي على الموانئ الرئيسة في سواحل عمان بقيادة (الفونسو البوكيرك) ولترتكب فيها أعمالًا وحشية يندى لها الجبين، وقد كتب البوكيرك في تقرير له عن ميناء مسقط أثر استيلائه عليه: (ومدينة مسقط جزء من مملكة هرمز، وأما المنطقة الداخلية فإنها تخضع لحاكم اسمه ابن جبر (كتبها المترجم ابن جابر) وله شقيقان وقسمت البلاد

بينهما، ويحد البلاد من الشمال خليج فارس، ومن هناك تمتد حتى حدود مكة... وكل هذه المنطقة، كان يحكمها سابقًا حاكم يدعى ابن جبر، وكان لهذا الحاكم ثلاثة أبناء، ثم ترك البلاد، وبعد وفاته قسمت بين أبنائه، واحتفظ أكبرهم باسم جبر تيمنا باسم الوالد، واعترف به الأخوان سيدا عليهما، ويحكم ابن جبر هذا رأس فرتك وظفار وقلهات ومسقط، وتمتد حدوده إلى بلاد شيخ عدن، أما أخواه فإنهما يقيمان على ساحل فارس، كما أن أحدهما قد أخذ جزيرة البحرين من ملك فارس وهي جزيرة اللؤلؤ، كما أخذ القطيف أيضًا وكانت سابقًا خاضعة لملك هرمز، وتقع على الساحل العربي، ويوجد في بلاد ابن جبر كثير من الخيول التي يربيها المزارعون للاتجار فيها، كما توجد فيها الحنطة بكثرة إلى جانب قطعان الإبل والماشية)(٢٧).

وفي أثناء حصار (البوكيرك) لميناء صحار العماني واستعداده لقصف المدينة تلقى من حاكمها نبأ استعداده للاستسلام، وأبلغه المبعوث بأن (الحاكم قد أمر بتسريح قوة قوامها سبعة آلاف مقاتل أرسلها ابن جبر لتدعيم وسائل الدفاع عن البلدة)(٢٨).

كما ذكر في تقريره عن حصار (خَور فكّان): (أما المنطقة الداخلية من البلدة فخاضعة لابن جبر شأنها شأن الأجزاء الأخرى من عمان)(٢٩).

ويمكن أن نستنتج من هذه النصوص فيما يخص موضوعنا:

أ- كتب هذا التقرير بعد وفاة السلطان أجود بن زامل - الذي يسميه البوكيرك بابن جبر - بحوالي سنة ومن المعلوم أن محمد بن أجود الذي حج سنة ٩١٢هـ خلف أباه الذي يعتقد أنه تنازل له عن الحكم بعد أن بلغ من الكبر عتيا، فالراجح أن محمدًا كان هو سلطان الجبور عند مجيء الغزاة البرتغاليين.

ب- من الواضح أن هناك تحالف قوي بين حكومة الجبور ومملكة هرمز منذ أيام الملك (سرغل بن نور شاه) حليف السلطان أجود وإلى وقت السلطان محمد بن أجود حيث كانت الموانئ العمانية التابعة حينذاك لمملكة هرمز محمية من الخلف

بحليف قوي هو سلطان الجبور الذي لم يتردد في دعم حامية ميناء صحار التابعة لحليفه ملك هرمز بسبعة آلاف مقاتل، إلا أن حاكم صحار سرحهم بعد أن يئس من إمكانية الصمود في وجه الأسطول البرتغالي بقيادة (البوكيرك).

ج- حدد البوكيرك الحدود الجنوبية الشرقية لمملكة الجبور من رأس فرتك بحيث شملت ظفار وقلهات ومسقط التي ذكر في نفس التقرير أنها تابعة لهرمز مما يشير إلى عدم دقة المعلومات التي حصل عليها (البوكيرك) فالثابت أن سواحل عمان من (قلهات) جنوبًا إلى (خور فكّان) شمالًا كانت يومئذ من توابع مملكة هرمز[٣٠] ولعل التحالف والصلات الوثيقة بين سلطنة الجبور ومملكة هرمز وتلاصق حدودها في عمان هو الذي أوقعه في الوهم.

نهاية سليمان بن سليمان النبهاني:

إذا ثبت لنا عدم صحة روايتي ابن رزيق اللتين سقناهما في موضوع حادثة تنصيب الإمام محمد بن إسماعيل الحاضري، فإن سليمان قضى نحبة فيما بعد سنة ٩٠٩هـ وقد سكتت المصادر التاريخية عن ذكره بعد هذا التاريخ، وتصادف الباحث في ديوانه الشعري قصيدة وعظية مخمسة قالها في التوبة والإنابة إلى الله تعالى، بعد حياة عاصفة صاخبة، وهي آخر قصائد ديوانه ومطلعها:[٣١]

(أمـا لمحتَ البـارق العُلْـوِيَّـا)

ومنها قوله:

لهفي على ما فات من شبابي ... في الغي واللذة والتصابي
ويلاه ممـا خُط في كتابي ... إن لم أتُب في ساعة المتاب

ولم أكن مع خالقي مرضيا

ومن الجدير بالذكر أن سلطنة بني نبهان قد عادت إلى الظهور سنة ٩٦٤هـ بعد أكثر من نصف قرن في عمان الداخلية على يد حفيده الأمير سلطان بن محسن بن

سليمـان بن سليمان (٩٦٤ - ٩٧٣هـ) وبلغت أوجها في عهـد حفيده سليمـان بن مظفـر بن سلطـان (؟ - ١٠٢٣هـ) واستمـرت إلى حـوالي سنـة ١٠٢٦هـ حيث سقطت تحت ضربـات الحلف الذي تزعمـه حاكـم (سمائل) القوي عميـر بن حمير العميري قبيل قيام دولة اليعاربة[٣٢].

علي بن محمد المطروشي

مدير متحف عجمان

الحواشي:

(١) انظر ترجمته بقلم شارح ديوانه الأستاذ عز الدين التنوخي ص ١٤، طبعة دمشق ١٩٦٤.

(٢) القصيدة تحمل رقم (٦٩) من قصائد ديوانه.

(٣) القسم بغير الله لا يجوز إذ قد ورد في الحديث الشريف: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

(٤) للتوسع في أنساب الجبور يـراجع كتاب «أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء» لـلأستاذ أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري - القسم الأول - نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

(٥) القصيدة رقم (٣٥) من ديوانه.

(٦) القصيدة رقم (٦) من ديوانه.

(٧) «اتحـاف الأعيان في تـاريخ بعض علمـاء عمان»، تأليف: الشيخ سيف بن حمـود بن حـامد البطـاشي، مسقط. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، الجزء الثاني ص ٥٠ وما بعدها.

(٨) انظر مقـال: (الوجود البرتغـالي في المصادر المحلية العمـانية) للدكتـور: سليمان محمد الغنام، مجلـة دراسات تـاريخ الجزيـرة العربيـة - الكتاب الأول: «مصـادر تاريخ الجـزيرة العـربية» ج ٢ صـادرة عن جامعـة الريـاض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٩) «اتحاف الأعيان» للبطاشي، ج ٢، ص ١٣ وقد صاغ الحُكْمَ الشيخ محمـد بن علي بن عبدالباقي أحد كبار فقهاء الأباضية في النصف الثانـي من القرن التاسع وأوائل العاشر. وقد ورد نص الحكم في المصـادر المطبوعة الأخرى ناقصًا ومضطربًا بعض الشيء، إلا أنه في المصدر المذكور مصحح ودقيق.

(١٠) «سيرة العلامة المحقق عبدالله بن مدّاد»، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، سلسلة تراثنا، العدد ٦٥ ص ٥٥.

(١١) «الفوائد في أصـول علم البحر والقـواعد والفصول» ، لشهـاب الدين أحمـد بن ماجد، تحقيـق وتحليل إبراهيم خوري إصـدار مركز الـدراسات والـوثائق في ديوان حكـومة رس الخيمة بـدولة الإمـارات العربية المتحـدة عام ١٩٨٩م ص ٢٠٩.

(١٢) «المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامعة لأخبار الأمة»، تأليف سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، تحقيق عبدالمجيد القيسي، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ص ٧٣.

(١٣) القصيدة رقم (١٠) في ديوانه.

(١٤) «الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان»، تأليف: حميد بن محمد بن رزيق، تحقيق عبدالمنعم عامر إصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ط ١ سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ٨٤.

(١٥) ترجمة الشاعر بقلم شارح ديوانه ص ١٦.

(١٦) «المقتبس من كتاب كشف الغمة» ص ٧٣.

(١٧) «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» تأليف حميد بن محمد بن رزيق، تحقيق: د. محمد مرسي عبدالله وعبدالمنعم عامر، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٢٥٨.

(١٨) انظر ترجمة الشاعر بقلم شارح ديوانه ١٦.

(١٩) «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان»، تأليف: الشيخ عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي، نشر مكتبة إشاعة الإسلام بدلهي - الهند، دون تاريخ، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢٠) «الفتح المبين»، ص ٢٥٩.

(٢١) «الشعاع الشائع باللمعان»، ص ٨٧.

(٢٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٣) «اتحاف الأعيان»، للبطاشي ج ٢، ص ٧١، ونص الحكم للإمام محمد بن إسماعيل الحاضري.

(٢٤) تقدم الكلام على عدم جواز القسم بغير الله.

(٢٥) انظر على سبيل المثال القصائد التي تحمل الأرقام: ٣ - ١٣ - ٢٢ - ٤٠ - ٤٣ - ٦٠ - ٧٠.

(٢٦) «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» ص ٢٠٩.

(٢٧) «الخليج بلدانه وقبائله»، تأليف: س . ب. ما يلز، ترجمة: محمد أمين عبدالله، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٥٧.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٣٠) انظر على سبيل المثال كتاب: «النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي» (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي)، تأليف نوال حمزة يوسف الصيرفي، نشر دارة الملك عبدالعزيز - الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٢٤.

(٣١) القصيدة رقم (٧٧) من قصائد ديوانه.

(٣٢) انظر المقال السابق: (الوجود البرتغالي في عمان في المصادر العمانية) للدكتور: سليمان محمد الغنام، ص ١١٧.

«حضرموت: بلادها وسكانها»

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف

(١٣٠٠/ ١٣٧٥هـ)

(٤٣)

حبوظة: هو محل بين العجز وتريم، له ذكر كثير في التواريخ، منه ماجاء في الصفحة ١٩٠ ج ٢ من «المشرع» ومنه ماجاء في حوادث سنة ٨٦٠ من «تاريخ شنبل» أنها وقعت خصومة بين صاحب مريمة وصاحب حبوظة إلَّا أن هذا يمكن حمله على قارة الحبوظي المتاخمة لمريمة في الشمال، لولا الفرق بين حبوظة وقارة الحبوظي والله أعلم. [وانظر عنها «العرب» س ٣٢ ص ٥٥٧].

العجز: قال ياقوت: قال الكلبي: هي قرية بحضرموت في قول الحارث بن جحدم:

تناوله من آل قيس سميدع　　　وريّ الزناد سيد وابن سيد

فما عصبت فيه تميم ولا حمت　　　ولا انتطحت عَنزان في قتل مزيد

ثوى زَمَنًا بالعُجْز وهوعقابه　　　وقينٌ لأقيانٍ وعبد لأعبُد

وكان مزيد وعبدالله أبناء حرز بن جابر العنبري، ادَّعيا قتل محمد بن الأشعث الكندي، فأقادهما به مصعب، فتولى قتلهما الحارث بن جحدم بيد القاسم بن محمد بن الأشعث، وبمناسبة ذالك أنشأ الحارث تلك الأبيات، والعُجْز فيها مضبوط بضم العين وسكون الجيم، وإلَّا لتغير الوزن، وفي كتاب «مفتاح السعادة والخير في مناقب السادة آل باقشير»: وبلدة العجز هي بفتح العين وضم الجيم، مأخوذة من عجز الإنسان، وهو أسفله، كما أفصح بذالك الإمام عبدالملك بن هشام في كتابه «التيجان في ذكر ملوك اليمن في سالف الأزمان»، وصرح بوصول ذي القرنين إليها، حين جاء لزيارة نبي الله هود عليه السلام، وهو آخر قرية معمورة يقصدها القاصد، وبعد أن ذكر ابن الحائك قرى أخطأ في ترتيبها، وبعضها لاأثر له أو تبدل اسمه، قال: ثم العجز قرية عظيمة مقسومة نصفين، بين حمير ونصف للاشبا، ونصف لبني نهد. انتهى، وقد سبق هذا مع ما يتعلق بالأشباء في وادي ابن

علي، وفي «مفتاح السعادة والخير» أيضًا لمؤلف «القلائد»: ومن أهل العجز السادة بنو شيرح وهم من الصدف من كندة رؤس العرب، كما ذكره الإمام أبو شكيل في تاريخه، لهم بالعجز مسجد معروف بالبركة، تغلظ فيه الإيمان فتعجل عقوبة الكاذب، وقد انقرضت قبيلتهم فيما نعلم، إلَّا أن يكون انقلب اسم القبيلة باسم آخر، وقبورهم كما يذكر عن جدي: سهل من جانب التربة القبلي النجدي انتهى. والكتاب المذكور كما يعرف من اسمه في مناقب آل باقشير فعليه الإحالة في ذكر رجالهم، وفيه ذكر كثير للعجز، يخرج بنا استقصاؤه إلى الإطالة، وقد مر في عبديد ذكر بعض رجال آل باقشير، ولو لم يكن لهم إلَّا مؤلف «القلائد» الشيخ عبدالله بن محمد بن حكم باقشير لكان فخرًا لما ابقى لهم بذالك من المجد الخالد:

فتى كان يعلو مفرق الحق قبله إذا الخطباء الصِّيْد عضَّل قيلها

وفي ترجمة السيد أحمد بن الفقيه المقدم من «المشرع» أنه كان كثيرًا ما يتردد إلى قرية العجز الشهيرة، ويقيم بها لكثرة من فيها من الصالحين، فاتفق أن فاض من واديها سيل عظيم، فغرق صاحب الترجمة، وحصلت له الشهادة، وذالك سنة ٧٠٦ ودفن بالقرب من مسجد العارف بالله الشيخ عبدالله بن إبراهيم باقشير.

قسم: في شرقي العجز وهي أرض واسعة، اشتراها سيدنا علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى بعشرين ألف دينار، وسماها قسم، باسم أرض كانت لأهله بالبصرة، وغرسها نخيلًا، وبنى بها دارًا ينزلها أيام الرطب، ثم بنى جماعة بيوتًا عند داره، حتى صارت قرية، ولهذا سمي خالع قسم، توفي بتريم سنة ٥٢٧ وفي الحكاية ١٨١ من «الجوهر» ما يفهم منه أنها لا تقام جمعة بقسم في حدود سنة ٧٨٦، وذالك أنه قال فيها بعض الثقات: طَلَعْتُ مع الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالله باعلوي بعد ماكف بصره من قسم إلى جامع العجز، ليصلي فيه الجمعة انتهى، وماكان على ضعفه وذهاب بصره ليذهب من أجل صلاة الجمعة، وفي بلده جمعة، وكان الشيخ محمد هذا كثير العبادة، شديد المجاهدة للنفس، أقام في آخر عمره بمدينة قسم، واستوطنها، وبها توفي سنة ٧٨٧، ودفن بمقبرة قسم

المسمـاة بالصـف، وهو الملقب جمل الليل، ومـن ذريته علـوي بن أحمـد قسم بن علـوي الشبيبه بن عبـدالله بن علي بن عبـدالله بن محمـد جمل الليل، كان لـه عقب بقسم، انقرضوا ولم يبق إلَّا شيخ بن عبدالله بن شيخ بمليبار، وفي الأصل ما يعرف منه أن أمر قسم كـان لمنصب عينات، وآخرهم على ولايتها الحبيب بن أحمـد بن سالم بن أحمـد بن علـي بن أحمـد بن علي بن سـالم بن أحمـد بن الحسين المتـوفى سنـة ١٢٣٦، تقلبه عليهـا المقدم عبدالله بن أحمـد بن يماني، ثم صارت إلى ولـده أحمد ابن عبدالله بن يماني، واتسع نفوده من نواحي قسم الجنوبية إلى قبر نبي الله هود عليه السلام، وكانت له ولأبيه شهامة ملك وأبهة سلطان:

لهم أوجـــه بيضـــاء حســـان، وأذرع طـــوال، ومن سيمـــا الملـــوك نجـــار

وما سمعت والدي يذكر أحدًا بالشهـامة وجمال الشارة سواه، لانقطاعه إلى العلم والعبادة، ولكنـه استجهره لمـا رآه يتخلع في مشيته تخلع الأسـد، في جنازة الفـاضل الحبيب محمد بن إبـراهيم سنة ١٣٠٧هـ ووراءه زهاء الأربع مئـة من أبطال آل تميم، ثم خلفـه ولده علي بن أحمـد، ولما عجـز عن نفقات حـاشيته وعبيده، وفيهـم كثرة، تفرقوا في البـلاد، وهاجر كثير منهم إلى السـواحل الإفريقية وأول ذلك بأثـر المجاعة التي اشتدت بأسفل حضـرموت سنـة ١٣١٥، وعندئذ احتاج إلى مسـاعدة القعيطي، ومازالت المفـاوضات جـارية حتى انعقد بينهم الحلف المـؤكد بتـاريخ ١٨ الحجة سنة ١٣٣٧، وفي نفس هـذا التاريخ كُتِبت بينهم وثيقـة، حاصلهـا أن المقدم علي بن أحمد بن يماني عن نفسـه وعن أولاده و إخوانه وهب بلاده التي له الـولاية عليها وهي قسم والخـون والسوم وعصم وبـرهوت وفغمـة وسنا ونـواحيها ومتعلقـاتها، للمكـرم السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي، فتلقـاها بالقبول، وشل واعترف السلطان غالب بـن عوض بأن الأمير من طـرفه علي بن أحمـد وأولاده ما تنـاسلوا هـذا حاصل تلك الوثيقة، وعليهـا إمضاء السلطان غالب والمقدم وشهادة السيـد حسين بن حامد وعبدالكريم بن شملان وجماعة من يافع، وفي ٢٣ القعدة سنة ١٣٥٥ كتب السلطان صالح بن غالب ما نصه: وبعد فقد أيد عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي عبد

علوي بن علي بن أحمد بن يماني مقدمًا على كافة آل تميم، محل والده المرحوم المقدم علي بن أحمد بن يماني، وله على الدولة القعيطية ما لوالده وعليه ما على والده. وبالله التوفيق، وعليه امضاؤه بخطه، ولم يذكر القعيطي في وثيقته الهبة، مع أنها لا تملك إلَّا به، عن إذن الواهب، ثم المقدم لم يحصل على شيء يستحق الذكر من مساعدة القعيطي سوى المواعيد، المعروف شأنها من السيد حسين بن حامد في أيامه، بل كثيرًا ماكانت الحكومة القعيطية بعده ضده آل تميم مساعدةً لآل تريم عليهم، وقد أضر المقدم علي بن محمد بالأخرة، وثقل سمعه، ولم يمنعه ذالك أن حج في سنة ١٣٥٤، وتوفي مرجعه من الحج، وخلف ولده عبد علوي، ولهم من المناهيل أحوال طويلة، مستوفاة بالأصل ويسجي بعضها في حصن العر، وفي قسم جماعة من ذرية السيد عبدالله بن عبدالرحمن السقاف المتوفى بتريم سنة ٨٥٧، وهم آل إبراهيم، قال في «شمس الظهيرة»: ومنهم السيد الفاضل الكريم أبو بكر بن إبراهيم بن عبدالرحمن، له أيادي عظيمة، وأوقاف جسيمة، وقف على مسجد السقاف بتريم مالًا بنحو خمسة آلاف ريال، توفي بقسم سنة ١٢٢٧، ومنهم الآن بتريم حفيده عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله، شريف فاضل متواضع. انتهى. وكان في قسم ناس من آل فدعق، قال في «شمس الظهيرة»: منهم محمد بن عمر، سيد جليل، توفي سنة ١٢٧٨، وناس من ذرية السيد امبارك مدهر بن عبدالله، وطب بن محمد المنغر المتوفى سنة ٨٨٤، قال في «شمس الظهيرة»: منهم الشريف النجيب الساعي للعلماء، والمحب لهم، عبدالله بن عبدالرحمن المتوفى بمكة سنة ١٢٩٥، ومنهم الآن عبدالله بن محمد، شريف نبيه، مكرم للضيفان، ومنهم عمه المعمر، كثير الصيام والذكر، عمر بن عبدالله انتهى، وعبدالله بن محمد هذا هو ابن عقيل مطهر مدهر، راوية لأخبار الأوائل، توفي بقسم سنة ١٣٣٨، وكان بها جماعة من ذرية السيد عبدالله بن أحمد بن أبي بكر الورع، يقال أنهم آل برهان الذين انقرضوا.

النقرة: في شرقي قسم إلى جهة الجنوب، اشتد جرف السيول في اخدودها المعروف من حوالي سنة ١٢٠٦، وكلما جاء سيل وجرف شيئًا غاض ماء النهر الذي

يجـري تحت الأرض من الأبار حتى أن بعض أهل الإزكـان من شبـام زعم أنه يعـرف جرف السيول حوالي قسم بما يغـور من مياه الأبار بسحيل شبام، وهلك بسبب ذالك نخل كثير لآل عينات، وزاد اهتمـام الناس لذالك وقد نهضوا عـدة مرات لحسم شره ببناء ضميـر من الحصا المحكم، ولكنهم تـارة تقصر بهم النفقـة وأخرى يصلحـونه صلاحًا غيـر متقن، يكتسحه أول سيل يمر به، وفي الأخير اهتمت بإصلاحـه الحكومة البريطـانية لسببين، احدهمـا حسم شره، والثاني ليجـد العاطلون من الأكـرة وغيرهم سببًا يحصلـون به معيشتهم من عملهم فيـه، عند اشتـداد الأزمة بحضـرموت إلَّا أنهـم اجتووه في بـدء الأمر، وهلك منهم بشـر كثير، لفسـاد الهواء هنـاك، من المستنقعات، غير أن الجوع اضطـرهم إلى العمل هناك، إذ شره محقق، وشر ذاك مشكـوك فيه، وقد تم بناؤه على أجمل صنع، واثبته وأقواه، إلَّا أن ارتفاعه نقص نحوًا من ذراع ونصف، عن الحد الضامن للفـائدة، ويقال إن الحكومة انفقت عليه أكثـر من ست مئة ألف روبية هندية، وهو مبلغ هائل لم يرفعـه إلى هذا الحد، حسبما يقضي التخمين الصادق، إلَّا عدم توفـر الأمانة، وموقع هنـا الضمير بين عينات وقسم كان الأليق تقـديم ذكر النقرة على قسم، امتـدادها في جنـوب قسم إلى شمـاله في شـرقيـه، قد يبـرر التأخير، أمَّـا الضمير فمتقدم عن قسم كما ذكرنا.

الواسطـة: هي قـاعـدة تلك الصبـرات، بشهادة مـاجـاء في الأصل عن «مفتـاح السعـادة والخير» لصـاحب «القلائد» أن عيسى بـن محمد الصيـري، والي الواسطـة تعمر كثيـرًا ومات ولا ولـد له، فولـى بعده عقيل بن عيسى بن مجلب الصميـري، وهو ابن أخته، وليس من فخذه، وكان لهذا تعلق بـالصالحين، مثل خاله، فصال آل أحمد على الواسطة ، فأراد الخـروج لقتالهم، ولم يكن عنده سوى سبعة فـرسان مع عسكر قليل، لا يكـافي آل أحمد، فمنعـه أصحـابه عن الخـروج، فلم يمتنع، وهجم على آل أحمد وتبعه أصحابه فقتلوا كثيرًا من آل أحمـد، ومازالوا يقتلونهم ويطردونهم إلى فرط بـاشحـارة انتهى، وللـواسطـة ذكر كثيـر في حـوادث آل يمـاني والصبـرات وغيـرهم بـالأصل، وفي الواسطـة كثير من علمـاء آل باشعيب وفضـلائهم، منهم الشيخ حسن

إبراهيم باشعيب، أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم، وفي ترجمة السيد عقيل بن عمران من «المشرع» أنه أخذ عن الشيخ حسن باشعيب بالواسطة، وفي ترجمة السيد عبدالرحمن بن إبراهيم المتوفى بقسم في سنة ١٠٥٧ أنه أخذ عن الإمام العارف الأديب حسن بن إبراهيم باشعيب، ومنهم العلامة الفقيه الشيخ عبدالله قدري باشعيب، له ذكر كثير في مجموع الأجداد، وفي ترجمة الشيخ علي بن عبدالرحيم بن قاضي، وهو من أقران القطب الحداد، ومنهم الشيخ عبدالله بن أبي بكر قدري صاحب «الباكورة» أحد مشايخ السيد أحمد بن علي الجنيد، ومنهم حسن بن أحمد باشعيب صاحب كتاب «عافية الباطن» وعلى الإجمال فإنهم بيت علم وصلاح، وله مؤلفات، ولبعضهم تراجم في «خلاصة الأثر» للمحبي، وعن الشيخ رضوان بن أحمد بارضوان بافضل قال: رأيت على هامش تصنيف مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم للشيخ عبدالله بن أبي بكر باشعيب أظنه بخط المؤلف خبرًا عن الفقيه عبدالرحمن ابن عبدالله شعيب، وهو من آل شعيب شبام، منهم الشيخ أبو بكر بن شعيب صاحب التصنيف المشهور في الفقه، وله شرح على «المنهاج» وله إقامة بمكة ولعله توفي بالحرمين، وليس لهم اتصال بآل باشعيب المسفلة، فجد أهل المسفلة الشيخ العارف محمد بن علي بن سعيد الخطيب، انتقل من تريم، وهو مشهور بآل شعيب الخطيب، ومنهم بنو عقيل بالريدة، كان منهم ناس أهل حال منتظم، ومنهم الآن ناس بزي البادية، ومن آل باشعيب المسفلة بنو عيسى أو بنو ظفار، كانوا بيت علم وصلاح، ومنهم قضاة الشريعة، لهم ذكر في مناقب الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، ولأحدهم مدائح في الشيخ، وبلغني أنه بقي منهم قليل، ومنهم طائفة بِعُمَّان، يحملون السلاح مع السلطان ابن سيف عالمين بالنسبة لآل أبي شعيب، وسمعت بعض شيوخ آل شعيب بشبام يذكر أن أصل آل شعيب شبام من أرض الجوف والله أعلم، انتهى، وفي ترجمة السيد عبدالله باعلوي في «المشرع» أنه أعطى تلميذه الشيخ محمد بن علي باشعيب الأنصاري أرضًا واسعة، فغرسها الشيخ محمدنخلًا، وتسمى بباشعيب، ووقف على ضيف بلده المسماة بالواسطة نخلًا

وأرضًا انتهى، وهو كما سبق أول من انتقل من تريم إلى الواسطة، ومن أهل الواسطة الشيخ مهنا بن عوض بن علي بن أحمد بامزروع بامطرف القنزلي، كان من العلماء، ثم تعلق بكتب الصوفية فأخذه الجذب، ترجم له في «خلاصة الأثر»... وأورد له أشعارًا منها قوله:

للقادسية فتية لا يشهدون العار عارًا — لا مسلمون ولا يهود ولامجوس ولانصارى

وقد رأيت البيتين في بغداد من «معجم ياقوت» لغيره، قال المحبي: وكانت ولادة مهنا كما أخبرني بعض تلاميذه في شوال سنة ١٠٠٤ وتوفي بالمدينة سنة ١٠٦٩ وفي مجموع الجد طه بن عمران عن أحمد مؤذن، أن علي باشعيب نائب الواسطة اثبت هلال شعبان سنة ١٠٧١، وهو رجل عامي محض لا يعرف شيئًا من الفقه، وصادفه الحبيب علي بن الحسين ابن الشيخ بن أبي بكر بن سالم، ثم انخسف القمر ليلة ١٦ على حسابه، فتحقق تهوره في الإثبات، ثم ثبت رمضان عند ولد بامطرف في الغيل بغوغاء، وانفذ الثبوت إلى الشحر ليلة الجمعة فلم يره ليلة السبت إلّا الآحاد، فتبين أن إثبات بامطرف والكتابة تلاعب بالدين انتهى. بمعناه، وقد مرت الإشارة إلى بعضه في الغيل، وفي شمال الواسطة قرية يقال لها سريدف ثم وادي الواسطة، وهنالك أودية كثيرة كوادي حسين ووادي مجرة ووادي عولك ومن ورائها إلى جهة الشرق.

الخون: فيه نخيل جميل، يسقى من عيون ماء جارية، وفيه قرية إليها ينسب السيد علوي الخون بن عبدالرحمن بن عبدالله بن علوي باعلوي، انقرض عقبه سنة ١٠٣٩، والسيد عبدالرحمن بن أحمد الخون، ومن وراء الخون الفرط والكردة وباجفار ووادي سبية ثم حصن.

العز: هو حصن بأعلى قارة، باقية آثاره الشاهدة بحكمة وقوة بانيه من الحجارة الكبيرة المنحوتة، حتى لقد انكر بعض السواح الأجانب أن يكون من بناء الحضارم، وتوهم أنه من بناء حكماء اليونان، لأنه بصنيعهم أشبه، وما درى أن عادًا وثمودًا هم الذين ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين، وهذه منازلهم ولا يبعد أن يكون هذا الحصن هو حصن جعفر بن قرط بين الهميسع، المسمى علعال، الذي لجأت بلقيس في

خبرها المشروح بالأصل، وفي «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك ذكر للعز وثوبة في عداد سَرْ وحِمْيَرَ وأوديته، بترتيب مشوش وفي «القاموس» أن العراسم لجبل عدن، وحوالي هذا الحصن كانت الواقعة الهائلة للمناهيل على آل تميم، ومن قتلاهم ذالك اليوم منصور وهادي وعلي آل قحطان:

ابوا أن يفروا والقنا في نحورهم ولم يرتقوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ولكن رأوا صبرًا على الموت أكرما

وفي الأخير ضبطت الحكومة القعيطية هذا الحصن وجعلت فيه عسكرًا أو شابًا ليسوا من صميم يافع فلم تستنكف المناهيل من ذالك، حتى سمعوا ما يؤلمهم من بعض نواب القعيطي، الذي طالما تألمنا من سياستهم العوجاء، كما سبق في الشحر، لأنهم لا يعرفون مقادير الرجال، ولا ينزلون الناس منازلهم، فلم يكن من المناهيل إلّا أن هجموا على الحصن، وجردوا العسكر من السلاح وكسروا ناموسهم.. ولم يبال أحد منهم بالعار سوى اليافعي الذي كان بينهم، فإنه لم يرض إلّا بالقتل وكان ذالك في سنة ١٣٦٦ وأشاع باثرها من في نفسه ضغن على الحكومة القعيطية أن الدولة البريطانية فضلت العز ومانزل عنه في الجهة الشرقية عن المملكة، وعقدت مع المناهيل معاهدة مستقلة طمعًا فيما ظهر في تلك المنازل من آثار البترول، وما أظن هذا يصح بحال، وإذا كان المتحدث سفيهًا يكون المستمع عاقلًا، لأن الحكومة البريطانية أعقل وأحزم من أن تكون كذالك الصائم الذي وقع على حشفة فأفسد بها صومه، وماذا الذي يتعذر عليها من أمر البترول مع بقاء الأرض في حوزة القعيطي، إن هذا لا اختلاق إلّا أن آل تريم ومن لفهم برغبة في انضمام المناهيل إليهم في آرائهم واحتجاجاتهم، وهم نافرون وآخر من أن يوافقوا بعد الإهانة التي لحقتهم من ذالك العامل.

(للحديث صلة)

«أنساب الأشراف» للبلاذري

(مطبوعة الأستاذ محمود فردوس العظم)

- ٣ -

١٧٩ - ص ١١٥: (أن الناس يقبلون في الحق أسوة). وهي: (أن الناس في الحق أسوة).

١٨٠ - ص ١١٧: (مباح لك كما لورثته) وهي: (مباح لك كمالٍ ورثته).

١٨١ - وفيها: (فتعجل حمله وأعجل) والصواب: (فعجِّل حمله واعْجَلْ).

١٨٢ - وفيها: (فلا تستهين بحق ربك) وهي: (فلا تَسْتَهِيْنَنَّ بحق ربك).

١٨٣ - ص ١١٨: (وإن المسلمين لغير الرياء) وفي المخطوطة: (وإن المعلمين لغير الرياء).

١٨٤ - وفيها: (وألز حجابك، فاعمد للحق) وهي: (وأَلِنْ حُجَّابك، واعمد للحق).

١٨٥ - وفيها: (ولكن يتفرغوا لخراجهم) وهي: (ولكي يفرغوا لخراجهم).

١٨٦ - ص ١١٩: (أنت فيما رمي إليّ عنده) وهي: (أنت فيما رُمِيَ إليَّ عنك).

١٨٧ - وفيها: (لجمل أهلك وشسع خير منك) وهي: (لجمَلُ أهلك وشِسْعُ نعلك خير منك).

١٨٨ - وفيها: (فخيانة المسلمين) وهي: (وخيانة المسلمين).

١٨٩ - ص ١٢٠: (أجزى المودّة) والصواب: (يجزي المودَّة).

١٩٠ - وفيها: (في مرة مرارًا واطعمته) وفي المخطوطة: (في مره مِرارًا أو أطعمته) وَمَرةٌ: ليست واضحة، ولعل المقصود: خالٍ من الإدام، إذ المرهُ يفيد الخلو، يقال مرهَتْ عينه مَرَهًا أي خلت من الكحل.

١٩١ - ص ١٢١: (واعمل صالحًا تجز خيرًا) وهي: (واعمل صالحًا تَحُزْ خيرًا).

١٩٢ - ص ١٢٢: (بأخـذ الحل وتـرك المُحْـرَمِ) وهي: (بـأخْـذِهِ الحِلَّ وتـرك المحرم).

١٩٣ - ص ١٢٣: (الشعر الأدرع من همدان) وهي: (الشعر الأذرع من همدان).

١٩٤ - ص ١٢٣: (قتلت همدان تميمًا) وهي: (قتلت همدان تميم).

١٩٥ -ص ١٢٤: (قيمة كل امرئ علمه بما يعلمـه) وفي المخطوطـة: (قيمة كل امرئ علمه).

وفي الهامش: (ما يعلمه) - خ - أي في نسخة أخرى.

١٩٦ - وفيها: (فحط على يديه على كتفي ابن الحنفيـة) وفي المخطوطة: (فخطا عليّ على كتفي ابن الحنفية).

١٩٧ - ص ١٢٧: (وعن ابن اختِكم) وهي: (وعن ابن أُختهم).

١٩٨ - ص ١٢٨: (ولا أمانة أديت) وهي: (ولا الأمانة أَدَّيْتَ).

١٩٩ - وفيهـا: (حـزت لأهلك عن أبيك وأمك) وهي: (حـزت لأهلك تـراثك عن أبيك وأمك).

٢٠٠ - ص ١٢٩: (فضح رويدًا) و هي: (فَصِبْحْ رويدًا).

٢٠١ - ص ١٣١: (أنبأنا كامل العلا) وهي: (أنبأنا كامل أبو العلا).

٢٠٢ - وفيها: (إلّا عدم قتالي مع عليّ) وفي الأصل: (إلّا قتالي مع عَليّ).

وللمحقق حاشية طويلة على هذه الكلمة.

٢٠٣ - وفيها: (حدثنا غيلان بن مطرف) وهي: (حدثنا غيلان عن مطرف).

٢٠٤- ص ١٣٢: (وقفة الحجاج) وهي : (وَقَفَهُ الحَجاج).

٢٠٥- وفيها: (ورفعهم) وهي: (فرفعهم).

٢٠٦- وفيها: (ماتذكرون شيعة علي) وهي: (ماتذكرون من شيعة علي).

٢٠٧- وفيها: (فكيف وأنت أحياء) وهي: (فكيف وأنتم أَحْيَاء).

٢٠٨- ص ١٣٣: (حـدثنـا الحسيـن بن علي بن الأسـود قـالا حـدثنـا) وفي المخطوطة: (حدثنا الحسين بن علي بن الأسود، ومحمد بن سعد قالا حدثنا).

٢٠٩- وفيها: (ثم قال: هذا مثل) وهي: (ثم قال: إن هذا مثل).

٢١٠ - ص ١٣٤: (من بين يديه وخلفه) وهي: (من بين يديه ومن خلفه).

٢١١- وفيها: (حدثنا محمد بن سعيد) وهي: (حدثنا محمد بن سعد).

٢١٢- وفيها: (حدثنا عمر بن سليمان) وهي: (حدثنا معتمر بن سليمان).

٢١٣- وفيها: (نقش خاتم علي لله الملك) وهي: (نقش خاتم علي الله الملك).

٢١٤-وفيها: (حدثني محمد بن إسحـاق عن مالك بن إسماعيل) وهي: (حدثني محمد بن سعد عن مالك بن إسماعيل).

٢١٥- ص ١٣٦: (ووزنت فـاطمة عليهـا السـلام شعـرها) والصـواب: (ووزنت فاطمة عليها السلام شعرَهُمَا).

٢١٦- وفيها: (أم كلثـوم رضي الله تعالى عنهـم) وفي المخطوطة: (أم كلثـوم بنت عَليّ رضي الله تعالى عنهم).

٢١٧- ص ١٤٢: (لئن لم تفعلي لاخذت أكبر) وهي: (لئن لم تفعلي لأَخُذَنَّ أكبر).

٢١٨- وفيها: (ولأفعلن حتى أفضحك) وهي: (ولأفعلـن بعد ذالك، وأفعلن حتى أفضحك).

٢١٩- وفيها: (ماكان لي بكفاء) وهي: (ماكان لي بكفؤ).

٢٢٠- ص ١٤٤: (بأنها لم تصبر) وهي: (بأنها إذ لم تصبر).

٢٢١- ص ١٤٥: (اسمه بـاسمك واكنه بكنيتك) وهي: (أُسَمِيْه بـاسمك، وأُكَنِيّهِ بكنيتك).

٢٢٢- ص ١٤٨: (باثنتي عشرة ليلة) وهي: (لا ثنتي عشرة ليلة).

٢٢٣- وفيها: (يقـال لها البغيغـة) وهي: (يقال لها البغيبغـة) وهذا هـو الصواب،

البغيبغة عين كانت من عيون ينبع، ولها ذكر كثير في كتب التاريخ.

٢٢٤- وفيها: (قبيعة بن ذؤيب) وهي: (قَبِيصة بن ذؤيب).

٢٢٥- وفيها: (ﷺ وبعث علي بن أبي طالب) وهي: (ﷺ، شلّاء، والله ما أرى هذا الأمر يتمُّ، وكان طلحة أولَ من بايعه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبعث علي بن أبي طالب).

٢٢٦- ص ١٤٩: (رجل أمن سوطك) وهي: (رجل قد أمن سوطك).

٢٢٧: وفيها: (ولا تنزون على أمر الأمة) وهي: (ولا تنتَزِيَنَّ على أمر الأمة).

٢٢٨- وفيها: (وآزرته فقال لهما ألم تأمراني) وهي: (وآزرته فقال: نعم ألم تأمراني).

٢٢٩- ص ١٥٠: (فابعثني إذ أردت) وهي: (فابعثني إن أردت).

٢٣٠- وفيها: (فقال لتركبن طبقًا عن طبق طائعًا أو كارهًا، ثم انصرف) وفي المخطوطة: (فقال علي لتركبن طائعًا أو كارهًا، ثم انصرف).

٢٣١- ص ١٥١: (لا تكون سرًا فاخرجوا إلى المسجد) وهي: (لا تكون سِرًّا ولكن أَخْرُجُ إلى المسجد).

٢٣٢- ص ١٥٤: (حدثني إبراهيم بن محمد اليشامي) وهي: (حدثني إبراهيم بن محمد السَّامِي) وفوقها كلمة (صح).

٢٣٣- ص ١٥٥: (في خش من أخشاش المدينة) وهي: (في حش من أحشاش المدينة) وتحت الحاء علامة الاهمال.

٢٣٤- وفيها: (عوازب أحلامهم) وهي: (عوازب أحلامها).

٢٣٥- وفي هذه الصفحة حاشية على كلمة: (فدخل حائطًا في بني مبذول) نَصُّها: (بنو مبذول هم بطن من ضبة، وهو مبذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضبة). وهذه الحاشية خطأ، فبنو مبذول المذكرون بطن من الأنصار أهل المدينة، وأين بلاد بني ضَبَّة من المدينة؟

٢٣٦- ص ١٥٦: (فقالت إنه ذو الأصبع) وهي: (فقالت إِيْهٍ ذَا الأصبع).

٢٣٧- وفيها: (أمور سميناها لـه ووقعناه عليها) وهي: (أمـور سميناها لـه ووقفناه عليها).

٢٣٨- ص ١٥٧: (وابن عامر بهـا بحر الدنيا) وهي: (وابن عامر بهـا يُحرُّ الدنيا) والكلمة مضبوطة بالشكل التام.

٢٣٩- ص ١٥٨: (فقـال أبعـدهما الله) وفي الأصـل: (فقال أخـذهمـا الله) وفي الهامش (أبعدهما) - خ -.

٢٤٠- ص ١٥٩: (فأجمعا على) وهي: (فأجمعوا على).

٢٤١- ص ١٦٠: (بجفـر أبي مـوسـى) والصـواب: (بحفـر أبي مـوسى) وفي الهامش: بفتح الحاء والفاء، وحَفَر أبي موسى أصبح مدينة مشهورة في شرق الجزيرة.

٢٤٢- ص ١٦٢: (فقومـا على تبييت ابن حنيف) و هي: (فعزمـا على تَبْيِيت ابن حُنَيْف).

٢٤٣ - ص ١٦٥: (نطا صماخة فاعتزل الجلحاء) وهي في الأصل: (نطا سماخه فاعتزل بالجلحاء).

٢٤٤- وفيها: (وكعب بن شعـر) وهي: (وكعب بن سُوْرٍ) العـالـم المشهور وسيأتي ص ١٦٨.

٢٤٥- وفي هذه الصفحـة تعليقان أحدهما عـن (سفوان) وهو الآن قريـة معمورة وينطلق الآن بـالصاد: (صفـوان) من قرى العـراق على الطريق إلى الخليج. والثـاني عن الربذة: وأنها مـن قرى المدينة على ثلاثة أميال. وهـذا ليس صحيحًا، فهي كانت يومًا ما تابعة للمدينة، ولكن المسافة بينهمـا مسيرة ثلاثة أيام أو أكثر من المدينة، وقد اكتشفت أثارها، وأُلِفَّ عنها مؤلف.

٢٤٦- ص ١٦٧: (وعلة بن مجـدوح الذهلي) وهو: (وعلة بن محـدوج الذهلي) وتحت الحاء علامةالإهمال، وسيأتي ص ١٧٤ -.

٢٤٧- وفيها: (إني لأخشى تقتل بمضيعة) وهي: (إني لأخشى أن تقتل بمضْيَعَةٍ).

٢٤٨- وفيها: (بما جاء به محمدًا وقال). وهي: (بما جاء به محمدٌ، أو قال).

٢٤٩- وفيها: (وخرج إليه شيعة شيعته من أهل البصرة) وفي المخطوطة: (وخرج إليه شيعة من أهل البصرة) وفي الهامش (شيعته صح).

٢٥٠- ص ١٦٨: (وبنو عمران وابن تميم وضبة) وهي: (وبنو عَمْرِو بن تميم، وضبة).

٢٥١- وفيها: (في مسجد الحُدَّان وعنده) وهي: (في مسجد الحُدَّان، أو عنده).

٢٥٢- ص ١٧٠: (فلما مصتموه). وعلق المحقق (كذا في الأصل، والصحيح (مصصتموه) أي عصرتموه) وهذا خطأ، والصواب كما في هامش الأصل: (المَوْصُ: الغسل).ولا تزال الكلمة مستعملة في نَجْد.

٢٥٣- وفيها: (ولا يهج امرأة) وهي: (ولا يهُيجوا امرأة).

٢٥٤- ص ١٧٤: (قاتل علياء وهند). وتكرر اسم عَلْيَاء وصوابه (عِلْبَاء) بكسر العين وإسكان اللام، وفتح الباء الموحدة بعدها ألف ممدودة فهمزة، وتكرر اسم (علياء) في هذه الصفحة والتي بعدها. وهند بن عمرو بن جندلة الجملي لا (جدارة) كما وقع في هذه الصفحة.

٢٥٥- ص ١٧٥: (فإني محاج أجاج) وهي: (فإني مُحَاجٌّ أُحَاجُّ).

٢٥٦- وفيها: (قتالها وهي) وهي: (قلنا لها وهي).

٢٥٧- وفيها: (وبيضة أو حلقًا) وهي: (وبيضة وحِلَقًا) وليس صحيحًا ماجاء في الحاشية من أن بما في الأصل ينكسر البيت فهو مستقيم.

٢٥٨- ص ١٧٦: (فدفنوه على شاطيء الكلاء) وهي: (فدفنوه على شاطئ الكَلَّا) بالألف المقصورة واللام مشددة.

٢٥٩- ص ١٧٧: (لعط بن بظة الغامدي) وهي: (لُعْط بن مَظَّة الغامدي).

٢٦٠- وفيها: (بعض العبيديين) وهي: (بعض العَبْدِيِّينَ).

٢٦١- وفيها: (للنبي بعلا) وهي: (للنبي ثِقَلا) وفوقها في الهامش (بعلا).

٢٦٢- ص ١٧٨: (حدثنا وهب بن جرير بن جويرية) وهي: (حدثنا وهب بن جرير، حدثنا جويرية).

٢٦٣- ص ١٨٢: (جعل السلاح ينفض عليه) وهي: (جعل السلاح ينتفض عليه).

- وفي الحاشية عن العرفج: سريع الانقياد، والصواب: سريع الاتقاد، أي عندما توقد به النار.

٢٦٤ - ص ١٨٥: (لما أتى خبر الزبير تضعضعت) وفي المخطوطة: (لما أتى خبر الزبير تصعصعت). وفي الهامش بالصاد المهملة أي (تزعزعت).

٢٦٥- ص ١٨٦: (الأغيار من جمح) وهي: (الأغيار من بني جُمَح).

٢٦٦- ص ١٨٧: (عصمة بن الزبير) كذا في المخطوطة وفوقها في الهامش (ابن أبير صح).

٢٦٧- ص ١٨٨: (حار أمر الناس بل وبارده). وفي الأصل: (حار أمر الناس بك وبارده).

تنبيه ص ١٩٢: قبل وقعة صفين في هامش المخطوطة تعليقان كان من المناسب إثباتهما. الأول: (بلغ العرض ولله الحمد) والثاني: (آخر المجلد الثامن من الأصل ولله الحمد والصلاة على محمد وآله وجميع أصحابه).

٢٦٨- ص ١٩٤: (عرفنا ذالك من نظرك الشذر) وهي: (عرفنا ذالك في نظرك الشزر).

٢٦٩- وفيها: (ما ابتهلوا منه) وهي: (ما انتهكوا منه).

٢٧٠- ص ١٩٥: (الذين كذبوه واشنقوا له) وهي: (الذين كذبوه وشنفوا له) وفي الهامش: أي أبغضوه، وعلى هذا فلا حاجة للحاشية.

٢٧١- وفيها: (على قدم فضائلهم) وكذا في المخطوطة وفوقها في الهامش: (قدر خ).

٢٧٢ - ص ١٩٦: (ويمثلوا به) وهي: (أو يمثلوا به).

٢٧٣- وفيها: (فمعاذ الله أن أكون) وهي: (فمعاذ الله من أن أكون).

٢٧٤- وفيها: (إلَّا أنفه وعينه) وهي: (إلَّا أنفه وعينيه).

وفي الحاشية تعليق على كلمة (الوشـائظ) لا يتفق مع مافي هامش الأصل ونصه: (الوشيظ اللفيف من الناس، أصلهم واحـد، قال الكسائي: بنو فلان وشيظـة في قومه أي هم حشو فيهم - ص-).

٢٧٥- ص ١٩٧: (قتلوه مطالبين) وهي: (قتلوه طالبين).

٢٧٦- وفيها: (عبدالواحد بن مجزر) وهي: (عبدالواحد بن مُحْرِز).

٢٧٧- وفيها: (لا ترني صلعتك) وهي: (لا ترني طلعتك).

٢٧٨- وفيها: (لا يشرك في أمر) وهي: (لا يشركه في أمره).

٢٧٩- ص ١٩٨: (لم يكن أحـد من قريش أعـف فيها) وهي: (لم يكن أحـد من قريش أغفًا فيها).

٢٨٠- ص ١٩٩: (أن يسفع البـلاء بمثلهـا) وفي المخطـوطـة: (أن يشفع البـلاء بمثلها). وعلى هذا فلا داعي للحاشية.

٢٨١- وفيها: (قبل أن تكون دنيا) وهي: (قبل أن تكون ذَنَبًا).

٢٨٢- ص ٢٠٢: (لأنضاء الفراق) وهي: (لأنفاض العراق).

٢٨٣- وفيها: (فادعيوها) وهي: (فأوعبوها).

وفي آخر هذه الصفحة: (وكتب إليه معاوية إلى آخر البيت، وهذا ليس في الأصل بل وضع في الهـامش: (وكتب إليـه معـاويـة بيت أوس بن حجـر التميمي) ولم يَـرد البيت في المخطوطة:

٢٨٤- ص ٢٠٣: (ترجو الحذاقا) وهي: (رخْو الخِناق).

٢٨٥ - ص ٢٠٦: (لم يحضر أزد البصرة) وهي: (لـم يحضر من أزد البصرة).

٢٨٦ - ص ٢٠٩: (وفينــا الجحـف) وهي: (وفينــا الحجَـف). والحَجَفُ جمع جَحَفَةٍ وهي التِّرْسُ الصغير وليست (الجحف) كما فسر المحقق في الحاشية.

٢٨٧- ص ٢١٠: (على الشورى بـدم عثمان) وهي: (على الشـورى والطلب بدم عثمان).

٢٨٨- وفيها: (وتواعده بالقتل) وهي: (وتوعَّداه بالقتل).

٢٨٩- ص ٢١٢: (في كتبيته) وهي: (في كتيبته) وما هنا تطبيع.

٢٩٠- وفيهـا: (ضيف مـدقع) وهي: (ضيف مُـدَفَّع) والمُـدَفَّع من لا يضـاف إذا استضاف وليس كما فَسَّر المحقق.

٢٩١- ص ٢١٤: (فإن الذي نحن فيه وأنتم فيه). وهي: (فإن الذي نحن وأنتم فيه).

٢٩٢- وفيها: (بخطوته) وهي (بحظوته).

٢٩٣- وفيها: (ذات أنفاس) وهي: (ذات أنغاس).

٢٩٤- ص ٢١٥: (إعظام الدين) وهي: (إعظام أهل الدين).

٢٩٥- وفيهـا: (بـدأهـا على الحق وانتهى فيهـا إلى الغـدر) وهي: (بـدأهـا عليٌّ بالحق، وانتهى فيها إلى العُذْر).

٢٩٦- وفيها: (فإن ترد شرًّا الا يفتنا) وهي: (فإن ترد شرًّا لا يَفُتْنَا).

٢٩٧- ص ٢١٦: (يغري) وهي: (يفري).

٢٩٨- وفيها: (ابن دأبكم هذا أي حرصكم) وكلمة (أي حرصكم) ليست في الأصل.

٢٩٩- ص ٢١٧: (عن أبي عمرو بن عتبة) وهي: (عن أبي عمرو عن عتبة).

٣٠٠- وفيها: (زرعة بن بيحص) وهي: (زرعة بن بُحْصِ) وفـوق الباء ضمة والحاء سكون مع وضع علامتي الإهمال تحت الحاء وفوق الصاد.

٣٠١- ص ٢١٨: (كلثوم بن جبير) وهي: (كلثوم بن جبر).

٣٠٢- ص ٢١٩: (أقبل يهدر في أول الكتيبة). كلمة (يهدر) ليست في الأصل.

٣٠٣- ص ٢٢٠: (مـا يزال يأتينـا بهناة يـدحض بهـا) وهي: (ماتـزال تأتينا بِهَنـةٍ تدحض بها).

٣٠٤- ص ٢٢١: (سمينع وبـاكور) وهي: (شُمَيفع ونـاكـور) وتكرر الاسمـان في الصفحة.

٣٠٥- وفيهـا: (حبيـب بن أبي البختـري) وهـي: (حبيب بن أبي ثـابت عن أبي البختري).

٣٠٦- وفيها: (اسحاق الغروي) وهي: (إسحاق الفروي).

٣٠٧- فيها: (يبغي أهلًا محلًّا) كذا في الأصل، ولكن كتبت في الهامش (أهله خ).

٣٠٨- ص ٢٢٢: (وطعن بسر بن أرطاة) هي: (وطعن بسر بن أبي أرطاة).

٣٠٩- وفيها: (فما شواه) وهي: (فأشواه).

٣١٠- ص ٢٢٥: (ولكن لابنة هانيء) وهي: (ولكن هَبُوها لابنة هانيء).

٣١١- ص ٢٢٦: (فإن كانت تجاهنا) وهي: (فإن كانت هاهنا).

٣١٢- ص ٢٢٧: (فقال: حين طمعت بالنصر والظفر انصرف) وفي المخطوطة: (فقال: أَحين طمعت بالنصر والظفر أأنصرف).

٣١٣- ص ٢٢٨: (ماننتظر ومعك) وهي: (ما تنتظر بهم ومعك).

٣١٤- وفيها: (ثم لتلتزمها) وهي: (ثم لَتَلتَزِمَنَّها).

٣١٥- وفيها: (إدواة مملوءة) وهي: (إداوة مملوءَة).

٣١٦- وفيها: (ما تسعى ياعياض) وهي: (ما تبتغي ياعياض).

٣١٧- وفيها: (أبتغي أخي وابن بديل) وهي: (أبتغي أصحابي أخي وابن بديل).

٣١٨- ص ٢٢٩: (عن عمـران بن جديـر عن أبي مُجلـز) وفي المخطوطـة: (عن عمران بن حُدير عن أبي مجلز) ومِجلْز بكسر الميم لا بضمها.

٣١٩- ص ٢٣٠: (أبو موسى الغروي) وهي: (أبو موسى الفروي).

٣٢٠- وفيها: (فيما اختلفا فيه) وهي: (فيما اختلفنا فيه).

٣٢١- وفيها: (في كتاب الله نصا، فما لم يجدها في كتاب الله أمضيا فيه) وفي المخطوطة: (في كتاب الله أمضيا فيه).

٣٢٢- ص ٢٣٢: (وهو أول من حكَّم يزيد بن عاصم المحاربي) وهي: (وهو أول من حكم، ثم اعترض الأشعثَ وهو على بغلة له ففاته، فضرب بسيفه عَجُزَ البغلة، ويقال: إن أول من حكَّم يزيد بن عاصم المحاربي).

٣٢٣- ص ٢٣٤: (حدثنا ابن كباسة الأسدي) هي: (حدثنا ابن كناسة الأسدي).

٣٢٤- ص ٢٣٥: (تعسوا تعسة) وهي: (نعسوا نعسة).

٣٢٥- ص ٢٣٨: (معن بن يزيد الأخنس) وهي: (معن بن يزيد بن الأخنس).

٣٢٦- ص ٢٤٢: (ألا ترى أن حكمه في الزاني) وهي: (ألا ترى أن الحكم في الزاني) وكتب في الهامش (حكمه خ).

٣٢٧- ص ٢٤٤: (وولاية أمورهم) وهي: (وولاية إمرتهم).

٣٢٨- وفيها: (إذا ولي ما وليت) وهي: (إذا ولي ما وليته).

٣٢٩- وفيها: (قد غمسته في هذه الفتنة) وهي: (قد غمسته في الفتنة).

٣٣٠- ص ٢٤٦: (هو واخوه فقتلوا) وهي: (هو وإخوة له، فقتلوا).

٣٣١- ص ٢٥٠: (فنظر علي إلى زيد بن حصين الطائي) وهي: (فنظر علي إلى حصن بن زيد الطائي). وسيأتي ص ٢٥٢ - هذا الاسم.

٣٣٢- ص ٢٥٢: (أو منزل زيد بن حصين يذكروا من أصيب) وهي: (أو منزل زيد بن حصن فذكروا من أصيب). وتكرر اسم زيد بن حصين في هذه الصفحة وفي الصفحات التي تليها وهو: (زيد بن حصن).

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

الروقة من هوازن لا من بني لام

كتب أحد قراء مجلة «العرب» س ٣٢ ص ٥٣١ مقالًا قرر فيه أن (الروقة) فرع من بني لام.

وقد تأملت ماكتبه الأخ الكريم فرأيته قد اعتمد على ستة أمور عقد بعضها ببعض لتوصله إلى ما أراد تقريره وهذا ملخصها.

١ - أن من فروع غزية في القرن السابع (آل روق) كما ذكر الحمداني.

٢- أن غزية منسوبة إلى بني لام.

٣- أن من نسبهم (أي الروقة) إلى غزية من هوازن فمعتمده وَهْمٌ وقع للسويدي.

٤ - ماجاء في كتاب «غاية المرام» من نسبة الروقة إلى بني لام.

٥ - أن غزية هوازن هاجرت من بلادها.

٦- أن هناك تشابهًا في الأسماء بين فروع غزية وبعض بطون الروقة.

ثم قال: (خلاصة القول أن جميع النصوص والدلائل السابقة لا تدع مجالًا للشك أن الروقة هم من غزية لام).

والواقع أن معتمده هو الأمر الرابع كما يظهر لكني سأتناول جميع هذه الأمور فأقول ومن الله يستمد العون والتسديد:

الأمر الأول: نقل ذِكْر الحمداني (آل روق) من بطون غزية، وقول القلقشندي إنهم من غزية من قومهم ببرية الحجاز.

قلت: والاعتماد على هذا ضعيف لأمرين: (الأول): أن الحمداني والعمري قد ذكرا ديار غزية تفصيلًا - «العرب» ١٦/ ٧٧٦ - فذكرا: اليحموم واللصف (اللصافة؟) والنخيلة والمغيثة ولينة والثعلبية وزرود والرخيمية و الوقبا والفردوس والحدق وتربة وحفر وغيرها، وهذه مواضع أكثرها معروف شرق بلاد طيء فيما بين البصرة والسماوة، وحددوا ديار بني لام ومنها الظفير بما بين جبلي طيء والمدينة

[انظر «العرب» ١٦/ ٧٨٠ و «نهايـة الأرب» ص ٣٩٦. وابن خلدون ٦/ ٩] فليست دار غزية من الحجاز فـي شيء، وصلتها بالعراق ظاهرة فالمتـوقع أن يكون زحفها إلى العراق لا إلى الحجاز، وهـو الذي وقع، ففي العراق - كما ذكر العـزاوي - قبيلة بهذا الاسم من عشـائرها: (سـاعـدة) و (آل رفيع) ومن آل رفيع (آل شـرية) وكل هـذه من الفروع التي ذكـرها الحمـداني لغزيـة وفيه أيضًـا عشيرة باسم (الأجـود) وهـم بطن من غزية [انظر هذه البطون في «معجم قبائل العرب» لعمر كحالة].

(الثاني): أن الحمداني والعمـري كما تقـدم حَدَّدا ديار غـزية فلم يـذكرا شيئًـا له صلة بالحجاز، وليس في نصوصهمـا نسبتها إلى الحجاز وإنما ذالك من القلقشندي فإنه كما هو معلوم لم يضف جديـدًا في علم النسب وإنما رتّب ما وجده عنهما ووقع له في خلال ذالك غلط وتصحيف غير قليل. وهو قـد استنبط نسبة غزية إلى الحجاز على هذا النحو:

● أولًا: فهم من سيـاق كلام العمـري [١٦/ ٧٧٧] أنه ينسب بني خـالد إلى غـزية حين عطف ذكرها، معدِّدًا ديارها، على ذكر فـروع غزية التي ذكر ديارها وليس بمصيب في هذا الفهم لأن الحمداني ذكر فروع غزية وزاد عليـه العمري فروعًا أخرى فلم يذكرا خالدًا ولا شيئًـا من فروعها، ثم لما فَرَغ العمري مـن الفروع ثَنَّى بذكر الديار فـذكر ديار غزية بفروعها ثم عطف ذكـر ديار بني خالد بما لا صلة له بديار غـزية إطلاقًا، وراجعه إن شئت فليس هذا محلُّه، لكن القلقشندي نصّ على أن خالدًا من غزية.

● ثانيًا: وجد في نصوص الحمدانى نسبة (خـالد) إلى (الحجاز) فاستقر عنده أن خالدًا المتفرعة من غزية حجازية الدار.

● ثالثًا: ليس له معرفة بالمواضع المذكـورة لغزية فجعلها من الحجاز، لأن خالدًا إذا كانت حجازية - وهي فرع من غزيـة - فليست غزية إلا في الحجاز فلا تكون هذه المواضع إلا في الحجاز، فصار يذكر عند فروع غـزية أنها ببرية الحجاز حتى لقد قال في (الأجود): (مساكنهم مع قومهم ببرية الحجـاز) مع أنه قرأ كلام العمري حين قال:

(وديار آل أجود منهم: الرخيمية والوقبا والفردوس ولينة والحدق). فهل مَنْ كانت هذه ديـاره يعد من عـرب الحجاز؟ فإن التُـرْك والفُرْس إذن من عجم الحجـاز، بل كأن من عادتـه أن ينسب مالا يعـرفه من المـواضع إلى الحجاز، فقـد قال في رسم (البـرجان) ورسم (العقفـان) إنهمـا بطنـان من عـرب بـريـة الحجـاز ثم أردف قـائلًا نقـلًا عن الحمداني أن دارهمـا: (بريك) و (نعـام)، بل حتى الحمداني ربما وقـع له شيء من هذا فقد نقل عنـه القلقشندي (ص ٣٩٤) قوله في بني واصل من جـذام: (منهم فرقة بالحجاز نازلون بأجإٍ وسلمى جبلي طيء). وقـال العمري ولعله أخذه عن الحمداني [«العـرب» ١٦/ ٧٨٠]: (شمـر ولام من عـرب الحجـاز نـازلـون بأجإٍ وسلمى جبلي طيء) ومن ذالك إضافة الحمداني (خالدًا) إلى الحجاز مع أن العمري - ولعله ناقل عنه - فصَّل ديارها في وسط نجد من شمال القصيم إلى جنوب السّر.

فالخلاصة أن نسبـة غزية إلى الحجاز من توهـم القلقشندي فديـارها محددةٌ، بما هو بعيد مـن الحجاز، وهجرتها إلى العراق فـلا يستقيم للكاتـب مراده فـلا ينفعه هذا النص ويبقى له نص ابن فهدّ يتيمًا، وسيأتيك ما فيه.

الأمر الثاني: أنه جعل غـزية من بني لام نسبة إلى أُبَيّ بن غنم بن حارثـة بن ثُوَب ابن معن بن عَتُود بن حارثة بن لام، وأحال على كتاب «المنتخب» للمغيري.

قلت: الكـاتب الكـريم ثقةً منه بـدقـة كـلام المغيـري لم يـراجع كتب النسب المعتمـدة وهذه النسبـة غير صحيحـة إذ من المعلوم أن طيئًـا قسمان: جـديلة وبنـو الغوث بن طيء، وبنـو لام من جديلـة كما ذكر ابـن الكلبي [«نسب معد» ١/ ٢٢٤] وغيره، منسـوبون إلى لأم بن عمرو بن طريف بـن عمرو بن ثمامة بن جـدعاء بن ذهل ابن رومان بن جندب بن حارثة - واسم أمه جديلة - بن سعد بن فطرة بن طيء.

أما غـزية فكمـا ذكر الكـاتب لكن ليس في نسبهم (لام) بل صحة بـاقي النسب: معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعـل بن عمرو بن الغوث بن طيء [انظر «نسب معد» ١/ ٢٣٣]، فهذا التبـاين في النسب وقد تقدم بيان المباينة في الـديار واختلاف

وِجهة القبيلتين في زحفهما وتوسعهما.

أما المغيري فإن نَقْلَهُ غَزيّـةَ إلى بني لام ليس بعجيب إذا عُلِم أنه - رحمه الله وعفا عنه - قد سلخ القبـائل المضرية سلخًا فادعى إمـا إلى لام أو إلى عموم طيء أو إلى عموم قحطـان عددًا منهـا واقتطع كثيرًا من البطون ليكثـر بها بني لام، وقـد مَسَّ قبيلة حـرب بشيء من هذا لأنـه لم يطلع على كلام الهمـداني فيها وإلا لـوفرهـا كما وفَّـر سواها من القبائل المنسوبة إلى قحطان.

الأمر الثـالث: أن من نسب الـروقة إلـى هوازن فـاعتمـاده على وَهْمِ السويـدي إذ نسب غزية التي ذكرها الحمداني وفروعها إلى غزية هوازن.

قلت: إن كان السويدي وَهِمَ في ذالك فإن الكاتب الكريم وهم في ظنه أن هذا معتمد من نسبهم إلى هوازن فانتسابهم إلى هوازن معروف قبل أن يتداول الناس كتب النسب.

الأمر الرابع: ماجـاء في كتاب «غاية المـرام» لابن فهد في أحداث عـام ٨٩٤ هـ (٢/ ٥٦٦): (وفي ذي القعدة وصل السيد بـركات مكة وسرىٰ من ليلتـه بعسكره جهة الشرق لغزو عرب بني لام ويقال لهم الروقة فإنهـم مُناقون). إلخ.

واستظهر الكاتب أن (مناقون) تحريف (منافقون).

قلت: والذي يظهـر أنها بمعنى (رَدُّوا النقا) أي: آذنوا بحـرب. والتعلق بهذا النص ضعيف لوجوه: (أحدها): أن ابن فهد أورد في كتابه نصوصًا تدل على مالا يتفق وهذه النسبـة، ففي أحداث عـام ٩٠١ (٢/ ٥٨٨) ذكر تعـدي عجل بن عنقـاء اللامي حـد صاحب مكة بـالشرق، وفي أحداث عام ٩٠٠ (٢/ ٥٨٤) ذكـر غزو الشريف لبني لام لأنهم قصدوا أن يربعوا ببلاده بعد أن أمحلت ديارهم وأنه صبحهم على السيل.

وهذا يدل على أن بني لام الذين كانوا فيما سـامَتَ مكةَ من نجد يُعَدُّ تعديهم لحدِّ الشريف إيـذانًا بـالحرب، والسيل الذي صبحهم عليـه الشريف هـو من صميم بلاد الـروقـة بـلا شك من قـديم الـزمـان، فكيف يعـد وصـولهم إلى السيل تعـديًـا لحـد الشريف؟ فـالروقـة لا يصح أن يقال فيهم إذ ذاك وهم لم يـزالوا في ديـارهم الأصلية:

إنهم يقصدون أن يربّعوا ببلاد الشريف، وإنما يصح ذالك فيمن داره خارج حد الشريف كبني لام.

(الثاني): أن الروقة ديارهم معروفة في ذالك الوقت وقبله، فيما قرب من الطائف، وهيَ بلاد هوازن، ولا يذكرون، ولا يذكر غيرهم، أنهم طارئون على تلك الديار فإن كان الكاتب الكريم يحفظ خلاف هذا فليطلعنا عليه فما أردنا إلا الصواب ولا غرض لنا في محاباة أحد.

أما بنو لام فالقرن التاسع شهد انسياحهم إلى نجد، فمعلوم - كما تقدم - أن ديارهم فيما بين المدينة والجبلين وفي «غاية المرام» [٢/ ٤١٠] خبر أنهم أخرجوا بني بشر من حرب من أعمال المدينة عام ٨١٠هـ وهذا دليل على قوتهم وصلتهم ببلادهم الأصلية، فإن إخراجهم لا يعني إلا حلولهم مكانهم، ثم أورد [٢/ ٣٢٥] خبرًا فيه أنهم عرضوا لبعض الحاج قرب عنيزة بالقصيم عام (٨٢٢هـ) وهذا يدل على نزولهم - وربما كانت طلائعهم - إلى جهات القصيم، ثم جاءت أخبار لهم في آخر القرن التاسع وأول العاشر لتدل على مناوشات لهم مع أمراء مكة قادمين فيها من نجد، فلا يصح أن يكون (الروقة) وهم قدماء في تلك البلاد التي ذكروا فيها منسوبين إلى قوم طارئين ليس لهم علاقة بالبلاد إلَّا فترات قصيرة يحتالون فيه لعلهم يصيبون شيئًا من المرعى.

وتتمةً لهذا الكلام ولأن الكاتب عرض لذكر بني خالد فأدرجهم ضمن بني لام.

أقول: إن النصوص دلت على غلبة بني لام على الشطر الغربي من نجد في القرن التاسع مقاسمين بني خالد النفوذ، كما دل عليه بيت جعيثن اليزيدي (في أواخر القرن التاسع) حين قال:

ونجد رَعَى رِبْعي زاهي فلاتها على الرغم من سادات لام وخالد

ثم توغلوا آخر القرن التاسع - فيما يظهر - في بلاد نجد فزحف بنو خالد إلّا مَنْ تحضَّر منهم ببلاد الوشم وسدير والقصيم، وانفتح لهم الطريق إلى شرق الجزيرة ثم

جاءت النصوص والوثائق في النصف الثاني من القرن العاشر لتدل على سيطرتهم على شرق الجزيرة [انظر «بنو خالد وعلاقتهم بنجد»: ١٢٧ وما بعدها] والذي أحرص على ذكره أن في كتاب «غاية المرام» ما يدل على نقيض نسبة الكاتب بني خالد إلى بني لام، فقد أورد ابن فهد [٢/ ٣٢٥] في حوادث عام ٨٢٣ خبرًا أن المقرئ المعروف شمس الدين بن الجزري حج من شيراز العام السابق لتلك السنة قال: (فعرض له بنو لام بقرب عنيزة فنهبوا ما معه... وتأخر بعنيزة لتحصيل كتبه وترقيع حاله) وقد ذكر هو ذالك في آخر منظومته (الجزري).

قلت: وعنيزة في نصوص العمري أنها من ديار بني خالد في القرن السابع - أي قبل انسياح بني لام بقرنين - و (آل جناح) ذكرهم الحمداني في بطون بني خالد في القرن السابع وكذالك فالمعروف المستفيض أنهم أول من أنشأ عنيزة، وهم أقدم سكانها، [انظر: «بلاد القصيم» عنيزة]، وإلى يوم الناس هذا لا تزال مقرًا لهم، ولا يعرف لهم هجرة إلى شرق الجزيرة مطلقًا، وقد سبق أن من بقي من بني خالد بنجد قد تحضّر ومن لم يتحضر زحفوا شيئًا فشيئًا إلى شرق الجزيرة.

وحينئذ فظاهر من النص أن ابن الجزري إنما تأخر في عنيزة - ولاشك أن أهلها آل جناح ومن معهم - لأنها دار حاضرة يأمن فيها على نفسه ويستطيع ترقيع حاله، ولو كان (آل جناح) من بني لام، وهي القبيلة الطارئة إذ ذاك على صولتها وبداوتها؛ فهل يقال إنها تخلف عند منتهبيه أو بني عمهم من البدو الأقحاح ليرقع حاله؟ لا يخفى أن هذا كلام متنافر يتبرأ آخره من أوله، فلم يبق إلَّا أن آل جناح - وهم أهل الدار الأقدمون - لا صلة لهم ببني لام القبيلة الفتية الطارئة، وليس هذا موضعًا للاسترسال في هذه المسائل لكن ذكرت هذا لأدلل على أن كاتبنا - وفقه الله - فاته تعميم النظر في نصوص الكتاب، فانتزع الروقة من هوازن وطوَىٰ بني خالد بفروعها وأدخل الجميع في عَيْبة بني لام.

(الثالث): لبني لام صولة إذ ذاك معروفة وشغب غير قليل فإيجاد صلة بينهم وبين ما قرب منهم من الشغب أمر متوقع، وبنو لام كانوا يتنابون تلك الديار المرة بعد

المرة، طلبًا للمرعى إذا أمحلت ديارهم.

ووالد ابن فهد: عمر بن فهد ذكر في «اتحاف الورى» [ذكره المحقق لغاية المرام في الحاشية ٢/ ٥١٤] عن المخطوط وقد طبعت في رسالة دكتوراه. أن الشريف محمد بن بركات غزا عرب البقوم من بني لام عام ٨٧٤هـ فلعل الابن أخذ مثل هذه الأنساب الخاطئة عن أبيه - رحم الله الجميع - فإن بني لام التي يذكر أنها هي المعروفة عند أهل نجد بفروعها الثلاثة ويتناقلون من أخبارها ما يوصلونه موصل الأساطير وليس في هذا كله إشارة إلى هذا النسب مع أن ذالك التاريخ ليس بعيدًا بعدًا كافيًا لعفاء جميع الآثار المشيرة إلى ذالك ولو من بُعْد.

الأمر الخامس: أن غزية هاجرت من ديارها ولا حاجة للرد على هذا لأن الروقة من هوازن بدون تخصيص كما تقدم.

الأمر السادس: مشابهة بعض فروع غزية لبعض فروع الروقة في الاسم.

قلت: لو قُدر وجود هذه المشابهة ففيما تقدم مقنع أنها لا تعني شيئًا ذا بال.

والواقع أنه ليس هناك إلا شيء تصوره الكاتب لا وجود له:

فأما الربط بين (ساعدة) و (الأساعدة) فإن ساعدة نسبة إلى من اسمه (ساعدة) الواحد: (ساعدي) والأساعدة لجد اسمه (أسعد) والواحد (أسعدي) فأين هذا من ذاك.

وأما السوطة في الظفير فواحدهم (السويط) والسوطة في بني سعد واحدهم: (السُّواط) وآل سويط نسبهم الجاسر إلى بني سلم ورأيت من يزعم أنهم حسينيون، وأما (البطنين) من الروقة فهما: (طفيح) و (النفعة) وليس لذالك صلة ولا شبه بالبطون من الظفير ومثل هذا الربط الضعيف لا تقوم به صلة ولا نسب.

وبعد: فإن كل ما ذكرت المراد منه تقرير جمهور النسب ومعظمه، أما تداخل الفروع فيما دون ذالك بالحلف وغيره فليس هذا موضعه، وأخلُصُ من هذا إلى أن الروقة في النسب العام قبيلة مضرية قيسية هوازنية لا صلهم لهم ببني لام. والله تعالى أعلم.

المدينة المنورة: عبدالرحمن بن سليمان الشايع

- ١٠ -

٤٥- بَابُ أُسْوَانَ، وَسُوَانِ(١)

أَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَسُكُوْنِ السِّيْنِ-: بَلَدٌ فِي آخِرِ صَعِيْدَ مِصْرَ(٢).

وَأَمَّا - بِضَمِّ السِّيْنِ لَاهَمْـزَةَ فِيْهِ-: صُقْعٌ مِن دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ بَـالْحِجَازِ، وَقِيْلَ- بِفَتْحِ السِّيْنِ، وَقَال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ - بِفَتْحِ الشِّيْنِ المُعْجَمَةِ(٣).

٤٦- بَابُ أَشْرَاعٍ، وَشُرَاعٍ(٤)

أَمَّا بِهَمْزَةٍ مَفْتُوْحَةٍ بَعْدَهَا شِيْنٌ سَاكِنَةٌ-: فَهُوَ بَالْحِجَازِ مِنْ دِيَارِ بَنِي نَصْرِ بن مُعَاوِيَةَ.(٥)

وَأَمَّا شُرَاعُ أَوَّلُهُ شِيْنٌ مَضْمُوْمَةٌ: جَبَلٌ أَرَاهُ يَمَانِيًّا(٦).

٤٧- بَابُ أَشَبَ، وَإِثْبِيْتَ(٧)

أَمَّا بِمَـدِّ الْهِمْزَةِ بِعْدَهَا شِيْـنٌ مُعَجمةٌ مُفْتُوحَةٌ، ثُم بَـاءٌ مُوَحَّدَةٌ-: صُقْعٌ مِن طَـالِقَانِ

---

(١) عِنْد الْحَازِمِي: (بَابُ أُسْوَانَ وأَسْوَافَ).

(٢) أورد الحازمي تَعْرِيْفَ نَصْرٍ وَزَاد: يُنْسَب إِلَيْهَا نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، ثُمّ ذَكَر واحِدًا مِنْهُم.

(٣) لَمْ يَذْكُرْهُ الْحَازِمِيُّ، وَذَكَر يَاقُوت: شُوَان قُرْبَ بُسْتَان ابنْ عَـامِر: جَبَلانِ يُقَال لَهُمَـا شُوَانَان وَاحِدهمـا شُوَان، كَذَا وَجَدْتُهُ بِالْشِّيْنِ المُعْجَمَة، ثُم أَوْرَد كَلَام نَصر بِنَصِّه وَلَمْ يَزِد، وَنَقَل فِي حَرْف الْشِّيْنِ الْمُعْجَمَةِ قَوْلِ عَرَّامٍ فِي رِسَالَتِه: قُرْب بُسْتَانِ ابنُ عَامِر جَبَلَان يُقَال لَهُمَا شُوَانَان وَاحِدُهُما شُوَان، وَلَكِن مَا ذَكَر عَرَّام لا يَقَع فِي بِلَاد بَنِي سُلَيْم، بَل بِقُرْبِ يَسُومَ وَبَذْبَد، عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ مَكَّة، مَعَ أَنَّ عِبَارَةَ عَرَّام فِي رِسَالَته فيها اضْطِرَاب وَعَدَمُ وُضُوحٍ.

(٤) لَيْس فِي كِتَاب الْحَازِمِي.

(٥) لَمْ أَرَهُ فِي «الْمُعْجَم» فِي مَحَلِّه. وبنو نَصْرٍ مـن هوازِنَ وبلادُهم في جِهَات الطائف شماله وشـرقه، وفيما بينه وبين السَّيْل (وادي قَرْنِ المنازِلِ).

(٦) لَمْ يذكُرْه يَاقُوت فِي مَحَلِّه أَيْضًا.

(٧) لَمْ يَذْكُرُه الْحَازِمِي.

الرَّيِّ، كَان الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى نَزَلَهُ، شَدِيْدُ الْبَرْدِ عَظِيْمُ الثُّلُوج[1].

وَأَمَّا - بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ سَاكِنَةٌ، ثُمَّ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُوْرَةٌ، ثُمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ، ثُمَّ تَاءٌ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ-: مَاءٌ لِبَنِي يَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ، ثُمَّ لِبَنِي الْمُحِلِّ مِنْهُمْ[2].

٤٨- بَابُ إِصْبَعَ، وَأَصْبَغَ، وَأَضْبُعَ[3]

أَمَّا بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَبِصَادٍ مُهْمَلَةٍ وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ-: جَبَلٌ نَجْدِيٌّ[4].

وَإِصْبَغُ خُفَّانَ بِنَاءٌ عَظِيْمٌ قُرْبَ الْكُوفَةِ عَادِيٌّ، أَظُنُّ مُلُوكَ الْفُرْسِ كَانَتْ بَنَتْهُ هُنَاكَ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي مِثْلِهِ[5].

---

(١) نَقَل يَاقُوْتُ كَلَامَ نَصْرٍ مَنْسُوْبًا إِلَيْه ولَمْ يَزِد، وَأَضَاف: وَأَشِبُ - بِكَسْر الشِّيْن - كَانَتْ مِنْ أَجَلِّ قِلَاعِ الْهَكَّارِيَّةِ بِبِلَاد الْمَوصِلِ، إِلَى آخِرِ مَاذَكَر، والرَّيُّ والطَّالِقَان لَا يَزَالانِ مَعْرُوْفَيْنِ فِي بِلَاد فَارِس.

(٢) فِي «الْمُعْجَمِ»: إِثْبِيْتُ: مَاءٌ لِبَنِي الْمُحِلِّ بن جَعْفَر بَأَوْدَ عن السُّكَّرِيِّ، فِي شَرْح قَوْل جَرِيْر:

أَتَعْــرِفُ أَمْ أَنْكَــرْتَ أَطْــلَالَ دِمْنَــةٍ ... بِإِثْبِيْتَ فَـالْجَـوْنَيْنِ بَـالٍ جَـدِيْـدُهَــا

وَأَوْرَدَ كَلَامَ نَصْرٍ بِنَصِّه مُضِيفًا بَيْتًا لِلراعِي، فِيْه ذِكْرُ إِثْبِيْت، وَفِي «مُعْجَم مـا استعجم» لِلْبَكْرِيِّ: إِثْبِيْتُ: جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيْم، وَكَان بِإِثْبِيْتَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِم، قَالَ الرَّاعِي فِي وَقْعَتِهِم بِكَلْب:

تَشَــرَّبْتَــاهُــمْ أَيَّــام إِثْبِيْتَ بَعْــدَمَـا ... شَفَيْنَـا غِـلالًا بِـالـرِّمـاحِ الْعَـوَاتِـر

وَفِي «النَّقَائِض» فِي خَبَرِ بَنِي هَوْذَة مِنْ بَنِي دَارِم حِيْنَمَا هَجَاهُمْ ضَابِئُ الْبُرْجِميُّ فاستَعْدَوْا عَلَيه عُثْمَان، فَقَضَى بجَزِّ شَعْرِهِ، وَخمِيس إِبِلِهِ: أَنَّهُم انْحَدَرُوا مِـنَ الْمَدِيْنَة إِلَى لَصَافِ بِضَابِيءٍ مَعَهُم فَحَبَسُوهُ، فَأَخَذَ أَحَدهُمْ بِإِثْبِيْتَ فَضَرَبَهُ، فاسْتَعْدوا عُثْمَان فَأُتِيَ بِهِ إِلَى الْمَدِيْنَة فَحُبِسَ. وَيُفْهَم مِنْ هذا أن إِثْبِيْتَ فِي شَرْقِ الْجَزِيْرَة، إِذْ لَصَاف (اللِّصَافَة الآن) هُنَاك، وَأَوْضَحَ مِنْ هَذا نَصُّ السُّكَّرِيِّ بِأَنَّهُ مِن مِيَاهِ بَنِي يَرْبُوع فِي أَوْد، وَأَوْدُ فِي أَسْفَلِ حَزْنِ بَنِي يَرْبُوع.

(٣) عِنْد الْحَازِمِي.

(٤) ذَكَره الْحَازِمِيُّ، والْجِبَالُ الَّتِي فِي نَجْدٍ كَثِيْرةٌ، وَنَقَل يَاقُوتُ عَن الأَصْمَعِيِّ، ذَاتُ الأَصْبعِ هُضَيْمَةٌ لبني أَبي بَكْرِ بنِ كلَابٍ، وهـذا فِي كتاب «بلاد العـرب» - ص ١١٦ - بَعْد ذِكْر سُوَاجِ الْوَاقِعِ جَنُوبَ غَرْبِ حِمَى ضَرِيَّةَ، وَهَذِهِ تُعْرَفُ الآن باسْم (أُمّ أُصَيْبِع) حَدَّدَهَا الأستاذ سَعْد بن جُنَيْدِل فِي «عَالِيَة نَجْد» مِنَ «الْمُعْجَم الْجُغْرَافِي».

(٥) تَعْرِيْفُ الْحَازِمِيّ: إِصْبَعُ خُفَّانَ بِنَاءٌ عَظِيمٌ قُرْب الْكُوفَةِ مِنْ أَبْنِيَةِ الْفُرْسِ، وَزَاد يَاقُوت: وَأَظُنُّهُم بَنَوْهُ مَنْظَرَةً.

وَذَاتُ الإِصْبَعِ: رُضَيْمَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي دِيَار غَطَفَانَ[١].

وَأَمَّا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَآخِرُهُ غَيْنٌ مُعْجَمَةٌ-: وَادٍ فِي نَوَاحِي الْبَحْرَيْنِ[٢].

وَأَمَّا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّ الْبَاءِ وَعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ-: عَلَى طَرِيقِ حَاجِّ الْبَصْرَةِ بَيْنَ رَامَتَيْنِ وَإِمَّرَةَ[٣].

٤٩- بَابُ إِضَمٍ، وَآصَمٍ[٤]

أَمَّا إِضَمُ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ وَفَتْحِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ-: بِتِهَامَةَ مِنْ أَرْض جُهَيْنَةَ، جَبَلٌ أَوْ وَادٍ، وَجَبَلٌ أَيْضًا بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَضَرِيَّةَ[٥].

---

(١) زَادَ يَاقُوت بَعْد ذِكْر رُضَيْمَة أَبِي بَكْـرِ بن كِلَابٍ أَضَاف: وَقِيل: هِي فِي دِيَار غَطَفَان والرِّضَام: صُخُورٌ كِبَارٌ يُرْضَمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض. انْتَهَى.

وإِذَنْ: فَهُمَا رُضَيْمَتَان إِحْدَاهُمَا فِي جَنُوبِ نَجْدٍ لِبَنِي كِلَاب، والأخرَى شَمَالَهُ لغَطَفَان.

(٢) لَمْ يَزِد الْحَازِمِيُّ وَلَا يَاقُوت عَلَى مَاهُنَا، وَلَعَلَّ دَلِيلَهُمْ عَلَى ذَالِك قَوْل رُؤْبَة:

يُعْطِينَ مِنْ فَضْلِ الإِلَهِ الأَسْبَغِ سَيْلًا وَدُفَّاعًا كَسَيْلِ الأَصْبَغِ

وَبَعْضُ عُلَمَاء اللُّغَة قَالَ: أَصْبَغُ وَادٍ بِالْبَحْرَيْن، وَلَعَلَّ هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى كَوْنِ رُؤْبَةَ مِنْ بَنِي سَعْد مِنْ تَمِيمٍ، وَبِلادُهُمْ الْبَحْرَيْن عَلَى أَنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ ذَكَرُوا أَنَّ الأَصْبَغَ هُوَ أَعْظَمُ السُّيُول، فَلِمَاذَا لَا يَكُوْن رُؤْبَةُ قَصَد هَذَا الْمَعْنَى؟!

وَمَهْمَا يَكُن فَلَم أَسْمَع بِذِكْر وَادٍ فِي الْبَحْرَيْنِ بِهَذَا الاسْم.

(٣) نَقَلَه الْحَازِمِيُّ، وَنَقَل يَاقُوتُ كَلَام نَصْرٍ عَنْه، وَرَامَتَان وَإِمَّرَةُ: مَوْضِعَان لَا يَزالَانِ مَعْرُوْفَيْنِ فِي الشَّمَال الْغَرْبِي مِن بِلَاد الْقَصِيم.

(٤) عِنْد الْحَازِمِي.

(٥) تَعْرِيف الْحَازِمِي: ذُو إِضَم: مِيَاهٌ تَطَؤُهَا الطَّرِيقُ بَيْن مَكَّةَ وَالْيَمَامَةِ عِنْدِ السُّمَيْنَةِ، وَقِيل: ذُو إِضَمٍ جَوْفٌ هُنَاكَ بِهِ مَاءٌ وَأَمَاكِنُ يُقَال لَهَا الْحَنَاظِلُ وَلَهُ ذِكْرٌ فِي سَرَايَا رَسُولِ الله ﷺ. وَأَوْرَد يَاقُوت كَلَام الْحَازِمِيِّ غَيْـرَ مَنْسُوب، مُضِيفًا: قَوْل السَّيِّد عُلَيّ. إِضَمٌ: وَادٍ بِجِبَال تِهَامَةَ، وَهُـو الْوَادِي الَّذِي فِيْه الْمَدِيْنَةُ، وَيُسَمَّى مِن عِنْدِ الْمَدِيْنَةِ الْقَنَاة، وَمِنْ أَعْلَى مِنْهَا عِنْد السَّدِّ يُسَمَّى الشُّظَاةَ، وَمِنْ عِنْدِ الشُّظَاةِ إِلَى أَسْفَل يُسَمَّى إِضَمًا إِلَى الْبَحْرِ، ثُمَّ أَوْرَد شِعْرًا لِسَلَامَة بْن جَنْدَلٍ، وَقَوْلَ ابْـن السِّكِّيت: إِضَمٌ: وَادٍ يَشُقُّ الْحِجَـازَ حَتَّى يُفْرِغ فِي الْبَحْـرِ، وَأَعْلَى إِضَـمٍ الْقَنَـاةُ الَّتِي تَمُـر دُوَيْن الْمَدِيْنَةِ، وَقِيل: إِضَمُ وادٍ لأَشْجَع وَجُهَيْنَة.

وَأَضِيف: هَذَا الْـوَادِي لَا يَزَال مَعْرُوفًا، وَهُـو مُجْتَمَعُ أَوْدِيَةِ الْمَدِيْنَة، وَأَسْفَلُـهُ فِي بِلَاد جُهَيْنَة وَمَا قَبْلَ الْمَـدِيْنَةِ فَفِي بِلَاد أَشْجَع.

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ والصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيْدِ الْمِيمِ-: أَصَمُّ الْجَلْحَاءِ، وَأَصَمُّ السَّمُرَةِ فِي بِلَادِ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَة، ثُمَّ لِبَنِي كِلَابٍ خَاصَّةً، يُقَالُ لَهُمَا الأَصَمَّانِ[1].

٥٠- بَابُ أَعْنَازٍ، وَأَعْيَارٍ[2]

أَمَّا بِنُوْنٍ بَعْدَ الْعَيْنِ وَآخِرُهُ زَايٌ مُعْجَمَةٌ-: بَلَدٌ بَيْنَ حِمْصَ والسَّاحِلِ[3].

وَأَمَّا - بَعْدَ الْعَيْنِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَآخِرُهُ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ-: جَبَلٌ فِي دِيَارِ غَطَفَانَ وَأَحْسِبُهُ بَيْنَ الْمَدِيْنَةِ وفَيْدٍ، وَأَيْضًا هَضَبَاتٌ فِي دِيَارِ بَنِي ضَبَّةَ[4].

- وَقَال عَنْه الهَجَرِيُّ: إِضَمُ مُجْتَمَعَ الأَسْيَالِ، وإِنَّمَا سُمِّيَ إِضَم لإِنْضِمَام السُّيُول بِهِ واجْتِمَاعِهَا فِيْه، وَمِنْه تَنْحَدِر سُيُولُها إِلَى ذِي خُشُبٍ. انْتَهَى، وَوَادِي خُشُب هُوَ وَادِي الْحَمْض الَّذِي يَفِيض فِي الْبَحْر بَيْنَ الْحَوْرَاء (أُمّ لُجّ) والْوَجْه.

أَمَّا الْجَبَلُ الَّذِي ذَكَر نَصْرٌ فَمَا أَكْثَر الجِبَالَ الْوَاقِعَةَ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَضَرِيَّةَ، والْمَوْضع الَّذِي ذَكَر الحَازِمِيُّ فِي شَرْق بِلَاد الْقَصِيْم، وَلَيْس هُوَ لَهُ ذِكْر فِي سَرَايَا رَسُولِ الله ﷺ، بَلِ الَّذِي لَهُ ذِكْر فِي السَّرَايَا هُوَ إِضَم الْمَدِيْنَةِ.

أَمَّا الْمَوْضِع الَّذِي فِيْه أَمَاكِن يُقَال لَهَا الْحَنَاظِل، فَهُو جَوْفٌ مِنَ الأَرْض فِيْه مَاءٌ وَأَمَاكِن عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ النَّبَاج (الأَسْيَاح) فِي شَمَالِيِّه عَلَى طَرِيْق مَكَّة الْقَدِيمْ وَمنه شَرقًا إِلَى السُّمَيْنَة، عَلَى مَاذَكَر صَاحِب كِتَاب «بِلَاد الْعَرَب» لاكَمَا ذَكَر الْحَازِمِيُّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَامَةِ.

قَال فِي «بِلَاد الْعَرَب» - ص ٢٦٦/ ٣٥٥-: وَلِبَنِي الْهُجَيْم عَلَى طَرِيْق مَكَّة السُّمَيْنَةُ مَاءَةٌ، وَجَوْفٌ يُقَال لَهُ ذِي إِضَمَ وَأَمَاكِن يُقَال لَهَا الْحَنَاظِلَ، إِلَى آخِر مَا ذَكَر، والحَنَاظِل تُعْرف الأَن بِاسْم حُنَيْظِل: قَرْيَةٌ، وَهِي تَقَعُ غَرْب السُّمَيْنَةِ الْوَاقِعةِ كما يُفْهَم مِنْ كَلَام الْمُتَقَدِّمِيْن دَاخِلَ الدَّهْنَاء، وَإِضَمُ هَذَا يَقَع شَرْقَ الْقَصِيم بمنطقة الأَسْيَاح.

(١) هُوَ تَعْرِيْفُ الْحَازِمِيِّ، وَأَوْرَدَهُ يَاقُوتُ بِنَصِّهِ عَنْ نَصْرٍ وَلَمْ يَزِد، وَقَدْ وَرَد ذِكْرُ الْجَلْحَاوِين فِي كِتَاب «بِلَاد الْعَرَب» فِي تَحْدِيد بِلَاد بَنِي الأَضْبَط من كِلَاب، بَعْد أَنْ ذَكَر الجُثُوم والشُّمُوسَيْن، عَدَّ مِنَ الْجِبَال طُحَال وَعُوَيْمِر والشُّرْفَاء والْجَلْحَاوَيْنِ، وَذَاتَ فَرْقَيْن والرُّبُوض، وَكُلُّهَا عَلَى مَا يُفْهَم مِنْ كَلَامِهِ فِي جهة وادِي الْجَرِيْبِ غَرْبِيَّ حِمَى ضَرِيَّة.

(٢) عِنْد الْحَازِمِيِّ.

(٣) هُوَ تَعْرِيْف الْحَازِمِيِّ، وَلَم يَزِد يَاقُوتُ عَلَى مَا ذَكَرَ نَصْرٌ.

(٤) أَوْرَدَ الْحَازِمِيُّ مِن شِعْر مُلَيْح الْهُذَلِيِّ:

لَهَـا بَيْـنَ أَعْيَـارٍ إِلَى الْبِـرْكِ مَـرْبَعٌ ... وَدَارٌ وَمِنْهَـا بِـالْقَفَـا مُتَصَيَّـفُ

قَال السُّكَّرِيُّ: أَعْيَارٌ بَلَدٌ والْبِرْكُ بَلَدٌ. وَالْقَفَا: مَوْضِعٌ.

- أمّا ياقوتُ: فَقَد أوْرَدَ كُلَّ كَلام نَصْرٍ، حَتَّى ظَنَّهُ، وَلَمْ يَنْسِبه إلَيْه، وَأَضاف عَنِ الَّذِي فِي بَلَادِ غَطَفَان: وَفِيْهِ قَال جَرِيْرُ:

رَعَتْ مَنْبِتَ الضَّمْـــــرَانِ مِنْ سُبُلِ المِعَــــا ... إِلَى صُلْبِ أَعْيَـــارٍ تَـــرِنُّ مَسَـــاحِلُـــهُ

ثُمَّ أَوْرَدَ قَوْل مُلَيْحِ الهُذَلِيِّ وَقَوْل السُّكَّرِيِّ فِيْهِ. وَيُفْهَم مِمَّا تَقَدَّم أَنْ أَعْيَارًا اسْمٌ لِمَواضِعَ.

أَحَدُهَما: الْوَارِد فِي شِعْرِ الْهُذَلِيِّ، وَيُفْهَم مِن كَوْنِهِ قَرَنه بِالْبِرْكِ أَنَّه فِي تِهَامَةَ.

الثَّانِي: الْجَبَل الَّذِي فِي دِيَار غَطَفَان، وهُو قِنَّ مِنْ حَرَّة لَيْلَى كَمَا فِي «مُعْجَمَ مَا اسْتَعْجَم» رَسْم (أَعْيَار) وَذِبَالَة.

الثَّالِث: هَضَباتٌ فِي دِيَارِ بَنِي ضَبَّةَ، قُرْبَ الدَّهْنَاءِ وَهِي الْمَذْكُورَةُ فِي شِعْر جَرِيْرٍ، لَا كَمَا أَوْرَدَهُ يَاقُوت شَاهِدًا عَلَى الجَبَلِ الَّذِي فِي دِيَارِ غَطَفَان، فَقَدْ أَوْرَدَ الْبَكْرِيُّ عَنْ عُمَارَةَ بِنِ عَقِيْل: أَعْيَارُ قَارَاتٌ مُتَقَابِلَاتٌ فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةَ قَال ذَالِكَ فِي شَرْحِ قَوْلِ جَدِّهِ جَرِيْرٍ:

هَـلْ بِــــالنُّقَيْعَـــةِ ذَاتِ السِّــــدرِ مِـنْ أَحَــدِ ... أَوْ مَنْبِتِ الشِّيْحِ مِـنْ رَوْضَـــــاتِ أَعْيَـــــارِ

وَقَال: النُّقَيْعَةُ خَبْرَاوَاتٌ بِلَبَبِ الدَّهْنَاءِ الأَعْلَى يُنْتَقَعُ بِهَا الْمَاءُ. انْتَهَى عَلَى أَنَّ كَوْن جَرِيْرٍ أَضَاف إلَيْه صُلْبًا، وَعَطْفَه عَلَى المِعَا يُفْهَم مِنه أَنَّه فِي شَرْق الدَّهْنَاءِ، حَيْثُ المِعَا والصُّلْبُ، وَقَد وَقَعَ فِيْه يَوْمٌ بَيْنَ بَنِي ضَبَّةَ وَعَبْسٍ، يُعْرَفُ بِيَوم أَعْيَارٍ وَبِيَوْم النُّقَيْعَةِ، كَمَا فِي «النَّقَائِض» - ١٥٩/ ١٩٣ -: وانظُر شَرْح بَيْت جَرِيْر «النَّقَائِض» - ٦٣٥ - واسْمُ أَعْيَارٍ يُطْلَقُ عَلَى مَوَاضِع ذُكِرَتْ بَعْضُهَا فِي (قسم شَمَال المَمْلَكَة) مِنَ «الْمُعْجَم الجُغْرَافِي» - ١٠١/ ١٠٢ - أَمَّا الْقَفَا الوارد فِي شعر مَلِيْح جَبَل يقع شَرق الطَّائِف فِي جِهَة عُرَنٍ، غَرْب جَنُوب جَبَل حَضَنٍ، ذَكَره عَرَّام فِي رِسَالته، وَعَنْه نَقَل الْبَكْرِيُّ فِي «مُعْجَم ما استَعْجَم» وما أرى الهُذَلِيُّ قَصَدهُ لِبُعْده عن تهامة والْبِرْكُ وَادٍ مِن أعظَم أَوْدِيَة تِهَامَة فِيْه بَلْدَة بِهَذا الاسْم، لَا يَزَالُ مَعْرُوْفًا.

أمّا أَعْيَار الذي فِي بِلَاد غَطَفَان، فَأَراه هُوَ الَّذِي قَال الْبَكْرِيُّ عَنْهُ: مَوضِعٌ مِنْ حَرَّة لَيْلَى قَال بَدْرُ بْنُ حَزَّاز مِنْ بَنِي سَيَّارٍ يَرُدُّ عَلَى النابِغَةِ:

مَـــا اضْطَــــرَّكَ الْحِــــرْزُ مِنْ لَيْلَـى إِلَى بَـــرَدٍ ... تَخْتَـــــارُهُ مَعْقِــــلًا عَـنْ جُشِّ أَعْيَـــــارِ

وَقَال الْبَكْرِيُّ فِي الْكَلَام عَلَى ذِبَالَة: قُنَّةٌ مِنَ الْحَرَّة لِبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ ذُبْيَانَ وَلِأَشْجَع بَيْن نَخْلٍ وَخَيْبَر تُنَاغِي حُلَيْفًا وَأَعْيَارًا، وَهِي بَيْنَهُمَا، وَحُلَيْفُ: جَبَلٌ لِبَنِي ثَعْلَبَةَ وَأَشْجَعَ أَيْضًا، وَأَعْيَارُ قُنَنٌ لَهم.

وَخُلَاصَة مَا قُلْتُ فِي أَعْيَارِ غَطَفَانَ قَوْمِ النَّابِغَةِ: وجُود مَوَاضِع تُعْرَف لأَن باسْم أَعْيَار، غَيْر أَنَّ الْعَامَّةَ يَحذِفُوْنَ الْهَمْزَةَ تَسْهِيْلًا كَعَادَتِهِمْ فِي مِثْلِ هَذَا الاسْم:

١ - أَعْيَار (عِيَار) جِبَالٌ تَقَعُ عَلَى ضَفَّةِ وَادِي الشُّعْبَة مِنَ الْجَنُوبِ، وَبِقُرْبِهَا مَاءٌ يُدْعَى (عِيَار) أَيضًا، وَهَذا الْمَاءُ فِي قَاع أَبْيَض شَمَال تِلْكَ الْجِبَال، وَكُل هَذه تَقَع فِي الْجَنُوب الْغَرْبِي مِنْ قَرْيَة سَقْف، عَلَى مَسَافَة تَقْرُبُ مِن ٣٠ كِيْلًا، وَهَذِه فِي بِلَادِ غَطَفَانَ.

٢ - أَعْيَارَ (عِيَار) جَبَل أَسْوَد يَقَع فِي الْجَنُوب الشَّرْقِيِّ مِن جَبَل بُرَاخَة بِمَسَافَة تَقْرُب مِن كِيْلَيْن، أَقْرَب مَنْهل إلَيْه آبَار بُرَاخَة، وَهَذَا فِي بِلَاد طَيِّءٍ بَيْنَ جَبَلَيْهَا أَجإٍ وَسَلْمَى.

٣ - أَعْيَار (عِيَار) جَالٌ مُرْتَفِعٌ مُسْتَطِيلٌ مُطِلٌّ عَلَى قَرْيَة بِقْعَاء مِن الْجِهَة الشَّمَالِيَّة الشَّرْقِيَّة يُشَاهَدُ مِنْهَا رَأْيَ الْعَيْن، وَهَذا أَيْضًا فِي بِلَادِ طَيِّءٍ.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

حول كتاب:

«قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام»

[العرب، س ٣٢ ص ٢٧٠]

- ٢ -

كتاب الأستاذ عمر بن غرامة من عنوانه «حول أعلام إقليم عسير» فعلى ذالك يرى الاقتصار على أعلام عسير وما جاورها كنجران وجيزان، وهذا ما فعل في الغالب، إلَّا أنه شذ في بعض الأحيان، وذكر أعلامًا خارجة من محيط عسير، فمن ذالك:

١ - في (١/ ٢٩٨): حمزة الأسلمي وهو الصحابي الجليل: حمزة بن عمرو الأسلمي من أسلم بن أفصي بن حارثة بن عمرو بن عامر العسيري ثم الأزدي.

أقول: أولًا: نسبة العسيري لهذا الصحابي لم ترد في جميع المراجع، وكذا المرجع الذي أعتمده وهو كتاب «الاستيعاب».

ثانيًا: أسلم إخوة خزاعة وديارهم الحجاز ما بين مكة إلى المدينة. قال ابن دريد[١]: وممن انخزع مع خزاعة أسلم بن أفصي، وفي ذالك يقول حسان وقيل عون[٢]:

فلما قطعنا بطن مرّ تخزَّعت ... خزاعة منا في جموع كراكر

وبطن مرّ في مكة وهو مرّ الظهران[٢].

وفي «السبائك»[٣] نقلًا من «العبر»: فكانت مواطنهم - خزاعة وأسلم - مكة ومرّ الظهران وما بينهما وكانوا حلفاء قريش. وفي «معجم البلدان»[٤]: وبمر الظهران - عيون كثيرة ونخل وهو لأسلم وهذيل. وفي موضع آخر[٥]: وبرة: قرية ذات نخيل من أعراض المدينة وهي من بلاد أسلم. وعلى ذالك ينتفي كونه من أعلام عسير.

٢ - في (١/ ٣٢٤): شمعون أبو ريحانة الأزدي وعدّه من أعلام عسير.

قال المحققون: (أبو ريحانة مشهور بكنيته، الأزدي ويقال الأنصاري، ويقال

القرشي، قال ابن عساكر الأول أصح). وعلق ابن حجر على ذالك قال: (الأنصار كلهم من الأزد ويجوز أن يكون حالف بعض قريش فتجتمع الأقوال)[٦].

وأوضح ابن عبد البر هذا الإشكال قال: (هو شمعون بن يزيد بن خنافة القرظي من بني قريظة أبو ريحانة الأنصاري خزرجي حليف لهم...)[٧] وبهذا ينتفي كونه من أزد عسير وأعلامها.

٣- في (١/ ٣٦٧): قطن الرفيدي، وعده من أعلام عسير.

أقول: التبس على الأستاذ كلمة رفيدة فظن أنه من رفيدة قحطان أو عسير، فعدّه من أعلام عسير. والصحيح: أنه من كلب، ورفيدة اسم جد لا قبيلة.

قال ابن الأثير: (قطن بن حارثة الكلبي، العليمي من بني عليم بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، قدم على النبي (ﷺ) وسأله الدعاء له ولقومه في غيث السماء..)[٨]. ثم ديار كلب شمال الجزيرة، وقاعدتهم دومة الجندل، وما جاورها[٩]، وفي ذالك يقول بعض آل أسعد تبع[١٠]:

وقد نزلت منا قضاعة منزلًا بعيدًا فأمست في بلاد الصنوبر
وكلب لها ما بين رملة عالج إلى الحرة الرجلاء من أرض تدمر

ورملة عالج والحرة مواضع شمال الجزيرة[١١]. ومما سبق يتضح أنه ليس من أعلام عسير.

٤- في (١/ ٣٩٣): أبو قحافة المري: قال هو الصحابي الجليل: أبو قحافة بن عفيف المري، وزاد من عنده اليامي، إذ لم يذكر ذالك ابن حجر في «الإصابة» وهو معتمده[١٢].

والراجح أنه من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان من غطفان[١٣] وهي قبيلة شهيرة في الجاهلية والإسلام، منهم هرم بن سنان ممدوح زهير والقائل فيه[١٤]:

من يلق يـومًـا على عـلاتــه هَـرِمًـا يلق السمــاحـة منــه والنـدى خُلُقَــا

ومنهم الحارث بن ظالـم الفـاتك، والنابغة الذبياني الشاعـر صاحب المعلقة التي مطلعها:[١٤]

يـا دار ميـــة بـالعليـاء فـــالسنـد أقـوتْ وطـال عليهــا سـالف الأبـد

أما قبيلـة آل مرة والتي تقطن المنطقة الشـرقية فهي لم تُعرف إلَّا متأخـرًا وليس لها مشاهير في الجاهلية ولا صدر الإسلام بأسمها، بل ضمن يام وهمدان.

٥- في (٢/ ٣٩): طلق بن حبيب العنـزي مـن عنـز بن وائل، ومـرجعـه في ذالك كتاب «صفة الصفوة» لابن الجوزي[١٦].

أقول: أولًا: لم يذكر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» انتسابه إلى عنز بن وائل.

ثانيًا: هناك فرق بين (العَنَزِي) بفتـح العين المهملة والنون وكسر الزاي، (والعَنْزِي) بفتح العين المهملة وسكون النون، وكسر الـزاي المعجمة، فالأُولى نسبة إلى عنزة بن أسد بن ربيعـة، ومنهم طلق بن حبيب كما حكـاه السمعاني[١٧]، والأُخرى نسبـة إلى عنز بن وائل إخوة بكر بن وائل.

ثالثًا: ديار عنزة بن أسد خيبر وما جاورها[١٨]، وبهذا ينتفي كونه من أعلام عسير.

٦- في (٢/ ١١٠): عدّ مسلم بن إبراهيم الفراهيدي من أعلام عسير.

أقول: الفـراهيد من قبـائل عُمَان لا عسيـر، ففي «الاشتقاق»:[١٩](من قبائل دوس العظـام: مــالك بن فهم وهم بعمــان) والفـراهيـد من أبنــاء مـالك بن فهـم، قـال الحازمي[٢٠]: (الفراهيـدي) منسوب إلى فراهيـد بن شبابة بن مـالك بن فهـم بن غنم بن دوس، وفي «اسعاف الأعيان»[٢١]: منازلهم بالباطنة.

ومن هذه القبيلـة الخليل بن أحمد الفـراهيدي[٢٠]، صاحب كتـاب «العين» وهو أول معجم للغة العربية كذا مختـرع علم الفروض. وبهذا ينتفي كون مسلم بن إبراهيم

من أعلام عسير. وكذا يخرج أبو نهيك الفراهيدي (٢/ ٣١٨).

٧- في (٢/ ١٥٣): عدّ جابر بن زيد اليحمدي من أعلام عسير.

أقول: يحمد من قبائل عُمَان، وهم يحمد بن حمي بن جشم بن نصر بن زهران[٢٢]، ذكرهم الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[٢٣] قال: (فأما سكان عُمَان من الأزد فيحمد...) وفي «المعجم»[٢٤]: (يحمد بطن من الأزد من القحطانية كان يسكن عُمَان) كذالك ذكرهم السيابي[٢٥] قال: (ومن الأزد بِعُمَان اليحمد بن حمي) وعلى هذا يخرج من أعلام عسير، وكذا الأمر بالنسبة لحبيب بن عبدالله اليحمدي (٢/ ١٥٥) وعتبة بن عبدالله اليحمدي (٢/ ٢٤٥) ومالك بن خليل (٢/ ٢٧١).

٨- في (٢/ ٢٠٥): عد شعيب بن الحبحاب المعولي من أعلام عسير.

أقول: المعاول عدادهم في عُمَان، (وهم بنو مُعْوِلة بن شُمس بن عمرو بن غنم بن غلب بن عثمان بن نصر بن زهران)[٢٦] منهم ملوك عُمَان آل الجلندي، وديارهم بعمان وادي المعاول[٢٧]، وعلى ذالك يخرج من أعلام عسير وكذا الأمر بالنسبة لمهدي بن ميمون (٢/ ٢٨٨).

٩- في (٢/ ٢٤٣): عدّ عبيدالله بن هريس بن عبدالرحمن بن رافع بن خديج الحارثي من أعلام عسير، ظنا منه أنه من بني الحارث بن كعب من أهل نجران.

والصحيح: أنه أنصاري أوسي وجده الصحابي رافع بن خديج يُعدُّ من صغار الصحابة رضي الله عنه، قال ابن حزم[٢٨]: (فمن بني جشم بن حارثة بن الحارث: رافع بن خديج) فعلى ذالك هو من بني الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: ولعل هذا الذي جر العمري للقول بأنه ابن الحارث بن كعب المذحجية سكنة نجران.

١٠- في (٢/ ٢٨٦): عدّ المفضل بن المهلب العتكي من أعلام عسير.

والصحيح أنه من أعلام عُمَان وأبوه الفارس المشهور، قاتل الخوارج المهلب بن

أبي صفرة العتكي، وأصلهم من أزد العتيك (أزْدْ دَبّا) اليمانية التي هاجرت من موطنها الأصلي في اليمن واستقرت فيما بين عُمّان والبحرين[٢٩].

(للحديث بقية)

تبوك: مسفر بن محمد الدوسري

الحواشي:

(١) «الاشتقاق» لابن دريد ص ٤٤٧.

(٢) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ١٠٥)، «ديوان حسان» ص ١١٩.

(٣) «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» ص ٢٩٧.

(٤) «معجم البلدان» ص ٥/ ١٠٤.

(٥) «معجم البلدان» (٥/ ٣٥٩).

(٦) «الإصابة» لابن حجر (٢/ ١٥٦).

(٧) «الاستيعاب» لابن عبدالبر (٢/ ١٢٦). «المحبر» لابن حبيب ص ٩٣.

(٨) «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ٢٠٧).

(٩) «معجم البلدان» (٢/ ٤٨٨).

(١٠) «صفة جزيرة العرب» للهمداني ص ٣٦٩.

(١١) «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» (شمال المملكة) لحمد الجاسر ص ٨٧٢.

(١٢) «الإصابة» (٤/ ١٥٩).

(١٣) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٢٥٢.

(١٤) «الأغاني» للأصفهاني (٥/ ٣٣٣).

(١٥) «المعلقات العشر» للشنقيطي، ص ١٦٠، «الأغاني» (٥/ ٣٥٢).

(١٦) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٤٥).

(١٧) «الأنساب» للسمعاني (٩/ ٧٨).

(١٨) «معجم قبائل العرب» لكحالة (٢/ ٨٤٦) نقلًا من «صبح الأعشى» للقلقشندي.

(١٩) لابن دريد ص ٤٩٧، «تاريخ الموصل» لابن إياس ص ٦٩.

(٢٠) «عجالة المبتدى» ص ١٠٠.

(٢١) للسيابي ص ٩٢.

(٢٢) «عجالة المبتدى» ص ١٢٦.

(٢٣) «صفة جزيرة العرب» ص ٣٧٤.

(٣٤) «معجم قبائل العرب» (٣/ ١٢٦١).

(٣٥) «اسعاف الأعيان» ص ١١١.

(٣٦) «عجالة المبتدى» ص ١١٦.

(٣٧) «اسعاف الأعيان» (١٠٦) و«الأنساب» للصحاري (٢/ ٢٤٦).

(٣٨) «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٤٠.

(٣٩) «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٤٢)، «المعارف» لابن قتيبة ص ٣٩٩، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٣/ ٢٠٧).

السُّكَّرِيُّ من النخل: هو العُمْرُ قديماً

[في مجلس ضَمَّ صفوة من الإخوة جرى الحديث عن السكريِّ نوع من النخل الذي شهرت به مدينة عُنَيْزَة قبل غيرها مما دفع أحدهم إلى القول بأنه لم يُعْرَفْ في غيرها قَبْلَهَا. وتَشَعَّب القولُ، فرغب أحدهم معرفة رأي مجلة «العرب» في هذا، فكان هذا البحث]:

ورد في كتاب «تهذيب اللغة» للأزهريّ - ج ٢ ص ٣٨٤ - ما نَصُّهُ: (اللَّيْثُ: العَمْرُ: ضَرْبٌ من النَّخِيْل، وهو السَّحُوقُ الطَّوِيْلُ من النَّخْلِ، قلت: غَلِطَ اللَّيْثُ في تَفْسِيْرِ العَمْرِ، والعَمْرُ نَخْلُ السُّكَّرِ، يقال له العَمْرُ، وهو معروفٌ عِنْدَ أَهْلِ (البَحْرَيْن) وأنشدَ الرِّيَاشِيُّ في صفة حائط نَخْل:

أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ تَدَجَّى أَخْضَرُهُ ... مُخَالِطٌ تَعْضُوضُه وعُمُرُهْ

بَرْنِيُّ عَيْدَانٍ قَلِيْلٌ قَشَرُهْ

والتَّعْضُوْضُ: ضَرْبٌ من التَّمْرِ سَرِيٌّ، وهو من خَيْرِ تُمْرَان (هَجَر) أَسْوَدُ عَذْبُ الحَلَاوة، والعُمْرُ: نَخْلُ السُّكَّرِ، سحوقًا كان أو غيرَ سَحوق، وكان الخليل بن أحمد من أَعْلَم النَّاس بالنَّخِيْل وأَلْوَانه، ولو كان الكتاب[١] من تأليفه ما فَسَّرَ العَمْرَ هذا التفسير، وقد أَكَلْتُ أَنَا رُطَبَ العَمْرِ ورطَبَ التَّعْضُوص، وخَرَفْتُهُمَا من صِغَار النَّخْلِ وَعَيْدَانِها وجَبَّارِها، ولولا المشاهدة لكنت أحد المُغْتَرِّين بِاللَّيْث وخَلِيْلِه، وهو لِسَانه) انتهى.

وقال ياقوت في «مُعْجَم البلدان»: (ذكر أبو حَنِيْفَة الدِّيْنَوَرِي في كتاب «النَّبَات» أن العُمْر الذي للنَّصَارَى إِنَّمَا سُمِّيَ بذالك لأن العُمْرَ في لُغَة العَرَبِ نَوْعٌ من النَّخْل، وهو المعروف بالسُّكَّرِيِّ خاصَّةً، وكان النَّصَارَى بِالْعِرَاق يَبْنُوْنَ دِيْرتَهم عندَهُ فسمى الدَّيْرِيةِ، وهذا قول لا أَرتضيه لأَنَّ العُمْر[٢] قد يكون في مواضِعَ لَا نَخْلَ فيه البَتَّة) انتهى.

وجاء في «القاموس وشرحه»: (السُّكَّرُ - رُطَبٌ طيِّبٌ - نوعٌ منه شَدِيْدُ الحَلَاوَة، ذكره أبو حاتم في كتاب «النخلة» والأَزْهَرِيُّ في «التَّهْذِيْب»، وَزَاد الأَخِيْر: وهو مَعْرُوْفٌ عِنْد أَهْل (البَحْرِيْن) قال شيخنا[٣]: وفي (سِجلْمَاسَة) و (دَرْعَة)، قال: وأَخبرنا الثِّقَاتُ أَنَّهُ كَثِيْرٌ بِمَدِيْنَة الرَّسُوْل ﷺ، إِلَّا أنه رُطَبٌ لا يُتْمِرُ إِلَّا بالعلاج) انتهى.

ومما تقدم يتضح أن نَخل السُّكَّرِيّ - هو ما عرف قديمًا باسم العُمُر - بضم العين وقد تضم الميم وتسكن، وكان معروفًا في (البَحْرَيْن).

و (سجلماسة) و (دَرَعة) في المَغْرب، وأنه على ما أخبر الثُّقَات كَثِيْرٌ في (المَدِيْنَة).

ولعله انقطع فترة من البحرين، ومن المدينة، وقد أُعِيْدَ غَرْسُه في (عُنَيْزَة) في أول الأمْر، حيث اشتهر بالنسبة إليها، وكَثِيْرٌ من أنواع النخل القديمة قد أصبح مجهولًا، وقد قال الهَمَذَانِي في كتابه «البلدان» - ص ٨٧[٤] - في وصف تمر اليَمَامَة بعد أن ذكر افتخار أهلها على غيرهم بأن حَلَاوة تَمْرِها أشدُّ حَلَاوة من غَيْره، قال: (وأما تَمْرهَا فَلَو لم يُعْرَف فضله إلّا أن التمرَ يُنَادىَ عَلَيْه بين المَسْجِدَيْن: يَمَامِي اليَمَامَة! يَمَامِي اليمَامَة! فَيُبَاع كل تَمْر ليس من جنسه بسعر اليَمَامِي، وبها أصناف التُّمُوْر، وبها نَخْلَة تُسَمَّى العُمْرة، ويقال إنها نخلة مَرْيَم، وجمعها العُمْرُ، والجُدَامِيَّة تمر ينفع من البَوَاسِيْرِ والصفرقان، تمرة سوداء طيّبَة والحَضَرِيُّ[٥] والهُجْنَةُ، والبُرْدِيُّ، والصفراءُ، والقَعْقَاعيُّ، واللَّصَف، والصفر، والصفايا، والتَّغْضُوض، والعُمَانِيُّ، والجِعَاب، والمُرّيُّ، وخَرَائِفُ بني مسعود، والصَّرفَان، والزُّغرِيُّ، والصَّنْعَانة، وزُبُّ رُباح: يُقَال في المَثَل: أَلَذُّ مِنْ زُبَد بِزُبٍّ، وصَرَفَانٌ، وجلاجِل[٦]، والخيل، هذه كلها تُمُور اليَمَامَة أَلْوَانٌ مُلَوَّنَة) انتهى.

وأكثر أَنْوَاع هذا التَّمْر أَصْبَحَتْ مَجْهُوْلَة الآن.

الحواشي:

(١) يعني كتاب «العين» الذي رواه اللَّيْثُ. وقد فصَّل الكلامَ عنه الأزهري في مقدمة «تهذيب اللغة».

(٢) أي عمر النصارى الذي هو الدير، كما ذكر ياقوت في مادة (عمر).

(٣) هو شيخ مرتضى الزبيدي شارح «القاموس» وهو أبو عبدالله محمد بن الطيب الفاسي (١١١٠/ ١١٧٠هـ) حاشية علىٰ «القاموس» طبع منه جزءان.

(٤) تحقيق الأستاذ يوسف الهادي طبعة سنة ١٤١٦هـ في بيروت.

(٥) لعل الصواب (الخُضْرِي) ولايزال معروفًا.

(٦) لعل الصواب (صرفان جلاجل) وجلاجل من بلدان سُدَير المشهورة بجودة النخل.

(آل مصيبيح) من أسر الرياض المعروفة

آل مُصَيبيح أسرة من أسر الرياض العريقة، و (المُصَيْبِيح) لقب لفرع من فروع اسم العائلة الحقيقي (آل مرحوم)، أسرة منتشرة في بلدان نجد، وقد اشتهر فرع (آل مصيبيح) بالتعليم في الكتاتيب، وتعليم أصول الكتابة، والقراءة للطلاب، وكان من أشهر هاؤلاء المعلمين الشيخ محمد بن عبدالرحمن (آل مرحوم)، وابنه الشيخ صالح ابن محمد بن عبدالرحمن الملقب بـ (المطوع)، وشقيقه عبدالرحمن بن محمد، وكلهم يلقبون بـ (المصيبيح)، ولهم أبناء وأحفاد يعملون في شتى المجالات العسكرية، والأكاديمية والإعلامية، وكلهم عرفوا بهذا اللقب.

وأول من لقب بـ (المصُيَبْيح) هو الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل مرحوم، انتقل إليه اسم المكان الذي كان يدّرس فيه، ويعرف المكان بـ (المصيبيح) - تصغير (مصباح) ويقصد به المكان المسقف في البيت - وهو مكان في الجزء الجنوبي الشرقي من مسجد الشيخ عبدالله في حلة دُخْنَة في الرياض، حيث كان يطلق على ذالك المكان الواقع في ذالك الجزء: (المصيبيح)، وقد خصص لتدريس الأطفال القرآن الكريم، وأصول الدين، والكتابة أيام الإمام فيصل بن تركي، وكان أول من شغل ذالك المكان الشيخ: سليمان بن سحمان - عندما قدم من (عسير) للإقامة في الرياض، وكان حافظًا لكتاب الله تعالى، مجيدًا في التعليم، ثم خلفه في ذالك المكان المعدّ للتدريس الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن مرحوم الذي انتقل إليه اسم المكان فلقب به، وعرف بـ (محمد المصيبيح)، وقلما يحدث مثل هذا لأن المعروف أن ينتقل اسم صاحب المكان إلى المكان نفسه، لا أن ينتقل اسم المكان إلى صاحبه.

محمد المصيبيح: هو محمد بن عبدالرحمن آل مرحوم الملقب بـ (المصيبيح)، ولد في حدود عام ١٢٦٥هـ في مدينة الرياض، وتوفي عام ١٣٥١هـ تقريبًا في الرياض، وهو صاحب الكُتّاب المعروف بمدرسة (المصيبيح)، كان الشيخ محمد ابن عبدالرحمن آل مرحوم الملقب بـ (المُصَيْبِيح) أحد تلامذة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وقد أجازه الشيخ المقرئ ابن داود في علم القرآن، والتجويد،

وقد خلف الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح على المكان المخصص لتحفيظ القرآن وتعليمه، وتعليم أصول القراءة، والكتابة - المكان المعروف بـ (المصيبيح)، الواقع في الجنوب الشرقي من مسجد الشيخ عبدالله في دخنة، بمدينة الرياض، وقد انتقل اسم المكان إلى المعلم محمد بن مرحوم فلقب بـ(المصيبيح).

وقد اشتهرت مدرسة محمد بن مصيبيح بتعليم أبناء الأسر وعلية القوم، ويرجع ذالك إلى إجادة المعلم محمد بن مصيبيح في تعليم القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وتجويده.

واشتهر محمد بن عبدالرحمن آل مرحوم الملقب بالمصيبيح بإجادة حفظ القرآن الكريم، وتجويده، وتعليمه، كما اشتهر بالتقوى، والصلاح، والأخلاق الفاضلة، ورجاحة العقل.

ومن مشاهير التلاميذ الذين درسوا في هذه المدرسة: الملك عبدالعزيز، والأمير محمد بن عبدالرحمن ، والأمير سعد بن عبدالرحمن، والأمير عبدالله بن جلوي، والملك سعود، والملك فيصل، و الملك خالد، وقد أشار الزركلي، وفؤاد حمزة، والدكتور منير العجلاني، فيما كتبوه عن تاريخ المملكة إلى اسم هذا الكُتَّاب، واسم صاحبه.

عبدالرحمن المصيبيح: هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن آل مرحوم، المعروف بـ (المصيبيح).

ولد في مدينة الرياض عام ١٣٢٤ تقريبًا، ونشأ في كنف والده الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل مرحوم، الملقب بالمصيبيح، وتعلم القراءة والكتابة في كُتَّاب والده، ثم أصبح مساعِدًا له، ثم ألتحق بخدمة العلم في المجاهدين حتى استقر به المقام ليكون أحد أتباع الأمير عبدالعزيز بن مساعد، ومن أشهر رجاله، وقد عرف بالشجاعة، والإقدام، وحضر وقعات كثيرة مع الأمير عبدالعزيزبن مساعد بن جلوي، وكانت آخر تلك الوقعات وقعة (أم رضمة)، التي دارت فيها المعركة بين جند عبدالعزيز بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، وبين المنشقين من الإخوان عام ١٣٤٨هـ، وكان النصر فيها لجند الملك عبدالعزيز، وبعد هذه الوقعة ألقى

المجاهد عبدالرحمن المصيبيح عصا التسيار، وأصبح يعمل في معية المجاهد الكبير الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، حتى توفي. رحمهما الله. ولم يعقب عبدالرحمن المصيبيح هذا.

صالح المصيبيح: هو: الشيخ صالح بن محمد بن عبدالرحمن آل مرحوم، الملقب كأفراد أسرته بـ (المصيبيح)، ولد بمدينة الرياض، عام ١٣٢٨هـ، وتعلم في كتاب والده مبادئ القراءة والكتابة، وبعد أن شبَّ درس أصول الدين، واللغة العربية، ومبادئ الفقة، والعقائد، على الشيخ سعد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ محمد بن إبراهيم، وعدد من علماء زمانه المتوفرين آنذاك، ثم عمل مع والده في التدريس في كتابه المعروف بـ (مدرسة المصيبيح)، في (دُخْنَة) وكانت واحدة من أشهر الكتاتيب في الرياض، وهي واقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من مسجد الشيخ عبدالله المعروف في حي دخنة.

وقد أوضحنا معنى لقب المصيبيح في ترجمة والده، وكيف انتقل اسم المكان إلى صاحب المكان، بعكس ماكان يحدث دائمًا من انتقال اسم صاحب المكان إلى المكان.

وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من الجيل السابق المعاصر للملك عبدالعزيز، ولم تغلق هذه المدرسة أبوابها إلا بعد أن افتتحت المدارس النظامية في الرياض، قبيل عام ١٣٧٠هـ.

عرف الشيخ صالح بن مصيبيح بإجادة حفظ القرآن الكريم، وإجادة تلاوته، وتجويده، وكان حسن الصوت، جميل المظهر في شكله العام له علاقات طيبة مع علماء المدينة، وأمرائها، ووجهائها، لما يتصف به من ظُرفٍ وحسن محادثة، حتى وافته المنية عام ١٤١١هـ ودفن في مقبرة العود بالرياض، وقد خلف عددًا من الأبناء والبنات يعمل معظمهم في شتى المجالات الأمنية، والأكاديمية، والأعلامية، رحمه الله رحمة واسعة.

الرياض: سعود بن صالح المصيبيح

إضافات وملاحظات على كتاب:
«جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»

آل إبراهيم: في عين ابن فُهيد، من بني خالد.

الأحمد في الجنيفي ورغبة من العرينات من سبيع.

الأحمد في أُثَال في القصيم من الدهامشة من العمارات من عنزة.

آل إسماعيل في الغاط من الدعوم من بني خالد.

الأشقر في عيون الجِوّاء: من الدهامشة من العمارات من عنزة.

الأُمَيِّر (تصغير الأمير) في الزلفي، من الأساعدة من عتيبة.

ص ١٦: آل إبراهيم في الجنوبية في سدير من تميم. يضاف: من آل (أبو حسين) من بلعنبر بن عمرو بن تميم.

ص ١٦: آل إبراهيم في القوّارة من عنزة. يضاف: من المطاوعة من آل حقيل من البسسات من الحبلان من العمارات.

ص ٢٦: بنو الأمير في شقراء وفي جلاجل وفي سدير. تبدل كلمة (في سدير) بكلمة (وفي حرمة). ثم يضاف: ويعرف بعضهم بآل إبراهيم.

البداح في المجمعة: من الدواسر.

البّالود في عيون الجواء: من الدهامشة من العمارات من بشر من عنزة.

البُخيتان في (أبا الدود) في (الأسياح) من الدواسر.

البديوي في حَرْمة: من آل عفالق من قحطان.

البَرْغَش في تمير: من الوهبة من تميم.

البركة في البدائع: من الحُلَيْسي أهل بريدة من بني العنبر بن عمرو بن تميم.

أبو بكر في الشعراء :من بني زيد.

ص ٢٩: الباحوث.... من الدهامشة من العمارات من وائل.

الصواب من العمارات من بشر من عنزة.

ص ٣٧: آل بدر في المجمعة والتويم والزلفي والكويت. تحذف المجمعة فمن فيها من آل بدر استقلوا بأسماء أخرى.

ص ٣٨: البرادا في خب البرادا. يضاف: (وفي حرمة).

ص ٥٢: البلالي في روضة سدير ثم الزبير. معنى الكلام أنهم تركوا الرَّوْضة والصواب أن لهم بقية في التويم.

التميم في الدلم والخرج من بني تميم.

ص ٦١: آل تركي في القصيم. يضاف: في (عنيزة).

ص ٦٢: آل تركي في المجمعة من عنزة. يضاف: (من آل عبيد من آل أبي ربَّاع من الحسني من العمارات).

ص ٦٢: آل تركي في حرمة والمجمعة وسدير. تبدل (سدير) بـ (جلاجل).

الثاقب في جلاجل من آل واصل من البدارين من الدواسر.

الثنيان في الزلفي من الفراهيد من الأساعدة من عتيبة.

الجار الله في قُصَيْباء في القصيم من آل سليمان من ولد سليمان من بشر من عنزة.

الجربوع في الجِرَاء في القصيم من الدهامشة من العمارات من عنزة.

الجُرَيْس في الزلفي: من الأساعدة من عتيبة.

الجلوي في المجمعة: من آل هُوَيْدي من الصقور من الجبل من العمارات من عنزة.

الجُوَيْر في الزلفي: من الأساعدة من عتيبة وقد يعرف بعضهم بـ الجار الله والحمد.

ص ٨٨: آل جاسر في عُشَيرة من تميم. يضاف: (من المنيعات).

ص ٩٣: آل جُبَيِّر في المجمعة: من هذيل. يضاف: (من المطارفة).

ص ٩٣: آل جُبَيْل في مَلْهم. يضاف: وفي (جلاجل).

ص ٩٧: آل جراد في حائل. يضاف: (وفي الغاط).

ص ٩٨: آل جُريَّان في القصب. يضاف: (وفي العطار).

ص ١١٥: آل جوفان في ثرمـداء. ثم ذكروا في نفس الصفحة: في أُسيْل والصَّنْوح. والأسرتان أُسرةٌ واحدةٌ ويضاف إلى تلك القرى القصب.

الحَجّي في المجمعة: من باهلة وأقرب من لهم من البواهل الدَّخَّان في المجمعة.

الحِجّي في جلاجل: من المزاريع من بني عمرو بن تميم.

الحِجّي في بُريدة من آل مجحد من آل سيف بن عبدالله الشمري من آل وَيْبّار من عبدة من شمر ويعرف بعضهم بالمجحدي.

الحسن في المجمعة وحرمة: من آل عاصم من قحطان.

الحسين في حوطة سـدير: من آل أبو حسين من بلعنبر بن عمـرو بن تميم وكانت لهم إمرة الحوطة.

الحسين في المجمعة من آل رحمة من النواصر، من بني عمرو بن تميم.

الحُلَيْسي في بريدة: من بني العنبر بن عمرو بن تميم.

الحمَّاد في الروضة بسدير من العواشزة من البدارين من الدواسر.

الحماد في خب البُصْر من الأشراف.

الحمدان في المجمعة: من سبيع وقد يعرفون بالقُرَيشي.

الحمدان في الرياض: من النواصر من بني عمرو بن تميم.

الحمران في الزلفي: من الأساعدة من عتيبة.

ص ١٣١: الحسانا في شقراء والقصب من الوهبة. يضاف: وفي المجمعة وأُشَيّ.

ص ١٣٧: آل بو حسن من العنـاقر. يضاف: في المجمعـة قدم جدهم من بـريدة وهم من آل (أبو عليان).

ص ١٤٣: الحُسيني في القصب والرياض. سبق ذكرهم باسم الحسانا.

ص ١٤٣: آل أبـا حسين في شقراء وسـدير. تبـدل شقراء إلى أُشيقـر وسديـر إلى المجمعة.

ص ١٤٤ : الحسيني في أشيقر من النواصر. يحذف فقد سبق ذكرهم باسم الحسانا ص ١٤٢ ويضاف في شقراء والداخلة والمذنب من آل رحمة.

ص ١٥٠ : آل حُقَيْل.... من آل لقمان من الرولة. خطأ صوابه من آل لقمان من البسسات من الحبلان من الجبل من العمارات من بشر من عنزة.

ويضاف: منهم الشيخ: عبدالمحسن بن إبراهيم بن عبدالمحسن بن إبراهيم بن سليمان بن حمد بن سليمان بن عثمان بن إبراهيم بن عثمان بن حُقيل بن حسن الملقب بلقمان المتوفى عام ١٣٨٩هـ (؟).

كما يصوب جد الشيخ عثمان من محمد إلى حمد فيكون عثمان بن إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن سليمان بن حمد إلى آخر النسب السابق للشيخ عبدالمحسن.

ص ١٥٠ : آل حفير في المجمعة ... يضاف: من السيايرة.

ص ١٥٩ : الحمادا في المجمعة من شمر. يضاف: من آل سيف بن عبدالله الشمري من آل ويبار من عبدة من شمر.

ص ١٦١ : آل حمد في الزلفي والأرطاوية من بني خالد. يضاف: من الدعوم.

ص ١٦٤ : آل ابن حمد في التويم.. صواب الاسم آل ابن أحمد وقد سبق ذكرهم على الصواب ص ١٨.

ص ١٦٧ : البدور من بشر. والصواب ما نقلتموه في الهامش عن أحد قراء العرب وهو أنهم من الجلاس من مسلم.

ص ١٨٣ ، ١٨٤ : آل حَوِيْل وهم وأبناء عمهم الوُكَيِّل يعرفون بآل سليمان.

الصواب أن يقال: من آل سليمان لأن كل أسرة لها اسمها وكلا الأسرتين ترجع إلى آل سليمان الذين لازال بعضهم محتفظًا بالاسم الأول آل سليمان.

ص ١٨٤ : آل حيدر. يضاف: في البير ويعرفون بالحيدري.

الخطيب في الشماسية: من عنزة.

الخلف في العطار: من الأسلم من شمر وهم أبناء عم القدارا هناك.

الخليفة في الرس من آل سليمان من ذرية محمد بن علي بن حديجان من العجمان من يام.

ص ١٩٦: في آخر الحديث عن بني خالد وخطأ انتساب البعض منهم إلى خالد ابن الوليد ذكر مصدر فهو واحد هو «مسالك الأبصار». وهناك ماهو أقدم منه «نسب قريش» فكان الأولى إيراده فهو أبلغ في نفي ذالك. [ومثله كتاب «جمهرة نسب قريش» تحت الطبع].

ص ٢٠٥: الخضارا في حوطة سدير والجنوبية والقصيم.. يبدل القصيم بـ(البكيرية وبريدة) ويحذف آل خضيري المذكورين بعد الخضارا لأنهم أسرة واحدة.

ص ٢١٢: الخميس في العودة والغاط وسدير. يبدل سدير بـ (جلاجل).

الدَّبَر في الزلفي: من عنزة.

الدُّحَيْلي في القُوَارة والعيون من السلقا من العمارات من عنزة.

الدُّخَيِّل في جلاجل: من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

الدُّمَيْخي في السَّيح من الأشراف.

الدُّوخي في الزلفي: من شمر.

الدُّوَيْسي في حرمة: من بني دَوْس من زَهْران من الأزد.

الدُّوَيِّش في الغاط من الوهبة من بني تميم.

الدَّهام في الزلفي: من الأساعدة من عتيبة.

الدَّهْمش في المجمعة وحريملاء والخرج من المصارير من التغالبة من الدواسر.

(للبحث صلة)

المجمعة: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الحقيل

*** «جمل من أنساب الأشراف» تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ تقريباً)**

هذا الكتاب هـو الذي نُشِرَتْ منه أجـزاء كثيرة باسم «أنساب الأشـراف»، تحدثت عما قـرأته منهـا، كما أوْفَيْتُ الكـلام عن هذا الكتـاب، وعن أوثق نسخه المخطـوطة المعروفـة الآن. وأُجْمِلُ القولَ بأن أبرز اهتمـام بنشر هـذا الكتاب هو مـا اتجهت إليه (جمعية المستشرقين الألمانيـة) حيث عهدتْ بتحقيقه إلى متخصصين في التاريخ، وفي وسائل التحقيق والنشر، من أجلّة العلماء في عهـدنا، فصدرت منه أجزاء بتحقيق أؤلئك، كـالأستاذ الـدكتور عبـدالعزيـز الدُّوْري، والأستـاذ الدكتـور إحسان عبـاس، والأستاذ الدكتـور رمزي بعلبكي، وستصدر بقية أجزاء الكتاب بتحقيق أسـاتذة آخرين ممن اختارتهم تلك الجمعية.

ولاأريد بمـا تقدم الغض من جهود أسـاتذة فضلاء اتجهوا لتحقيق هـذا الكتاب، كالدكتـور محمد حميد الله الأبادي، والأستاذ محمود فـردوس العظم، والأستاذ محمد باقر المحمودي، وغيرهم من مستشرقين وعلماء آخرين.

وفي الآونة الأخيـرة صدر كتـاب «جمل من أنساب الأشـراف» كامـلًا في ثلاثـة عشر جـزءًا، بتحقيق الـدكتـورين سهيل زكـار، وريـاض زركلـي، عن (مكتب البحـوث والدراسات) في (دار الفكر) في بيروت، وصدر سنة ١٤١٧ (١٩٩٦م). وجاء في مقدمته أن المحققين اعتمدا على مخطـوطة (خزانـة الربـاط) التي كتبت في دمشق سنة ٦٥٩، وعن نسخ مخطوطة أخرى منسوخة عنهـا، ورجعا إلى الجزء الذي طبع في (توبنجن) في ألمانيا سنة ١٨٨٤م فيما يتصل بهذا الجزء، وعن الأجزاء المطبوعة الأخرى.

وطباعة الكتـاب حسنة، ولا شك أن لما سبق نشره من أجـزاء الكتاب من الأثر في ذالك، مـاهو واضح فـي كل صفحة من صفحـات مـا يقابلهـا في هـذه المطبوعـة، ومحتويات تلك الأجزاء هي:

الجزء الأول: في السيرة النبوية.

الجزء الثاني: في الشمائل النبوية وأخبار الإمام علي بن أبي طالب.

والجزء الثالث: في أخبار علي بن أبي طالب وابنائه عليهم السلام.

والجزء الرابع: في أمر العباس بن عبد المطلب وولده.

والخامس: في نسب بني عبد شمس بن عبد مناف.

والسادس والسابع: عن بني أمية بن عبد شمس.

والثامن: عن بني عبد شمس.

والتاسع: عن بني عبد شمس وبني عبد العُزَّى بن قصي.

والعاشر: عن بني زهرة بن كلاب وبني عَدِيٍّ[1] بن كعب.

والحادي عشر: عن بني عامر بن لؤي وبني مزينة.

والثاني عشر: عن بني مُرٍّ[2] بن أُدٍّ بن طابخة، وبني سعد بن زيد مناة بن تميم.

والثالث عشر: عن بني عمرو بن تميم وبني ثَقيف.

كذا نقلت موضوعات كل جزء مما ورد في طرته. والواقع أنه لم يراع في هذا الإيضاح كلَّ ما يحويه الجزء، ولعله اكتفي فيه بإيراد أول المذكورين في الجزء وآخرهم، دون ما يحويه من بقية الأنساب، ولهذا يحسن بالمهتمين بمعرفة محتويات الكتاب الرجوع إلى الجزء الذي نشرته (الإدارة الثقافية) في (جامعة الدول العربية) بتحقيق الدكتور محمد حميد الله، ففيه تفصيل وافٍ عن محتويات كتاب البلاذري، اعتمادًا على النسخة الموجودة في استنبول، وهي منقولة عن نسخة الأصل.

ويبدو أن المشرفين على تحقيق هذا الكتاب لم يبذلوا عناية تامة، وإنما اكتفوا بالاعتماد على ما بين أيديهم من مطبوعاته، أو قرأوه فيما لم ينشر منها قراءة سريعة وهذا القسم بدون شك بحاجة إلى مقابلته على الأصل، ففي هذه الأجزاء التي بين

يدي القارئ عبارات تدل على التسرع في الأمر وعدم تَوَخِّي الدقة.

ولا أطيل الحديث عن هذا بل اكتفي بالإشارة إلى أن أكثر ما يصدر عن دور النشر في بيروت في أيامنا هذه تكون الغاية المثلى - في الغالب منها - هي الناحية المادية، لا تقديم الكتاب بأوثق صورة وضعها مؤلفه.

وأكرر القول بأن الكتاب سيصدر في طبعة وافية عن (جمعية المستشرقين الألمانية) في (سلسلة النشرات الإسلامية) على نفقة (وزارة الثقافة والأبحاث العلمية) في (ألمانيا الاتحادية) بإشراف (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية) في بيروت.

وقد تحدثت في «العرب» عن آخر جزء اطلعت عليه منه من منشورات هذه الجمعية وهو الجزء الأول من القسم السابع تحقيق الدكتور رمزي بعلبكي الذي صدر سنة ١٤١٧ (١٩٩٧م)، وتليه أجزاء أخرى قبله وبعده لم تنشر بعد.

ولا تفوت الإشارة إلى أن الصديق الكريم الأستاذ محمود فردوس العظم أعاد طبع الجزء الأول من الكتاب، وهو الذي حققه الدكتور محمد حميد الله الآبادي، ولم يشر إلى الأصل الذي عول عليه في النشر، ولعله اكتفى بمطبوعة الدكتور حميد الله، وهي عن المخطوطة التركية التي لا تخلو من أخطاء، وتلك منقولة عن النسخة الدمشقية الموجودة في (خزانة الرباط) وقد نشرت نقدًا لهذه المطبوعة وقت صدورها، في مجلة «المعرفة» التي تصدرها (وزارة المعارف) في بداية صدورها، ولم أقابلها على المخطوطة الدمشقية.

ولاشك أن الدكتور حميد الله - وإن كان محققًا - إلا أن مطبوعته تلك وما نقل عنها بحاجة إلى معارضته بمخطوطة الأصل من كتاب البلاذري.

الحواشي:

(١) وضعت ضمة على العين (عُدَيّ) خطأ محاكاة للعامّة، وليس تطبيعًا.

(٢) ورد الاسم (مرة) خطأ مقصودًا كالأولى إذ الكلمتان مرسومتانِ (إكليشيه) ليس من منضّدي الحروف.

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠
للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

المنهل
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص.ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤٦٢١٢٢٣
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ٩، ١٠ س ٣٣ - الربيعان، سنة ١٤١٩هـ - تموز، أب (يوليو، أغسطس) سنة ١٩٩٨م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢١)

رتُوم: (رنوم)

قال البكـري في «معجم ما استعجم» في (بـاب الراء مع التـاء): (رَتُوْمُ - بفتح أولِهِ، على مثالِ فَعُوْل: قَارَةٌ قِبَل تَرْجِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ، قال حاجِزُ بنُ الجَعْدِ اللِّصُّ:

ولَمَّـا أنَ بَـدَت أعـلَامُ تَـرْجٍ ... وقَـالَ الـرَّابِئَـان : بَـدَتْ رَتُـومُ)

صواب هـذا الاسم (رَنُوْم) بـالنون لا بالتـاء، كما أورد البكـري، ففي معجمات اللغـة: (رَنُوْم كَصَبُـوْرٍ موضـع) وهذا المـوضع ذكره الهمـداني في «صفـة جزيـرة العرب» عنـدما سَـاق أرجوزة الـرداعي في وصف طريـق الحج، فبعد ذِكْـرِهِ لِوَادي (يَعْرَا) المعروف في بِلَاد عَسِيْر قاصـدًا (هِرْجَاب) الوادي المشهور في تلك الجهة ذكر من المواضع (الجَسَدَاء) وكان منهلًا، ثم قال:

حَتَّـى إِذَا أوْرَدْتُهَـا رَنُـومَـا ... وَادِيَهَـا والمَنْهَـلَ المَعْلُـومَـا

حَيْثُ البَـرِيْـدُ لـم يـزل مَأزُوْمَـا ... ألْقَتْ (صُهَيًّـا) خلفهـا مَـذْمُـوْمَـا

كما أورد: رنُوْم مَنْهَل فيه بِئر طَوِيْلَة، قَال الرَّاجِز:

إنَّ رَنُـوْمَـا قَطَعَـتْ حِبَـالِي ... وَتَـرَكَـتْ كُلَّ جَـدِيْـدٍ بـالي

والاسم يطلق على وادٍ في الْجَنوب الشرقي من (بِيْشَـة) قال الهَجَرِيُّ: وسألته - يعني سُلَيْمَان بْنَ زَيْدِ العَمْرِيَّ مِنْ عَمْرو مُرَّةِ نَهْدٍ - عن قوله -:

فَشَهْـدَا رَنُـومٍ فَـالأَهَـاضِبُ كُلُّهَـا فَعِبْـرَانُ دُوْنِي رَمْـدُهُ فَكَـلاكِلُـهْ

قال: شَهْـدَا رَنُومٍ: هَضْبَتَـان - وَاحِدُهَـا شَهْدٌ - وَرَنُـوْمٌ: وَادٍ وَرَاء جَسَداء، وهي مَرْحَلَة والمجَمْعَة وَهِي تَجْمَعُ تَرَجَ وَبِيْشَة.

والأشاقِرُ: هَضَبَاتٌ مِنْ وَرَاء (عِبْرَانَ)، وَهُوَ جَبَلٌ أَحْمَر، شَرْقِيّ (بِيْشَة).

الرُّحَيْضَة: (الرّحْضِيّةُ)

قـال البكـري في «معجم مـا استعجم»: (الـرُّحَيْضة - بِضَمِّ أولـهِ وفتح ثـانيـه وبالضادِ المعجمة مُصَغَّرٌ، على وزن فُعِيْلَة: مـاءَة مذكورة في رسم ضَرِيَّة، وفي رسم ظَلِم).

وقال في رسم (ظَلِم): (ثم الرُّحَيْضَةُ: قَـرْيَةُ الأنصار وبني سُلَيْم، وهي من نجد، وهي قـريةُ زرعٍ ونخل، مـاؤها آبـار، وحذاؤهـا قـرية يقـال لها الحِجـرُ، لبني سُلَيْم خاصة، ماؤها عيون، وحذاؤها جُبَيْل شـامخٌ يقال له قُنَّة الحِجْرِ، وهناك وادٍ يقال له ذُو رَوْلَان لبني سُلَيْم) انتهى.

أصل هذا الكلام من كلام عـرام بن الأصبغ السلمي في رسالته، وصواب الاسم (الرحضيـة) وقد يقال (الأرْحَضِيَّـة) قال ياقـوت في «معجم البلدان»: (الـرُّحْضِيَّةُ: بالكسر ثم السكون وضاد معجمة، وياء مُشَدَّدة: مـن نواحي المَدِيْنَة قريةٌ للأَنْصَار وبني سُلَيْم من نَجْد، وبها آبار عليها زرع ونخيل، وحذاؤها قرية يقال لها الحجر).

وقال في رسم (الأرْحَضِيَّة): (الأرحَضِيَّةُ بالضـاد المعجمة وياءٍ مشددة: موضع قُرْب أُبْلَى وبئر مَعُوْنَةَ، بين مكَّة والمدينة) انتهى.

وقال في كتاب «المناسك» بعد أن ذكر موقعها: (وهي كثيرة الأهل والماء بينها وبين المالحة (٢١) ميلًا، ومن المالحة إلى معدن بني سُلَيْم (٢٩) ميلاً).

والرحضيَّة قرية لا تزال مَعْرُوفَةً، وكذا ينطق سكانها الاسمَ، وهي واقعة في منطقة المهد (مَعْدن بَنِي سُلَيم قديماً).

وللأرحضية ذكر في كتاب «زهر الرياض» للحسن بن علي بن شَدْقَم من أهل القرن العاشر الهجري، فقد ذكر أن الشريف أبَا نُمِيٍّ أقطعها آل شَدْقَمٍ وأورد نص الاقطاع[1] ، وملخَّصُهُ: أن أَبَا نُمَيٍّ بن بركات بن محمد أقطع الأشراف الأجلاء آل شدقم جميع القرية الخَرِبَة الكائنة بالحَرَّة، إلى أن صار الرسول (؟) على ما نص عليه مؤرخو المدينة الفحول، المعروفة قديمًا بالأرحضية، وحديثًا بالرَّحضِيَّة الواقعة في جهتها الشرقية، يحدها من القبلة الحَجْرية، ومن الشام تِعَار، ومن المشرق القُبَيْبَة، ومن الغرب غُرَاب والزورة، بجميع حدودها، وما يتعلق بها من آبار ومزارع وأودية، وحصون ومشارب وتوابع. انتهى، وجبل تِعَار يعرف الآن باسم (عَار).

رِعَان: (دِعَان)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (رِعَان - بالكَسْرِ - وهو جمعُ رَعْنٍ، وهو أَنَفُ الجبل العاليَ-: اسم لموضع فيه عَيْنٌ ونخيلٌ بين الصَّفْراءِ ويَنْبع قال كُثَيِّرٌ:

وحَتَّى أَجَازَتْ بَطْن ضَاسٍ وَدُونَهَا رِعَانٌ فَهَضْبَا ذِي النُّخَيْل فَيَنْبع)

وأورد البكري في «معجم ما استعجم» الاسم (دُغَان) بالدال المضمومة والغين المعجمة وصواب الاسم (دَعَان) بالدَّال وكذا أورده في رسم (خفينن) كَمَا وَرَدَ في «دِيْوَانِ كُثَيِّرٍ» في قوله:

ولَقَد شَأَتْكَ حُمُولُهَا يَوْمَ اسْتَوَتْ بِالْفُرْعِ بَيْنَ خَفَينِنٍ ودَعَانِ

أما بيت الشاهد فقد ورد في الديوان (رِعَان) وأرى المحققَ اعتمد على ما في «معجم البلدان» مع أنه أشار إلى أن الاسم ورد في كتاب «المَغَانم المُطَابة» وفي «وَفَاء الوفَاء» عند السمهودي (دَعَان)، أما البيت الذي قبله فقد قال في تفسيره يعقوب بن السكيت: دَعَانُ بفتح أوله وادٍ فيه عَيْنٌ للعثمانيِّين بين المَدِيْنَة ويَنْبُع عَلَى لَيْلَةٍ، وهذا يتفق مع ما ذكر علماء اللغة: دَعَانُ كَسَحَابٍ وَادٍ بَيْن المَدِيْنَة ويَنْبُعَ.

إذَنِ الجِهَةُ مُحَدَّدَةٌ، فهو يقع شمالَ (الصَّفراءَ) الوادي المعروف، الذي في أسفله يقع (بَدْر)، في الجنوب الشرقي من يَنْبُع، وإن كان مجهولاً بهذا الاسم ولكن (النُّخَيْل) وَادٍ بِقُرْب يَنْبُعَ لا يزال معروفًا، تكرر ذكره في شِعْر كُثَيِّرٍ: وقال شُرَّاحُهُ: إنه موضع أسفل يَنْبُع، وأما ضَاسُ فهو جانبٌ من هِضَاب رَضْوَى، منه وادٍ ينحدرُ إلى ينبع النَّخْلِ لا يَزَالَ مَعْرُوفًا.

رَوْضَة العَنْك: (رَوْضَةُ العَتَك)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (رَوْضَةُ الْعَنْك: قال عمرُو بن الأهتم:

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرى حَبِيبٍ وأَطْلالِ   بِذِي الرَّضْمِ فَالرُّمانَتَيْنِ فَأَوْعَالِ
إلى حَيْثُ حالَ الْمِيْثُ في كُلِّ روضةٍ   منَ الْعَنْكِ حَوَّاءِ المَذَانِبِ مِحْلالِ)

وأورد الشاهد في رسم (العنك). أما البكري فقد أورد الشعر في رسم (الرَّضْمِ) الذي قال عنه: موضِعٌ في دِيَار بَنِي تَمِيمٍ باليَمَامَة قَال عَبْدَةُ بن الطَّبِيْبِ:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وأَطْلَالِ   بِذِي الرَّضم فَالرُّمَّانَتَيْنِ فَأَوْعَالِ
إلى حَيْثُ سَالَ الْقِنْعُ مِنْ كلِّ رَوْضَةٍ   من الْعَتْكِ حَوَّاءِ المَذَانِبِ مِحْلَالِ

وأرى صواب الاسم (العَتَك) كما ورد في الشعر من «معجم ما استعجم» وأن

الروضة منسوبة إليه، وهو في بلاد بني تميم، إنه وادٍ مشهور، يخترقُ مَنْطَقَةَ (سُدَيْر) التي تكثر فيها الـروضات، كما تكثر في جوانب العتك وفي مَفِيْضِـهِ، قال صاحب «بـلاد العرب» عن العتك: لبني سعـدٍ وهو وادٍ يَجِيْءُ أعـلاه من ناحيـة الْفَقْء، ثم يَشُقُّ حتى ينتهي إلى ناحية الغَمِيم، أما إذا كنت مُصْعِـدًا فيه كأنك تريد الفَقْء فإنَّ ما عن يمينك وعن يسـارِكَ لعديٍّ ولتيمٍ وبني سحيم، انتهى، و المراد بـالعَتْكِ هذا عَتْكُ العَرَمَةِ وهـو العَتْكُ الأَسْفَلُ الَّذِي يَخْتَرِقُ سلسلةَ جبـالِ (العَرَمَة) حتى يفيض في مَرْبَخِ الدَّهْنَاءِ ويصب في رَوْضَة التَّنْهَاتِ، والعَتْكُ الثـاني مقابِلٌ له جنوبه، وهو يخترق جبل العـارض (طُوَيْق) ويجتمع فيـه سيول (عُـريق البلدان) النفـود الواقع شرقَ الـوَشْم، والعَتْكَانِ متقـابلان أحَـدُهُما في طـويق والثانـي في الْعَرَمَـة، وتكثر الرياض حـولَهُما، أما العنك (بالنـون) فليس الموضع معروفًا، وإن كـان في الشعر الشاهـد على الموضع ذكـرُ الرَّضم والـرُّمَّانتَين وأَوْعَـال، وهي أسماء غـريبة ليست معروفة في هذه الجهات على ما قِيْلَ لِي.

رَيْث: (رَبَب) و (رَيَبُ)

قال يـاقوت في «معجم البلـدان»: (رَيْثُ - بفتح أوله وسكون ثـانيه وآخـره ثاء مثلثة- وهو خلاف العجلة -: موضع في ديار طَيِّء، حيث تَلْتقي طَيِّءٌ وأسد.

والـرَّيْثُ أيضًـا: جبلٌ لبني قُشَيْرٍ على سَمْتِ (حـائلٍ)، و (الـمَـرُّوْت) بين (مَـرْأَة) و(الفَلَج) إذا خرجْتَ من (مَرْأَة) معترضًا في ديار بني كعب، و بالرَّيْثِ مِنْبرٌ عن نصر).

١ - هذا الكلام هو نص مافي كتاب نصـر، ومثله في كتاب الحازمي، ويبدو أن اسم (ريث) الأوّل (رَبَب) ببـاءَيْنِ وأن الأصل فيما ورد في كتاب نصـر هو مـا جاء في كتاب «بلاد العـرب» - ٦١ ونصه: ويَسِيلُ في (الثَّلبُوث) وادٍ يقال لـه (الرَّحْبَة) فيه مـاء لبني أسد، يسمى (فِرْتَـاج)، ثم فوق ذالك مـاء يقال له (الحَسَـاء) (حساء

رَبب) لطَيِّء، وذالك حيثُ تلتقي طَيِّءٌ وأســد. انتهى، ولكن الاسم ورد في كتــاب «بلاد العــرب» بالباءين، ويستأنس لصوابــه وروده كذالك في شعر الطِّرِمَــاح، وهو طائِيٌّ، والمسمَّى فــي بلاد قومــه وورد في مخطوطــة متقنة الخط، حِسَــاءُ رَبَبٍ ماءٌ لطَيِّءٍ، وموقع هذا الماء في أعلى أَحَدِ الأودية التي تَنْحَدِرُ من جبل (رَمَّانَ) فتصبُّ بــوادي الشُّعْبَة (الثلَبَــوت قديمًــا) ثم تفيض بــوادي (الرُّمَــةِ) وانظر عن المــواضع المذكورة هنا (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

٢- القــول بأن الــريب جبل لبني قُشَيــر على سَمْتِ (حــائلٍ) و (الْمَــرُّوْت) بين (مَرْأَةَ) و (الفَلَج) إذا خرجتُ من (مــرأة) معترضًا في ديار بني كعب وبــالريث مِنْبَرٌ عن نصر. قَدْ علقت على هذا في كتاب الحازمي بما نصه: (ويلاحظ على هذا:

١ - تصحيفُ الاسمِ كمــا يفهــم من وصف المــوقع الــذي ينطبــق على منطقــة واسعةً تدعَى قديمًا (الرَّيْب) بالياء المثنــاة التحتية بعدها باء موحدة - وتعرف الآن باسم (الرين) أبدلت العامَّةُ الباءَ نونًا.

والموضع فيه جبال كثيرة وأودية، ويوضح هذا أن فيه منبرًا أي مقر إمارة تقام في أهله صلاة الجمعة في القديم والحديث.

٢- طــريق قاصــد الفَلَج (الأفْــلاج) يمرُّ أســافلَ أوديــة (الــرَّيْب)، بعد اجتيــاز (المَــرُّوْتِ) الأرض المعروفــة جنــوب منطقة الــوَشْم، و (حــائِلٌ) صحراء جَنُــوبْ (المَرُّوْت) تعرف الآن باسم(الحَذْبَاء) - حَذْبَاءِ قِذْلَة - وهي في أسافل الرَّيْب.

٣- منطقة الرَّيْب واسعــة تقع فيما بين (خطي الطول: ١٠َ/ ٤٥ْ و ٤٥َ/ ٤٥ْ وبين خطي العرض: ١٥َ/ ٢٣ْ و ٠٠َ/ ٢٤ْ) وقاعدة المنطقة بلدة الرَّيْن (٣٢َ/ ٤٥ْ طُوْلاً و ٣٢َ/ ٢٣ْ عرضًا).

(الحديث متصل)

حمد الجاسر

ملحوظات على: «ديوان الرّاعي النُّميري»
جمع وتحقيق راينهَرْت فَيْبَرْت

[الراعي النميري، ديوان، جمع وتحقيق راينهرت فيبرت، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م]

هذا العمل يمكن عَدُّهُ أَوْفَى ما جُمع من شعرِ عُبَيْد بن حُصين الملقبِ بالراعي أو راعي الإبل، لكثرة وصفه الإبل ورُعاتها في شعـره، وقد عاش في العصر الأموي معاصـرًا للثلاثـة الكبارِ جـدًّا المشهورينَ التَّميميَّيْنِ الحَنْظَلِيَّيْـن جَرِيـرٍ والفرزدق، والتَّغْلبيِّ الأخطل، ذالك لأن صـاحبه أضـاف نصوصًـا كُثْرًا لم تتضمنهـا النشراتُ الأُخَر للديوان (تنظر مقدمة العمل ص (ف – ق).

ويتميـز عمل الأستاذ (فَيْبَـرْت) بـالإضافـة إلى الاستقصاء، بـالـدِّقّة والإحكـام و(العلمية) وتقـديم المادة تقديمًـا منظَّمًا تنظيمًا يُيَسِّـر على الباحث الـوصول إلى مبتغاه دون عنـاءٍ، فهو، على سبيل المثال، يَسْـرِدُ مصادر كُلِّ بيت في الوجـه الذي ورد فيه نفسـه، كما أن مصـادره جميعًا أصلية مـوثوق بهـا، وقد زوَّد عملـه بفهارس للأعـلام والأماكن، مع ثَبت للمصـادر التي استقى منها مـادَّتَه ذي منهج متسقٍ لا اختلال فيهـا ولا اختلاف، ولا زيـادةَ ولا نقصان. كمـا يُحمَد للمحقّق رُكـونُهُ إلى نشراتٍ علميـةٍ دون النشراتِ التجاريـة ونحوها مما لا يأبَـهُ بِتَحرّي الدقّـة وتوخّي الإصابة، فلم يَعُد يُؤْبَهُ به.

لكنَّ أمرًا واحدًا قلل – مع الأسف نوعًـا مَّا – من الإفادة من هذا العمل أَلَا وهو إغفال تفسيـر الغريب، وهو كثيـر، يظَلُّ بحاجةٍ مسيسـةٍ إلى مراجعة سـواه، إما من نشرات الديون السابقة، أو من معاجم اللغة مما قد يصرف قارئه عن متابعة القراءة فيـه، في آخر الأمـر، لما يلقـاه من مشقـةٍ في ذالك، ولعل للمحقق الفاضل عـذرًا ونحن نلوم، كتحاشي إثقال العمل بتفسيرات كثيرة تتراكم فيها الحواشي، وتَتَراصُّ التعليقات، كما أن منهج التحقيق الذي سار عليه المحقق، وهو منهج معروف، لا يلزم نفسه بتفسير الغريب أو شرح الغامض.

ولعل في الملحوظات التاليات ما يسهم، إن أُخِذ به، في زيادة حسنِ هذا العمل.

● في التمهيد والمقدمة لَمْ يُرَاعَ وضع همزات القطع في عشرات المواضع فيحسن تلافي ذالك.

وفي ص ٣٣١ ورد مكررًا: (اشتقاق أسماء الله) بقطع ألفِ (اشتقاق).

وفي ص ٣٥٨ ورد: (من استشهد من المحبين) بقطع ألف (استشهد).

● ص (ك) ورد أن الراعي النميريَّ حاول الاعتذار لجرير من انحيازه للفرزدق بناء على طلب رجل نميريٌّ آخر يدعى (عرادة) (لكن جَنْدلًا ابنَ الراعِي تدخَّل في المعتابة معتديًا على جرير بالضرب والشتم) انتهى. وإذا أردنا الدقة، وذلكم ما ينبغي، فلم يقع ضربٌ، وإن وقع ما يشبهه من تحقير شديد، وضربٍ لِبَغْلَةِ الرَّاعي (أي أن جندلًا ضرب بَغْلَةَ أبيه ليحملها على الانطلاق به بعيدًا عن جرير)، وكان واقفًا إياها على جرير يتحدث إليه. ينظر «نقائض جرير والفرزدق» ص ٤٢٨ (ط أوربا) و «خزانة الأدب» ١/ ٧١، و «الشعر والشعراء» ١/ ٤٢٢. وفي رواية أخرى في «النقائض» ص ٤٣١: رواية عن جرير قال: (فأقبل [أي جندل] يَشْتَدُّ به فرسه حتى يهوِي بالسَّوْطِ لمؤخَّرةِ بَغْلَةِ أبيه. فَزَحَمَتْنِي والله زَحْمَةً وقعتُ منها على كَفَّيَّ في الأرض، وندرت قَلَنْسُوتي...)!

● ص (ع) س ٧ وردت عبارة: (... ببعضها البعض)، وهو خطأ شائع صوابه (بعض... ببعض)، أو (بعضها ببعض).

● ص (ف) س ١ ورد: (كانت هناك أعمال ثلاث)!!

● ص (ف) أيضًا س ١٠ ورد: (خصوصًا تلك التي أَمَّلْتُ على أن تتضمن)، و(أَمَّل) يتعدَّى بدون حرف.

● ص ٣٧ ورد: وحارَبَت الهَيْف الشِّمالَ وآذَنَتْ   مَـذانِبُ منهـا اللَّـدْنُ والمُتَصَـوِّحُ

بكسر الشين من (الشمال)، والصَّوابُ - هنا - فتحها لأن المراد ريح الشَّمال،

أما بالكسر فهي جهة اليسار.

● ص ٣٩ ورد:

حـرائرُ لا يَـدْرِينَ مـا سُـوءُ شيمـةٍ ويَتْـرُكن مـا يُلْحَـى عليـه فَيُفْصِحُ

وكلمةُ القافية مصحفةٌ، والصواب: (فَيَفْضَحُ).

● ص ٤٢ ورد:

كمن بـاع بـالإثم التُّقَى وتفـرقَتْ بـه طـرق الـدنيا ونَيْلٌ مُتَـرَّحُ

وقد صحفت فيه كلمة (التُّقى).

● ص ٤٣ ورد:

فيـارُبَّ مـن يُـدْنَى ويحسِـب أنـه يـودُّك، والنـائي أَوَدُّ وأنْصَـحُ

ويبدو أن رواية صدره ينبغي أن تكون: فيارُبَّ من تُدْنِي وتحسِب أنه

إذ المعنى: كم من شخص تُـدْنِيْـهِ وتخالـهُ وادًّا لك، والبعيـد أكثر منـه لك وُدًّا وأمحض نصحـا. علـى أنـه ينبغي فهم التـزام المحقق بمـا وجـده فـي مصـادر التحقيق، ولكن لابـد أيضًا من الـرجوع إلى استقـامة المعنى، ولا يحسن الاتّكـال التام على المكتـوب دون إعمال الفكـر في مضامين العبـارات والجمل والألفاظ، للوصول إلى الأكثر ملاءَمةً منها بقدر الإمكان.

● ص ٥٥ ورد البيت رقم - ٢ - هكذا:

ورَادَ طـرفُـكَ في صحـراءَ ضـاحيةٍ فيهـا لعينيـكَ والأظعـانُ مُطـرِدُ

وصـواب آخره: (فيهـا لعينيك والأظعانِ مُطَّـرَدُ) - بكسـر النون من (الأظعـان) وفتح الـراء من (مطـرد): إذ المعنى: وامتـد بَصَرُكَ فـي صحراء واسعـةٍ فيهـا مُتَّسعٌ وفُسحـةٌ لعينيك لِتَمُدَّا نظـرهمـا بعيدًا، كمـا أن فيهـا لـلأظعان، أي الإبل، مُتسعًـا يمكنها أن تتطارد فيه.

● ص ٨١ في البيت:

يُطِفْنَ ضُحَيّـا والجِمـالُ مُنَـاخَـةٌ بكُلِّ مُنِيف كـالحصـانِ المقيَّـدِ

وردت (ضُحَيّا) مكسورة الحاء، وذالك تصحيف. ولعله من أخطاء التطبيع.

وفي البيت الذي يليه وهو:

تُخُيِّـرنَ من أَثْـل الـوريعـة وانتحى لهـا القَيْنُ يعقـوبٌ بفأسٍ ومِبْـرَدِ

فتحت الخاء في (تخيرن)، وذالك تصحيف.

● ص ٨٢ ورد البيت:

فمـا ألْحَقَتْنَا العِيسُ حتى وجـدتني أسِفْتُ على حـاديهـم المتجـردِ

بفتح التاء في (وجدتني) على أنها تاء المخاطب بينما هي تاء المتكلم.

كما ورد البيت:

صَـدَدنَا صـدودًا غيـر هجرانِ بِغْضَـةٍ وأذنَيْنَ أبـرادًا على كُـلِّ مُجْسَـدِ

وحوِّلـت فيه نون الإنـاث التي تعود إلـى فتيات يتغزل بهـن الشاعر إلـى ضمير الجماعة المتكلمين أو نـون المعظم نفسه (نا)، وعجز البيت يقوّي ما ذكـرناه، كما أن الصدود إنما يعـزى عادة إلى النّساء المُشَبَّب بهن والمعشوقـات لا إلى الرجال المُشَبِّبين أو العاشقين.

● ص ٩٧ ورد: (يمدح سعيد بن عبدالرحمن بن عتاب بن أَسيد بن العيص بن أمية، والصواب: (... بن أبي العيص بن أميـة). ينظر مثلًا «نسب قريش» لمصعب الزُّبَيْري (تحقيق أ. ليفي بروفنسال) (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢)، ص ١٨٧.

● ص ٩٩ ورد البيت:

أرمي بهـا كلَّ مـومـاةٍ مُـوَدِّيـةٍ جَـدَّاءَ غِشْيـانُهـا بـالقـوم تَغْـريـرُ

بنصب (مُـوَدِّيـة)، وهـو خطأ، والصـواب جَرُّهـا لأنهـا نَعْتٌ للمومـاة. ومعنى (مُوَدِّية): مُهْلِكة.

● ص ١٠٢ ورد:

ولا تُعْجِل المرءَ قبل الورُو ... كِ وهي بِرَكْبَتِهِ أبْصَرُ

فضبطت الراء في (بركبته) مضمومةً خطأ، والصواب بالفتح.

فالمراد بها طريقة ركوبه لا (رُكبته) فهي مصدر هيئة.

● ص ١٠٤ ورد:

تَغَنَّى لِيُبْلِغَنِي خَنْزَرٌ ... وكُلُّ ابْنِ مُومسةٍ أخْزَرُ

فضبطت النون من (ابن) بالضم، وهو سبق قلم.

● ص ١١٠ ورد:

وَرُودٌ سَبَنْتَاةٌ تُسَامِي جديلَها ... بِأَسْجَحَ لم تخنِسْ إليه المشافِرُ

بضم اللام من (جديلها)، والصواب فتحها.

● ص ١٢٧ ورد:

فَرَدَّها ظُلَّعًا تَدْمَى فَرائِصُها ... لم تُدْمَ فيه بأنيابٍ ولا ظُفُرِ

بضم اللام وتخفيفها في (ظُلَّعا)، وإنما الصواب بالفتح والتَّثقيل.

● ص ١٣١ ورد:

أحارِ بْنَ عَبْدٍ لِلدُّموعِ البَوَادِرِ ... ولِلْجَدِّ أمسى عَظْمُهُ في الجبائر

بنصب (بن)، والصواب الرفع فهي نعت لـ (حارثة) باعتبار الأصل أي قبل الترخيم وهو مَبْنِيٌّ على الضَّم، ويجوز الجر باعتبار اللفظ (المنادى المرخم فهو محرك بالكسر) بعد حذف آخره (ما بعد الراء).

● ص ١٣٢ ورد:

كأن بقايا الجيشِ جيشِ ابْنِ باعجٍ ... أطافَ بِرُكْنٍ من عَمَايَةَ فاجِرِ

بتحريك آخر (عماية) بالكسر، ولا يخفى أن الصواب تحريكها بالفتحة القائمة مقام الكسرة لأنها (لا تُجْرَى).

● ص ١٣٣ ورد:

وأُثني على الحَيَّيْنِ عمـرٍو ومـالكٍ ثنـاءً يُـوَافِيهـم بِنَجْـدٍ وغـائِرِ

بضم الهمزة من (أُثني) على أنها ألف المضارعة، والصواب فتحها لأن الفِعْلَ فعلُ أمرٍ فيه ياءُ مخاطبةٍ . ويبين ذالك البيت الذي قبله وهو:

إذا انسلخ الشهـرُ الحـرامُ فَـوَدِّعِي بـلادَ تميمٍ وانْصُـرِي أرضَ عـامِـرِ

● ص ١٥٥ ورد:

ولِلْمَنِيَّـة أسبـابٌ تُقَـرِّبُهَـا كمـا تَقَـرَّبَ للـوحشيَّـة الـذُّرُعُ

ويبدو لي، والله أعلم، أن الأنسب ضبطُ (تقرب) بالرفع على أنه مضارع مبدوء بتاءين إحداهما تاء المضارعة: (تَتَقَرَّبُ)، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، أو أن يضبط بصيغة البناء للمجهول: (تُقَرَّبُ)، وذالك ليكون زمن الفعلين واحدًا.

والذُّرُع، بالمناسبة، جمع (ذَرَع) وهو ولد البقرة الوحشية ويقال له أيضًا فَرِيرٌ وجُؤذَرٌ وفَرْقَدٌ وفَزٌّ وبَحْزَجٌ.

● ص ١٦٩ ورد:

إذا سَرَحَتْ من منزلٍ نـام خَلفهـا بميثـاء مبطـانُ الضُّحَى غيـرُ أروعـا

بنصب (غيـر)، والصواب رفعهـا، لأنها نعت لـ (مَبْطان) المرفوعـة.. و (غير) يوصف بها عادةً، ويستثنى (فإن وصفت بها، كما هي الحال هنا، أتبعتها إعرابَ ما قبلها، وإن استَثْنَيْت بهـا أعربتهـا إعراب الاسم الواقع بعـد إلّا). ينظر مثـلًا «لسان العرب» (غ ي ر).

● ص ١٧٨ ورد:

كأن يَـدَيْهـا بعـدمـا انْضَمَّ بُـدْنُهـا وصَـوَّبَ حَـادٍ بـالـرِّكـابِ يسـوقُ

يَـدَا مـا تحِ عَجْـلانَ رِخْـوٌ مِـلاطُـهُ لـه بَكْـرَةٌ تحت الـرِّشـاءِ فَلُـوقُ

وضبطت (فَلُوقُ) بضم الأول والثاني والصواب فتح الفاء.

● ص ١٨١ ورد:

لَـدَى ساعِـدَيْ مَهْـرِيَّـةٍ شَـدَنِيَّـةٍ أُنِيخَتْ قليـلًا والعصـافيـر تَنْطِقُ

فضمت الطاء من (تنطق)، والصواب الكسر.

● ص ١٩٩ ورد:

وفي يَـدُومَ إذا اغْبَـرَّتْ منـاكبـه وذروة الكُـور عن مـروانَ مُعْتَـزَلُ

بفتح الكاف في (الكور)، والصواب ضَمُّها. وفي «لسان العرب» و «معجم ما استعجم» وهما من المصادر التي رجع إليها المحقق، وردت مفتوحة. لكن جاء في «اللسان» أيضًا (ك و ر) قول لابن الأثير بأن (الكور) مضموم الأول، وأن كثيرين يفتحون أوله خطأً.

● ص ٢٠٦ ورد:

خَلَتْ من جميع سـاكنين وبُـدِّلَتْ ظِبـاءَ السَّلِيـل بعـد خَيْلٍ وجـامِلِ

بكسر آخر (جميع) دون تنوين والصواب التنوين.

● ص ٢١١ ورد:

تَخِـرُّ على مَتْنِ الكثيبِ ومَتْنُـهُ رَذَاذٌ هَـوَى من دِيمـةٍ غيـرِ وابل

برفع النون وضمير الغائب المفرد في (متنـه) والصواب كسرهما. والضمير يعود على (الظبي) المذكور كنايةً في البيت الذي قبله وهو:

كَـذِي رَمَل من وَحْش حَـوْمَل بَلَّـهُ أهـاضِيبُ في قَسٍّ من الـرِّيح شـامِلِ

● ص ٢٢٢ ورد:

حتـى وردن لِتِمِّ خِمْـسٍ بـائِصٍ جُـدًّا تَعَـاوَرَهُ الـريـاحُ وبيـلا

بفتح الـراء من (تعـاوره)، والصـواب ضمُّهـا، فـالفعل مضـارع مبـدوء بتـاءين حذفت إحداهما. وهذا كثير، كما هو معلوم.

● ص ٢٧٢ ورد:

ومُعْتَـــرَكٍ تُشَقُّ البَيْـضُ فيـــه كشَقِّ الجـــازِرِ القَمِع السَّمِيْنَـــا

وصحفت فيه عبارة (تشق البيض) فجـاء هكـذا: (تَشُقُّ البيضَ)، على البناء للمعلوم. وحرفت (الجازر) إلى (الجارِز)! ووردت (القَمِع) بتسكين الميم والصواب بكسرها، والقمع: البعير الضخم السنام (عن «القاموس المحيط» (ق م ع).

● ص ٢٧٣ ورد:

عصـا كَــرَمٍ ورثنَـاهــا أبـانـا ونُـــوْرِثهـــا، إذا متنـــا، بَنِينـــا

بفتح الراء من (ورثناها)، والصواب الكسر.

● ص ٢٧٤ ورد:

بأسيـــافٍ لنـــا متـــوارثَـــاتٍ كشُهْبَـــانٍ بأيـــدي مُصْلِتِينـــا

بفتح اللام من (مصلتينا)، والصواب كسرها لأنها جمع (مُصْلت) اسم فاعل.

● ص ٢٨٩ ورد:

شفـــائِيَ أن تختصَّني بكـــرامـــةٍ وتَـذْرَأَ عَنّي الكـاشحِيْـنَ الأعـاديـا

بتحريف (بكرامة) إلى (بكراهـة). وهذه من نوادر التصحيف ومضحكاته التي هي من شر البلية، وكيف يُعقِل أن يطلب الـراعي من هشام (الممدوح) أن يخْتَصَّه بكراهة!

● ص ٢٩٢ ورد:

بمغتصِبٍ مـن لحمِ بِكْـــرٍ سَمِيْنَـــةٍ وقـد شـامَ رَبَّـاتُ العجـافِ المنـاقيـا

ولعلها (بمغتَصَب) بفتح الصاد.

هـذا، وإن هذه الهَنَـات القليـلات لا تَغُضُّ في الواقـع، بِحال من حُسْنِ هـذا العمل ودقته، واتقَانـه واستيفائه، بل تدلّ حقًّا على قيمته فكفـاه ألا يكون فيه - في نظرنا - من مأخذ سوى ما ذكر، والله أعلم.

كلية الآداب - جامعة الملك سعود - د. محمد بن سليمان السُّدَيْس

لهجة قبيلة سليم

(٢)

إسناد الفعل المُضَعَّف إلى تاء الفاعل: عند إسناد الفعل المضعّف إلى تاء الفاعل أو أحَدِ ضمائر الرفع المتحركة الأخرى يجري فَكُّ الإدغام في الفعل، ففي (مَدَّ) يصير الفعل: (مَدَدْتُ) وفي (ظلَّ): (ظَلَلْتُ)، هذا هو السائد في العربية الفصحى، لكنّ لهجة سُلَيم مالت إلى حَذْف أحد الصَّوتين المتماثلين عند اسناد الفعل المضَعَّف إلى تاء الفاعل أو (نا) المتكلمين[١]، ففي ظننْتُ قالوا: (ظَنْتُ)، ويطَّرِدُ ذلك في: ظَلْتُ ومَسْتُ وما أحسْت وما أحبْتُ وحمل سيبويه هذه الظاهرة على الشذوذ وأنه لا يَنْقاس فيما أَشْبَه هذه الأفعال[٢].

وقد نزل القرآن الكريم كذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ (طه/ ٩٧) وفي قوله تعالى:﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (الواقعة/ ٦٥)، وقرأ ابنُ مسعود وقتادةُ والأعمش: (ظِلْتُ) (طه/ ٩٧) و (ظِلْتُم) (الواقعة/ ٦٥)[٣].

وجاء في شعر الخنساء[٤]:

فَظَلْتُ لها أبكي بعَيْنٍ غزيرةٍ ... وقَلْبي مما ذَكَّرتِنيه موجَعُ

وورد هذا الاستعمال في شعر الشَّنفَرى الأزديّ فقال[٥]:

وظَلْتُ بفتيان معي أَتَّقِيهِمُ ... بهُنّ قليلًا ساعةً ثم خيبّوا

ولعل هذا النهج كان معروفًا لدى غير سُلَيم من العرب بدليل وروده في القرآن الكريمِ، واستعمال الشَّنفرى الذي كان على صلةٍ وثيقةٍ بهذيل القريبة من منازل سُلَيم.

والراجح في تفسير هذا النهج أنه ميل للاقتصاد بالجهد العَضَليّ إذْ أنَّ الانتقال من صوتٍ لآخر يماثله فيه صعوبة ويحتاج جهداً فأثَّرَتِ اللهجةُ حَذْفَ أحَدِ الصَّوتين المتماثلين للسهولة وتيسير النطق.

بناء (حيث) على الفتح: تُعَدُّ (حيث) من الظروف الملازمة للإضافة إلى

الجمل، وقد شاع في العربية بناؤها على الضم، فجاء في «العين»: (للعرب في حيث لغتان واللغة العالية حيثُ الثاءُ مضمومة)[٦].

ونقل الكسائيُّ عن بني يربوع وطهية من تميم بناءَها على الفتح[٧] وقد ذكر سيبويه ذالك ولم ينسبه[٨]، لكن الهَجَريّ عزا فتح الثاء من حيث إلى بني سُلَيم فهم يقولون: حَيْثَ[٩] وبذالك فإن قبيلة سُليم تشترك مع بعض بطون تميم في هذا المنحى، ويمكن تفسير ذالك من حيث الصوت بأنه ميل إلى الاتباع الحركي، فمجاراة لفتحة الحاء فتحوا الثاء، ولا يُعَدُّ الحرف الساكن بينهما حائلًا دون تحقيق هذه الظاهرة، فضلًا عَن أنَّ الفتح أَخَفّ من الضم، لأن في الضم جهدًا أكثر، والميل إلى الفتح سمة القبائل المتحضرة، على حين تميل القبائل اليدوية إلى الضم.

مُذْ ومُنْذُ: اختلفتِ اللهجاتُ العربيةُ القديمةُ في شكل (مُذْ ومنذ) فعُزِيَ ضَمُّ ذال (مُذ) إلى بني غنيٍّ وهم حي من غطفان من قيس[١٠]، وحكى الفَرّاءُ عن (عُكْل) كسر الميم من (مذ) فقالوا: مِذْ يومان[١١]، وذكر اللّحيانيُّ في «نوادره» كسر ميم (مِنذ) عن بني سُلَيم[١٢].

وقد اختلفت اللهجات العربية القديمة في الاسم الواقع بعد مذ ومنذ، فجنحَتْ قبائلُ تميم وأسدٍ وعُكل وبني غني من غطفان وهوازنَ وسُلَيم إلى رفع الاسم الواقع بعدهما، فروى صاحبُ «اللّسان» عن سُلَيم: ما رأيته مِنذ سِتٌّ، بكسر الميم ورفع ما بعد (منذ)[١٣]، أما القبائل التي جَرَّتِ الاسم الواقعَ بعدهما، فهي قبائل ضَبَّة ومُزينة وغطفان والرِّبَاب وعامر بن صعصعة ومن جاورهم من قيس[١٤].

واحتدم الخلافُ بين النّحويين في إعراب الاسم الواقع بعد مذ ومنذ[١٥]، ويمكن القول إنَّ (مذ ومنذ) لهما دلالة واحدة وأنَّ أصلهما و احد، وهو: (مذ) تولدت عنها بفعل قانون المخالفة الصيغة الجديدة لها وهي (منذ)، وليس من المعقول أن يستعمل العربيُّ الاثنتين معًا للدلالة على الظرفية، فلا شك أنَهُ اقتصَرَ على واحدةٍ بطريقةٍ وَرِثَهَا عنْ سالفيهِ.

إجراء (القول) مجرى (الظن): جنحت لهجة سليم إلى إجراء القول مجرى

الظن، فعاملت الفعل (قال) وتصريفاته معاملة (ظن) الذي عَدَّهُ النحويين من الأفعال التي تنصب مفعولين قال سيبويه: (وَزَعَمَ أبو الخطاب - وسألْتُهُ عنه غير مرة- أن ناسًا من العرب يوثق بعربيتهم وهم بنو سُلَيم يجعلون باب قُلْت أجمع مثل ظننت[١٦]. فهم يقولون: قال زيد عمرًا منطلقًا ويقول زيد عمرًا منطلقًا، وقد وَرَدَتْ شواهد من الشعر لشعراء غير سُلَمِيِّيْنَ مما يؤكد أنَّ هذا الاستعمال ليس محصورًا في قبيلة سُلَيم وحدها، بل يشيع في عدد من اللهجات الأخرى ، فمن ذالك قول امرئ القيس الكِنْدِيّ:

إذا ما جرى شوطَيْن وابتلَّ عِطفُهُ   تَقُول هَزِيرَ الرِّيح مَرَّتْ بأَثْأبِ[١٧]

ومن ذالك قَوْل الكُميت بن زيد الأَسَديّ:

أَجُهَّالًا تقول بَنِي لؤيٍّ   لعمر أبِيك أم متجاهلينا[١٨]

وقول عُمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أما الرحيلُ فَدُون بعدِ غدٍ   فما تقول الدارَ تجمعنا[١٩]

ولم أعثُرْ على مثلِ هذا الاستعمال في شِعْر عَدَدٍ من شعراء سُلَيْم[٢٠]، والراجح أنَّ هذا الاستعمال كان مألوفًا في لهجةِ سُلَيْم وانتقل إلى غيرها من اللَّهَجات بفعل عوامل الاحتكاك بين اللَّهَجات. وهذا المنحى في استعمالهم فعل القول نابع من فهمهم لمعنى القول بمعنى الظَنّ والاعتقاد، وهو ما يَسودُ في بعضَ اللَّهَجات العراقيَّة المُعاصرة.

والسائد في العربية الفصحى كسر همزة (إنّ) إذا وقعت بعد فعل القول، لكن في لهجة سليم ترد هذه الهمزة مفتوحة دائمًا واستشهد أبو حيان بقول شاعرهم[٢١]:

إذَا قُلْتُ أَنّي آيِبٌ أهْلَ بلدةٍ   نَزَعتُ بها عَنْهَا الْوَلِيَّةَ بِالْبَحْرِ

واجتهد النّحويون في وَضْع الضَّوابط التي يجري فيها القول مجرى الظن[٢٢] وأضافوا بذالك عِبئًا جديدًا إلى مجال الخلاف بين أنظارهم، فلو عَدُّوا هذا الاستعمال محدودًا بوصفه يمثل مَنْحًى لَهْجِيًّا لكان ذالك أنفى للخِلاف، ووضع الضوابط التي لا تتناسب وطبيعة اللغة.

إلزام المثنى الألف: ذكر بعضُ النحويين أنَّ من العرب من يُلْزِمُ المُثَنَّى الأَلِفَ في أَحوالـه كلّها، وقـد عُزِيَ هذا المنحَى إلى قبـائل كِنانة وبنـي الحارث بن كعب وبني العنبر، وبطـون من رَبيعة وبكر بن وائل وزُبَيْد، وخثعم وهمـدان وعُذرة[٢٣]، وأضاف أبو حيان الأَنْدُلُسِيُّ عند حديثه على قراءة: ﴿فكَان أَبَواهُ مُؤْمِنَانِ﴾ (الكهف/ ٨٠) إن ذالك لغـة لبني الحــارث بن كعب وسُلَيم[٢٤]. وفسَّـروا قـولَــهُ تعـالى: ﴿إِنَّ هَـٰذان لَسَاحِرانِ﴾ (طه/ ٦٣) بأنَّها وَرَدَتْ على لهجة بَلْحَارث بن كعب[٢٥].

وقـد عرض الـدكتور عبـدالعال سـالم مكـرم أَوْجُه الاختـلافِ في هذه القـراءة وعـرض آراءَ بعضِ علمـاء العـربيـة في ذالـك وقـال: (لا داعي لهـذه التأْوِيـلات والتقديرات التي تُشَتِّتُ الفكر وتحيِّرُ العقَل وتجعل طالبَ النحو يعيش في دَوَّامَةٍ من اضطراب الآراءِ وتناقُض الأفكار)[٢٦].

ويُرَجَّح أنَّ هـذا الاستعمال مَنْحًى لهجي عُرِفَتْ بـه قبائل عدة فـلا داعي لكثرة التَّأْويلات التي لا تتناسب وطبيعة الدرس النحوي.

إضافة اسم الفعل (مكـانك) إلى ياء المتكلم: من المعروف أن (مكانك) اسم فِعْل أمـرٍ بمعنى: اثبُتْ والْزَمْ مكـانك، ولم يُضَفْ اسم الفعل إلى يـاء المتكلـم في العـربية، لكـن الفرَّاءَ سمع بعضَ بني سُلَيْـم يقول: (مكـانكَني): أي انتظـرني في مكانك[٢٧]. فأَضـافُوا اسم الفعل إلى يـاء المتكلم وعاملـوه معاملة الفعـل الذي يُفْصَلُ بنون الوِقاية حين يتّصل بهـا، وقد رأى الفَرَّاءُ أَنَّ اللّفظَ اكتَسَبَ مَعنًى جديدًا مُساويًا لفظة: انتظرني.

وقد وردتْ طائفة من الألفاظ والتـراكيب بدلالاتٍ خاصةٍ عند بني سُليم يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ - نقل صاحب «اللسان» عن الأزهري قـوله: (سمعتُ بعض بني سُلَيم يقول: كمـا أنتني: يقـول: انتظـرني في مكـانك)[٢٨] والـراجح لـدَيَّ أَنَّ كلمـةَ: (أنتني) تعـرضَتْ إلى قلبٍ مكـانِيٍّ في بعض اللهجـات العـراقية المعـاصـرة فأصبحت: (تانيني) وهي تحمل الدلالة نفسها.

٢- سأل الجوهريُّ أعرابيًّا من بني سُليم: ما معنى زُهِيَ الرجل؟ قال: أُعجِبَ بنفسه. وقال له: (أتقول: زَهَى إذا افتخر؟ قال: أما نحن فلا نتكلم به)[٢٩].

٣- روى أبو تُراب عن بعض بني سُليم: تَذَقَّطْتُهُ تَذَقُّطًا وتَبَقَّطْتُهُ تَبَقُّطًا: إذا أخذته قليلًا قليلًا، وتبَقَّطْتُ الخَبَرَ وتَسَقَّطْتُه وتذَقَّطته: إذا أخذته شيئًا بعد شيء[٣٠].

٤- وقال ابن الفَرَج: سمعتُ بعضَ بني سُلَيم يقول: قد رَجَعَ كلامي في الرجل ونجع فيه بمعنًى واحد، قال: ورجع في الدابة العَلَفُ ونجع: إذا تَبينْ أثرهُ[٣١].

٥- قال الجوهريُّ لأعرابيٍّ من بني سُليم: مَا العَوهَقُ؟ قال: الطويل من الرّبد والربد: النبات الطويل[٣٢].

٦- وروى ثعلب عن بني سُلَيم: حشَك القوم على مياههم حَشَكًا بفتح الشين: اجتمعوا[٣٣] وما تزال المفردة تحمل الدلالة نفسها في بعض لهجاتنا المعاصرة.

٧- وروى أبو تُرابٍ عن بعضِ بني سُليم: فلان محافظ على حسبِهِ ومحافِل عليه إذا صانه[٣٤].

٨- وروى أبو تراب عن بعض بَني سُلَيم قولهم: حَمَزَهُ وحَمَظَهُ أي عصَرَه[٣٥].

٩- قال الفراء: (أتاني وما مَأَنْتُ مأنَـهُ أيْ لم أكْتَرِثْ له، وقيل: من غير أن تَهَيَّأْتُ له ولا أعددت ولا عملتُ فيه. وقال أعرابيٌّ من بني سُليَم: أيْ ماعلمت بذالك[٣٦].

١٠- وقد وَرَدَتْ بعضُ ألفاظِهم في القرآن الكريم منها: نكص بمعنى: رجع[٣٧]. وذالك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ على عَقِبَيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكم﴾ (الأنفال/ ٤٨).

١١- (وقال أعرابيٌّ من بني سُلَيم لابن له سمّاه إبراهيم: نَاوَيْتُ به إبراهيم: أيْ قَصَدْت قصدَهُ فتبركت باسمه)[٣٨].

١٢- وقال الأزهريُّ: سمعْتُ أعرابيا من بني سُلَيم يقول: (الشَّجْبُ من الأساقي: مَا تشنَّنَ وأخلَقَ. والشَّجْبُ بالسكون: السِّقاءُ الذي أخلق وبَلِيَ وصار شنًّا[٣٩].

١٣- وقال شارحُ شعر الخنساء مُعلقًا على قولها:

يُؤَرِّقني التَّذَكُّر حِيْنَ أُمْسِي ... فَيُرْدِعُني مع الأَحزانِ نُكْسِي

نُكسي: وهي لغتهم، والنُّكْسُ: عود المرض بعدَ النَقَهِ[٤٠].

الخاتمة: وبعد هذا الوصف لبعضِ ملامحِ لهجةٍ عربيةٍ قديمةٍ يمكن القولُ إنَّ لهذهِ اللَّهْجة خصائص أخرى أغفلها اللُّغويّون، ولم يُشيروا إلى كونها تُمَثِّلُ لهجةَ سُلَيْم أو غيرها من اللّهجات، وذالك مما يؤاخَذُونَ عليه، إذْ لو عُزِيَتِ النصوصُ اللّهجِيَّةُ إلى قبائل بعينها لأمكن الوقوف على صورةٍ صادقةٍ عَبَّرَتْ عن الواقع اللُّغوي السائد في الجزيرة العربية في الجاهلية وصَدْر الإسلام.

وعلى قِلَّة النّصوص اللَّهْجِية التي عُزِيَتْ لقبيلة سُليم فإنها أعطت بعض الملامح التي تُرَجِّح أن القبيلة في العديد من خصائصها اللهجية أمْيَلُ إلى التَّأْثير ليس بالحجاز فحسْبُ بل ببعض قبائل اليمن التي جاورتها، ولا شك في أَنَّ قانونَ التأَثُّر والتأْثير قد حَقَّقَ بعضَ نتائجه في ذالك المضمار، إنَّ عِنَايةَ اللغويين بالبيئات اللّغوية الكُبَرَى ومن بينها القبيلة الأُم لسُلَيْم وهي قبيلة (قيس) التي اتَّسعت بطونها، جَعَلَهُم يَغْفلون حقيقة أنَّ قبيلةَ قيسٍ قد امتَدَّتْ مواطنها على أرجاء واسعة من نَجْد والحجاز وأنها في كلِّ موطن تأَثَّرت بما يُجاورها من اللّهجات على الرغم من محافظتها على صفاتٍ لهجيةٍ مشركة كالإمالة والتّلتلة والإبدال والمعاقبة وغيرها، مما لم يتطلب الوقوف عليه، لأنه لا يشمل سُلَيْمًا بالذات، بل يشمل قبيلة قيس ببطونها وفروعها المُتَّسِعَة.

وبعد هذا الجهد المتواضع الذي اقدّمُهُ طلبًا لخدمةِ العربيةِ وتأريخِها، وسَعْيًا لترصين البحث اللّهْجِيّ وإيلائه اهتمامًا أكبر من لَدُن الدارسين، ولاسيما في مجالِ اللَّهَجات العربية المعاصرة، أقول بعد ذالك كلّه: الحمدُ لله إِنَّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصِيْر،

كلية التربية – جامعة بابل: الدكتور علي ناصر غالب

الحواشي:

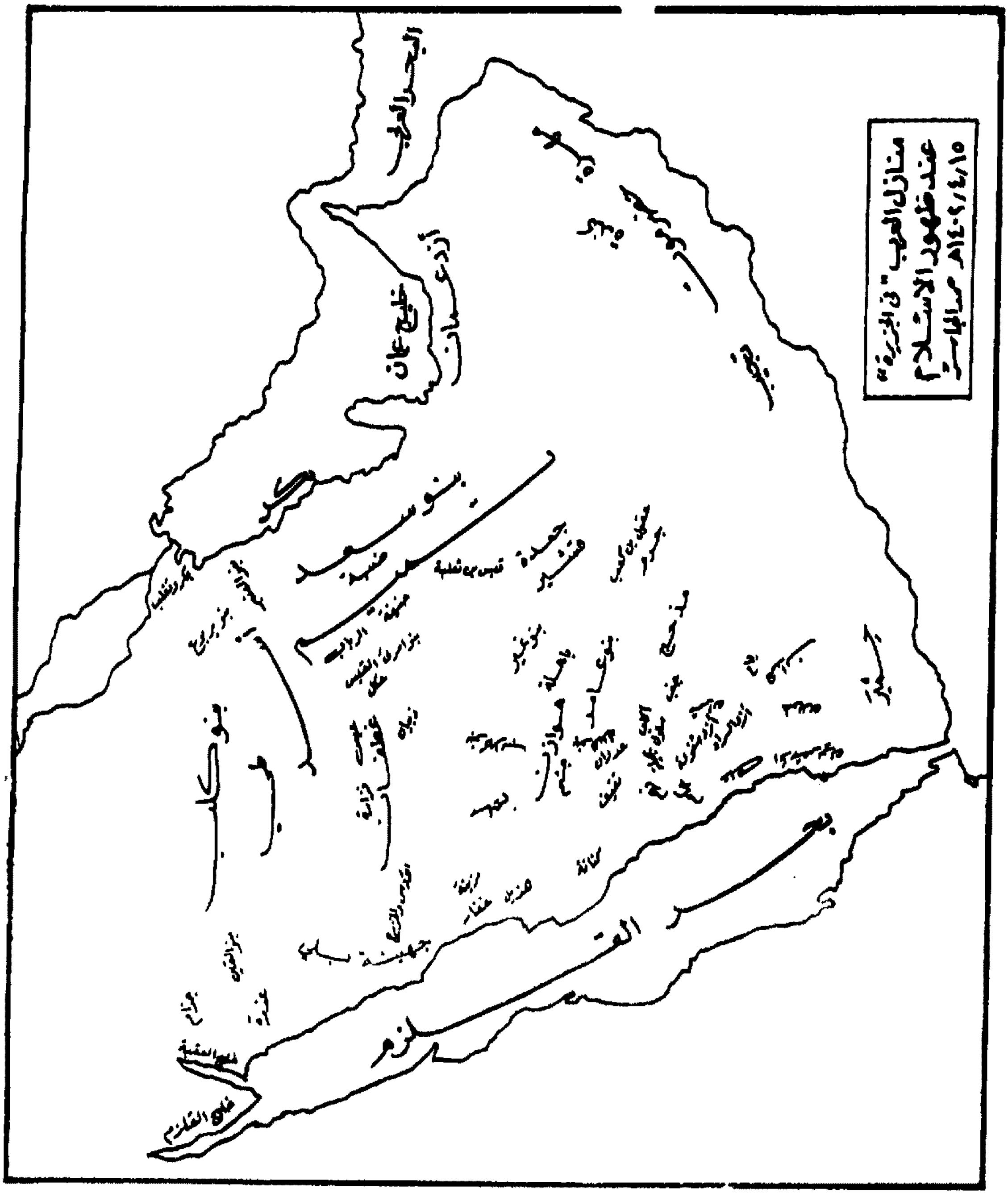
(١) «ارتشاف الضرب»: ١/ ٣٤٦، «اللسان»: (حبب) و (ظنن). وينظر: «اللهجات العربية الغربية القديمة»: ٢٩٥.

(٢) «الكتاب»: ٤/ ٤٢٢.

(٣) «مختصر شواذ القراءات»: ٨٩.

(٤) «ديوان الخنساء»: ٣١٧.

(٥) «شعر الشنفرى الأزدي»: طبع (دار اليمامة).



"منازل العرب" في الجزيرة
عند ظهور الإسلام
١٥/٤/١٤٠٩هـ
البحر العربي
خليج عمان
أزد عمان
بنو سعد
بنو كلب
بحر القلزم

(٦) «العين»: ٣/ ٢٨٥ (حيث). (٧) «اللسان»: (حيث)، تاج العروس: (حيث).

(٨) «الكتاب»: ٣/ ٢٨٦.

(٩) «التعليقات والنوادر»، للهجري، تحقيق الشيخ حمد الجاسر: ٣٣/ ١٠٩٥ (حيث).

(١٠) «منهج السالك»: ٢٥٦. (١١) «اللسان»: (منذ).

(١٢) «اللسان»: (منذ) و «الهمع»: ١/ ٢١٦.

(١٣) «اللسان»: (منذ)، «منهج السالك»: ٢٥٦ «الهمع»: ١/ ٢١٦، «شرح اللمع» لابن بَرْهان العكبري: ١/ ١٩٠ «تاج العروس»: (منذ).

(١٤) «اللسان»: (منذ)، «منهج المسالك»: ٢٥٦.

(١٥) «الإنصاف في مسائل الخلاف» ١/ ٣٨٢.

(١٦) «الكتاب»: ١/ ١٢٤، «الصحاح»: ٥/ ١٨٠٧ (قول) «شرح المفصل»: ٧/ ٧٩ «المقرب»: ٣٢٣، «البحر المحيط»: ١/ ١٤٠ «الارتشاف»: ٣/ ٧٨، «التعليقات والنوادر»: ٣/ ١٠٩٥، «الجامع الصغير في النحو»: ٧٣ «لسان العرب»: (يمن) «شرح ابن عقيل» ١/ ٤٤٩، «خزانة الأدب»: ٩/ ١٨٥.

(١٧) «ديوان امرئ القيس»: ٥٣. (١٨) «من شواهد الكتاب»: ١/ ١٢٣ و ١٢٤.

(١٩) من الدواوين التي عُدْتُ إليها: «ديوان الخنساء» و «ديوان العباس بن مِرداس» و «ديوان خُفاف بن نُدبة السُلمي».

(٢٠) «البحر المحيط»: ١/ ١٤٠، «الارتشاف»: ٣/ ٨٠ ولم أعثر على القائل فيما عُدْتُ إليه من مصادر.

(٢١) يُنظر في ذلك: «شرح جمل الزجاجي»: ٢/ ٤٦٣، و «الارتشاف»: ٣/ ٧٨ - ٧٩ و «شرح ابن عقيل»: ١/ ٤٤٦.

(٢٢) يُنظر «شرح ابن عقيل» (الهامش): ١/ ٥٨ - ٥٩.

(٢٣) «البحر المحيط»: ٦/ ٢٧٢.

(٢٤) ينظر في القراءة: «مختصر شواذ القراءات»: ٨٩.

(٢٥) «أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية»: ٦٨. (٢٦) «الارتشاف» ١/ ٤٧٠.

(٢٧) «لسان العرب»: (عند) و (انتن).

(٢٨) نفسه: (زها). (٢٩) نفسه: (بقط)، (ذقط).

(٣٠) نفسه: (رجع). (٣١) نفسه: (عهف).

(٣٢) «اللسان»: (حشك). (٣٣) نفسه: (حفل).

(٣٤) نفسه: (حظم). (٣٥) نفسه: (ماءن).

(٣٦) «لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم»: ١١٦.

(٣٧) «اللسان»: (نوى). (٣٨) نفسه: (شجب).

(٣٩) «ديوان الخنساء»: ٣٢٥.

تعقيب على (أبحاث لغوية):

(أولاً) و (سَلاسِلاً)
عَرَبِيَّتَان فَصِيحَتَانِ مَحْكِيَّتَانِ

جاء في مجلة «العرب» س ٣٢ ص ٦١٦ تحت (بحث لغوي) للأستاذ الدكتور يحيى جبر، رئيس محمع اللغة العربية الفلسطيني ما نَصَّهُ:

(٢- وتنوين (أوّل) خطأ متفش)

يندر أن نجد من يستخدم هذا اللفظ في سياق دون أن يخطئ فيه، لا سيما إذا كان في حال النصب، إذ أن أكثر الناس على تنوين (أولًا)، وما هذا بصحيح، لأن بناءه على زنة أَفْعَلَ الذي مؤنثه فُعْلَى، نقول: أولَ، أُوْلى، مثل: آخر، أصغر، صغرى، وحق هذا جميعًا أَلَّا تصرف. ونعتقد أن أهل اللغة وقعوا في الخطإ لسببين هما:

١ - وهمٌ قديم نجم على إطلاق فتحته، على نحو ما نجده في الشاهد النحوي:

يساقط عن روقه ضارياتها سِقاط شَرَارِ الْقَيْنِ أَخْولَ أَخْولا

من إثبات ألف في آخر الحال المبنية على فتح الجزأين، إذ هي في حقيقة الأمر فتحة مشبعة غدت ألفًا.

ونعتقد أن (أولًا) كانت باديَ الأمر أَوَّلَ، ثم مدت الفتحة في الكتابة فغدت ألفًا (أولًا) وجاء مَنْ ظَنَّ عقب ذالك أنها الألف التي تحمل التنوين، فنونها.

٢ - ونظرًا لاستطارة اللفظ وشيوعه في حال النصب، فقد غدا ذالك فيه مألوفًا على ما فيه من خطإ، وفي الرسم القرآني ما يلتبس على الجاهل مع وفرة الضوابط المحكمة التي تنظم قراءته، ومن ذالك الألف في آخر كلمة سلاسلَ (الممنوعة من الصرف) من قوله تعالى: ﴿سلاسلا وأغلالًا وسعيرًا﴾ إذ نجد الفتحة أُتبعت بألف كألف التنوين، لولا ما اعتلاها من إشارة السكون (ہ) التي تشير إلى عدم لفظها وتنوينها، خلافًا لألفي (أغلالًا) و (سعيرًا). وقد توهم بعضهم ذالك تنوينًا

فسارع إلى القول في القرآن الكريم خطأ، وقد تصدينا لذالك في محاضرة عامة في (جامعة النجاح الوطنية) بنابلس في أعقاب توزيع أوراق تطعن في القرآن الكريم). انتهى كلام الدكتور يحيى جبر.

أولاً:

وبعد حمد الله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. فإني أريد أن أبسط القول في إعراب (أوَّل)، فأذكر حالاتها من إعراب وبناء، منوّنةً وغيرَ منونة، مؤيدًا ما أذكره بنصوص النحاة واللغويين فيها، مع ذكر الشواهد الوارد عن العرب المحتج بهم، والمستشهد بكلامهم.

وأوضح أن (أوَّلَ) له جميع أحوال أسماء الجهاتِ، كـ (قبل) و (بعد) وغيرهما.

فيجوز: (جئتُ أوَّلَ الأمرِ، وجئت من أوَّلِ الأمرِ، وجئت أوَّلًا وآخِرًا، وابْدأ بِذَا من أوّلَ، ومن أولِ، ومن أوّلُ).

ومعنى (أوّل) في أول الشيء: أسبق أجزائه. وهو نقيض (الآخِر) مؤنثه (أُوْلَى).

أصل (أوّل): ذكر النحاة في أصله أقوالًا:

(١) (أأْوَل) على زِنة (أَفْعَل) بهمزتينِ، فقلبت الهمزة الثانية واوًا، وأدغمت في الواو الأخرى.

(٢) (أَوْ أَل) على زنة (أفعل) مهموز الوَسَط، فقلبت واوًا للتخفيف، وأدغمت في الواو. قاله الجوهري.

وجمعه على (أوائل) و (أوالٍ) أيضًا على القلب. (أي: جعل العين مكان اللام) يقال: (جاءَ في أوائل القوم) جمع (أوّل)، أي: جاء في الذين جاؤوا أوّلًا. ويجمع بالواو.

(٣) (وَوْوَل) على زنة (فَوْعلٍ) فقلبت الواو الأولى همزة. وهذا رأي الكوفيين. واستعماله بـ (مِنْ)[1] مبطل لكونه (فوعلًا) وإنما لم يجمع على (ووالٍ) لاستثقالهم اجتماع الواوين، وبينهما ألف جمع[2].

وقـال الفيـوميُّ في «المصبـاح المنيـر» (أوّل ص : ٣٠): أمـا وزن (أَوّل) فقيل: (فَوْعل) وأصله (وَوْوَلٌ) فقلبت الواوُ الأولى همـزة. وقال المحققون: وزنُهُ: (أفْعَل) من: آل يَئُول، إذا سبقَ وجـاء. ولا يلزم من السبق أن يلحقه شيءٌ، تقـول: (هذا أولُ مـا كسبتُ)، وجـائز أن لا يكـون بَعْدَه كسبٌ آخَـرُ، والمعنى: هـذا ابتـداءُ كسبي. والأصل: (أأْوَلُ) بهمزتين لكن قلبت الثانية واوًا وأدغمت في الواو.

قال الرضيُّ فـي «شرح الكافية» (٣ : ٤٦١): (أوّل) كـ(أسبق) مَعْنًـى وتصريفًا واستعمالًا، تقـول في تصريفـه: الأوّل، الأوّلان، الأوّلون، الأوائل، الأُولـى، الأُوليان، الأوليات، الأُوَل.

أصل (أُولىٰ): قال ابن يعيش في «شرح المفصل» (٦ : ٩٧): (وُولىٰ) على وزن (فُعْلَىٰ) بواوين فقلبـت الواوُ الأولىٰ التي هي فاءُ الكلمـة همزةً لاجتمـاع الواوين. وجمع المـؤنث (أُوَل) على حدّ الأصغـر، والصغرىٰ، والصُّغَـر، والأكبر، والكبـرىٰ، والكُبَر. وفي التنزيل: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾[٣].

استعمال (أوّل): لِـ(أوّل) استعمالان:

الاستعمال الأول: أن يكون اسمًـا فينصرف. ومنـه قولهـم: (مالـه أَوّلٌ ولا آخِرٌ) ولقولهم: (ما رأيت له أوّلًا ولا آخرًا) أي: قديمًا ولا حديثًا[٤].

قـال سيبويـه في «الكتاب» (٢: ٢٨٨): وقـد جعلوه اسمًـا بمنزلـة (أفكل)[٥]، وذالك قول العرب: (ما تركتُ له أوّلًا ولا آخِرًا).

وقال الأعلم الشنتمري في «النكت» (٢: ٨٦٢) عن بيت «الكتاب»:

يـــا لَيْتَهـــا كـــان لأهلي إبـــلا أو هُـــزِلَتْ في جَـــدْبِ عـــامٍ أَوّلَا

فنصب (أوّلًا) على الظرف، ويجوز أن يكون نَعْتًا لـ(عامٍ).

وكان الـزَّجّاج يجيـزُ مَنْعَ صَرْفِهِ على تقـدير عَـدْلِهِ عن الألف والـلام، كما مُنِعَ (أَمْسِ) الصـرفَ في لغة بني تميم، لأنـه استُعْمِل في الكلام بغيـر إضافـة ولا ألفٍ ولامٍ، فصار كـ(آخِر) و(أمسِ) في لغة تميم.

وقال ابن يعيش في «شرح المفصل» (٦: ٩٩): الشاهد في البيت: حذفُ (مِنْ) من الصفة، وهو يريدها، ولذالك لم يصرف (أوّل) وهو مخفوض على الصفة لـ (عام).

ويجوز أن يكون منصوبًا على الظرف، أي: في جدب عام قبل هذا العام. يتحسّر الشاعر على ذهاب إبله في أخصب سنة، ويتمنى لو أنها غنمها أهلُه، أو هلكتْ في عام الجدب.

وقال المبرد في «المقتضب» (٣ : ٣٤٠): ويكون (أول) اسمًا، كقوله: (ما تركت أوَّلًا ولا آخِرًا) كما تقول: ما تركت له قديمًا ولا حديثًا.

وفي «شرح نهج البلاغة» (٦ : ٢٤١): قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه في خطبةٍ له: (وأومِنُ به أوَّلًا باديًا).

(أوَّلًا) ها هنا منصوب على الظرفية، كأنه قال: قبل كلِّ شيء، و (الأول) نقيض (الآخِر).

وقال ابن يعيش في «شرح المفصل» (٤ : ٨٨): المضاف إليه من تمام المضاف، إذ كان معرفًا له بمنزلة اللام من (الرجل) و (الغلام). فإذا حذف المضاف إليه مع إرادته كان ما بقي كبعض الاسم، وبعضُ الاسم لا يستحق الإعراب.

وأما إذا حذف ولم يُنْوَ ثُبوتُه ولا التعريف به كان المضاف تامًا، فيعرب كسائر النكرات، نحو: (فرس) و (غلام) فتقول: (جئت قبلًا وبعدًا) و (من قبلٍ ومن بعدٍ). وأما قول الشاعر:

فساغَ لي الشرابُ وكنتُ قَبْلًا ... أكادُ أَغَصُّ بالماءِ الحميم[٦]

فشاهد على إعراب (قبل) حيث حيث حُذفَ منها المضافُ إليه ولم يُنْوَ.

وقرئ: ﴿لله الأمرُ من قبلٍ ومن بعدٍ﴾[٧] بالجر والتنوين، على إرادة النكرة، وقَطْعَ النظر عن المضاف إليه.

وقرأ الجحدري وعون العقيلي: ﴿من قبلِ ومن بعدِ﴾ بالجر من غير تنوين على إرادة المضاف إليه، وتقدير وجوده.

ومثلُه في إرادة النكرة قولُهم: (إبْدأ بِذَالك أوَّلًا) أي: مقدمًا.

وفي «شرح الكافية» (٣: ١٦٩): ويقال: (ابدأ به أوَّلًا).

وفي «شرح المفصل» (٦ : ٩٨): قد استُعْمِلَ (أول) الذي هو صفة ظرفًا، نحو استعمالهم (أسفل) ظرفًا من قوله تعالى: ﴿والركبُ أسفَل منكم﴾[٨].

قال الزمخشري في «الكشاف» (٣ : ١٩٧): وقرئ: ﴿من قبلِ ومن بعدِ﴾ على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه، كأنه قيل: قبلًا وبعدًا، بمعنى أولًا وآخرًا.

الاستعمال الثاني: أن يكون صفة على وزن (أفعل) إذا كان معه (مِنْ)، ويمنع من الصرف[٩].

قال سيبويه في «الكتاب» (٢ : ٢٨٨): وسألت الخليل عن قولهم: (مذعامٌ أوّل) و (مذعامٍ أوَّلَ).

فقال (أول) هاهنا صفة، وهو (أفْعَلُ من عامِك)، ولكنهم ألزموه الحذف استخفافًا[١٠]، فجعلوا هذا الحرف بمنزلة (أفضل منك).

قال المبرد في «المقتضب» (٣ : ٣٤٠): يكون (أوّل) نعتًا موصولًا به (من كذا).

نحو: هذا رجلٌ أوَّلُ منك، وجاءني هذا أوَّلَ من مجيئك، وجئتك أوَّلَ من أمسِ.

وقال الفيومي في «المصباح المنير» (أول ص : ٣٠): تقول: (عامٌ أوَّلُ) إن جعلتَهُ صفةً لم تصرفه لوزن الفعل والصفة.

وإن لم تجعله صفةً صَرَفْتَ. وجاز (عامُ الأوّلِ) بالتعريف والإضافة.

وقال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» (٦ : ٢٤١): وإذا جعلت (الأول) صفة لم تَصْرِفْهُ، نحو: (لقيتُه عامًا أوّلَ) لاجتماع وزن الفعل.

ونحو: (ما رأيتُه مذعام أوّلَ)، كلاهما بغير تنوين، فَمَنْ رفع جعله صفة

لـ(عام)، كأنــه قال: أوّل من عامنا. ومَنْ نصب جعلـه كالظرف، كأنه قــال: مذعام قبل عامنا، فإن قلتَ: (ابْدأ بهذا أوَّلُ) ضممته على الغاية.

● فالحاصل أن لـ (أوّل) استعمالان - كما أوضحته -:

أحدهما: بمعنى سابق ومتقدِّم، وينون على هذا.

وثانيهما: بمعنى أسبق، ولا ينون على هذا[11].

وبعـد أن ذكـرتُ معنى (أوّل)، وأصلَهـا، وأصلَ (أُولىٰ)، وذكـرت الاستعمـالين لــ(أوّل)، مـوضحًا ذالـك بنصوص العلمـاء كـالخليل، وسيبـويـه، والأعلم، وابن يعيش، والرضي، وغيرهم، فأريد أن أذكر حالاتهـا الأربعة التي تكون لها كما تكون لأسماء الجهات الست من أقوال العلماء.

قال الشيخ خـالد الأزهـري في «التصريح»[12] في (باب الإضـافة) (٢ : ٥١): ومنها - أي: مـن الظروف المقطوعـة عن الإضـافة - (أوّلُ) مقابـل: آخِره و (دون) وأسماء الجهات الست: كيمين، وشمـال، ووراء، وأمام، وفوق، وتحت. وهي على التفصيل المذكور في (قبل) و (بعد) من أنهـا إذا أضيفت لفظًا أُعربت نصبًا على الظرفية، أو خفضًا بـ (من).

وإذا لم تضف لا لفظًا ولا تقديرًا أعربت الإعرابَ المذكور ونُوِّنت.

وإذا حُذف المضاف إليها: فإن نُوي لفظه أَعرَبت الإعرابَ المذكور، ولم تُنَوَّنْ.

وإن نُوي معناه بُني على الضم.

نحو: جاء القومُ وأخوكَ خلفُ، أو أمامُ - بالضم فيهما.

والمراد: خلفَهم، أو أمـامَهم، ولكن حُذف المضـاف إليهما ونوي معنـاه، وبُنيا على الضمْ.

قال رجل من بني تميم:

لَعَنَ الإلٰـهُ تَعِلَّـةَ بـنَ مُسـافـرٍ لَعنـا يُشَـنُّ عليـه مـن قُـدَّامُ

والأصل: من قـدامـه. فحذف المضـاف إليـه ونوي معنـاه فبنـاؤه على الضم. و(تَعِلَّة) عَلَمُ رجلٍ، و (يُشَنُّ) يُصَبُّ.

وقال معن بن أوس:

لَعَمْـرُكَ مـا أَدْرِي وإنّـي لَأَوْجَلُ على أيِّنـا تَغْـدُو المَنِيَّـةُ أَوّلُ

بالضم، والأصل: أوّل الوقتين، وذلك لأنَّ لكلّ منهما وقتًا يموت فيه يقدر أحدهما سابقًا ولا يُعْرَفُ عَدْوُ المنية في أوّل الوقتين المقدرين لهما على أيِّ الرجلين.

وحَكى أبو علي الفـارسيُّ: (ابدأ بـذا من أول) بالضم على نيـة معنى المضاف إليه، والأصل: من أوّل الأمر.

وبـالخفض على نية لفظـه، وبـالفتح على نية تـركهمـا - أي: المضاف لفظًـا ومعنًى-. ومَنعِهِ من الصرف للوزنِ والوصفِ، لأنه اسم تفضيل بمعنى (الأسبق).

واستفيد من حكاية أبي علي أن (أوّل) له استعمالان: أحدهما: أن يكون اسمًا، كـ(قبل). والثاني: أن يكون صفة، كالأسبق.

وفي «حـاشية يـس على التصريح» (٢: ٥١ - ٥٢): قـال (اللقـاني): اعلم أن (أول) يصح فيـه أن يعتبر واقعًـا على زمـان مقدرًا بمعنـى (في) فيكون كــ(قبل)، فينصب على الظرفية، معرّفًا أو منكـرًا منونًا نحو: (جئت أوّل الناسِ) أو (أوّلًا). أي: في أول أزمنة مجيء الناس. أو بضم كـ(جئتك أوّلُ).

وأن يعتبر صفة لموصوف به من زمانٍ أو غيره فيمنع من الصرف، فيجرُّ بالفتحة، وينصب على الحال أو غيـره، ومعناه متقدم، نحـو: (جئتك أولَ الناسِ) أوْ (أوّلًا). أي: متقدمهم أو متقدمًا.

و (رأيت أوّل) أي: شخصًا متقدمًا.

فـ(أول) بهذا المعنى أَوَّلِيَّتُه باعتبار عامله أو غيره.

وقال الرضي في «شرح الكافية» في (اسم التفضيل) (٣ : ٤٦١): لمَّا لم يكن لفظ (أوّل) مشتقًّا من شيء يستعمل على القول الصحيح. يعني أنه (أَفْعَل) من (وَوَل) لا مما استعمل منه فعل كـ (أحسن)، ولا مما استعمل منه اسم كـ (أَحْنَكَ)، خفي فيه معنى الوصفية، إذ هي إنما تظهر باعتبار المشتق منه، واتّصاف ذالك المشتق به، كـ (أعلم)، أي: ذو علم أكثر من علم غيره، وأحنك، أي: ذو حنك أشدَّ من حنك غيره.

وإنما تظهر وصفية (أوّل) بسبب تأويله بالمشتقّ، وهو (أسبق). فصار مثل: (مررت برجل أسد) أي: جريء، فلا جرم لم يعتبر وصفيته إلا مع ذكر الموصوف قبله ظاهرًا، نحو (يومًا أوّل).

أو ذكر (مِن) التفضيلية بعده ظاهرة، إذ هي دليل على أن (أفعل) ليس اسمًا صريحًا، كـ (أَفْكَل) و (أَيْدع)[١٣].

فإن خلا منهما معًا ولم يكن مع اللام والإضافة دخل فيه التنوين مع الجر، لخفاء وصفيته، وذالك كقول علي - رضي الله عنه -: (أحمده أوّلًا بادئًا).

ويقال: (ماتركت له أوّلًا ولا آخِرًا) انتهى.

والخلاصة: أن تنوين (أوّل) جائزٌ إذا كان اسمًا غير صفة، فيكون بمعنى (سابق متقدم)، نحو: لقيته عامًا أولًا، وماله أوّل ولا آخِرٌ.

ويؤيد ذالك ما جاء في «سنن الترمذي» في (كتاب الصلاة) (١ : ٢٨٣) من حديث أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ للصلاةِ أوّلًا وآخِرًا، وإنَّ أوَّل وقتِ صلاة الظُّهرِ حين تَزُولُ الشمسُ». الحديثَ.

وما جاء في «الموطأ» في (كتاب الأقضية - باب القضاء في المرفق) (٢ : ٧٤٦) حَدَّث مالك بسنده أنَّ الضَّحَّاك بنَ خليفة[١٤] ساق خليجًا له من العُرَيْض. فأراد أنْ يَمُرَّ به في أرض محمد بنِ مَسْلَمَةَ[١٥] فأبى مُحَمَّدٌ فقال له الضحَّاكُ: لِمَ تَمْنَعُنِي؟ وهو لك منفعةٌ، تَشْرَبُ به أولًا وآخِرًا، ولا يَضُرُّكَ. فأبى محمدٌ، فَكَلَّمَ فيه

الضحاكُ عمرَ بنَ الخطابِ. فدعا عمرُ بن الخطاب محمد بن مسلمة فأمَرَهُ أن يُخَلِّيَ سبيلَهُ. فقال محمدٌ: لا، فقال: عمرُ لِمَ تَمْنَـعُ أخاكَ ما يَنْفَعُهُ؟ وهو لك نافِعٌ. تَسْقِي به أوَّلًا وآخِرًا، وهـو لا يَضُرُّك. فقال محمدٌ: لا. فقال عمر: والله لَيَمُـرَّنَّ به ولو على بَطْنِكَ. فأمَرَه عُمَرُ أن يَمُرَّ به. ففعل الضحّاك.

وأفاد البـاجي في «المنتقى» (٦ : ٤٦): ساق خليجًا له، وهـو الماء يختلج من شق النهر. و العُـرَيض: موضع، أو نهـر بقرب بـالمدينة، وكـان بين الخليج وأرض الضحـاك أرض لـ محمـد بن مسلمـة فأراد أن يمره فيـه فمنعـه محمد بن مسلمـة فاحتج عليه الضحاك بأن قال له: لِـمَ تمنعني ولك فيه منفعة، تشرب منه أوّلًا وآخرًا ولا يضرك؟

وقـول عمـر لــ مسلمـة: (والله ليمـرّنّ بـه ولـو علـى بطنك) دليل على اعتبـار المقاصـد دون الألفاظ في الأيمـان، لأنه لا خلاف أن عمـر لا يستجيز أن يمـر به على بطن محمد بن مسلمة إلخ..

وقد عقد عبدالـرحمن الهمذاني (ت ٣٢٠هـ) في «الألفاظ الكتابيـة» بابًا فقال فيه: (باب فِعْلِ الشيء أوّلًا وآخرًا) يقال: أحسن أو أساء فلان أوّلًا وآخرًا.

● وحينمـا أردت أن أوقف عِنَـانَ القلم عن الاسترسـال فـي الكتابـة عن كلمـة (أوّلًا) بما أوجـزته التقيت بأخٍ أديبٍ قد امتطى صهـوات البيان[١٦] فناولنـي قطعة ورقٍ فيها بيتان من شعر «المتنبي». أحدهما قولُه:

وأنت الـــذي تغشىٰ الأسنـــة أوّلًا ... وتَأْنَـفُ أَنْ تَغْشىٰ الأَسِنَّـــة ثـــانيـــا

قال أبو العلاء المعري: يعني: أنت تطاعن الخيل قدمًا، وتأنف أن يتقدم عليك أحد[١٧]. والبيت الآخر وشرحه:

فـالحمـدُ قبلُ لـه، والحمدُ بعـدُ لهـا ... ولِلْقَنَـــــا ولِإدْلَاجـي وتَـأْويبـي

قال المعري: الحمدُ أولًا لك، إذ كان كـرمُك هو الباعث على قَصْدك، ثم بعد ذلك

لخيلي، لأن وصلت بها إليك، وكذالك لسيري ليلًا ونهارًا حتى وصلتُ إليك[١٨] انتهى، أقول: المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، والمعري المتوفى سنة ٤٤٩هـ وإن كانا ممن لا يحتج بقولهما، ولكنهما خير من يُستأنس بكلامهما في اللغة فَنَعُدُّ ما يقولان بمنزلة ما يرويان.

وكان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب في النظم والنثر. سأله أبوعلي الفارسي: كم لنا من الجموع على وزن (فِعْلَى)؟ فقال المتنبي في الحال: حِجْلَى، وظِرْبى[١٩]. قال أبو علي: فطالَعْتُ كتب اللغة ثلاث ليالٍ عَلّي أن أجد لهذين الجمعَيْن ثالثًا فلم أجد. وحسبك مَنْ يقول أبو عليّ في حقه هذه المقالة. وقرأ عليه ابنُ جنِّي ديوانه[٢٠].

وأما أبو العلاء فقد كان عالماً باللغة، حاذقًا بالنحو، جيِّد الشعر، جزل الكلام، عجبًا في الحافظة، وشُهْرَته تغني عن صِفَتِه[٢١].

● وبهذا أكون قد أثبت ورود (أوّلًا) بالتنوين إذا كانت اسمًا غير صفة، ومعناها (سابق متقدم)، وهي في هذه الحالة مقطوعة عن الإضافة لفظًا ومعنى، محتجًّا بكلام أفصح العرب نبينا - عليه الصلاة والسلام - وكلام عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب والضحاك بن خليفة - رضي الله عنهم - وكلام العرب. كما حكاه سيبويه والمبرد واللغويون.

وأما نحو: (ابدأ به أوّلُ) فلا يقال: (ابدأ به أولًا)[٢٢]، لأن موقع (أولًا) هنا على إرادة معنى الإضافة، إذ التقدير: ابدأ به أوّل الناس.

ولابدّ من الدقة في استعمالها، ومعرفة معناها وحالاتها، كي لا تتداخل حالاتُها فتلتبس المعاني، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(سلاسلاً):

أمَّا (سلاسلًا) بالتنوين فأقول وبالله التوفيق: قد قرأ به جماعةٌ من القرّاء السبعة، فهي إذًا متواترة. وإليك البيان: قال الله تعالى في (سورة الإنسان) وتسمى

(سورة الدهر) عند الآية الرابعة: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا للكافرينَ سَلَاسِلَاْ وأغلالًا وسعيرًا﴾ قرأ نافع المدني - ١٦٩ هـ، و شعبة وهو أبو بكر بن عَيّاش - ١٩٣ هـ في روايةٍ عن عاصم بن أبي النَّجُود الكوفيّ - ١٢٧ هـ والكسائيّ وهو علي بن حمزة الكوفيّ - ١٨٩ هـ: (سلاسلًا) بالتنوين وَصْلًا، وبإبداله ألفًا وقفًا.

وقرأ الباقون (سلاسَلاْ) بحذف التنوين وصْلًا. وهم في الوقف على ثلاث فرقٍ:

(١) أبو عمرو بن العلاء، البصريّ - ١٥٤ هـ: الوقف عن (سلاسلا) بالألف.

(٢) وحمزة بن حبيب، الكوفيّ - ١٥٦ هـ، ورواية خلف بن هشام - ٢٢٩ هـ: الوقف على (سلاسلا) بغير ألف.

(٣) وابن كثير المكيّ - ٢٩٦ هـ. وابن عامر، الدمشقي - ١١٨ هـ - وحفص ابن سليمان - ١٨٠ هـ في رواية عن عاصم أجازوا الوقف على (سلاسلا) بالألف، وبغير ألفٍ.

اقتصرت هنا على ذكر قراءة القرّاء السبعة وبعض رواتهم في قراءتهم (سلاسلا).

كما قرأ أبو جعفر المدني - ١٣٠ هـ (القارئ الثامن) (سلاسلًا) بالتنوين.

وقال ابن مجاهد: حدثني ابن الجهم عن خلف والهيثم عن عبيد عن (شبْل) عن ابن كثير: (سلاسلًا) بالتنوين.

وقرأ هشام بن عمّار الدمشقي ٢٤٥ هـ راوي ابن عامر: (سلاسلًا) بالتنوين.

راجع «السبعة» (ص: ٦٦٣) و «المبسوط» (ص: ٣٨٩).

وقال ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٧٣٧: قرأ نافع وأبو بكر والكسائي: (سلاسلًا) بالتنوين وقرأ الباقون (سلاسلَ) بغير تنوين، لأن (فعالل) لا تنصرف. و كلُّ جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدّد، أو حرفان خفيفان، أو أكثر فإنه لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، نحو: (مساجد) قال الله تعالى: ﴿ومساجدُ يُذْكَرُ فيها اسمُ الله كثيرًا﴾ (الحج: ٤٠).

وحجة من صرف أمران:

أحدهما قال الفـراء: إن العرب تُجري[٢٣] مالا يُجرَى في الشعـر، فلو كان خطأً ما أدخلوه في أشعارهم، فكذلك هاؤلاء أجْرَوْا (سلاسلًا).

الوجه الثاني: أنهم اتبعوا مرسوم المصـاحف في الوصل والوقف، لأنها مكتوبة بـالألف، وإن لم تكن رأس آيـة، فهي تشاكـل رؤوس الآي؛ لأن بعدهـا ﴿أغلالًا وسعيرًا﴾.

قـال مكي في «الكشف» (٢ : ٣٥٢): قولـه: (سَلاسِـلا) قرأه نـافع، وأبو بكـر وهشام والكسائي بالتنوين.

وقرأ الباقون بغير تنوين. وكلهم وقف عليـه بالألف، إلا حمزة وقنبلًا فإنهما وقفا بغير ألفٍ.

وحجة من نَوَّنَهُ: أنه حمله على لغةٍ لبعض القبائل...

القرآن، سرُّ بقاء اللغة العربية، وميزان تقويمها: أما القول بأن في القرآن الكريم خطأً فأولئك القـائلون قـومٌ قد دَسُّـوا رؤوسهم في التراب فأصمهم الله - تعـالى - وأعمى أبصارهم عن بيان القرآن وجماله، وأنه بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة.

ومحاسنُ أنواره لا يَثْقَفُها إلا البصائرُ الجليَّةُ، وأطيبُ ثمره لا تقطفها إلَّا الأيدي الزكية، ومنافع شفائه لا ينالُها إلا النفوس النقية، كما صرَّح سبحانه وتعالى به فقال في وصف متناوليه: ﴿إنه لقرآن كريمٌ. في كتـاب مكنون. لا يَمَسُّهُ إلَّا المطهرون﴾ (الواقعة: ٧٧، ٧٨، ٧٩).

والقرآن الكريم نزل بلغةِ العرب ولسانِهم، وعلى نهج كلامهم، وجنس ألفاظهم، ويؤكِّد لنا هذا قوله تعالى: ﴿وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبِيْنٌ﴾ (النحل: ١٠٣)[٢٤].

● والقراءة الصحيحة من كتاب الله - لا يجوز رَدُّها، ولا يحلُّ إنكارها. فقد أفاد ابن الجَزَري (ت ٨٣٣ هـ) في «منجد المقـرئين» (ص : ١٥) أن القراءة المتـواترة المقطوع بها:

(١) هي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجهٍ من الإعراب.

(٢) ووافقت أحد المصاحف العثمانية التي وجهها عثمان- رضي الله عنه - إلى الأمصار.

(٣) وتواتر نقلها. و المتواتر ما رواه جماعة عن جماعة، كذا، إلى منتهاه.

فهذا مقطوع به أنه مُنَزَّل على النبيّ ﷺ من الأحرف السبعة، يفيد العلم من غير تعيين عددٍ. هذا هو الصحيح.

كما أفاد في «النشر في القراءات العشر» (١ : ٩ - ١٠): أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجهٍ، ووافقت أحَدَ المصاحف العثمانية، وصحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها ، ولايحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

وقال: قلت: (وقولنا في الضابط ولو بوجهٍ) نريد به وجهًا من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحًا، مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم، والركن الأقوم.

وقال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ): وأئمةُ القراءة لا تعمل من القرآن في شيءٍ عن الأفشىٰ في اللغةِ، والأقيس في العربيةِ، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتَتْ عنهم لم يَرُدَّهَا قياسُ عربيةٍ، ولا فشوُّ لغة؛ لأن القراءة سنةٌ متبعةٌ، فلزم قبولُها والمصيرُ إليها[٢٥]، انتهى.

أما التنوين في (سلاسلًا) فليناسب التنوين الذي يليه في (أغلالًا).

والتناسب لأجل الفاصلة غرضٌ مطلوبٌ عند العربي الفصيح.

قال الرضي في «شرح الكافية» (١ : ١٠٦): قال الأخفش: إنَّ صرف ما لا

ينصرف مطلقًا - أي: في الشعر وغيره لغة الشعراء.. لإقامة الوزن، فتمرن على ذالك ألسنتهم، فصار الأمر إلى أن صرفوه في الاختيار [أي: في النثر] أيضًا، وعليه حمل (سلاسلًا، وأغلالًا، وقواريرًا).

وقال هو والكسائي: إن صرفَ مالا ينصرف مطلقًا لغةُ قومٍ إلَّا (أفعل منك).

وقال الزركشي في «البرهان» (١: ٦٠، ٦٦): إن إيقاعَ المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطَّرِدُ متأكّد جدًّا، ومؤثر في اعتدال نَسَقِ الكلام، وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا، لذلك خرج عن نَظْمِ الكلام لأجلها في مواضع.. منها: صرف ما أصله ألَّا ينصرف.. كقوله تعالى: ﴿سَلاسِلًا، وأغلالًا﴾ فإن (سلاسلًا) لما نظم إلى (أغلالًا وسعيرًا) صُرِفَ ونُوِّن للتناسب..

ولا أريد أن أفيض في هذه المسألة فقد سبق أنني كتبت بحثًا مسهبًا حول ضرائر النثر في النحو العربي بعنوان (قضايا نحوية حول التناسب في الفاصلة القرآنية) في مجلة «العرب» س ٢٢ ص ٧٧٥ وما بعدها.

فلا أعيد الكلام، وأكتفي هنا بما أوردته بالإشارة والتلويح.

وأقول للأخ الدكتور يحيى جبر: لا تعبأْ بهاؤلاء المنتفخين المنتفشين الذين امتلأت نفوسُهم حقْدًا على كتاب الله - عز وجلّ - فيحاولون أن يتلمسوا ثغرة فيه- حسب دعواهم - ينفذون إليها فيذيعونها ويُشَهِّرون بها، ويزعمون أن في القرآن الكريم لحنًا، وهم لا يعرفون أن يقرؤوا آيةً منه، فضلًا عن تلاوته كاملًا، وهم لم يتذوقوا البلاغة ولا اللغة ولا النحو، فضلًا عن بلاغة التنزيل ولغة التنزيل. و هم قد انغمسوا في الرِّطانة والعجمة انغماسًا سلخهم عن عروبتهم ولغتهم وإسلامهم. ولا يساورني شكٌّ في غيرتك على التنزيل من أن تهب عليه الريح، فضلًا عن أن يوصم باللحن، لذا نَصَبْتَ نفسك مدافعًا عنه فجزاك الله خيرًا،

الدكتور محمود بن يوسف فجَّال

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الشريعة - بالأحساء

الحواشي:

(١) أي: بذكر المفضل عليه مجرورًا بـ (من).

(٢) انظر «شرح المفصل» لابن يعيش (٦: ٩٧) و «شرح الرضي على الكافية». (٣: ٤٦٠) و «شرح نهج البلاغة» (٦: ٢٤١) و «لسان العرب» (وأل ١١: ٧١٨) و «الدرر المصون» (١: ٣١٦).

(٣) (المدثر: ٣٥).

(٤) انظر «لسان العرب» (وأل ١١: ٧١٧).

(٥) الأفكل: الرعدة من برق ونحوه.

(٦) الحميم: الماء البارد، وتأتي بمعنى الماء الحار، فهي من الأضداد. «القاموس المحيط» (حمّم ٤: ٩٩).

(٧) (الروم: ٤) وهي قراءة أبي السمال والجحدري والعقيلي. «البحر المحيط» (٧: ١٦١).

(٨) (الأنفال: ٤٢).

(٩) انظر «شرح المفصل» (٦: ٩٨).

(١٠) أي: للتخفيف.

(١١) «خزانة الأدب» (٥: ١٣٢) و «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» (٣/ ٢: ٧٨١).

(١٢) بتصرف يسير.

(١٣) الأفكل: الرعدة من برقٍ ونحوه. والأيدع: من أسماء الزعفران.

(١٤) صحابي أنصاري، عاش إلى خلافة عمر رضي الله عنه. شهد غزوة بني النضير. انظر «الإصابة» (٣: ٤٧٥).

(١٥) هو أبو عبدالله أوسي أنصاري. من فضلاء الصحابة شهد بدرًا وصحب النبي ﷺ هو وأولاده. قال حذيفة في حقه: إني لأعرف رجلًا لا تضره الفتنة، فذكره وصرَّح بسماع ذالك من النبي ﷺ. اعتزل وقعتي الجمل وصِفِّين. وكان عند عمر معدًّا لكشف الأمور المُعْضِلة. توفي سنة ٤٣هـ تقريبًا وهو ابن سبع وسبعين سنة. انظر «الإصابة» (٦: ٣٣ - ٣٦).

(١٦) هو د. عبدالرازق حسين (أستاذ الأدب) في كلية الشريعة بالأحساء.

(١٧) «شرح د يوان أبي الطيب» للمعري (٤: ٣٠).

(١٨) «شرح ديوان أبي الطيب» للمعري (٤: ٥٦).

(١٩) حَجْلَى: جمع حَجْل وهو الطائر الذي يسمى قبج، وظربى جمع ظَرِبَان، وهي دويبة منتنة الريح.

(٢٠) «معاهد التنصيص» (١: ٢٧).

(٢١) انظر «إرشاد الأريب» (٣: ١٠٨) و «نكت الهميان» (ص: ١٠١).

(٢٢) انظر «تصحيح التصحيف» (ص: ٧٦).

(٢٣) الإجراء في اصطلاح المتقدمين من النحاة هو التنوين، أو الصرف في اصطلاح المتأخرين. ما لا يجري: هو الممنوع من الصرف.

(٢٤) انظر مقدمة «مفردات الراغب».

(٢٥) انظر «الإصباح في شرح الاقتراح» (ص: ٦٧ - ٧٣).

محمد بن خلف بن المرزُبان
وكتابهُ «ذمّ الثقلاء»

(١)

لَعَلَّهُ لم يُفرِدْ أحدٌ - قبل ابن المرزبان - كتابًا برأسه لموضوع الثقلاء إلّا أبو العَنْبَس الصَّيْمَريّ محمد بن إسحاق الكاتب الكوفيّ - قاضي الصَّيْمَرة - المتوفّى سنة: ٢٧٥هـ[١]، رغم أنه موضوعٌ إنسانيٌّ فيه الكثير من الطرافة، والجدّة. وإذا كان خوضُ أبي العنبس في هذا الموضوع يمكن أن يدلّ على مزاجٍ خاصٍّ ساخرٍ عُرِف به أبو العنبس، واشتهر به، مما يجعلني أتوقّع أن يكون كتابه ساخرًا مثلَهُ لا يختلف كثيرًا عن كتبه الأخرى في أدب السُّخفِ من مثل: «تأخير المعرفة»، و«فضل السلَّم على الدرجة» و «شكوى الجمل إلى ربّه» وسواها من كتبه، فإنه يمكن أن تدلنا إثارةُ ابن المرزبان موضوع الثقلاء مرّةً أخرى - في ذالك العصر - على الشوط الذي قطعته المجتمعاتُ الإسلاميةُ في مدارج الحضارة، والرقيِّ الاجتماعيّ،ولا أدلَّ على هذا الرقيِّ مما كان عليه العربُ إبّان نزول الوحي من تخلُّفٍ يبلغُ ببعضهم - كما دلَّنا المؤلّفُ - أن يُولِمَ لهم النبيُّ ﷺ ليلة بنائه بزينب بنت جحش رضي الله عنها، فيظلوا في داره يتحدثون، وكأنهم لايُدركون أن عليه أن ينصرف إلى أهله؛ وأن عليهم أن ينصرفوا بعد إذ طعِموا؛ فيخلُّوا ما بينه وبين أهله؛ حتى لينزل الوحيُ الكريمُ يقول لهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخُلوا بيوتَ النبيِّ إلّا أن يُؤْذَنَ لكم إلى طعامٍ غيرَ ناظرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعِيتُمْ فادخُلُوا فإذا طَعِمتُمْ فانتشِرُوا ولا مُستأنسينَ لحديثٍ إنَّ ذلكم كانَ يُؤذي النبيَّ فيستحي منكم والله لا يستحي من الحقِّ وإذ سألتمُوهُنَّ متاعًا فَسئَلُوهُنَّ من وراء حجابٍ ذلكم أطهرُ لقلوبكمْ وقلوبهنَّ وماكان لكم أن تُؤذُوا رسولَ الله ولا أن تنكِحُوا أزواجَهُ من بعدِهِ أبدًا إنَّ ذلكمْ كان عندَ الله عظيمًا﴾[٢]. أقول: لا أدلَّ على هذا الرقيِّ مما كان عليه العربُ من التخلّف الاجتماعيّ وما صاروا إليه حتى لنرى بعض المشتغلين برواية الحديث النبويِّ الشريف لا يحدِّثُون من يستثقلونه على الرغم من إدراكهم أن ذالك من واجباتهم الدينية، وأنه من صميم ما يتَّسِمُون به من ورعٍ، وتقوى.

ومن هنا فالكتاب آيةٌ ناصعةٌ من آيـات ما بلغه المجتمع العربيُّ، والعراقيُّ منه، بوجـهٍ خاصٍّ من التطـور الاجتماعيّ، والـرقيّ الحضاريِّ. ولعـلَّ في هذا مـا يُفسِّرُ ظهور شعراء فيه من أمثال: أبي نواس، ووالبة بن الحباب، والحسين بن الضحاك، ومطيع بن إياس، وأبي حُكيمـة الكاتب، وسواهم ممن شغلوا دنيـا الأدب بظرفهم، ولطفهم، وخفّـة أرواحهم، ولعلَّ فيه مـا يُفسِّـرُ ما قيـل عن شيخ القرّاءِ في عصـره، أعني: ابن مجـاهد المتـوفى سنة: ٣٢٤هـ من أنَّ فيه (ظـرف البغاددة مع الـدين والخير)[٣] ولعلَّ فيها ما يُعزِّزُ ما كان سمّاهُ المرحومُ العلّامة الدكتور مصطفى جواد بـالظـرف العـراقيّ، يـومَ كـانَ - رحمـه الله - قـال: (وكـان اسم العـراق مقـارنًـا للظرافة...)[٤]. ولعلّي مقاربُ الصـواب إذا فسَّرتُ بهـذه الحقيقة حملـة الرَّحّـالة الأنـدلسيّ ابن جُبيـر الـذي زار بغـداد في شهـر صفـر مـن سنـة ٥٨٠هـ على البغداديـين إذ لم يَر فيهم: (إلّا من يتصنّعُ بـالتواضع ريـاءً، ويذهب بنفسـه عُجبًا وكبريـاءً، يزدرون الغربـاء، ويُظهرون لمن دونهم الأنفةَ والإبـاء، ويستصغرون عمن سواهم الأحـاديث والأنباء، قد تصوَّر كـلٌّ منهم في معتقدهِ وخَلَدِه أنَّ الوجـودَ كلَّه يصغر بالإضافة لبلدِهِ..)[٥]، فلعلَّهم رأوا فيه - وهو يحدِّثهم عن علماء الأندلس، وعن محاسنهـا، ويطلبُ منهم أن يُقِرُّوا له بفضلهـا - ما جعَلَهم يستثقلون حـديثه، ويستثقلونه، وما حملهم على أن يتذكَّروا قول شاعرهم أبي نواس:

يبكي على طلل المـاضين من أسـدٍ ... لا درَّ درُّك قل لـي: من بنـو أســد؟

فإذا أضفنا إلى هذا تزمُّتَ طائفةٍ من الأندلسيين، وكثافة طباعهم، ثمَّ رأينا ميْلَ العراقيين إلى السخـرية بالأشياء أدركنـا سبب الحملة؛ إذ هي أقربُ مـا تكون إلى تصادم مزاجين، وإلى تنافر طبيعتين.

لا أقـول هـذا دفـاعًـا عن العـراقيين، ولا انتصـارًا لهم؛ فهم في غنًى عن هـذا الـدفاع، وذالك الانتصـار بمقـدار ما أردتُ أن أُعلِّلَ مـا حفـز ابنَ المرزبـان على تأليف مثل هذا الكتاب.

على أنَّ حديثي عن هذا الجانب لا يعني إهمالي تأثير مزاج ابن المرزبان نفسه في اختيار بعض موضوعات كتبه، إذ ينبغي لي أن أتذكّر أنه هو صاحب «تفضيل الكلاب على كثيرٍ ممن لبس الثياب» مما يدلُّ على نزعةٍ هجائيةٍ في نفسه، ولا يُقلّل من أهمية الحديث عن هذه النزعة أن تُعزى إلى ظروف عصره، وإلى بداية انحلال الخلافة العباسية فيه، وما يجرُّه هذا الانحلال من اختلال في الموازين[٦].

ولستُ أطيل في الحديث عن دواعي تأليف الكتاب، لأنني أريد أن أتحدَّثَ عن جوانبَ أخرى تهمُّ شأنَه كتابًا انتهيتُ من تحقيقه. وأبدأ بالحديث عن مؤلّفه فأقول:

مؤلِّفُهُ: لم أعثر على مرجع يتحدث عن أبي بكر حديثًا يغنيني عن التعرض إليه، فقد كنتُ أطمحُ أن أحيل إلى مقدمة ناشر[٧] كتابه «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، ولكنني وجدتُه تحدَّث في المقدِّمة عن الكلاب، وطبيعتها أكثرَ مما تحدَّث عن ابن المرزبان، وعِلمِه، مما يجعلني مَسُوقًا إلى الحديث عنه بما سمحت به المصادرُ فأقول: ينبغي أن أُنبِّهَ باديَّ ذي بدءٍ إلى ما يبدو وكأنه مشكلةٌ في ترجمة ابن المرزبان أثارها الصفديُّ في «الوافي بالوفيات»، حين ترجم له على أنه اثنان لا واحد. وتفصيل الأمر أن ياقوت الحمويَّ كان تَرجم له - قبل الصفدي - فسمّاه (محمد بن المرزبان) وكنَّاهُ ونسبه بقوله: (أبوالعباس الدميري) (ودميرة: قريةٌ كبيرة بمصر قرب دمياط.. وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل في طريق من يريد دمياط)[٨] فأوهم أنه غيرُ صاحبنا، ولكنه حين سردَ جريدة كتبه، وعرض إلى سنة وفاته دلَّ على أنه هو هو، وإنما تصحفت كلمة الدِّيْمَرْتي على: الدّميري[٩] ونقل الصفديُّ ما قاله ياقوت، وزاد عليه أشياء، وحذف أشياء، فكان له من كلِّ ذالك ترجمتان إحداهما لمحمد بن خلف المرزبان المتوفى سنة ٣٠٩هـ[١٠]، وثانيتهما لمحمد بن المرزبان[١١] الذي أهمل ذِكَر وفاته، وأهمل ذِكر بعضِ كتبه التي تدلُّ عليه مما ذَكَرَ ياقوت قبلَه. والحقُّ أن مثل هذا الخلط ليس غريبًا على الصفديِّ في بعض التراجم التي

يعقدها لمـن تقدَّم زمنه من الأدباء والعلماء، فقـد خلطَ أيضًا في ترجمـة نفطويه، فجعل منه اثنين[١٢] وإذ جاء السيوطيُّ ينقل من ياقوت كان الصفديُّ - كما يغلب على الظنِّ - نصب عينيه، فأخذ شيئًـا مما ذكرَ ياقوت وآخر ممـا حذف الصفديُّ، فكان له من كلِّ ذالك ترجمةٌ لا تكادُ تدلُّ على أحد.

وجليّة الأمر - كما يبدو - أن ياقوت الحمويَّ أراد أن يشير إلى أصله الفارسيّ، فنسبه إلى دِيْمَرْت (بفتح الـدال وبكسرها)، وهي قرية من قـرى أصبهان، فلما رأى الصفديُّ أن هـذه النسبة غـريبةٌ على ابن المـرزبان؛ لأنَّه اشتهـر بالنسبـة إلى باب المُحوَّل، فقيل المُحـوَّلي، توهَّم أنـه آخر؛ فأعـاد ترجمته بمـا يؤيـد تصوره حـذفًا وإضافةً. وأعودُ الآن إلى ما كنت أريد الحديث عنه من أمره، فأقول: هو محمَّد بن خلف بن المرزبان بن بسّام المُحَوَّلي، يكنى بـأبي بكرٍ، وهي كنيته الشائعة، وبأبي العباس[١٣] وأبي عبدالله[١٤] وتختلف المصادر في سبب نسبتـه، فتذهبُ طـائفةٌ منها إلى أنها نسبـةٌ إلى قريةٍ تقع غربيَّ بغـداد، تُدعى المُحول[١٥]، ولكنَّ الباحث لا يطمئن تمام الاطمئنان إلى هذا التعليل، لأنَّ الذين قـالوا به من المتأخرين، مما يجعلني أميل إلى التفسيـرالآخر الـذي يقـول إنه منسوبٌ إلى باب مُحَـوَّل (وهي محلّة... بجنب الكرخ.. متصلة به)[١٦].

وأسرتُه فـارسية، وفي اسم جدِّه (المرزبان) وفي سكـوت المصادر عن أن تنسبه إلى قبيلـةٍ بعينها، ثمَّ في نسبـة ياقوت إيّـاه إلى دِيْمَرت - كمـا مرَّ بنـا - إنَّ في كلِّ ذالك مضـافًا إليـه إجادته اللغة الفارسية، وتـرجمته منها[١٧] ما يدلُّ على كونه من أصلٍ فـارسيٍّ دلالـةً واضحـةً وتجمـع المصـادرُ على نسبتـه إلى الآجـرّ، فتقـول: الآجريُّ المحوَّلـي، ولا نعرف إن كـانت هـذه النسبـةُ إلى صناعـة الآجـرّ، أو إلى (درب الآجر من نهـر طابق في المحال الغـربية)[١٨] من بغداد، ولكننـا نتصور أن تعدّد هـذه النِسَب يمكن أن يشير إلى أصل الأسرة الأول، ثم إلى تنقّلهـا - بعد أن استوطنت بغداد - في محالّها.

وهي أسـرةٌ تهتمُّ بالأخبـار، والأدب، إذ وجدنـا صـاحبنا يـروي عن أبيه في هـذا الكتاب بما هو صريحٌ في أن لأبيه مشايخ[١٩]، ووجدنا أبا الفرج الأصبهاني يروي عن أخي صاحبنا: أحمد[٢٠]. ولم تكن روايته عنه روايةً عـابرةً، فقد نصَّ الخطيب البغداديُّ وهـو يترجم لـه على أنَّه (صـاحب أخبارٍ، ومُلَـحٍ، وأشعار، وله تصـانيف وروايات..)[٢١] شأنه في ذالك شأن أخيـه الأكبر منـه، أعني به صاحبنـا: محمّد. وعلى أن مثل هذه العـائلة تبيح لنا أن نتخيَّـلَ أنَّ نشأته كانتْ نشأةً علميـة، إلّا أننا لانملك صورةً واضحةً عن هذه النشأة.

ويبدو أنه اهتـم برواية الحديث النبـويِّ الشريف وبالأخبار، وبـالأدب فكان له فيها شيـوخٌ، ولعله اهتم بشيء من الثقافة الإغـريقية التي كانت سـائدةً في عصره، ولكننا لا نزعم أنه كان عميقًا فيها.

شيوخه: من شيوخه من نصَّ القدماءُ على تلمذته لهم، فمن هاؤلاء:

١ - ابن أبي الدنيا عبدالله بن محمد، المتوفّى سنة: ٢٨١هـ[٢٢].

٢- أحمد بن منصور الرماديّ، المتوفّى سنة ٢٦٥هـ[٢٣].

٣- الزبير بن بكار المتوفّى سنة: ٢٥٦هـ[٢٤].

٤- محمد بن أبي السَّريِّ الأزديّ، ولم يـذكر الخطيب وفاته، إلّا أنـه قال: إنّه من طبقة محمد بن أبي السرِيِّ المتوكّل العسقلاني، ومعروف أن العسقلانيَّ هذا توفي سنة ٢٣٨هـ[٢٥].

٥- عبدالله بن عمرو البلخيّ، وهو المعـروف بعبدالله بن أبي سعد الوراق البلخيّ، المتوفى سنة ٢٧٤هـ[٢٦]، وقد روى عنه في كتابنا هذا مرة واحدة.

٦- أحمد بن أبي خيثمة المتوفى سنة ٢٧٩هـ[٢٧]، ويسميه في هذا الكتاب باسم أبيه لا بِكُنيته، فيقول: أحمد بن زهير.

٧- عيسى بن عبدالله الطيالسي المتوَفّى سنة ٢٧٧هـ[٢٨].

٨- الحارث بن أبي أسامة المتوَفّى سنة ٢٨٢هـ[٢٩].

٩- مغيرة بن محمد بن المهلب.. بن المهلب بن أبي صفرة، المعروف بأبي حاتم المهلبي الأزدي المتوفى سنة ٢٧٨هـ[٣٠].

١٠- ابن أبي طاهر الكاتب، المعروف بابن طيفور المتوَفَّى ٢٨٠هـ[٣١]. وقد روى له في كتابنا هذا في موضعين، وهو من أصدقائه[٣٢]، ولعله من أكثر شيوخه تأثيرًا فيه، حتى إنّه (كان يتعاطى) طريقته[٣٣]، وقد تحرَّف في «تفضيل الكلاب» على: ابن طاهر الكاتب[٣٤].

١١- أبو سليمان البلخي النابلسي، إدريس بن يزيد، المتوفى بعد سنة ٢٨٠هـ[٣٥].

وهنالك شيوخٌ لم يذكرهم مترجموه، وإنما اكتفوا أن يشيروا إليهم بما اعتادوا أن يختموا به جريدة أسماء شيوخه المشهورين، وشيوخ سواه، من نحو قولهم (وغيرهم) أو (سواهم)، وأريد الآن أن أسرد ما استطعتُ الاهتداء إليه من أسماء هاؤلاء، سواء أكانوا من المشهورين أم من المغمورين، فأقول: من هاؤلاء الذين روى عنهم:

١٢- أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد المتوَفَّى سنة ٢٨٦هـ، وقد روى عنه في كتابه «تفضيل الكلاب» وسماه: أبا العباس المبرِّد، مرَّةً، وأبا العباس الأزدي مرَّةً أخرى[٣٦]، ومحمد بن يزيد النحويّ مرة ثالثة[٣٧].

١٣- القاسم بن الحسن المتوفى سنة ٢٧٢هـ[٣٨].

١٤- أبو محمد جعفر بن الفضل العسكري[٣٩].

١٥- أحمد بن حرب[٤٠] ولعله أحمد بن حرب بن مسمع بن مالك، أبو جعفر المعدّل، المتوفّى سنة ٢٧٥هـ.

١٦- إسحاق بن محمد[٤١].

١٧- محمد بن إسحاق[٤٢]. وذهب الأستاذ عبود الشالجي إلى أنه: محمد بن إسحاق البغويّ، وليس هناك قرينة فيما أحال عليه - أعني «تاريخ بغداد» - تدلُّ على أنه المعنيُّ، دون سواه.

١٨- سليمان بن أيوب المديني[٤٣]. ١٩- أبو بكر العامري[٤٤].

٢٠- محمد بن موسى[٤٥].

٢١- أحمد بن حبيب[٤٦]، وقد روى عنه في كتابنا هذا، فكنّاه بأبي الفضل، ثم سماه. ولا أعرف من هو، ولكنني أشكُّ في أن يكون هو أحمد بن حبيب بن حماد، أو أحمد بن حبيب بن حماد، أو أحمد بن حبيب النهرواني - كما أوحى الأستاذ عبود الشالجي في إحالته على «تاريخ بغداد» - لأنَّ كنية الأول فيه: أبو جعفر، وكنية الثاني: أبو بكر، على حين أن كنية صاحبنا المعنيّ أبو الفضل.

٢٢- عبدالله بن محمد[٤٧]، وسماه في كتابنا هذا: عبدالله بن محمد القنطري مرّة، وكنّاه بأبي بكرٍ مرَّةً أخرى.

٢٣- محمد بن عبدالله بن أبي مالك الخزاعي[٤٨].

٢٤- حماد بن إسحاق الموصلي[٤٩]، وقد كان يروي عنه أبيه كتابه في «الأغاني»[٥٠].

٢٥- محمد بن إسحاق[٥١]. وليس هنالك ما يقطع بأنه الصيرفيُّ الشاهد المتوفى سنة ٣١٦هـ.

٢٦- محمد بن عبدالرحمان الصيرفي[٥٢] المتوفى سنة ٢٦٥هـ.

٢٧- أبو عبدالله التميمي[٥٣]، ولعله هو الذي روى عنه مرّة في كتابنا هذا باسم: عبدالرحمان بن محمد التميميّ.

٢٨- محمد بن عبدالله بن الفضل[٥٤].

٢٩- أبو الفضل قاسم بن سليمان الإيادي[٥٥].

٣٠- عبدالرحمان بن سليمان[٥٦].

٣١- عبدالرحمان بن عبدالله السرخسي[٥٧]. ٣٢- محمد بن الفضل[٥٨].

٣٣- عبيدالله بن سعد الزهري[٥٩].

٣٤- أبو علي الحسن بن عليل العنزي، وقد روى عنه مكاتبةً، ثمَّ لقيه[٦٠].

٣٥- زكريا بن يحيى الكوفي[٦١]. وهو من شيوخه - على ما يبدو - في الحديث.

٣٦- زكريا بن موسى[٦٢]. ٣٧- أحمد بن شدّاد[٦٣].

٣٨- أبو العباس أحمد بن يحيى الإمام ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ.

٣٩- عبدالجبار بن عبدالأعلى[٦٥].

٤٠- عبدالله بن المهاجر[٦٦]. ٤١- أبو صالح الأزدي[٦٧].

٤٢- أبو الفضل المرورّوذي[٦٨].

٤٣- أبو عبدالله أحمد بن عبدالرحيم[٦٩].

٤٤- عبدالله بن شبيب[٧٠]، أبو سعيد الـرَّبعي، ولم يذكر تاريخ وفاتـه، ويبدو أنه من أقران الزبير بن بكار المتوفى: ٢٥٦هـ، فقد روى عنه الزبير، وروى هو عن الزبير[٧١].

٤٥- سعيد بن عمر البيروذي[٧٢]. ٤٦- أبو عليّ البلديّ الشاعر[٧٣].

٤٧- جعفر بن علي اليشكريّ[٧٤]. ٤٨- أبوالفضل الكاتب[٧٥].

٤٩- أبو عبدالله السدوسيّ[٧٦]. ٥٠- أبو هفّان المتوَفّى سنة ٢٥٠هـ[٧٧].

٥١- زيد بن علي[٧٨]. ٥٢- القاسم بن محمد الرصديّ[٧٩].

٥٣- الحسن بن عبدالوهاب[٨٠]. ٥٤- عبدالواحد بن محمد النجاري[٨١].

٥٥- أحمد بن منصور[٨٢]. ٥٦- عبدالله بن محمد الكاتب[٨٣].

٥٧- أبو العلاء بن يوسف القاضي[٨٤].

٥٨- عليّ بن محمد. وقد روى عنه في كتابنا هذا في موضع واحد.

٥٩- عبدالرحمان بن محمد الحنظليّ، وقد روى عنه في كتابنا هذا ثلاث مرات.

٦٠- أبو العباس المـروزيّ، وقد روى عنه في أكثر من موضع في كتـابنا هذا، وفي «مصارع العشاق»[٨٦].

٦١- محمد بن عبدالله الأهوازي[٨٧].

٦٢- موسى بن الحسن النَّسائيّ، وقد روى عنه مرّةً واحدة في كتابنا هذا.

٦٣- عمر بن عبدالوهاب، وقد روى عنه مرَّةً واحدةً أيضًا في كتابنا هذا.

٦٤- عبدالله بن نصر، وقد روى عنه في كتابنا هذا في أكثر من موضع، ونسبَه مرَّةً، فقال: الرياشي، وورد على عبدالله بن نصر المروزي[٨٨].

٦٥- عبدالله بن عبيد القرشيّ، وقد روى عنه مرّة واحدة في كتابنا هذا[٨٩].

٦٦- محمد بن إسحاق بن عبدالرحمان المدائنيّ، وقد روى عنه أكثر من مرّة في كتابنا هذا.

٦٧- محمد بن الحنظليّ، وقد روى عنه مرّة واحدة، ولا أعرف إن كان هو عبدالرحمان بن محمد السالف الذكر، وتحرَّف على يد الناسخ أم أنه آخر.

٦٨- محمد بن عمران بن زياد الضبيّ، وقد روى عنه مرة واحدة في هذا الكتاب.

٦٩- محمد بن بكر، وقد روى عنه مرّة واحدة في هذا الكتاب.

٧٠- محمد بن عبدالله بن عمر، وروى عنه في كتابنا هذا مرّة واحدة.

٧١- عبيدالله بن عبدالله الخراسانيّ، وقد روى عنه مرة واحدة.

٧٢- الحسن بن صالح البرتي، وقد روى عنه مرة واحدة في كتابنا[٩٠].

٧٣- محمد بن صالح الكوفيّ، ولم أعرفه، وقد روى عنه مرةً واحدة.

٧٤- عبدالله بن جعفر، وقد روى عنه مرّة واحدة.

٧٥- سلمة بن يزيد، وقد روى عنه مرة واحدة.

٧٦- عبدالجبار بن محمد الطوسيّ، وقد روى عنه مرة واحدة.

٧٧- أبو بكر الكوفيّ، وقد روى عنه مرة واحدة.

٧٨- محمد بن عليّ، وقد روى عنه مرتين[٩١].

٧٩- سعيد بن عثمان، وقد روى عنه مرة واحدة.

٨٠- أبو النضـر، ولعله أحمد بن إبـراهيم بن الحارث العقيلي[٩٢]، وقد روى عنه في كتابنا هذا مرة واحدة.

٨١- الواسطيّ، هكذا سمّـاه، ولعله حماد بن محمد بن حماد، أبـو سعيد الأعور الواسطي، إذ هـو من معاصري صاحبنـا، كان من شيوخ محمد بن مخلـد الدوري المتوفى سنة ٣٣١هـ[٩٣]. وروى عنه مرة واحدة.

٨٢- عبدالرحمان القنطريّ، وقد روى عنه مرة واحدة.

٨٣- أبو محمد الطوسيّ، وقد روى عنه مرتين.

٨٤- محمد بن عمر، وقد روى عنه مرة واحدة في كتابنا هذا[٩٤].

٨٥- أبو يعقوب النَّخعيّ، وقد روى عنه مرة واحدة في كتابنا هذا.

٨٦- عليّ بن الفضل، وقد روى عنه مرتين.

٨٧- عبدالمؤمن بن عبدالله، وقد روى عنه مرة واحدة.

٨٨- أبو محمد الأمين، وقد روى عنه مرة واحدة.

٨٩- عمر بن عبدالحكيم، وقد روى عنه مرة واحدة.

٩٠- أبو محمد عبدالله بن عبيد الله، وقد روى عنه مرة واحدة.

٩١- أبو العباس محمد بن نصر، وقد روى عنه مرة واحدة.

أبو القاسم عبدالرحمان بن عليّ، وقد روى عنه مرتين

٩٢- إبراهيم بن محمد الطائفيّ[٩٥].

٩٣- أبو الفضل أحمد بن ملاعب[٩٦].

٩٤- صالح بن يوسف المحاربي[٩٧]. ٩٥- يحيى بن جعفر الواسطي[٩٨].

٩٦- أبو عبدالله محمد بن يوسف الكوفيّ[٩٩].

٩٧- أبو العباس فضل بن محمد اليزيدي[١٠٠] المتوفى سنة ٢٧٨هـ.

٩٨- محمد بن معاذ[١٠١]. ٩٩- الحسن بن مكرم بن حسان[١٠٢].

١٠٠- هارون بن محمد[١٠٣]. ١٠١- عبدالله بن مسلم المروزي[١٠٤].

١٠٢- أبو العباس محمد بن يعقوب[١٠٥].

١٠٣- عبدالملك بن محمد الرقاشي[١٠٦]، وهو المعروف بأبي قلابة المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

١٠٤- عمر بن شبّة[١٠٧]. ١٠٥- أحمد بن الهيثم القرشي[١٠٨].

١٠٦- القحذمي[١٠٩]. ولا أعرف عنه أكثر من هذا.

١٠٧- محمد بن سلمة الواسطي[١١٠].

١٠٨- أبو حفص عمر بن عليّ[١١١].

١٠٩- عبدالله بن أبي عبدالله القرشي[١١٢].

١١٠- محمد بن هارون المقري[١١٣]. ١١١- أبو العلاء القيسي[١١٤].

١١٢- الحسن بن صالح الأسدي[١١٥].

١١٣- أبو جعفر أحمد بن الحارث[١١٦].

١١٤- العمري[١١٧]، ولم يُذكر عنه أكثر من هذا.

١١٥- أبو عبدالله أحمد بن أبي محمد القرشي[١١٨].

١١٦- أبو بكر القرشي[١١٩]. ولم يذكر عنه شيءٌ أكثر من هذا.

١١٧- محمد بن العباس المكتب[١٢٠].

١١٨- أبو موسى عيسى بن جعفر الكاتب[١٢١].

١١٩- علي بن صالح المعرّي[١٢٢].

١٢٠- حسين بن الضحاك اليشكري[١٢٣].

١٢١- إسحاق بن منصور[١٢٤]. ١٢٢- صالح بن يعقوب المديني[١٢٥].

١٢٣- العباس بن الفضل الأسدي(١٢٦).

١٢٤- أبو محمد التميمي(١٢٧)، وأظنه غير أبي عبدالله السالف الذكر.

هذا ما تيسَّر لي من أسماء شيوخه، وكثيرٌ منهم لا نعرف - اليوم - عنه شيئًا، وكما روى عن هاؤلاء الشيوخ الأخبار، والأدب، كان يروي عن بعض الشعراء من معاصريه أشعارهم؛ فقد كان يروي عن البحتريِّ شيئًا من شعره(١٢٨)، ويروي شيئًا آخر من شعر أبي بكر الطاهري(١٢٩). وليس هذا الاهتمام بغريب عليه؛ فقد كان هو نفسه يقول الشِّعرَ حين تدعوه إليه مناسبة إخوانية(١٣٠).

وإذ سمع من كلِّ هاؤلاء وروى عنهم استوى له أن يكون أخباريًا(١٣١) صدوقًا ثبتًا(١٣٢)، وأن يوصف بأنه (كان: إمامًا عالمًا)(١٣٣)، و (فاضلًا بليغًا مؤرخًا عالمًا بمجاري اللغة تصدَّر عنه الكتابُ الكبارُ، وكان أحد التراجمة)(١٣٤).

ولكن هذا الفضل كلَّه لم يؤهِّله أن يتصل بذوي الجاه في عصره، كأن يكون على صلةٍ بوزيرٍ أو نحوه؛ إذ لم يذكر مترجموه شيئًا يمكن أن يُستشفَّ منه ذلك، وعلى أننا لانعرف يقينًا موردَ رزقِه، إلّا أننا لا نستطيع أن نصف حاله بالضيق؛ فقد رأيناه يجتمع عنده صديقاه: ابنُ أبي طاهر الكاتب، والناشيءُ الأكبرُ فيدعو لهم مغنيةً تغنيهم. ولعلَّ مثل هذه المجالس التي يكون فيها السماع قد أسهمت في أن يصفَه الدارقطني بأنه (أخباري ليِّنٌ)(١٣٦).

ولا أستبعد أن يكون قد امتهن القضاء؛ فقد رأينا تلميذيه ابن حيويه، والزبيبي يرويان عمن سمياه: أبا بكر محمد بن خلف القاضي؛ إذ يغلب على ظنّي أنهما يعنيان به صاحبنا.

وإذا لم يكن فضلُه قد أهَّله أن يكون من أهل النفوذ الباذخ، فإنَّه أهله أن ينتصب للتدريس - كما هي طبيعة الحال - فيكون له تلاميذُ عرضَ مترجموه إلى بعضهم، وسكتوا عن بعضٍ فمن هاؤلاء الذين عرضوا إليهم من تلاميذه:

١- أبو بكر بن الأنباريّ المتوَفّى سنة ٣٢٨هـ(١٣٧).

٢- الحافظ أبو أحمد بنُ عَدِي[١٣٨]، عبدالله بن عديّ الجرجانيّ المتوفى سنة ٣٦٥هـ.

٣- أبو الفضل عيسى بن موسى بن أبي محمد بن المتوكل على الله الهاشمي العباسيّ المتوفّى سنة ٣٦٣هـ[١٣٩].

أبو جعفر بن بريه الهاشمي[١٤٠].

٤- أبو عمرو بن حيويَه، محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى الخزاز، المتوفى في ربيع الآخر من سنة ٣٨٢هـ. وقد اعتمدت نشرتا لويس شيخو، وإبراهيم يوسف لكتاب «تفضيل الكلاب» روايته عنه إجازة[١٤١].

٥- ابن البختري، أحمد بن عبدالله بن البختري، أبو العباس الداودي[١٤٢].

ومن تلاميذه من لم يذكرهم أحدٌ من مترجميه، ولكن رواياتهم عنه مبثوثةٌ في المصادر، فمن هاؤلاء:

٦- الحسن بن سعيد الأدمي، وهو الذي روى هذا الكتاب.

٧- أبو السائب القاضي عتبة بن عبيد.

٨- أبو الفرج الأصبهاني المتداول تاريخ وفاته على أنه في سنة ٣٥٦هـ، وقد روى عنه في أكثر من موضع في كتبه[١٤٣].

٩- أبو الحسين عبدالله بن إبراهيم الزبيبي[١٤٤].

(للبحث صلة)

بولنده: محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

* المقال في الأصل مقدّمة تحقيقي كتاب «ذم الثقلاء» الذي سيصدر عن دار الجمل في ألمانيا إن شاء الله.

(١) ينظر «الفهرست»: ٦٦٨، أما أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، وله كتاب في الثقلاء، فهو متأخر عن ابن المرزبان إذ توفي سنة ٣٥٢هـ.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) «تاريخ الإسلام» (وفيات ٣٢١ - ٣٣٠هـ): ١٤٦.

(٤) في «التراث العربي» ٢: ٢٤٣، بحثه: آراء السلف في الأدب العراقي.

(٥) «رحلة ابن جبير» ١٩٠ - ١٩١.

(٦) تحدثت عن ذالك تفصيلًا في التمهيد من كتابي: «الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث للهجرة»، فلا أعيد الحديث فيه.

(٧) هو الدكتور عصام محمد شبارو، وقد قدَّم لطبعة دار التضامن من الكتاب، بيروت ١٩٩٢.

(٨) «معجم البلدان» ٢: ٤٧٢، ولم يذكر ابن المرزبان في علمائها.

(٩) نقل السيوطي في «بغية الوعاة» ١: ٢٤١ ترجمته عن ياقوت فسماه: الديمرتي، ووردت نسبته في «الوافي بالوفيات» ٥ : ١٥: الديمري فصحفها المحقق بما في «معجم الأدباء»، وبما في الطبعة غير المحققة من «البغية»، فجاء: الدميري.

(١٠) «الوافي» ٣: ٤٤ - ٤٥. (١١) السابق ٥ : ١٥.

(١٢) ينظر «الوافي بالوفيات» :٦/ ٢٩، ١٣٠. وكانت الترجمة الأولى باسم: ابن عرفة المهلبي، والثانية باسم: نفطويه النحوي.

(١٣) كناه بذالك النديم في «الفهرست»: ٣٩٦، وياقوت في «معجم الأدباء» ١٩: ٥٢.

(١٤) كناه بذالك إسماعيل باشا البغدادي في «إيضاح المكنون» في ١ : ٥٤٣، وفي سائر الصفحات التي ذكره فيها، ويكنى أخوه أحمد بن خلف بن المرزبان بأبي عبدالله أيضًا.

(١٥) ينظر «النجوم الزاهرة»: ٣/ ٢٠٣، و «هدية العارفين» ٢: ٢٦، ولعلَّ المحوَّل هي ما ندعوه اليوم بالمحاويل، وهي قرية تقع غربيَّ بغداد أيضًا.

(١٦) «معجم البلدان»٥: ٦٦. وممن ذهب إلى هذا الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٥ : ٢٣٧، وابن الجوزي في «المنتظم» ٦: ١٦٥، وانفرد ياقوت في «معجم الأدباء» بنسبته إلى الدميرة، فقال: محمد بن المرزبان، أبو العباس الدميري. على حين لم يذكر شيئًا من هذا في «معجم البلدان».

(١٧) ينظر «معجم الأدباء» ١٩: ٥٢. (١٨) «الأماكن» ١: ٥٦. (١٩) ينظر: ٣.

(٢٠) ينظر «نشوار المحاضرة» ٦: ١٩٣، فقد روى خبر شراء المتوكل جاريتين عن أبي الفرج عن أحمد بن خلف بن المرزبان. وترجمة أحمد في «تاريخ بغداد» ٤/ ١٣٥.

(٢١) «تاريخ بغداد» ٤/ ١٣٥.

(٢٢) نصَّ على ذالك الخطيب البغدادي ١٠: ٩٠، و ٥: ٢٣٨، وياقوت في «معجم البلدان» ٥: ٦٦، وابن الجوزي في «المنتظم» ٦: ١٦٥، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (وفيات ٣٠١هـ - ٣٢٠): ٢٦٠.

(٢٣) ينظر «تاريخ بغداد» ٥: ٢٣٧، و «معجم البلدان» ٥: ٦٦، وقد تصحَّف فيه على: الزيادي، و «معجم الأدباء» ١٩: ٥٢، و «تاريخ الإسلام»: ٢٦٠، و «طبقات المفسّرين» ٢: ١٤٦، وتصحف في «نشوار المحاضرة» ٥: ٩٤ على: أحمد بن محمد بن منصور بن سيار، وهو في «مصارع العشاق» ١: ٤٢ أحمد بن منصور بن سيار.

(٢٤) «تاريخ بغداد» ٥: ٢٣٧، و«معجم الأدباء» ١٩: ٥٢، و «معجم البلدان» ٥: ٦٦، و «المنتظم» ٦: ١٦٥، و «طبقات المفسرين» ٢: ١٤٦، و «الوافي بالوفيات» ٣: ٤٤، و «النجوم الزاهرة» ٣: ٢٠٣.

(٢٥) «تاريخ الإسلام»: ٢٦٠، و «تاريخ بغداد» ٥: ٢٣٧، وقد تصحَّف على: محمد بن أبي السوي.

(٢٦) «تاريخ بغداد» ١٠: ٢٥ - ٢٦. وقد تحرَّف اسمه في «نشوار المحاضرة» ٥: ١٠٥ على: عبدالله بن عمر، ولعله تطبيع، وينظر «مصارع العشاق» ١: ٧٧.

(٢٧) و (٢٨) نفسه. (٢٩) السابق: ٥: ٢٣٨.

(٣٠) «تاريخ بغداد» ١٣: ١٩٥، وله رواية عنه في «الإمتاع والمؤانسة» ٢: ١١٦.

(٣١) «تاريخ الإسلام» (وفيات ٢٧١ - ٢٨٠): ٢٥٦.

(٣٢) ينظر خبر اجتماعه هووالناشيء بن محمد في دار ابن المرزبان، ودعوته مغنية لهما في «المنتظم» ٦: ٥٨.

(٣٣) «الفهرست» ٦٥٤ - ٦٥٥.

(٣٤) «تفضيل الكلاب»: ٥٢، وورد صحيحًا في: ٥٨ و ٦٨، وكنّاه بكنيته: أبي الفضل.

(٣٥) ينظر «تاريخ الإسلام» (وفيات ٢٨١ - ٢٩٠): ١١٤.

(٣٦) «تفضيل الكلاب» ٤٦، ٦٥. وروى خبرًا في «نزهة الألباء» ٢٢٣ عن المنافرة التي بين المبرد وثعلب.

(٣٧) ينظر «الأغاني»: ٣٤٥٥.

(٣٨) ينظر «نشوار المحاضرة» ٥: ٩٠، وقد أفدت في معرفته من حاشية محققه الأستاذ عبود الشالجي، وقد روى عنه في كتابنا مرتين، وينظر «مصارع العشاق» ١: ٣٣، ١٥٠.

(٣٩) «النشوار»: ٥: ٨٩.

(٤٠) السابق ٥: ١٠١، و «مصارع العشاق» ١: ١٣٩ وقد تصحف اسم أبيه فيه على: جرب، وورد صحيحًا في ١: ٢٣٢.

(٤١) السابق ٥: ١١٠، قال المحقق: إنه إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعي، وهذا النخعيُّ من غلاة الشيعة، كان تلميذًا للمازني المتوفى سنة: ٢٤٩هـ على أحد الأقوال. ينظر «الوافي بالوفيات» ٨: ٤٢٢ - ٤٢٣، وينظر «مصارع العشاق» ١: ٨١ إذ يروي إسحاق فيه عن ابن الأعرابي المتوفى - على أحد الأقوال - سنة ٢٣١هـ، ويروى عن محمد بن سلام في ٢: ١٢٣، وسماه السراج مرَّةً أخرى في ١: ٢٥ إسحاق بن محمد الكوفي، وإسحاق بن محمد بن أبان في ٢: ١٧ مرَّةً ثالثة، وإسحاق بن محمد مرَّةً رابعة في ٢: ٧٥.

(٤٢) السابق: ٥: ١٢٥، وتنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ٢: ٩٠. (٤٣) السابق: ٥: ١١٨.

(٤٤) السابق: ٥: ١٣٧، ١٥٨ و «مصارع العشاق» ١: ٤٩، ٥١ وقد روى عنه في هذا الكتاب في أكثر من موضع.

(٤٥) «النشوار»: ٥: ١٦٢. (٤٦) السابق: ٥: ١٨٣.

(٤٧) السابق: ٥: ٢٤٩، وقد روى عنه في كتابنا هذا في أكثر من موضع.

(٤٨) السابق: ٥: ٢٨٤، وتنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ٢٤٠، وهو فيه: .... بن أبي مالك بن الهيثم الخزاعي.

(٤٩) السابق: ٥: ٢٨٧، ٧: ١٣٤ ولم يذكر نسبته، وإنما ذهب إليها محققه، وله رواية عنه في «مصارع العشاق» ١: ٢٣٤.

(٥٠) ينظر «تاريخ بغداد» ٨: ١٥٩. (٥١) «النشوار» ٧: ٢١، وقال المحقق: إنه الصيرفي الشاهد.

(٥٢) السابق: ٧: ٦٦.

(٥٣) السابق: ٦: ٧١، ٢٤٨، و «مصارع العشاق» ١: ٢٥٣، وقد روى عنه في كتابنا هذا في أكثر من موضع.

(٥٤) السابق: ٦: ٢٣٣، و «مصارع العشاق» ١: ٢٦٦.

(٥٥) السابق: ٦: ٢٣٩، وتنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ٢: ٥٧، وروى عنه مرَّةً واحدة في كتابنا هذا، وسماه: القاسم.

(٥٦) «النشوار» ٦: ٢٤٠، و «تفضيل الكلاب»: ١٠٩، وتنظر روايته في «مصارع العشاق» ٢: ٣٧.

(٥٧) تنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ٥٣.

(٥٨) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٦٢. (٥٩) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٦٩.

(٦٠) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٩٢. (٦١) تنظر روايته عنه في السابق ١: ١٠٣.

(٦٢) تنظر روايته عنه في السابق ١: ١٢٥، ٢: ١٨١.

(٦٣) تنظر روايته عنه في السابق ١: ١٣٣. (٦٤) تنظر روايته عنه في السابق ١: ١٣٥.

(٦٥) تنظر روايته عنه في السابق ١: ١٤٦. (٦٦) تنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ٢٠٥.

(٦٧) تنظر روايته عنه في المصدر نفسه ٢: ٢٩٦ (٦٨) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٢١٣.

(٦٩) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٢٢٤. (٧٠) «النشوار»: ٦: ٢٤١، وقال محققه: إنه الربعي.

(٧١) ترجمته في «تاريخ بغداد» ٩: ٤٧٤ – ٤٦٥.

(٧٢) «النشوار» ٦: ٢٤٢، وتنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ٢٤٧ وفيه: البيروذي.

(٧٣) السابق ٦: ٢٤٣، وتنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ٢: ٩٠.

(٧٤) السابق ٦: ٢٤٤، وتنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ٢: ٥١.

(٧٥) السابق: ٦: ٢٤٨، و «مصارع العشاق» ٢: ٣٨، ولعله ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر.

(٧٦) «تفضيل الكلاب»: ٤٧. (٧٧) السابق ٤٩. (٧٨) السابق ٥١.

(٧٩) السابق ٥٨. (٨٠) السابق ٦٠.

(٨١) تنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ٢٦٥، ولست على ثقةٍ من نسبته. (٨٢) السابق ٦٨.

(٨٣) السابق ٩١، ولعله عبدالله بن محمد الطالقاني المذكورة روايته عنه في «مصارع العشاق» ٢: ٦٢، ١٠٤.

(٨٤) السابق ٩٤. (٨٥) السابق ٨٩. (٨٦) ١: ٣٤.

(٨٧) تنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ١٤١، ويبدو أنه غير محمد بن عبدالله بن الفضل.

(٨٨) ينظر «مصارع العشاق» ١: ١٨. (٨٩) وتنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ١٦٠.

(٩٠) تنظر روايته عنه في السابق ١: ١٣، وقد كناه بأبي علي.

(٩١) وتنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٧.

(٩٢) ينظر «تاريخ بغداد»، ٤: ١٤، و «مصارع العشاق» ٢: ١٠.

(٩٣) ينظر السابق ٨: ١٦٠. وفي وفاة الدوري ينظر «الأنساب» ٥: ٣٥٨.

(٩٤) وله عنه رواية في «مصارع العشاق» ٢: ٢٩.

(٩٥) «الأغاني»: ٢٦١٩، و «مصارع العشاق» ١: ١١٠.

(٩٦) تنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ١: ٢٧٨. (٩٧) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٢٨٠.

(٩٨) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٣١٣. (٩٩) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٣١٤.

(١٠٠) تنظر روايته عنه في السابق ١: ٣١٧. (١٠١) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٧.

(١٠٢) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٨. (١٠٣) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ١٢.

(١٠٤) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ١٣. (١٠٥) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ١٧.

(١٠٦) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٣٢. (١٠٧) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٦٥.

(١٠٨) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٦٦.

(١٠٩) روى عنه شيئًا من شعر «مجنون ليلى» في السابق ٢: ٧٦.

(١١٠) تنظر روايته عنه في المصدر السابق ٢: ٩٢. (١١١) تنظر روايته عنه في «مصارع العشاق» ٢: ٩٥.

(١١٢) تنظر روايته عنه في المصدر السابق ٢: ١٠٧. (١١٣) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ١٠٨.

(١١٤) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ١١٥.

(١١٥) روى شيئًا من «شعر أبي العتاهية» عنه في السابق: ٢ : ١١٩.

(١١٦) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ١٣٩. (١١٧) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ١٤٣.

(١١٨) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٠٦. (١١٩) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٥٤، ٢٥٥.

(١٢٠) تنظر روايته عنه عن عبدالرحمان بن أخي الأصمعي في السابق ٢: ٢٦٣.

(١٢١) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٧١. (١٢٢) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٧٤.

(١٢٣) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٧٧. (١٢٤) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٨١.

(١٢٥) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٨٢. (١٢٦) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٨٤.

(١٢٧) تنظر روايته عنه في السابق ٢: ٢٩٤. (١٢٨) ينظر «الوافي بالوفيات» ٦: ٢١.

(١٢٩) ينظر «الوافي بالوفيات» ٦: ٢٠٠.

(١٣٠) تنظر قصيدته في «تاريخ بغداد» ٥: ٢٣٨، ونقل الصفديُّ منها ثلاثة أبيات في «الوافي» ٣: ٤٤، وتنظر مقطَّعته في الحارث بن أبي أسامة في «تاريخ الإسلام» (وفيات ٢٨١ - ٢٩٠هـ): ١٤٧.

(١٣١) «تاريخ بغداد» ٥: ٢٣٧. (١٣٢) «المنتظم» ٦: ١٦٥. (١٣٣) «النجوم الزاهرة» ٣: ٢٠٣.

(١٣٤) «معجم الأدباء» ١٩: ٥٢، ووردت جملة: (وتصدرَّ عنه الكتاب الكبار) في «الوافي» ٥: ١٥ (تصدر عنه الكتب الطوال) وفي «بغية الوعاة» ١: ٤٤١ (تصدر عنه الكتب الكبار).

(١٣٥) ينظر «المنتظم» ٦: ٥٨. (١٣٦) «طبقات المفسرين» ٢: ١٤٦.

(١٣٧) «تاريخ بغداد» ٥: ٢٣٧، و «المنتظم» ٦: ١٦٥، «والنجوم الزاهرة» ٣: ٢٠٣، و «تاريخ الإسلام» (وفيات ٣٠١ - ٣٢٠): ٢٦٠.

(١٣٨) «معجم البلدان» ٥: ٦٦.

(١٣٩) «تاريخ بغداد» ٥: ٢٣٨، و «تاريخ الإسلام» (وفيات ٣٠١ - ٣٢٠): ٢٦٠ و («وفيات» ٣٥١ - ٣٨٠) ٣١٠.

(١٤٠) «تاريخ بغداد» ٥ : ٢٣٨.

(١٤١) ينظر «تاريخ الإسلام» (وفيات : ٣٨١ - ٤٠٠هـ) ٤٥ - ٥٥، و «تاريخ الأدب العربي» ٢: ٢٣٩ - ٢٤٠، ومقدمة نشرة الدكتور عصام شبارو للكتاب.

(١٤٢) «الوافي بالوفيات» ٧ : ٨١. (١٤٣) «الإمتاع والمؤانسة» ٢: ١١٦.

(١٤٤) ينظر على سبيل المثال «مصارع العشاق» ١: ٦٩، ٧٢، ١٦٠، وورد في ٧١ أبو الحسين بن بيان الزبيبي، وهو هو، إذ أنه عبدالله بن إبراهيم بن بيان ينظر «المصارع» ١: ١٠٣، ١٣٤، وسماه في ٢: ٢٤٤ عبدالله بن إبراهيم البصري.

الغربة والحنين في الشعر البدوي

(مُهدًى للأخ الدكتور محمد إبراهيم حوّر)

تحدثتُ في بحث سابق - نشر في «العرب» س ٣٢ ص ٤٦٠ - عن صورة المدن في شعر البدو النازحين إليها، وذكرت ذَمَّهم لتلك المدن وأهلها، وأجَّلتُ الحديث عن الغربة والحنين إلى هذا البحث.

والغربة شعور حادٌّ بالتفرد والوحشة، لاختلاف المكان أو الزمان أو لشعور مبالغ فيه بالإمتياز عن الناس.

وهي حالة خصوصية فردية صورها الشعر العربي بغنائية عالية وشفافية وصدق، متتبعًا أدق تلك النوازع الإنسانية وأصغر جزئياتها وأخفاها.

ومن زعم أن الشعر العربي، كان بعيدًا عن تصوير معاناة عامة الناس وهمومهم، وصغير شؤونهم ودقيق خلجاتهم. وأنه كان في مجمله شعر بلاطات وسلاطين، ومديح وتَملُّق، فقد كذب، وبالغ، وظلم الشعر وأهله، وفيما سنذكره في هذا البحث دليل ساطع على ما نقول.

وقد كانت الغربة في العصر الجاهلي حالة نادرة قليلة لا يُلتَفَتُ إليها، وذالك لاطمئنان العرب في جزيرتها وقلة مفارقتهم لها. ثم دفعهم الإسلام إلى حمل عِبء الفتح وبناء الدولة فانتشروا في الأمصار المفتوحة، وكانت غربةً جماعية، صوروها في أشعارهم، فأحسنوا التصوير، ولم تعُدْ حالةً فردية لايُؤْبَهُ لها، وإنما صارت ظاهرةً جماعية ملفتة للنظر. ولكثرة الشعر المصوّر لها، كثرت التآليف فيه.

وأبرز مصادره ما أُلف في «الحنين إلى الأوطان» للجاحظ ولأبي منصور المرزباني وللكسروي والوشّاء والسجستاني وغيرهم[1].

والقسم الأول من كتاب «الزهرة» لأبي بكر الأصبهاني و «أدب الغرباء» لأبي الفرج، وما خُصِّص للحديث عنه من أبواب وفصول في كتب الحماسات والاختيارات الشعرية، وفي كتب الأدب العامة، كـ «أمالي القالي» وذيلها، و«بهجة المجالس» و «ديوان المعاني».

والغربة كما ذكرنا أنواع، باختلاف أسبابها ودوافعها، وهي:

١ - الغربة الزمانية: وهي شعور الإنسان بالتفرد والوحشة لامتداد العمر به، واختلاف الزمن عليه، وفقدان الأقران والأصحاب، وأنه صار في جيل لا يفهمه ولا يشاكله، ولا يرى فيه خيرًا

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم وخُلِّفْتَ في قرن فأنت غريب[٢]

والحنين شعور تالٍ للغربة، ومترتب عليها. إذ لا شعور بالحنين دون شعور سابق بمعاناة الغربة أولًا. والحنين هو التشوق إلى ما تفتقده وتأنس إليه، وهو في هذا النوع من الغربة، حنين إلى الشباب وأيامه وإلى من كُنْت تلقى فيه من الأصحاب والخِلّان.

٢ - الغربة النفسية: وهي شعور بالتفرد، لا بسبب تغير الزمان أو المكان، وإنما لشعور مبالغ فيه بالعظمة والامتياز وقلة النظير، وأن ليس في الناس من يقارنك أو يشبهك، وإنما هم جميعًا دونك شرفًا وذكاءً وموهبة، وهي حالة مرضيَّةٌ تسمى داء العظمة، وأبرز من مَثَّل هذا النوع من الغربة المرهقة، أبو الطيب المتنبي، حيث يقول:

وهكذا كنتِ في أهلي وفي وطني إنَّ النَّفِيس غريبٌ حيثما كانا[٣]

• • •

أنا في أمة - تداركها الله - غريبٌ كصالح في ثمود[٤]

• • •

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدنُ الذهب الرَّغامُ[٥]

وهذ النوع من الغربة بالذات، لا يصاحبه حنين ولا تشوق لشيء مفقود، وإنما هو بلاءٌ يحمله صاحبه معه أينما حلَّ وحيثما سار، وهو كفيل أن يُنَغص على المرء حياته، وينفّر الناس منه.

ومن الغربة النفسية أيضًا أن يرحل عنك من تُحبُّ، وتبقى حيث أنت، فتنكر مكانك وتضيق نفسك به، وتحسُّ وَحْشَة الغربة و كآبة الوحدة.

فلا تحسبي أن الغريب الذي نَأَى ولكنَّ مَنْ تَنْأَيْن عنه غريب[٦]

وعدَّت العرب ذالك نوعًا من الغربة، فقالت في مأثور كلامها: (فقدُ الأحبَّة غربةٌ) وقال قيس بن ذَريح:

كأنَّ بلاد الله مالم تكن بها وإن كان فيها الخلق، قَفْرٌ بلا قعُ[٧]

وصور بعض الشعراء الذين فارقهم أحبابُهم قسوةَ ماكانوا يجدون من الوحدة، وما تدفعهم إليه من الاشتغال بالزَّجر والعيافة، والتَّيَامن بالسوانح، والتشاؤم بالبوارح، ومن ذالك قولهم:

بَشَّرَ الظبْيُ والغراب بِسُعْدَى مرحبًا بالذي يقول الغرابُ

قال لي: إن خير سُعْدَى قريبٌ قد أنَى أن يكون منه اقتراب[٨]

كما صوروا ماكان يُسَلُّون به أنفسهم، ويشغلون به فراغهم من رمي الحصى، والكتابة والخط على الرمال، ثم مَحْوَ ذالك وإعادة خطّه مرة أخرى:

عَشِيَّةَ مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدارِ مولعُ

أخطُّ وأَمْحُو كلَّ خطٍّ خططته بكفِّيَ والغربان في الدار وُقَّعُ[٩]

٣- الغربة المكانية: وهي أشهر أنواع الغربة، و أغزرها شعرًا، لكثرة المعانين لها، وهي تعني تغيُّر المكان والبيئة وظروف الحياة، ومن تخالطهم وتعايشهم من الناس.

وقد ذكرنا أنها كانت حالة جماعية، لكثرة من هاجر من العرب إلى الأمصار المفتوحة، والشعور بها أكثر ظهورًا، وأشدّ حدَّة عند البدو من أهل نجد خاصة، وأقل من ذالك عند مهاجري المدن الحجازية، لما كانوا تَعَوَّدُوْهُ من حياة المدن وظروف العيش بها.

ولهذه الغربة دواعي وأسباب كثيرة، منها:

أ- المشاركة بالفتوح والمرابطة والجهاد، ابتغاء مرضاة الله وثوابه، وفي ذالك يقول رجل من المجاهدين اسمه كلاب:

لعمرك ما تركْتُ أبا كلابٍ كبير السِّنِّ مكتئبًا مصابا

وأمَّـــا لا يـــزال لهـــا حنيـنٌ		تنـادي بعــد رقـدتهـا كـلابـا
لكسب المـــال أو طلب المعـــالي		ولكنِّي رجـــوتُ بـــه الثـوابـــا[10]

ب- طلب الرزق والفرار من فقر البادية، إلى غنى المدن والعمل بها، أو لمدح الأغنياء من أهلها، وهو أبرز أسباب الغربة ودواعيها:

سأكسِبُ مـالًا أو أمُـوتُ ببلـــدة		يقِلُّ بهـا قطر الـدموع على قبـري[11]

وحبب بعض الشعراء الرحلة في طلب الرزق ودَعَوْا الناس إليها مثل قول الشاعر:

لا يَمْنعَنَّك خفْـضَ العَيْش في دَعَـــةٍ		نـــزوعُ نفسٍ إلـى أهلٍ وأوطـــان
تلقى بكـل بـــلادٍ إنْ نَـــزَلت بهـــا		أهْــلًا بأهْل وإخــوانًا بإخــوانِ[12]

وبالغ بعضهم في هـذا فرأى أن الغربـة الحقيقِيَّة ليستْ مفارقـة الأهل والوطن، وإنما هي مقاساة الفقر والرضا به:

لعمـرك مـا الغـريب بـذي التَّنَائِي		ولكـنَّ المقلَّ هـــو الغـــريبُ
إذَا مَـا المـرءُ أعْـوَزَ ضـاق ذَرْعًـا		بحـاجتـــه وأبْعَـدَهُ القـــريب[13]

وأنكر عامتهم هذا، ورأوا الحضَّ عليه لُؤْمًا، وفضّلوا العيش بأوطانهم مع الفقر، على الغنى مع ذلّ الغربة وقسوتها:

إن الغـــريب وإن أقـــام ببلـــدة		يُجبى إليـــه خـــراجهـــا لغـــريبُ
وأقلُّ مـــا يلقَى الغـــريـبُ من الأذى		أن يُستَـذَلَّ وقـولـــه مكـذوبُ[14]

وقال ثان:

لَقُـــرْبُ الـدار فـي الإقتَـار خيـــرٌ		من العيش المـوسَّـع في اغتـراب[15]

وقال ثالث:

لعمـريَ لا أبْتَـاعُ رُغْفَـانَ خـالـدٍ		بأرْواحِ نَجْـدٍ مـا أقـام تُـرابُهـا[16]

وإذا كـانت المشاركـة في الجهاد، والسعي في طلب الـرزق، أسبابًا اختياريـة بمحض إرادة الإنسـان ورغبته، فإن مـن أسباب الغـربـة المكانيـة مـا يكون جَبْـرًا

واضطرارًا، كحالة أولئك السجناء الذين يُحْملون إلى سجون المدن، حملًا ويقاسون بها الجوع والغربة وثقل الأغلال وغلْظَةَ السجانين:

أَسِجْنًـا وقَيْـدًا واغْتـرابًـا وعُسْـرَةً ... وذكْـــرَى حبيب إنّ ذا لعَظيـم[١٧]

أو كحالـة أولئك النسـوة اللـواتي يضطـرهن أهلهن إلى الـزواج في غيـر قـومهن وأوطانهن، وما تلقى إضافة إلى وحشة الغربة من كيد أهل زوجها لها، حتى يعاب عليها. مالا عيبَ فيه، من سلوكها وهيئتها، وفي ذالك تقول شيبانية زُوِّجتْ في بني يشكر:

فأصبحت فـي آل الشَّقيق غـريبـةً ... عليَّ الـــذي لا عيبَ فيـــه معيبُ
وإنَّ زمـــانًـــا رَدَّني فـي عشيـــرتي ... إلـيَّ وإن لم أَرْجُـــــهُ لحبيـبُ[١٨]

ومن أجل هـاجس الخـوف من كثرة مـا يعـاب عليهـا وتُنتقد بـه، كـانت تلك الغريبـة ملازمة لمـرآتها، وتتعهـدها بالمسح والجُلُـوّ، وكثرة نظـرها إليها وتفَقُّـدها لهيئتها ولبـاسها من خلالها، حتى ضـربت العرب المثل بذاك في قولهـا المشهور (أنقى من مرآة الغريبة)[١٩].

ولاشك أن حدّة الشعور بالغربة المكـانية، تزداد قسوة، إذا وقع أحدهم في بلاد العجم، وأنكـر رطانتهـم وعاداتهم، وآذاه كيـدهم لـه ومكرهـم به، ثم زاده جهلـه بلغتهم وحشةً ووحدة. والعرب في هذا الشعـور سواء، بدوهم وحضرهم، متقدمهم ومتأخرهم، وقد صور ذالك بدوي قديم بقوله:

أمغْتَـرِبًـا أصبحتُ فـي (رَامَهُـرمـز)؟ ... أَلَا كل كعْبِيٍّ هنـــاك غـــريبُ!![٢٠]

وذكره حضري من القرن الرابع، وهو المتنبي، قائلًا:

ولكـنَّ الفتى العـــــربيَّ فيهـــــا ... غـريبُ الـوجْــهِ واليـد واللسـان[٢١]

كمـا صوره الأبِيْـوَرْدِيُّ، في القـرن الخامس، مع طـول إقـامته في بـلاد العجم وعظم مكانة أسرته بينهم:

فليتَ شعـريْ، وكمْ عـزَّ المُنى أُمَمًـا ... من فـرع عـــدنـــان والأذْواء من يَمَنِ
هل أهبِطَـنَّ بــلادًا أهلهـــا عَـــرَبٌ ... لم يَشْرَبُـوا غَيرَ صـوب العارض الهتن
إن يجمع الله شملي يـــاهُــــذَيْمُ بهم ... فَلَسْتُ إذْ ذاك بالزَّاري على الزمن[٢٢]

وقد جاء شعر الحنين في معظمه، نتيجةً للغربة المكانية، وهو تَشَوُّقٌ للمكان القديم وأهله، وإنكار للمكان الجديد وأهله وكل ما يتصل به بسبب.

وعاش الشعر العربي هذه الغربة، مرحلَةً مرحلة، وصورها جزءًا جزءًا، مواكبًا لها بكل تفاصيلها وجُزْءِيّاتها من بدءها حتى انتهائها، مواكَبَةً تثير الإعجاب والعجب.

فقد صور التفكير بأمرها، قبل الشروع بها، والإقدام عليها، وهي بَعْدُ وساوس تختلج في عقل الإنسان وقلبه، يشجع نفسه عليها آوِنَةً ويشفق منها ويتَهيَّبُ الإقدامَ عليها آوِنةً أخرى، ومن جميل ذالك ما صوره ابنُ ميَّادة قائلًا:

وأُشْفِقُ مِنْ وشْكِ الفِراقِ وإنني ... أظنُّ لمحْمُولٌ عليه فراكبه

فوالله ما أدري أيغْلِبُني الهوى ... إذَا جَدَّ جَدُّ البَيْن أم أنا غالبه

فإن أسْتَطِع أَغْلِبْ وأن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقَيْتُ يغلب صاحبه(٢٣)

فهذا رجل لم يغترب بعد، ولم يفارق من يحب، ولكنه يحسُّ ذاك قريب الوقوع، وأمرًا لا مفرَّ منه. وهو مشفق منه، متردد فيه بين الإقدام والإحجام، لا يدري ما سيكون من أمره، ولا يعلم أقادر هو عليه أم عاجز عنه، وما أحسن عرضه لحاله وما ألطف اعتذاره عنه.

وقال آخر:

لقد كنت أبكي قبل أن تَشْحط النَّوَى ... فكيف إذا ما غِبْتُ عنك أكونُ؟(٢٤)

وقال ثالث:

قالوا غداة غَدٍ رَحيل الموسم ... وفراقُ من تَهْوى بأنف راغم

فزفرتُ زفرةَ عاشقٍ مُتَحيّرٍ ... وبكيْتُ من جزَعٍ بدمع ساجم

هذا، وما حُمَّ الفراق، فكيف لوْ ... قالوا الرَّحِيْل يكون حال الهائم(٢٥)

ثم تتحول الوساوس إلى حقيقة أو يحسم الرجل أمره، ويبدأ أول طريق غربته، وأول اختباره لقوة جلده وعزيمته، وهو بعد متردد لا يدري أيواصل سفره، أم يقطعه عائدًا إلى أهله، كما فعل ذالك القرشي الظريف:

بَيْنمـا نحن بـ (البـلاكث) فـالقـا ... عَ سـراعًـا والعيس تَهْوِي هَـوِيّـا
خطـرتْ خطـرةٌ علـى القلب من ذكـ ... ـراك وهْنًـا فمـا استطعتُ مُضيّـا
قلتُ: لَبَّيْك إذْ دعـاني لك الشـو ... قُ وللِحـادِيَيْن كُـرَّا المطيّـا[٢٦]

فإذا قرر مـواصلة السفر، وطال عليه الطـريق وهى صبره، وكثرت أحـزانه، وطال بكاؤه، فإن كان أقدم على ذالكِ طائعًا غيـر مجبر، التَفَتَ إلى نفسه فأكثر من لومها وعتابها وتعنيفها، و ندم على ما أقدم عليه، مما لا طاقة له باحتماله:

أتظعـن عـن حبيبـك ثـم تبكـي ... عليـه فمـن دعـاك إلى الفـراق؟!
كأنّـك لم تـذُق للبيْن طعمًـا ... فتعلم أنَّـه مُـرُّ المـذاق[٢٧]

ودرّة الشعر المصـوّر لهذه المـرحلة من مراحل الاغتـراب، تلك العيّنية الـرائعة الغرّاء التي قالها الصِّمَّة بن عبدالله القشيـري، يلوم نفسه ويعنفها، أنْ زَيَّنَتْ له فراق (ريًّا) فتركها طائعًا مختارًا، ثم اشتـد جزعه وهو في أول الطريق، فأكثر التَّلفت إلى بيـوت الحيِّ حتى أصاب الـوجع عُنُقَـه، فإذا حال جبل (البِشْـرِ) دون رؤية بيـوت أحِبَّته وحجبهـا عنه، غلب عليه الشـوق، وضعف عن المكابـرة والاحتمال، فأطلق لدموعه العنان حزنًا وندمًا:

حَنَنْتَ إلى (رَيَّـا) ونفسـك بـاعـدت ... مـزارك من (ريـا) وشَعْبَـا كمـا معـا
فمـا حَسنٌ أن تأتِي الأمـر طـائعًـا ... وتَجْـزَعَ أَنْ داعـي الصبابـة أسمعـا
تَلَفَّتُ نَحْـوَ الحَيِّ حتى وجَـدْتُنِي ... وَجِعْتُ من الإصْغـاءِ لِيْتًـا وأَخْـدَعـا
ولمـا رأيتُ البِشْـرَ أعـرض دُونَنَـا ... وجَـالَتْ بنـاتُ الشـوقِ يَحْنِنَّ نُـزَّعَـا
بَكَتْ عَيْنَي اليُسـرَى فلمـا زَجَـرْتُهـا ... عن الجهل بعدَ الحِلم أسْبَلَتَا معًا[٢٨]

وقد وصف شعراء العرب، يوم الفراق ودقائقَ ما يجري فيه من العناق، والتحيات والتقبيل، ومغالبـة البكاء، وكثـرة المودعين وازدحـامهم، وذهول بعض النّسـوة عمّا اعْتَدْن عليه من الحجاب، وبروزهن للأبصار سافراتٍ، ومن أقوالهم في هذا:

عشيَّـــةَ زَمُّـــوا للفـــراقِ جِمـــالَهُمْ   فلم تَــرَ إلَّا وَاضعًــا في يَــدٍ يَــدَا(٢٩)

• • •

جــزَى الله يــومَ الْبَيْنِ خيْــرًا فــإنَّــهُ   أرانـــا على عِـــلَّاتِـــهِ أُمَّ ثـــابِتِ(٣٠)

• • •

من يكـنْ يكْـــــرَهُ الفِـــــراق فَإنِّـي   أشْتَهِيْــــــــه لمـــــــوضع التَّسليم
إن فيــــه اعْتِنـــــاقَــــةً لِــــوَداعٍ   وانتظـــــارَ اعْتِنـــاقَـــةٍ لِقُــدُوْم(٣١)

• • •

ومما شجـانِي أنَّها يــوم أعْـرَضَتْ   تَــوَلَّتْ ومـاءُ العَيـنِ في الجفن حـائرُ
فلمَّــا أعــادَتْ مــن بَعيــدٍ بنظـــرة   إليَّ التِفـاتًـا، أسلمَته المحـاجـرُ(٣٢)

ولعلك مشـاركي الإعجابَ بـروعة هـذه الأبيـات الأخيرة وبـراعة شـاعرهـا في تصويـر دموع صاحبتـه المتحيرة في جفونهـا أول الأمر، وهي تُغَالِبُ البكـاء وتظهر الصبر والجلادة، فإذا بَعُـدَتْ عنه وألْقَتْ عليه نظرتهـا الأخيرة، ضعُفَتْ عن الصبر والاحتمال، وأطلقَتْ من دموعها ما كان متحيِّرًا حبيسَ الأجفان والمآقي.

وكمـا صور الشعـراء يوم الفـراق وقسوتـه وآلامه، فقـد صوروا يـوم العودة، ومـا يحسُّونه فيـه من نشاط إذا أقبلوا عليه، يُقرِّبُ إليهم ما بَعُـدَ من ديارهم، ويُيَسِّرُ لهم مشقـة الطريق وصعـوبتـه، وتجيشُ نفوسهـم بمشاعـر الفـرح ودموعـه، ويستَيْقظ الشوق قويًّا عنيفًا كلما قَرُبتِ الديار، وبانَتْ معالمها ورسومها:

هَلِ الحُـبُّ إلّا نظـرة بعـــد عَبْـــرَة   وحَــرٌّ على الأحشـــاء لَيْسَ لـــه بَـــرْدُ
وفَيْضُ دمـــوعِ العَيْنِ يـا (مَيَّ) كلمــا   بَدَا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو(٣٣)

• • •

يُقَــرِّب الشـــوقُ دارًا وهـي نـــازَحــةٌ   من عالَج الشوقَ لم يَسْتَبْعِدِ الدارا(٣٤)

• • •

وكنتُ إذَا مــا زُرْتُ (سُعْدى) بأرضهــا   أرَى الأَرْضَ تُطوَى لي ويدنو بعيدها(٣٥)

• • •

طَـــربْتَ إلى الأُصَيْبِيَـــة الصغـــارِ   وهـــاجك منهم قـــربُ المـــزار
وأبـــرَحُ مـــا يكـــون الشـــوقُ يــومًـــا   إذا دَنَتِ الـــدِّيـــارُ من الـــديـــارِ(٣٦)

وما بين يـوم الفراق، ويوم العـودة واللقاء، كان أولئك المغتربـون يذوبون شـوقًا إلى أوطانهم وأهليهم، ويتخذ هـذا الشوق عندهم مَظْهَرَيْنِ تحـدثنا عن أولهما في بحث سابق، وهـو ضِيقهم بهذه الأمصـار الجديدة التي اضطـروا إلى الإقامـة بها، وولعهم بـذَمِّها وتقبيحهـا، وكلما ازدادوا لهـا كرهًـا ازدادوا بالمقـابل حُبًّا لبـلادهم وتَعَلُّقا بها. وظهـر لهم من محاسنها ومحاسن أهلها ما كـان خافيًا عليهم من قبل، أو هكذا تخيَّلُوا الأمرَ بدافع طول الفراق، وقسوة الغربة.

وكانت مُثيرات الشوق في نفوسهم، وبواعث الحنين إلى ديارهم، كثيرة متنوعة. منها:

أ- **أصوات الحمام والإبل**: وما ظنُّـوه حقيقة أو تَـوَهُّمًا من نـوح الحمام وحنين الإبل، ومشاركتهم الـوجدانية لهـا، شوقًا ودمـوعًا، ومن ذالك قـول عوف بن مُحَلِّمٍ الخزاعيّ وهو في (خراسان):

وأرَّقني في (الـرَّيِّ) نـوح حمـامـة ... فَنُحْتُ وذُو الشجـو الحـزين ينـوح
ونـاحتْ وفـرخـاهـا بحيث تـراهمـا ... ومن دُون أفـراخي مَهَـامِـهُ فِيْحُ[٣٧]

وقول الآخر:

تـذكّـرنـي (أمَّ العـلاء) حمـائمٌ ... تجـاوَبْنَ إذْ مـالتْ بهـنَّ غُصـونُ
ألا ياحمـاماتِ (اللِّـوَى) عُدْنَ عـوْدة ... فإنّـي إلى أصـواتكن حـزين
فَعُـدْنَ فلمَّـا عُـدْن كِـدْنَ يُمِتْنَنِي ... وكِـدتُّ بـأشجـاني لهـن أبيْنُ[٣٨]

وشعرهم في هذا يفوق العدَّ والاستشهاد.

ومما قـالوه في الإبل وحنينها ومشـاركتها لهـم في غربتهم بعيـدًا عن الصحراء، قول مُرَّةَ بن عَقيل:

لعمـري لقـد هـاجَـتْ عليَّ حمـامـةٌ ... قَلُـوصَ العِبَـادِيِّيْـنَ ليلـة حَنَّتِ
تعـدَّتْ لهـا والليـل مُلْقٍ رُوَاقـه ... فجـاوَبْنَهَـا حتى مَلَلْـنَ ومَلَّتِ[٣٩]

وقول الآخر:

وحَنَّتْ قَلُـوصِـي آخِـرَ الليلِ حَنَّـةً ... فيـا رَوْعَـةً مـا رَاعَ قَلْبـي حَنِيْنُهَـا

سعَتْ في عِقَالَيْها ولاح لِعَيْنِهَا سَنَا بارقٍ وَهْنًا فَجُنَّ جُنُونُها
فما بَرِحَتْ حتى ارْعَوَيْنَا لِصوتها وحتَّى انْبَرَى مِنَّا المُعِيْنُ يعيْنُها
تَحِنُّ إلى أرض (الحجاز) صَبَابةً وقد بُتَّ من أهل (الحجاز) قَرِيْنُهَا(٤٠)

ومَنْ ظَنَّ أن أولئك البدو كانوا قُساةً جفاةً، غلاظَ الأكباد، فقد ظلمهم وجهلهم، وتجنَّى عليهم، هاؤلاء الفاتحون العظام الذين فتحوا الأرض ودوّخُوا الدنيا، كانوا يحملون بين جوانحهم قُلوبًا رقيقة مرهفة، وكانوا عُشَّاقًا مَعَامِيْد يذوبون شوقًا وحزنًا وحنينًا، كلّما عرض لهم ما يذكّرهم بأوطانهم وأهليهم، وإلّا ففي أي أدب غير الأدب العربي تجد مثل هذه الصور الرائعة الإنسانية، التي تعكس مشاركتهم الوجدانية لحيواناتهم في آلامها وتصور عطفهم عليها ورفقهم بها.

وكان منظر الظباء الصحراوية التي تعترض طريق ركابهم، وتمرُّ بهم، تثير فيهم الشوق إلى نسائهم وتذكّرهم بهن، فيما يجدون فيها من وجوه الشبه بهن من رشاقة القَدّ وتَلَعِ الجيْدِ وسعة العيون:

ذكرتُكِ إنْ مَرَّتْ بنا أمُّ شادِنٍ أمامَ المطايا تَشْرئِبُّ وتَسْنَحُ
وما اعْترضَتْ للركب أدَماءُ حُرَّةٌ من العِيْن إلّا ظلَّتِ العينُ تَسْفَحُ(٤١)

ب- **الريح والبرق والمطر والنيران:** أمّا الريح فقد كانوا يرونها رسول أهلهم إليهم، ورسولهم إلى أهلهم، تحمل إليهم أخبارهم ورائحتهم وأشواقهم، ومن أجل ذالك طالتْ مناجاتهم لها. وأثار أشجانهم هبوبها غادية رائحة، وفي ذالك يقول هُدْبَة بن الخَشْرَم:

ألا لَيْتَ الرياحَ مُسَخَّرَاتٍ بحاجتنا تراوِحُ أَوْ تَئُوْبُ
فتخبرنا الشمالُ إذا أتتنا وتخبر أهَلنا عَنَّا الجنوب(٤٢)

وتقول وجيهة بنتُ أوس الضَّبِيَّة:

فلو أَنَّ رِيْحًا بلَّغَتْ وَحْيَ مرسلٍ حَفِيٍّ لنَاجَيْتُ الجنوبَ على النَّقْبِ

فقلتُ لهـــــا: أدِّي إليهم تَحيَّتِي   ولا تخلطيها - طال سَعْدُك - بالتُّربِ[٤٣]
فإنّي إذا هَبَّتْ شمـــالٌ سَألْتُهَـــا   هَلِ ازدادَ صَدَّاحُ (النُميْرة) من قُرب

ويقول نُجْبَةُ بن جنادة العُذْرِيُّ:

تأتي الريـاح التي من نَحْو بلدتكم   حتى أقـول دنت مِنّا بـرَيـاهـا[٤٤]

أمّا البرق فَبَشيرُ المطر، وأول الخير، وإذا كان الحضر لا يعبأون بالبرق، ولا يفرحهم المطر، فهو بلا شَكٍّ عِيْدُ البادية وفرح أهلها. لما يحمل لهم ولأنعامهم من النعمة والنماء وخصب العيش، ولهذا فإن رؤية أحدهم للبرق وهطول الأمطار، باعث من بواعث الشوق والحنين في نفسه، لما يتخيله من فرح أهله وسرورهم، وعجزه عن مشاركتهم هذا، لبعده عنهم في غربته النائية، وفي ذالك يقول أحدهم:

بدا الْبَرْقُ من أرض (الحجاز) فشاقني   وكل حجــازيٍّ لــه البــرق شــائق
سَـرَى مثلَ نَبْضِ العِـرْقِ والليل دونـه   وأعـلام أُبلَـى كلهـا والأسـالقُ[٤٥]

وقال ثان:

على أنني بـالبـرق من نحـو أرضهـا   إذا قَصُـرَتْ عنـه العيـون بصيـرُ[٤٦]

وقال ثالث:

وشِمْتُ البـارقـاتِ فقلتُ جِيْـدَتْ   جبـال النَّيْـرِ أوْ مُطِـرَ القَليبُ[٤٧]

وقد صوّر شعراؤنا، تضخم الإحساس بالغربة، عند الإنسان إذا كان بعيدًا عن وطنه وأهله، وهطل المطر مدرارًا وأقفرت الأسواق والشوارع من الناس، وذهب كلٌّ إلى بيته وأسرته، وبقي الغريب وحده، حبيس مكانه، لا يجد من يكلمه ويردُّ وحشته ويؤنس غربته، وفي ذالك يقول أبو تمام وقد حبسه المطر في بعض طريقه إلى (خراسان):

أبكي وقـدْ تَلَتِ البـروقَ مضيئـةً   من كل أقطـار السمـاء رُعُـودُ[٤٨]

وآخر من صور هذه الحالة الإنسانية الفريدة، من شعرائنا العظام، بدر شاكر السياب، في قصيدته الرائعة (أنشودة المطر):

أتعلمينَ أيَّ حُـــزْنٍ يبعث المطـــــر؟!
وكيف تنشـج المـــرازيب إذا انهمــــر؟!
وكيف يشعـر الوحيـد فيـه بالضيـاع![٤٩]

ومنظر النيران كذالك لا يثير الحضري ولا يستوقفه، ولعلها تثير في نفسه الرعب والفـزع، إذا أُوقدَتْ في مكـان مـرتفع أو إذا عـلا لهَبُهَا وتطـايـر شـررها، ولكن هـذا المنظر خليق أن يستثيـر شجون البدو، ويستدرُّ دمـوعهم ويهيج حنينهم وأشواقهم، لما كان يذكرهم به من نيران أهلهم إذا اجتمعوا حولها سامِرِيْنَ، وهي تعني للسارين منهم ليـلًا الأمن والأنس وكـرم الضيـافـة و اجتمـاع الشمل، وربمـا اشتـدَّ الشـوق بأحـدهم وأراد إدراك المستحيل في رؤيـة نيران أهلـه، على بُعْـدِ ما بينـه وبينهم من البـلاد والمفاوز، فتكلَّفَ من أجل ذالك أن يعلـو نَشَـزًا من الأرض أو يصعد جبـلًا، فإذا عجز بصره عن ذاك، رآه بقلبه توهُّمًا، ثم ظنَّه حقيقة واقعة بعد ذالك:

ومن جميل شعرهم في هذا، قول توبة بين الحُمَيِّر:

وأُشْــرِفُ بـــالغَــوْرِ اليفـــاعَ لعلّني ... أرى نارَ (ليلـى) أو يراني بصيـرها[٥٠]

وقول مالك بن الرَّيْب، وهو في أقصى الأرض من بلاد (خراسان):

وأَبْصَـرْتُ نـار (المـازنيـات) مَـوْهِنًـا ... بعَلْيـاءَ يُثْنَى دونَهـا الطـرفُ رانيًـا[٥١]

وقول الآخر:

أليس بعيـــدًا من رأى وهـــو قـاعـــد ... بـ(مكـة) أهل الشام يختبـزونهـا[٥٢]

وقول غيره:

نظرتُ ودوني السَّحْقُ من نخل (بارقٍ) ... بنظـرة سـامي الطرف حِجْنٌ مخـالبـه
لأُبْصِـــرَ نـارًا بـــ(الْجَـوَاء) ودونهـــا ... مسيـــرة شهـرٍ لا يُعَـــرِّسُ راكبـــه[٥٣]

ج- الغربان والقطا والركبان: ومما يثير حزنهم وحنينهم، رؤيتهم لما يعتقدون أنه متجه إلى أهلهم، وقادر على الوصول إلى ديارهم، دونهم، أكان طائرًا من ذوات الجناح التي تطوي المسافات طيًّا، أم كان ركبًا من الناس قدم من بلادهم أو في طريق الذهاب إليها، وهم يتمنون أن تبادلهم تلك الطيور أجنحتها بملابسهم وأرديتهم، فيبثُّونها لواعج نفوسهم ويشتكون إليها، ويبكون عندها. ومن أجمل مالهم في هذا المعنى وأعجبه وأرّقه، ما قاله بدويٌّ في مناجاة غراب مرَّ به:

ألا ياغُرابَ البَيْن هل أنْتَ بَائِعي ... جناحَيْكَ أم مستبدلًا بهما بُرْدي
فما زلْتُ أبكي عنده وأَبُثُّهُ ... من الشوق حتى جاءَني فبكى عندي

وقول الثاني في سِرْبٍ من القَطا:

بكيتُ إلى سِرْبِ القطا إذْ مرَرْنَ بي ... وقُلتُ ومثلِي بالبكاء جديرُ
أسربَ القطا هَلْ مَنْ يُعيْرُ جناحه ... لعلِّي إلى من قَدْ هَويْتُ أطِيرُ(٥٥)

أما الركب المغادر إلى أوطانهم، فقد حرصوا على توديعه ودعوه له بالسلامة والأمن. وكلَّفوه أن يحمل إلى أهليهم أشواقهم وتحياتهم ودعاءهم، ومن ذالك قول يحيى بن طالب:

إذا ارْتَحَلَتْ نحو (اليمامة) رفقةٌ ... دعاك الهوى واهْتَاج قلبُكَ للذكر
كأنّ فؤادي كلَّمَا مرَّ راكب ... جناحُ غرابٍ رام نَهْضًا إلى الوكر
فيا راكب الْوَجْنَاءِ أُبْتَ مُسلَّمًا ... ولا زلْتَ من رَيْب الحوادث في ستر
إذا مَا أتَيْتَ (العِرضَ) فَاهْتَفْ بِجَوّه: ... سُقِيْتَ على شحط النوى سبل القطر(٥٦)

وقال آخر:

أيا رفقة من نحو (مصر) تروّحت ... تَؤُمُّ (الحمى) لُقِّيتِ من رفقةٍ رُشدا
إذا ما بلغتم سالمين فبلّغوا ... تحية من قد ظنَّ أن لا يَرى (نجدا)(٥٧)

فإذا عاد الركب من أرضهم، هرعوا لاستقباله، فاستنشقوا رائحة أهلهم منه، وألحفُوا في سؤاله عمَّن ترك وراءه من أحبابهم، كقول أبي صَخر الهذلي:

ألّا أيها الركب المُخِبُّون هل لكم ... بساكِن أجْزَاعِ الحمى بَعْدَنَا خُبْرُ؟!
فقالوا: طَوَيْنَا ذاك ليلًا فإنْ يكن ... به بعضُ من تهوى فما شَعُرَ السَّفْرُ(٥٨)

وقول الآخر:

إذا ما أتاه الركبُ من نحو أرضه تنشَّق يسْتَشفي برائحة الركب[٥٩]

وصور الشعر إلى جانب هذا كله تلك المشاركة الوجدانية وذالك التعاطف الإنساني الذي يظهره الغرباء بعضهم لبعض، وقد أحَسُّوا فيما بينهما إلفَةً وتراحمًا، فدعَا كلٌّ منهم لصاحبه وفدّاه وأشفق عليه، وتمنَّى أن يردَّ الله غربته ويقرّب داره:

وأرتاحُ أن ألْقَى غريبًا صبَابةً إليه، كأنّي للغريب قريبُ[٦٠]

● ● ●

نفسي الفداء لنفس كل غريبٍ وفِداءُ كُلِّ مفارقٍ لحبيب[٦١]

غريبٌ يقاسِي الهمَّ في أرض غربةٍ فيارِبٌ قرّبْ دار كل غريبِ[٦٢]

وقد ذكر أبو الفرج ما درج عليه الغرباء من كتابة أسمائهم ووصف حالهم، على حيطان الأماكن التي يمرون بها، تذكارًا لهم وإشارة إلى زيارتهم لها (ومن شأن الغرباء في الأسفار، ومَن نزحَتْ به الدار، عن إخوانه وأترابه إذا دخل موضعًا مذكورًا ومشهدًا مشهورًا، أن يجعل لنفسه فيه أثرًا، تبركًا بدعاء ذوي الغربة وأهل التقطع والسياحة)[٦٣].

ومن ذالك ما كتبه أحدهم على جدار كنيسة:

يامعشرَ الغرباء رَدَّكُمُ ولقَيْتُمُ الأخبارَ عن قُرُبِ

قلبي عليكم مشفق وَجِلٌ فشفا الإله بحفظكم قلبي

إنّي كتبتُ لكي أساعدكم فإذا قرأتم فاعرفوا كتبي[٦٤]

وقد كان كتاب أبي الفرج جمعًا وتسجيلًا لتلك التذكارات التي خلفها الغرباء مكتوبة على أماكن شتَّى في عصور مختلفة، وهي تكشف همومهم ومعاناتهم وأحزانهم وأحلامهم، وما خلفت الغربة في نفوسهم من رقة وانكسار.

ومن أراد الاستزادة من هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب «الحنين إلى الوطن» في الأدب العربي للزميل الدكتور محمد إبراهيم حوَّر، ولله الحمد مبتدأ وختامًا،،

بغداد – كلية الآداب: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) انظر مقدمة جليل العطية لكتاب «الحنين إلى الأوطان» لابن المرزبان مجلة «المورد» م ١٦ ع ١/ ١٢٩ - ١٣٠ و «الحنين إلى الوطن» للدكتور محمد إبراهيم حوّر، ٢٠٧ - ٢٠٩.

(٢) «بهجة المجالس» ١/ ٢٢٦.
(٣) «ديوان المتنبي» بشرح العكبري ٤/ ٢٢٣.
(٤) نفسه ١/ ٣٢٤.
(٥) نفسه ٣/ ٧٠.
(٦) «أمالي القالي» ١/ ٢٢٩.
(٧) نفسه ٢/ ٣٥١.
(٨) «الزهرة» ١/ ٢٤٦.
(٩) نفسه ١/ ١٩٥.
(١٠) «المحاسن والمساوئ» للبيهقي ٥٥٠ وانظر «شعر الفتوح الإسلامي» للدكتور النعمان القاضي.
(١١) «العقد الفريد» ٣/ ٢٩.
(١٢) «بهجة المجالس» ١/ ٤٤.
(١٣) «العقد الفريد» ٣/ ٣٥.
(١٤) و (١٥) «بهجة المجالس» ١/ ٢٢٥.
(١٦) «ديوان المعاني» ٢/ ١٩٢.
(١٧) «مجموعة المعاني» ١٣٩.
(١٨) «أشعار النساء» ١٣٢.
(١٩) «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٥٣.
(٢٠) «الحماسة الشجرية» ٢/ ٥٦٣.
(٢١) «ديوان المتنبي» ٤/ ٢٥١.
(٢٢) «ديوان الأبيوردي» ٣٧٠.
(٢٣) «حماسة أبي تمام» ٤١٣.
(٢٤) «أمالي القالي» ١/ ١٧٧.
(٢٥) «أدب الغرباء» ٧٩.
(٢٦) «حماسة أبي تمام» ٣٧٤.
(٢٧) «أمالي القالي» ١/ ٢٠٧.
(٢٨) «حماسة أبي تمام» ٣٦٥.
(٢٩) «الزهرة» ١/ ١٨٧.
(٣٠) «نهاية الأرب» ٢/ ٢٤٣.
(٣١) «بهجة المجالس» ١/ ٢٤٦.
(٣٢) «ذيل الأمالي» ١٥٥.
(٣٣) «أمالي القالي» ٢/ ٢٤٤.
(٣٤) «بهجة المجالس» ١/ ٨٢٧.
(٣٥) «أمالي القالي» ١/ ٢١٤.
(٣٦) نفسه ١/ ٨٢.
(٣٧) نفسه ١/ ١٦٥.
(٣٨) نفسه ١/ ١٦٧.
(٣٩) «الزهرة» ١/ ٢٥٣.
(٤٠) «الحماسة الشجرية» ١٧٤.
(٤١) «الزهرة» ١/ ٢٠٢.
(٤٢) «أمالي القالي» ١/ ١٠١.
(٤٣) «حماسة أبي تمام» ٤٤٠.
(٤٤) «أمالي القالي» ٢/ ٥٥.
(٤٥) نفسه ١/ ٢٢١.
(٤٦) نفسه ١/ ٢٢٦.
(٤٧) نفسه ١/ ٧٩.
(٤٨) «ديوان أبي تمام» ٢/ ١٤٨.
(٤٩) «ديوان السياب» ٤٧٦.
(٥٠) «أمالي القالي» ١/ ١٦٥.
(٥١) «شعراء أمويون» ١/ ٤٧.
(٥٢) «أمالي القالي» ١/ ١٦٥.
(٥٣) «الزهرة» ١/ ٢٣١.
(٥٤) نفسه ١/ ٢٥٠.
(٥٥) «أمالي القالي» ١/ ١٧٦.
(٥٦) نفسه ١/ ١٥٠.
(٥٧) «الحماسة الشجرية» ٢/ ٥٦٤.
(٥٨) «أمالي القالي» ١/ ١٨٥.
(٥٩) «أدب الغرباء» ٥٢.
(٦٠) «التذكرة السعدية» ٥٣٩.
(٦١) «أدب الغرباء» ٧٢.
(٦٢) «بهجة المجالس» ١/ ٢٢٥.
(٦٣) «أدب الغرباء» ٢٣.
(٦٤) نفسه ٢٣.

الزكاة[1] وأبعادها في الحياة الاقتصادية للجزيرة العربية في العصر الأموي

(١)

بين يدي البحث: تضن المصادر تاريخية وغير تاريخية كثيرًا بالمعلومات على الباحث في هذا الموضوع. وهي - أي المصادر - وإن بدت غنية في الجانب النظري لموضوع البحث، وما يتصل بالبحث من الأسس والقواعد الفكرية، فإنها تبقى تفتقر إلى الحد الأدنى من المعلومات المتعلقة بالقضايا العملية والمسائل التطبيقية في البحث، والتي تشكل الجانب الأكبر من البحث، ويظهر فقر المصادر في خدمة هذا الجانب، كلما ولّى الباحث وجهه شطر البيانات الإحصائية لتوضيح النتائج وشفاء مطلب الباحث فضلًا عن إجابة القارئ إلى ما يثيره من الأسئلة.

ومع صعوبة المطلب، فلابد من المحاولة لكسر الجمود حول موضوع تتشعب صعوبات البحث فيه بين المصادر والفترة الزمنية والبقعة الجغرافية.

تحددت معالم الزكاة من حيث أصناف الأموال التي تؤخذ الزكاة منها، ومقدار ما يؤخذ من كل صنف، وشروط استحقاقها، وسهامها والوجوه التي تصرف فيها منذ زمن رسول الله ﷺ، ولما أتته الوفود التي أربى عددها على السبعين جعل على بعضها عمالًا منهم لجباية زكاة أموالهم[2].

وبعث آخرين إلى نجران وصنعاء والجَنَد وزبيد ورِمَع وعدن والساحل وكندة والصدف وحضرموت من بلاد اليمن، وإلى تهامة والطائف وديار بني المصطلق وهوازن، ثم إلى وادي القرى وخيبر وفدك وتبوك، وإلى غطفان وقضاعة ولخم وجذام وكلب وعذرة، وإلى البحرين وعُمّان واليمامة، و إلى قبائل تميم وقيس وأسد وطيء وغيرها[3].

واهتمام المصادر التاريخية بموضوع الزكاة عند الحديث عن العلاقة بين

المواضع المختلفة من الجزيرة العربية والقبائل فيها وبين المدينة مركز الدولة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين ليعني في بعض دلالاته مدى النشاط الاقتصادي وأهمية الزكاة في الحياة الاقتصادية في ذالك الوقت.

وعندما عدَّ البعض من أهل الجزيرة الزكاة إتاوة ومغرما، وطئت جيوش الدولة في خلافة أبي بكر أرض من تردد في أداء الزكاة أو منعها، وعندما أطل العصر الأموي على الجزيرة، كانت الزكاة في كل ما يتصل بها من معالم بعدًا بارزًا ومعلومًا في حياة أهل الجزيرة العربية.

عمال الزكاة: ومع أن حاضرة الدولة في العصر الأموي، ظلت في دمشق خارج الجزيرة، فإن الجزيرة كانت موضع اهتمام الأمويين واهتمام عبدالله بن الزبير في أثناء خلافته(٤) وقد اقتضت رعاية مصالح الناس في الجزيرة أن تستمر الدولة في تقسيمها إلى وحدات إدارية تتولى كل وحدة الإشراف على إجراء الحقوق والواجبات المتبادلة بين الراعي والرعية في مختلف الوجوه، وكان من هذه الوحدات ماهو على مستوى (ولاية)، مثل ولاية المدينة ومكة والطائف، وولاية اليمن، ومنها ما هو على مستوى (عمل) مثل عمل اليمامة وعمل البحرين و عمل عُمَان(٥).

كان أولو الأمر في هذه الولايات والأعمال يبعثون عمال الزكاة إلى المواضع المختلفة من أنحاء ولاياتهم وأعمالهم لجباية الزكاة، وممن ذكر من عمال الزكاة في هذا العصر، النعمان بن بشير الذي أرسل في خلافة معاوية - في أحد القولين - إلى بني عُذْرة فجبى زكاة أموالهم ورجع(٦) وعمرو بن عتبة بن أبي سفيان، الذي بعثه معاوية عاملًا على زكاة كلب(٧). وبعث مروان بن الحكم في ولايته على بالمدينة من قبل معاوية بعث المطلب بن عبدالله المخزومي عاملًا على زكاة طيء(٨). وعمل الحارث بن حاطب الجمحي القرشي لمروان عاملًا على زكاة بني عمرو بن حنظلة باليمامة، واستعمله عبدالله بن الزبير عام ٦٦هـ(٩)، وبعث نجدة

ابن عامر الحنفي إلى البلاد التي استولى عليها عام ٦٨هـ، بعث إليها عمال الزكاة لجباية أموالها، فبعث أبا فديك إلى حضرموت، والحازوق الحنفي على الطائف وتُبالة والسراة، وسعد الطلائع على ما يلي نجران، وحاجب بن حميضة على بني هلال وبني نمير وجبى نجدةُ زكاة صنعاء ومخالفيها وأجبر بني تميم على أداء الزكاة ولما ضعف أمره هرب عماله[١٠]. وعمل إبراهيم بن عربي الليثي في خلافة عبدالملك بن مروان على زكاة بني عمرو بن حنظلة[١١] وبعث عمر بن عبدالعزيز عاملًا على زكاة اليمامة يدعى ابن زرارة[١٢]. واستعمل عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك في ولايته على المدينة من قبل مروان بن محمد، استعمل أمية بن عبدالله بن عمر الأموي على زكاة أسد وطيء[١٣]. وهي تشير إلى أن المواضع والقبائل التي كانت تؤدي الزكاة من قبل استمرت تؤديها في العصر الأموي، فضلًا عن اهتمام ولاة الأمر في هذا العصر بهذا المورد المالي مما يؤكد أهميته.

جباية أموال الزكاة: كانت الإبل والبقر والضأن والمعزى من المواشي، والحنطة والشعير والذرة من الزروع، والتمر والزبيب من الثمار، والفضة والذهب من النقد التعاملي، وعروض التجارة، والمعادن والركاز أموالًا عليها في الأغلب مدار الزكاة في الجزيرة العربية[١٤]. وبخصوص الأموال من المواشي الآنفة الذكر، كانت القاعدة المتبعة منذ أيام الرسول ﷺ وأيام الراشدين أن يأتي عمال الزكاة أصحاب الأموال على مياههم وبأفنيتهم رفقًا بأصحاب الأموال وتسهيلًا لمهمتهم في جباية الزكاة[١٥].

وكذالك كان عمال الزكاة في عصر بني أمية يفعلون، يأخذون زكاة أموال الناس على مياههم وبأفنيتهم[١٦]. ويبدو أن مواضع مسمّاة بعينها أصبحت معلومة بين أصحاب الأموال وعمال الزكاة لأخذ زكاة الأموال عليها، كما ذكر البكري[١٧] من أسماء منازل كان عمال الزكاة يَحلُّون فيها ويأخذون زكاة أهلها عندها، ولأخذِ الزكاة من المواشي كانت المواشي تضطر إلى حظار، أو إلى جدار، أو إلى شيء قائم حتى يضيق طريقها ثم تزجر فتسرب، والطريق لا يحتمل إلّا شاةً أو اثنتين، ويُعِدُّ العادُّ في

يده شيئًا يشير به ثم يأخذ العامل الزكاة على ذالك العدد، وكانت أموال الزكاة من الإبل والبقر توسم في أفخاذها، وأما الغنم فتوسم في أصول آذانها، وكان ميسم الزكاة كلمات توسم بها في هذه المواضع من أعضائها هي (لله عز وجل)(١٨).

أما ثمر النخل والعنب، فكان يخرص عليه حين يبدو صلاحه، ويستطيب أكله، توسعة على الناس، ثم يخلّى بين الثمر وأهله بعد الخرص، يأكلون منه ثم يؤدّون الزكاة تمرًا وزبيبًا على ما خرص، و مما جاء في هذا الجانب أن مروان بن الحكم وهو على المدينة بعث خارصًا يخرص مال سعد بن أبي سعد، فخرصه سبع مئة وسق، وقال: لولا أني وجدت فيهم أربعين عريشًا لخرصته تسع مئة وسق، ولكني تركت لهم قدر ما يأكلون(١٩). أما الحبوب، فكانت لا تخرص، وإنما على أهلها الأمانة فيها، فإذا صارت حبًّا أخذ عمال الزكاة منها الزكاة(٢٠).

هذا بخصوص الأموال الظاهرة من المواشي والثمار والحبوب، أما الأموال الباطنة أو الصامتة من الذهب والفضة، فكانت تترك إلى أصحابها يخرجون زكاتها بأنفسهم(٢١). ولكن ولاة الأمر كانوا على التذكير بها، وربما احتاجوا إلى أن يفتشوا من علموا أنه لا يؤدي زكاة ماله فيأخذونها منه(٢٢)، وجاء عن الخلفاء الراشدين أنهم كانوا إذا أعطوا الناس أعطياتهم يسألون الرجل إن كان عنده من مال وجبت عليه فيه الزكاة، فإن قال: نعم، أخذوا زكاة ماله من عطائه(٢٣). وفعل مثل ذالك معاوية بن أبي سفيان(٢٤). وكان سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف (ت ١٢٧ هـ) قاضيًا بالمدينة في ولاية عبدالواحد بن عبدالله عليها، من قبل الخليفة يزيد بن عبدالملك وذالك عام ١٠٤ هـ، فشكا رجل من أهل إسماعيل بن عبدالله بن مطيع، شكا إليه إسماعيل، وذكر له أن إسماعيل لم يعطه في عامه هذا، من الزكاة إلا كذا وكذا من دينار، فاستدعى القاضي المشكوَّ إسماعيل وأخبره بشكوى ذالك الرجل من أقاربه، ثم طلب منه أن يرفع إليه حسابه لينظر فيه، فلما رفض إسماعيل، أمر القاضي بضربه، وظل يضرب بين كتفيه وعلى رأسه وهو قاعد في مسجد رسول الله ﷺ حتى امتثل لأمر القاضي، وقبل أن يدفع إليه حسابه، وإسماعيل يومئذ سيّد قريش(٢٥).

أما بالنسبة لعروض التجارة، فقد تعرض أولو الأمر من قبل لأخذ زكاتها من أهلها من المسلمين، فقد جاء عن عمر بن الخطاب أنه أخذها من رجل اسمه حماس كان يتّجر بالجلود في المدينة(٢٦). وكتب إلى العشّارين الذين بعثهم على القناطر والمآصر لأخذ عشور التجارة أن يأخذوا ربع العشر من أموال من يمر بهم من التجار المسلمين(٢٧). وكان مثل هذه القناطر موجودًا في بلاد اليمن، وقيل إن عبدالله بن الزبير أراد في خلافته أن يمنعها لما يقع فيه من الجور والظلم لأصحاب الأموال ثم بدا له تركها، ويبدو أنه آثر أن يأخذ العشّارين بالتزام الفرائض المشروعة في أخذ الحقوق من الأموال فلا يضيع عليه ما يجبى منها، وكان يأتيه من هذه المواضع أموال كثيرة(٢٨). وروى عن عباد بن عبدالله وولديه إنهم كانوا يعشرون السفن بعمان(٢٩). ولاشك أن اليمن وعُمَان من المراكز التجارية النشيطة في الجزيرة، وربما كانت لأخذ عشور التجارة، توجد بعض القناطر والمآصر في المراكز التجارية الأخرى من بلاد الجزيرة، ويروى عن عمر ابن عبدالعزيز أنه أكد على العشارين أن لا يتجاوزوا الحق إلى الجور، وأن يتحروا النصاب والحول عند أخذ العشور من المسلمين(٣٠).

أما المعادن في الجزيرة العربية فكثيرة(٣١). ولكن المعلومات عن مدى استغلالها لا تكاد تذكر، ومما يذكر منها، معادن بُحْرَان وذي المروة ووادي القُرَى ومعادن القَبَلِيَّة من ناحية الفُرُع بالحجاز(٣٢). وكان عمال الزكاة لا يأخذون زكاتها إلا بعد أن يصلحها أصحابها وتصير معدنًا خالصًا(٣٣).

صعوبات وشكاوي: لم تكن مهمة عمال الزكاة سهلة، فالأسباب التي تدعو إلى سوء الظن بين عمال الزكاة وأصحاب الأموال موجودة، فمن جانب عمال الزكاة، كانت الجباية عندهم مسؤولية تمتزج بحد السلطان وقوته، فتفضي إلى الإخافة والرهبة، وربما تتعدى إلى الجور والظلم، ومن جانب أصحاب الأموال، فهم ليسوا سواء في التدين وسخاء النفس وإدراك أبعاد هذه الفريضة المالية في حياة المجتمع، وأسباب أخرى تتصل بالأموال ذاتها ما بين نتاج قبل الحول يعدُّ

على صاحب المال أو بعد الحول لا يعد، وصغار تخالط أمهاتها تعد، أو لا تخالطها، وهرمة وذات عوار أو فحل وماخض (تريدُ أن تضع)، وأكيلة (تسمَّن للأكل)، وبين ثمار جيدة وأخرى رديئة، وبين زرع سنة واحدة يضم بعضه إلى بعض وتؤخذ الزكاة منه أو لا يضم أو يدعى أنه زرع سنتين، فاليمن تزرع في السنة مريتن، مرة في الخريف ومرة في وقت يقال له الشباط، فإن كان الزرع من نوع واحد وأدرك في سنة واحدة ضم بعضه إلى بعض وأخذت زكاته، فربما ادعى صاحب الزرع أن الزرع من غلة سنتين لا من غلة سنة واحدة[٣٤]. هذا فضلًا عن قضايا عروض التجارة ومشكلات أخرى من شأنها أن تَجُر إلى الاختلاف والشكوى. وتجعل عمال الزكاة ركيبا مُبْغَضِين[٣٥].

وقد ذكرت بعض المصادر شواهد نسوق منها شكوى عمرو بن أحمر[٣٦]. إلى يحيى بن الحكم بن أبي العاص والي المدينة من قبل عبدالملك بن مروان جاء فيها:

إنْ نحن إلا أُناس أهل سائمة ... ما إنْ لنا دونها حرث ولا غرر
ملُّوا البلاد وَمَلَّتْهُمْ وأحرقهم ... ظلم السعاة وبادَ الماءُ والشجرُ
فابعث إليهم فحاسبهم محاسبة ... لا تخفَ عينٌ على عينٍ ولا أثرُ

وقول الراعي النميري[٣٧] عبيد بن حصين من بني نمير بن عامر من أهل نجد لعبدالملك بن مروان:

أَخليفَة الرحمن إنّا معشر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في أموالنا ... حق الزكاة منزّلًا تنزيلا
إن السعاة عصوك يوم أمرتهم ... وأَتوا دواهي لو علمت وغولا
فارفع مظالم عيّلت ابناءنا ... عنا وأنقذ شلونا المشلولا

وقوله[٣٨] أيضًا:

أزرى بأموالنا قوم أمرتهم ... بالعدل فينا فما أبقوا وما قصدوا

نعطي الزكاة فما يرضى خطيبهم حتى تضاعف أضعافًا لها عدد

فإن رفعت بهم رأسًا نعشتهم وإن لقوا مثلها في قابلٍ فسدوا

وقول القطران السعدي[٣٩].

وأخذك من تسع، لبون ابن رافع بمظلومة الأرباب، لغوًا فصيلها[٤٠]

ولكن تَدعيت الخفارة، واعتدت سعاة من السلطان أنْتَ نزيلها

وإلّا تغيَّر يابن مروان ظلمنا يضيفك أحياء تساق كلولها[٤١]

ولا يخفى أن الشعراء فيما حكوا كانوا إلى إثارة مشاعر الخليفة أملًا في إزالة الحيف أقرب منهم إلى الحديث عن حقيقة ما جرى، ولكن وقوع هذه المظالم جميعًا في خلافة عبدالملك بن مروان يجعل المرء يميل إلى أن ذالك كان استثناءًا أصيب به هاؤلاء لما كان منهم من موالاة خصوم بني أمية، عبدالله بن الزبير ونجدة بن عامر الحنفي الحروري وأشياعه، فالراعي النميري[٤٢]، في القصيدة ذاتها يعتذر إلى عبدالملك قائلًا:

ما زرت آل أبي خُبَيب طائعًا يومًا أريد لبيعتي تبديلًا

ولما أتيت نُجَيْدة بن عويمر أبغي الهدى فيزيدني تضليلًا

إلا أنه هناك أمثلة تشير إلى دفع الزكاة طواعية وبسخاء نفس، وإخراج قدر يفيض عن حد الفريضة، قال قعدان بن رأس الطائي[٤٤] في أثناء ولاية عبدالواحد ابن سليمان على المدينة من قبل مروان بن محمد:

أتينا إلى (فرتاج) سمعا وطاعة نؤدي زكاةً حين كان عقالها

وكان أبو العالية يحمل زكاته إلى المدينة[٤٥]. وأصاب الجراد نخل الناس، وأخطأ نخل عامر بن عبدالله بن الزبير، فجعل عامر نخله صدقة على المسلمين[٤٦].

وبين هاتين الفئتين هناك الأغلبية المقتصدة التي كانت تؤدي ما عليها من حقوق مالية وفرائض جعلها الله في أموالها. هذا فضلًا عن الحلول التي كانت

تتخذ لرفع الخلاف وتطيب النفوس مثلما روي عن عمال عمر بن عبدالعزيز بالمدينة كانوا عند أخذ الزكاة يفرقون المال ثلاث فرق يختار صاحبه ثلثا ثم يأخذ عامل الزكاة حاجته من الثلث الثاني(٤٧).

(للبحث صلة)

أ. د محمد ضيف الله البطاينة

جامعة اليرموك - كلية الآداب - الأردن

الحواشي:

(١) استخدمت في هذا البحث لفظ (الزكاة) وهو لا يختلف عن لفظ (الصدقة) فهما يختلفان أسمًا ويتفقان (مسمى). انظر الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١١٣.

(٢) انظر ابن سعد «الطبقات» ١/ ٢٩١ - ٣٥٨.

(٣) من أجل ذالك انظر: ابن سعد «الطبقات» ١/ ٢٦٣، ٢٩٣ ابن حبيب «المحبر» ٧٧، ١٢٦، البلاذري «أنساب» ج ٤ قسم ٢/ ١٢٨، ١٥٠/ ١٥٠، أبو جعفر الطبري «تاريخه» ٣/ ١٤٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣١٨، ٣٣٠ - ٣٣٤.

(٤) انظر: اليعقوبي «تاريخه» ٢/ ١٦٦، ٢٣٨، ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٨٤، البلاذري «فتوح» ١/ ٥٤، ٥٥، ابن سعد «الطبقات» (القسم المتمم) ١٢٨، ١٦٠ - ١٦١، ابن عساكر «تاريخ دمشق» (مخطوط) ١١/ ٦٣٠، «تاريخ دمشق» (تهذيب)٢/ ٢٥٧ - ٢٦٣.

(٥) من أجل الوحدات الإدارية في الجزيرة العربية انظر: خليفة بن خياط «تاريخه» ٢٩٨، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٥٩، ٤٠٦، ابن قتيبة «الشعر والشعراء» ٢/ ٥١٢، ٥٢٢، ٥٧١، ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب دمشق» (تهذيب) ٢/ ٣٣٦، ٣/ ١٣٣ ابن الأثير «الكامل» ٤/ ٢٠٤، النجم «البحرين» ١٥٤، العقيلي «المخلاف» ١/ ٥٦ - ٥٨.

(٦) ابن قتيبة «الشعر والشعراء» ٢/ ٥٢٢.

(٧) انظر: ابن منظور «لسان العرب» مادة عقل.

(٨) انظر: «ديوان الفرزدق» ١/ ٨٤.

(٩) ابن عبد البر «الاستيعاب» ١/ ٢٨٥.

(١٠) ابن الأثير «الكامل» ٤/ ٢٠٣ - ٢٠٥.

(١١) «ديوان الفرزدق» ١/ ١٩٠.

(١٢) مالك «المدونة» ١/ ٢٩٦، أبو عبيد «الأموال» ٣٦٧، البلاذري «فتوح» ١/ ٩٤.

(١٣) ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٣/ ١٣٣.

(١٤) انظر: «صحيح البخاري» ١/ ١٧٨، الشافعي «الأم» ٢/ ٧ - ١٠، ٢٧، ٣٤، ٩٢. أبوعبيد «الأموال» ٤٦٨، ٤٦٩، البلاذري «فتوح» ١/ ٩٤، ٩٩، اليعقوبي «تاريخه» ٢/ ٢٣٤، ٢٥٠، البكري «معجم ما استعجم» ١/ ١٠٠.

(١٥) انظر: الشافعي «الأم» ٢/ ١٤، ١٧ - ٢٠، ابن زنجويه «الأموال» ٣/ ٨٨٨، أبو عبيد «الأموال» ١٨٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧. صالح العلي «تنظيم جباية الصدقات» ٨٧٢.

(١٦) أبوعبيد «الأموال» ٣٦٧.
(١٧) البكري «معجم ما استعجم» ٢/ ٣٩٨ - ٦٣٦، ٤ - ١٣٠٣.
(١٨) انظر: الشافعي «الأم» ٢/ ٢٠، ٨٠، ٩٢، ابن عبدالبر «الاستيعاب» ١/ ٢٥١.
(١٩) الشافعي «الأم» ٢/ ٣١، أبو عبيد «الأموال» ٤٣٣ - ٤٣٥.
(٢٠) الشافعي «الأم» ٢/ ٣٤ - ٣٦.
(٢١) أبو عبيد «الأموال» ٧٥٨.
(٢٢) مالك «المدونة» ١/ ٢٧٩.
(٢٣) مالك «الموطأ» ١/ ٢٤٦، «المدونة» ١/ ٢٧٩، أبو عبيد «الأموال» ٣٧١، ابن زنجويه «الأموال» ٣/ ٩٤١.
(٢٤) مالك «الموطأ» ١/ ٢٤٦، اليعقوبي ٢/ ٢٣٢.
(٢٥) وكيع «أخبار القضاة» ١/ ١٥٠ - ١٥٥.
(٢٦) الشافعي «الأم» ٢/ ٤٦، ابن زنجويه «الأموال» ٣/ ٩٤٢.
(٢٧) أبو عبيد «الأموال» ٧١١، ابن آدم القرشي، «الخراج» ١٧٩، الشيباني «السير الكبير» (شرح السرخي) ٥/ ٢١٣٣ - ٢٢٣٤.
(٢٨) أبو يوسف «الخراج» ٢٧٩.
(٢٩) ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٦/ ١٦٩، ابن الأثير «الكامل» ٤/ ٢٠٣.
(٣٠) أبو عبيد «الأموال» ٥٦٩، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧١٢.
(٣١) انظر: الأصفهاني «بلاد العرب» ٥١، ٧٤، ٩٦، ١٨١، ١٩٨، ١٩٩، الهمداني كتاب «الجوهرتين» ١٠، ١١.
(٣٢) مالك «الموطأ» ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩، البلاذري «فتوح» ١/ ١٤، أبو عبيد «الأموال» ٣٠٩ - ٣١٠.
(٣٣) الشافعي «الأم» ٢/ ٤٢ - ٤٣.
(٣٤) من أجل ذالك انظر: مالك «الموطأ» ١/ ٢٦٤، أبو يوسف «الخراج» ١٦٨ - ١٨١، الشافعي «الأم» ٢/ ٧، ١١، ٣٧، ٥٦، أبوعبيد «الأموال» ٣٣٩، ٣٦٤، ٣٦٥.
(٣٥) ابن زنجويه «الأموال» ٨٩٠. وانظر ابن عساكر «تاريخ دمشق» تحقيق سكينة الشهابي ترجمة عثمان بن عفان ٢٦٤.
(٣٦) القرشي «جمهرة أشعار العرب» ١/ ٨٥٠ - ٨٥١.
(٣٧) القرشي «جمهرة أشعار العرب» ٢/ ٩١٩ - ٩٢٥.
(٣٨) نوري القيسي «شعر الراعي النميري» ٨٢ - ٩٠.
(٣٩) الأخفش كتاب «الاختيارين» ١٣٠ - ١٣٣.
(٤٠) يقول الشاعر: إن أهل الإبل ظلموا لما عد فصيل الإبل وهو لا يعد.
(٤١) الكلول: جمع كل وهو الذي يموت كاسبه.
(٤٢) انظر: القرشي «جمهرة أشعار العرب» ٢/ ٩٢٠.
(٤٣) أبو خبيب: لقب عبدالله بن الزبير.
(٤٤) انظر: ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٣/ ١٣٤.
(٤٥) أبو عبيد «الأموال» ٥٣٠.
(٤٦) الزبير بن بكار «جمهرة نسب قريش» ٢٢١، «الأخبار الموفقيات» ٨١، ابن شبة «تاريخ المدينة» ١/ ١٧٦، ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٢/ ٢٦١.
(٤٧) انظر: الشافعي «الأم» ٢/ ٤٦، ٧٥، ٨٥، وكيع «أجبار القضاة» ١/ ١٢٨ البلاذري «أنساب» تحقيق المحمودي ٤٦، ابن شبه «تاريخ المدينة» ٢/ ٥٢٥ - ٥٢٦.

من شعراء بيت أبي سُلْمَى المُزَني

- ٣ -

عقبة المُضَرِّبُ وبنوه: أخبارُهم وأشعارُهم

أ- عقبة بن كعب وابنه العوام: هو أبو العوام عقبة بن كعب بن زهير المزني[١]، رابع حلقة من سلسلة شجرة الشعر في آل بيته، ورث الشاعرية عن أبيه وأجداده.

ويلقب بـ (المضرِّب) (مفتوح الراء)[٢]، ومنهم من يجعلها بـراء مكسورة[٣]، وهو لقب لُقِّبَ به عُقبةُ، لأنه شبَّب بـامـرأة من بني أسد[٤]، (وقيل: من بني عبس)[٥] فضربه أخوها مئة ضربة بالسيف، فلم يمُتْ وأخذ الدية، فأفاق، وأنشأ يقول شعرًا يرثي لحاله وما أصابه من جهل جلب له الهوان[٦].

ويبدو أنه كانت لـه وقعةٌ أُخرى تشبـه في جانب منهـا هذه الحـادثة، من بني الجُلَيح من بني عبدالله بن غطفان، الـذين يروي الآمدي (ت ٣٧٠هـ) عنهم أنهم كانـوا ضربوه بالسيـوف في قصة مذكـورة في «كتاب مزينة»، فقيل لـه: المضرب، فقال شعرًا يهجوهم به[٧].

وباستثناء مـا أشرتُ إليه، فليس بين يديَّ ما يكشف لي عن جـوانب من سيرته ومولده، ونشأتـه، وقرضه للشعر، ولا أستبعدُ أنه وُلد في العقـود الأولى بعد الهجرة، وتربى في أكناف أبيه، بمنازل قومه بـ (الحاجر) وغيره من المنازل المجاورة، راعيًا للغنم، وغيرهـا من الحيوانـات، التي كان يملكها أبـوه، وصائدًا، يـرث المهنة عن أبيـه، متنـاشـدًا مـا يتصل إلى أسمـاعـه مـن تـراث أُسـرتـه الشعـري، حتى شبَّ والشاعريةُ تتحرك على لسانه.

وتتناقل بعضُ الروايـات أخبار مُهاجياته مع ابنِ أُخته (سَلْمَى) الـرمَّاح بن أبرَدَ، المعـروف بـابن مَيَّادة، بسبب بعض خصـومـات عُقبـة مع بني سلمـة بن ظـالـم الغطفانيين، عشيـرة ابن ميَّادة، وهي مهـاجياتٌ وصل إلينـا منها مقطوعـة في بيتين للمضرب، ومقطوعتان في خمسة أبيات لابن ميادة[٨].

وربمـا كانت هـذه الخصـومات تعـود إلى ما روي من أنـه كـان يشبب بامـرأة بـ(الغميم) من بـلاد غطفـان، يقال لهـا (ليلى)، وسـوداء الغميم لقبهـا[٩]، وهو تشبيب ربما ورثه عنه ابنُه (العَوَّامُ) من بعده، كما ستأتي الإشارة بعد قليل.

وقد تكون الحائية التي اضطربت نسبتُها بينه وبين أبيه، وغيرهما من الشعراء[١٠] من الأشعار التـي أنشدها (عقبـة) في نسيبه بهـذه المرأة، ويبدو أن ذالـك كان في آخريات حياته، إذ تـدل مقدمة هذه الحائية على أنه قد أنشـدها وقد بلغ من العمر عتيًا، يجتر همومه وأحزانه، ويتسلى ببعض ذكرياته.

وليس بين يديَّ من الروايات أو الشـواهد ما يحدد سنة وفاته، غيـر أن معاصرته لابن ميَّادة المتوفى بين سنتي (١٣٦ - ١٤٦هـ)[١١] قد تأخذ بي إلى الاعتقاد بأن عقبة ربما كان وفاته في العقود الأولى من القرن الثاني، وعلى أكثر تقدير ربما كان من مخضـرمي الدولتين الأُمـويـة والعباسيـة مخلفًا مـن الأبناء ثـلاثة شعـراء هم: (العوام)، و (الممزق) و (شبيب).

والعوام شـاعر من الحلقـة الخامسـة في سلسلة الشعر بـآل أبي سُلْمَى، ومثل أبيه، لم تتيسر لـي معرفة شيء عن سيرتـه الأولى، ومولده، ونشأته، وقـرضه للشعر، وحرفته، باستثناء ما أشرتُ إليه، في السطـور المتقدمة، من تعلقه بالمرأة الغطفانية التي كان أبوه يشبب بها.

ويبدو أن هذه الغطفانية التي أنشد فيها العوام داليته التي اضطربت نسبةُ أبياتٍ منها بينه وبين كثير من الشعراء[١٢].

كما أشـار المرزبـاني[١٣] إلى مـا يروى من أنـه كان للعـوام امرأة يقـال لها (أم كامل) فنشزت عليه، فقال فيها شعرًا.

والظـاهر من هـذه الأخبـار، وما ذُكِـر عن سفـره إلى (مصـر) في ميرة، أن هـذا الشاعر كان من مخضرمي الدولتين الأمويـة والعباسية، وأنه توفي بعد أواسط القرن الثاني الهجـري، وليس شاعـرًا جاهليًـا، كما ذهب إلى ذالك أحـد الباحثين[١٤]،

ولشبيب أخيه رائية من ثلاثة أبيات أوردها الخالديان في «المختار من شعر بشار»، كما سنرى في مجموع شعرهم، ولأخيه الممزق بيت واحد، أورده له الصقلي في «تثقيف اللسان»، والنشابي في «المذاكرة في ألقاب الشعراء»، مما يدل على توارث جذوة الشعر بين الأجداد إلى الآباء فالأحفاد، وإن أخذت تضعف رويدًا رويدًا باختلاف الزمان وتنوع الأمكنة(*).

أ- مجموع شعر عقبة المضرب:

أ- قال (الطويل):

١- تـذكَّـرَ سَلْمى إنـه لَطَـرُوبُ ... على حين أنْ شَـابَتْ وكـادَ يَشِيْبُ
٢- وأدبَـر منهـا كـلُّ خيـرٍ وأقبلَتْ ... عـواذِ لُـه تلحَـى وليسَ ذُنُـوبُ
٣- يُفَـدِّينَـه طَـوْرًا وطَـورًا يَلُمْنَـهُ ... ويـزعُـمُ أنْ لَيْسَتْ لَهُـنَّ قُلُـوبُ
٤- أتذهَبُ سَلْمَى في النهارِ فَلَا تَرَى ... وبـاليل أيْمٌ حيـثُ شَـاءَ يَشِيبُ
٥- أَلَمَّتْ بِنَا مِـنْ أذْرُعـاتٍ فَسَلَّمَتْ ... منَ الليلِ أو رؤيـا المَنَـام كَـذُوبُ
٦- فـوالله مـا أدري أَسَلْمَـى تَقَـوَّلَتْ ... أم الحِلْـمُ أم كُـلٌّ إلـيَّ حَبِيـبُ

الحواشي:

(١) وفي «الحماسة البصرية»، بيروت: ٢/ ٢٣١: (العجلاني).
(٢) «الشعر والشعراء» ١/ ١٤٨، و «المؤتلف»: ٢٧٨، و «شرح ما يقع فيه التصحيف»: ٤٦٠.
(٣) «مجاز القرآن»: ١/ ١٤٥، ٢/ ٣٠٠، و «الصحاح» و «اللسان» (لبب)، و «التاج» (ضرب).
(٤) «الشعر والشعراء»: ١/ ١٤٨، و «شرح ما يقع فيه التصحيف»: ٤٦٠.
(٥) «ألقاب الشعراء»: نوادر المخطوطات: ٢/ ٣٠١.
(٦) «مجموع شعره» رقم (٢). (٧) مجموع شعره، رقم (٦).
(٨) «الأغاني»: الثقافة، ٢/ ٢٣٤، ٢٣٥، و «شعر ابن ميادة»: ١٠٨، ١٥٧ ومجموع شعره، رقم (٥).
(٩) «حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية»: ١٢/ ٤١، ٤٢.
(١٠) مجموع شعره، رقم (١٠). (١١) «شعر ابن ميادة» ص ٢٨ - ٣٠.
(١٢) مجموع شعره، رقم (٣). (١٣) مجموع شعره، رقم (٢).
(١٤) «شعر بني مزينة في الجاهلية» ٩٨، ر. م. بآداب الزقازيق (١٢٤٣/ ١/ ٨١١).

٧- على حين وافى الحَجَّ كُلُّ مُلَبِّدٍ إلى الله يـــدعُـــو رَبَّـــه ويُنِيبُ

٨- فقلتُ لهـــا فيئي إليك فـإنَّنِي حَـــرامٌ وإنِّي بعــــدَ ذاكَ لبيـبُ

٩- فَصَـدَّتْ بِعَيْنِي جُـؤذرٍ فَتَمَـايَلَتْ بمثل كثيـب مَـــالَ فيـــه قضِيبُ

١٠- وَكَرَّتْ بألحـاظِ المَهَا وتبسَّمَتْ بعَجْفَــاءَ عَـنْ غُـرٌ لَهُـنَّ غُـرُوبُ

١١- جرى الإسْحَلُ الأحْوَى عليهنَّ أوْجَرَى عَلَيْهـنَّ منْ فـــرْعِ الأرَاكِ قَضِيبُ

١٢- فإنْ تَكُ سَلْمَى قَـدْ أمَرَّ حَـدِيثُهَا فَقَــد كـانَ يحلُـو مَــرّةً ويَطيبُ

١٣- وأنتَ امـرؤٌ تَغْدُو عَلَى كُلِّ غِـرَّةٍ فتُخطـئُ فِيهـــا مــرةً وتُصِيبُ

١٤- ومنْ يكُ غَاراتٍ على الناس مَالُهُ فـــلابُـــد يـــومًــا أنَّـــهُ سَيَخِيبُ

١٥- فقُلتُ له: قَدْ طَالَ نَومُكَ فَارتَحِلْ أبــا النـومِ داوِيَّ الفَـــلاةَ تَجُـوبُ

١- الطروب: الحزين.

٢- أدبر: ولّى. والعواذل: اللائمات. وتلحى: تلوم وتوبخ وتؤنب.

٣- الطور: الحين. ٥- أذرعات: مدينة بالبلقاء، في أطراف الشام.

٦- التقوُّل: الابتداع والافتراء والكذب

٧- المُلبِّد: المقيم. والأنابة: العودة والرجوع.

٩- الجؤذر: الظبي. والكثيب: الرمل.

١٠- الألحاظ: مؤخرات العيون. والعجفاء: المهزولة النحيلة الضعيفة. والغر: الأسنان البيض الناصعات.

١١- الإسحل: شجر تتخذ منه أعوادُ السواك. والأحوى: الأسود من الخضرة. والأراك: شجر السواك يُستاك بفروعه.

١٥- الداوي: المفازة والموضع المجدب. والفلاة: المفازة وهي الأرض المقفرة.

المصادر: الأبيات (١ - ١٥) لعقبة في «تعليق من أمالي ابن دريد» تحقيق السيد مصطفى السدوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١٠١ - ١٠٢. والثامن في «مجاز القرآن» ١/ ١٤٥، و ٢/ ٣٠٠. و «الإبدال» ١٣٣ و «أمالي القالي» الآفاق، ٢/ ١٧١ و «سمط اللآلي» ١/ ٧٩١ و شرح «المفضليات» ١/ ٧١٤ و «الصحاح» (لبب) و «مجمل اللغة» (لب)، ٤/ ٢٤٣، و «المخصص» ١٤/ ٦٩ والشطر الثاني منه فقط في «اللسان» (لبب).. ونسب له ولعروة بن حزام في «الجمهرة» ٢/ ١٤٢، وليس في ديوان عروة.. والتاسع «أمالي المرتضى» ١/ ٤٥٩، وروايته فيه:

فَصَـــدَّت بِعَيني شـــادِنٍ وتبسَّمَت بِحِمَّـــاءَ عَنْ غُـــرٌ لَهُنَّ غُـــرُوبُ

والشادن: من أولاد الظباء الذي قد قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه.

ب- قال القتبي (ت ٢٧٦هـ): كان لكعب بن زهير ابنٌ يُقال لـه عُقبةُ شـاعرٌ، ولقبُه (المضرَّب)، وذالك أنه شبَّبَ بامرأةٍ من بني أسدٍ، فقال: (طويل):

١- ولا عيبَ فِيهَا غيـرَ أنَّكَ واجِـدٌ   مَـلَاقِيهَـا قـد دُيِّثَتْ بِـرُكُـوبِ

فضربه أخوها مئة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فُسمِّي: المُضَرَّب..

١- الملاقي: شعب رأس الرحم، مفردها: ملقى، وملقاة، ودُيثت: ذُلِّلت، طُرِقَت.

المصدر: «الشعر والشعراء» ١/ ١٤٨، ١٤٩.

جـ- ذكر أبو أحمـد العسكري (ت ٣٨٢هـ) الرواية السابقة مُضيفًـا إليها قوله: فأفاق (عُقبة)، وأنشأ يقول (كامل):

١- أفقتَ وقَـدْ أَنَى لَكَ أَنْ تُفِيقَـا   فَـذَاكَ أوانَ أَبْصَـرْتَ الطَّـرِيقَـا

٢- وكـانَ الجَهْـلُ مِمَّـا يَـزْدَهِينِي   إلـى غُلْـوَائِهِ حتَّـى أَذُوقَـا

١- أفقت: من الأفاقة، وهي الانتباه والصحوة والتيقظ، أنى: حان، آن: وأدرك.

٢- يزدهيني: يستخفني، غلوائه: مجاوزته الحد، والجهل هنا بمعنى السفه والطيش.

المصدر: «شرح ما يقع فيه التصحيف» ٤٦٠.

د- وقال متغزلًا (طويل):

١- وما برحَ الرسمُ الذي بينَ (حَنْجَرٍ)   و (ذَلْفـة) حتى قِيلَ: هَلْ هُوَ نَـازِحُ؟!

٢- وما زلتَ ترجُو نفعَ سُعْدَى ووُدَّهَا   وتبعـدُ حتَّى ابيضَّ منك المَسَـائِحُ

٣- وحتَى رأيتَ الشخصَ يـزدادُ مثلَه   إليـه وحَتّـى نصفُ رأسِي واضِحُ

٤- عَـلا حـاجبيَّ الشيبُ حتى كأنَّـه   ظبـاءٌ جَـرَتْ منهـا سَنِيحٌ وَبَـارِحُ

٥- فأصبحتُ لا أبتـاعُ إلا مـؤامـرًا   ومـا بَيْـعُ مَنْ يَبْتَـاع مِثلـي رَابِحُ

٦- ألا ليتَ سَلْمَى كلما حَـانَ ذكرُها   تُبَلِّغُهَـا عني الـريـاحُ النـوافِحُ

٧- وقـالـتْ: تَعلَّمْ أنَّ مَـا كَـانَ بيننَـا   إليك أداءٌ، إنَّ عهـدَك صَـالِحُ

٨- جميعًـا تُـؤَدِّيْـه إليك أمـانتي   كَمـا أُدِّيتْ بعـد الغـرار المَنَـائِحُ

٩- وقـالت: تعلَّمْ أنَّ بعـضَ حُمُـوَّتي   وَبعْلِي غضَـابٌ كُلُّهم لَـكَ كَـاشِحُ

١٠- يُحِدُّون بالأيدِي الشفَارَ وكُلُّهم ... لحلْقكَ لَو يَسْتطيعُ حَلْقَكَ ذَابحُ
١١- وهـزةُ أظعـان عليهنّ بهجـةٌ ... طلبتُ، ورِيعانُ الصِّبا بِيَ جَامِحُ
١٢- فلما قَضينَا منْ منًى كُلَّ حاجَةٍ ... وَمَسَّحَ ركنَ البيتِ مَنْ هُوَ ماسحُ
١٣- وشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ المهارى رِحالها ... ولا ينظرُ الغادِي الذي هُوَ رَائِحُ
١٤- فقلنا على الهُوجِ المراسيلِ وارتمتْ ... بِهنَّ الصَحَارِى والصِّمادُ الصَحَاصِحُ
١٥- نَزَعْنَا بأطرافِ الأحاديث بيننَا ... وَمَالتْ بأعناق المَطِيِّ الأباطِحُ
١٦- وطرتُ إلى قوداء قادَ تَلِيْلُهَا ... مناكِبهَا واشتدَّ منهَا الجَوانِحُ
١٧- كأني كسوتُ الرحْلَ جَوْنًا رباعيًا ... تضمَّنَهُ (وادي الرَّجَا)، فالأفايحُ
١٨- مُمَرًّا كعقْد الأندرِيِّ مُدَمَّجًا ... بدَا قارحٌ منه ولم يبدُ قارِحُ
١٩- كأنَّ عليه من قُباء بطانةً ... تفرجُ عنها جَيْبُها والمَنَاصِحُ
٢٠- أخُو الأرضِ يستخفي بِهَا غير أنَّهُ ... إذا استافَ منها قارحًا فَهوَ صائِحُ
٢١- دعاها من الأمهادِ أمهادِ عامِرٍ ... وهاجَتْ من الشعرى عليهِ البَوَارِحُ

١- الرسم: بقية الدار بعد هجرة أهلها عنها، وحنجر: موضع بالجزيرة من أرض بني عامر، و (ذلفة) كذا وردت في مطبوعات ديوان كعب، وربما كانت (زلفة)، وهي ماء شرقي سَمِيراء، والنازح: المهاجر، والبيت بدون الواو في صدره، وقد أضفتُها إزالة للخرم.

٢- المسائح: جمع مسيحة، وهي شعر جانبي الرأس، والذؤابة: ما بين الصدغين إلى الجبهة، والضمير في (تبعد) عائد على (سعدى).

٤- السنيح والسانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائرًا أوغير ذالك، والبارح: عكسه، والأول أحسن حالاً عند العرب في التيمن «اللسان» (سنح).

٥- المؤامر: المشاور، وابتاع: اشترى.

٦- النوافح: جمع نافحة، وهي الريح المُندّاة بالعطر والنسيم العليل.

٧- تعلّمْ: اعلمْ.

٨- الغراز: قلة اللبن، والغارز من النوق: القليلة اللبن، وغرزت الناقة تغرز غرازًا وهي غارز من إبل غرز: قل لبنها («اللسان»: غرز)، والمنائح: جمع منيحة، وهي الشاة والناقة يمنحها الرجل فيأكل لبنها، فإذا انقطع لبنها ردها على صاحبها، («ديوان كعب»، «اللسان»: منح).

٩- حُمَوة المرأة: أقارب زوجها، والبعل: الزوج، والغضاب: جمع الغاضب، والكاشح الكاره.

١٠- يحُدُّون السكين وَيحُدُّونها: يشحذونها بحجر أو مبرد، والشفار: جمع شفرة وهي السكين العظيمة العريضة، وحد السيف وجانب النصل.

١١- الأظعان: جمع ظعن والظعن جمع ظعينة، وهي المرأة في الهودج، وعن ابن السكيت: كل امرأة ظعينة في هودج أو غيره («اللسان»: ظعن)، والبهجة: السرور والجمال، وريعان الصبا: أوله وأفضله وأوجهه، والجامح: الخارج عن المقدار بغير انثناء.

١٢- المراد بالبيت هنا هو البيت الحرام شرفه الله سبحانه وتعالى.

١٣- الحدبة: خروج الظهر ودخول البطن والصدر وموضع الحدب من الظهر، والمهارى: جمع مهريَّة، وهي المنسوبة إلى مَهْرَة بن حيدان من عرب اليمن، وقالوا: إنها كانت لا يعدل بها شيء في سرعة جريانها.

١٤- الهُوج: جمع الهوجاء، وهي الناقة المسرعة، كأن بها هَوَجًا، (حُمقًا وَسَفًا وطَيْشًا) ولا يقال جمل أهوج، والمراسيل: جمع مرسال وهي الناقة السهلة السير، والصماد: ما غلظ من الجبل وتواضع واطمأن ونبت فيه الشجر («اللسان»: صمد).

والصحاصح: جمع الصحصاح، والصحصحان وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد. وقال السكري: ويروى: فقلنا عن الهوج وهي من القيلولة، وهي النوم في نصف النهار، وذهب محققو مطبوعة القاهرة من «ديوان كعب» إلى أن الرواية لعلها: ثقلنا أي أخذتنا ثقلة وهي النعسة الغالبة.

١٥- أطراف الحديث: ما يتعاطاه المحبون ويتقاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والإيماء دون التصريح، والأباطح: جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى.

١٦- الأقود: الطويل العنق والظهر من الإبل والناس والدواب، وفرس أقود: بين القود وناقة قوداء: طويلة، والتليل (مفرد أتِلّة وتلة وتلائل)، وهو العنق، والجوانح: جمع جانحة وهي الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر، سميت بذالك بسبب انحنائها وميلها.

١٧- الجون من الخيل والإبل والجمع: جون: الأدهم الشديد السواد، والرباعية، والجمع: الرباعيات، السن التي بين الثنية والناب، والرجا: موضع قريب من (وجرة) والصرائم: والأفايح: موضع.

١٨- المُمَرُّ: المُدْمَجُ القتل المحكمة، والأندري: الحبل الغليظ المنسوب إلى (الأندر) وهو بلد بالشأم كانت تُعمل فيه الحبالُ والنسبة إليه أندراني على غير قياس. («القاموس»:ندر)، والقارح هنا: الناب الذي ينبت مكان السن التي تلي الرباعية بعد سقوطها، وفي الأسنان بعد الثنايا والرباعيات أربعة قوارح.

١٩- القباء: الثياب، البطانة: الحشاوة والسريرة، وتفرج: اتسع، والجيب: القلب والصدر، والمناصح: جمع منصحة وهي الإبرة، النصاح: الخيط، الناصح: الخياط.

٢٠- استاف: اشتم والمساف الأنف لذالك، والقارح: الحامل، وقوله: أخوه الأرض: أي أن لونه كلون الأرض فتصعب مشاهدته وتميزه.

٢١- دعاها: طلبها ويروى: رعاها، والأمهاد: مواضع معروفة في الديار التي ذكرها. وهاجت: اشتد حرها، والشعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر. والبوارح: الرياح الحارة في الصيف.

المصادر: وردت هذه الحائية أو بعض أبياتها في عشرات المصادر منسوبة لأكثر من شاعر ومنها:

١- «ديوان كعب بن زهير» فراقو: ١٤٠، ١٤١، والقاهرة: ٢٣٩ - ٢٤٤، وعنها أثبتُ المتن، وفي مطبوعة الشواف: ٥١/ ٥٢، وقد أورد السكري الأبيات منسوبة لأبي المضَرَّب (كعب)، قائلًا: ويقال: إنها لعقبة بن كعب، والأبيات (١٢، ١٣، ١٥) في «الشعر والشعراء»: ١/ ٧٢، و «الحماسة البصرية» للمضرب بن عقبة، (بيروت: ٢/ ٣ ١٠)، وصححه المحقق، وفي «الوحشيات» ص: ١٨٧ والبيتان (١٢، ١٥) مما ينسب لعقبة بن المضرب، والأبيات (٢، ٣، ١١، ١٥، ١٣، ١٤) لعقبة في «أمالي المرتضى» الحلبي: ١/ ٤٥٧، ٤٥٨، وعنه في «معاهد التنصيص» ٢/ ١٣٤، ١٣٥، واستدرك صاحبه بعد إيراده الأبيات (١٢، ١٣، ١٥) بقوله: قائله كثير عزة، وقيل: لابن الطثرية.

٢- الأبيات (١٢، ١٣، ١٥) في ذيل ديوان كثير ص: ٥٢٥.

٣- وهي في «البديع في نقد الشعر» ص: ٢٥٤، لنصيب. وقال المؤلف: وقيل: هو لغيره، ونقلها محقق ديوانه، في الذيل، ص: ٢٦٣، له، وفي «شعر يزيد بن الطثرية»: ٤٠، ٤١.

٤- في «شعر بني قشير»: ٢/ ٩٣، ليزيد بن الطثرية، وقال المحقق: إن نسبتها إلى يزيد وردت واهية، وفي «الوساطة»، ص: ٣٥، و «الكافي»: ١٧٤، و «الوافي»: ٢٦٣، ورد البيت الخامس عشر ليزيد.

٥- الأبيات (١٢، ١٣، ١٥) في «نوادر القالي»: ١٦٦، و «أسرار البلاغة» بيروت: ٢٢، ٢٣، و «المثل السائر»: ٢/ ٦٦، و «الجامع الكبير»: ٧٠ - ٧٢، و «الخصائص»: ١/ ٢٨، ٢١٨ - ٢٢٠، و «معجم البلدان»: ٥/ ١٩٨، ١٩٩، و «لسان العرب»: (مطرف) وغيرها بدون نسبة.

الروايات: ١- رواية الثاني في «أمالي المرتضى»:

ومــــازلــت أرجـــو نفع سلمى وودهـــا ... وتبعـــــدُ حتى ابيض حتى المســـــائح

٢- التاسع في مطبوعة فراقو، من «ديوان كعب»: (وقالت: تعلّمْ أن بعض عمُومتي). وفيما عدا طبعات الديوان و«الأمالي» ورد الثاني عشر بقوله: (ولما قضينا من مِنًى كل حاجة).

٣- الثالث عشر في «الشعر والشعراء» و «الأسرار» و «الأمالي» و «المعاهد» و «شعراء بني قُشير»، و «شعر زيد»: (ولم ينظر الغادي الذي هو رائح). وفي «ذيل ديوان كثير»: (ولا يعلم الغادي الذي هو رائح).

٤- الرابع عشر في «الأمالي» والمعاهد:

فقلنـــا على الخـــوص المـــراسيل وارتمت ... بهن الصحـــاري والصفـــاح الصحـــاصح

هـ- نقل أبو الفرج بسنده أن عقبة بن كعب بن زهير نزل (المليحة)(*) على بني سلمى بن ظالم، فأكلوا له بعيرًا، وبلغ ابن ميَّادة (ت ١٣٦ - ١٤٦هـ) أن عقبة قال في ذالك شعرًا فقال ابن ميَّادة يردُّ عليه (كامل):

ولقــد حلفتُ بربِّ مكّــة صَادِقًــا ... لــولا قــرابــةُ نِسوة بــالحَــاجــرِ

لكســوتُ عُقبــة كُســوةً مشهُــورةً ... يَــرِدُ المَنَــاهِلَ مِــنْ كَــلَامٍ عَــاثِــرِ

فقال له عقبة (كامل):

١ - أَلُؤْمًا أنني أصبحتُ خَالًا ... وذِكْرُ الخَال ينقُصُ أَوْ يَزِيدُ

٢ - لَقَدْ قلَّدْتَ مِنْ سُلْمَى رِجَالًا ... عليهِمْ مِسْحَةٌ وهُمُ العَبِيْدُ

(*) المليحة: موضع في بلاد بني تميم، واسم جبل في غربي سلمى أحد جبلي طيء وبه آبار كثيرة [العرب: لكن المواضع والجبل ليسا في بلاد غطفان!!) والعاثر: السائر المنتشر.

١ - المسحة: العلامة والسمة.

المصادر: الخبر والأبيات كلها في «الأغاني» دار الثقافة، ٢/ ٣٤، ٣٥، وبيتا الرماح في «معجم ما استعجم»: ١/ ٤١٦، و «شعر ابن ميّادة»: ١٥٧، وفي الأخير، عن «الأغاني»، ثلاثة أبيات أُخر، رد بها الرماحُ على عقبة، ص: ١٠٨.

و- ذكر الآمدي أن عقبة بن كعب قال يهجو بني الجُلَيح، من بني عبدالله بن غطفان،وكانوا ضربوه، في قصة مذكورة في «كتاب مزينة»، فقيل له: (المضرب) (طويل):

١ - وما لمتُ نفسي غيرَ أنْ لَمْ يكُنْ معِي ... سِلَاحِي، وأنِّي لَمْ أَكُنْ جِدَّ حَاذِرِ

٢ - ألم تَرَ أنَّ العبدَ يقتُلُ رَبَّهُ ... ولم يكُ يخْشَاهُ وليسَ بثائر

٣ - شريتكم يا بنَ الجُليح كأنما ... شَرَيتُ، فلم أُغْبَنْ بِكُم بيعَ تَاجِرِ

٤ - فلم تفعلُوا فعلَ الرجالِ أُولي النُّهَى ... ولم تفعلُوا فِعْلَ النساءِ الحَرَائِرِ

١ - يريد أنهم أخذوه على حين غرة، بدون حذر منه، أو انتباه وتيقظ، والبيت بدون الواو في صدره، وقد أضفتها لإزالة الخرم.

٢ - ربه: سيده.

٣- شريتُكم: بعتُكم، وأُغبن: أُظلم.

٤ - أولو النُّهى: أصحاب العقول النيرة الراجحة، والنساء الحرائر: الكريمات الأصيلات حسبا ونسبا.

المصدر: «المؤتلف والمختلف»: ٢٧٨.

ز- قال الحسن الأصبهاني: الوتدات لبني عبدالله (بن غطفان) وبأعاليه أسفل من الوتدات أبارق إلى سندها رملة تسمى (الأثوار)، وهي التي ذكرها عقبة بن مضرب من بني سُلْمَى، حيثُ يقول (طويل):

١ - متى تشرفِ الثورَ الأغرَّ فإنما ... لكَ اليومَ من إشرافِهِ أَنْ تَذكَّرَا

١ - قال الأصبهاني: إنما جُعل ثورا أَغَرَّ لبياض كان بأعلاه، يقول: ما إن تستشرف الثور الأغر حتى يجدد لك

الذكر، ويهيج عليك الشوق والحزن، ويجوز أن يكون الشاعر قد قصد بالثور الأغر (القمر) فإن صح ذالك يكون الفعل يشرق، إشراقه [العرب: تشرفه تعلوه]

المصدر: «بلاد العرب» ٧٥.

ح- ونُسب له قول يمدح مصعب بن عبدالله الزبيري (بسيط):

١- إني لأحبسُ نفسِي وَهْيَ صَـاديـةٌ   عَنْ مُصْعَب ولَقَـدْ بـانَتْ لِيَ الطُـرُقُ

٢- رَعْوَى عليـه كما أرعى علـى هرَمٍ   جَـدِّي زُهَيْـرٌ وفينـا ذالـك الخُلُقُ

٣- مـدحُ الكرام وسَعْيٌ في مسرَّتهِم   ثُم الغِنَـى ويـدُ الممـدُوحِ تنطلِقُ

١- الصادية: المتعطشة، والتواقة، وبانت: انضحت معالمها.

٢- رعوى: رعايتي وابقائي.

٣- الغنى - ها هنا-: التعفف والزهد.

المصادر: الأبيات لـه في «الأغاني»، ط. الدار، ١٠/ ٣١٤، ٣١٥، و «ديوان المعاني» ٢/ ٢٨٨، و «خزانة الأدب» ت عبدالسلام هارون، ٢/ ٣٢٣، و «بلوغ الأرب» ٢/ ٩٩. وهي باختلاف طفيف، مع رابع لعبدالله ابن عمرو بن أبي صبح المزني (ت حوالي ١٨٠هـ) في الممدوح نفسه «جمهرة نسب قريش وأخبارها» ١/ ٢٧٠، و «تاريخ دمشق» ١٦/ ٥٤٩، وعنهما في شعره، ط دار الرفاعي، ٥٧، وقبلها قوله:

وقـد علمتُ - ألا والله يعلمُـه -   مـا قلتُ زورًا ولامِـنْ شِيمتِـي المَلَـقُ

ط- ونُسِبَ له قولُه يصف جملًا أو فرسًا (طويل):

١- وأشعثَ قـد طـارتْ قنَـازِعُ رأسِـهِ   دعـوتُ على طُـول السُّـرى وَدَعَـانِي

٢- مُطِرتُ بـه في الأرض حتى كأنَّـهُ   أخُـو سَبَبٍ يُـرْمَى بـهِ الـرَّجَـوَانِ

١- الأشعث: المغبر شعر الرأس والمتفرقة والمتلبدة، والمرتفع منه متأثرًا بالسير في الصحراء، وقنازع: جمع قنزعة، وهي الخصلة من الشعر حول الرأس، وفي «ديوان زهير»: طول الكرى.

٢- ويروى: (مطوتُ به الأرض) أي: مددتُ به في السير، وأخو السبب: ذو العزيمة، وقوله: لا يُرمى به الرجوان: مثل، قال الزمخشري: لا يُرمى به الرجوان أي الناحيتان مثل وأصله: أن الدلو إذا استقى بها فتارة يرمى به هذا الرجا، وأخرى هذا، فشبه بها الرجل المستذل المزال من وجه إلى وجه، يُضرب للرجل الموفي.

المصادر: ١- البيتان في «المستقصى في أمثال العرب»، للزمخشري: ١/ ٢٦٩، ٢٧٠ لعقبة.

٢- وهما من نونية تراوحت نسبتها بين زهير وابنه كعب، تستهل بقوله:

تبين خليلـي هل تـرى من ظعـائن   بمنعـرج الـوادي فُـويقَ أبَـانِ

«ديوان زهير» الهيئة: ٣٥٨ - ٣٦٥، والآفاق: ٢٦٧ - ٢٧٠، و «ذيل الأعلم» ٢٩٠ - ٢٩٦.

ب- مجموع شعر العوام بن عقبة:

أ- قال يصف امرأة (طويل):

١ - وصَـدَّتْ بِعَيْني شَـادِنٍ وتبسَّمَتْ بِحَمَّـاءَ مِنْ غُـرٍّ لَهُنَّ غُـرُوبُ

١ - الشادن: الظبي.

المصدر: «معجم الشعراء»: ١٦٤.

ب- ويروى أنه كانت له امرأةٌ يقال لها (أم كامل) فنشزت عليه فقال (طويل):

١ - أيـاربِّ أستجـرِيـكَ منْ أُم كَـامِلٍ بِمَـا غَـدَرَتْ والله أنجحُ طَـالِبِ

٢- يقـولُ خليـلٌ: لَـو تُبَـاشِـر ضَـرَّةً تُـرِيهـا نَهَـارًا طـامساتِ الكَـواكبِ

٣- رأيتُك لما أن بَـدَتْ منكَ صَفْحَةٌ من الأمْـر لا يُـرْعِينَ وَصْـلًا لِغـائِبِ

١ - أستجريك: أستغيثُ وأستجيرُ بك.

٢ - أي تجعلها ترى النجوم الخفية في وضح النهار لِمَا تُحِسُّ به من الأوقات العصيبة.

المصدر: «معجم الشعراء»: ١٦٤.

جـ- وقـال في امرأة بـالغميم من بلاد غطفـان، تُدعَى (ليلى)، وسـوداء الغمِيم لقبها، وتشبَّبَ بها أبوهُ من قبله، ثم عَلِقَها هُـو، فخرج إلى مصر في ميرةٍ، فبلغَهُ أنها مريضةٌ، فترك ميرتُه، وكَرَّ نحوَهَا، وأنشأ يقول (طويل):

١ - وَخُبِّـرْتُ سـوداءَ الغَمِيم مَـريضَـةٌ فأقبلتُ مـن مصـر إليهـا أعـودُهَـا

٢ - فـوالله، مـا أدرِي إذا أنـا جئتُهـا أأُبْـرِئُهـا منْ دَائِهـا أمْ أزيـدُهـا

٣- ألا ليتَ شعْـري هَل تغيَّـر بعدَنَـا مـلاحـةُ عَينيْ أُمِّ يحيـيَّ وَجيـدُهـا؟!

٤ - وهل أخلقت أثـوابُهـا بَعْـدَ جِـدَّةٍ ألا حبـذا أخْـلاقُهَـا وجَـديـدُهَـا

٥ - ولم يبق يـاسـوداءُ شيءٌ أُحبُّـه وأنْ بَقِيَتْ أعـلامُ أرضٍ وبِيـدُهـا

٦- خَليليَّ قُـومـا بـالعِمَامـةِ واعصبَـا عَلى كبِـدٍ لـم يبقَ إلَّا عَميـدُهَـا

٧- ولـم يلبث الواشُون أن يَصْدَعُوا العَصَا إذا لـم يكُن صلبـا على البَرْيِ عُـودُهَا

٨- لقد كُنتُ جَلْدًا قبلَ أن يُوقِدَ النَّوَى على كبِـدي نـارًا بَطيئًـا خُمُـودُهـا

٩- ولَـو تُركَتْ نـارُ الهَوى لتضـرَّمَتْ ولكنَّ شـوقًـا كُلَّ يـومٍ يـزيـدُهَـا
١٠- وقد كنتُ أرجُو أن تموتَ صَبَابَتِي إذا قَـدُمَـتْ آيـاتُهـا وعهـودُهـا
١١- فقد جعَلَتْ في حبةِ القلبِ والحَشَا عهَادَ الهـوَى تُـولِي بشَوْق يـزيـدُهَـا
١٢- فَسُـودٌ نَوَاصِيهـا، وحُمرٌ أكفُّهَـا وصُفْـرٌ تـراقيهـا، وبيضٌ خـدُودُهـا
١٣- وكنتُ إذا ما جئـتُ ليلَى أزورُها أرَى الأرضَ تُطوَى لِيْ ويـدنُو بعيـدُها
١٤- من الخفِراتِ البيضِ ودَّ جَليسُها إذا مـا قَضَتْ أُحْـدُوثـةً لـو تُعيـدُهـا
١٥- مُخصَّرةُ الأوساط زَانَتْ عقودَها بأحسـن ممّـا زيّنتْهـا عقـودُهَـا
١٦- يُمنِّيننَـا حتى تَـرِفَّ قُلـوبُنَـا رَفِيفَ الخُـزَامَى بـاتَ طَلٌّ يجـودُهَـا
١٧- خليليَّ إني اليـوم شـاكٍ إليكُمـا وهل تنفعُ الشكـوىَ إلى مَنْ يـزيدُهَـا
١٨- حزازاتِ شوقٍ في الفؤاد وعبرةٍ أظلُّ بـأطـراف البَنَـانِ أذودُهـا
١٩- وتحتَ مجال الدمـع حَرٌّ بلابلٍ من الشـوق لا يُدعـى لِخَطب وليدُهـا
٢٠- نظـرتُ إليهـا نظـرةً مَـا يسـرُّني بهـا حُمْـرُ أنعـام البِـلاد وسُـودُهـا
٢١- إذا جئتُهـا وسطَ النساءِ مَنَحْتُهَـا صُـدودًا كـأن النفسَّ ليسَ تـريـدُهـا
٢٢- ولِي نظرةٌ بعد الصدودِ من الجَوَى كنظـرةِ ثكلـى قـد أُصيبَ وَحيـدُهَـا
٢٣- رَفعتُ عن الدُنيَا المُنَى غيرَ وجهِهَا فـلا أسألُ الـدُنيـا ولا أستـزيـدُهـا
٢٤- ولـو أنّ مـا أبقيـتِ منِّي مُعَلَّقٌ بعُـودِ ثمـامٍ مـا تأوَدَ عُـودُهـا

٢- أبرئها: أُداوي سقمها وأعالجها. ٣- الجيد: العنق.

٤- أخلقت: أبليت، قدم عهدها.

٥- البيد: جمع البيداء، وهي الأرض الخالية من الحياة.

٦- العميد: الشديد الحزن الذي هده العشق والغرام.

٧- يصدعون العصا: يزعزعون العهد المبرم بين المحبين، والبَرْيُ: النحت والضعف.

٨- الجلد: القويُّ المتحمل بثبات وصبر. والنَوى: البُعاد والفراق.

٩- تضرّمت: ازداد توقدها وارتفع أوارها ولهيبها.

١١- حبة القلب: هند فيه، أو مهجته، يقال: أصابت حبة قلبه، أي: شغف قلبه حبهـا، والحشا: ما انضمت إليه الضلوع. والعهاد: الميثاق.

١٢ - النواصي: جمع ناصية، وهي الضفيرة من الشعر، والتراقي: جمع ترقوة، وهي مقدم الحلق في أعلى الصدر حيث يترقى فيه النفس.

١٤ - الخفرات: جمع خفرة، وهي المصونة مما يعرضها للذبول والتغيير، أو الشديدة الحياء، والأحدوثة: (والجمع: الأحاديث) ما يتحدث به.

١٥ - المخصرة: الدقيقة الخصر، وهو وسطها فوق وركها.

١٦ - يُمَنِّينا: يطمعنا ويغرسن الآمال في قلوبنا، وترف القلوب: تصفو وتروق، والخزامى: شجر له رائحة شجية، يعبق عبيرها، بالندى المتساقط عليه.

١٨ - حزازات الشوق: أوجاع القلب المتسببة عنه، والعبرة: الحزن المسبب للدموع، أذودها: أداريها وأخفيها وأدفعها.

١٩ - مجال الدمع: محل جولاته، والخطب: الأمر العظيم المكروه.

٢٠ - الأنعام (الإبل) الحمر والسود: من أشراف أموالهم.

٢٢ - الجوى: نار الشوق المضطرمة، وشقة الوجد من حزن أو عشق.

٢٤ - الثمام: نبت ضعيف من الفصيلة النجيلية، وتأود: تعوج.

المصادر: وردت أبيات من هذه الدالية في أكثر من عشرين مصدرًا مختلطة في أشعار كثير من الشعراء، لذا فإنني لا أكاد اطمئن إليها جميعًا لشاعر بعينه، وهو الأمر الذي أوجزه فيما يلي:

١ - الأبيات للعوام في «حماسة الخالديين»: ١/ ١٩٧ - ١٩٩، عدا (٥، ١٢، ١٥، ١٦، ٢٤) وعنها أثبتُ المتن، عدا الشطر الأول من أول بيت، الذي دونتُه عن التبريزي وغيره، وهي عدا (٤، ٥، ٦، ٧، ١٧، ١٨) في «الحماسة البصرية» بيروت: ٢/ ١٩١ - ١٩٣، لأبي العوام بن كعب، وعنها أثبت البيتين الثاني عشر والأخير، و (١، ٣، ٤، ٥، ٢، ١٤، ٢٠) «شرح العيني للألفية»، بهامش الخزانة، بولاق: ٢/ ٤٤٢، وعنه أثبتُ البيت الخامس، و (٣، ٤، ٢٠) في «معجم الشعراء»، ١٦٣، ١٦٤، و (١، ٣) في «حاشية الصبان»: ٤/ ٤٢ و ٢/ ٤٢، و (٣، ٤) في «عيون الأثر» ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥، و (١، ٣، ٤، ٥، ٢٠، ٢٤) بهامش التبريزي على الحماسة، القاهرة: ٢/ ٣٤٤ - ٣٤٦، و (١، ٢) في «الحماسة» (عسيلان) الفهارس: ٢/ ٢٥٩، وفي «شرح الأعلم» ٢/ ٧٦٥ لبعض الأعراب، وفي حاشيتها: لعبدالله بن عجلان، والأبيات (٢، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٤، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣) في «المذاكرة في ألقاب الشعراء» ص: ٦٠، ٦١، وفيه أيضًا ثلاثة أبيات أخر هي:

حصان من السوْءات للشمس وجهُها ... وللريم منها محجَراها وجيدُها

مرتجة الأطراف هيفٌ خُصورها ... عذابٌ ثناياها عجافٌ قيودُها

مثقلة الأرداف زَانَت عقودها ... بأحسن مما زينتها عُقودُها

والخامس عشر في «الدر الفريد» ٥/ ١٧٥.

٢ - الأبيات (٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٢) للحسين بن مطير الأسدي في «طبقات الشعراء» ١٢٦، ١٢٧، وعن الطبقات في شعره: ٤٦ - ٤٩، و (٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٦) في «أمالي» كل من الزجاجي: ١٩١ - ١٩٣، والقالي، الدار: ١/ ١٦٥، و(٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٦) في كل من «شرح المرزوقي» (٣/ ٢٢٨ وما بعدها) والتبريزي: ٣/ ٣٠٦، و ٣٤٤ - ٣٤٦) و «شرح الفسوي» (١١٩) و «عنوان النفاسة» (١١٥) و (عسيلان) ٢/ ٢٩٥، للحماسة، والبيت الثاني والعشرون، في شرح الفاسي (خ) الورقة رقم (١٣٤) و «شرح الأعلم»، ٢/ ٧٦١، ٧٦٢.

٣- الأبيات (١، ٢، ٢١، ٢٢) في «تزيين الأسواق»، مصر: ١/ ٨٠، وفي المصدر نفسه: ١/ ٧١، البيت العشرون لكثير، و (٢٠، ١٣، ١٤) في ديوانه: ١/ ٢٠٠ - ٢٠٤، و (٢٠) له في «الأغاني»، الثقافة: ٩/ ٣٧، و (١٣، ١٤) له في «شرح المكي على بانت سعاد» (خ) الورقة السادسة.

٤- في «التزيين»: ١/ ٨٠، عقب المؤلف على الأبيات بقوله: وقيل: إن هذه الأبيات لذي الرمة... وهي ليست في ديوانه أو ذيله، ط: دمشق.

٥- في «الزهرة» طبعة اليسوعيين: ١/ ١٠٠، و ١/ ١٥٧، ١٥٨: البيتان: (١٩، ٢٣) مع آخر لجميل بن معمر العذري، وعنها في ديوانه: ٦٩، وفي «الزهرة» المنار، ١/ ١٨٢، البيتان (١١، ٢٢) لمعاذ ليلى (المجنون) و(١، ٢) في «ديوان قيس برواية الوالبي»، ص: ٦٧.

٦- البيتان (١، ٢) في «الحماسة» عسيلان: ٢/ ٢٩٥، وفي «عنوان النفاسة»)١٧/ أ)، بدون نسبة، والأول في «معاني أبيات الحماسة»: ١٨٨، لأعرابي، وفي فهارسه: ٢٧٩، للعوام، و (١٣، ١٤) في «المستطرف»: ٢/ ٣٨٩، و ٤٠١، بدون نسبة ولنصيب في «الأغاني» الثقافة: ٩/ ٣٧.

الروايات وأهمها: ١- رواية الأول في «حماسة الخالديين» والبصرية: (وخُبرتُ ليلى بالعراق مريضة). وفي «متن الحماسة» التبريزي: (وخُبرتُ سوداء القلوب مريضة).

٢- الثالث في «البصرية»: (ألا ليت شعري... ملاحة عيني أم عمرو وجيدُها). وفي «العيون» وفي الحاشية: (ملاحة عينيها أم أعبّر جيدُها).

٣- الرابع في «الروض»:

وهل بُليت أثوابُها بعد جِدّةٍ   الا حبّذا أخلاقُها وجديدُها

٤- التاسع في «البصرية»: (ولو نزلت نارُ الهوى لتضرّمت).

٥- الرابع عشر في «البصرية» و «شرح العيني»: (إذا ما انقضت أُحدوثةٌ لو تعيدُها).

٦- التاسع عشر في «البصرية»: (وتحت مجال الصدر حزُّ بلابل).

٧- الحادي والعشرون فيها: (صدود أكان النفس ليس تريدُها).

٨- الثالث والعشرون في «الزهرة» و «ديوان جميل»: (فما أسأل الدنيا ولا أستزيدُها).

د- أورد محقق ديوان «الحماسة بشرح التبريزي» بقية خبر الشاعر مع تلك المرأة (التي أنشد فيها داليته السابقة) قائلاً: فلم يزل العوام يلطف حتى رأتْه ورآها فأومأت إليه أن: ما جاء بك؟ فقال: جئتُ حين علمتُ عِلّتَك، فأشارتْ إليه: أن ارجع، فإني في عافية فرجع لميرته، واستعز بها المرض، فجعلت تتولّهُ حتى ماتَتْ، فبلغه الخبرُ، فقال: (طويل):

١- سَقَى جَدَثًا بين الغميم وزلفةٍ   أحَمُّ الذُّرا واهي العَزَالي مطيرُها

٢- فقلتُ لقلبِي: لا تَبكِ فإنَّه   كذاكَ الليالي طُولُها وقصيرُها

٣- فإني لَبَاكِ ما بقيتُ وإنَّه   لأَسوأُ عبراتِ الرجالِ كثيرُها

وفيها يقول:

٤- وإن تلكُ سوداءُ العَشيَّة فارقَتْ   فَقَدْ مَاتَ مِلْحُ الغَانِيَاتِ ونُورها

١- الجدث (والجمع: أجداث وأجدث): القبر، والغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة «المغانم»، وقال السمهودي: ذكر كراع الغميم فيما بين عسفان ومر الظهران، وقال عياض: إن الغميم واد بين عسفان بثلاثة أميال، والكراع: جبل أسود بطرف الحرة يمتد لهذا الوادي، ويؤيده قول ابن هشام: الغميم بين عسفان وضجنان «وفاء الوفا»، وزلفة: ماء شرقي سميراء «معجم البلدان» والأحم: الأخص والأقرب، والواهي: الضعيف، والعزالي: جمع العزلاء وهو مصب الماء من القربة ونحوها، ويقال: أنزلت السماء عزاليها، إشارة إلى شدة وقع المطر، وربما كان بين هذا البيت وبين تاليه أبيات لم تصل إلينا. [العرب: الغميم من الأسماء المشتركة، ولكون الشاعر قرنه بزلفة فهو بعيد عن الغميم الذي في تهامة بقرب عسفان، ولعله الغميم الذي في بلاد تميم القريب من زلفة].

٤- ملح الغانيات: حسنهن وبهجة منظرهن.

المصادر: الخبر، والبيتان (١، ٤) في «شرح الحماسة» للتبريزي، حاشية: ٣/ ٣٤٥، ٣٤٦، والبيتان: (٢، ٣) في «معجم الشعراء»: ١٦٤، وعنه في «شعر بني مزينة في الجاهلية» ص: ٩٨.

هـ- وقال (طويل):

١- أإن سَجَعَتْ يومًا بوادٍ حَمَامَةٌ   دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ مَاءُ عينيكَ دَافِقُ

٢- كأنك لم تسمعْ بكاءَ حَمَامةٍ   بِشَجْوٍ ولم يُحزنكَ إلْفٌ مُفَارِقُ

٣- ولم تَرَ مَفْجُوعًا بِشيءٍ يُحبُّه   سواكَ ولم يَعْشَقْ كعشقك عَاشِقُ

٤- بَلَى، فَأَفِقْ عَنْ ذِكرِ لَيْلَى فإنما   أخُو الصَّبْرِ مَنْ كَفَّ الهَوَى وَهْوَ تَائِقُ

١- سجع الحمامة: موالات صوتها على طريق واحد، وتجاوب: تبادل أخرى، ترد عليها وتناغيها. دافق: هاطل. و (ساق حر) ذهب الأصمعي إلى أنه الذكر من الحمام.

٢- الشجو: الشجي، الطرب بالفرح أوالحزن، والألفُ: الخليل الصاحب.

٣- المفجوع: المبتلى والمصاب والمصدوم.

٤- التائق: المشتاق.

المصادر: الأبيات في «أمالي القالي» السعادة: ١/ ١٣١، و «مصارع العشاق»: ١/ ٢٩٥، والأول فقط في «سمط اللآلي»: ٣٧٣، للعوام، وفي «الحماسة البصرية» بيروت: ٢/ ٢٣١، ٢٣٢، لمرة بن عبدالله النهدي، وقال المؤلف: وتروى للعوام بن عقبة العجلاني.

والأبيات: (١، ٢، ٤) في «الحماسة الشجرية»، حيدر آباد: ١٧٢، للصمة بن عبدالله القشيري، وعنها أثبتها الدكتورُ عبدالعزيز الفيصل جامع شعر بني قشير في الجاهلية والإسلام: ٢٦١، ومحقق ديوان الصمة القشيري ص: ١١٥، ١١٦.

وهي في «تزيين الأسواق»: ١/ ٢٩٥، لمجنون ليلى. وعنها أثبت محقق ديوانه: ص: ٢٠٤، وفي «أمالي اليزيدي» ص: ٥٠، و «المراثي»، ١٣٥، والأول في «المخصص» بولاق: ٢/ ١١٥ بدون نسبة والأبيات (١ - ٤) في «ديوان قيس بن ذريح الوالبي»، ص: ٩٧.

الروايات: ١- الأول في «أمالي القالي» و «الشجرية» و «شعر بني قشير»:

أإنْ سجعت في بطن واد حمامة   تجاوب أخرى ماء عينيك دافق

وفي «السمط» و «المخصص» و «أمالي اليزيدي»: (تجاوب أخرى دمع عينيه غاسق).

٢- الرابع في اليزيدي:

بل فائق (؟) من وجد ليلى فإنما أخو العزم من كف الهوى وهو تائق

وفي «ديوان قيس» برواية الوالبي: بَلى وأَفِقْ.

جـ- شعر الممزق بن المضرب:

أ- نسب له ابن الجراح قوله (الوافر):

١- إذا وَلَدَتْ حَلِيْلَةُ باهِليٍّ غُلامًا زِيدَ في عَدَدِ اللئامِ

٢- وعِرضُ الباهِليّ وإنْ توقَّى عليه مثلُ منديلِ الطعَامِ

٣- ولو كان الخليفةُ باهِليًّا لقصَّرَ عَنْ مُسامَاةِ الكِرامِ

٤- إذا ازدحم الكرامُ على المعالي تنحّى الباهليُّ عَنِ الطعامِ

المصدر: الورقة، ١٠٤ - ١٠٥. [انظر عن هذا الشعر وأمثاله كتاب «باهلة القبيلة المفترى عليها»].

ب- ونُسِبَ له قوله (البسيط):

١- أنا الممزقُ أعراضَ اللِئَام كَمَا كانَ المُخرّق أعراضَ اللئام أَبِي

المُخرّق: المشقق والممزق.

المصادر: البيت له في «تثقيف اللسان»، ١٦٢، ١٦٣، و «المذاكرة»، ٢٤، وهو في «المؤتلف والمختلف»، ط، القدسي، ١٨٦، و «سمط اللآلئ»، ٤٦٣، و «الحماسة البصرية» ط: بيروت، ٢/ ٢٨٤، و «لطائف المعارف» ٢٥، و «اللسان» (مزق) و «المزهر»، ٢/ ٤٤٣، للمخرق بن الممزق الحضرمي، وورد في «الورقة» برواية:

إني المُخَرِّقُ أعراضَ اللئام كما كان المُمَزِّقُ أعراضَ اللئامِ أَبِي

وفي «المزهر»: إني المخرقُ أعراضَ الكرام كما...

وزار عليه البصري قوله:

لن أهجوَ الدهرَ إلا من لَه حَسَبٌ ولستُ أمدحُ إلا ثَاقِبَ الحَسَبِ

د- شعر شبيب بن عقبة:

قال (الطويل):

١- رعَى الله دهرًا أخرسَ العدلُ عُذْرَهُ وشرخَ شبابٍ لم يشُبْ صَفْوَه كَدْرُ

٢- أنال المُنى فيه بِغَيْرِ مَلامَةٍ ولا لومَ في شيءٍ إذا وَضح العُذْرُ

٣- إذ العَيْشُ حُلْوٌ والحَياةُ لَذِيذَةٌ وإذْ نَحْنُ لا نَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدَّهرُ

المصدر: «المختار من شعر بشار» ٣٣٠ - ٣٣١.

د. عبدالمجيد محمد عبدالمجيد الإسداوي

كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر

نظرات نقدية في كتاب:

«حدائق الآداب» للأبهريّ

يُعَدُّ كتاب «حدائق الآداب» من الكتب الهامـة، كون مؤلفه - رحمه الله - جمع فيه أكبـر قدر من العلوم والمعـارف، ورتَّبَهُ على ثلاثين كتـابًا (بابًـا)، الأول: كتاب أسنـان الحيوان،.. والأخيـر: كتاب العـروض. ولعلَّ صاحبَـهُ أَحَبّ أنْ يستفيدَ منـه طُلّاب المعرفة، على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم.

ومؤلف الكتاب هـو: أبو مُحمّد عبيدالله بن شاهَمْـردان الأبهريّ، ولم يكنْ حَظُّهُ حسنًا، إذْ ضَنَّتْ مظانٌّ تـرجمته عن إيراد شيء عن حياته أو ولادته أو وفـاته. فهو - بـذالك - يُضاف إلى أولئك العلمـاء الأفـذاذ الذين تـركـوا لنا نتـاجات عُقُـولهم الرائعة، وإنْ فاتَ أصحابُ التّراجم ذكرهم أو التّنويه بآثارهم.

أما مُحقّق الكتاب فهـو: الدكتور محمّد بن سُليمان السُّدَيْس، وهـو أُستاذ جامعيّ (كليـة الآداب - جامعـة الملك سعود)، ولـه أعمال كثيـرة في خدمـة التراث العـربي الإسلامي[1] وقد تَوَّجَها بتحقيقه لهذا الكتـاب القيّم، إذْ كان قَدْ أَصْدَرَ الجزءَ الأوّل منه بعنوان «حدائق الأدب»، عام ١٤٠٩هـــ، مُعتمدًا على نُسْختين خَطّيتين، حتى إذا عَثَر على نُسخةٍ جديدة، هي نُسخة مكتبة البلـدية في الإسكندرية برقم (٣٦٣/ ٧١٢ ج)، وفيها زيادات كثيرة، أعاد إصدار ذالك الجزء مـع الإضافاتِ الجديدة، في طبعةٍ دقيقةٍ كاملةٍ مضبوطةٍ بالشكل، وبطبـاعةٍ أنيقةٍ، في الرياض ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، في ٨٠٠ صفحـة، عـدا صفحـاتِ المقدّمـةِ. وَحَمَلَتْ هـذه الطبعـة اسم «حـدائق الآداب» - بـالجمع -، وذالك لـورود هذه العبـارة واضحـة في خطبـة الكتاب مـن المخطوطـة الجـديدة: (مُسَمَّيًا له بحـدائق الآداب، وطـرائقِ ذوي النُّهى والطّلابِ)، وهـو الاسم نَفْسه الذي أَثْبَتَهُ ياقوت الحموي (ت ٦٣٧ هـ) في (معجمه)[2].

إنَّ جُهْدَ الدكتـور السُّديس واضحٌ وجليٌّ في صفحات الكتـاب كلّها، سَواء في المقدمة التي دَبَّجَها أو النّصّ المحقّق، أو الفهارس التفصيلية التي صَنَعَها، وخَدَمَ بها الكتابَ، وَقَدَّم بذالك نسخةً قريبةً من نُسخة المؤلفِ، إنْ لم تكنْ هي!

وَبَعْدَ قراءتنا لكتاب «حدائق الآداب» هذا، قراءة مُستفيدٍ، تَجَمَّعَتْ لدينا ملاحظاتٌ نقديةٌ، رأينا أن نُثْبِتَها هُنا، لتَتَّدِعَ مُوَثَّقَة ومُبَوّبةً على وفْق الفِقَر الآتيةِ:

أوّلًا: مقدمة المحقق: عَقَد المحققُ الكريمُ نحو أربع عَشرة صحيفة للحديث عن الكتاب ومؤلفهِ ونُسخِهِ الثلاث، ومنهج التحقيق، فأفَاد وأبلغ.. على أنه فاتَتْه الأمور الآتية:

١ - وَرَد اسم مؤلف الكتاب في مصدر مهم لم يَطَّلع عليها الدكتور السُّديس هو: «العُباب الزاخر» للصَّغّاني (ت ٦٥٠ هـ)، إذْ أورد في مقدمته للكتاب (أسامي كُتب حَوَى هذا الكتاب اللغات المذكورة فيها)، وقال: «حدائقُ الأدب» للأبهريّ[٣]. وقد علّقَ مُحققُه الدكتور فير محمد حسن بقوله: (الأبهري: هو أحمد ابن عثمان بن أحمد الجابري الأبهري. توفي سنة ٣٣٨هـ.) انتهى.

قلتُ: لا أرىٰ ما أثبته الدكتور فير محمد حسن صحيحًا بل الصحيح هو ما أكّده الدكتورالسّديس والمصادر الأخرى[٤].

٢- رأيْتُ الأبهريَّ نَفْسَه يقول في كتابه هذا حين تحدث عن خلْق القرآن: (ومَنْ سَمّاهُ بذالك فَقَد كفر، وقد بيّنت تمام شرحه في كتاب «الرد على مَنْ قال بخلق القرآن»[٥].

قلتُ: هذا النَص الفريد مُهم جدًا. كُنْتُ أودّ أنْ يقفَ عليه الدكتور السُّدَيْس. ويتأكد من اسم هذا الكتاب الوارد فيه، بالرجوع إلى الكتب التي بَحَثتْ في هذا القضية المهمة.

٣- لا داعي لذكر المعلومات المفصلة عن الكتاب وطَبْعِهِ في هامش ص (م)، إذْ أنَّ ثَبتَ (مصادر التحقيق) كفيلٌ بذالك. وأظن أنّ كُتُبَ قواعد تحقيق المخطوطات قد تحدثتْ كثيرًا عن القضية التي أشار إليها الدكتور السديس ورجع فيها إلى مقدمة الكتاب الوارد في هامش هذه الصحيفة.

٤- من المفَضّل - وقد صار قاعدةً في التحقيق - إثبات الصَّفحات الأول والأخيرة عن النُّسَخ الخطيَّة التي رجع إليها المحققُ، لكننا لم نَرَ شيئًا من ذالك.

(النّصُّ المحقّقُ):

ثانيًا: تخريجُ النّصـوص.. زياداتٌ وإيضاحاتٌ: أورد مُصَنِّفُ الكتاب كثيرًا من النّصوص الأدبية: النثرية والشعرية شواهد مهمة في أبواب كتابه الثلاثين، وقد جَهِدَ المحققُ المِفْضَالُ في تخـريج هذه النصوص، بالإحالـة على المصادر التي وَرَدَتْ فيها بتوثيقٍ دقيق، وفيما يأتي ملاحظات عليها، مسُوقَة بحَسْب صَفحات الكتاب:

١- النُّصوص النثرية:

١- الصحيفة ٣- ورد نَصٌّ لخالد بن صَفْـوان لم يخرّجْه المحققُ. قُلْتُ: النَصّ هنا لم يـردْ كامـلًا في أيّ مَصْدرٍ آخـر اطلعتُ عليه، ولكن وَرَدَ بَعضُـه في: «العقد الفريد» ٢/ ٢٦١، «لُباب الآداب» ٣٤٩، «بهجة المجالس» ٦٦.

٢- النص الـوارد ص ٧٥ عن بعض الفصحـاء خرّجـه المحققُ على كتـاب «الفـاضل» للمبرّد بـاختـلاف. وكـان المُفَضَّل والصحيح أنْ يخرّجَـهُ على كتـاب «الخيل» للأصمعـيّ، لأنّ المُصَنّفَ يَنْقُل عن كتابـه. يُنْظر: كتاب «الخيـل» (مجلة «المورد» ٤ : ١٩٨٣م) ص ٢٠٣، و «أمالي القـالي» ٢/ ٢٥١. وفيه (جَبًّا) و(جنا) على التّوالي بدلًا من (حَيًّى).

٣- وَرَد في الصحيفة ٣٩٨: أنشد أبو زيد: أمّ حوار ضَنْؤُهَا غيرُ آصر.

وَخَـرّجـه المحققُ على كتـاب «النـوادر» لأبي زيد الأنصـاري - طبعـة سعيـد الخوري، غيـر العلمية، والصحيح ط. الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، ١٩٨١م، ص ٤٦٠ وفيها وَرَدت (ضِنئوها) بكسر الضاد لا فتحها.

٤- وَرَد حـديثٌ نبويٌّ شـريفٌ اكتفى المحققُ بأنّـه مرويٌّ في البخـاري ومسلم دون ذكر الجزء والصّحيفة.

٥- ثمـة آيـات قـرآنيـة كـريمـة لم تُخَـرّج على المصحـف الشّـريف. ينظـر الصفحات: ١٩٥، ٣٣٧، ٦٠٠.

ب- النُّصُوصُ الشّعريةُ:

١- من المفضّل عدم إثقال الهوامش بالإحالة على المصادر الكثيرة التي وَرَدت فيها الأبيات - أو البيت..، بل يكتفَى بالديوان أو المجموع الشعريّ للشّاعر. لأنّ جامعَ الديوان أو محققَهُ رَجَعَ إلى تلك المصادر وخَرَّجَ عليها الأبيات. لذا فإنّ عَوْدَة مَحقِّق «حدائق الآداب» إلى تلك المصادر ثانيةً وإِثباتها هو جَهْدٌ زائدٌ لا داعيَ له، يُنْظَر - على سبيل المثال: الصفحات: ٢٣٧، ٤٧١، ٦٠٤.. ولكن تجوزُ الإشارة إلى هذه المصادر بعد تخريج الأبيات على الديوان، إذا كانت متعلقةً بقضيةٍ لغويةٍ أو نحويّةٍ أو عروضيَّة، يُنظر مثلًا - الصحيفة ٥٣٨ (بيت كثير عزّة).

٢- الصحيفة ٦: ورد بيتان على قافية اللام لم يَنْسُبهما المصّنفُ إلى أَحَدٍ، وقال المحققُ: (لم أقفْ على قائلهما).

قال عباس الجراح: البيتان للخليل بن أحمد الفراهيدي في: «نور القبس» ٦٣، وعنه في: مجموع شعره، جمع وتحقيق ضياء الدين الحيدريّ وحاتم الضامن (مجلة «البلاغ» ٦: ١٩٧٣م) السنة الرابعة(٦).

٣- الصحيفة ٦ - ٧، وَرَدَ بيتان راثيان. قالَ المحقّقُ في الهامش: (... لخالد ابن صَفْوان الأَحتمي... وهما في شعره صنعة عبدالكريم الأشتر..).

قلتُ:

أ- البيت الثاني فقط لخالد بن صفوان في: «نقد الشعر» ٢٤٥.

ب- أظن أن هناك سقطًا في كلام المحقق. فليس ما صَنَعهُ الأشتر هو شعر خالد ابن صفوان، بل شعر دعبل بن علي الخزاعي، وهو الصحيح ضمن سياق الكلام.

٤- الأبياتُ القافيةُ في الصحيفة ١٣ للأسود بن يَعْفر. هي في ديوانه ٥٤، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٧٠م، ورواية عجز الثالث: بمندفع الميثاء من رَوْض ما ذِق.

٥- الشطر المفرد الوارد في الصحيفة ٥٤ لم يَنْسبْه المصنّفُ ولا المحقّقُ إلى قائلٍ معينٍ.

قلتُ: هو لعَمْرو بن الأسلع العَبْسيّ في: «العقد الفريد» ٥/ ١٥٨، وللخليل بن أحمد في: «نهاية الأرب» ٦/ ٨١٨ ورواية الصدر: يَمَّمته الرّمح شَزْرًا ثم قلتُ له.

٦- البيت المذكور في الصحيفة ٩٢، الذي ذكر المحققُ أنه لأبي دُواد الرؤاسي. هو في مجموع شعره الذي نشره الأستاذ محمد يحيى زين الدين في مجلة «العرب» - س ٣٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٦٠. ونحن نذكر هذا للفائدة.

٧- جاء في الصحيفة ١١٩ بَيْتٌ على قافية القاف، قال المحقّقُ الكريمُ إنَّهُ لقَيْس بن الحدادية، لكنه لم يرجع إلى شعره في مجلة («المورد» ٢: ١٩٧٩م) ص٢١٤. ثم قال: «ديوان أبي دواد الأيادي» دون ذكر الصَّحيفة. قلتُ: الصواب: «شعر أبي دُواد الإيادي»، ص ٣٢٦.

٨- رَجَعَ الدكتور السُّديس في تخريج بيت جِران العَوْد النّميريّ إلى ديوانِهِ - طبعة ١٩٣١م. والمفضل الرجوع إلى طَبْعةِ الدكتور نوري القيسيّ - بغداد ١٩٨٢م، والبيت فيه وارد في الصَّحيفة ٥١، والرواية فيه: ... وسطها... تمايَلَ مُتْرَفُ، وأَخَلّ الديوان بالبيت الأَوّل الوارد في «حدائق الآداب».

٩- البيت الوارد ص ١٩٣. قلتُ: هو لجَعْثَنَة في: «اللآلي» ٨٣٤. والرواية فيه:... شجراتٍ. مع ضرورة ضَبْط جنًى - بالتَّنْوين.

١٠- وَرَد في الصحيفة ٢٢٥ بيتٌ للعُجَيْر السّلوليّ، لم يُخَرِّجْهُ المحققُ الكريمُ على شعره المجموع في مجلة «المورد» - مج ٨ - ٤: ١٩٧٩م - ص ٢٢٠. وفيه (مُعِلّ) بدل مُعَلّى.. ثم وَرَدَ في الصحيفة بيتٌ له لم يَنْسبْه محقق الكتاب. وهو في مجموع شعره ص ٢٢٦.

قلتُ: إنّ مجموع شعر العجير السلوليّ ثابتٌ في قائمةِ (مصادرِ التَّحقيق) ص٧٨٢، ولكنْ المحققَ الكريمَ لمْ يرجعَ - أو يُشير - إليه في هذين الموْضعين!.

١١ - وَرَدَ البيت الشهير:

لا تَنْـــه عن خُلُق وتـأتي مثلــــه عـــــار عليك إذا فعلـتَ عظيـمُ

غَيْر منسوبٍ إلى شاعرٍ ما.

وعلَّقَ المحقّقُ على ذالك: (للمتــوكّل بن عبـدالله اللّيثيّ (عــاش في العصـر الأموي)، كما في «الحماسة» للبحتري..).

قلت: كـــان على الدكتور السُّدَيْس الرجوع إلى ديوانه بتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٨٣، وفيه إنه توفِّي نحو ٧٢ هـ.

يُضاف إلى ذالك أنّ البَيْتَ يُنْسَب لأبي الأسود الدُّؤلي، في ديوانه ١٣٠.

١٢ - البيت الوارد في الصحيفة ٢٨٩ نَسَبَهُ المحقّقُ إلى صالح بن عبدالقدوس، قلتُ: هو في ديوانه ١٣٦ (جمع وتحقيق عبدالله الخطيب، بغداد، ١٩٦٧م).

١٣ - أَثْبَتَ المحققُ الكريمُ في هامش الصحيفة ٢٦٥ أبياتًا للأغلب العجليّ. قلتُ: جَمَـعَ شعــــرَهُ وَحَقَّقَــــهُ الدكتور نوري حمودي القيسي في كتابه: «شعراء أمويون». الجزء الرابع. بيروت ١٩٨٥م).

١٤ -وَرَدَ المَثَلُ: وهل ينهض البازي بغيـر جناح؟ في الصحيفة ٢٧٣ - ٢٧٤، وقـال المحققُ: (وهــو عجـز بيت من الشعـر)، ولم يَنْسِبْـه. قلتُ: هـو لمسكين الـدّارمي، في ديـوانـه (جمع وتحقيق خليل إبـراهيم العطية، وعبـدالله الجبـوري، بغداد، ١٩٧٠م - ١٣٨٩هـ).

١٥ - في الصحيفة ٢٨٠ رَجَعَ المحقّقُ الفاضلُ في تخريج البيت:

قـد يُـدْرِك المتأنـي بَعْضَ حـاجتـه وقـد يكـون مع المستعجـل الـزللُ

إلى سبعة مصادر نَسَبَتْهُ إلى القطامي. قلتُ: كان مناسبًا الرجوع إلى ديوانه ص٢٥ (تحقيـق: الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، بيروت، ط ١، ١٩٦٠م). فهذا الديوان يُغْني عنها جميعًا، ويُوَفِّر جُهدًا على المحقق والقارئ و.. الهامش!

١٦- أبيـات أحمد بن فـارس التي ذكرهـا المحققُ الكريمُ في الصحيفـة ٢٨٥ يُضـاف إلى تخـريجها «الإيجـاز والإعجـاز» ٢٠١، «يتيمة الـدهـر» ٣/ ٤٠٦، مع العلم أنّ الأستاذ هلال نـاجي قد جَمَعَ شعرَ أحمد بن فارس ضمن كتـابه: «أحمد بن فارس، حياته، شعره، آثاره».. بغداد، ١٩٧٠م.

١٧- وَرَدَ البيت الآتي في الصحيفة ٢٩٦:

وإذا تكـــون كـــريهـــةٌ أُدعىٰ لهـــا وإذا يُحـاسُ الحَيْسُ يُـدْعَىٰ جنـدَبُ

غير معزو: قلتُ: البيت لضَمْرة بـن ضَمْرة في مجموع شعره بتحقيق الدكتور هاشم طه شلاش، مجلة «المورد» - (مج ١٠ -العدد ٢ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ص ١١٣.

١٨- البيت المـذكـور في الصحيفـة ٢٩٧ هـو لمعن بن أوس في ديـوانـه ٧٢ (صَنْعَـــة الدكتورين نوري القيسي و حاتم الضامن، بغداد، ١٩٧٧م)، ويُنْسب لعقيل بن علفـة المـرّي في: شعـره (جمع وتحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك، «مجلة كلية الآداب». جامعة البصرة، العدد ١٠، ١٩٧٦م).

١٩- البيت الـوارد في الصَّحيفـة ٣٠٦ نُسِبَ في: «اللسان» إلى: (خُـزَيْمـة بن مالك بن نهد)، وفي «اللآلي» ١٠٠ و «فصل المقال» ٤٧٣: (خزيمة بن نهد).

٢٠- جـاء في الصحيفـة ٣١٧ بيت نَسبَـه محقّقُـهُ إلى زُهَيْـر بن جنـاب الكلبي. قُلْتُ: جَمَعَ شعره قيس كاظم الجنابي، بغداد، ١٩٩٦م - ضمن: «تأريخ الجنابيين».

٢١- وَرَد في الصحيفـــة ٣٧٠ بيتٌ لأَبـي الطمحـــان القَيْنـي، فلم يَـــرْجع الـــدكتـــور السُّديس إلى: شعره بتحقيق محمد نايف الدليمي في مجلة «المورد» - (مج ١٧ - العدد ٣-١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص ١٦١.

٢٢- في الصحيفـة ٤٠٣ ورد بيـت للمسيّب بن علس قلتُ: هـو في: شعـره، بتحقيـــــق الدكتور أيهم عباس القَيسي، مجلة «المورد» (العدد ١: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ص ٦٦.

٢٣- في الصحيفة ٤١٥ جاء بيت نَسَبَه محققـه إلى مُتَمّم بن نُويرة. ولم يرجع إلى شعره الذي جَمعَتْهُ الدكتورة ابتسام مرهون الصفّار .. مع أخيه مالك - بغداد، ١٩٦٨م.

٢٤- ذكر المحققُ في هامش الصحيفة ٤٣٣ في تعليقه على بيت أورده المصنف أنه للشمردل: (وهناك أربعة شعراء آخرون اسم كل واحد منهم (الشمردل).

قلتُ:

أ- جَمَعَ شعر الشمردل بن شريك اليربوعي الدكتور نوري حمودي القيسي في كتابه «شعراء أُمويون». الجزء الأول، الموصل ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

ب- البيت الذي أورده المصنف أَخَلّ به عمل الدكتور القيسي.

جـ- أكد الدكتور القيسي «شعراء أُمويون» ١/ ٥٠٦) وجود سبعة شعراء بهذا الاسم. وليس أربعة.

٢٥- أثبتَ المحقّقُ في هامش الصحيفة ٤٧٠ بيتًا لبشر بن أبي خازم دون أنْ يخرّجه على الديوان أو أيّ مصدر آخر.

٢٦- في الصحيفة ٦٦٩ وَرَد بيتٌ عزاهُ المحققُ إلى الأسود بن يعفر. قلتُ: هو في ديوانه ٦٩، وفيه: (وعمرو) بدلًا من (وعَمْرًا).

٢٧- ورد في الصحيفة ٦٤٥ بيت نسبه الدكتور السديس إلى أُمية بن أبي الصلت، وأشار إلى كتاب «أمية بن أبي الصّلت: حياته وشعره» لبهجة عبدالغفور الحديثي، وقال بعد ذالك: (وذكرت المحققة عددًا من المصادر..).

قلت: إنَّ الدكتور بهجة عبدالغفور رجلٌ وليس امرأةً. وهو أستاذ في كلية الآداب - جامعة بغداد!

٢٨- وَرَد في الصحيفة ٦٨٤ بين نَسَبه المحققُ إلى بِشْر بن أبي خازم بالرجوع إلى «الصحاح» ١/ ١٤١(روب). والصحيح أن يرجع إلى ديوانه ١٩٠.

٢٩- وقبل أن أَختم هذه الفِقْرة أحبّ أن أُشيرَ إلى خَطَإٍ وَقَعَ فيه الدكتور السُدَيْس عند الإحالة في الصحيفة ١٣٠، إذح قال: «الزّهرة» لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني، ثم ذكر ثلاثة أبيات دون نسبة. قلت: إنّ ذكر اسمْ مؤلف كتاب

«الـزهـرة» لا ضـرورة له مطلقًـا، بل لا داعي لـذكـر أسمـاء مـؤلفي الكتب لأنهم معـروفـون. وانّ ذِكر الأصبهـانيّ هـذا، أَوْقَعَ الدكتور السّديس في وَهْمٍ وهو يَنْسب الأبيات في فهرس الشعر إليه!!!

وبعد، فإن تَخْريج الأبيات الشعرية على الدَّواوين مُفيدٌ.. وعلميٌ.

ثالثًا الأعلامُ: تَرجَمَ المحقّقُ المِفْضال لعددٍ من الأعلام الذين وَرَدوا في الكتاب، وخصوصًا من اللغويين والنُّحاة، ولنا علىٰ ذالك - هذه الملاحظات البسيطة:

١- الملاحظ أنّ المحققَ بعـد أنْ يَخْتم تَرجمتِه يذكر المصـادر التي رَجَعَ إليها بخصـوص المترجم لـه، ولكنهـا غير مُـرَتّبـة زمنيًا. فَعَلـىٰ سبيل المثال مـا ورد في الصحيفة ٥٧٢، إذْ قَـدَّمَ المحققُ «إنباه الرواة» للقفطي المتوفى سنـة ٦٤٦هـ على «الفهـرست» لابن النـديم المتوفـى سنة ٣٨٥هـ. وقـد تكرر الأمـرُ في صفحـات تراجم الأعلام بصورةٍ واحدةٍ!

٢- يُضافُ إلى كلام المحقّق عن خالـد بن صَفْوان في الصحيفة ٣. أَنَّ الدكتور يـونس أحمد السّـامرائي لـه كتاب: «خُطب خـالد بن صفـوان الأنصاري وأخبـاره ورسائله»، بغداد ١٩٩٠م.

٣- ذكر الـدكتور السديس في الصحيفـة ١٢٩ إنّ جران العَوْد (شاعـر جاهلي أدرك الإسلام) قلتُ: ولكنّ الدكتور نوري القيسي في تقديمـه لديوانه الذي حَقّقَه أثبت أَنَّ الشاعرَ أمويّ. في أدِلةٍ كثيرةٍ.. يُنظـر: «ديوان جران العَوْد النّميريّ» (بغداد ١٩٨٢م) ص ٩.

٤- ترجم الـدكتور السُّديس لمحمـد بن كناسة الأَسَـديّ في الصحيفة ١٧٣، ثم كَرَّرَ الترجمـة مختصرةً في الصحيفة ٣٩٧ دون مبرر لهذا التكـرار. ثم إنه لم يُنَبّه إلى أَنَّ النَّصّين المذكورين في هـاتين الصفحتين هما من كتابه «الأنـواء». ومن الجدير بالذكـر أنّ الأستاذَ محمد قاسم مصطفى - الـدكتور حاليًّا - كان قـد جمع نصوصًا من هذا الكتاب وَنَشَرَهَا في مجلة «آداب الرافدين» - العدد السادس - ١٣٩٥هـ -

١٩٧٥م، الموصل، ثم أعاد طباعة البحث بالآلة الكاتبة، وَيَتَضَمَّن - معه - حياته، شعره.. هذا وقد أخلّ هذا العمل بهذين النصّين النادرين اللذين أوردهما الأبهريّ.

٥- بخصوص الحسن بن وَهْب الحارثي الوارد في الصحيفة ٦٥٨ أُحبُّ أنْ أوضح أنَّ الدكتور يونس أحمد السامرائي ترجم له في كتابه: «آل وهب من الأُسر الأدبية»، بغداد ١٩٧٦م، ص ١١٠ - ١٨٦ . وقد كانَتْ وفاتُهُ بعد سنة ٢٥٥ هـ.

٦- ورد في الصحيفة ٧٧٥: الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد. قلتُ: الصواب: (ابن الأنباري) المتوفى سنة ٥٧٧هـ. أما (الأنباري) فهو أبو بكر محمد بن القاسم المتوفى سنة ٣٣٨هـ. وكان أُستاذنا المرحوم الدكتور علي جواد الطاهر قد نَبَّه على ذالك أكثر من مرَّة. يُنظر: مجلة «المنهل» - جدة، المجلَّد ٥١، العدد ٤٧٦هـ، ١٩٩٠م، ص ١٩٣.

رابعًا: الفهارس: خَدَمَ الدكتور السُّديس الكتابَ بفهارس عمليةٍ دقيقةٍ شَمَلَتْ: الآيات القرآنية - الأحاديث النّبويّة - الأمثال والعبارات المثلية.. الأشعار والأرجاز - الأعلام - والأُمم والجماعات، الموضوعات. وندرج هنا ملاحظ عليها:

١- سَقَطَ في فهرس (الأحاديث النبوية) في حرف الهمزة، حديثٌ وَرَدَ في الصحيفة ٤٧١ هو: «إذا استأثر الله بشيء فاله عَنْهُ».

٢- فهرس الأعلام:

أ- سقط منه: خلف الأحمر ٩٤، و: المسيح عليه السلام ٣٧٤.

ب- سقط من العجاج رقم الصحيفة ٩٤.

ج- سقط من الكسائي رقم الصحيفة ٣٧٤.

د- لا داعي لذكر اسم الشاعر الكامل، فمكانه في هوامش التحقيق، يُنْظر: ٧٦١ و ٧٨٠.

هـ- عبدالله بن همَّام السَّلولي: ٢٢٥، ٣٩٠. الصواب: ٢٥٦، ٢٤٣.

و- يُفَضَّل أنْ يُطبعَ فِهرس الأعلام هذا على عمودين في الصفحة كحال البقيَّة، تَجَنُّبًا لتبذير الورق، وبحرف أصغر.

٣- فهرس الشعر:

أ- يُحذف اسم محمد بن داود الأصفهاني في الصحيفة ٧٤٠.

ب- في الصحيفة ٧٣٩ وَرَدَ اسم النوار زَوج مالك بن نويرة. قلت: الصواب:... مالك بن زَيْد.

خامسًا: مصادر التحقيق:

أَثبتَ الدكتور السُّدَيْس جريدةً بالكتب التي رَجَعَ ونَهل منها لخدمة الكتاب، وهي كثيرة ومتنوعة، بتنوع موضوعات الكتاب. ونُدرج هنا ملاحظاتنا عليها.

١- أرى من الضّروري أنْ يكون عنوان الثبت (المصادر والمراجع) لا المصادر فقط. وذالك لورود مراجع حديثة فيها.

٢- أن مكان هذا الثبت هو بعد النَص المحقق، وقبل الفهارس، وليس بعدها!

٣- من المعروف أنّ المحققَ.. أو الباحثَ - إذا أَوْرَدَ تَخريجاته على أَسَاس أسماء الكتب في هوامشه تكون الإشارة إلى أسماء الكُتب فقط في ثبت المصادر والمراجع، أما إذا كانت التخريجاتُ والإحالاتُ على أساسِ أسماء المؤلفين، فَعندئذ تكون الإشارة إلى أسماء هاؤلاء فقط. لكننا رأينا المحققَ المفضالَ يخرّج مادة الكتاب على أسماء الكتب، أما في ثَبت المصادر والمراجع فيعتمد على أسماء المؤلفين. وهو بذالك يُرْبك الأمر ويخرج على القاعدة العلمية المألوفة.

٤- من الضروري جدًّا - والواجب - ذكر سِنِي وَفيات المؤلفين، إلى جانب أَسْمائهم الكاملة.

٥- سَقَط من أسماء الكتب (المراجع):

- «قُطُوف أدبيِة حول تحقيق التراث»: عبدالسلام هارون (الوارد ص ١٢٣).

- «النحو الوافي»: عباس حسن (الوارد ص ٥٤٤).

٦- وَرَدَ ص ٧٨٣: «التلخيص في أسماء الأشياء». والصَّواب: «التلخيصُ في معرفة أسماء الأشياء».

٧- هنـاك كتبٌ وَدِدْتُ أنْ يـرجعَ إليهـا الـدكتـور السُّـدَيْس لإغنـاء مـادّة الكتـاب بالتَّخريجات العلميَّة. منها:

- كتاب «الخيل» للأصمعيّ. تحقيق الأستاذ هلال ناجي - مجلَّة «المورد» (٤ : ١٩٨٣م)، (بخصوص الصَّحيفة ٦٨ وما بعدها - كتاب الخيل).

-كتاب «الأنـواء» للثقفي. تحقيقُ الـدكتور نوري القَيْسيّ ومحمّـد نايف الـدّليمي، بيروت ١٩٩٦م (بخصوص كتاب «أسماء مافي السماء والهواء»، ص ١٤٢ وما بعدها).

- لم يـرجع إلى كتاب: «الجـامع في العـروض والقوافي» لأبي الحسن أحمـد العروضيّ (ت ٣٢٢ هـ)، تحقيق الأستاذ هـلال ناجي و الدكتور زهير غازي زاهد، بيروت ١٩٩٦م (بخصوص الصَّحيفة ٦٦٣، كتاب العروض).

٨- رَجَعَ المحققُ الفاضلُ إلى طبعاتٍ غير علميـة لعددٍ من المظانّ المختلفةِ، على الرُّغمِ من وجود نشراتٍ علميةٍ لها. وإليكم تَفْصيل ذالك بايجاز:

- «ديـوان بِشْـر أبي خازم»، ط ١ - ١٩٦٠م. قلـتُ: المُفَضَّل الطبعة الثـانيـة، وزارة الإعلام، دمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

- جِران العَوْد، مصـر ١٣٥٠هـ. قُلْت: نَشَرَ الدكتور نوري القيسي ديوانه وذيَّلَهُ، ببغداد ١٩٨٢[٧].

- ابن جني: «سر صنـاعة الإعـراب». تحقيق مصطفى السَقّا، قلتُ: هنـاك نَشرةٌ بتحقيق الدكتور حسن هنداوي، ط ١، دمشق ١٩٨٥م. ط ٢، دار القلم - ١٩٩٣م.

- رَجَعَ إلى تحقيق الـدكتـور عبـدالله درويش لكتـاب «العين» للفراهيـديّ. وهـذا يؤاخذ عليه علميًّا، لأنّ هذه النشرة لا يُلْتَفَت إليها في التحقيقات العلمية، بعد صدور الكتاب بتحقيق الـدكتور مهدي المخـزومي والدكتور إبـراهيم السَّامرائي، في ثمـانية أجزاء في العراق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، وطبع ببغداد وعددٍ من العواصم العربية.

- أبو زَيْد الأنصاريّ - «النـوادر في اللغة» - تحقيق سعيد الخوري. قلتُ: الصَّحيح الرجوع إلى نَشْرَة الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، بيروت، دار الشروق ١٩٨١م.

- القرشي - أبو زيـد. «جمهرة أشعار العرب». قلتُ: من الضـروري تَرْك المط الأميرية ببولاق، والاكتفاء بطبعة البابي الحلبي ١٩٥٦م.

- رجع إلى نَشْـرةٍ غيـر علميـة من شـرح «هـاشميـات الكيمت». ومن الأُمـور العلمية تخـريج الكتـاب على نَشْرة الـدكتور داود سلوم والـدكتور نـوري القيسي، بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ.

- رجع إلى الطبعة السلفيـة من «الموشح» للمـرزبانيّ. والصحيح الـرجوع إلى طبعة البجاوي، مصر ١٩٦٥م.

- النـديم (أو: ابن النديم) - «الفهـرست» ١٣٤٨هـ. قلتُ: المفَضَّل الرجـوع إلى طبعـة رضـا تجدّد. طهـران ١٩٧١م. أو طبعـة الدكتـور مصطفى الشـويميّ، الجزائر ١٩٨٥م.

- رجع إلى ط ١ - من «ديوان يـزيد بن مُفَرّغ الحميريّ». والمفضّل الـرجوع إلى الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢م.

- الأصمعيّ: «النبـات والشجـر»، ط. هفنـر. قلتُ: ونُشِـرَ الكتـابُ بتحقيق الدكتور عبدالله يوسف الغنيم، القاهرة ١٩٧٢م.

٩- وَرَد في الصحيفـة ٧٧٨ (خلف رشيد نعمـان: شـرح الصّـولي لديـوان أبي تَمّـام...). قلتُ: الصـواب أنْ يكـون اسم الكتـاب تحت اسم أبي تمـام، لأنَّ الدكتورخلف رشيد نعمان مُحَقِّقٌ فقط لا مُؤلِّفٌ!

١٠- (أبو دواد الإيادي... ديوانه). قلتُ: الصَّواب: ... شعره، ضمن دراسات في الأدب العربي): غوستاف فون غرنباوم، ترجمة الدكتور محمد يُوسُف نجم وزميليه..

١١- المزرّد بن ضرار...؟ قلتُ تُوضَع بدل علامة الاستفهام عبارة: مط أسعد.

١٢- هناك طبعـاتٌ مُصَوَّرة لعددٍ من المصـادر، صدرت ببغدادَ آثـرتُ الإشارة إليها، للفائدة، منها:

- «ديوان سُحَيْم عبد بني الحسحاس»، بتحقيق الميمني - بغداد ١٩٩١م.
- «الأنواء» لابن قتيبة، بغداد ١٩٨٨م.
- «الاقتضاب» لابن السّيْد البطليوسي، بثلاثة أجزاء، بغداد ١٩٨١ - ١٩٨٢م.

سادسًا: الأخطاءُ المطبعية (التَّطْبيعاتُ):

على الرغم من الجهد الذي بَذَلَه محقّقُ الكتاب لتنقيحه من الأخطاء المطبعية (التطبيعات)، إلَّا أنَّ ألفاظًا وعبارات مَخْطوءَة نَدت منه، رأينا أنْ نذكرَهَا هُنا. وهي على النَّحو الآتي:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
م	١٥	داودوين	دواوين
ن	٢	يشمهلم	يشملهم
٦	هامش ٣	الأص	الأصْل
٩	هامش ٩	غرهما	غيرهما
٧٦	هامش ٣	فنظر	فانْظر
١٥٦	٣	الجوازء	الجوزاء
٢٠٨	هامش ٥	اعتري	اعترى
٢٣٤	١	حضيرةُ	حضيرةً
٢٥٦	٢	أعُوْر	أعْوَر
٢٦٦	٢	نَويرة	نُويرة
٢٧٣	هامش ٤	أبي دؤاد	أبي دُواد
٣٦١	١١	أدني الّا	أدنىٰ إلَّا
٣٧٨	الأخير	هتان	هاتان
٤٨٨	٣ من الأخير	واودت	وأوردْتُ
٥٧٢	هامش ١	سمى	سُمِّيَ
٦٣٢	هامش ٥	أطرَب	أطرِب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٦٦	٤	تزوَّد	تزَوّد
٦٨١	هامش ٢	باذُولي	باذَوْلي
٢٦٥	٢	امرى	أمرِي
٧٠٧	٩	سلة	سكة
٤٦٨	هامش ٢	لأساس	الأساسُ
٤٧٧	هامش ٦	ابن قِتيبة	ابن قُتيبة
٧٣٠	١٠	الجيْم	(تحذف السكون).
٧٣٥	٤	الزوي	الزاي
٧٣٩/ ٧٤١/ ٧٨٥	٢٢/ ٢٢/ ١٢	الأعشي	الأعشى
٧٤٥	٣	الكلابي	الكلبيّ
٧٤٨	١٨	الافوْه	الأفْوَه
٧٥٦	١٩	سيبْويه	سيبَوَيه
٧٥٧	٢	٩٠٦	٦٠٩
٧٧٦	٣	الحديث	الحديثيّ
٧٥٨	٤	الطمحاان	الطمحان
٧٧٦	٢٢	يجى	يحيى
٧٧٦	١١	ي، سف	يوسف
٧٨٠	١١	الكبري	الكبرى
٧٨٢	الأخير	١٩٧م	١٩٨٧م
٧٨٤/ ٧٧٥	٣/ ٢٣	المدود	الممدود
٧٨٤	٨	هظ	هـ
٧٨٥	١٤	الأدب	الأرب
٧٨٧	٢٤	القيس	القيسي
٧٨٠	٢٢	نظر	انْظر

- (أبو تمام حبيب بن أوس الطائي) ص ٧٧٦. يُنْقل إلى أَوّل السَّطر التالي.
- يُنْقَل أبو ذؤيب الهذلي ص ٧٥٤ إلى أسفل حرف (ذ).
- يوضع رقم (٢) في أعلى قافية البيت الوارد في الصحيفة ٢٣٨، للدلالة على الهامش.
- جاء في الصحيفة ٣٦٥ (ومنه قَوْل أبي ذؤيب: نابل وابن نابل، وهو الحاذق). قلتُ: الصَّواب وَضْع (نابل وابن نابل) في سَطْرٍ وحده، لأنه جُزءٌ من بيت، مع طباعته بحرفٍ أسود كبير.

وبعدُ: فتقديرًا للجهد الكبير والرائع الذي بَذَلَه الدكتور محمد بن سُليمان السديس في تحقيق هذا السِّفْر الخالد: «حدائق الآداب» للأبهريّ والذي تَلَطَّفَ فأهدى إلينا نُسْخَةً منه - نَتَقَدَّم بإهداء هذه الملاحظاتِ النقدية البسيطة إلى شَخْصِهِ الكريم، تحية الجدول للبحر المحيط، عَسَى أنْ يَتَقَبلها بقبول حَسَن، فهي منه وإليه ولعل لها مكانًا في (الطبعة الثانية) إنْ شاءَ الله.

عباس هاني الجراح

العراق - بابل - الحلَّة - (كلية التربية - جامعة بابل)

الحواشي:

(١) تَرجم د. السديس كتاب «أخلاق الرولة وآدابهم». تأليف: أ. موزل. القسم الأول، الرياض، ١٤١٥هـ. إضافة إلى أبحاث قيمة نشرها في المجلات المحكمة منها: مجلة «كلية الأداب» - جامعة الملك سعود، ومجلة «الدارة». وملف «بيادر»، ومجلة «بحوث كلية اللغة العربية وآدابها» - جامعة أم القرى ومجلة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ومجلة «معهد المخطوطات العربية» - الكويت، ومجلة «عالم الكتب». ومجلة «العرب».

(٢) «معجم الأدباء» ١٢/ ٧٢.

(٣) «العُباب الزاخر واللُّباب الفاخر» - ١/ ٧ (بغداد - المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

(٤) وفي: «الوافي بالوفيات» ٧/ ٣٢٢: (أحمد بن محمد بن أحمد بن شاه مردان العلم الأصبهاني، توفي سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م)، وأحال محقق الكتاب إلى: «إرشاد الأريب» ٥/ ٤٤، ولم نعثر عليه هناك. ويُنْظر: «جمهرة الخطاطين البغداديين» ١/ ١٢٦ (تأليف: وليد الأعظمي، بغداد، ١٩٨٩م).

(٥) «حدائق الآداب» ٦٠٥.

(٦) بعد هذا الجمع المشترك، صدرت منه فصلة ببغداد، ١٩٧٣م في ٢٨ صحيفة، ثم قام د. حاتم الضامن بنشر العمل نفسه في كتابه: «شعراء مقلّون» - بيروت ١٩٨٧م، ثم كتابه: «عشرة شعراء مقلون» - الموصل ١٩٩١م. وقد أسقط اسم المرحوم ضياء الدين الحيدري، مُبْقيًا على اسمه فقط.

(٧) لدينا ملاحظات واستدراكات على نشرة القيسي لديوان جران العَوْد.

«حضرموت: بلادها وسكانها»

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف

(١٣٠٠/ ١٣٧٥هـ)

(٤٤)

ثوبة: هي من الديار القديمة، لها ذكر عند ابن الحائك كما سبق في الخون، وقال في موضع آخر بعد العجز: ثم ينحدر المنحدر منها إلى ثوبة، قرية بسفلى حضرموت بوادي ذي نخل، ويفيض وادي ثوبة إلى بلد مهرة، وحيث قبر النبي هود - عليه السلام -، واطلال هذه القرية ظاهرة إلى اليوم، وهي في شمال السوم إلى الغرب، بينها وبينه نحو نصف ساعة، ينزلها المناهيل، ويضربون بها الخيام، وبها آثار كثيرة مطمورة بالتراب، وأخبرني الولد الفاضل الأريب عبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف، أن بعضهم خرج إليها في السنين الأخيرة، فوقع على ضريبة من الذهب، لم ير لها مثالًا، وفي هذا المكان كتابات حميرية وغيران كثيرة، وهذه الضريبة نموذج مما وراءها من الكنوز المدفونة.

السوم: لا يبعد أن يكون هو المَغْنِي بقول ابن الحائك السابق عن ثوبة بوادٍ ذي نخل. انتهى، يسكنها جماعة من آل باحميد وآل البسري وآل سعيدان وآل بواكيز من آل قفلة من آل نهيد من آل تميم، وفيها مسجد الإمام عبدالرحمن السقاف، وفي «شمس الظهيرة» أن في السوم جماعةً من ذرية إبراهيم بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف يقال لهم آل إبراهيم، وفيها أيضًا سهل بن أحمد بن محمد حذلقات، المتوفى بتريم سنة ٨٢٧ ابن علوي بن محمد، مولى الدويلة، عقبه آل رخوم بشتير، قرب النبي هود عليه السلام، وآل صالح وآل فدعق، ومنهم آل بالبطق بالسوم، وآل ابن سالمين بفغمة، وآل ابن زين بالسوم، وآل بيت محمد بالسوم وفغمة انتهى، وفي الحكاية ٤٠٥ من «الجوهر» رُوِيَ أن الشيخ عبدالله بن محمد ابن علي بن علوي ابن الفقيه كان مقيمًا بالسوم الأحرم، وابنه محمد إذا ذاك بظفار، فارجفوا بموت ولده، فكذبهم، توفي عبدالله سنة ٨١٨، وفي الحكاية ٤٣٧ عن

الشيخ عبدالله بـاعلوي أن والده كـان ساكنًا بأُمـه في عريش بالسـوم، ففاض وادي عردة بسيل عظيم، وهو السيل المشهور الـذي أهلك كثيرًا من الناس ومن البهائم، فلم يضرهم إلَّا قليلًا بدفن أثاثهم، ثم أدركوه، وكان بالسوم نخل كثير مثمر، حتى لقد كان مـا يدخل على المقدم أحمد بن عبـدالله بن يماني من مغله وجبايتـه أكثر من ألفي بهار، وكـان أكثر تمر حضـرموت من ذالك الجانب، لكن السيـول اجتاحت ذالك النخل، ولـم يبق إلَّا القليل، وحوالي السوم أودية كثيرة، منها وادي سخورة، ثم وادي عردة السابق ذكره في حكاية «الجـوهر»، وهو وادٍ تنهر إليه السيول من جبال بعيدة، وبينـه وبين السوم موضع يقـال له (مكينـون) به آثار قـديمة، ثم (شطب) و (شاطـر) ثم (عصـم) وهو منزل ينزل بـه زوار نبي اللههود عليه السلام، فيـه آل سعد من آل تميم، وفي شماله وادي عصـم ثم العصية لآل تميم ووادي عنحي.

فُغْمَة: يسكنهـا جماعـة من ذريـة السيـد محمـد بن علي مولـى الدويلـة وآل بلحتيش من آل تميم، وفي «بستان العجـائب» أنها كانت قريتين إحـداهما لمولى الدويلـة وفيها لـه مسجد، والأخـرى لابنه السقـاف، وفيها لـه مسجد، وكـان يقال للأولى الـدويلة انتهى بمعناه، وهـو أما انتقال نظـر من يبحر إليها، وأمـا أن تكون مثلهـا وفي جنوبهـا وادي يبحر وفي شمـالهـا وادي فغمة ثم يبحـر وهي الدويلـة المنسوبة إلى محمـد بن علي وكانت موضعًا للصوص وقطاع الطـريق فاحتمى به كما في الحكـاية ١٢٥ من «الجـوهر» والجديـدة المنسوبـة إلى ابنه عبـدالرحمن السقاف، وفي الحكـاية ١٢٧ من «الجـوهر»: أن لآل محرم وهـم بطن من آل كثير حصنا قـريباً من يبحر، وفي الحكـاية ١٣٣ منه أن مـولى الدويلة سـابق محمد بن أحمد الهندي فسبقه مع أنه على حمار والهندي على فرس.

تنعة: وهي من قدامى البلدان قال ياقـوت: رُوِي عن الدارقطني أنه قال تنعة هو بقيل بن هـاني بن عمـرو بن ذهل بن شـرحبيل بن حبيب بن عميـر بن الأسـود بن الضبيب بن عمـرو بن عبد بن سـلامان بن الحـارث بن حضرموت وهـم اليوم، أو أكثرهم بـالكوفة، وبهم سميت قريـة بحضرموت بقرب وادي برهـوت الذي تسمع

منه أصوات أهل النار، له ذكر في الآثار وقد نسب بهذه النسبة جماعة منهم إلى القبيلة ومنهم إلى الموضع منهم أوس بن ضمعج التنعي أبو قتيبة وعياض بن عياض بن عمرو بن جبلة بن هاني بن عقيل الأصغر بن أسلم بن ذهل بن نمير بن بقيل وهو تنعة، روى عن ابن مسعود حديثه عنه سلمة بن كهيل وعمر بن سويد التنعي الكوفي الحضرمي روى عن زيد بن أرقم وأخوه عامر بن سويد يروى عن عبدالله بن عمرو وعنه جابر الجعفي وغيره انتهى وعلى ذكر أوس بن ضمعج أعود بالقارئ إلى ما سبق في يبعث عن ياقوت من قول التنوخي:

لعمري لنعم الحي من آل ضجعم ... ثوى بين أحجار ببرقة حارب

إلى ما جاء في كتابه ﷺ هناك إلى أبناء معشر وابنا ضمعج وحوالي تنعة مكان يقال له السبعة الوديان ثم شقير السابق ذكره به ديار آل مولى الدويلة ثم حصن بن كوب التميمي لا يزال به ناس منهم إلى الآن.

برهوت: والكلام فيه منتشر وقد ذكره ابن الحائك وصاحب «القاموس» وياقوت فلا حاجة إلى الإطالة بما لا مطمع في حصره ولا يقين من صحته وفي الأخبار له ذكر كثير وهو واد لا بأس به منه كليب بن سعد البرهوتي وفد على رسول الله ﷺ وأنشد قصيدة منها كما عند ابن سعد والسيوطي وغيرهما قوله:

من وشز برهوت تهوى بي عذافرة ... إليك يا خير من يحفى وينتعل

شهرين اعملتها نَصًّا على وجَلٍ ... أرجو بذاك ثواب الله يا رجل

وحدثني من سار إلى بيره وقال إنها عبارة عن غار يتسع تارة ويضيق أخرى، وهو مظلم، قال: ولما انتهينا إلى حيث انطفأت السرج، لم نجسر على التقدم، لأن انطفاءها دليل فقد الهواء المغذى للأنفاس وهذا الوصف قريب مما نشره العلامة الجليل السيد محمد بن عقيل في مقتطف جمادى الأولى من سنة ١٣٤٧ .

شعب نبي الله هود عليه السلام: هو شعب متقد بالنور حليٌّ بالسرور شبيه بمنًى من حيث الدور وكيف لا يكون كذالك وهو مهبط وحي ومعقل نبوة ومختلف ملائكة ومتنزل سكينة وقد دللت في الأصل على وجود نبي الله هود في حضرموت بالدلائل المجلُوَّة ومن أقواها هذه الآية المتلوة ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه

بـالأحقاف وقـد خلت النذر من بين يـديه ومن خلفـه ألا تعبدوا إلا الله إني أخـاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ والأحقاف هي حضرموت دون نـزاع والأصل بقاء ماكان على ماكان حتى يعلم خلافه فينبغي أن يعقد عليـه الإجماع وما أخرجه الحاكم من التحاق نبي كل أمـة تهلك بمكة عـام موقوف يخصصـه ما أخـرجه ابن اسحق في المسند أو ابن عسـاكر في التـاريخ عن عروة بن الـزبير أن ما مـن نبي إلا حج هذا البيت إلا ما كان من هود وصالح تشاغـلا بأمر قومهما حتى قبضهما الله ولم يحجا ولئن ذكر حج هود في مسنـد أحمد فاسنده بامثل مما مـر عن إسحق وابن عساكر وقد ذكـر ابن هشام في «التيجان» أن هـودا وأولاده يحجون ثم يعـودون إلى ديارهم وفي جواره كان قبر لقمان بن عـاد الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير صاحب النسـور السبعة كمـا في «إكليل» الهمـداني وغيـره ج ٨ ص ٢١٢ ولقبـر هود ذكـر طـويل في ص ١٥١ إلى ص ١٥٤ منه ولـذكـر منبره ولقبـر قضـاعة بن مـالك بن حميـر جد قبـائل قضـاعـة في الشام واليمـن حديث آخـر فيـه من ص ١٨٠ إلى ص١٨٢ وهـو لا يخرج عمـا سبق في وادي عمـد عن «الشهاب الـراصد» أن قبـر قضاعة بجبل الشحر لأن شعب هـود داخل في مسمى الشحر، وقال في ص ٢٠٢ منه أن قبر هود عليه السلام بالأحقاف بموضع يقال له الحفيف في الكثيب الأحمر وهـو موافق لمـا في الأصل وذكر أن قبـر قحطان بن هـود بمأرب وأما السـوق التي تقوم في ذالك الشعب فقـد مر خبرهـا في وادي العين وكانت هذه السـوق كما في الأصل عن «بلـوغ الأرب» تقـام في النصف من شعبـان ومـازال عليـه الأمـر بحضرموت إلى مـا قبل اليوم بنحو من مئتي سنة فتغير قليلًا وفي مكـاتبة بتاريخ ٥ شعبـان سنة ١٢٠٢ من السيـد أحمـد بن حسن بن عبدالله الحـداد سيـرها للسيـد محمـد بن حسن بن محمد مـولى خيلـه يدل على أن تأخـر الزيـارة[1] عن نصف شعبان إنما كـان بعد القطب الحداد غير أن في «مجموع كـلام القطب الحداد» ما يدل على أن بـدء التغيير كـان في أيامـه فصار أهل سيـوون ومن غربيهم يـدخلون الشعب في اليوم الثامن من شعبان وينفرون في العـاشر وآل تريم يردون في التاسع

وينقلبون في الحادي عشر وآل عينات يدخلون في العاشر ويصدرون في الثاني عشر ثم حاول العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس إرجاع الأمر إلى ما كان من الاجتماع هناك للنصف من شعبان فتم له الأمر بعد مراجعات ثم اختلف أهل تريم وآل عينات على شرف المجلس الحافل وقراءة دعاء شعبان وإمامة العشائين فيه وأهل عينات يقنعون بالمقاسمة لكن أهل تريم لا يرضيهم الاستئثار بالجميع وتفاقم الأمر حتى انتهى إلى حرب صورية كعادة حروب آل حضرموت ثم لم تسوى القضية إلا بإعادة الأمر إلى ماكان عليه بالآخر ولقد حضرت تلك المحافل المشهورة بذالك الشعب الشريف كثيراً من المرات أولها التي لا أزال جامعًا منها يدي على غذاء الروح وتباشير التفوح هي التي كان بمعية والدي وشيخي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر حوالي سنة ١٣١١ وفيها كانت محاورات فقهية سببها أن سيدي عمر بن عيدروس بن علوي العيدروس وإخوانه تبعوا سيدي الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر في جمع العشاء تقديمًا مع المغرب بمسجد العجز مع الذهاب مع أن ما بين تريم والشعب لا يبلغ القصر ثم كان بعدها مرات كثيرة واذكرها عندي لأكثرية جمعها هي التي كانت في سنة ١٣٢٤ وقد تداول الخطابة في محافلها جماعة من الأفاضل وهم السيد علي بن محمد الحبشي وسيدي الوالد علوي بن عبدالرحمن السقاف والسيد عمر بن عيدروس المتوفى عن عمر قصير في آخر سنة ١٣٢٨ بتريم وكان خطيباً مُفَوَّهًا آمرا بالمعروف ناهيًا عن المنكر يتكلم على الناس في أيام الشيوخ المراجيح ولا أذكر غير هاؤلاء، إما لنسيان أو لانحصارها فيهم وفي سنة ١٣٤٠ وكانت مشهودة من نواحي حضرموت دوعن فما دونها والسواحل فما وراءها وكانت الخطابة خاصة بي في اليوم الثاني عشر وفي صباح اليوم الثالث عشر كانت للعلامة الفاضل السيد أحمد بن عبدالرحمن ابن علي السقاف المتوفى بسيوون سنة ١٣٥٧ وبعد ظهره ليَّ وللأخ والعلامة السيد عبدالله بن عمر الشاطري وفي اليوم الرابع عشر وهو أعظمها حفلًا يترأسه منصب الشيخ أبي بكر بن سالم كانت الخطابة إلي وإلى الأخ الفاضل حسن بن إسماعيل عالم آل الشيخ أبي بكر بن سالم وفي سنة ١٣٥٠ كان أكثر الخطابة إليّ

وشاركني العلامة الفاضل الجليل الأخ عبدالله بن عمر الشاطري في اليوم التاسع والفاضل النبيه الأخ حسن بن إسماعيل وفي اليوم العاشر وكان الزيارة في تلك السنة أعيدت إلى ما كانت عليه بخلاف سنة ١٣٤٠ وكان الذكي اللغوي المرحوم محمد بن أحمد بن يحيى معنا ذالك العام فاختزل خطبتي في حفل السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم فأضيفت إلى مجموعة الخطب وفي تلك المرة كانت ضجة خفيفة بسبب أنني كنت مقيمًا بتريم ومنها عزمت إلى شعب هود مع آل سيوون ومن لفهم وقد طال مجلس الخطابة في اليوم الثامن حتى وجبت الظهر فصلَّيْتها بهم والعصر مقدمًا معا مقصورتين فزعم بعضهم أن لا رخصة لي لأن المسافة من تريم إلى شعب هود لم تبلغ القصر فقلت لهم إنني بركوبي من تريم أنشأت سفرًا طويلًا منها إلى الشعب وإلى سيوون إيابا بدون تخلل إقامة قاطعة للسفر وذكرت لهم قول العلامة ابن حجر في «التحفة» يقع لكثير من الحجاج أنهم يدخلون مكة قبل الوقوف بنحو يوم نَاوِيْنَ الإقامة بمكة بعد رجوعهم من منى أربعة أيام فأكثر منهل ينقطع سفرهم أو يستمر إلى عودهم من منى لأنه من مقصدهم فلا تؤثر نية الإقامة إلا عند الشروع فيها للنظر فيه مجال وكلامهم محتمل والثاني أقرب انتهى، فاقتنع بعضهم وأصر آخرون على تخطئتي وللناظر البحث ثم ذكرني الولد الفقيه علوي بن عبدالله أن البحث طال في المسألة أيام تدريسي في «المنهاج» والتزامي بإملاء عبائر «التحفة» و «النهاية» و «الأسنى» وحواشيهما من حفظي بعد التعليق، وقلما تخلف من الأعيان وقتئذ إلا الشاذ ولما قررت نحو ما هنا وافق الأكثرون كالأجلاء الفاضل السيد عبدالله بن حسين والسيد محمد بن حامد بن عمر والشيخ محمد باكثير والشيخ عوض الصبان وخالف الشيخان عمر عبيد ومحفوظ ابن عبدالقادر آل حسان واشتد الجدال وتشادقت الرجال وأحضر «الإيعاب» وفيه ماهو أصرح من «التحفة» وقد نظمه الشيخ محمد باكثير بقوله:

ومن يسر من نحو سيوون إلى ... زيارة النبي هود مثلًا

وكـــان لمـــا وصل الغنـــا نـــوى عـــودًا إلى سيـــوون بعـــد أن أوى

فـــالآن لا تـــرخُّص لـــــه ولا كن أن يجـــدد قصـــر هـــود مقبـــلًا

ففي الـــذهـاب والإيـاب كـان لـــه تـــرخص والنقل فـي ذي المسألـــة

جـاء صـريـح النص في «الإيعـاب» عـزاه فـي «المجموع» لـلأصحـاب

والشـــــافعـي وهـــــو أن من أتـى للحج مـن بـــلاده مـــوقتّــا

ثم أتـى مكـــة نـــاويًـــا إقـــا مـة تنـافى نحـو قصـر مطلقًـا

فليتـــرخصـــوا ذهـــابًـا وإيـــاب وذي وتلك كـــالغـراب والقـــراب

ومع هذا أصر الشيخـان عمر ومحفوظ على خلافي فأنا أمهـد العذر لمن أنكر عليَّ بعد لأن لـه بهذين على ثقوب فهمهما أُسْوَةً وبعد هذا كله ذكـرت أن سيدي الأستاذ الأبـر عيدروس بن عمر في زيـارته السابـق ذكرها أقـام بتريم قبل أن ينشئ السفر إلى الشعب أكثر من أربعة أيام صحيحة وهو يقصر ويجمع كما تقدم وكفى به حجـة، ولو إنني ذكرت ذالك لعمـر عبيد ومحفوظ آل حسان لأذعنـا لما ذهبت إليـه ولكنني نسيت ومـا أنساني إلا الشيطـان وأيـام الشعب بمـا فيها من الصفـاء والأنس والأفراح والمـزاورات أشبه بأيـام منى من الجرادة بالجـرادة وفيها الـدعاء يُجَـاب والغُمّى تنجاب والـرحمى لا تنتقـر والشقـاشق لا تقر وثـم تذرف العيـون وتغرق الجفـون وتبتل الأردان وتقشعر الأبدان وترجف القلـوب و يحصل المطلوب ويتحدث الناس في خطابة جدى المحسن بتلك المشاهد عن أمر عظيم:

وقـد علـم الحيُّ اليمـانـــون إنــه إذ قـــال أمـــا بعـــد فهـــو خطيبهـــا

وتنعقد ثم الأسواق المجلوبة إليها الأغنام من أطراف بلاد المهرة والمناهيل غير أن الآخرين لا يمكنون الأولين من دخولها إلا في اليوم العاشر أما ما قبله فلهم الأثر قوية.

ومن وراء شعب نبي الله هـــود عليـه السـلام وادي ينحســب ووادي يسحـر ثم مقـاشع ليس بهـــا إلا الآثـار القـديمـة ثم سنـا، وفي «شمـس الظهيـرة» في ذكـر

عبدالرحمن بن أحمد يبحر بن محمد حذلقات من عقبه آل بيت الهادي بالبادية بالجزع وسنا قرب هود آل مخضرم بسنا وفغمة وفيها أناس من آل تميم.

طبوقم: على عشرين ساعة من سنا إلى جهة الشرق، بليدة يقال لها طبوقم، لا يقيم بها السكان إلَّا ريثما يزرعون و يحصدون، وقبيلها موضع سدسنا السابق ذكره في الحسيسة، على الصورة المذكورة آخر هذه الصفحة(٢)، فالأخدود ما بين الخطين الأحمرين، وقد انخفض الآن انخفاضًا هائلًا، والبياض الذي بجانبي الخطين والأزرقين هو مستوى الأرض، والبياض الهلالي في الجانبين كان مرتفعًا عن سطح الأرض بقليل، ومنه تفيض السيول لأنها متى أقبلت صدمتها الأكام المرسومة بالزرقة، فارتدَّت إلى ذينك الجانبين، ومنها تنهر إلى أرض المهرة، غير أن الأكمة المرسومة بالحمرة كانت رخوة، فصدعها السيل، ومنذ جرفتها بدأ يخد في الأرض فارتفع سطحها عن مجرى السيل، وكلما أعمق الماء في الأخدود زاد حرمانها من الماء، وزعم بعض أهل الحدس والنظر من أهل شبام أنهم يعرفون وصول ماء السيل إلى النقرة، بزيادة جَرْيِ الماء في المسيال الواقع في جنوب شبام، إذ يكون جريه قبل وصولها رهوًا، فإذا انتهى إليها اشتد جدًّا وهو مقبول، إذ قالوا بأن الحجر الساقط من علو أو الماء المنصب منه تتضاعف قوته بمقدار بعد المسافة، وهذا من نوعه وقد سبق في النقرة والحسيسة والكسر ما يتعلق بهذا.

(للبحث صلة)

الحواشي:

(١) ما ذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف - رحمه الله - عن زيارة القبر المنسوب لنبي الله هود، من الأمور التي لا تتفق مع قواعد الشرع، وتعلق العامة بهذه الأمور وترك الحبل لهم على الغارب مما يحدث تهاون في الأمور الشرعية، إذ ما هومشروع ما أوضحه الله في كتابه الكريم أو على لسان رسوله ﷺ أو من فعله، أمَّا مَا أثر عن المتصوفة والعباد فينبغي أن لا يقبل منه إلا ما وافق الشرع المطهر. ومن المؤسف أن هاؤلاء لهم نفوذ وكلمة مسموعة في قطرنا الحبيب حضرموت، نسأل الله تعالى أن يعصم الجميع من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(٢) ملاحظة: لم نتمكن من رسم الصورة لتعدد ألوانها، وعدم وضوح رسمها.

[يـوم الـرّزْم]

آخر أيام العرب في الجاهلية

كانت العرب قبل الإسلام تعيش في حالـة من الفوضى والتمزق والضياع، تدور بينهم حروب طاحنة ومعـارك ضارية، وكان العرب يسمّون حـروبهم ووقائهم أياماً، فكـانوا يتحـاربون في النهـار، ويوقفـون القتال في الليل، كمـا كانت تسمى هـذه الوقائع بأسماء الأمكنة التي تدور رحى الحرب عليها.

ومعنى الرَّزْم - اللغوي - بفتح الـراء وتشديدها وسكون الـزاي -: الثّابِتُ القائم على الأرض[١] ذكـر الهمـداني أنَّ الـرَّزْم: مـوضـع في الجـوف في مِنْطقـة تعـرفُ بـــ(ملاحا) وهي أرضٌ فيها حلل وغـابات وغيل كبيـر[٢] وذكر يـاقوت في «معجم البلدان»: (رزم) بأنـه موضع في بلاد مـراد باليمن[٣] وهناك من يسميـه يوم (الردم) بالدال بـدلًا من الزاي، إلا أنّنا لـم نستدل في المراجع و المصـادر الجغرافية على موضع بهـذا الاسم في منطقة همدان ومذحج، التي كـانت مسرحاً لأعمال حـربية بين القبيلتين ومن هنا يتأكد أنَّ اسمه الصحيح هـو (الرَّزْم) بالزاي - وليس - الردم بالدال والذي على الأرجح نشأ من تصحيف الناسخين.

وقد أجمع المـؤرخون أنّ تـاريخ وقوعـه في اليوم الـذي وقعتْ فيه وقعـةُ بدر[٤] وهذا يعني أنها وقَعـتْ يوم ١٧ رمضان في السنة الثانيـة من الهجرة[٥] (ينا ير سنة ٦٢٤م)[٦] وهو يُعَدُّ آخر أيـام الجاهلية مما جعل لقبيلة همـدان شرف اختتام أيام العرب في الجـاهلية حيث طويتْ صفحة حـوادث مريرة من تاريخ العـرب كانتْ حافلـةً بالمآسي والأحـداث المؤلمة. وكمـا هو معروف فقـد كان من أبـرز أخلاق العـرب هو التعصب الأعمى النـاجم عن سـرعة الانفعـال والغيرة والحميـة، التي كـانت تدفعهم إلى التمـادي في الغـزو والإفراط فـي طلب الثأر، وكانت الحـروب تندلع بين القبائل لأتفـه الأسباب، إلَّا أنَّ السبب الرئيس لنشوب هـذه الحرب كان يتعلق بعقيـدتهم الفاسـدة حيث سـادت عبادة الأوثـان في جميع أرجـاء الجزيـرة

العربية، وكـانت قبيلتا همدان ومراد تتعبـدان لصنم اسمه (يعوق)[٧] وكان ينصب في ديار همـدان مرة، وفي ديـار مراد مـرة أخرى، وطمعت مراد في بقـاء الصنم في ديارهـا رغبة منها في التبـرك به، وحتى تكيـد لهمدان وتغلبها من هنـا أغضب هذا همدان وتوعدت مراد بحرب طاحنة إذا هي لم تُعِدِ الصنم، إلا أن قبيلة مراد لم تُعِرْ تهديد همـدانَ اهتمامًا، فجمعتْ لها همـدان جموعها، وسارت إليهـا في كتائب، يقودها الفارس الشاعر والقـائد المحنك الأجدع بن مالك الوادعي، ذالك أن زمام زعامة همدان كانت بأيدي رجال (وادعة) وخاصة في الحروب والأيام المشهورة.

التقى الجمعـان بموضع (الـرَّزْم) ودارت بينهما معـركـة شرسـة ضاريـة انْتَهتْ بهزيمـة مراد، إذْ قُتل منهـا خلق كثير، مما دفعهـا إلى ضرورة عقـد تحالف مع بني عمهم من (بَلْحَـارث) بن كعب، فسـارت إليهم همـدان تَحْتَ زعامـة الأجـدع بن مالك الـوادعي. والتقوا بجمـوع مَذْحج[٨] في (حراض) من أرض همـدان، وكان يقود بني الحارث بن كعب الحصين بن يزيـد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب ابن عبـدالله بن ربيعـة بن الحارث بـن كعب الملقب - ذا الْغُصَّةِ - واشتهـر بهـذا اللقب لأن حلقه كان فيه شبه الحوصلة[٩].

وفي هذه المعـركة كـان يحف بالحصين فرسـان مَذْحج، وفي مقـدمتهم أبناؤه الأربعـة - الذين اشتهـروا بين العرب بـ (فوارس الأربـاع) ومنشأ هذه التسميـة أنَّ الحرب إذا نشبت ولي كل منهم رُبُعَهَـا لبراعتهم وشجـاعتهم في الحروب[١٠] وفي هذه الموقعة واجهتهم فوارس همـدان ، بكل شجاعة واقتدار، ودارت بين الفريقين رَحَى معـركة طـاحنة استبسل فيهـا رجال همـدان، فأحرزوا انتصـارًا ساحقًـا على مَـذْحِج، وأَصابَتْ همـدان فيه دمـاءً غـزيرةً، وأَفْنَتْ كثيـرًا من سرواتهم، وتكبـدت مـذحج خسائر فـادحة في الأرواح، فَقُتل في ذالك اليـوم أبرز رجـال مذحج أبنـاء الحصين بن يزيد، وهم فوارس الأَرْبَاع، وهكـذا استطاع الأجدع بن مالك الوادعي أَنْ يحقق لهمدان هـذا النصر في ذلك اليـوم المشهود وفي هـذا يقول في قصيـدته المشهورة[١١]:

١- أسألتني بنجـائب[١٢] ورحـالهـا ... ونَسيت قتـل فـــوارس الأَرْبَـــاعِ[١٣]

٢- وبني الحُصَيْنِ أَلَـم يَجِئْكَ نَعيُّهُمْ ... أهل اللِّـــواءِ، وســـادَةُ المِــرْبـــاع

٣- شهُدوا المواسِمَ فانتَزَعْنَا مَجْدَهُمْ ... منَّــا بأمـــر صَــرِيمــةٍ وزِمَــاعِ[١٤]

٤- والحارثُ بن يزيد وَيْحك أغولِي ... حُلْــو شمــائلُــهُ رَحِيْبُ البَــاع[١٥]

٥- فَلَــو انَّنِي فُـــودِيتُـهُ لَفـديْتُـهُ ... بأنــامِلـي وَأُجِنُّــهُ أضـــلاعي[١٦]

٦- لَـدفَعْتُ عَنْـهُ فـي اللِّقَـاءِ وفَـاتَـهُ ... دَفْعي وكـل مَنِيَّـــةٍ بِــــدِفـــاعِ

٧- تِلْكَ الـرزيَّـة لا ركـائبَ أُسلمتْ ... بِــرحــالهــا مَشــدودة الأنْسَــاعِ[١٧]

٨- أبلغ لـديـك أبـا عُمَيْـرٍ مُـرْسـلًا ... فَلقــد أنَخْتَ بِمَنــزلٍ جَعْجَـاعِ[١٨]

٩- ولقــدْ قَتَلْنــا من بَنِيـك ثـلاثـةً ... فلتَنْــزِعَنَّ وأنْتَ غَيْــرُ مُطــاعِ[١٩]

١٠- والخيلُ تعلمُ أنَّنِـي جـاريتهـا ... بـأجَشَّ لا ثَلـب ولا مِظْـــــلاعِ[٢٠]

١١- يصطادك الـوحد المـدل بشأوه ... بِشـــريج بيـن الشَّـــدِّ والإيضـاعِ[٢١]

١٢- نقفوا الجِيادَ منَ البُيوتِ فَمَنْ يَبِعْ ... فـــرسًــا فليس جـــوادُنَــا بِمُبَــاعِ

١٣- يَهْدِي الجيـادَ وقد تَـزَايَل لَحمهُ ... بِيَـدَيْ فتًى سَمْح اليَـديْنِ شُجَـاعِ[٢٢]

١٤- إنَّ الفوارسَ قَـدْ عَلِمتَ مكـانها ... فَــانْعَق بشــاتِك نحــو أهل رَدَاعِ[٢٣]

١٥- حيَّـان من قـومي ومن أعـدائِهم ... خفضُـــوا أَسِنَّتَهُمْ فكـلٌ نَــاعِي[٢٤]

١٦- خفضُوا الأسنَّـة بينهم فتـواسقوا ... يمشـــــون في حُلـلٍ من الأَدْرَاع[٢٥]

١٧- والخيْل تَنْـزُو فـي الأَعنَّـة بينهم ... نَـزْوَ الظِّبــاءِ تحـوَّشَتْ بــالقَـاعِ[٢٦]

١٨- وكأنَّ قَتْـلاهَـا كِعَــابُ مُقـامِـرٍ ... ضُـربَتْ على شَزَنٍ فهنَّ شـواعي[٢٧]

١٩- وَهَلَتْ وَهِيَّ تَسُـورُ في أرماحِنَـا ... وَرَفَعْنَ وَهْــوَهــة صَهِيلَ وقَــاعِ[٢٨]

٢٠- ولَحِقْنَهُمْ بِـالجـزع جِزْعِ تَبـالـةٍ ... يَطْلُبْـنَ أزوادًا لأهْلِ مَـــــلاعِ[٢٩]

٢١- فَفِـدَى لَهُـم أُمِّـي هُنَـاك ومثلهم ... فَبِمِثْلِهِم في الــوتْـرِ يَسْعَى الســاعِي

٢٢- فَلَقَدْ شَدَدْتُم شَدَّةً مذكورةً ولَقَدْ رَفَعْتُم ذكركم بيَفاعِ[٣٠]
٢٣- فلقد بلغَتْ أهْلَ العراقِ ومَذْحِجًا وعُكاظ شَدَّتنا لدى الإقْلَاعِ
٢٤- أَبْلغْ قبائلَ مَذْحِجٍ ولفيفها أنّي حميتُ مُحاميَ الأجراعِ
٢٥- وتركتُ أكْتَلَ والمُخرَّمَ وابنه رَهْنًا لوِرْدِ لعاوِسٍ وضباعِ
٢٦- فلكُمْ يَدَايَ بيومِ سُوْءٍ بعدَما مُتَكَفّلٌ بتفرُّق وضِياعِ
٢٧- وتظلُّ جالعةُ القنَاعِ خريدةٌ لم تَبْدُ يومًا غير ذاتِ قنَاعِ
٢٨- أبني مُنَشَّفَةِ اسْتِهَا لا تأمَنُوا حَرْبًا تُقِضُّ مَضاجِعَ الهُجَّاعِ
٢٩- حتى تُلَفَّ أصَارِمٌ بأصارِمِ ويُلَمَّ شتُّ تَفَرُّقِ الأوزاعِ
٣٠- وترى أبا الأبداء يسحُب هذْمَهُ حيرانَ مُلْتَجئًا إلى الأكماعِ
٣١- وَلَقدْ بَلَا جُعْلُ المخازي بأسَنا ومِحَالنا في كَبَّةِ الوَغْواعِ
٣٢- فَنَجَا ومُقْلَتُهُ يُقَسِّمُ لحظُها فَنَّيْنِ بَيْنَ أخادِعٍ ونخاعِ

وممن شارك في حرب يوم الرَّزْم الشاعر عَمْرُو بن بَرَّاقَة النِّهْمِيُّ الهمداني وهو القائل يومئذٍ:

ألا إنّ حرْبًا بين أفناءِ مَذْحِجٍ وبين أمين[٣١] حيث حَلَّت كرامُها
لَحَرْبٌ يَغَصُّ الشيخُ منها غَيوقه[٣٢] وتظْهرُ مِنْ سوقِ النّساء خِدامُها[٣٣]
فَأَشْرَعْتُ صَدْرِي دُونَها لرِمَاحِهِمْ وأَحرزتُ نفسي إنْ تَراخَى حِمامُها
فَرُبْ طموحٍ في العِنان تركتُها بِسائلة الحصحاص مُلْقًى لِجامها[٣٤]
وعاديةٍ سَوْمِ الجرادِ وَزَعْتُهَا بطعنٍ كَسَاهَا مِنْهُ رَدْعًا كِلَامها
دَنَوْتُ لها تَحْتَ العَجَاج فأدْبَرَتْ شَواكِلُها اليُسرى كثيرًا سِهامها[٣٥]

ويقول الشاعر جِعَال بنُ عبد بن جشم النِّهمي يتغنى بأمجاد ذالك اليوم:

بَنَى لنا أَوَّلُونا فوقَ عاليةٍ مجدًا دعائمه من تحته زلق

حتى أسْتَوَيْنَا على أشرافِ رابِيَةٍ   عند الثريا بها الأرواحُ تَخْتَفِقُ
لا يَفْتَحُ الناسُ بابًا حينَ نُغْلقُهُ   ولا يكون لِبَابٍ دُوْنَنَا غَلَقُ
الناسُ أرضٌ ونَحْنُ السَّقْفُ فَوْقَهم   نحن السماء وهم من تحتنا خُلِقُوا
إنْ نَخصر الرَّأْيَ لا يَنْظر به أحد   وإذْ نَغِبْ عنْ ظهور الحيّ يرتفعوا
خالِي يزيد أبو بِشْرٍ به هُزِمَتْ   جيش العكارة إذا أرداهم الحمقُ(٣٦)

ويتحدث أحد أعيان مراد ورجالها المرموقين وهو فروة بن مُسيك المرادي عن هذه الموقعة في قصيدته المؤثرة التي استهلها قائلًا:

١ - مَرَرْنَ عَلَى لِفَاتَ وَهُنَّ خُوصٌ   يُنَازِعْنَ الأعِنَّةَ يَنْتَحِينَا(٣٧)
٢ - فَإنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْمًا   وَإنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينَا
٣ - وَمَا إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلكِنْ   مَنَايَانَا وَطَعْمَةُ آخرِينَا(٣٨)
٤ - كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ   تَكِرُّ صُروفُهُ حِينًا فَحِينَا
٥ - فَبَيْنَا مَا نُسَرُّ بِهِ ونَرْضَى   وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سِنِينَا(٣٩)
٦ - إذ انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ   فَأَلْفَيْتُ الأُلَى غُبِطُوا، طَحِينَا(٤٠)
٧ - فَمَنْ يُغبَطْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ   يَجِدْ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَؤونَا
٨ - فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إذَنْ خَلَدْنَا   وَلَو بَقِي الْكِرَامُ إذَنْ بَقِينَا
٩ - فأفْنَى ذلِكُمْ سَرَوَاتِ قَوْمِي   كَمَا أفْنَى الْقُرُونَ الأَوَّلِينَا(٤١)

وكانت هذه الموقعة السبب الرئيس الذي أدّى إلى مفارقة فروة بن مسيك المرادي لملوك كندة(٤٢) حينما توجه وافدًا إلى رسول الله ﷺ قال في طريقه:

١ - لَمّا رَأيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ   كَالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسَائِهَا(٤٣)
٢ - قَرَّبْتُ رَاحلَتِي أَؤُمُّ مُحَمَّدًا   أرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا(٤٤)

وكان للنصر الكبير الذي أحرزته همدان في ذالك اليوم صدى كبير في كافة

أرجاء الجزيرة وسارت به الركبان، وعلم به القاصي والداني حتى أن فروة بن مُسَيك المرادي حينما وفد على الرسول ﷺ وهو بالمدينة قال له الرسول ﷺ: «يافروةُ هل سَاءَك ما أَصَابَ قومك يوم الرّزم؟». قال: يارسول الله مَنْ ذَا يصيبُ قَوْمَه مثلُ ما أصاب قومي يوم الرزم ولا يسوْءُه ذالك؟ فقال رسول الله ﷺ: «كرهتُ يومكم ويومَ همدان». قال فروة: إي والله أفْنَى الأهل والعشيرةَ، فقال الرسول ﷺ: «أَمَا إنَّ ذالك لم يزد قومك في الإسلام إلَّا خيرًا»(٤٥).

محمد بن مهاوش بن مسفر الوادعي

الحواشي:

(١) «المعجم الوسيط»، ص ٣٤٢.

(٢) «صفة جزيرة العرب»، للهمداني ص ٢٣٧.

(٣) «معجم البلدان»، لياقوت الحموي مادة (رزم).

(٤) «الإكليل» للهمداني، ج ١٠، ص ١٦٣ تحقيق محب الدين الخطيب. و «صفة جزيرة العرب»، تحقيق محمد علي الأكوع ص ٢٣٧.

(٥) «السيرة النبوية»، لابن هشام ج ٤ ص ٢٥١.

(٦) كتاب «محمد رسول الله»، تأليف محمد رضا، ص ١٦١.

(٧) أصل الصنم كان لهمدان في الجاهلية وهو اسم لرجل صالح في قوم نوح انظر «تفسير ابن كثير» سورة نوح.

(٨) مذحج قبيلة عربية لها فروع متعددة تنسب إلى مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

(٩) يقال: إنه رأس بني الحارث بن كعب مئة سنة انظر «الإكليل» للهمداني ج ١٠ ص ١٦١، تحقيق محب الدين الخطيب.

(١٠) «الإكليل» للهمداني، ج ١٠ ص ١٦١ تحقيق محب الدين الخطيب.

(١١) القصيدة تقع في اثنين وثلاثين بيتًا منها أحد عشر بيتًا في «الأصمعيات» ٦٨ وواحد وعشرون بيتًا في «الاختيارين» ٤٦٦ وسبعة أبيات في «اللآلي» ١٠٩ وستة أبيات في «الوحشيات» ١١٦ ووردت أبيات منها متفرقة في مصادر كثيرة، ينظر تخريجها في حواشي «الأصمعيات» و «اللآلي» وانظر كتاب «قصائد نادرة» للدكتور حاتم صالح الضامن ص ٢٠ - ٤٧ وكتاب «شعر همدان وأخبارها» للدكتور حسن عيسى أبو ياسين ص ٢٢٧ - ٢٣٠ - وقد أفدنا من هذا التخريج والشروح.

(١٢) النجائب جمع نجيبة - النّاقة الفتية الصلبة.

(١٣) فوارس الأرباع - هم أبناء الحصين بن يزيد.

(١٤) الصريمة العزيمة على الأمر ومثلها الزماع.

(١٥) هو الحارث بن ثمامة بن يزيد زوج ابنة الشاعر وكان ممن شهد الحرب، وقتل فيها.

(١٦) فُوْدِيَتُهُ يقال فَاداه يُفاديه إذا أعطى فداءه لينقذه. وأَجَنّهُ: سرَّه أراد لفديتُه بنفسي وبما ملكت يدي.

(١٧) الأنساع: جمع نِسْع وهو سير يُشَدُّ به رَحْلُ الناقة وغيرها.

(١٨) المعنى - صرت في ضيق بمحاربتك إيانا فلا تَسْرح ولا تجيء ولا تذهب. والجعجاع المحبسُ الضيّق.
(١٩) لتنزعَنَّ: أراد لتنتهينَّ وتكفَّ عن هذه الحرب وأنتَ راغم مقهور، لأن قومك لن يطيعوك في قتالنا بعد الذي رأوه من بلائنا وشدة بأسنا وهذا معنى قوله: لتنزعن وأنتَ غير مطاع.
(٢٠) قال الأخفش: [أجش: في جريه له حفيف والجُشَّةُ البَحَحُ في الصوت، وذلك في صفة الخيل - والثلب - المعيب - والمظلاع - من ظلع إذا غمز في مشيه وعرج ينفي عن فرسه ذالك.
(٢١) قال الأخفش: [الوَحَدُ - الفرد من البقر. والشأو: الطّلق.. والشـريج: الخليط يخلط بين شدة وإيضاعه وهو فوق الخَبَب، وأراد بالوحد الثور الوحشي وأراد بشأوه: بِسَبْقِه.
(٢٢) يَهدي الجياد: يأتي في طليعتها ويَقْدُمها وقوله: تزايل لحمه: كناية عن ضموره وخفته.
(٢٣) انعق بشاتك: معناه أزجر غنمك وسَرِّحْها بعيدًا. ورداع: أحد مخاليف اليمن المعروفة.
(٢٤) يقول الأصمعي: إن معنى البيت: أن كل فريق جاء ينعى قتلاه ويطلب بثأرهم.
(٢٥) خفضوا الأسنة بينهم فتواسقوا يمشون في حلل من الأدراع
تواسقوا: انتظموا وتراصوا
(٢٦) تنزو - تثِب - تحوشت - أحدق بها من كل اتجاه.
(٢٧) الِكعاب جمع كعب وهو ما يُلْعب به. وشَزَن: الغليط الخشن من الأرض، وشواعي. متفرقات فسره الأخفش قال: [كأن عقري الخيل مثل كعاب مقامر فبعضها على ظهر وبعضها على جنب وبعضها على حرف شاخص من الأرض، لأنه ليس بمستو وكذالك الخيل بعضها يقع على وجهه وبعضها على جنبه.
(٢٨) وهلت: فزعت. وَهِيَّ: بتضعيف (ياء) هي لغة لهمدان خاصة، وهم إنما يقولون في هُوَ: هُوَّ وفي هِيَ: هِيَّ: هِيَّ وتسور: تنزو إذا وقعتْ بها الرماح - والوهوهة: ترديد الصوت. وصهيل وقاع: أي صهيل مواقعة وحرب.
(٢٩) تَبَالة. موضع في طريق الحجاز من اليمن (تبالة المنطقة المعروفة بقرب بيشة). ملاع: موضع باليمن.
(٣٠) يفاع اسم جبل باليمن.
(٣١) يقصد بنو أمين من عضاضة بن نهم رهط الشاعر.
(٣٢) الغَبُوق ما أوسى عند القوم من شرابهم.
(٣٣) الخِدام - جمع خَدَمِةٍ - هي الخلاخيل.
(٣٤) الطموح: فرس: والحصحاص - جبل مشرف على ذِيْ طُوَى، [هذا في مكة ولا صلة له بموضع الوقعة وكذا الموضع الذي بعده - العرب].
وقيل قرية في وادي عَرَدَات، وهو يمتَدُّ بين اليمن ونجْد.
(٣٥) «الإكليل»، ج ١٠، ص ٢٠٤.
(٣٦) «الإكليل» للهمداني ج ١٠، ص ٢٠٦.
(٣٧) لِفَات: اسم موضع وخوص: جمع خوصاء وهي الغائر العين. ويتحين: يعترضْنَ.
(٣٨) الطب هنا العادة والمعنى ليست عادتنا الجبنَ والفزع.
(٣٩) غضارة الشيء: طراوته ونعومته.
(٤٠) الألى - أي الذين. وغبطوا - استحسنتُ حالتهم.
(٤١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ج ٤، ص ٢٥٠ - ٢٥١ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.
(٤٢) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني ج ٣، ص ٢٠٥.
(٤٣) النَّسَا - عرقٌ مُسْتبطن في الفخذ.
(٤٤) «السيرة النبوية» لابن هشام ج ٤، ص ٢٥١ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.
(٤٥) «السيرة النبوية» لابن هشام ج ٤، ص ٢٥١، «تاريخ الطبري» ج ٣، ص ١٣٤.

٥١- بَابُ أَقْسَاسٍ وَقَسَاسٍ(١)

أَمَّا - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُوْنِ الْقَافِ: أَقْسَاسُ مَالِكٍ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْكُوْفَةِ وَمَشْهَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.(٢).

وَأَمَّا- بِقَافٍ مَضْمُوْمَةٍ بَلَا أَلِفٍ-: مَعْدِنٌ بِالْسَّرَاةِ، وَجَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي نُمَيْرٍ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَنَجْدٍ، وَهُوَ أَشْهَرُ مِنَ الْمَعْدِنِ، قَال شِمْرٌ: الْقُسَاسُ: مَعْدِنُ الْحَدِيْدِ بِإِرْمِينِيَّةَ، والقُسَاس سَيْفٌ مَنْسوبٌ إِلَيْهِ(٣).

٥٢- بَابُ أُقُرٍ، وأَقُرٍ، وآقُرٍ(٤)

أَمَّا - بِضَمِّ الهَمْزَةِ وَالْقَافِ والْرَّاءِ مُخَفَّفَةً-: مَاءٌ فِي دِيَارِ غَطَفَان قَرِيبٌ مِنَ

---

(١) لَمْ يَذْكُرْه الْحَازِمِيُّ.

(٢) عِنْد يَاقُوت: أَقْسَاسُ: قَرْيَةٌ بِالْكُوْفَةِ، وَكُوْرَة يُقَالُ لَهَا أَقْسَاسُ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ هِنْدٍ، ثُمَّ أَوْصَل نَسَبهُ إِلى زُهْرِ بن إِيَادِ بْنِ نِزَار، وَذَكَرَ بَعْضَ الْمَنْسُوبين إِلَى هَذَا الْمَوْضِع.

(٣) فِي «مُعْجَم الْبُلْدَان» قُسَاسُ: جَبَلٌ لِبَنِي نُمَيْر، وَقَال غَيْرُهُ (؟) قُسَاسُ: جَبَلٌ لِبَنِي أَسَدٍ، وَإِذَا قِيْل بِالْصَّادِ فَهُو جَبَلٌ لَهُمْ أَيْضًا فِيْه مَعْدِنُ حَدِيْدٍ، تُنْسَبُ السُّيُوف القُسَاسِيَّةُ إِلَيهِ، وَأَوْرَد شَوَاهِدَ مِنَ الْشِّعْرِ، ثُمَّ قَوْل شِمْرٍ، قُسَاسٌ يُقَال إِنَّه مَعْدنُ حَدِيدٍ بِإِرْمِينِيَّةَ، نُسِبَ السَّيْف إِلَيْه قَال جَرِيْر:

إِنَّ الْقُسَاسِيَّ الَّذِي تُعْصَى بِهِ ... خَيْرٌ مِنَ الإِلْفِ الَّذِي تُعْطَى بِهِ

وَلَمْ يَرِد في الْمُعْجَم ذِكْر مَعْدِن الْسَّرَاةِ.

وأُضِيْف: قُسَاسُ الْجَبَلُ الَّذي فِيْه مَعْدِنُ حَدِيْدٍ يَقَع بَعِيْدًا عَنْ بِلَادِ بَنِي أسدِ الْوَاقِعَةِ فِي شَمَال نَجْدٍ، فَهَذَا الْجَبَلُ يَقَع فِي الْجَنُوبِ، وَلَا يَزَال مَعْرُوْفًا يَقَع فِي إِقْلِيْم الْعِرْضِ (عِرْضِ الْقُوَيْعِيَّةِ) الْمَعْرُوْف قَدِيمًا بِعِرْضِ شَمَام، وَبِسَوَاد بَاهِلَةَ، غَرْب وَادِي الْعُمَقِ وَشَرْق جَبَلِ صَبْحًا (يذبل قديمًا) وَقَدْ عُثِرَ عَلَى مَعْدِنِهِ وَعُرِفَ.

أَمَّا الْمَعْدِن الَّذي فِي الْسَّرَاة، فَلَمْ أَرَ لَهُ ذِكْرًا، وَكَلِمَة (والقُسَاس): سَيْفٌ مَنْسُوبٌ إِلَى آخِره، كَذَا وَرَدت فِي الْمَخْطُوْطَة، وهو الْصَّوَاب.

(٤) عِنْد الْحَازِمِيّ.

الشَّرَبَّةِ، وَقِيْلَ: جَبَلٌ، وَقِيْلَ: هُوَ مِنْ عَدَنَةَ، وَقِيْلَ: جِبَالٌ أَعْلَاهَا لِبَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، وَأَسْفَلُهَا لِفَزَارَةَ(١).

وَأَمَّا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّ الْقَافِ وَتَشْدِيْدِ الرَّاءِ: مَوْضِعٌ أَوْ جَبَلٌ بِعَرَفَةَ(٢).

وَأَمَّا- بِالْفَاءِ والْبَاقِي مِثْلُهُ-: بَلَدٌ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ قَرِيْبٌ مِنْ نَهْرِ جُوْبَرٍ(٣).

٥٣- بَابُ أَكَمَة، وأُكْمة(٤)

أَمَّا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ والْكَافِ-: مِنْ هِضَاب أَجَإٍ عِنْد ذِي الجُلَيِّلِ، وَيُقَالُ: الجَلِيْل وَهُوَ وَادٍ(٥).

---

(١) عِنْد الْحَازِمِيِّ: أُقْرُ- بَعْدَ الْهَمْزَةِ الْمَضْمُومَةِ قَافٌ سَاكِنَةٌ وَآخِر الْكُلِّ رَاءٌ: مَاءٌ فِي دِيَارِ غطَفَانَ قَرِيْبٌ مِنَ الشَّرَبَّةِ، قَالَهُ الأَزْهَرِيُّ، وَأَنْشَدَه، ثُمَّ أَوْرَدَ بَيْتَيْن مِنَ الشِّعْرِ، وَقَال عَنْ أُقُرٍ بِضَمِّ الْقَافِ: وَادٍ لِبَنِي مُرَّةَ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَة، وَأَنْشَدَ لِلنَّابِغَةِ:

إِنِّي نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أُقُرٍ ... وَعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارِ

وَقَال أَبُو نَصْرٍ: أُقُرُ: جَبَلٌ، وَأَنْشَدَ لابْنِ مُقْبِلٍ:

وَثَرْوَةٍ مِنْ رِجَالٍ لَوْ رَأَيْتَهُمْ ... لَقُلْتَ إِحْدَى حِرَاجِ الْجَرِّ مِنْ أُقُر

وَأَوْرَدَ صَاحِبُ «الْمُعْجَم» أَقْوَالًا كَثِيْرَة عَنْ أُقُرٍ، وَالأَقْوالَ الثَّلاثَة الَّتِي أَوْرَدَهَا نَصْرٌ لَا تَخْرُج عَنْ الْقَوْل الأَوَّل، ذَالِك أَن الاسْم يُطْلَق عَلَى الْمَوْضِع وَعَلَى مَافِيْه مِنْ مَاءٍ أَوْ جَبَلٍ، وَهُو فِي عَدَنَةَ لِوُقُوعِهِ شَمَال وَادِي الرُّمَةِ، والشَّرَبَّةُ تَقَعُ جَنُوْبَ وَادِي الرُّمَةِ، الْفَاصِلُ بَيْنَهَا وبَيْنَ عَدَنَةَ، وَمُرَّةُ هُوَ: ابْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ مِنْ غَطَفَانَ، وَفِي كِتَاب نَصْر: مُرَّةُ بن كَعْبٍ، يَظْهَر أَنَّهَا سَبْقُ قَلَم، فَاولَئِكَ فِي قُرَيْش وَبِلَادُهُم تِهَامَةُ، وَقَدْ تَحَدَّثْتُ عَنْ أُقُرٍ فِي (قِسم شَمَال الْمَمْلَكَة) مِن «الْمُعْجَم الجُغْرَافِي» وَخُلَاصَة مَاذَكَرْت: أَنَّ الاسْمَ يُطْلَق عَلَى مَوَاضِعَ، مَوْضِعٌ بَيْن الْبَصْرَةِ والْكُوفَةِ، لَهُ ذِكْرٌ فِي أَخْبَارِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَشْعَارِهم، وَجَبَل فِي دِيَار غَطَفَان لِبَنِي مُرَّةَ، وَهَذَا يَقَعَ فِي عَدَنَةَ: الأَرْض الْوَاقِعَةُ شَمَالَ وَادِي الرُّمَةِ، وَشَرْقَ الْحَرَّةِ، وَوَادٍ وَاسِعٌ فِيْه آبَار يَقَع بِقُرْبِ ذَالِكَ الْجَبَلِ، نَبَاتُهُ الْحَمْض، هَذَا لَا يَنْبُت إِلَّا فِي الأَرْض السَّبِخَةِ الْمَالِحَةِ التُّرْبَةِ، وَتَكُون مِيَاهُ آبَارِهَا غَالِبًا مُرَّةٌ، وَهَذَا وإِنْ كَان فِي بِلَاد غَطَفَانَ، إِلَّا أَنَّه فِي مُرْتَفَعٍ يَسْهُل لِغَيْرِهِم حُلُولَه، كَمَا فَعَلَ النُّعْمَانُ، وَكَمَا فَعَلَتْ بَنُو ذُبْيَانَ.

وَعَلَى مَا تَقَدَّم فَإِن أُقُرَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُون مِنْ جِبَال حَرَّة فَدَك (الْحائِط) الشَّرْقِيَّة وَأَن وَادِيهُ أَحَد أَوْدِيَةِ الْحَرَّةِ الَّتِي تَنْحَدِرُ مِنْهَا مُشَرِّقَةً، فَتَفِيْضُ فِي وَادِي الرُّمَةِ وَلَا عِبْرَة بالاخْتِلَاف فِي ضَبْط الْقَاف من أُقُرٍ بَيْنَ الضَّمّ والسُّكُونِ، فَقَد يَجُوْز الْوَجْهَانِ.

(٢) لَمْ يَذْكُرْه الْحَازِمِي، وَعند يَاقُوْت: مَوْضِعٌ أَوْ جَبَلٌ بِعَرَفَةَ، وَلَم أرَ لَهُ ذِكْرًا فِي كِتَاب «أَخْبَار مَكَّة» لِلأَزْرَقِيِّ.

(٣) هُوَ تَعْرِيْف الْحَازِمِي، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْه يَاقُوْتُ.

(٤) عِنْد الْحَازِمِيِّ.

(٥) لَمْ يَذْكُرِ الْحَازِمِيُّ الْمَوْضِعَ، وَنَقَلَه يَاقُوْتُ عَنْ نَصْرٍ بِنَصِّه.

وَأَكَمَةُ أَيْضًا: بَعْد الْحَاجِرِ بِمِيْلَيْنِ، يُقَالُ لَهَا: أَكَمَةُ العِشْرِقِ، كَان عِنْدَهَا الْبَرِيْدُ السَّادِسُ والثَّلاثُوْنَ لِحَاجِّ بَغْدَادَ[1].

وَأَمَّا - بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَسُكُوْنِ الْكَافِ -: نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي الْيَمَامَة، قَال ابنُ الأَسْوَدِ: أُكْمَةُ قَرْيَةٌ بِهَا مِنْبَرٌ وَسُوقٌ لِجَعْدَةَ، وَقُشَيْرٌ تَنْزِلُ أَعْلاهَا[2].

٥٤- بَابُ أَلْعَسَ، والعُشِّ[3]

أَمَّا - بِأَلِفٍ مَفْتُوْحَةٍ وَلَامٍ سَاكِنَةٍ وَعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوْحَةٍ وآخِرُهُ سِيْنٌ مُهْمَلَةٌ خَفِيْفَةٌ: جَبَلٌ فِي دِيَارِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةِ[4].

وَأَمَّا - بِحَرْفِي التَّعْرِيْف والْعَيْنِ مَضْمُوْمَة وَبَعْدَهَا شِيْنٌ مُعْجَمَةٌ مُشَدَّدَةٌ: ذَاتُ

---

(١) هُوَ كَلَام الْحَازِمِي، وَنَقَلَه يَاقُوْت غَيْر مَنْسُوب، وَفِي كِتَاب «الْمَنَاسِك» وَلَعَلَّه كِتَاب «الطَّرِيْق» - ٣١٩ -: بَعْد أَنْ ذَكَر مَافِي الْحَاجِر مِن الْبِرَكِ والآبَار قَال: وَالْبَرِيْدُ الْخَارِجُ يُقَال لَهُ بَرِيْد أَكَمَةِ العِشْرِق. انْتَهى، والْحَاجِرُ: أَصْبَح الآنَ بَلْدَةً مَسْكُوْنَةً فِي غَرْب الْقَصِيْم.

(٢) أَوْرَدَهُ الْحَازِمِيُّ بِنَصِّه، وَأَوْرَد يَاقُوْتُ: أُكْمَةُ: اسْمُ قَرْيَة بِالْيَمَامَة بِهَا مِنْبَرٌ وَسُوْقٌ لِجَعْدَة، وَقُشَيْرٌ تَنْزِلُ أَعْلاهَا، وَقَال السُّكُوْنِيُّ: أُكْمَةُ مِنْ قُرَى فَلَج بِالْيَمَامَة لِبَنِي جَعْدَة كَبِيْرَةٌ، كَثِيْرَةُ النَّخْل، ثُمَّ أَوْرَد فِيْهَا شَوَاهِدَ مِنَ الشِّعْر.
وَأُضِيْف: أُكْمَةُ مِن بِلَادِ الأَفْلَاج، ذَكَرَهَا كَثِيْرٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِيْنَ كَالْهَمْدَانِي وَيَاقُوت، وَقَال عَنْهَا صَاحِب كِتَاب «بِلَاد الْعَرَب» - ٢٢٤: وَسُوْقُ الفَلَج بِبَطْحَاءِ وَادٍ يُسَمَّى وَادِي أُكْمَةَ، وَاسْم الْوَادِي كُرْزٌ، والسُّوْقُ مَدِيْنَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَمَنَازِلُ بَنِي قُشَيْرٍ فِي نَاحِيَةِ الْسُّوْقِ عَلَى شَطِّ الْوَادِي، نَخِيْلٌ وَدُوْرٌ وَحِيْطَانٌ، وَيُسَمَّى مَنْزِلُهُمْ الزَّرْنُوْق - وَقَال - ٢٢٧ -: وَأُكْمَةُ قَرْيَةٌ بِهَا مِنْبَرٌ وَسُوْقٌ، وَهِي لِجَعْدَة إلَّا قَلِيْلًا مِنْ أَعْلَاهَا لِقُشَيْر، وكُرْزٌ سَاقِيَتُها، وَأُكْمَةُ بَيْن جِبَالٍ، وَعَدَّ مِنْ ثَنَايَا الْعَارِض ثَنِيَّة أُكْمَة، وَثَنِيَّة بِرْك، وَثَنِيَّة نَسَاح، وَثَنِيَّةُ الأَحِيْسِي، وَتُعْرف أُكْمَةُ الآن بِاسْم الْحَمْر (الأَحْمَر) وَادٍ فِيْه نَخْلٌ وَسُكَّانٌ، وَهُوَ مُلْتَقَى، وَادِيَيْ كُرْزٍ والصَّمَان. أَمَّا الآن فَسُكَّان أُكْمَةَ وَغَيْرِهَا مِنْ قُرَى الأَفْلَاج خَلِيْطٌ مِنَ القَبَائِل، مِنَ الدَّوَاسِر وَسُبَيْع والسُّهُول وَغَيْرهم.

(٣) لَمْ يَرِد فِي كِتَاب الْحَازِمِي.

(٤) لَمْ يَزِدْ يَاقُوْتُ عَلَى تَعْرِيْف نَصْر غَيْر مَنْسُوب، وَفِي «تَاج الْعَرُوْس» شَاهِدٌ عَلَى (أَلْعَس) قَوْلُ امْرِئ الْقَيْس:

فَلَا تُنْكِرُوْنِي إِنَّنِي أَنَا جَارُكُم ... عَشِيَّةَ حَلَّ الْحَيُّ غَوْلًا فَأَلْعَسَا

وَإِذَا جَازَ الاسْتِنْبَاط مِنْ كَوْن الشَّاعِر عَطَف أَلْعَس عَلَى غَوْلٍ بِحَرْف الفَاءِ، فَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَن أَلْعَس بِقُرْبِ غَوْلٍ، الْوَاقِعِ فِي حِمَى ضَرِيَّةَ، وَهُو فِي الْقَدِيْم مِنْ بِلَاد بَنِي كِلَاب، مِنْ بَنِي عَامِر، الَّذِيْن يَحِلُّوْنَ فِي بِلَادٍ وَاسِعَةٍ، وَغَوْلٌ لَا يَزَال مَعْرُوفًا فِي مِنْطَقَة ضَرِيَّةَ، فِي عَالِيَة نَجْد.

الْعُشّ فِي الطَّرِيق بَيْن صَنْعَاءَ وَمَكَّـةَ عَلَى النَّجْدِ، دُوْنَ طَرِيْقِ تِهَامَـةَ، وَهُوَ مَنْزِلٌ بَيْن الْمَكَان الْمَعْرُوْفِ بِقُبُور الشُّهَدَاء، وَبَيْن كُتْنَةَ[1].

٥٤- بَابُ أُلَيْفَةَ، والبَقَّةُ[2]

أَمَّا - بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ اللَّامِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَفَاءٌ مُخَفَّفَةٌ: مِنْ دِيَار الْيَمَانِيِّيْنَ[3].

وَأَمَّا- بِحَرْفَـيِ التَّعْرِيف وَبَاءٍ مُوَحَّـدَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَقَافٍ مُشَدَّدَةٍ: مِـنْ سَوَاد الْعِرَاقِ عَلَى شاطِئِ الْفُرَاتِ، بِهَا مَنَازِلُ جَذِيْمَةَ الْأَبْرَشِ وَآلِهِ[4].

---

(١) أَوْرَدَ صَاحِبُ «مُعْجَم الْبُلْدَان» كَـلَام نَصْرٍ بِنَصِّه مَنْسُوبًا إِلَيْه، كَمَا ذَكَـرَ ذَا الْعُشّ مِنْ أَوْدِيَةِ الْعَقِيْقِ مِنْ نَوَاحِي الْمَـدِيْنَة، وَأَوْرَد عَلَيْـه شَوَاهِـد مِنَ الشِّعْر، وَنَقَل عَنْ ابْنِ الْحَـائِك وَيَقْصُدُ الْهَمْـدَانِيّ صَاحِبَ «صِفَـة جَزِيْـرَة الْعَرَب»: الْعُشَّـانِ مِنْ مَنَازِل خَوْلَان، وَأَوْرَدَ شَـاهِدًا شِعْرِيًّـا، وَفِي «صِفَة جَـزِيْرَة الْعَرَب» فِي الْكَـلَام عَلَى دِيَار جَنْب بَعْـد أَنْ ذَكَر المَنْشَـرَ، وَسَرُوْمَ، والْقَـرْحَاء، قَال: وَذَاتُ عُـشّ وَبِهَا قُبُـور الشُّهَدَاءِ سَـابِلَةٌ وَحُجَّـاجٌ قُتِلُوا، والْجَبَل الْأَسْوَد وَهُو مُعْظَمُ بَلَدِ جَنْـبٍ، وَفِي أُرْجُوزَةِ الرِّدَاعِيّ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْهَمْدَانِي:

طَـوَتْ عَفَـارَيْنِ وَوَادِي الْخَنَقَـةْ وذاتَ عُـشٍّ بِـزِمَـاعٍ مُعْنِقَـةْ

وَقَال فِي الشَّرْحِ: عَفَار: مَوْضِع، والخنقَة وَطَـرِيْب: مَوْضِع طَمِيٍّ الَّذِي انْتَجَعُوا مِنْه إِلَى الْجَبَلَيْن [وَوَادِي طَرِيْب لا يَزَال مَعْرُوفًا] وَذَات عُشّ: مَوْضِع فِيْه قُبُور الشُّهَدَاء، لَا أَدْرِي فِي أَي وَقْتٍ قُتِلُوا، ثُم ذَكَر بَعْد ذَالِك كُتْنَة. وَقَال: القَاعَةُ مِنْ ذَاتِ عُشّ إِلَى بَنَات حَـرْبٍ، وَنَقَل صَاحِب «مُعْجَمِ ما اسْتَعْجَم»- ٩٤٤- عَنْ الْهَمْدَانِي: ذَات عُشّ مِنْ أَدَانِي الْقَاع، وَهُنَاك مَات أَبْرَهَةُ مُنْصَرِفًا مِنْ غَزْوة الْفِيْل، قَال: وَذَات عُشّ مِنْ أَرْض كُتْنَة.

وَيُفْهَم مِمَّا تَقَدَّم أَنَّ ذَات عُشّ: تَقَعُ فِيْمَا بَيْنَ سَرُوْم الْفَيْض وَكُتْنَةَ عَلَى مَحَجَّةِ صَنْعَاءٍ إِلَى مَكَّة، الْمَارَّةِ بِنَجْدٍ، وَقَدْ حَدَّدَ الْهَمْـدَانِي مَرَاحِلَ هَذَا الطَّرِيْق تَحْـدِيْدًا دَقِيْقًا فِي «صِفَة جَـزِيْرَة الْعَرَب» مِمَّا لَا أُطِيل بِـذِكْرِه، وأكثرُ مَوَاضِعِهِ لا تَزَال مَعْرُوْفَةً بأسمائِها القَدِيْمَةِ.

(٢) لَيْس عِنْد الْحَازِمِي.

(٣) لَمْ يَزِد يَاقُوْتُ عَلَى قَوْل نَصْر مَنْسُوْبًا إِلَيْه، وَلَمْ أَرَ الْقَاضِيَ الْأَكْوَعَ ذَكَر فِي كِتَابه «الْبُلْدَان الْيَمَانِيَّة عِنْد يَاقُوت». شَيْئًا عَنْ هذا الْمَوضِع.

(٤) قَالَ فِي «مُعْجَم الْبُلْدَانِ» عَنْ بَقَّة: اسْمُ مَوْضِعٍ قَـرِيْبٍ مِنَ الْحِيْرَةِ، وَقِيْل حِصْنٌ كَانَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ هِيْتَ، كَان يَنْـزِلُهُ جَذِيْمَةُ الْأَبْـرَشِ مَلِكِ الْحِيْرَةِ، ثُمَّ ذَكَر قِصَّـةَ قَصِيْرٍ مَع جَذِيْمَةَ، وَأَوْرَدَ الْمَثَل: (بِبَقَّـةَ خَلَّفْتَ الرَّأْي) فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ ذَالِك مَثَلًا، وَأَوْرَد شَوَاهِدَ مِنَ الشِّعْر.

مع القراء في اسئلتهم وتعليقاتهم:

حول «جمهرة أنساب الأسر في نجد»

أسر تميمية لم ترد أسماؤها في الكتاب

[كتب الأخ الكريم الأستاذ محمد الفهد التميمي من (حائل) مستدركًا على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عدم إيراد أسماء أسر تميمية في (حائل) في الكتاب، فنشكر الله له، وها هو ماكتب به إلى مجلة «العرب» مما يرجى تداركه عند إعادة نشر الكتاب]

سبق أن كتبت لـ «العرب» عن تميم في حائل وأرغب إضافة أسماء بعض الأسر التي لم أطالعها في «الجمهرة» بطبعتها الثانية وأرجو أن تحظى مشاركتي بالقبول وتنشر الأسماء في الطبعة الثالثة.

فمن هذه الأسر التي لم تذكر:

١) الفهيد: من العبادل من دارم من حنظلة.

٢) السيف: من المفيد من بني عمرو، وفي حائل أكثر من عائلة باسم (السيف) من قبائل عدة.

٣) المنقور في الوسيطاء في رمّان.. ويوجد في جازان بالجنوب أسر المنقري قد تكون من بني سعد.

٤) المضيّان: من الحمران من بني عمرو من تميم في المستجدة برمّان.

٥) الشريفات: نسبة إلى شُرَيْف بن جِرْوَة بن أُسيِّد وحين اختفى اسم بني أُسيِّد القبيلة التميمية حلّ محله اسم (الشُّريفات) في الخليج والعراق وإيران.. وأصدر أحد الشريفات في الكويت كتابًا تضمن معلومات كثيرة عنهم.

وبنو أُسَيِّدٍ الذين منهم أَكْثَمُ حكيم العرب، وأبوهالة زوج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنهما كانوا في أرض شَرْج وناظرة في الجنوب الشرقي من (حايل) وللدكتور السنيدي بحث في منازلهم القديمة في النّباج والصَّريف والرَّبِيْعِيَّة[1].

٦) الشايع: من الحمران من بني عمرو، في الحفَن برمّان.

٧) الشايع: من المُفيد من بني عمرو في السَّبعان بِسَلْمى.

٨) الجار الله: من بني عمرو في ضرغط (ضرغد) بمنطقة حايل.

٩) الأصقه: من الوهبة من تميم سبق أن كتبت عنهم وهنا طرفة لطيفة عن الشاعر عبدالكريم الأصقه صاحب «العروس البصرية» وهي قصيدة حاور بها امرأةً وهمية قدمتْ إلى حايل من العراق فاختارت صديقًا له، وقيل: إن محمد بن رشيد أمير حايل امتعض من هذا الاختيار فقال الأصقه: إن هذه العروس قَدِمَتْ من بلد بعيد ولا نعلم من أي عرب هي؟ ولا تناسب الأمير ولا من ينتمون للقبائل.

فتخلص الأصقهُ من تجهم الأمير وسُرَّ الأمير والحضور من حسن جوابه.

١٠) العثمان :من المُفيد من بني عمرو، في السبعان بمنطقة سَلْمى.

١١) الفيصل: من آل الحميضي في محافظة الغزالة والمهاش.

١٢) العُمير: بطن كبير، من الحميضات من بني عمرو في الروضة روضة رَمَّان بحايل.

١٣) العمران بطن آخر من الحميضات من بني عمرو، وعُمَيْر وعمران إخوة من تميم في قفار، نزل أحفادهما الروضّة وعمروها، وبها تكاثروا، وهاجر كثير منهم منها. وفي كتاب الأمير تركي بن ماضي أن غالبية تميم منطقة حائل من بني عَديٍّ من العنبر من بني عمرو. وكذا في كتابات وأشعار آل الشيخ مبارك في الأحساء. وآل ماضي وآل مبارك من هاؤلاء ومنهم في قفار.

١٤) الخليل: في مدينة حايل من الشبارمة من الوهبة من تميم.

١٥) آل غُميز: (بالزّاي معجمة) من بني عَديّ من العنبر من بني عمرو من تميم وهاؤلاء من تميم قفار وهم الآن في القصيم، أمّا آل غُميز الذين في مدينة حايل فليسوا من تميم، وقد اشتبه الأمر على ابن صُقَيه فعدهم منهمْ استنادًا على اتفاق الاسم(٢). كما اشتبه عليه الأمر بالنسبة للهمزان والعامر في الروضة حيث عَدّهم من تميم خطأ.

١٦) المعاضيد: من الوهبة من تميم، وأشهر آل معضاد آل ثاني حكّام قطر، وفي الأسلم من شمر فرع يقال لهم المعاضيد في جبل سلمى سمعت من يقول إنهم من معاضيد تميم ولم أتحقق من ذالك.

١٧) السُّمَيْحَان: من آل سلامة أهل قفار من بني عدي، من العنبر من بني عمرو من تميم، والسُّمَيْحان في الجوف الآن.

١٨) السُّعيد: في الجوف أيضًا نزحوا إليها من قفار، وهم من بني عدي بن جندب من بني العنبر من بني عمرو من تميم.

١٩) آل دابس: من آل مرخان من تميم قفار، من الرُّحَيْبِيِّيْنَ من بني عدي من العنبر من بني عمرو من تميم وهم في الجوف، وأقرباؤهم آل سلامة لا يزالون في قفار.

٢٠) الحمَّاد: من أهل الجوف نزحوا إليها من قفار من بني عدي من بني العنبر من عمرو من تميم، وحسب رواية أمير قفار عبدالعزيز الخُوَيْر التميمي أن الرحيبي التميمي من آل سلامة القفاريين، والرحيبي جدٌّ جامعٌ لغالبية تميم الجوف كآل مرخان وآل عرسان.

٢١) آل مفرِّح - بالحاء - الحمَّاد من الحُجيلان من الحمران من بني عمرو من تميم في حايل وغَضْوَر.

٢٢) آل مَتْروك: من أهل الروضة روضة رمّان من الحميضات من بني عمرو من تميم وإلى أحدهم يُنسب (قصر ابن متروك) بلدة جنوب سَلْمَى بالقرب من سميراء شمال (غِسْل).

٢٣) الحُمَيد: من المفيد من بني عمرو من تميم في السبعان بسلمى بحايل.

٢٤) الرَّبَاح: من الحميضات من بني عمرو من تميم في محافظة الغزالة.

٢٥) آل إبراهيم: من المفيد من بني عمرو من تميم في العظيم جنوب شرق جبل سلمى بحايل.

٢٦) الدُّخَيّل: من النواصر من بني عمرو من تميم في (العُظَيْم) جنوب شرق جبل سلمى بحايل.

٢٧) المقرن: من آل شبرمة من الوهبة من تميم بحايل.

٢٨) الحُصَان: من آل صقيه من الوهبة من تميم بمدينة حايل، وآل صُقَيه عدة فروع منهم الحصان هاؤلاء والخليفة والعيسى[٣] والعيادة وهم في مدينة (جُبَّة) شمال حايل وفي (العظيم) و (سميراء) و (صُبيح).

٢٩) الفُرَيْح: من ذريـة حُليّان بن راضي الحميضي التميمي مـن بني عمرو في حايل ومحافظة الغزالة و (المهَاش).

٣٠) العيسى: من الحمران أبناء علي الحمر (الأحمر) من بني عمرو، بمحافظة (الغزالة).

٣١) آل عبدالمنعم: من الحميضات من بني عمرو، بمحافظة (الغزالة).

٣٢) القازي: من الحميضات من بني عمرو، بمحافظة (الغزالة).

٣٣) الخليوي: من الحميضات من بني عمرو، بمحافظة (الغزالة).

٣٤) الحُرَيْداوي (راعي الحردا) كريمٌ شهيـرٌ، من جماعة عثمان بن دواس وآل الحريـداوي في (جُفَيفاء) و(قصر العشروات)، والكـويت وهم من المفيد من بني عدي من بني العنبر من بني عمرو من تميم[٤]، أمّا سبب التسمية فإنَّ الحرداء ناقة لم يكن عنـد هـذا التميمي غيرهـا حين مرّ بـه غـزو قافلـون من شمَّـر عليهم ابن رَخيص فذبحها لهم فمدحه ابن رخيص بأبيات خالدة.

٣٥) السـايح: من الحميضات من بنـي عمرو، من تميم في مـدينـة (الروضـة) روضة رمّان بحايل.

٣٦) السنيدي: من العناقر من بني سعد من تميم في مدينة حايل.

٣٧) الأُزَيْمع: من الجبلان (المعدودين في مطيـر) من بني عمرو من تميم. في مدينة حايل.

٣٨) آل يحيا: مـن آل سُلَيْم، أمراء عنيزة وفـي «الجمهرة» قال الشيـخ حمد: إنَّ آل سُلَيْم من تميم نسبًا ومن سبيع بالحِلف.

٣٩) الفُهيد: من السلطان من المفيد من بني عمرو من تميم في (السبعان) بحايل.

٤٠) الراشـد: من الحمران من النواصر من بني عمـرو من تميم في (المستَجِدَّة) برمّان.

٤١) العجلان: من الوهبة من تميم، في حايل.

٤٢) الصُّقَيه: من الوهبة من تميم، في جبة.

٤٣) التّمامي: و٤٤) العميري:

و ٤٥) التويم: من العبادل من دارم، من حنظلة، في حايل.

٤٦) النويصر: و٤٧) الفقيه: و٤٨) العنقري: من العناقر من سعد. في حايل وموقق.

٤٩) الدواس: منهم عثمان بن داوس، صاحب (جُفَيْفا)، من المفيد من بني عمرو، في (جفيفاء) و (السبعان) بحائل والخبراء، بالقصيم والخرج.

٥٠) الشرطان: و٥١) المقبل: و٥٢) الضيف: من المفيد من بني عمرو في حايل والسبعان وموقق والنُّبِّصِيَّة.

٥٣) السلطان: و٥٤) الحميدان: و٥٥) الرميزان: و٥٦) العقل:

و٥٧) القعود: و٥٨) الحنيش: و ٥٩) السليمان: من المفيد من بني عمرو في السبعان.

٦٠) الحليّان وهم فروع هي: آل عبدالله، الزيدان، العلي، المنديل، والسعيد: جدهم حليان بن راضي من آل الحميضي من بني عمرو من تميم في محافظة الغزالة.

٦١) القريشمة: و٦٢) المنصور: و٦٣) الرَّبَّاح: و ٦٤) البكري: من الحميضات من بني عمرو، في الروضة.

٦٥) الشلاش: من الحمران من بني عمرو.

٦٦) الحمدان: وهم عدة فروع في بلدان رمان بحائل، من الحمران من بني عمرو.

٦٧) السَّلْوة: من الحمران من بني عمرو في حايل.

٦٨) الرشود: و٦٩) العمر: من المفيد من بني العنبر من بني عمرو، في حايل و (جُفَيْفَاء) و(قصر العشروات).

٧٠) آل السعيداني: في حايل و (بقعاء) من الحمران من بني عمرو.

٧١) آل فايـز: و٧٢) آل عبدالوهـاب: من وجهاء مـدينة حايل من النـواصر من بني عمرو.

٧٣) آل عبوش من آل عُقَيِّل: من الوهبة من تميم في حايل.

٧٤) آل الشبل في حايل: من الوهبة من تميم في حايل.

٧٥) القفاري في حايل و (قفار): من بني عمرو من تميم.

٧٦) الخشّان: من الخليفة من الوهبة من تميم.

٧٧) الأصقه: من الوهبة في حايل.

٧٨) الخليفة: من الوهبة من تميم في حايل.

٧٩) الخابِص: من بني عمرو، في (مَوْقَق) و (تيماء).

٨٠) الأشقر: و٨١) العزّام: من الحمران في حايل.

٨٢) العنقري: من تميم في موقق.

٨٣) الحزَاب: من الوهبة في حايل.

[«العرب» حبذا لو أن الأخ الكريم ذكر مصدره فـي ايصاله الفروع إلى أصولها، إذ من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - إدراك هذا، ومن ذالك ايصال نسب بعض القبائل إلى عدي بن جندب، فمن أين عرفنا صلة هاؤلاء؟! وكذالك ما ذكر عن نسب العمران وأن منهم آل الشيخ مبارك في الأحسـاء وآل ماضي، وكذالك ما نسب إلى الشيخ حمد عند ذكر آل يحيا. فمن حمد هذا وما هو المصدر؟!].

حايل: محمد الفهد التميمي

الحواشي:

(١) د. السنيدي: الربيعية.

وأُسيّد تصغير أسـود عند تميم وعند غيرهم أسيـود وشرج هي (شري) وقلب الجيم ياء لغـة تميمية وعن هذه اللغة أصدر الدكتور الشريف عبدالله علي البركاتي كتاب «النحو والصرف بين التميميين والحجازيين».

(٢) ابن صقيه: «بنو تميم في بلاد الجبلين» تقديم الشيخ حمد الجاسر.

(٣) أسرة الشاعر محمد الفهد العيسى والد الأستاذ عبدالوهاب العيسى.

(٤) عدي بطن من العنبر من عمـرو، من تميم وهو غير عدي البطن الكبير من الربـاب من تميم الذي ينتمي إليه الشاعر غيلان (ذو الرمة).

آل رُمَيَّان في بريدة من الوداعين من الدواسر

كتب الأخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عثمان بن مبارك بن رميان، رئيس مركز الإمارة بالربيعية في منطقة القصيم إلى مجلة «العرب» ما ملخصه: ورد في الطبعة الأولى من «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» أن الرميان من أهل (الشماس) المجاور لبريدة من الغرب، وهم من أهله القدماء.

هذا صحيح، بل هم من آل شِمَاس المؤسسين لبلدة (الشِّمَاس).

لكن قيل: إنهم (بدارين) في الطبعة الأولى، وتم التعديل في الطبعة الثانية بأنهم (وداعين). وهذا صحيح، علماً بأن البدارين والوداعين أخوان في النسب، كما أشير أن الرميان والصمَاعِين والمَزيْد من أهل الشِّمَاسِيَّة والحمود (ومنهم الضُّبَيْب) أبناء موسى الودعاني وأنهم من أهل (الفرعة) وهم كما ذكر من أهل (الفرعة) من الوداعين لكن هم من آل شِمَاس. والمعروف والمستفيض أن موسى جدنا المذكور، وعلي جد الفوزان والسابق - غير سابق الجد الأول - هما ابنا كليب بن سابق وهما المؤسسان لـ (الشِّمَاسِيَّة) وذالك بعد تأسيس آل شِمَاس لبلدة (الشماس) بمدة. والذي يتبادر إلى الذهن حسب التسلسل أن كليب هو ابن مبارك بن سابق بن عثمان بن سابق بن حسن آل شِمَاس.

ويتفرع من هذه الأسماء من آل شماس أسر كثيرة في القصيم.

والمقصود إيضاح أن أسرة الرميان في القصيم هم من أهل (الشِّماس) القدامى، وأنهم من آل شماس المؤسسين لبلدة (الشماس) في القصيم من الوداعين.

كما ارفق الكاتبُ بعض صور المستندات لأملاك الرُّمَيَّان ببلدتي (الشّمَاس) و(الشِّمَاسية) وكذالك التي في (الطعمية) التي تمت المقاسمة مع أبناء عمهم بالميراث. انتهى.

«العرب» أما ملخص ما ذكره ابن بشر في «عنوان المجد» حوادث سنة ١٢٧٦: في أول هذه السنة توفي الشيخ محمد بن مقرن بن سند بن علي بن عبدالله بن فطَّاي الودعاني الدوسري رحمه الله تعالى.. وكان من بيت حسب ونسب، يجتمع نسبه مع عشيرته أهل (الصفِرَّة) في فطَّاي بن سابق، وهم يجتمعون مع أهل بلد (الشِّمَاسية) المعروفة في القصيم في سابق بن حسن ثم هم يجتمعون مع الحمدات أهل بلد (العودة) المعروفة في سدير الذين يقال آل شِمَاس مع أهل (الشمَاس) المعروف عند بلد بريدة في القصيم في جد واحد، ويجتمع الجميع مع قبيلة الوداعين في غانم بن ناصر بن ودعان بن سالم بن زايد، وهو الذي تنسب إليه قبائل آل زايد الدواسر. نقلت ذالك من خط الشيخ محمد المذكور بيده، وكان جده سند بن علي ذا كرم

وخَيَارة، يشار إليه في بلده المعروفة بـ(الصُّفِرَّة) ملك فيها عقارات كثيرة، وخلف سند أولادا منهم مقرن أبو الشيخ. إلى آخر ما ذكر. والوثائق التي بعث بها الكاتب الكريم منها وثيقة مؤرخة في سلخ ربيع أول سنة ١٣٦٤هـ ملخصها ذكر حمولة الحمود والضبيب والمزيد أهل (الشماسية)، والرميان وقلبان لهم كائنة في (جو الطعمية) الميساوية والسعيدية. ويفهم من هذه الوثيقة صلة النسب بين هذه الأسر. وقد صدق الوثيقة الشيخ عبدالله بن محمد بن حُمَيد، وكتب التصديق محمد الرشيد الرُّبَيْش في جمادى الأولى سنة ١٣٦٤هـ، ومختومة بختم الشيخ ابن حميد. ووثيقة أخرى عن تنازع عبدالله آل محمد الطمعاني وعثمان بن مبارك الرُّمَيَّان من جهة نصيب مبارك بالقليب المسماة (الكليبية) في بلد (الشمَاسية)، والوثيقة مؤرخة في ربيع الأول سنة ١٢٥٢هـ، وذكر أن الكاتب عبدالله بن صقيه قاضي بريدة، ووثق هذا إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن في ١٣/٦/١٤٠٦هـ. وأخرى حول قليب الكليبية في (الشمَاسِية) وصلتها بعبدالله الصمعاني ومبارك الرُّمَيَّان وتاريخها ١٢٧٣هـ، وهذه مصدقة أيضًا من قبل إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن في التاريخ المذكور آنفًا. ووثيقة تنص على بيع عبدالله الشاوي نصيبه من زوجته ميثاء ابنة جار الله الرُّمَيَّان ونصيب أولاده منها من أملاك الرميان في بلد (الشماسية) على محمد بن حسين أبو صبيعة، والوثيقة مؤرخة في سنة ١٢٤٨هـ، وسمى كاتبها عبدالرحمن بن محمد القاضي ومصدقة من قبل إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن وفيها كلمات لم تتضح. وورقة ذكر فيها أن ميثاء بنت محمد السالم قد باعت على عثمان بن مبارك الرميان الأثر الكائن في (نفود الشمَاس) فوق ملك ابن رُمَيَّان والمشتري عبدالمحسن العميريني وورثة ابنه من ميثاء، والشاهد عبدالله بن ضبيب والكاتب محمد بن صالح ابن عويص والتاريخ ربيع الأول ١٢٥٣هـ. وورقة تنص على أن أم غيلان سبَّلَتْ التي يطولها من فهد من النخل، وكيلها لولوة بنت علي والشاهد مبارك بن ثابت، والكاتب سليمان بن سيف والتاريخ ١٢٣٦هـ.

ومن الأوراق أيضًا ورقة جاء فيها: أن عبدالعزيز بن خريف آل وائل التويجري، ورشيد بن محمد الهذيلي وأسماء أخرى، ورد فيها شهادة عبدالرحمن بن إبراهيم، وعبدالله بن فوزان آل كليب وغيرهما، واسم الكاتب عبدالمحسن بن محمد بن سيف في ١٣ محرم ١٢٧٨، وأُيِّدَ هذا بتصديق من عبدالله بن محمد بن فدًا في ١٢٧٨هـ وعليه ختم المذكور. وهذه الأوراق يبدو عليها القدم، ولكن إثباتها يتوقف على الناحية الشرعية ويتضح منها صلة النسب بين الأسر التي ذكرها الكاتب من أهل (الشماسِيَّة).

حول كتاب:

«تاريخ الأفلاج وحضارتها»

بعث إلى «العرب» الأخ عبدالرحمن بن حمد بن شافي آل ثلاب بمقال مطول حول هذا الكتاب، ملخطه:

١ - العتب على رئيس تحرير المجلة حيث أثنى في مقدمة ذالك الكتاب على مؤلفه عبدالله بن عبدالعزيز آل مفلح الجذالين، ووصف هذا الثناء بأنه (فيه مبالغة تتعدى حدَّ التصديق)!!

وكاتب المقدمة لا تربطه بالمؤلف - رحمه الله - أية رابطة إلا الأخوَّة الإسلامية، وما قاله عنه هو شيء سمعه من أهل بلدته، والرجل قدم على ما قدم، ولا داعي للنيل منه عملًا بقول المصطفى - ﷺ -: «**اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن سيئاتهم**». وإثارة الحزازات والأمور التي تحدث نفوراً وعداءً بين القبائل، من واجب كل مسلم أن ينأى عنها ما استطاع، ومجلة «العرب» وغيرها من الصحف لا تنشر شيئًا من هذا.

٢- ومما لاحظه الأخ عبدالرحمن على الكتاب: تجاهله أفعال الأمير ثلّاب بن فلاج الفرجان الدوسري، الذي تولى إمارة (لَيْلَى) مشيرًا إلى أن الأمير أحمد السديري تزوج ابنة الأمير ثلاب، وأنجب منها لولوة بنت أحمد السديري، خالة خادم الحرمين الشريفين. وأشار بأن ثلاب ابن فلاج الفرجان ممن حضر دخول قصر (المصمك) مع الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ووقع الاسم في قائمة المرافقين للملك (ثلاب بن حمد العجالين) واسم العجالين غلب على أسرة ثلاب من بعده، لأنهم جيران لأسرة ثلّاب وبينهم خؤولة. وتوسع في ذكر من لم يتحدث عنهم مؤلف الكتاب، مشيرًا إلى بعض أشياء هي بحاجة إلى التثبت من الناحية التاريخية.

٣- ذكر أن في ص ١٤٢ من الكتاب: عند ذكر أفخاد آل منيف لم يرد ذكر الجبارين وهم منهم.

٤- وفي ص ٤٨: عند ذكـر القرى والهجر لم يـرد ذكر بلدة المقْـرَنَ (العَجَلِيَّة) وسكانها الخضران من الفرجان من الدواسر.

٥- ص ٥٠: عند ذكر ستارة، قال: إن سكانها من القبابنة. والصحيح أنهم من الشميسات من سبيع كذا قال. والقبابنة الشميسات كلهم من سبيع.

٦- ص ١٠٨: عنـد ذكر أمـراء الأفـلاج الـرقم السادس: أنـه في عـام ١١١٣. والصحيح عـام ١٣١٣ عين ابن رشيد فـريح بن عبـدالله، وأنه ظل في الإمـارة إلى عام ١٣١٨، ولم يـذكر خروجـه من الأفلاج عنـد استيلاء الملك عبدالعـزيز على الريـاض، وما جـرى بعد ذالك. واسترسـل في هذا الموضـوع وأورد أشعارًا حـوله، مستدلًا بها على ولاء أسرة آل ثلّاب للملك عبدالعزيز.

٧- ص ١٤٣: ذكر أن المؤلف ذكر الوبـارين من الفرجان ومنهم الخضران من سكان المقْرَن، ولم يذكر باقي أفخاذ الوبارين وهم الهواشلة والدبالين والشّيَنَة.

٨- ص ١٤٣ أيضًا: ذكر أن آل حرمل منهم آل سجوان ومن آل سجوان آل عبلان. وهذا غير صحيح، فعبلان لقب وليس اسما وآل سجوان فخذان آل فهد وآل إبراهيم.

٩- ص ١٤٥: ذكر أن مـن مشاهيـر الفرجان حـزام العجالين وأنـه تولـى إمارة قبائل (ليلى) وشارك الملك عبدالعزيز في فتح الرياض. وهذا غير صحيح.

١٠- ص ١٤٧: ذكر أفخـاذ البردة، فذكـر آل مسفر ومنهم آل هـذال وآل وُقَيَّان وآل هشام. وهذا غير صحيح، فآل هذال من آل وُقَيّان.

١١- ص ١٤٩: قال: إن الغياثات أبناء غياث من بني موسى بن صهيب بن زايد. و الغيـاثات هم أبنـاء غياث بن صهيب بن زايـد وليسوا من بني مـوسى على ما ذكـر أحد أمراء الخرفة وكبيرهم شخبوط بن إبراهيم آل سلطان وفالح بن دايل الغياثي.

١٢- ص ١٥٢: ذكر عبـدالله بن سلطان بن ذيب، وأنــه من القبابنة. وهـذا غير صحيح، ولكنه تناسى أنه أحد المشاركين في فتح الرياض.

كما ذكر أشياء أخرى لم تر المجلة الإشارة إليها لأن فيها ما قد لا يُرتضى.

آل تركي من آل حمدان من الشبول من بني علي من حرب

كتب إليَّ الإخوة أبناء سعد بن محسن بن تـركي، وأبناء عبدالله بن تركي يشيرون إلى أن اسم أسرتهم الكـريمة (آل تركي) لم تـرد في كتاب «جمهرة أنسـاب الأسر المتحضرة في نجد» وهـي من الأسر المعروفة من سكان (البـرود) وهم ينتمون إلى ما ينتمي إليه أكثر سكان هذه البلدة وهم الشبول من الكثمة من بني حرب.

وأسرة آل تـركي أعرفها حق المعـرفة، فقد كـانـت لنا بهـا صلة قويـة، وهي صلة المصاهـرة والجوار والمشاركـة، وكنت أعرف عبدالله بن تـركي يسكن في بيت يقع مجاورًا لمنزل آل جاسر في (شرقه) وكان كبير السن، وله ابنان أكبرهم اسمه محمد وأصغرهم اسمـه سعد، أكبر مني سنًا، ولهمـا أخوات، كما أعـرف محسن بن تركي رجلًا كبيـر السن من عقلاء الـرجال، ولـه ابن اسمه سعـد ، وبنات، تـزوج إحداهن عبدالـرحمن بن فُلَيِّح وله منهـا أبناء، وتـزوج أخرى منهن أخي رَشُـود بن محمد بن جاسر وبقيةَ بنات آل تركي تزوجن من جماعتهن، وهم من أسرة آل حمدان.

وقد فـاتني ذكر كثيـر من الأسر من سكـان (البرود) وغيرهـم، ومنهـم آل حمدان وآل تركي، ومن لا أذكره الآن.

وقد أتمكن من ذالك لإضافته إلى هذا الكتاب، إن مكننى الله من إعادة طبعه.

والله الموفق،،

الخنانا في القصيم من بني العنبر من تميم

بعث إلى «العرب» مسـاعد ويـوسف ابنا حمـد بن محمد الخنيني كتـابًا هـذا نصـه: (اطلعنا على مـا كتبه الأخ خـالد المشـاري في «العرب» س ٣٢ ص ١٣٠ استدراكًا على «جمهرة أنساب الأسر» بقولـه عن الخنانا: يضاف من الحماضا من النواصر من بني عمرو من تميم).

ونقـول: إن الكاتب أخطأ في هـذه الإضافـة ولم يكلف نفسه بسـؤال المعنيين من أبناء الأسرة، فأسرة الخنيني في القصيم وفي الـزلفي من ذرية فرج الحميضي العنبري، وليست من النواصر، بل من بني العنبـر، ولدينا شجرة للعائلـة ينقلها الآباء عن الأجداد

الثقـات مبينين فيهـا أنهم من بني العنبـر من بني عمـرو من تميم، وقـد حـررت هـذه الشجرة في ١٥ شعبان سنة ١٣٦٠ بقلم الشيخ عبدالعزيز الصالح المحمد الخنيني.

نأمل نشر تعقيبنا هذا لأن الناس مؤتمنون على أنسابهم).

«العرب»: صاحب هذه المجلة يعرف الشيخ عبدالعـزيز الصالح حق المعرفة، وقد سعد بزيارته في منزله مـرارًا، وأدرك عنايته بالأنساب وتمنى عليه أن يسجل ما يعرف منها، وكان إذ ذاك موظفًا في (الشعبة السياسية) وله ابن موظف فيها أيضًا.

آل ناصر في (الجواء) من الدهامشة من (عنزة)

كتب الأخ صلاح بن إبراهيـم الناصر إلى «العرب» ما خلاصتـه: الناصر: أولاد ناصر بن حمد بن منصـور بن مطلق بن عقيل بن حماد بن غانم من المُحَيْنات من الدهامشة من عنزة، وهم من (غاف الجِوَاء) التي أسسها غانـم المحيني عندما قدم من مـواطن قبيلته في شمـال الجزيرة واستـوطن تلك النـاحية، والغاف نسبـة إلى شجر الغـاف، وكانوا في مزرعـة مشهورة تسمى (أم غوير)، واشتهـر منهم سليمان الناصر الذي تولى الإمارة بعد مقتل أخيـه حمد، وكان من أشهر الأمراء وبينه وبين الملك عبدالعزيز صلة قوية ومراسلات وكان من تقدير الملك عبدالعزيز لجهوده أن أسقط عن بلـده ضريبـة الجهـاد المفروضـة على البلـدان في تلك الفترة، وقـد استمـرت العلاقـة بعد ذالك بين أولاده والأميـر عبدالعـزيز بن مسـاعد في حـائل مقدرًا دورهـم في فتح حائل. و (أم غو ير) هذه وما جـاورها كانت قديمًا من مواطن قبيلة عبـس المشهورة ومازالت بعـض المواقع هنـاك تنسب إلى هذه القبيلـة منها (نفود عبس) الواقع في غـربها وقد اكتشـف منذ سنين مجرى ميـاه تحت الأرض يخترق (أم غويـر) منحوت في الصخر وقد نحت بشكل هنـدسي يدل على عمران قديم، ولكن لم يدرس بشكل علمي أثري.

وقد أشـار الكاتب إلى عـدم ذكر اسم تلك الأسـرة في كتاب «جمهـرة أنساب الأسر المتحضرة» وبعض أسمـاء أسر مشهورة في منطقة (الجواء) ولكنـه لم يذكر غير أسرتـه، ولم يذكر صلاتها بغيـرها من الأسر الأخرى بالنسب أو بـالصهر، وذكر مثل هذا الأمر ذو أهمية بالغة في تسجيل الأنساب، بصفة عامة.

*** «رحلة ابن بطوطة» المعروفة باسم «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».**

قل أن تتحدث المجلة في هذا الباب عن كتب أعيد نشرها، إذ جُلّ ما تتعرض له هو ذكر نشر بعض المؤلفات القديمة، ولكن ما بذله الأستاذ الدكتور عبدالهادي التازي الزميل في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة، وما صرفه من جهد متميز في تحقيق هذه الرحلة، حتى أبرزها بصورة تعد فريدة في باب التحقيق، كان من بواعث الحديث للإشادة بعمل يُعَدُّ- بالنسبة لما ينشر في الآونة الأخيرة - بارزًا ومتميزًا وجديرًا بالإشادة فلقد جمع ما أمكنه جمعه من مخطوطات الرحلة بما زاد على الثلاثين، ورجع إلى ما نشر منها، وقرأ ماكتب حولها فاستفاد من ذالك ما أضافه إلى عمله حيالها. ولم يفته تناول ما يتعلق عليها من مآخذ مثيرًا إلى المهم منه، وقدّم لها بمقدمة ضافية، ورسم لها خرائط، ووضع لها فهارس شاملة، وأصدرها في خمسة مجلدات، المجلد الخامس منها خاص بالتراجم المفصلة، وكانت في كثير من طبعاتها السابقة لا تزيد على مجلد لطيف.

وقد نشرتها (أكاديمية المملكة المغربية) في الرباط، في سلسلة (التراث)، وهذا عمل مشكور، يحمد لهذه (الأكاديمية)، ويؤمل أن تتجه للاستمرار فيه.

ومعروف أن هذه الرحلة - كغيرها من الرحلات التي حدثت في العصور الماضية - قد يشوب بعض أخبارها ما يستدعي الوقوف، بل الحيرة والشك، يُضَاف إلى هذا أن ابنَ بَطُّوطة محمد بن عبدالله اللَّوَاتِي الطَّنْجي (٧٠٣/ ٧٧٩هـ) صاحب الرحلة لم يدونها هو، وإنما أملاها لما قدم مدينة (فاس) ورغب منه وَالِيُهَا إملاءها على أحد كتبته وهو ابن جُزَيٍّ محمد بن محمد بن أحمد الغرناطي ثم الفاسي (٧٢١/ ٧٥٧هـ) فأوضح ذالك في مقدمة الرحلة قائلًا: (ونقلت معاني كلام الشيخ بألفاظ موفية للمقاصد، فلم أُخِلَّ بأصله، وأوردت جميع ما ذكر من الأخبار والحكايات، ولم أتعرض للبحث عن حقيقتها). فإن ابن جزيٍّ فيما يفهم

من كلامه - أدرك جانباً مما أدركه بعض من تناول الرحلة بالدراسة، مما هو مَحَلٌّ للريبة والشك، ومع ذالك فلم يسلم ابنُ جزيٍّ - نفسه - من توجيه التهمة إليه في بعض ذالك، كموقف مدون الرحلة من ابن تيمية، وغير هذا مما وقف عنده المحقق الفاضل وقفات مريحة.

وهذه الطبعة المحققة تقع في خمسة أجزاء صفحاتها: (٤٣١+ ٢٦٨+ ٢٥٥+ ٣٥١+ ٢٨٦= ١٥٩١ صفحة. لأنَّ المحقق الكريم أضاف إليها إضافات كثيرة وحاول أن يوضح كل غامض منها، وأن يترجم مَنْ أمكنه ترجمته ممن ذكر فيها لهذا أفرغ جهده في التوسع في كل ما يتعلق فيها، وحسنا فعل، فقد أبرزها بصورة واضحة فاستحق بذالك الشكر والتقدير من كل معنيٍّ بتراث الأمة، وقد تحدثت عنها في مكان آخر حديثاً مفصلًا (جريدة «الرياض» في الإعداد الصادرة في شهري المحرم وصفر سنة ١٤١٩هـ، وأبديت ملاحظات يسيرة أوضحتها فيما تحدثت به لا تتعلق بجوهر العمل، ولكن ببعض تعليقات عن بعض الأمكنة، ومنها ما ورد في الأصل محرفًا، ومن صنيع المحقق غالبًا الالتزام بالتنبيه على ماهو من هذا القبيل، كما أن تلك المواضع مما يتصل ببلادنا والقراء يتطلعون إلى الاستزادة من المعرفة المتعلقة به، ومن هنا توسعت فيما كتبت.

وقد اطلعت الصديق الأستاذ التازي على الحلقات الخمس التي أعددت للنشر فأبدى لي سرورًا وارتياحًا، وعبر لي عن شكره، ورغب مني موافاته به بعد نشره، كما ألقى محاضرة يوم الثلاثاء ١١/ ١١/ ١٤١٨هـ في الجلسة الثالثة من جلسات اجتماع المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية، في دورته الرابعة والستين عن (لغة رحلة ابن بطوطة) علق عليها بعض أعضاء المجمع كالأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب والأستاذ الدكتور محمود علي مكي، وغيرهما.

وطباعة الرحلة لا بأس بها وإن كانت لا تخلو من بعض التطبيع (الأخطاء المطبعية) وقد صدرت عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م).

...كو السعودية تهنئ الأطفال الفائزين

يسرّ أرامكو السعودية ممثلة في إدارة العلاقات العامة أن تقدّم تهانيها الحارة إلى الأطفال الفائزين في مسابقتها السنوية التاسعة عشرة لرسوم الأطفال . وتتقدم في الوقت ذاته بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في المسابقة وذويهم ومدرسيهم وكل من شجّعهم وشرح لهم أهمية الاقتصاد في استخدام المياه وحثهم على المشاركة في هذه المسابقة . الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الأطفال ... مختلف أنحاء المملكة قد شاركوا في هذه المسابقة . والشركة إذ تكرّر شكرها وتهنئتها للفائزين ، يسعدها أن توجه الدعوة إلى جميع الأطفـ... في المملكة للمشاركة في المسابقة العشرين التي أعلن عنها مؤخراً وموضوعها " المملكة في عيون أطفالها " احتفاء من أرامكو السعودية بمرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية . في ما يلي أسماء الأطفال الفائزين بجوائز المسابقة :

أبرار محمد صالح المونس	مدارس الرياض	الرياض
أحمد أسامة محمد مصطفى القدح	العزيزية الأهلية	الخبر
أحمد راشد محمد الراشد الحميد	مدارس الرياض - الروضة	الرياض
أحمد رأفت أحمد عبد العزيز	المصيف الخاصة	الطائف
أحمد سعيد مرغلي	متوسطة عثمان بن عفان	المدينة المنورة
أحمد عبد الرحمن الجليمان	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
أحمد عبد العزيز الزغيبي	العلي الابتدائية	الجبيل الصناعية
أحمد عبد الله باحماد	يحيى بن أكثم الابتدائية	جدة
أحمد ماجد سلامة	العزيزية الأهلية	الخبر
أحمد محمد سعيد بازيد	عقبة بن غزوان	الرياض
أحمد مصطفى المصطفى	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
أحمد نافذ الجعبري	العزيزية الأهلية	الخبر
أريج أحمد عبود سالم بن زقر	الابتدائية الثانية لتحفيظ القرآن	الخبر
أسماء عبدالله راشد بن دايل	مدارس الرياض للبنين والبنات	الرياض
أشواق محمد عبد الله العريس	الرواد الأهلية	الرياض
أفراح إسماعيل الصومالي	مركز التعليم الخاص - جمعية فتاة الخليج	الخبر
ألكوب الترالبلو اسبنجيان	النموذجية الأهلية	الخبر
الآلا مطلم أحمد يوسف زينل علي رضا	دار الفكر	جدة
البتول محمد يوسف محمد صلاح جمجوم	دار الفكر	جدة
الجوهرة ناصر سعود الدغيثر	مدارس الرياض	الرياض
أنس عبد القادر الجباصي	الجويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
أنفال علولو مشعل لوبان	مركز سعد الصانع لعلوم السمع والنطق	الخبر
إيمان أحمد أبو بكر العامودي	دار الفكر	جدة
إيمان علي حسن البادي	المتوسطة الأولى	القطيف
بسمة بنت منصور بن مشعل بن عبد العزيز آل سعود	دار الفكر	جدة
بشرى ناصر صالح الشجاعي	منارات القصيم	بريدة
بلال نزار حسين فقيها	مزدلفة الابتدائية	مكة المكرمة
بنان عبد الله محمد المقرن	الابتدائية ٣٥	الرياض
بندر فهد عبد الرحمن زهير	مدارس الرياض - الروضة	الرياض
بيضاء شخص العصيمي	أم كلثوم بنت عقبة	الرياض
حادي محمد عبدالهادي بنجيك	مركز سعد الصانع لعلوم السمع والنطق	الخبر
حسام كايد صالح	الدالي الابتدائية	الجبيل الصناعية
خالد عبد الكريم سالم الرطيهي	الإمام البخاري الابتدائية	القريات
خلود خالد سراج الدين	----------------	المدينة المنورة
خليل إبراهيم خليل الدوسري	طارق بن زياد الابتدائية	الدمام
دانة حسين عيسى الملا	مدارس الرياض	الرياض
دانية فوزان عمر محمود شمس	دار الفكر	جدة
ديمة سعود الخريف	التربية النموذجية	الرياض
رابعة قيس إبراهيم سليمان	دار الفكر	جدة
راضي خالد حمد العنزي	----------------	القريات
رؤى رشاد عابد الثقفي	الرواد الأهلية	الرياض
رحاب محمد إبراهيم العلي	المقداد بن عمرو	الظهران
رحاب صالح الخضير	التربية النموذجية	الرياض
رزان محمد ناصر	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
رشاد أحمد محمد مباركي	الجويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
رضوان سعيد مرغلي	المحمدية النموذجية	المدينة المنورة
رفال كامل محمد علي	رياض الإسلام	الدمام
رهام هشام سالم عطاس	الابتدائية ١١	مكة المكرمة
ريهام محسن القحطاني	أم كلثوم بنت عقبة	الرياض
زكي سليمان المفلح	متوسطة منفذ الحوض	رجال ألمع
زهراء باقر محمد الهاشم	السابعة عشرة الابتدائية	القطيف
سالم ناصر هزاع السبيعي	العزيزية الأهلية	الخبر
سحر جمعان الشهراني	الابتدائية ٤٨	جدة
سحر مبارك القحطاني	مركز التعليم الخاص - جمعية فتاة الخليج	الخبر
سكران أحمد سكران	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
سلطان تركي عبد الله التركي	مدارس الرياض	الرياض
سلمان محمد عبيد الحازمي	عمر بن عبد العزيز الابتدائية	طريف
سليم سليمان الفريض	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
سليمان محمد المبشر	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
سليمان محمد سليمان الجروع	دار العلوم الأهلية	الرياض
سمية إبراهيم زيد الدوسري	مركز رعاية المشلولين	الرياض
سندس علي عبد الله الطبيهان	التربية النموذجية	الرياض
سهى فلاح عبد الكريم العز	الابتدائية ١٨	الدمام
سيماء محمد عمر ناصر	دار الفكر	جدة
شذي أحمد محمد بكر	الزهور الابتدائية	الخفجي
شروق أحمد محمد بكر	الزهور الابتدائية	الخفجي
شريف إسماعيل عبد العزيز حسن	أكاديمية رحيمة	الخبر
شهد جعفر عبد الله آل سليم	----------------	الظهران
شهد علي محمد الخليفة	الرواد الأهلية	الرياض
صالح خليفة صالح الغريب	روضة حي الإسمنت الخيرية	بقيق
صالحة محمد حسن علي الحربي	معهد الأمل للصم والبكم	جدة
طارق كمال الدين حسين شرابي	الشاطئ الأهلية	جدة
عادل محمد سالم القصيفير	الأزهري المتوسطة	الرياض



الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و٢٠٠
للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
الرياض: حي الورود، شارع حمد الجاسر
ص.ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤١٦٢١٢٢
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ١١، ١٢ س ٣٣ - الجماديان، سنة ١٤١٩هـ - آب، تشرين ١ (سبتمبر، أكتوبر) سنة ١٩٩٨م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٢)

زَبْيَةُ: (رَنْيَةُ)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (رَنْيَةُ: بكسر أوّله، وهمز ثانيه، وقد لا يهمز.. قال الأصمعي: قال لي بعض بني عُقيل جميع خَفَاخة يجتمعون ببيشة وزينة، وهما واديان، أما بيشة فتصب في اليمن، وأما زينة فتصب من السراة سراة تهامة، وقال ابن الفقيه: طوله عشرون يومًا في نجد وأعلاه في السراة ويسمى عقيق تمرة، وقيل: الذي فيه عقيق تمرة هو زَبْيَة بتقديم الباء الموحدة). انتهى.

لا أدري على مَ عول ياقوت في ضبط (زبية) قائلاً: بتقديم الباء مُسْتَدِلًا بقول عَرَّام، ونص «رسالة عرام»: (وفي حَدِّ تَبَالَة قريةٌ يقال لها (رَنْيَة) وقريةٌ يقال لها (بِيْشَة) و (تَثْلِيث) و (يَبَمْبَمُ) و (العَقِيْقُ) عَقِيْقُ تَمْرَةَ، وكلُّها لِعُقَيْلٍ، مياهُها بُثُورٌ والبَثْرُ يُشْبِهُ الأَحْسَاء يجري تحت الحَصى على مقدار ذراع، وذراعين، ودونَ الذراع، وربما أثارته الدوابُّ بحوافرها).

وقال الأستاذ المحقق محمد عبدالسلام هارون في الحاشية على كلمة رَنْيَة: (رسم لها ياقوت والبكري، وهي بفتح الراء، ثم عاد ياقوت ورسم لها في (زَبْيَة) بفتح الزاي المعجمة، قال: كذا هو مضبوط في كتاب عرام)، انتهى.

وقد ذكر ياقوت الاسم قبل هذا في حرف الزاي بقوله: (زَبْيَة - بفتح أوله وسكون

ثانيه ثم ياء آخر الحروف، قال الواقديُّ: تُرَبَةُ وزَبْيَة وَادِيَان بِعَجُزِ هَوَازِن، وقال عرَّامُ: وفي حَدّ تَبَالَة قَريَةٌ يقال لها زَبْيَة، كذا هو مضبوط في كتاب عرام، وفيه عَقِيقُ تَمْرَةَ).

أما البكـريُّ فقد أورد الاسْـمَ صحيحاً قائلاً: (رَنْيَـةُ - بفتح أولـه وإسكان ثـانيه بعده الياء أخت الـواو، وهو وادٍ يَنْصَبُّ من تِهَامَةَ في نَجْدٍ، قـد تَقَدَّم ذكرُه في رسم بِيْشَةَ، ونقلته من خَطّ يَعْقُوب) انتهى.

وقال في رسم (بِيْشَـة): (بِيْشَة وَادٍ من أوديـة تِهَامَةَ. وبعـدَ إيْرَاد أشعـارٍ أضاف: وقال يعقوب: بِيْشَة وتُرَبَة ورَنْيَة والْعَقِيْقُ: أوْدِيَـةٌ تنصَبُّ من جبال تهامة، مُشَرِّقَةً في نَجْد، قال: وبعضُ بِيْشَة لبني هِلَالٍ، وبعضُها لِسَلُوْلٍ. هكذا نقلته من خط يَعْقُوْب: رَنْيَة بالنون، وغيره يقول: رَقْيَة، بالقاف) انتهى.

ومجمل القول: أن زَبْيَة وَرَقْيَة وصَـوُرًا أُخْرى وردت في بعض الكتب لهذا الاسم كلها تَصْحِيْفٌ لكلمـة (رَنْيَة) بالراء بعـدها نون ساكنـة فياء قد تهمز فيقـال (رَنئَةَ) كما أشـار إلى ذالك الهَجَرِيُّ، وهو ادٍ مـن أشهر الأعراض التي تَنْحَـدِرُ إلى نَجْد، وكذا بِيْشَة وتَثْلِيْـث، كما ذكر الهمداني في «صفـة جزيرة العرب» وسمَّـاها أعراض نَجْـدٍ، وفروعُ وادي (رَنْيَـةَ) تَمْتَدُّ مـن أسافِلِ السَّـراةِ الشَّرْقيَّـةِ وتَتَّجِـهُ نَحْوَ الشمَـالِ الشـرقيِّ حتى تجتمع مع وادي (بيشَـةَ) في رِيَـاض تعـرف قدِيْمًـا بـاسم (ريَـاض الرِّبـاب) تَحْجزهـا الرِّمَـالُ، وقول البكـريِّ أنَّ تلكَ الأوْدِيَة تنصَبُّ مـن تِهامَـة غيْرُ صَحِيْح، إذْ يَفْصِلُ بَيْنَهَا وبَيْنَ تِهَامة - التي هي الغَـوْرُ المُوَالي للبَحْرِ - السَّرَاةُ التي من أَسَافِلِهَا الشـرقيَّة تَنْصَبُّ فروعُ أَوْدِيَتِهَا، و (تَبَالَـةُ) وَادٍ ذُو قُرًى ينحدر من أسفَل السَراةِ مُشَرِّقـا، فيجتمع بِوَادي (بِيْشَة) أمَّا وادي (تَثْلِيْث) فهـو أعَظمُ تلك الأودية، تنصَبُّ فروعُهُ مِنَ السَّراةِ، فيتّجهُ نَحْوَ الشمـالِ الشرقيِّ حتى يَجْتَازَ أطرافَ الجِبَال، وفي الأرض البَـرَاحِ - بَعْدَ اجتيـاز مرتفعـات عَسِيـر نَحْو نَجْـدٍ يتّجهُ شَـرقًا، وكـان يَفِيْضُ في (عَقِيق عُقَيْل) المَعْـرُوف قَدِيمًـا بـاسم (عَقِيق جَرْمٍ) وقَـدْ يُسَمَّى (عَقِيق تَمْرة) باسم بلدة في أسفلـه، لا تزَالُ معروفةً، وعُرِفَ حَدِيثًـا بِاسم (وادِي الدواسر) وجَرْمٌ وعُقَيلٌ والدَّواسِرُ سكانه الذين تعاقبـوا عليه، ولكنَّ الرِّمَالَ حَجَزَتهُ في الأزمنة

الأخيرة، وقد يجتازُها كما حدث في القَرْنِ الماضي، فتخيَّلَ بعضُ سكان (وادي الدواسر) أنَّ البَحْـر انْفَجر عليهم، وكان الوقت صَحْـوًا، ولا عَهْدَ لهم بمثل ذالك، وسكان تلك الجهات في العهود القديمة من هَوازنَ - منْ عَجُـزِهم أي الذين تقع بلادهم أسَافِلَ منازِلِ القَبيلةِ، كعُقَيْلٍ وإخوتهم، بخلاف بقيّتِهَا كبني كلابٍ - في عالية نجد - وبني كعب أسفل منهم في (الأفلاج) ونواحيها، وبني نَصْرٍ في أسافل الحجاز ونواحي الطائف. ويعقوب في كلام البكري هو ابن السِكِّيت، العالم المشهور، وقد تحدثت بتفصيل في مواضع أخرى من مجلة «العرب» وغيرها وتقدَم الكلام على (رَنْيَة) قريبًا.

زَخّـة: (رَخّـة)

في «معجم البلدان»: بعد إيراد المعنى اللغوي لِلزَّخَّةِ قال: زَخَّةُ اسمُ موضعٍ في بلاد طيِّءٍ، ويوم زخَّة من أيام العرب، قال بَهْنَكَة الفزاريُّ يخاطبُ عامرَ بن الطفيل:

أحَسِبْتَ أَنَّ طِعانَ مُرَّة بالقنا حلْبُ الغَزِيرة مِن بنَاتِ الْغَيْهبِ
عُصَبًا دَفَعْنَ من الأبَارِقِ مِنْ (قَنَا) فجنوب (زَخَّة) فـ (الرِّقَاقِ) فـ (يَثْقُبِ)
يَقْطَعْنَ أَوْدِيَةَ (الذُّباب) بِسَاطِعٍ مَسِطٍ كأنَّ بـه دَوَاخِرَ تُنْضُبِ

اسم (رخَّة) بالراء المهملة تصحف على ياقوت - رحمه الله - فأورده بالزاي المعجمة، وصواب إيراده بالراء، كما فعل البكرِيُّ - رحمه الله - إذ قال في «معجم ما استعجم» رسم (رُخَيَّات): موضع بين (قَنَا ويَثْقُب) وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة في رسم (أَخرُب) قال أبو الحسن الأخفش: إنما هو موضع يقال له (رَخَّة)، بفتح أوله وتشديد ثانيه، قال نهيكة الغطفاني:

عُصبٌ دَفَعْنَ من الأبَارِقِ من (قَنَا) بِجَنُوب (رَخَّةَ) فـ (الرِّقَاق) فـ (يَثْقَبِ)

قال الأخفش: فصغَّرَهُ جُبَيْهَاءُ الأشجعيُّ، ثم نسب إليه ما حوله وجَمَعَ، فقال:

جَنُوبُ (رُخَيَّاتٍ) فَجِزْعُ (تُنَاضِبٍ) مَزَاحِف جَرَّارٍ مِنَ الْغَيْثِ بَاكِرِ

قال: وكذالك فعل امرؤُ القيس في قوله المتقدم إنشاده:

وبين (رُخَيَّات) إلى جنب (أخرب)

قلت - البكري -: وهذا الذي ذكره الأخفشُ وَهْمٌ، لأن تصغيرَ رَخَّةٌ رُخَيْخَة، وإنما يستقيم ما قال لو كان الواحد رَخْوَةَ أو رَخْيَةَ، وقد رأيته بخَطِّ أحمدَ بن بُرْدٍ في شعر امرئ القيس (وبين رُحَيَّات) بالحاء المهملة، وذكر أنه نقله من كتاب بُنْدَار.

وفي رسم (أَخْرب) أورد البكري قول امرئ القيس:

وَبَيْنَ (رُخَيَّات) إلى فَجِّ (أَخْرَب)

ويروى: (بَيْنَ رُحَيَّات).

وأُضيف إلى ما تقدم: أن جبل رخَّة - بالراء المهملة - لا يزال معروفًا، وهو واقع في الشمال الغربي من بِلادِ طَيِّءٍ المجاورة لبلاد غَطَفَان، ويقع في الشمال الشرقي من قرية (الحُلَيْفة) وهو بين جَبَلي (قَنَا) و (يَثْقُب)، وغرب جبل (أَدَبِيٍّ) ويجاور (رَخَّةَ) من الشمال جبل (الرُّخَيْخ)، والعامة يبدلون هاءه ألفًا فيقولون (رَخَّا) ومثل هذا يكثر في كلاهم، و (رُخَيْخ) أيضًا ورد ذكره في معجمات الأمكنة.

ويحسن هنا أن أُوْرِدَ ما ذكرته عن هذين الجبلين في قسم (شمال المملكة)[1] من «المعجم الجغرافي» قال البكريُّ: بضم أوله وفتح ثانيه على لفظ تصغير رُخّ: موضع تقدم ذكره في رسم (الأَحْوَرَيْنِ). قال عامرُ بنُ الطُّفَيْل:

ويوم (رُخَيْخ) صَبَّحَتْ جَمْعَ طَيِّءٍ عَنَاجِيجُ يَحْمِلْنَ الوَشِيْجَ المُقَوَّمَا

وفي «معجم البلدان»: (الرُّخَيْخ) - كأنه تصغير رُخٍّ وهو نبات هَشٌّ - موضع قربَ (المُكَيْمِنِ) و (حُبْرَان) و (الرَّوْحَاءِ)، وقيل بدال وحاءٍ وجيم عن نصر. انتهى، ومثله في كتاب نصر وفي «النقائض»: أن يوم (طِخْفَة) هو يوم (الرُّخَيْخ) ويوم

(ذات كهف)، ويوم (خَزَار)، وفي هذا إشكال فالرُّخَيْخُ المعروف الآن بعيدٌ عن (طِخْفَةَ) وعن (خَزَار)، اللهم إلَّا إذا قيل بحصول كَرٍّ وفَرٍّ في هذه النواحي المتباعدة، كما حدث في وقعة (حُنَيْن) التي ابتدأت بهذا الموضع، وانتهت بـ(أَوْطاس)، مع تباعدِ ما بين الموضعين، إلَّا أن ياقوتًا ذكر موضعًا سماه رَخَّاءَ بتشديد الخاء والمدّ: مَوْضِعٌ بين (أُضَاخ) والسُّرَّيْن (التَّسرير) تسوخ فيه أيدي البهائم، وهما رَخَّاوَان انتهى، وهذا الذي ينبغي أن يكون يوم (خزاز) يُسَمَّى به، فقوله: وهما رَخَّاوَان لعله يقصد رخَّاءَ ورُخَيْخ، ومثل هذا يكثر في كلامهم مثل (قَنَا) و (قُنَيّ).

وأورد البكري بغير نِسْبَة:

غَدَتْ مِنْ رُخَيْخٍ ثُمّ رَاحَت عَشِيَّةً ... بِحَيْرَانَ إرْقَالَ الْهَجِيْنِ الْمُجَفَّرِ

وتَقْطَعُ رَمْلَ (الأَحْوَرَيْنِ) بِرَاكِبٍ ... صَبُوْرٍ عَلَى طُوْلِ السُّرَى والتَّهَجُّرِ

وهما لِزَيْد الخيل، أوردهما ياقوت ومعهما ثالث، وفي رواية البكري إشكال، فقد تقدم أن (موزل) يرى أنَّ (الأَحْوَرَيْنِ) ينطبقان على موضع يقع شَرْقَ (سَلْمَى)، والذي يتجه إليه من (رُخَيْخ) يقصد جهة الشرق قَصْدًا، إذْ (سَلْمَى) تقع شرق (رُخَيْخ) أما (حُبْرَان) وليس (حَيْرَان) فيقع شمال (رُخَيْخ) غربَ جبلَي طَيِّئٍ، فإذا صحَّتْ رواية البكريّ وإخالُها صحيحةً فإن (الأحورين) اللذين قصد الشاعر يقعان شمالَ (رُخَيْخ) و (حُبْرَان)، ويلاحظ أن البكري - كعادته - أورد (حبران) وضبطه بالياء المثناة من الحَيْرة، وهو تصحيف نبهنا عليه في موضعه.

أما (رُخَيْخ) فلا يزال معروفًا، وهو جبل يقع غرب جَبَلِ (أَدَبِيّ) وشرق جبل (رَخَّةَ) متصل به، يحف بالجبلين الطريق إلى (حايل) من (الحُلَيْفة) وانظر (رخَّة).

وقد ورد اسم (رخيخ) مصحفًا (زُجَيْج) و (رُجَيْج) وصورًا أُخرى ومن أمثلتها ماجاء في «شرح المفضليات» من قصيدة للخَصَفِيّ من محارب:

وَيَـــوْم رُجَيْـج صَبَّحَتْ جَمْـعَ طَيِّءٍ   عَنَـاجِيْجَ يَحْمِلْنَ الــوَشِيْجَ المُقَـوَّمَـا

قـال أحمد: ويـروى يـوم (زُجَيج) بـالزاي، وهـو مـوضع لقـوا فيه طَيِّئًـا. انتهى والصواب فيهما (رُخَيْخ) كما تقدم.

ويقع جبل رَخَّة (بقرب خطِّ الطول ٥٨َ/ ٤٠ْ وخط العرض: ١٠َ/ ٢٦ْ) وهو وما حـوله تابـع لمنطقة إمارة حـايل، وقد ورد ذكر رَخَّـة في بعض الأشعار العـامية بـاسم (رَخّـا)، ففي كتاب «أبطـال من الصحـراء»[٢] خبـر إغارة (وِلْـد سليمـان) وبعض (الرولـة) على قبيلة (حـرب) برئاسـة ابن فُرْهُـود، وكانوا نـازلين على منهل (رَخّا)، فأخـذُوا إبلًا لحرب، فأرسل ابن فـرهود قصيدة إلى سعـدون العواجي شيخ (وِلْد سليمان) يقول فيها:

يـا عْقَــابْ لا تِقْفِي بْثَـارَ الشَّعَــالِيْنْ   إِنْكِس لْــدَارِكْ يَــاكَــرِيم السّبَــالِ

فأجابه عقاب بن سعدون بقصيدة جاءَ فيها:

يــا نــاشْــدٍ عنَّــا تَــرَانــا مقَــابِيْلْ   نَنْــزِلْ لَكُمْ (رَخّــا) ونَـاخِــذْ لَيَــالِي

ثم ذكر أن سعدونًا العَواجِيَّ أغار على (حرب) ونزل منهل (رَخّا) فهزمهم، وقال من قصيدة طويلة مطلعها:

إنْ كــان ابِنْ فـرْهــودْ يطلُبْ لْقَـانَــا   جِيْنـا عَلَى الـزَّرْفَاتْ خَيْلَ الصَّحَـابَـهْ

ومنها:

عَــادَاتْنَـا وِانْ كَــانْ شِفْنــا اقْبَـلَانَــا   من دَمُّهُــمْ (رَخّــا) نْــــرَوِّي تْــرَابَــهْ

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) - ص ٥٧٣ -. (٢) ص ٨٤/ ٨٥ -.

الزكاة وأبعادها في الحياة الاقتصادية للجزيرة العربية في العصر الأموي

(٢)

مقدار جباية أموال الزكاة: في بطون المصادر المختلفة أخبار متفرقة تنفع في التعرف على مستوى ما كان في الجزيرة العربية من إنتاج زراعي وحيواني وحرفي وأعمال تجارية وأرباح[١]. وقد كان أثر طبيعة الجزيرة تضاريس ومناخًا ومياهًا واضحًا في سوية (؟) هذه الفعاليات الاقتصادية، فالعمران البشري في الجزيرة على سبيل المثال، مواضعه متفرقة ومتباعدة شأن مواقع الأمطار ومواضع المياه فيها[٢]. والإنتاج في مقداره ونوعه ليس بمنجى عن ذالك، وفي ظل سلطان الإسلام على الجزيرة نشأت عوامل أخذت تساعد على زيادة الإنتاج والثروة في الجزيرة، واستمرت هذه العوامل على تفاوت فيها بين أيام بني أمية والأيام الإسلامية السابقة تعمل على زيادة الثروة.

فقد انتظم حبل الأمن في الجزيرة أكثر أيام عبدالله بن الزبير وبني أمية وتعقب أولو الأمر اللصوص والمفسدين وقطاع الطرق[٣]، وزالت دواعي الخلاف بين القبائل على المياه والمراعي منذ عام الوفود[٤]، وصان بنو أمية حقوق القبائل في هذه المرافق، وفصلت محاكم الدولة فيما كان يرفع إليها من خلاف فيها، على نحو ما جرى في الماء الذي اختلف فيه بنو فُقَيْم وبنو العنبر[٥]، مما وفر طاقات القبائل في الحروب بينها لاستصلاح أموالها وتثميرها، وعمل حب أهل البادية لبلادهم[٦] وعدم صرف الدولة الأموال الراتبة عطاءًا سنويًا لهم إلا إذا سُجِّلوا في الديوان والتحقوا بالجيش[٧]، وبذل الأموال لهم وإغاثتهم في جوائح القحط والجدوبة وسني الحطمة[٨]، وصيرورة البلاد الإسلامية من حولهم معاشًا لهم ومتسعًا لمواشيهم في سني القحط والجوع[٩]، عمل ذالك كله على عمران بوادي الجزيرة واستمرار الثروة الحيوانية فيها بالزيادة والنماء.

وظلت الأموال والأسرى والرقيق تأتي الجزيرة في عصر بني أمية بقدر، وتستخدم في بثق الآبار والعيون، واستصلاح الأرض وتنمية الثروات[١٠]، ففي الخضارم من

اليمامة وحدها كان هناك أربعة آلاف من الرقيق، جعلهم معاوية يعملون الأرض فيها، ولما غلب نجدة الحنفي عليها عام ٦٥هـ تركهم وما يعملون[١١].

واهتم الخلفاء من بني أمية ونوابهم في الجزيرة بحفر الآبار والعيون وإقامة السدود لتنمية الزراعة وتوسيع الرقعة المزروعة[١٢]. وفي ظل الأمن وانتشار الإسلام وامتداد داره اتسع ميدان التجارة برًّا وبحرًا ووصلت حركة التجارة داخل الجزيرة بخارجها[١٣].

أسفرت الأوضاع السابقة عن ثروات وأموال غير قليلة، يدلّ على جانب منها خراج اليمن الذي بلغ في خلافة معاوية مليونًا ومئتي ألف دينار، وخراج البحرين واليمامة الذي بلغ في الفترة نفسها خمسة عشر مليون درهم[١٤]. وهي مؤشرات تومئ أيضًا إلى ما يمكن أن تصل إليه جباية أموال الزكاة في بلاد الجزيرة أرض العشر والزكاة[١٥] إذْ أنَّ حظ الزكاة من هذه الأموال والثروات يتناسب وفاقًا معها في القلة والكثرة.

غير أن ما أمدتنا به المصادر من معلومات عن مقادير جباية الزكاة تعدّ قليلة جدًّا، وينقصها الشمول أفقيًّا ورأسيًّا، فهي لم تتحدث عما كان يرتفع من أموال الزكاة من كل بلد من بلاد الجزيرة، ولو لسنة واحدة، كما لم تذكر المجموع الكلي لجبايات الجزيرة من أموال الزكاة إبَّانَ سلطان بني أمية سنة فسنة، ومع ذالك، فإن هذا القليل من المعلومات ينفع للاستئناس به في التعرف على مقدار جباية الزكاة من بعض أنحاء الجزيرة ومنها:

أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى مروان بن الحكم والي المدينة من قبله أن يأخذ من زكاة مال اليمن إذا مرت به مئة ألف درهم[١٦]. وهو مبلغ لا يمثل جميع جباية اليمن من الزكاة، وإنما يمثل جزءًا مما حمل منها عدا ما وزع فيها.

وبلغت أموال الزكاة التي أمر عبدالملك بن مروان أن تحمل من أموال زكاة اليمامة إلى المدينة في إحدى سني خلافته، بلغت مليون درهم[١٧].

وأصاب سعيد بن عباد وأخواه سليمان وسمرة من عشور التجارة في عُمَان أموالًا كثيرة، وكان مقدار ما صالحوا عليه عبدالملك بن مروان سبع مئة ألف درهم على أن لهم ما في القلعة، وحملوا إلى عبدالملك سوى ما صالحوا عليه هدايا كثيرة وجوهر وطستًا من ذهب فيه شجرة من ياقوت وزمرد[١٨].

وأرسل عثمان بن عفان الحكم بن أبي العاص عاملًا على زكاة قضاعة، فبلغت جباية الزكاة من أموالهم ثلاث مئة ألف درهم[١٩]. وعهد عثمان بن عفان ليس قبل خلافة معاوية بكثير.

وعمل أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة في خلافة أبي جعفر المنصور على زكاة أسد وطيء، فبلغ مقدار ما بقي لديه من أموال زكاتهم في إحدى السنوات السابقة على عام ١٤٥هـ، بلغ أربعة وعشرين ألف دينار[٢٠]، وعام ١٤٥هـ ليس من عهد مروان بن محمد ببعيد.

توزيع أموال الزكاة وأبعاده الاقتصادية: الشواهد التي تعود إلى عصر بني أمية من مثل: (فخرجت بدرة مكتوب عليها من الصدقة) وهو شاهد يعود إلى خلافة عبدالملك بن مروان)[٢١].

ومثل: (فخرج الصك يعطيان[٢٢]. من صدقة كلب مما عزل في بيت المال، وكان ذالك المعزول قدم به ولم يوجد أحد منهم يقضى عنه دين، فأدخل في فضلة بيت المال معزولًا وحده لئن يقضى به دين المديونين).

وهو شاهد يعود إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز[٢٣].

ومثل ذكر وسم أموال الزكاة بميسم الزكاة في حديث الشافعي عن هذه المسألة[٢٤] هذه الشواهد تدل على أن أموال الزكاة في العصر الأموي كانت تعزل عن غيرها من أموال الجبايات الأخرى، وهذا يقود إلى القول بأن أموال الزكاة كانت تصرف في الوجوه والأصناف الثمانية التي ذكرتها آية الصدقات من سورة التوبة في قوله تعالى: **﴿إنَّما الصدقاتُ للفقراء والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قلوبهم، وفي الرقابِ والغارمين وفي سبيل الله وابنِ السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾** سورة التوبة آية ٦٠.

إذ لولا الحرص على صرف أموال الزكاة في ما جعلت فيه ابتداء، ما احتاج ولاة الأمر من بني أمية إلى عزلها عن غيرها من الأموال، وقد ذكر أبو عبيد[٢٥] أن عمر ابن عبدالعزيز طلب إلى الزهري أن يكتب له السنّة في مواضع الزكاة، ففعل، وذكر

في الكتاب الأسس التي يمكن أن تتخذ في توزيع أموال الزكاة في أصحابها من أهل السهمان.

وطَلَبُ عمر بن عبدالعزيز هذا، يحمل على جهة الرغبة عنده في التيقن من كيفية توزيع أموال الزكاة بين أصحابها من أهل السهمان، ومعرفة وجه الحق بالأسس والإجراءات العملية المتبعة في ذالك، وما يترك ذالك الطلب من طمأنينة في النفس مبعثها اليقين الذي بطنته سؤال أهل الذكر.

وبخصوص الأسس والإجراءات التي اتبعت في العصر الأموي في توزيع أموال الزكاة في الجزيرة العربية، وردت بعض الشواهد التاريخية التي تحكي منحى من مناحي هذه الأسس ومنها، أن محمد بن يوسف الثقفي والي اليمن من قبل الوليد ابن عبدالملك أرسل طاووسًا إلى مخلاف من مخاليف اليمن عاملًا على الزكاة، فكان يأخذها من الأغنياء ويضعها في الفقراء، فلما فرغ قال له محمد: ارفع حسابك. فقال: مالي حساب، كنت آخذ من الغني فأعطيه المسكين(٢٦).

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله على البصرة قال له: أما بعد، فإني كتبت إلى عمرو بن عبدالله أن يقسم ما وجد بِعُمَان من عشور التمر والحب في فقراء أهلها، ومن سقط إليها من أهل البادية ومن أضافته إليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل، فكتب إليّ أنه سأل عاملك قبله عن ذالك الطعام والتمر، فذكر أنه باعه وحمل إليك ثمنه فارْدُدْ إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عُمان من ثمر التمر والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بها ويصرفه فيها إن شاء الله(٢٧).

وكتب إلى ابن زرارة عامله على الزكاة باليمامة، كتب إليه في السنة الثانية من عمالته أن يقسم كل أموال الزكاة فيها ولا يحبس منها شيئًا(٢٨).

وتوزيع أموال الزكاة في فقراء البلد الذين من أغنيائه أُخذَتْ، ثم في الذين يلونهم من جيرانهم، اتجاه من شأنه أنْ يشدَّ بهذه المودة والتراحم(٢٩)، أزر البنية الاجتماعية للبلد، ويقلل الفوارق المالية بقدر معين بين أفرادها، ويدفع عن الأغنياء شر الحقد من الفقراء، ويزيل رزايا كثيرة بإعالة من لا يقدرون على تحصيل حاجتهم بقوتهم، فيطيل ذالك في عمر البنية الاجتماعية للبلد، ويلقي

عليه ظلال الأمن والاستقرار، وهي عوامل صالحة للإنبات، وتكثير الأموال وزيادتها، وتقدم الحياة الاقتصادية وازدهارها، خلافًا لأوضاع يستبدُّ فيها الجشع، وتسيطر الطبقية، وتكبر البغضاء، ويهيمن الخوف، وتتفجر الكراهية والحسد نهبًا وسلبًا وتعديات على الأنفس والأموال.

وقد وردت شواهد أخرى تدل على نقل أموال الزكاة من بلد داخل الجزيرة إلى آخر داخلها، من مثل نقلها من اليمن إلى المدينة ومن اليمامة إلى المدينة[٣٠]، أيضًا، وشواهد على نقلها من داخل الجزيرة إلى خارجها من بلاد المسلمين، مثل نقلها من عُمَان إلى البصرة، ومن اليمن وبلاد كلب إلى دمشق[٣١].

ونقل أموال الزكاة من بلد إلى آخر اتجاه ثان تقتضيه ظروف خاصة بالبلاد متروكة إلى نظر أولي الأمر في تقدير المصلحة العامة للأمة، ووضع أموال الزكاة بيد أولي الأمر والتصرف فيها على هذه الصورة، يخفف مما قد يتبع الزكاة من المن والأذى، ويؤكد على وحدة الأمة والترابط بين أعضائها وإظهار خصيصة التكافل المالي بينهم.

وبين الاتجاه الأول والاتجاه الثاني كان يقوم ذوو الجاه عند الخلفاء من بني أمية ببيان أخطاء نوابهم في تقدير المصلحة أحيانًا ويسألونهم ردَّ أموال الزكاة في فقراء أهل البلد، ومن ذالك ما فعله الراعي النميري[٣٢] عند عبدالملك بن مروان من سؤاله إياه أن يردّ على قومه بني نمير زكاة أموالهم، فقال عبدالملك: هذا كثير. فقال الراعي: أنت أكثر منه. ففعل عبدالملك، ثم سأله عبدالملك عن حاجته لنفسه، فقال الراعي: ما كنت لأفسد هذه المكرمة. ووفد عطاء بن يسار[٣٣] على هشام بن عبدالملك، وكان مما قاله: يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد، أصل العرب وقادة الإسلام، ترد فيهم فضول زكاة أموالهم. فأجابه هشام إلى ما طلب.

أما مقدار ما يعطاه المرء من أموال الزكاة فكان يصل إلى ما يبلغ به حد الغنى، وإخراجه من الحال التي استوجبت إعطاءه من المال[٣٤]، وإعطاء المرء من المال إلى ما يبلغ به حد الغنى أمر متفق عليه. ولكن الخلاف في تقدير حد الغنى، وهي مسألة تتأثر بظروف العصر وأحوال البلد وسوية العيش فيه، ولكنها لا تعني أبدًا أن يعطى المرء ما يسد جوعة أو جوعتين عنده، ويظل بعدها كلًّا على

الناس، وإنما يعطى بالقدر الذي يحيله من امرئ عالة على غيره إلى امرئ عامل منتج يشارك في قابل من الأيام في حل مشكلات المجتمع الاقتصادية.

ففي خلافة معاوية، أعطى عامل الزكاة على طيء الفرزدق عشرين بكرة أو ثلاثين[٣٥] وأمر زياد بن أبيه عامله على زكاة أسد وعطفان أن يلصق بأهل الفاقة منهم فيعطي أهل الورق ورقًا، وأهل الغنم غنمًا[٣٦]، وذالك لأن كل قبيل أدرى من غيره بتثمير ما يحسن من المال تثميرا، وروى عن مهاجر بن يزيد، أنه كان من الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز إلى قسمة أموال الزكاة في فقراء قوم، فلما كان العام القابل، أخذوا الزكاة من أموال الذين استوجبت حالهم في العام المنصرم الزكاة[٣٧].

وبذالك لا تكون الأموال قد سُحبت بسبب الزكاة من سوق الإنتاج تمامًا، وإنما وظفت فيه على آخرين قد يكونون أكثر توفيقًا وأكثر إنتاجًا.

وتعدَّتْ أموال الزكاة في تأثيرها على الحياة الاقتصادية مجالَ الفرد والجماعة إلى مجال الدولة، فقد ورد أن الدولة في العصر الأموي استنجدت غير مرة بأموال الزكاة في سداد الوجائب المستحقة من رواتب الجند على جهة صرف سهم (في سبيل الله) من الزكاة في هذا الجانب[٣٨]، وقد ورد ذكر ذالك في خلافة كل من معاوية بن أبي سفيان وعبدالملك بن مروان وهشام بن عبدالملك، حيث أمر معاوية واليه على المدينة مروان بن الحكم أن يأخذ من أموال زكاة اليمن ما يتم به عجز الخزينة عن دفع رواتب أهل المدينة كاملة[٣٩]، وبمثل ذالك فعل عبدالملك عندما أمر أن يحمل من زكاة اليمامة ما يتم به عطاء أهل المدينة[٤٠] وحدث الشيء نفسه في خلافة هشام حيث لم يتم عطاء أهل المدينة من الفيء فأمر هشام أن يتم من زكاة اليمامة[٤١]. ورَفْضُ أهل المدينة أن يأخذوا عطاءهم من أموال الزكاة لا يقلل من أهميتها الاقتصادية، وأثرها في رعاية مصالح الناس، ومرافق الحياة الاقتصادية وإعراض أهل المدينة عن أخذ أموال الزكاة عطاءًا لهم كان لأنهم أهل حاضرة وجند رواتبهم من أموال الفيء، وتعلقهم بهذه القيم والمثل، وصدودهم عن المال وأثره في مواقف الرجال كان مما أثار إعجاب عبدالملك قال: لا تزال في القوم بقية ما فعلوا هكذا[٤٢].

هذا بعض ما كـان عن الزكاة ومالهـا من آثار على الفرد والجماعـة والدولة، في المعاش ومجـالات الحياة الاقتصادية في الجـزيرة العربيـة في ذالك العصر، على مستوى نظام التوزيع والإنتـاج، أما اليوم فقد جدت في حياة الجزيـرة العربية أمور كثيرة تجعل الزكاة أكثر تأثيرًا وفاعلية في الحياة الاقتصادية.

أ. د. محمد ضيف الله البطاينة

جامعة اليرموك - كلية الآداب - الأردن

الحواشي:

(١) انظر: ابـن هشام «السيرة» ٢/ ٩٤، ٢٥٧، أبـو عبيد «الأمـوال» ٤١٩، ابن حبيب «المحبـر» ٢٦٣، ٢٦٨، أبو جعفر الطبري «تـاريخه» ٣/ ٨٦، ٣١٦، ٢٨١ - ٢٨٢، القرشي «جمهرة أشعـار العرب» ١/ ١٠٧، ابن شبة «تـاريخ المـدينـة» ٢/ ٤٣٧ - ٤٣٩، ابن الفقيـه «مختصر كتـاب البلـدان» ٢٩، الاصطخـري «المسـالك والممالك» ٢٣، ابن حـوقل «صورة الأرض» ٣١، اليعقـوبي «تاريخـه» ٢٧٠ - ٢٧١. جواد علي «المفصل في تاريخ العرب» ٧/ ٢١ - ٢٢.

(٢) انظر من أجل ذالك: البكري «معجم ما استعجم» ١/ ٥ - ١١٣.

(٣) انظر: الـزبير بن بكـار «الموفقيـات» ١٧٠ - ١٧٥، «ديوان الفـرزدق» ١/ ٣١٤، ٢/ ٤٧، ٥٠، نوري القيسي «شعراء أمويون» ١/ ١١، ٢٤، ٣٠.

(٤) انظر: ابن سعد «طبقات» ١/ ٢٦٦ - ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٠٢، ٣١٢، ٣١٩.

(٥) انظر: «ديوان الفرزدق» ١/ ١٣٩.

(٦) ابن شبة «تاريخ المدينة» ١/ ٢٨٨، ابن منقذ «المنازل والديار» ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٧) أبو عبيد «الأموال» ٢١٩.

(٨) المصدر نفسه ٢٩١ - ٢٩٥.

(٩) البلاذري «أنساب الأشراف» ق ٤ ١/ ٢٣٧، ٢٤٠ تحقيق إحسان عباس.

(١٠) البلاذري «فتوح» ٣/ ٥٠٩.

(١١) ابن الأثير «الكامل» ٤/ ٢٠١. [وانظر «ابن عربي موطد الحكم في نجد» - العرب].

(١٢) البلاذري «فتـوح» ١/ ٣٧، ٤٠، «أنساب» ٤٦ تحقيق المحمودي، ق ٢، ج ٤/ ٢٩ مكتبـة المثنى ابن شبة «تاريخ المدينة ١/ ٢١٩ - ٢٢٥، ٢٧٠ - ٢٧١، البكري «معجم ما استعجم» ٢/ ٦٥٨، ٣/ ٨٦١ - ٨٦٣، ابن قتيبة «الإمـامة والسيـاسة» ١/ ١٧٦، ابن عسـاكـر «تاريخ دمشق» (تهـذيب) ٦/ ١٤٣ - ١٤٤، تويتشل «تاريخ المملكة» ٥٠، ٥١.

(١٣) المقدسي «أحسن التقاسيم» ١٠١، ابن حوقل ٣٢ وما بعدها، بطاينة «الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام» ٢٩ - ٣١، ٤٠ - ٤١، النجم «البحـرين في صـدر الإسـلام» ٨٥ - ٨٧، السيف «الحياة الاقتصـاديـة» ٤٧، ٤٨، ٩٦، ١١٨، الشجاع «النظم الإسلامية» ١٥.

(١٤) انظر: اليعقوبي «تاريخه» ٢/ ٢٣٣، وانظر بشأن الثروات والأموال: المسعودي «مروج» ٣/ ٣٢، ابن قتيبة «الإمامة والسياسة» ١/ ١٧٦، ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٦/ ١٤٤، السيف «الحياة الاقتصادية» ٥٠ وما بعدها.

(١٥) ابن آدم القرشي «الخراج» ٢٦.

(١٦) ابن زنجويه «الأموال» ٢/ ٥٩١.

(١٧) الشافعي «الأم» ٢/ ٩٢.

(١٨) ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٦/ ١٦٩.

(١٩) البلاذري «أنساب» ٥/ ٢٨ مكتبة المثنى.

(٢٠) المقدسي «التبيين في أنساب القرشيين» ٤٢٨.

(٢١) انظر المسعودي «مروج» ٣/ ١٢٨، الزبير بن بكار «الموفقيات» ٥٧٣.

(٢٢) هما بشير بن محمد الخزرجي وعاصم بن عمر بن قتادة وفدا على عمر بن عبدالعزيز لدين ركبهما.

(٢٣) انظر ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٣/ ٢٧٠.

(٢٤) الشافعي «الأم» ٢/ ٨٠، ٩٢.

(٢٥) و (٢٦) انظر نص الكتاب عند: أبو عبيد «الأموال» ٧٦٤ - ٧٦٥.

(٢٧) البلاذري «فتوح» ١/ ٩٤.

(٢٨) مالك «المدونة» ١/ ٢٩٦.

(٢٩) انظر «صحيح البخاري» باب الزكاة ١/ ١٧٢، ١٨٠، الشافعي «الأم» ٢/ ٧٨ - ٧٩، أبو عبيد «الأموال» ٥١٦ - ٥١٧، ٥٢٦، ٥٢٨.

(٣٠) ابن زنجويه «الأموال» ٥٩١، ابن سعد «الطبقات» (الجزء المتمم) ٩٧ - ٩٨، أبو عبيد «الأموال» ٣٨٧، الزبير بن بكار «الأخبار الموفقيات» ٣٩٠.

(٣١) مالك «المدونة» ١/ ٢٩٦، ابن زنجويه «الأموال» ٥٩١، البلاذري «فتوح» ١/ ٩٤.

(٣٢) الجمحي «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥١٢. [انظر تفصيل هذا في كتاب «ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد» - العرب].

(٣٣) ابن عساكر «تاريخ دمشق» (مخطوط) ١١/ ٦٣٠.

(٣٤) انظر من أجل ذالك: الشافعي «الأم» ٢/ ٧٤ - ٧٦. أبو عبيد «الأموال» ٤٩٧، ٥٣٠ - ٥٣١، يوسف عبدالمقصود «الموارد المالية في الدولة الإسلامية» ١٦٣ - ١٨٩. القرضاوي «فقه الزكاة» ٢/ ٦٢٠ وما بعدها.

(٣٥) انظر: «ديوان الفرزدق» ١/ ٨٤.

(٣٦) البلاذري «أنساب» قسم ٤، ج ١/ ٢٤٠ تحقيق إحسان عباس.

(٣٧) ابن سعد «طبقات» ٥/ ٣٤٧.

(٣٨) انظر: أبو عبيد «الأموال» ٤٩٨، ٥٤١، الماوردي «الأحكام السلطانية» ١٢٤، ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٣/ ١٣٣.

(٣٩) ابن زنجويه «الأموال» ٥٩١، الزبير بن بكار «الأخبار الموفقيات».

(٤٠) الشافعي «الأم» ٢/ ٩٢، المسعودي «مروج» ٣/ ١٢٨.

(٤١) ابن عساكر «تاريخ دمشق» (تهذيب) ٢/ ٢٦٣.

(٤٢) انظر: الشافعي «الأم» ٢/ ٩٢.

ابن زريق البغدادي
بين الحقيقة والخيال

كان كتاب «في الأدب العباسي» الصادر سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م)، لأستاذنا الدكتور علي الزبيدي، علامة مضيئة في طريق دارسي الأدب العباسي، وهو كتاب صغير الحجم، عظيم الخطر، بما أثاره من مشكلات تستحق الدرس والتأمل، وبما نبه إليه من وجوه النقص في الدراسات العباسية، مما يتصل بالنحل والاضطراب وعدم الدقة الذي تتصف به بعض مصادرنا القديمة، ومما أثاره الباحث الجليل ونبه إليه، وعلق عليه مسألة ابن زريق البغدادي، وقصيدته وقصته، فقال: (وقد لا أغالي، إذا زعمت أن في الأدب العباسي، قصائد لا يعرف قائلها، وفيه قصائد منسوبة لشعراء، رأى بعض الباحثين أنهم شخصيات وهمية، ومن خير الأمثلة على ذالك شخصية ابن زريق البغدادي، صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها:

لا تعذليه فإن العذل يولعه ... قد قلتِ حقًّا، ولكن ليس يسمعه

فابن زريق على شهرته، وشهرة قصيدته، لا يستطيع أحد أن يجزم بصحة وجوده، ولعل خير من أوجز هذا الموضوع الأستاذ نعمان الكنعاني الأديب العراقي المعروف، في كتابه القيم الصغير «شعراء الواحدة»[1].

وقد قال الأستاذ الكنعاني في تقديمه للقصيدة: (ابن زريق البغدادي، أو محمد بن زريق البغدادي، شاعر عنقائي الوجود، لامع الاسم، وهيهات أن يأتي باحث بترجمة لحياة هذا الشاعر تقطع دابر الشك في وجوده. قالوا: إن ابن زريق من شعراء بغداد المعدمين، هام بفتاة وأراد الزواج منها، فحال فقره دون ذالك، فسافر إلى المغرب ودخل الأندلس، طالبًا رفد ملكها، ولكنه قضى نحبه دون أن يتحقق رجاؤه، وقد وجدت عينيته الشهيرة تحت وسادته، هذا ما قاله الرواة، ولكنها رواية فيها من القلق الشيء الكثير، ومن الشك الشيء العظيم.

لقد أغفل المؤرخون ذكر هذا الشاعر، ولم يشيروا إليه مطلقًا، وليس ثمة سبب

يحدو بـالمؤرخين إلى إغفال ذكـر شاعر لـه عصماء كهذه، وقـد ذكروا من لم يأت بغير أبيات لا تعد شيئًا، إذا قيست بهذه القصيدة.

وهنا نسأل الرواة: إذا كان ابن زريق ذهب إلى الأنـدلس طالبًا رفد ملكها، فأين المدح الذي أعده ثمنًا لما طلب من مـال، فإنَّ القصيدة خالية من مدح، ونسألهم ثانية: وسـؤالنا هو: إن كل من نسبت إليه قصيدة أو مقطوعـة قد نسب إليه، لا على وجه التحقيق، شيء من الشعر، عدا ابن زريق، فهو الشـاعر الذي نسبت له قصيدة طويلـة عامـرة، ولم ينسب إليه بيت من الشعـر سواها، وهـذا أمر يـؤيد الشك أي تأييد، ولدينا سؤال ثالث، هـو أن القصيدة المنسوبة لابن زريق من الشعر الذي لا يقولـه إلا من كانت له في الشعـر محاولات بل وجـولات عديدة، ومن الاستحـالة بمكان أن ينظم شـاعر قصيدة كقصيـدة ابن زريق البغدادي هذه دون أن يكـون قد عالج نظم الشعر زمانًا.

إن إغفال المؤرخين عامة ذكر ابن زريـق، ونسبة قصيدة واحدة من عيون الشعر العربي إليه، وخلو القصيدة من المدح، كل هـذا يذهب بنا إلى إنكار وجود شاعر يسمى ابن زريق البغـدادي، ولكن لدينـا قصيدة بهـذا الانتساب، فهل نقـول فيها، سـوى أنهـا نظم شـاعر فحل، أخفى اسمـه، لسبب مـا، وخلع عليهـا هـذا الاسم المستعار، أو أنها نظم فقيـه أو عالـم كان يرى في الشعر سبة لـدينه وعلمه، فجعل من ابن زريق خالدًا من الشعراء، والله أعلـم)[٢].

هذا نص ما قاله الأستاذ الكنعاني، وقد نقلناه بطوله، ليقف القارئ الكريم على رأي الرجـل ومبرراتـه، كامـلًا غير منقوص، وقـد حظي هـذا الرأي بـرضا أستـاذنا الدكتـور الزبيـدي، وإعجابـه، إذ عقب عليه بقولـه: (هذه المـلاحظة البـارعة من الأستـاذ الكنعـاني، تـدل على سعة الإطـلاع، وعمق التفكيـر، وتظهـر كيف أدرك البـاحثون بعض مشـاكل الصنعـة في الأدب العباسـي، وكيف اختلطت الأساطيـر والحكايات المصنوعة، بالحقائق التاريخية)[٣]. ونحن نوافق أستاذنا الزبيدي في

وجود شعر لا يعرف قائلوه، وهو ما تذكره كتب التراث عادة مسبوقًا بعبارة: وقال آخر، أو قال الشاعر، وفي وجود شعر مختلف النسبة لقائليه، وهذا أمر عام في الشعر العربي كله، وليس مقصورًا على العصر العباسي، ولعل حظ العصور السابقة منه أكثر بكثير من حظ الشعر العباسي، ولكننا لا نوافقه والأستاذ الكنعاني في إنكار وجود ابن زريق البغدادي، وأنه شخصية عنقائية لا وجود لها على الحقيقة.

ومن الغريب حقًّا أن يذهب الأستاذ الكنعاني هذا المذهب من غير إشارة صريحة إلى مصادره وأسماء رواته، ثم ما الغرابة وما وجه الاستحالة في رجل من أهل بغداد أحب جارية وعجز عن الحصول عليها، فذهب إلى الأندلس منتجعًا أحد أمرائها، وأدركه الموت هناك، وكثير من شعرائنا كانوا يتكسبون في مديحهم ويتجولون في البلاد طلبًا لذالك، فقد قصد أبونواس الخصيب بمصر مادحًا متكسبًا، وقطع أبو تمام الأرض من مصر إلى خراسان في سبيل ذالك، وفعل مثل هذا عشرات من الشعراء المغمورين. هذا إذا صحت نسبة السفرة لابن زر يق. ثم من قال إن الشاعر مدح ذالك الأمير بقصيدته هذه العينية نفسها، لنسأل بعدها أين المديح في هذه القصيدة (فإن القصيدة خالية من المدح)[٤].

وما الغرابة في قلة ما ذكرته المصادر عن ابن زريق، ومثله في هذا عشرات من الشعراء لا نعرف غير أسمائهم، ولم يذكر في تراجمهم غير سطر أو سطرين، ومن شعرهم غير بيت أو بيتين، وعلى هذا معظم تراجم «معجم الشعراء» للمرزباني، ولم ينكر أحد وجودهم أو زعم أنهم شخصيات خيالية. وإذا كان من العجيب جهلنا بسيرته رغم شهرة قصيدته، فالرجل لم يكن بدعًا في هذا، فقد ذكر ابن طيفور مجموعة من القصائد الجياد الطوال المفردات التي لا مثل لها لشعراء مثل ابن أبي السعلات الكوفي، وابن أبي كريمة والنظار الفقعسي والأرقم بن علباء وأبي صفوان الأسدي[٥]، وأحسب أن ما في أيدينا من أخبارهم وأشعارهم لا يزيد كثيرًا عما نعلمه من حال ابن زريق وشعره.

وإذا كان ضياع شعر الرجل باستثناء واحدته العينية مبررًا لإنكار وجوده، فما القول في أسماء عشرات من الشعراء الذين ضاعت دواوينهم برمتها. ولم يذكر لهم غير البيت والبيتين، وقد كان ابن زريق أوفر حظًّا منهم إذا وصلتنا قصيدة كاملة له، وهي لاشك أحسن شعره وأجدره بالحفظ والبقاء، ولوكان باقي شعره على مثل هذه الجودة لحفظه الناس وتناقلوه، ولولا ضياع بقية شعره وبقاء هذه القصيدة له، لما كان من أصحاب الواحدة ولما التفت إليه أحد.

والمنطق يلزمنا بوجود المؤثر إذا ظهر الأثر، ووجود الشاعر إذا وصل شعره الدال عليه، وما أخباره وترجمته إلا وسائل مساعدة لفهم شخصيته وشعره، أما أن نرفض وجود الرجل لقلة أخباره، مع وصول شعره إلينا، فذالك مالا يمكن الموافقة عليه، وبدلًا من الاعتراف بجهلنا بأخبار الشاعر وعجزنا عن الوصول إليها، لأسباب خارجة عن إرادتنا، من مثل ضياع بعض كتب التراجم أو بقائه مخطوطًا لم ينشر حتى الآن، مع احتمال وجود ذكر له فيها، بدلًا من هذا كله، وبدلًا من أن نجهد أنفسنا في البحث والتقصي، لعلنا نعثر على ما نريد، فإننا نوفر على أنفسنا هذا العناء، ونتبع الطريق الأسهل، فننكر وجود الرجل أصلًا، ونتهم القدماء بالكذب والتدليس، وخيانة الأمانة العلمية، ثم نفترض أن الاسم الذي ذكروه هو اسم رمزي تستتر به شاعر آخر لم يشأ ذكر اسمه الصريح.

وهذه جرأة غريبة على الناس وعلى التراث، وباب خطر لا ينبغي فتحه لأحد، ولو فتحناه لوجدنا من ينكر وجود عشرات من الشعراء المغمورين الذين لا نعرف شيئًا كثيرًا عنهم.

ثم ما الذي في هذه القصيدة الجميلة النبيلة، يدعو صاحبها إلى الخوف أو الخجل، والاضطرار إلى التستر باسم رمزي، وليست من قصائد السياسة، ولم تتعرض للسلطان بسوء، ولا لأحد من الناس بالهجاء والشتم المقذع، وليست من شعر المجون والخلاعة والتهتك.

وسأكون سعيدًا، لو صحبني القارئ الكريم في جولة توثيقية لأمر ابن زريق هذا، وقصيدته المشهورة عند من ذكره من القدماء والمعاصرين، على ضوء الملاحظات التالية:

١ - وردت الإشارة إلى الرجل وقصيدته، في المصادر القديمة، بصور مختلفة، مع اهتمام خاص بالقصيدة دون شاعرها، على الأكثر. ويمكن ترتيب هذه المصادر ترتيبًا تاريخيًا على النحو التالي:

أ- «حكاية أبي القاسم البغدادي»، لأبي المطهر الأزدي (القرن الرابع).

ب- «الإمتاع والمؤانسة»، لأبي حيان التوحيدي، ٤١٤هـ.

جـ- «يتيمة ا لدهر» للثعالبي، ٤٢٩هـ. د- «الإكمال» لابن ماكولا، ٤٧٥هـ.

هـ- «مصارع العشاق»، لابن السراج، ٥٠٠هـ.

و- «الأنساب» للسمعاني، ٥٦٢هـ.

ز- «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار، ٦٤٣هـ، لابن الدمياطي، ٧٤٩هـ.

ح- «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ٦٨١هـ.

ط- «الوافي بالوفيات» للصفدي، ٧٦٤هـ.

ي- «طبقات الشافعية الكبرى»، للسبكي، ٧٧١هـ.

ك- «ذيل ثمرات الأوراق»، لابن حجة الحموي، ٨٣٧هـ.

ل- «الكشكول» للعاملي، ١٠٣١هـ.

م- «أنوار الربيع» لابن معصوم، ١١٢٠هـ.

ن- «تاج العروس» للزبيدي، ١٢٠٥هـ.

٢ - والمصدران الأولان، أقدم من ذكر شيئًا من (العينية) بيتين من أولها، غنتهما جارية ببغداد[٦]، ولكنهما لم يذكرا اسم الشاعر ولم يشيرا إليه.

ثم تلاهما الثعالبي المعاصر لأبي حيان، وهو أول من ذكر ابن زريق، وذكر من عينيته أربعة أبيات، ولكنه ذكرهما منفصلين لا رابط بينهما، فقد ذكر الأبيات منسوبة للوأواء الدمشقي (١/ ٢٩٣) وترجم لرجل يقال له (أبو محمد بن زُرَيْق الكوفي الكاتب) وذكر مقطعات من شعره، منها بيتان في مفارقة بغداد، والتشوق إليها، وهي قوله:

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مِثلًا، فحاولت شيئًا دونه الياس

هيهات بغداد الدنيا بأجمعها عندي وسكان بغداد هم الناس[٧]

وهذا الشعر قريب في روحه ومعناه من القصيدة العينية. والملاحظ أن الثعالبي لم يذكر الاسم الأول لذالك الرجل، ونسبه للكوفة، ولم ينسبه لبغداد، ولم يجعل له شيئًا من العينية المشهورة.

ومما يتفق فيه الرجلان أن كلا منهما يقال له ابن زريق، وكان كاتبًا من كتاب الدولة، وأنه اضطر لمفارقة بغداد، في وقت من الأوقات، فندم على ذالك، وقال شعرًا في مدحها والحنين إليها.

٣- أما الأمير ابن ماكولا، فلم يذكر اسم الرجل، وإنما أشار إليه بلقب (الزريقي) وقال إنه مشهور بأبيات منها:

وكم تشفع بي ألّا أفارقه وللضرورات حال لا تشفعه[٨]

ثم لم يقل شيئًا غير هذا، وعنه نقل السمعاني والزبيدي نقلًا حرفيًّا، وزادا عليه: أن أول هذا الشعر قوله:

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقًّا ولكن ليس يسمعه[٩]

وهكذا ذكر المصدر الثالث رجلًا يقال له ابن زريق في موضع، وأبياتًا من (العينية) منسوبة لشاعر آخر، في موضع ثان من الكتاب، وذكر المصدران الرابع والسادس مطلع القصيدة وأحد أبياتها، منسوبة للزريقي، دون اسم أو كنية.

٤- أما المصدر الخامس فهو «مصارع العشاق»، لابن السراج البغدادي، وقد ذكر القصيدة تحت عنوان (فراقية ابن زريق) ولا أدري يقينا إن كان هذا العنوان من وضعه، أو من وضع ناشر الكتاب، إذ يبدو كلمة (فراقية) غير مألوفة الاستعمال عند القدماء فيما أظن.

وقد ذكر منها أول الأمر ١٢ بيتًا نقلًا عن ابن الجاز القرشي، ثم زادها ثلاثة أبيات في رواية ثانية لابن الجاز عن أبي علي المتصوف.

وقد صدر السراج القصيدة بمقدمة قال فيها: (أخبرني أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن الجاز القرشي، الأديب بالكوفة، وأنا متوجه إلى مكة سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، بقراءتي عليه، قال: حدثنا علي بن حاتم بن بكير البزاز التكريتي، بتكريت، قال: حدثني بعض أصدقائي: أن رجلًا من أهل بغداد، قصد أبا عبدالرحمن الأندلسي، وتقرب إليه بنسبه، فأراد أن يختبره... إلخ)(١٠).

ثم يسرد بقية القصة ، من أن الأمير الأندلسي تفقد ذالك الغريب البغدادي، بعد ذالك، فوجده ميتًا وعند رأسه رقعة فيها القصيدة العَيْنِيَّة. ومكان منزله ببغداد، فأرسل إلى أهله مالًا(١١).

ونحن نلاحظ أن السراج، لم يذكر اسم ابن زريق صراحة، ولكنه أول من ذكر ١٥ بيتًا من القصيدة ونسبها لابن زريق، وأنه سمعها سنة ٤٤١هـ، أي قبل ذكر ابن ماكولا لأحد أبياتها. وهو أول من ذكر قصة السفرة الأندلسية، وعنه أخذ كل الذين ذكروها بعد ذالك، وهو ينقل تلك القصة عن أديب كوفي عن أديب تكريتي عن صديق له مجهول لم يذكر اسمه، أي أن مصدر القصة وأول من أشاعها رجل مجهول تمامًا (حدثني بعض أصدقائي)(١٢) ومع ذالك فإن القصة لم تقل إن ابن زريق هو الذي ذهب للأندلس، وإنما هو (رجل من أهل بغداد) مجهول الاسم والهوية، وأن قصيدة ابن زريق وجدت عند رأسه بعد موته. كما لم تقل إن ذالك الرجل كان شاعرًا، ولم يتقرب للأمير الأندلسي بقصيدة شعرية، ليسألنا سائل:

أين أبيات قصيدة المديح كما فعل الأستاذ الكنعاني، وإنما (تقرب إليه بنسبه) أي بنسب قبلي يجمع بينهما.

وإذن فلا علاقة لابن زريق بهذه القصة ولا رابطة تربطه ببطلها، غير كونه أُعجب بالقصيدة فكتبها واستصحبها معه في غربته، ثم وجدت في متاعه بعد موته.

٥- والمصدر السابع، «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»، لابن النجار، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، كتبه أحمد بن أيبك بن عبدالله الحسامي، الشهير بابن الدمياطي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ، وقد ذكر ابن النجار ما نصه: (علي بن زريق، الكاتب البغدادي، صاحب القصيدة المشهورة التي رواها عنه أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين)[١٣].

وهذا أول مصدر يشير لابن زريق، باسم(علي بن زريق) وأول من يذكر اسم راوي العينية (أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين) ومع أنه لم يذكر شيئًا من قصيدته المشهورة، كما وصفها، إلّا أنه تفرد بذكر أبيات له، لم يذكرها أحد غيره، وهي قوله:

وما سرّ قلبي منذ شطت بك النوى ... أنيس ولا كأس ولامتصرف

وما ذقت طعم الماء إلّا وجدته ... كأن ليس بالماء الذي كنت أعرف

ولم أشهد اللذات إلّا تكلفا ... وأي سرور يقتضيه التكلف[١٤]

وهي في معنى البعد والفراق والتشوق أيضًا، مشابهة في معناها لما ذكره الثعالبي من شعره سابقًا، فإذا ضُمّتْ هذه المقطوعة إلى المقطوعات الخمس التي ذكرها الثعالبي. كان لدينا من شعر الرجل ما يدحض القول بعدم وجود شعر له، غير العينية.

٦- أما المصدر الثامن، ف «وفيات الأعيان»، وقد ذكر ابن خلكان: أن جارية بغدادية، اشتريت من بغداد، وحملت هدية للأمير تميم بن أبي تميم، فغنته، متشوقة لبغداد:

استودع الله في بغداد لي قمرا   بالكرخ، من فلك الأزرار مطلعه

وقد علق ابن خلكان على هذا بقوله: (وهذا البيت لمحمد بن زريق، الكاتب البغدادي، من جملة قصيدة طويلة)[١٥] ولاشك أن الأمير المقصود بهذه الحكاية، هو الأمير تميم بن المعز العبيدي الفاطمي المصري، المتوفى سنة ٣٧٤هـ. ووهم ابن خلكان رحمه الله، بقوله: (وهذا تميم هو أبو المعز بن باديس المذكور في حرف التاء) لأن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، سلطان الدولة الصنهاجية، توفي سنة ٥٠١هـ، وليس معقولًا أن ينقل الحميدي صاحب «جذوة المقتبس» المتوفى سنة ٤٨٨هـ خبرًا عنه، فقد ذكر هذه الحكاية في «الجذوة»، ونصّ ابن خلكان على نقلها عنه. ثم إن تميمًا هذا هو ابن المعز بن باديس وليس أباه، كما وَهِمَ ابن خلكان. ويبدو أن المغتربين عن بغداد، كانوا يجدون في هذه القصيدة لذة واسترواحًا، لما تصور من الحزن على فراقها، والتشوق إليها، وعلى هذا كان غناء هذه الجارية التي حملت إلى مصر قسرًا، وحرص ذالك البغدادي الذي قصد الأندلس متكسبًا، على نسخ هذه القصيدة وحملها معه في غربته. أما الصفدي[١٦] فقد ذكر معارضة أحد الشعراء (لعينية ابن زريق المشهورة) ثم لم يذكر غير أولها.

٧- وتبدو الصورة أكثر وضوحًا، وأشد اكتمالًا عند السبكي، فقد ذكر منها ٣٨ بيتًا، نقلًا عن أبي سعد السمعاني في ذيله على «تاريخ بغداد»، وبدأ حديثه بقول مأثور لابن حزم، وهو (من تختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل ظرفه)[١٧].

وعقب السبكي على هذا، بقوله: (قلت: وقصيدة علي بن زريق الكاتب، غراء بديعة)[١٨]، ثم ذكر سند سماعه لها، بما نصّه: (أخبرنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الخباز، قراءة عليه، وأنا أسمع، أخبرنا أبو الحسن بن البخاري... وأبو العباس أحمد بن شيبان الشيباني... وزينب بنت مكي الحراني، إجازة، قالوا: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد، أخبرنا أبو

إسحق إبراهيم بن محمد الغنوي، أنشدنا أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي، أنشدني: أبو غالب محمد بن أحمد بن بشران بن سهل الواسطي، المعروف بابن بشران، بواسط، أنشدني الأمير أبو الهيجا، محمد بن عمران بن شاهين، أنشدني علي بن زريق، أبو الحسن الكاتب البغدادي، لنفسه...)[١٩].

ولاأعتقد أن القارئ يطمح إلى أكثر من هذا التوثيق، وهذه الدقة، فالسبكي ينقل عن السمعاني، والسمعاني عن شيخه الخباز الذي سمع القصيدة عن ثلاثة طرق، لثلاثة من مشايخه (البخاري، والشيباني والحرانية)، تلتقي كلها عند طريقين لابن طبرزد والغنوي، اللذين سمعا عن أبي عبدالله الحميدي عن ابن بشران الواسطي عن الأمير أبي الهيجاء عن (علي بن زريق أبوالحسن، الكاتب البغدادي، لنفسه).

وهذه أول رواية اكتملت لها شروط التوثيق، في دقة الإسناد، والنص صراحة على أسماء الرواة، وفيهم عدد من المشاهير كالسمعاني، والحميدي الأندلسي صاحب كتاب «جذوة المقتبس»، وهو رجل أقام بالعراق، ولقي شيوخه، وألف فيه كتابه المذكور، تعريفًا لأهل العراق بعلماء الأندلس وأدبائها[٢٠]، أما ابن بشران الواسطي، المتوفى سنة ٤٦٢هـ، فقد وصفه ياقوت بقوله: (أحد الأئمة المعروفين، والعلماء المشهورين، تجمع فيه أشتات العلوم، وقرن بين الرواية والدراية، والفهم وشدة العناية، صاحب نحو ولغة، وأخبار ودين وصلاح، وإليه كانت الرحلة في زمانه، وهو عين وقته وأوانه، وكان مع ذالك، ثقة ضابطًا، محررًا حافظًا)[٢١] وهو ينقل عن الأمير أبي الهيجاء الذي كان من وجوه العراق، وأعيان أصحاب الأمير حسام الدولة العُقَيلي[٢٢]. صاحب الموصل (المتوفى سنة ٣٩١هـ)، وهو ثاني من نصّ صراحة على اسم الشاعر وكنيته ولقبه ومهنته (علي بن زريق، أبو الحسن، الكاتب البغدادي) وأول من ذكر رؤيته له ولقاءه به، وسماعه القصيدة عنه.

ثم إن السبكي، بعد مقدمته هذه، وذكره للقصيدة، عقب بعدها قائلًا: (وذكر

ابـن السمعاني، لهذه القصيدة، قصة عجيبة، فروى بسنده: أن رجلًا من أهل بغداد، قصد أبـا عبدالرحمن الأندلسي، وتقـرب إليه بنسبه، فأراد أن يبلوه ويختبـره فأعطاه شيئًا نزرًا... إلخ)[٢٣] ثم يستمر في سرد بقية القصة، علـى ما رواها قبله ابن السراج في «المصارع» أي أن السمعاني والسبكي لـم يربطا أيضًا بين بطل القصة المجهول وابن زريق، غيـر كونه كتب قصيـدته وحملهـا معه إلى الأنـدلس، إعجابًـا بها، ولـم يذكـرا أنه قصد الأميـر بقصيدة مديح، وإنمـا تقرب له بنسب مشتـرك بينهما. وإلا فكيف يصح أن يكـون ابن زريق صاحب السفـرة، ويموت في الأندلـس كمدًا، ثم يلقى الأمير أبا الهيجاء ببغداد، بعدها، وينشده قصيدته المشهورة.

ولعل من المفيد أن نشير هنا، إلى أن الحميـدي (المتوفى سنة ٤٨٨هـ) والذي روى القصيدة عن ابن بشران، كان قد ذكر فـي كتابه «جذوة المقتبس»، عددًا كبيرًا من الأدبـاء المشارقـة، الـذين زاروا المغرب والأنـدلس[٢٤]، ولم يذكـر ابن زريق بينهم، ولو كان قـد زارها، لما فاته ذكـر ذالك من خبره، مع معرفته السابقـة باسمه وشعـره، كمـا لم يذكـره المقـرّي في «نفح الطيب»، على كثـرة الـذين ذكـرهـم من وافدي المشرق على الأندلس[٢٥].

٨- ويتبع ابن حجة الحموي، طريقة السبكي، فيذكر أربعين بيتًا من القصيدة، ويقدمهـا بإسناد طـويل يبدأ بشيخه أبي العبـاس أحمد بن إبـراهيم، وينتهي بابن زريق البغـدادي، مـرورًا بـالـرواة الـذين ذكـرهـم السبكي، من قبل، وهم البخـاري والشيباني والحرّانية، وابن طبـرزد والحميدي وأبو الهيجاء[٢٦]، ثم أضاف إلى هذا طريقًا آخر، وهو رواية القصيـدة عن (جماعة بالمغرب)[٢٧]. والحق أن ابن حجة، لم يذكر السفرة الأندلسية، ولم يشـر إليها، ولم يضف جديدًا إلى ما ذكره السبكي، غير أنه زاد عليه بيتين اثنين فقط، مع اختـلاف يسير في روايتها بينه وبين السبكي، وهو ما أشار إليه محققا كتاب «طبقات الشافعية الكبرى».

٩- وآخر من ذكر القصيدة من القدماء، العاملي في «كشكوله»، وقدمها بقوله: (هـذه قصيـدة ابن زريق البغـدادي)[٢٨]، وذكـر أربعين بيتًـا منهـا، دون سنـد، أو تعريف بالشاعر، أو ذكر للسفرة الأندلسية.

ونقل مثل هذا، ابن معصوم المدني، في «أنوار الربيع»، إذ ذكر ٣٧ بيتًا منها، وسمى صاحبها (الأديب محمد بن زريق الكاتب البغدادي)[٢٩]، وتفرد مصدر متأخر، وهو «نفح الأزهار» لشاكر البتلوني، بذكر اسم الأمير الأندلسي الذي قصده الشاعر البغدادي، وهو (أبو الخيبر عبدالرحمن الأندلسي)[٣٠] ولم أجد من ذكره بهذا الاسم من القدماء، وقد ذكر البتلوني (١٢٩٣هـ) قصة السفرة للأندلس وأثبت من القصيدة ٤١ بيتًا لأبي الحسن علي بن زريق البغدادي، ولم يذكر مصدر نقله لها. وعنه نقل الأستاذ الأثري وجماعته في كتاب «ديوان الأدب».

١٠ - ولعل القارئ الكريم، قد لاحظ معي أن الإشارة لاسم الشاعر وردت بصور مختلفة، في المصادر المتقدمة، وتابعها المعاصرون في هذا.

فهو (أبو محمد بن زريق الكوفي) عند الثعالبي، و (محمد بن زريق البغدادي) عند ابن خلكان وابن معصوم، وكذالك سماه السيد أحمد الهاشمي في «جواهر الأدب»[٣١]، والأستاذ الكنعاني في «شعراء الواحدة».

وهو (الزريقي) عند ابن ماكولا والسمعاني والسيد الزبيدي في «تاج العروس»[٣٢]، وهو (ابن زريق) عند السراج والصفدي[٣٣] والسيد الزبيدي أيضًا.

وهو (ابن زريق البغدادي) عند ابن حجة الحموي والعاملي. وهو (أبو الحسن علي بن زريق البغدادي) عند ابن النجار والسبكي، وكذالك سماه شاكر البتلوني و (برو كلمان) وجرجي زيدان ومحسن جمال الدين. وتفرد المرحوم الدكتور عمر فروخ، بتسميته (أبو علي الحسن بن زريق الكاتب الكوفي)[٣٤]، ولم أجد أحدًا من المتقدمين، ذكره بهذا الاسم، ولعل الدكتور وهم في هذا.

ومن المفيد أن نذكر هنا أن أحمد الهاشمي وشاكر البتلوني وجرجي زيدان و(برو كلمان) والأثري وجماعته وعمر فروخ ومحسن جمال الدين، لم يزيدوا شيئًا على ما ذكرته المصادر القديمة، وحرصوا على ذكر السفرة الأندلسية، وتوهموا أن

ابن زريق صاحبها، وأنه قال قصيدة في مدح أمير أندلسي[٣٥]، وعلى هذا أدخله الدكتور جمال الدين في الأدباء البغداديين الذين قصدوا الأندلس.

ولم يذكر الدكتور فروخ مصادر لدراسته، غير «يتيمة الدهر»، ثم خالفها في كل ما ذكره عن الشاعر.

ونشر الدكتور جمال الدين صورًا لمخطوطة القصيدة العينية الموجودة في (مكتبة الجامعة المستنصرية). أما (برو كلمان) فقد دل على مصادره، وذكر مخطوطات القصيدة، وأسماء من عارضها وخمسها وشطرها من الشعراء، وذكر أن لابن زريق أرجوزة في الأخلاق مخطوطة ببرلين، وقد ترجمها المستشرق (ديالز) وشطرها شاكر أباظة[٣٦]، وطبعها بالقاهرة سنة ١٣١٣هـ ولعل في هذا ردًّا على سؤال الأستاذ الكنعاني عن بقية شعر ابن زريق.

أما كتب الاختيارات الشعرية المعاصرة[٣٧]، ومعظمها كتب مدرسية للناشئة، فلم تقف على سيرة الشاعر، ولم تلتفت إليها، ولم تذكر من القصيدة إلا تلك الأبيات الرقيقة الحزينة التي تتحدث عن جمال الحبيبة، والاضطرار إلى مفارقتها، والتشوق لبغداد والحنين إليها، وأعرضت عن كثير من الأبيات التي غلب عليها طابع الحكمة والتأملات العقلية، والاستسلام اليائس لقضاء الله وقدره.

وقد ظن بعض الناس، أن (فلك الأزرار) المذكور في قوله:

استودع الله في بغداد لي قمرًا ... بالكرخ، من فلك الأزرار مطلعه

ظنوه موضعًا من مواضع بغداد، ومحلّة من محالّها، وتساءل بعضهم: أين تقع اليوم من خطط الكرخ ومواضعه.

والحق أن (من فلك الأزرار مطلعه) جملة تامة مستقلة قائمة بذاتها، غير مرتبطة بالكرخ قبلها. فقد تم الكلام بقوله: (استودع الله في بغداد لي قمرًا بالكرخ) ثم استأنف قائلًا: (من فلك الأزرار مطلعه)، وقد ورد تفسيرها في «مصارع

العشاق»، على هذا النحو: (فلك الأزرار: استعار الفلك لجيب قميص الموصوف) الطـالع وجهــه من بين أزراره، وجعل الأزرار كنجــوم لهـذا الفلـك، وفي البيت، استعارة مجردة، واستعارة مرشحة)[٣٨].

١١- ونحن نعتقـد أن صاحب هـذه القصيـدة، هو أبـو الحسن علي بن زريق البغدادي، من كتاب الديوان، ببغداد، بشهـادة الأمير أبي الهيجاء، الذي سمع عنه قصيدتـه، ونقلها لابن بشران الـواسطي. وربما كـان هو نفسه أبـا محمد بن زريق الذي ذكره الثعالبي، ووهم في كنيته، أو لعله أخوه، أو أحد أفراد أسرته.

وإذا صح أن جاريـة بغدادية، غنت بشعره لـلأمير تميم (المتوفى سنـة ٣٧٤هـ) وإذا افترضنا أن ذالك كان سنة ٣٧٠هـ، وأن الشاعـر قال قصيدته أول شبابه، وعمره عشرون سنـة، فنحن نفترض على هذا أن ولادتـه كانت في حدود سنـة ٣٥٠هـ. وأن العمر امتد به إلى منتصف القرن الخامس، تقريبًا، مما لا يتعارض مع رواية الثعالبي (٤٢٩هـ) للقصيدة، وأن الأمير أبا الهيجـاء سمعها منه ورواها لابن بشران (٣٨٠ - ٤٦٢هـ) في أوائل القرن الخامس الهجري، أو قريب من ذالك، كما أنه لا يتعارض مع ما ذكره ابن بشكوال في «الصلـة»، من أن مكي بن أبي طالب (٣٥٥ - ٤٣٧هـ) ذهب إلى الحج، ورأى أبـا الحسن بن زريق البغدادي بمكـة، وقرأ عليـه[٣٩]، ولعل ذالك كان أيضًا في العقد الثاني أو الثالث من القرن الخامس.

وبعـد، فلعلنا وفقنـا إلى الكشف عن ابن زريق، وتـوثيق وجوده، وبـددنا شكـوك بعض الباحثين في أمره. وأنا مدين بهذا البحث كله، لأستاذنا الدكتور علي الزبيدي، الذي أثار مشكلة ابن زريق وقصيدته، ودعا الباحثين إلى تحقيقها ودراستها.

والله الموفق للصواب، وله الحمد مبتدأ وختامًا.

د. محسن غياض عجيل

أستاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد

الحواشي:

(١) «في الأدب العباسي»، د. علي الزبيدي ٧١.
(٢) «شعراء الواحدة» ٩٣ - ٩٤.
(٣) «في الأدب العباسي» ٧٢.
(٤) «شعراء الواحدة» ٩٣.
(٥) «المنثور والمنظوم» لابن طيفور ٨٠، ٩٧، ١٠٣، ١٢٢.
(٦) «حكاية أبي القاسم البغدادي» ٨١، و «الإمتاع والمؤانسة» ٢/ ١٦٦.
(٧) «يتيمة الدهر» ٢/ ٣٧٧ و «ديوان الوأواء» ٧٣.
(٨) «الإكمال» لابن ماكولا ٤/ ١٥٢.
(٩) «الأنساب» للسمعاني ٦/ ٢٩٢ و «تاج العروس» (زرق).
(١٠) «مصارع العشاق» ١/ ٢٣.
(١١) نفسه ١/ ٢٤.
(١٢) نفسه ١/ ٢٣.
(١٣) «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار ١٨٩.
(١٤) نفسه ١٨٩.
(١٥) «وفيات الأعيان» ٥/ ٣٣٨.
(١٦) «الوافي بالوفيات» ٦/ ٢٨٥.
(١٧) «طبقات الشافعية الكبرى» ١/ ٣٠٨.
(١٨) نفسه ١/ ٣٠٨.
(١٩) نفسه ١/ ٣٠٨.
(٢٠) «جذوة المقتبس» ٤ (المقدمة)، ٣٩٠.
(٢١) «معجم الأدباء» ٦/ ٣٣٠.
(٢٢) «وفيات الأعيان» ٥ / ٢٦١، و «النجوم الزاهرة» ٤/ ٢٠٣.
(٢٣) «طبقات الشافعية» ١/ ٣١١.
(٢٤) «جذوة المقتبس» ٢٦٣.
(٢٥) «نفح الطيب» ٦/ الباب الرابع.
(٢٦) «ذيل ثمرات الأوراق» ٢/ ٢١٠.
(٢٧) نفسه ٢/ ٢١٠.
(٢٨) «الكشكول» للعاملي ١/ ١١٨.
(٢٩) «أنوار الربيع» لابن معصوم ٤/ ١٧٨ - ١٨١.
(٣٠) «نفح الأزهار» للبتلوني ٥.
(٣١) «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي ٢/ ٣٧١.
(٣٢) «تاج العروس» (زرق).
(٣٣) «الوافي بالوفيات» ٦/ ٢٨٥.
(٣٤) «تاريخ الأدب العربي» لعمر فروخ ٣/ ٩٠.
(٣٥) «نفح الأزهار» للبتلوني. ٥ / ٧ و «جواهر الأدب» ٢/ ٣٧١ - ٣٧٣. و «تاريخ الأدب العربي» لبرو كلمان ٢/ ٦٦ - ٦٧، و «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان ٢/ ٢٦٧، و «تاريخ الأدب العربي» لعمر فروخ ٣/ ٩٠، و «ديوان الأدب» للأثري وجماعته ١٠٤، و «أدباء بغداديون في الأندلس» لمحسن جمال الدين ٢٤ - ٣٤.
(٣٦) «تاريخ الأدب العربي» لبرو كلمان ٢/ ٦٧.
(٣٧) مثل كتاب «نفح الأزهار» للبتلوني ٥، و «ديوان الأدب» للأثري وجماعته ١٠٤ و «حب وبطولة» لسليمان العيسى ١٠٤.
(٣٨) «مصارع العشاق» ٢٤ (الحاشية).
(٣٩) «الصلة» لابن بشكوال ٦٣٢، و «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب ١/ ١٣ (مقدمة المحقق).

مع كتاب:

«أخبار فخّ وخبر يحيى بن عبدالله وأخيه إدريس بن عبدالله»

لأحمد بن سهل الرازي[1]

دراسة وتحقيق الدكتور ماهر جرّار. نشر دار الغرب الإسلامي، سنة ١٩٩٥م

هذا كتاب صغير لقي فيه محققه عناءً شديدًا في تقويم نَصِّه، ذالك أنه اشتمل على روايات وأسانيد تشير إلى أخبار الحسين بن علي الفخِّي، وخبر يحيى بن عبدالله، وأخيه إدريس بن عبدالله، وفي هذا الكتاب روايات كثيرة وأسانيد مختلفة، تختلف في تفصيلها، لكنها تلتقي في مصاير هاؤلاء الثلاثة من أئمة الشيعة.

غير أن المحقق قد أغفل ذكر مصنِّف الكتاب، وكأنّ هذا الكتاب غُفُلٌ مجهول، لا يعرف صاحبه، وليس للقارئ منه غير قول المحقق فيه عرضًا عند الكلام على شيء من رواية المخطوطة وهو: (وثمة رواية واحدة في المخطوطة ترد عند الطبري، وكلا الرازيّ والطبريّ ينقل [كذا] عن مصدر مشترك، وكانا متعاصِرَيْنِ، فالطبريُّ توفي سنة (٣١٠/ ٩٢٢) وأحمد بن سهل الرازيّ توفي قريبًا من هذا العام، وهو يكبر أبا الفرج بجيل، وكلاهما يعتمد أحيانًا مصادر واحدة استطعت التعرُّف على بعضها، كما أن كليهما كان زيديًّا). التمهيد ص ١٧.

أقول: كان ينبغي أن يذكر المحقق في تمهيده، هذا شيئًا يتجاوز هذه العبارة العَرَضِيَّة، ذالك أن الدارس محتاج أن يعرف شيئًا عن هذا (الرازي)، أكان شيعيًا أم كان صاحب هوًى متشيّع، أم كان من الرجال الصلحاء الذين لم يستطيعوا أن يسايروا العباسيين ذوي السلطة؟

أقول هذا لأني مدرك أن جمهرة أهل العلم كانوا يؤيِّدون سرًّا أو جهارًا الثائرين على السلطة، وقد يكون لي أن استظهر بما كان من موقف أبي حنيفة النعمان من الإمام زيد بن علي ومحمد النفس الزكية، وقد يكون مثل هذا من ميل محمد بن إدريس الإمام الشافعي في صلاته مع الشيعة وأخذه عنهم.

قلت: وأنا محتاج كغيري أن أعرف هذا الرازي مصنّف الكتاب، الذي طوى المحقق الفاضل ذكره، ولو أن هذا المصنّف من المشاهير كالجاحظ مثلًا لكان له بعض الحق في طيّه، ثم إن المحقق لم يُشر إلى ماكان منه في إغفال ذكر المصنف مع علمه أن خاصّة الخاصّة هي التي تعرف اليسير اليسير عنه. لم يفعل المحقق هذا وترك الأمر.

وإني لأقول هذا حين وقفت على صنعة المحقق، ورأيته من أهل الجِدّ، قد أقبل على عمله إقبال المنصرفين إلى العلم، فقد شغل (تمهيده) الذي قدّم به الكتاب أكثر من مئة صفحة من عدة صفحات الكتاب التي هي (٢٧٣) صفحة.

إن المحقق مدرك صنعة المحققين وما يكون منهم في بسط الفوائد الضرورية من سِيَر المؤلفين ليخلصوا منها إلى فوائد أخرى. تتصل بالنصوص المحقَّقة، ولكنه لم يصنع صنيعهم.

ثم أتحوَّلُ بعد هذه الوقفة القصيرة للإشارة الموجزة التي وصل بها المحقق بين الطبري والرازي التي أَثْبتها في هذا الموجز فأقول: ليس لي أن أقطع كما ذهب المحقق بكون الطبري والرازي أخذا من مصدر مشترك، ذالك أني أرى أن أبا جعفر الطبري مؤرخ شهد له أهل العلم بصنعته، فأنا أرى أن يكون هذا الرازي الذي لا يعرف المحقق عنه إلا القليل القليل قد أخذ عن الطبري، هذه واحدة، وأخرى كيف يكون الرازي معاصرًا للطبري مع اطمئنان المحقق إلى أن صاحبه الرازي كما قال: (تُوفي قريبًا) من تاريخ وفاة الإمام أبي جعفر الطبري وهو (٣١٠هـ)؟ إن هذه العبارة مما لا تسمح لنا أن نذهب إلى هذا.

وإذا كان المحقق الذي لم يعرف إلا القليل مما يتصل بالمؤلف الرازي، فكيف أدرك أنه زيديٌّ وإذا صح هذا، وأنا أحد الدارسين الذين لا يعرفون هذه الفائدة، كان ينبغي له أن يشير إلى مصدر هذه المقولة.

وأترك هذا لأعود إلى عبارة المحقق ثانية في قوله: (وهو يكبر أبا الفرج بجيل)

وأقـول: ما مكـان هذه العبـارة وهـو يتحدث عن الـرازيّ والطبـري؟ ثم يعود فيقـول: (وكلاهما يعتمد مصادر واحدة استطعت التعرف على بعضها). أقول: كنت أطمح أن يسخو المـؤلف في حاشيـة واحدة على سخـائه في الحواشي فيشيـر إلى بعض هذه المصادر كما أفاد؟ إن قوله:(وكلاهمـا يعتمد...) بعد إشارته المعترضة التي لم أدرك وجـودهـا في هـذا السيـاق إلى أبي الفـرج، قـد يـوهم القـارئ أن لفظ (كـلًا) تخصُّ المؤلف الرازي وأبا الفرج. ولكنه حين ختم عبارتـه (أنهما زيديان) عرفنا أن المراد هو المؤلف الرازي والطبري، إن هذا قد يعرض لمن يكتب الذي تأخذه زحمة الفوائد إلى العجلة. غير أني أريد أن أعرف من أين كان لنا أَن نعدَّ الإمام الطبري زيديًّا؟

ثم ما معنى أن يكون الـرازي المؤلف يكبر أبا الفـرج، (بجيلٍ)، فما الجيل، وما مقداره[٢]؟

ثم أتحوّل إلى «أخبار فخ» في المخطوطة.

ومن حق العلم عليّ أن أشير إلى أن في (تمهيـد) الأستاذ ماهر جـرار درسًا فيه اجتهاد وإخـلاص، وكأن صاحبه يسعى إلى الوصـول إلى أشياء عزيزة عليـه. وهو في سعيـه هذا تأخـذه عجلة السـاعـي إلى العثور على الضـائع. غير أنـه قد ينـاله الإعياء بسبب أن (مرويات الكتاب) قد تختلف في الأمـر الواحد، وأن نهاية الخبر قد تختلف في بعض المرويات، وليس هـذا مما يوجّه إلى المحقق في (تمهيده)، بل إنه مما يُوجَّه إلى المؤلف الرازي.

إن المؤلف الرازي أحمد بن سهل قد يكون زيديًّا، وأن المحقق وقف على هذا في مصادر الزيـدية، وهو معنيّ برجـالهم وأخبارهم، غير أنه كسـائر مؤلفي الشيعة أو الذين تشيعوا فيما ورد من تصانيفهم، إنـه يورد الأخبار على اختلافها، وليس أمر الاختـلاف مُهمًّا فإنَّ عـامَّـة أخبار أولئـك المؤلفين تـرمي إلى بسط المظـالـم التي لحقت بالعلـويين من قريب أو بعيد. إن مـا لحق العلويين من ظلم الأمـويين منذ عهد أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم مـازاد عليه العباسيـون حمل الكثيرين

من غير الشيعة على الوقوف إلى جانبهم. ومن هنا كان لنا أن نجد لدى كثير من المعتزلة وغيرهم ميلًا إلى آل علي وشيعته[٣].

وليس للمؤلف لهذا أن يقف من رواياته موقف الناقد، فلا يَرُدُّ خبرًا لأنه قد يقترب من النقض لخبر آخر. وهو لا يعقب بشيء إن وجد لأنه يسعى إلى غايته. ولم ينل هذا الأمر من لدن صاحبي المحقق المجتهد عناية خاصة.

إن المحقق يسعى إلى أن يَضُمَّ إلى كتابه هذا كل ما وجده من أخبار فخّ إذا وجده مثلًا لدى أبي الفرج في «مقاتل الطالبيين» ولا يتوقف في ذالك ليرى أن الذي ذكره أبو الفرج قد يكون مما أفاده من كتاب المدائني في مصاير الطالبين ومقاتلهم.

وأعود إلى «أخبار فخ» فأجد المحقق يتعقب مصادر أحمد بن سهل الرازي فيقول[٤]: (كُتب لعمر بن شبّة وللمدائني، ولم نستطع أن نجزم إذا ما كانت نُقُوله عن المدائني تتم مباشرة أم عن طريق كتب عمر بن شبّة).

أقول: ما معنى كلمة (مباشرة)؟ إنه يأخذ مما كتب المدائني لأنه لم يدركه، ولعله لم يدرك ابن شبَّة.

ولا بُدَّ لي من وقفة أخيرة في الصفحة (١٣) من تمهيد الأستاذ المحقق في قوله: (كما تجدر الإشارة إلى أن هذين القرنين [أراد الأول والثاني] قد اتسما بصراعٍ مرير بين أطراف كانت تجمعها كتلة واحدة للمعارضة، أخذ كلٌّ منها بعد نجاح العباسيين في الاستيلاء على السلطة وفي تأسيس شرعيتهم، يحاول أن ينازعهم الشرعيّة المستمدة أساسًا من (كاريزما) النبي والدعوة، ومن فهم كل طرفٍ للتنزيل القرآني ودوره في مجرى التاريخ، كما يحاول أن يقف في وجه بناء مؤسسات الدولة التي سوف تخدم عملية استيعاب مفهوم (الكاريزما) في داخلها وتأطيره لتأمين استمراريتها وشرعيتها (Veralltaglichung Perpetuation).

أقول: من العلم أن يحرر الدارسون أبحاثهم بلغة يفهمها الناس المعنيون بالعلم، وهذه هي العربية المعاصرة بعيدة عن الرموز والإشارات القديمة. غير أني

وجدت صاحبي مقتصدًا شأنه شأن الدارسين الغربيين، فقد يكون لي أن أعفيه عن الدعاء بـالتصلية على النبي الرسول الكـريم. ولكني لا أعفيه أن يضيف إلى النبي هذه (الكـاريزمـا)، وإذا كان الأستـاذ الغربي (M. Weber)، قد قال هـذا في درسه (Socialogie 163 F.) فليس لصاحبي الأستاذ جرَّار أن يفعل هذا.

وكأني أرى أن الدارسين العـرب ممن شدا شيئًا من اللغات الغـربية يسعى إلى أن يخطف أبصـار قارئيـه ممن لا يعرف اللغـة الغربيـة بالـرموز الأعجميـة التي لا يفهمونهـا لينال غايتـه من رضاهم وليشمخ عليهم. فما (الكـاريزما) التي أضـافها صاحبي الأستاذ جرّار - رضي الله عنه - إلى النبيّ [كذا]؟

لقد هُرعت إلى المجمـوع الفرنسي الكبير "Les Langves du Monde" فلم أجد فيه بغيتي، ثم هُرعت إلى المعجم الفلسفي بالفرنسية ومثلـه بالروسية فوجدت: أن (الكاريزما)، مصطلح يستعمله كتّاب السياسة لإضفاء صفات البشر على العموم، وهي لـدى من يصفونهـم بالتفّـوق في سلـوكهم وخصائصهم، وأنهـم أهل زعامـةٍ ورياسة. غير أن استعمالهم لهذه الكلمة قد سـاء، فكانت مما يوصف بها الزعماء الذين نالوا ماهم فيه بأساليب خاصة، فكثر الرجال الذين ينعتون بهذه الكلمة.

أقول: أيكـون قارئُ كتابـه «أخبار فخّ» محتاجًـا إلى هذه الكلمة، وهل نـراه قد أدرك منها ما أدركه على نحو ما أراد المستشرق (M. Weber ؟).

ومن الخير أن أقطع رحلتي، وأُنهي الحديث عن (تمهيـد) الأستاد جرّار لأستقري نص الكتاب الـذي يبدأ بـالصفحة (١٣١) بعـد انتهاء المحقق من (تمهيـده) الذي انتهى منه بالكلام على الأصول المخطوطة.

أقول: لابد لمن يقدم على تحقيق نص قـديم أن يكون على صلة وثيقة بالنَّصّ، فـلا يحقق النَّصّ القديم في اللغـة أو الأدب أو التاريخ الإسـلامي إلى العارف بـه الذي مَرَن على قراءة الآثار القديمة. إنـه محتاج بعد معرفته لمادة النص إلى معرفة بالعربيـة تتيح له أن يفهم النَّصّ وما أراده صاحب النص، فقد يضطـرب عليه الأمر

إن لم تكن لـه هذه المعـرفة القـديمة، وإنـي في ضوء مـا قدَّمت سأستقـري نصَّ الكتاب فأقف على مالم يتضح لأخي الأستاذ جرار من وجوه القول فأقول:

١- جـاء في الصفحــة (١٣٢): (كـان بـدوّ خـروج الحسين بـن علي هـو أن الهـادي مـوسى بن المهـدي...). أقـول: إن تحقيق النص معنـاه وضع النص في حقيقته، وعلى هـذا ينبغي للمحقق أن يتحرّى الصـواب. والصواب هنا مـاكان في هـامش ص [و ص رمـز لإحـدى النسخ المخطــوطـة] الـذي أثبتـه المحقق في الحاشية رقم (٣) وهو: (كان بدء خروج الفخيّ علي بن الحسين..).

(البَدْءُ) مصــدر الفعل (بَدَأ) وهو المـراد الذي أراده المؤلف وليس (بـدوّ) كما أثبتـه المحقق وارتضاه لأنـه من النسخة التـي رآها جيـدة كما بـدا له. إن (البـدوّ) بتشديد الباء مصدر (بَدَا يبدو) وليس بنا حاجة إليها.

٢- وجاء في الصفحة (١٣٣) في الحـاشية رقم ١ في الكلام على (مُتَعْتَع) التي جاءت في النص في السطر الأول، فقال المحقق في هذه الحاشية: (وتَعْتَعَه إذ عَتَلَه وأقلقه وتلَّه) وهذا من المخطوطة (ر). أقول: والصواب: إذا عَتَلَه.... وليس (إذ).

٣- وجاء في الصفحة (١٣٤): (... وإن لم يركب إلى سُـوَيقة فيُخرِّبها ويأتي بنسائهم حُسَّـرًا). أقول: والصــواب (حُسْرًا) جمع حاسـرة أي حاسـرات الرؤوس، وليس (حُسَّرًا) بتشديد السين لأن هذه جمع (حاسر) وهي صفة لمذكر مثل ساجد وجمعها سُجَّد، وراكع وجمعـه رُكَّع. أقول: هذا وغيره مما قلت من وجـوب معرفة المحقّق للعربية.

٤- وجـاء في الصفحة (١٣٧): (... ثم جـاءهم بعـدُ من أفنـاء الناس من لـه بصيـرة ومائرة [كـذا] نحو من خمسين رجـلًا، أقول: والصــواب (مأثرة) وهـذا في مخطوطة م كما أثبت المحقق في الحاشية ٣.

ولا أدري كيف ذهب صاحبي الأستاذ جرّار إلـى (المائرة) التي لا مكان لها في هذه الجملة.

٥- وجاء في الحاشية رقم ١ من الصفحة (١٣٨) شيء عن «الحدائق الوردية» (مخطوطة): (أن يحيى بن عبدالله هو الذي صاح بالمؤذّن وقال: أذِّن بحيّا على خير العمل..) أقول: والصواب: (حيَّ على خير العمل. و (حيَّ) بمعنى (هَلُمَّ)، وقد قال أهل العربية: إنّها اسم فعل أمر مثل هيَّا وتعال، وغيرها.

وهذه أصول لغوية بمعنى أفعال ولكنها لم تتصرَّف، وقد جعل النحاة من هذه (هات)، وهي فعل بمعنى آتِ، وقد عرض لها البدل بين الهمزة والهاء، وهذا كثير في العربية، ألم نقلْ: هلّا وألّا، وهَلا وألا.. وأعود إلى الخطأ في (حيّا على خير العمل) في المخطوط الذي لم يفطن له المحقق فأقول: إن ما أراده يحيى بن عبدالله أن تكون في الأذان هو شيء درج عليه الشيعة في أذانهم للصلوات بعد نداء المؤذّن بـ (حيَّ على الفلاح). أقول: ولم يفطن المحقق لهذا مع أنه رجل مسلم قرأ شيئًا من التراث الشيعيّ، ولكنه لم يعرف أدب الشيعة الخاص بهم. وكأنه من أهل بلد ليس فيه شيعة كفلسطين. وهذه الزيادة في الأذان يعرفها من عايش الشيعة في جنوبيّ لبنان وفي جهات واسعة في العراق أهلها شيعة، وفي عامة بلا إيران. ومازال المتشدّدون من أهل اليمن الزيديون يذكرونها في الأذان. وكأن المحقق لا يعرف ما أحدث الشيعة الصفويون في إيران من ضم شهادة إلى الأذان بعد الشهادتين وهي: أشهد أن عليًّا وليّ الله، ومنهم من يزيد فيقول: بالحقّ وليّ الله. وليس هذا معروفًا لدى الزيدية في اليمن.

٦- وجاء في الصفحة (١٤٠): (... فانحاز أصحاب الحسين جميعًا ناحيةً إلا ولد أبيه). أقول: والصواب: وَلَد أبيه، والوَلَد في العربية مفرد ومُثَنّى وجمع، وليس لنا (ولدْ).

٧- وجاء في الصفحة (١٤٢): (قال أبو عبدالله: وبايع الحسين نحو من ثلاثين ألف رجلٍ من أهل البصائر والنيّات والمشهورين بحمل الديانات).

أقول: وكأنّ الكلام في خلافة موسى الهادي الخليفة العباسي، فأنا أتساءل

ومعي غيري من القرّاء: مَن أبـو عبدالله هذا؟ والحاجة إلى معـرفته ذات فائدة. ألم يكن من واجب المحقق أن يفي بهذه الحاجة؟

ثم إن (النيّـات) لا مكـان لهـا في النَّـص، والصـواب: مـا ورد في (ص) وهـو (الثبات) الـذي استبعده المحقق واختار (النيّـات) التي لا تفيد. أقـول: إن صنعة المحقق إثبات الصواب لا الكلمة المعدولة عن جهتها.

٨- وجاء في الصفحة (١٤٨): (... فوالله إنْ لو لـم أجد أجد غيري لحاكمتهم إلى الله...). أقـول: والصواب: فـوالله أنْ لو لـم أجد.. إنَّ (أَن) هنـا هي المطلوبـة وهي مخفّفة من الثقيلة وتأتي قبل (لو)، وهذا معروف مشهور.

٩- وجـاء في الصفحـة (١٤٩): (ويظـاهرون أهل الـرَّيب والـردى..) أقـول: (الـردَى) بمعنى الهلاك، ولا معنى لهـا هنـا، والصواب: و (الـرَّدَّى) ومعنـاها هنـا التردد، وهو المُراد.

١٠- وجـاء في الصفحة (١٥٣): (... كـان محمد بن سليمـان... قال: فلمـا تصافُّوا بفخّ خَرَج محمد من عسكر المسوّدة).

أقول: قوله: (تصافّوا) أي وقفوا في (المصـافّ) وهو ساحة القتال، والكلمة من الكلمات الجديدة في العصر العباسي لهذا الغرض الفنيّ الخاصّ.

١١- وجاء فـي الصفحة (١٥٦): (.. حتى صلحوا مـن جراحاتهم وبـرئوا من كَلِمِهم [كذا]). أقول: والصواب: وبَرَأُوا من كلومهم جمع (كَلْم) بمعنى الجرح.

١٢- وجاء في الصفحة (١٥٨): (ثم خرج يحيى وإدريس من الحبشة، فقدِمَا فَـرَعَ المِسْوَر ليـلًا، فأقـامـا به زمنًـا يتشـاوران إلى أين يخـرجان وأي بلـد يحملهم ويُخفيهم..). أقـول: كان ينبغي أن يُعـرّف المحقق بـــ (فَرَع المِسْـوَر)(*) وهو اسم موضع. ثم إن الصواب:(وأي بلد يحميهما ويُخفيهما) وليس (يحملهم).

١٣- وجاء في الصفحـة (١٦٣): (قال هارون: [أي الرشيـد]، وكأنه أوحى إلى أن يكون كـان [كذا] فيهم ولم يصرِّح بذالك)، أقـول: والمعنى لا يتّجه لشيء، ولم

يُشر المحقق إلى هـذا الإشكال. ولعله: (وكأنّه أوحى إلى أن يكـون (فكان) فيهم، ولـم يصّرح بذالك).

١٤- وجـاء في الصفحـة (١٦٥): (.. فإنـه مـن شجـرةٍ بـاسقـة الفـرع... تَنطِف الندى... لا يُنْقِص ثمارها...). أقول: والصواب: تنطف بالندى.... لا يَنْقُص ثمارها.

إن الفعل (نطف) يصل إلى مدخوله بـالباء، والفعل (نَقَصَ) يتعدّى ولا يتعدَّى أما (أنْقَصَ) فعربية جديدة.

١٥- وجـاء في الصفحـة (١٦٦): (.. واجعَلُ حبَّـك إيّـاهم حبًّـا دائمًـا بغيـر تقصير ولا إفراط ولا احتـراق ولا اختلاق). أقول: والصواب: ولا اختـراق (بالخاء) ولا اختلاف. ولا موضع للاحتراق هنا.

١٦- وجـاء في الصفحة (١٦٧): (.. فـإن كنتَ كذالك لحقتَ بـأهل الولايـة الباطنة والـمودة الواثنة). أقول: والصواب: المـودة الواتنة (بالتـاء) بمعنى الدائمة الثابتة ولا موضع للواثنة (بالثاء).

١٧- وجاء في الصفحة (١٦٨): (فهم مثل من خلا مَنْ قبلهم مسَّتهم البأساء... ونالهم المكروه... امتُحِنوا بعظيم المحن... فصبـروا الله على ما امتَحَنَهم به). أقول: والصواب أن تعطف بالواو جملة (امتُحِنوا بعظيم المحن)..

ثم إن الصبر لله فيجب أن تكون العبارة: فصبروا لله، وليس صبروا الله!!

١٨- وجـاء في الصفحـة (١٧١): (على أنـه إذا جـاوز رأس الجسـر ربط في وسطه كشتبـر ويقول إنـه يهوديّ). أقـول: لقد علق المحقق على كلمـة (كشتبر)، وأشار إلى ورود شيء مثل هذا في كتـاب «أخبار الدولة العباسيـة»، وقد انتهيت أنا إلى إن الكلمة قد تكون مصحفة عن (كَمَر) الكلمة الفارسية بمعنى (الحزام).

١٩- وجاء في الصفحة (١٧٥) و (١٧٦): (الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعـه، وعاقبـة السوء لمن عَنَد [كـذا] عنه). أقول: لعل الصـواب: وعاقبـة السوء لمن ابتَعَدَ عنه.

٢٠- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (أما بعدُ فإني ادعوكم إلى كتاب الله... وإلى العَدل في الرعيّة والقَسَم بالسويّة).

أقول: والصواب: (القَسْم)، وهذا هو مصدر الفعل (قَسَمَ)، فأما (القَسَم) بفتحتين فهو الحَلْف.

٢١- وجاء في الصفحة (١٧٧): (ولا يُؤيسنَّكم من علوّ الحق وإظهاره، قلّة أنصاره، فإن فيما بُدئ به من وحده النبيّ ﷺ، والأنبياء الداعين [كذا] إلى الله قبله، وتكثيره إيّاهم بعد القلّة).

أقول: في هذا الكلام إغماض وإشكال فلا يعرف القارئ منه المراد الواضح، ولكن المحقق لم يتوقف فيه، ولم يُشر إلى شيء من ذالك.

٢٢- وجاء في الصفحة (١٧٩): (فأين عن الله تذهبون، وأَنَّى تُؤفكون). أقول: وقد عَلَّق الأستاذ جرّار على قول المؤلف (وأنّى تُؤفكون) فقال: (تعبير قرآني ورد أربع مرات في القرآن). وتعليق المحقق هذا لو أنه تعليق أحد الدارسين من غير المسلمين لكان لي وجه في قبوله!!.

٢٣- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (واعلموا معاشر البربر أوتيتمُ وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد). أقول: ما معنى (أُوتيتمُ) هنا وما موضعها؟ وإني لأَرَى أن ما جاء في المخطوطة (ر) وهو: (إنّي ناديتكم) له مكان مناسب. والذي في «الحدائق الوردية» (إنكم أويتم) له وجه أيضًا. والمحقق يذكر هذا في حاشيته رقم (١٠) ولا يفيد منه. وأقول أيضًا: إن هذا ورد في رسالة لإدريس بن عبدالله كتبها لقبائل البربر من أهل شلف وتاهرت وزناتة وزواغة وصنهاجة ولواتة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ولا أدري كيف استقبلوها وهم يجهلون العربية في تلك الحقبة جهلًا تامًّا، وربما بقوا على جهلهم بها طوال قرون.

٢٤- وجاء في الصفحة (١٨٢): (لما رأى إدريس رغبة من معه في الجهاد نَدَبَهم إلى قتال الخوارج، عبدالوهاب بن رستم). أقول: وجود عبدالوهاب بن

رستم هنا لا يشير إلى شيء، غير أننا إذا عرفنا سياق الخبر وأن القيادة العباسية في إفريقيا تخشى لو ظفر إدريس بابن رستم، كان لنا أن نصحح العبارة فنقول: (ندبهم إلى قتال الخوارج وصاحبهم عبدالوهاب بن رستم) أو شيء يقرب من هذا.

٢٥- وجاء في الصفحة (١٨٦): (فاستعمل [هارون الرشيد] هرثمة بن أعين، وكان أشدَّ رجل في عصره، وأحسنهم تدبيرًا في الحرب، وأكدَّ عليه في الحيلة في إدريس في السُّمّ). أقول: والصواب في (السَّمّ) بفتح السين فالمصدر هو المطلوب هنا.

٢٦- وجاء في الصفحة (١٨٩): (وأقام [يحيى بن موسى] في القيروان ووجّه رسولًا يأخذ له الأمان من الرشيد، وعزم إن تعذّر عليه الأمان منه أن يأخذ الفلاة والرمال). أقول: وأرى أن مافي (ص) أوجه مما أثبته المحقق وهو: (إن أخذ العلاب والرباب)، لأن العلاب والرباب مما يُقدَّم ألطافًا للاسترضاء.

٢٧- وجاء في الصفحة (١٩٥) البيت:

ومازالت جبالك تَطَّئية [كذا] وتُرهقه الوعور إلى الوعور

أقول: ولا معنى لـ (تطَّئية)، ولا أدري كيف أثبتها المحقق، وكيف نظر إلى الوزن. وعلى هذا يكون الصواب: (تَطَّبِيْهِ) والفعل (اطَّبى) بمعنى قادَ، والمعنى مستقيم وكذالك الوزن.

٢٨- وجاء في الصفحة (١٩٩): (وضمن له أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم قُفْلة). أقول: والدرهم كما هو معروف فضّة، والدينار ذهَبٌ، فأمّا كلمة (قفلة) فهي ترد في مصادر العصر العباسيّ وتعني الفضّة.

٢٩- وجاء في الصفحة (٢٠٠): (.. وهو معتصم بما وكدّ له الديمليّ). أقول: ورد (الديمليّ) هذا هنا ولم يرد إلّا في هذه الصفحة من الكتاب، ولا أدري أيكون (الديلمي) أم غير هذا؟

٣٠- وجاء في الصفحة (٢٠٨): (... فكان أوّل من أجابه جدُّ محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس... وأولاده، فخرَجَ - زَعَم - [كذا] يقوم بدعوته حتى خدع

إليه طوائفًا). أقول: ما معنى زَعَم هنا؟ ألم يسأل المحقق نفسه ما المراد من الكلام بوجود (زعم) فيـه؟ وقد أثبت المحقق في الحاشية ٧ ماجاء في «الحـدائق الوردية» وفيه: بزعمـه، وفي «أخبار أئمة الزيدية»: (ابن عمـه). أقول: وكأني أتقبّل ما ورد في «الأئمة الزيدية» وروايته تصلح الأمر وتنفذ المحقق. ثم أيكون لنا أن نقبل أن يكون اللحن الكبير على لسان هذه الصفوة المتقدمة فيجيء في كلامهم: (طوائفًا)!!

٣١- وجـاء في الصفحة (٢١١): (فكم من عينٍ طـال ما غمضت عن محـارم الله... وبكت... قد أسحَّهـا بالعبرات... وسملها بـالمسامير فألصَقَها بـالجُدرات المرصوفة). أقول: ليس في العربية (الجدرات)، وهي (الجدران) جمع جدار.

٣٢- وجـاء في الصفحـة (٢١٢): (فأكلتُمـانا أكـل الربـا). أقـول: ومـا معنى (الرباء)؟ إنها (الدَّبَا) كما في النسخة م ص التي أثبتها المحقق في الحاشية (٦).

٣٣- وجاء في الصفحـة (٢١٤): (إنّي إذن لدنيٌّ الهمّـة، لئيم الرغبـة). أقول: والصواب لـدنيء الهمة، بالهمـزة. لقد جهل المحقق أن الهمزة لا تكـاد تُرسَم في المخطوطات عامّة.

٣٤- وجاء فـي هذه الصفحة أيضًـا: (أفأبيع خطيري بمـالكم، وشَرَف مـوقفي بدراهمكم). أقـول: والذي في المخطوطـة (ص) أولى وهو (خطر مقـامي) ويدلّ عليه الذي بعده وهو (وشرف موقفي بدراهمكم).

٣٥- وجاء في الصفحة (٢١٦): (قال أسيـر إلى جستان بجمع من وجوه دستبا وقزوين وزنجان). أقول والصواب: دَسْتَبَى (وهي كورة مقسومة بين الرَّيّ وهمذان). «معجم البلدان».

٣٦- وجـاء في الصفحـة ٢٢٠ في الحـاشيـة ٨ في شـرح (الهَبِيْـد) (الهبيـد: الحنظل يُكسَر ويُستَخـرج حَبُّه ويُنقَع لتـذهيب مرارتـه ويُتَّخذ منـه طبيخ)، أقول: والصواب: لتذهب(*).

٣٧- وجـاء في الصفحـة (٢٢١): (لا تُحلّون حـلالًا ولا تحـرِّمـون حرامًـا ولا

تخافون آثامًا). أقول: والصواب (أثامًا) والكلمة مفردة، وكذا وردت في لغة التنزيل بمعنى الإثم.

٣٨- وجاء فيها أيضًا: (الثمج بالمثلة [كذا] والجيم: التخليط. أقول: والصواب: بالثاء والجيم.

٣٩- وجاء في الصفحة (٢٢٢): (ورَأَب بيُمنه ما انصَدَعَ من (شِعْبكم) [كذا]. أقول: والصواب: (شَعبكم) بفتح الشين، وهو المصدر للفعل (شَعَبَ).

٤٠- وجاء فيها أيضًا: (ومَرَى ضَرْعها بيمين كَفّه فأحفَلَت أخلاقها)، أقول: والصواب: أخلافُها بالفاء جمع (خِلْف) للناقة.

٤١- وجاء فيها أيضًا: (ورَحَض بظهور الإسلام عن أبدانكم دَرَن الشرك)، أقول: والصواب: بطَهور الإسلام بالطاء المفتوحة.

٤٢- وجاء في الصفحة (٢٢٤): (وأُحرِقَ بالنار ولدُه وولدُ ولد [كذا]). أقول: والصواب: وولد وَلَدُ وَلَده.

٤٣- وجاء فيها أيضًا: (... (وإن غَضِبتم لهم زعمتم)، أقول: والصواب (رَغِمتم)، ولامعنى للزعم هنا.

٤٤- وجاء في الصفحة (٢٢٦): (وطلبتهم في مظانّهم ودارهم وفي غير دارهم)، أقول والصواب: (وطَلَبْتموهم)، لأنها معطوفة على ما قبلها وهي (بل صيَّرتموهم لحمة لسيوفكم).

٤٥- وجاء في الصفحة (٢٢٧): (وسمعتُ السُّميدع بن عبدالرحمن المرادي يقول). أقول: و (السَّميدع) بفتح السين، وكأن المعربين درجوا على الخطإ منذ قرون، ولذالك ذكر ابن منظور في «لسان العرب» فقال: ويخطيء من يَضُمُّ السين. غير أن الأخ الأستاذ المحقق لا يحيك في صدره أمر ضبط الكلام الصحيح.

٤٦- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (أما والله لولا خوف الله ومراقبته لقلتُ مالا

تنكرون، ولكن أُمْسِكُ مخافةَ أن تُقتَلوا) أقول: والصواب: ولكنّي أُمسِك...

٤٧- وجاء فيها أيضًا: (ولكن لئن أكون مظلومًا أحبُّ إليَّ من أن أكون ظالمًا)، قلت: إن بضاعـة الأستاذ المحقق ماهـر جرّار مزجـاة في العربية، فقـد خفي عليه الصـواب وهو (لأَنْ) وليس (لئنْ). ولم يعـرف أن (لئنْ) مـركبة من الـلام التي قيل فيهـا (مُوطِّئـة للقَسَم) و (إنْ) الشـرطية التي يأتي بعـدهـا فعل مجزوم كـان ينبغي (أكنْ)، وهي ليست كذالك لأنها (لأن) واللام لام ابتـداء، و (أنّ) الناصبة ولذالك جاء الفعل (أكون)، منصوبًا.

وبعدُ، أفهذا هراء نحوي أم وسيلة لإحسان كتابه «الصحيح الفصيح»؟

وأنا أقول: لم أتجَـنَّ على صاحبي الأستاذ جرّار الذي سعيـت لأحْظى بصداقته ومودَّته.

٤٨- وجاء في الصفحة (٢٢٩): (وعلى أنّ كلَّ من طـالبَه أو طالبَ [في كتاب أمان الخليفة هارون الرشيد ليحيى بن عبدالله...] أصحابه بحَدَثٍ كان منه أو منهم من الـدمــاء.. فـاستحقّ الطلب ليحيى بن عبـدالله والسبعين رجـلًا، فعلى أميـر المـؤمنين هـارون بن محمـد ضمان جميع ذالـك). أقول: وينبغي أن يكـون وجـه القول: ما استحقَّ الطالب ليحيى...

٤٩- وجاء فـي الصفحة (٢٣٠): (وأنّه لا يـؤاخذه بشـيءٍ كان منه ومنهـم مما وصفنا في صدر كتابنا هذا، ولا يأخذه هو وإيّاهم بضِغنٍ ولا تِرةٍ ولا حقد، ولا وَغْرِ شيء مما كـان منه)، أقول: ووجه القـول أن يكون هذا على النحـو الآتي: (وأنّه لا يُؤاخَذ بشيء كـان منه... ولا يُؤاخِذ هو إيّـاهم بضغنٍ... ولا وَغْرٍ بشيء.. وقولي: (ولا وَغرِ بشيء) قد ورد في (م ص) كما في حاشية المحقق ٣.

٥٠- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (... فأنت وإيّاهم آمنون بأمان الله، ليس عليك ولا عليهم عَتَب [كـذا] ولا توبيخ... فيما كـان منك ومنهم... من قتلٍ كـان أو قتال أو ذلّة أو حُرِم)، أقول: والصواب: ولا عليهم عَتْب، بإسكان التاء،... أو قتال أو زَلَّة...

٥١- وجاء في الصفحة (٢٣٩): (إن هـذا وأخَوَيـه قـد أفسدوا علينـا مدينتنـا وعملوا فيها الأعاجيب). أقول: والصواب: إن هذا وأخويه قد أفسدوا... وعملوا..

٥٢- وجاء في الصفحـة (٢٤٠): (ووجـدنـا بـذالك مقـالًا فيكم ووجـدتم بخروجنـا عليكم مقـالًا فينا تكـافوا [كذا] فيـه القول). أقـول: كأن وجـه القول أن يكون: فتكافأنا فيه القول.

٥٣- وجاء في الصفحـة (٢٤١): (... إذ قصـرت يده، سعى بِنـا عنـدك كمـا سعى بك عندنـا من غير نصيحـة منه لنـا يريد أن يبـاعد بيننـا، ويشتفي من بعضنا بعضًا). أقول: والوجه أن يقال: ... ويشتفي بعضنا ببعض.

٥٤- وجاء في الصفحة (٢٤٢) البيت:

فأنـت أكـرمُهـم فيهم إذا نُسِبـوا وأبعَـدُ القـوم عيـذانًـا من الإبن

أقول: والصواب:

... ... وأبعَـدُ القـوم عَبْـدانًـا من الأُبَنِ

و (العِبدان) جمع عَبْد مثل العبيد والعِباد(*)، و (الأُبَن) جمع (أُبنة) وهي العيب(*).

٥٥- وجاء في الصفحة (٢٣)، البيت:

قبـرٌ يضُمُّ خيـر أهـل زمـانـه حَسَبًـا وطيبَ سجيّـةٍ وتكـرُّمـا

أقول: وصدر البيت غير مستقيم، وبحره (الكامل)، ولابد أن يكون الصواب:

قبـرٌ تَضَمَّنَ خيـرَ أهل زمـانـه ... ...

٥٦- وجاء في الصفحة (٢٤٤) البيت:

ضَحَـوا بـإبـراهيمَ خيـر ضحيّـةٍ فتَصَـرَّمَت أيّـامـه وتَصَـرَّمـا

أقول: وصدر البيت غيـر مستقيم، ولا بَد أن يكون أوّله (ضَحّوا) بتشـديد الحاء ليستقيم الوزن.

٥٧- وجاء في الصفحة ٢٤٥ البيت:

فهنـــاك لــوفقَّاتَ غيـــرُ مُشَـــوِّهِ   عينيكَ من جَـــزَعٍ علَـــوتَ عِيَـانَـنا

أقـول: والصدر غيـر مستقيم، ولابـدّ أن يكـون الفعل (فَقَّاتَ) بتشـديد القـاف ليستقيم الوزن.

٥٨- وجاء في الصفحة (٢٥٦): (فاشتدّ تعجّبي وقعدت بحذاه وقلتُ). أقول: لقد خفي الأمرعلى الأستاذ المحقق أن كثيرًا من المخطوطات لم ترسَم فيها الهمزة ولاسيما إذا كانت متطـرّفة، وعلى المحقق أن يضـعها. ولابد أن يكـون هنا: وقعدتُ بحذائه، أي بمحاذاته والحِذاء مثل المحـاذاة وكلاهما مصدر الفعل (حَاذَى) مثل سِباق ومسابقة.

٥٩- وجاء في الصفحة (٢٥٧): (قال: رأيت والله أبـا المهاصر (؟) أسلَمَ هذا الخادم)، أقـول: لا أدري مَن أبو المهاصـر (؟) وبالقـارئ حاجة أن يَعـرف، وهلا يكون في الأمر تصحيف؟

٦٠- وجـاء في الصفحـة (٢٦١): (قـال: فـاذهب إليـه فقل لـه ليُفـرِخَ همُّك ورَوْعُك).. أقـول: وكأني أرى في الكلام أسلـوب الأمر، ولا بُـدَّ أن يكون: (لَيفـرخْ همُّك ورَوْعُك) والفعل مجزوم بلام الأمر وليس منصوبًا.

٦١- وجاء في الصفحـة (٢٦٣): (فذكر القصّـة ثم قال آخـر ذالك: دفعه إلى الفضل بن يحيى)، أقـول: ولا يستقيم الحـال مع الفعل (دفعـه) [كـذا] ولا يبـدو المعنى، ولابد أن يكون (ادفَعْهُ) فعل أمر.

٦٢- وجاء في الصفحة (٢٦٧): (ويقيم في بلاد الروم مادام هارون حيًّا، إلّا أن لا يجد [كـذا] سبيلًا إلـى بلاد الروم بـوصول)، أقـول: والصواب مـا ورد في (م ص) الـذي استبعـده المحقق في الحـاشيـة رقم ٢، وهـو: (إلا إن لم يجـد سبيـلًا إلى الوصول إلى بلاد الروم).

٦٣- وجـاء في الصفحة (٢٧٠): (يقـول: يا هـارون اتقِّ الله، ما شنيك [كـذا] قتلي دون عذابي). أقـول: والصواب في المخطـوطة (م) التي استبعـدها المحقق في حاشيته رقم ٧، وفيها: (ما يشنيك قتلي).

٦٤- وجاء في الصفحة (٢٧٢): (وأخبرني أبو الجارود سنح بن محمد التمّار).. أقول: لعله: سنيح (؟).

ملحق بالكتاب: لقد ألحقَ المحقق بكتاب أحمد بن سهل الرازي الذي عرضت له في هذه الصفحات ما ورد من (أخبار الحسين) بن علي الفخّي ويحيى وإدريس ابني عبدالله من كتاب «المصابيح» لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني المتوفّى سنة ٣٥٢/ ٩٦٤[٥].

قرأت هذا الملحق فكان لي فيه وقفات أنا ذاكرها في هذه الصفحات:

١- جاء في الصفحة (٢٨١): [استأذن فتى في المدينة العمريّ صاحب المدينة، خرج إلى موضع لبعض أمره] فأجله أجلًا وأخذ كفالة الحسين بن علي، فلما مضى الأجل طالبه به، فسأله النطرة فأبَى). أقول: الكلام على (النطرة) بالطاء، وقد حسبتها أوّل مرّة من الأغلاط المطبعية، غير أني وجدت حاشية المحقق أن في (ص) هي (النظرة) بالظاء المعجمة فعجبت أن يكون ماكان من هذا المحقق الذي ترك الصواب وأثبت الخطأ واختاره فيما نشر.

إن (النظرة) كان على المحقق أن يضبطها بفتح النون وكسر الظاء بمعنى (الانتظار) من كلمات التنزيل العزيز في قوله تعالى: ﴿وإن كان ذو عُسْرةٍ فَنظِرةٌ إلى ميسرة﴾[٦].

ولا أدري كيف يكون من دارس مسلم عربي في التاريخ الإسلامي لا يعرف هذه الآية فهو يجهلها ويثبت الخطأ!!

٢- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (فلمّا أمسى قال أؤجلك هذه الليلة... وآخذ عليك يمينًا موكدة لتأتيني [كذا] فحلف له على ذالك)، أقول: وفي الجملة هذه إشعار بالقَسَم وهذا يوجب أن يكون الفعل (تأتيني) جوابًا للقسم وقد جاء مقترنًا باللام وكان ينبغي أن يؤكّد بنونٍ للتوكيد: (لتَأْتيَنّي).

٣- وجاء فيها أيضًا: (كان مخرج الحسين بن علي صاحب فَخّ ليوم السبت لبضع عشرة ذي القَعدة ...).

أقول: والصواب: لبضع عشرة من ذي القعدة...

٤- وجاء في الصفحة (٢٨٣): (قال: وأقام الحسين، وكان ابن عمه علي بن العباس بن الحسن محبوسًا عند المهدي، وكان وجده ببغداد قد واعَدَ وبايَع بها بشرًا كثيرًا)، أقول: والصواب: (وحده)، ولا معنى لـ (وجده).

٥- وجاء في الصفحة (٢٨٦): (قال ليحيى بن عبدالله والحسين بن علي لَتأتياني به أو لَأحبسنكما)، أقول: وفي هذا الطلب توكيد، وينبغي أن يؤكدّ الفعلان: لتأتيانّي به أو لَأحبسنّكما. والتوكيد جائز لا واجب.

٦- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (قال يحيى بن عبدالله: لمّا بايعناه خَرَجت على دابَّتي راكضًا مسرعًا حتى أتيت حدبًا [كذا]، أقول: وقد علّق المحقق في حاشيته (٤) فقال: (كذا في (ص) ولم أَقَع على موضع بهذا الاسم). وليس لنا موضع بهذا الاسم كما ظنّ المحقق لأن (الحَدَب) بفتحتين ليس موضعًا سُمِّي بهذا بل هو كل جهة فيها أحديداب كما يقال مثلًا: جاء القوم من كلّ حَدَبٍ وصَوب.

٧- وجاء في الصفحة (٢٨٩): (فابعث إليّ من أصحابك ولو عشرة أناس يبيّتون عسكري فأنّي أنهزم) أقول: والصواب: فإنّي أنهزم.

٨- وجاء فيها أيضًا: (فوَرَد على موسى بن عيسى فاعتذر إليه من انهزامه في البيات [كذا])، أقول: لقد أختار المحقق (البيات) من النسخة المخطوطة (ص) واختياره هذا خاطئ، والصواب مافي المخطوطة (د) الذي أثبته المحقق في الحاشية (٣) وهو: بأبيات. والاعتذار بأبياتٍ شعرية. لا أدري كيف أقول في صنعة أخي الأستاذ الدكتور ماهر جرّارا

٩- وجاء في الصفحة (٢٩٢): (ثم إن إنسانًا من أهل الجزيرة كان مع الطالبيِّينَ خرج مصلتًا سيفه متوجهًا نحو القتال، وخالد يراه.. فحمل خالد على يحيى، وهو لا يعلم ما يريد الجزيري). أقول: المشهور في النسب إلى (الجزيرة) هو (الجَزَريّ) بفتحتين، وتُحذَف الياء، وقد عرف بـ (الجَزَري) أبناء الأثير: مجد الدين وعز الدين وضياء الدين، والنسبة إلى جزيرة ابن عمر.

١٠- وجاء في هـذه الصفحة أيضًـا: (.. (وكان هـذا الجزيري أشجـع من كان معهم، وقُطِعت يده ليلة المسابرة ثم قُتِـل بفخّ)، أقول: ولا أدري ما (المسابرة) في هذا السياق، وكأنّ المحقق لايتوقف في موضع الإشكال.

١١- وجاء في الصفحة (٢٩٩): (قـال: يأتيكم صاحب الرعيلة قـد شدَّ حَقَبها بـوضينها لـم يَقضِ تفثًا [كـذا] من حجٍّ ولا عُمـرة يقتلـونه). أقـول: وعلق الأستـاذ المحقق على الرعيلة فقال: التأنيث غريب هنا، والرعيل والرعلة: القطعة المتقدمة من الخيل «لسـان العـرب». ملاحظـة المحقق غـريبة، إنـه يثبت الخطأ الـذي لم يجـده في «اللسـان»، ولم يأتـه شيء من اجتهـاده فيثبت (الـرعلـة) التي جـاءت معدولة عن وجههـا في المخطوطتين، وما معنى قولـه: إن التأنيث غريب هنا!! ثم إن الصـواب: التّفَث، بفتحتين، ويراد بـه نتف الشعر وقصّ الأظفـار عند الإحـرام، قال تعالى: ﴿ثم ليَقْضُوا تَفثهم وليوفوا نذورهم﴾[٧].

١٢- وجاء في الصفحة (٣٠٠) البيت:

يُعين علـى الأمـر الجميل وإن يـر   فـواحشَ لا يصِبـرْ عليهـا وغيَّـرا

أقول: وصواب البيت هو:

يُعين على الأمـر الجميل وإن يَرَ الـ   ـفواحشَ لم يصبـرْ عليهـا وغيَّـرا

والبيت مـدوّر، والألف والـلام في الصـدر، ثـم يأتي العجـزا فـواحش، والنفي بـ(لم) للفعل يصبر لأن النفي بهـا يجعل المضارع ماضيًا بـدلالة الفعل المعطوف وهو ماضٍ (غيَّر).

١٣- وجاء في الصفحـة (٣٠١): (فأمر بـه موسى، فَضُرب بيـن العُقابَيْن خمس مئة صوت). أقول: والصواب: خمس مئة سوط. والضرب بن العَقِبَيْن لا العقابَيْن.

١٤- وجاء في الصفحـة (٣٠٣): (خرج يحيى بن عبدالله في سنـة سبعين ومئة في ولاية موسى أطبق [كذا]). أقول: ولـم يتوقف الأستاذ المحقق في كلمة (أطبق)، وكأنه أدرك فيها مالـم يدركه الآخرون.

١٥ - وجاء في الصفحة (٣١٤): (وأمرني الرشيد بحبسه عندي في سرداب ووَكَلْتُ به)، أقول: والصواب:... ووُكّلْتُ به.

وبعد، فهذا جملة ماكان لي من وقفات في هذا (الكتاب) مع الملحق به.

ولابد لي من أن أختم هذا الموجز فأشير إلى جملة من الكلم قد أساء المحقق في رسمها فَوَلَّدَتْ أغلاطًا، وها أنذا أدرجها مع الإشارة إلى صوابها:

يُأخَذ، وصوابها: يُؤخَذ، لاها الله، وصوابها: لا هالله، ألجئوا، وصوابها: ألجأوا، جمعه، صوابها: جمعة [أي أسبوع]، إشتَدَّ، وصوابها: اشتدَّ، كافئتَ، وصوابها: كافأتَ، فأغرا، وصوابها: فأغرَى، مناوئتي، وصوابها: مناوءَتي، فأومئ، وصوابها: فأوَمأَ، يجترأ، وصوابها: يجترئْ.

وغير هذا مما صرفت عنه النظر وحملته على الأغلاط المطبعية.

كلمة أخيرة: لقد عرفت الأصلين المخطوطين في صنعاء التي أقمت فيها تسع سنواتٍ عجاف، وقرأتهما وجمعت لهما الفوائد المطلوبة، وكنت حصلت على صورة من مخطوطة أحمد الشامي، ولم يبق لي إلّا النسخة المحفوظة في إحدى الخزائن الألمانية. غير أني وجدت الكتاب منشورًا، وقد تفضل الأخ الأستاذ اللمسي فأهداني نسخة فأقبلت على قراءته.

ومن الحق أن أكرّر قولي في أوّل هذا الموجز فأشيد بما كان للأستاذ جرّار من عمل جادّ مخلص في (تمهيده).

عمّان: الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) وأما أحمد بن سهل الرازي فقد أثبت المحقق فيه ما حصره بين قوسين (   ): (متوفّى في الربع الأولى من القرن الرابع الهجري) [كذا]. أقول: لو أن الأستاذ جرّار محقق الكتاب من أهل اللغة العربية لقال: (المتوفّى) بالألف واللام، وهذا مما يجب.

(*) «العرب»: من (أبو الفرج) هذا. كنية ابن جرير المشهورة التي يكرر إيرادها أثناء كلامه (أبو جعفر). أما (أبو الفرج) فمن أشهر من كني بها الأصفهاني صاحب «الأغاني» فهل المحقق يعنيه؟

(٢) أقول: ليس للجيل في المعاجم اللغوية ولا في استعمال الكتاب قديمًا معنًى محدّد، فقد قيل إن كلًّا من الترك والعرب وغيرهم جيل، وأن الجيل الأمّة، وأنه صنف من الناس غير أن المعاصرين أضافوا للجيل معنًى فيه تحديد، فقالوا: فلان من جيل فلان، وأنهما تجايلا، وهذا كله جديد. وقد جاء شيء من هذا في «تمهيد» المحقّق في الصفحة ٢٠ في كلامه على عبدالله بن محمد بن إبراهيم الجعفري الذي اعتمد عليه الرازي مؤلف الكتاب في أخباره فقال: (إنه كان [أي الجعفري] مجايلًا للإمام موسى الكاظم).

(٣) ومن هاؤلاء ابن أبي الحديد المعتزلي الذي توسّع في كتابه «شرح نهج البلاغة» في أخبار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعرض لآراء الشيعة وحقهم في (الإمامة) والحكم. وليس لي أن ألحق بهذا النفر أبا الفرج الأصفهاني لأني أرى أن «مقاتل الطالبيين» الذي أفاد كثيرًا من رواياته من المدائني عن طريق الخزّاز كما أشار إلى هذا المحقق الفاضل، لم يكن منه لأنه شيعي أو متشيع، وإن كان أمويَّ النسب، بل إنه سعى إلى ذالك زُلفى إلى (آل بُوَيْه) أهل السلطة والحكم في عصره، ولأنه كان ممن يعمل لديهم في (ديوان الإنشاء). إن أبا الفرج رجل دنيا ينظر إلى مصلحته التي دفعته إلى تملّق بني بويه أرباب السلطة. ذكر الخطيب البغداديّ «تاريخ بغداد» ١١/ ٣٩٩ – ٤٠٠: (حدثني أبو عبدالله الحسين بن محمد بن طباطبا قال: سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين بن النوبختي كان يقول: كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ثم تكون كل رواياته منها). انتهى. وقد يقول القارئ إن ابن طباطبا هذا عاد إلى قوله فمنح أبا الفرج رضاه. غير أني أذهب إلى الخوانساري صاحب «روضات الجنّات» ص ٤٥٧ فأجده يقول: (وأيًّا ما وجد في كلماته [أي في مقاتل الطالبيين] من المديح [أراد مدح آل البيت] ففيه أوّلًا أنه غير صريح، وما سلم منه فهو محمول على قصده التقرّب إلى أبواب ملوك ذالك العصر، المظهرين لولاية أهل البيت غالبًا، والطمع في جوائزهم العظيمة). انتهى. وقد بقي أهل العلم من الشيعة إلى عصرنا ينبزون أبا الفرج بالكذب فهذا توفيق الفكيكي من قضاة عصرنا في العراق قد كتب طائفة من المقالات في تكذيب أبي الفرج في أخباره في «الأغاني» في الكلام على لهو الحسن والحسين مع ابن أبي عتيق، وما أسهب فيه من صلة السيدة سكينة بنت الحسين بمعبد المغنيّ، والأخبار كلها في «الأغاني». وقال أهل العلم: إنه رجل دنيا يتصيد المنافع، وذالك ما دفعه أن يخص الخليفة الأندلسي الأموي بالنسخة الأولى من «الأغاني»، وأن كان يكتب لهاؤلاء الخلفاء سيرهم فتأتيه جوائزهم سِرًّا.

(٤) أقول: إذا كان أحمد بن سهل الذي أعيتني ترجمته فلم أظفر من سيرته إلا اليسير اليسير، وكذالك كان حَظُّ أخي المحقق الأستاذ جرّار، شيعيًا أو زيديًّا، فكيف لي أن أرى ما رآه المحقق من كون الإمام أبي جعفر محمد بن جرير زيديًّا؟ إن الطبري كما يعرف أهل العلم من أهل السنّة والجماعة، وأنه شافعي، ترجم له الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٣٥١ – ٣٥٨ ترجمة وافية، وكذالك فعل السبكي في «طبقاته».

(*) «العرب»: انظر عن تعريفه – ص ٤٠٠ و ٤٥١ من كتاب «الجوهرتين» ويعرف الآن باسم (فرع الرَّدّادة) نسبة لسكانه من حرب، وهو طرف مما كان يعرف قديمًا باسم جبل الأشعر. ويسمى الآن هذا الجبل الفقرة، يقع بين المدينة وبلاد ينبع النخل، حيث تقع بلدة (سويقة).

(*) [«العرب»: الهبيد حبُّ الحنظل لا الحنظل نفسه، الطريقة مستعملة في نجد حتى أدركناها، وكان يلجأ لاتخاذ الهبيد طعامًا في أزمنة والقحط].

(*) «العرب»: ولم لا تكون (عِيْدَانا) بالمثناة التحتية – جمع عُوْدٍ، الغصن من الشجر، فهو الذي يُوصف بسلامته من الأُبن جمع أُبنة.

(٥) «كتاب «المصابيح في أخبار المصطفى والمرتضى والأئمة الطاهرين» لأبي العباس الحسيني أحمد بن إبراهيم، وهو في مخطوطة المكتبة المتوكلية بصنعاء (مصوّرة دار الكتب المصرية برقم ٨١، ومخطوطة أخرى في الجامع الكبير بصنعاء في مجموع رقم ٢٣٤٧. رمز المحقق للمخطوطة الأولى بـ (د) وللثانية بـ (ص).

(٦) سورة البقرة الآية (٢٨٠). (٧) سورة الحج.

بِلالُ بَنْ جريرِ الخَطَفَى
حياتــه وشــعره

هو أبــو زافر[١] (أو ظافر)[٢] بلال بن جــرير بن عطيــة الخطفى، أنجبه من أم حكيم، وهي أم ولد[٣]، وهي التي كان ابنها بــلال يعتز بها، ويفتخر بهــا وبإخوتها وآبائها من الأكاسرة، كما يطالعنا بجيميته الرجزية[٤].

وقد ذكره ابن النديم[٥]، وقال عنه: (إنه شاعر مقل)، وقال عنه ابن قتيبة[٦]: إنه كان أفضل إخــوته وأشعرهــم. وأشار إليه ابن عبــد ربه[٧] وابن رشيق[٨] الذي روى عن أبي زياد الكلابي قولــه: رأيتُ باليمامة نوحًا وبلالًا ابني جريــر، وهما يتسايران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم)..

وباستثنــاء هذه الإشــارات القليلة يفتقــر الدارس إلى ما يكشف بــه عن كل من سنتي ولادتــه، ووفاتــه، ونشأته، وأحــواله الأُســرِية والمعيشية وغيــرها، ممــا يتصل بسيرته وشعره... وغاية ما تيسر لنا عن أسرته ما ورد من خبر شاعرية ابنه عقيل[٩].

وقــد وصل إلينــا من شعــر بــلال (٦٠) بيتًا تتــوزع على (١٦) قصيــدة قصيــرة، ومقطوعــة، أنشد منها (٢٧) بيتًــا على بحر الطويل، بنسبــة (٤, ٤٣٪) و (١٢) بيتًا على بحر الكامل (٢٠٪)، و (١٠) أبيــات على كل من بحري البسيط والمتقارب، (٦٦, ١٦٪)، و (٣) أبيات على مشطور الرجز (٥٪)، وهو في هذا العدد المحدود من الأبيات، يكثر من استخــدام أحرف الراء والقاف والعين والحــاء، فالجيم واللام والميم والنون والضاد، دون تصريع شَطْرِي البيت الأول في أيِّ قصائده، على غير ما درج عليه سابقوه ومعاصروه من شعرائنا القدامى..

وقارئ شعر بلال يلاحظ امتداد جذوة الشعــر، بخصائصه الموضوعية من الأب إلى الأبناء.. إذ يتفــوق فن الهجاء في هذا المجمــوع الشعري، على الــرغم من قلة أبياته، تفوقًــا ملموسًا، تتقدمه رائية من خمسة أبيــات في هجاء بني ناشرة، من بني فُقَيم[١٠]، وأخرى من بيتين في هجــاء شخصين من بني دينار[١١] وعَيْنية من سبعة

أبيات في هجاء شخص آخر، نفتقر إلى تحديد اسمه[١٢] وأخرى من خمسة أبيات في هجاء مسعود بن طعمة من بني بيدعة، عندما نزل به، فلم يحسن قراه[١٣] وقافية من سبعة أبيات في هجاء التيحان العكلي[١٤]، ولامية في ثلاثة أبيات في هجاء حماد المنقري[١٥] وميمية في ثلاثة أبيات في هجاء شخص يدعى مرمارًا[١٦].

ومن الهجاء إلى التحريض في حائية من ثلاثة أبيات، اضطربت نسبتها إلى قائل بعينه[١٧]، وإلى مدح عبدالله بن الزبير (ق ٧٣هـ) بقافية من خمسة أبيات[١٨]، وإلى رثاء أبيه في ثمانية أبيات[١٩]، وإلى الفخر بأخواله بجيمية من ثلاث أبيات أشطار[٢٠] وإلى الشكوى من سوء أحوال زوجه معه، وإعلان الصبر عليها (لحسنها) في حائية من أربعة أبيات[٢١].. وهو في هذا وذاك، يستخدم ما تعارف الشعراء عليه من قاموس شعري، ومفردات وصور.

والظاهر أنه توفي حوالي (١٥٠هـ)، والأمل معقود على وقوفنا على مزيد من أخباره وأشعاره، مما يساعدنا على قطع خطوات في سبيل دراسته، ووضعه في مكانته الأدبية الجديرة به، بين أقرانه من شعرائنا القدامى.. والله الموفق والمستعان.

---

(١) «الشعر والشعراء»، ١/ ٤٧١.
(٢) «تاريخ التراث العربي»، ٢/ ٣/ ٧٢.
(٣) «الكامل في اللغة والأدب»، ١/ ١٢١.
(٤) مجموع شعره، رقم (٢).
(٥) «الفهرست»، المعرفة، ٢٢٥، ٢٢٦.
(٦) «الشعر والشعراء»، ٤٧١.
(٧) «العقد الفريد»، التأليف، ٥/ ٢٩٩.
(٨) «العمدة»، ٢/ ٣٠٦ - ٣٠٧.
(٩) جمعت شعره، وجعلته في كتابي «أشعار أبناء الشعراء وبناتهم»، (قيد الطبع).
(١٠) مجموع شعره، رقم (٦).
(١١) مجموع شعره، رقم (٧).
(١٢) مجموع شعره، رقم (٩).
(١٣) مجموع شعره، رقم (١٠).
(١٤) مجموع شعره، رقم (١١).
(١٥) مجموع شعره، رقم (٤).
(١٦) مجموع شعره، رقم (١٥).
(١٧) مجموع شعره، رقم (٤)
(١٨) مجموع شعره، رقم (١٢).
(١٩) مجموع شعره، رقم (٥).
(٢٠) مجموع شعره، رقم (٢).
(٢١) مجموع شعره، رقم (٣).

ب- شعره: أولًا: الباء: أ- قال (طويل):

١ - لَهَا شاسِعٌ تَحْتَ الثِّيَابِ كَأَنَّهُ قَفَا الدِّيكِ أَوْفَى عُرْفُه ثُمَّ طَرَّبَا

في «اللسان»: كـل شيء نتأ وشخس، فقد شسع، وشسع يشسع شسوعًا فهو شاسع، وشسع بـه أو شسعه: أبعده، والشاسع: المكان البعيد، وطرَّب تغنَّى.

المصدر: «اللسان» (شسع) وفيه: ويُروى (.... قَفَا الدِّيك أو فَى غرْفَةً ثُمَّ طَرَّبا).

ثانيًا: الجيم: أ- قال (مشطور الرجز):

١ - يَا رُبَّ خَالٍ لِي أَغَرَّ أَبْلَجَا ٢- مِنْ آلِ كِسْرَى يُفْتدى مُتَوَّجَا

٣- لَيْسَ كَخَالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنجَا

اللغويات: ١ - الأغر: الحسن الأبيض من كل شيء. والأبلج: المفترق الحاجبين، وقيل الحسن الأبيض، الواسع الوجه.

٣- العشنَّج: المُتَقَبِّض الوجه السيِّئُ المنظر.

المصادر: (١ -٣) في «الكامل في اللغة والأدب»، ٢/ ١٢١ و (١ - ٢) في «اختيار الممتع» ١/ ٤٠٧، و «ألف باء»، ١/ ٢٦٢.

ثالثًا: الحاء: أ- وقال يصف رعونة زوجته وسوء صنيعها (طويل):

١ - إلى الله أشكو أنَّ قَلْبِي مُعَلَّقٌ بِرَعْنَاءَ حَسْنَاءَ القَوَام رَدَاحِ

٢- صبيحةُ وَجهٍ والصَّبَاحُ مآلِفٌ لِكُلّ فَتًى لِلغانِيَاتِ مُبَاحِ

٣- تَسخَّطُ ما يُرضي وتُحرقُ بالأذى وَلَيْسَ بناهيها لِحَايةِ لاحِ

٤- فلا بُدَّ مِنْ صَبْرٍ عَلَيْهَا لحُسْنها وإنْ زَادَ مِنْهَا النُّكْرُ كُلَّ صَبَاحِ

المصادر: «الحماسة البصرية»، بيروت، ٢/ ٣٠٧ وفي «حماسة الخالديين» بدون عزو.

ب- نسب له قوله: وقد قتلت ضَبَّةُ زكرياءَ بن مرار الحمليَّ من بني حملى بن حنظلة، (طويل):

١ - رأيتُكُما يا بَنِي أَخِي قَدْ سَمِنْتُما وَلَا يُدْرِكُ الأَوْتَارَ إِلّا المُلَوَّحُ

٢- وأُمُّكُمَا قَدْ أَصْبَحَتْ وَهْيَ أَيِّمٌ تَخَيَّرُ فِي خُطَّابِهَا أَيْنَ تَنْكِحُ

٣- فلو كُنْتُما أشبهتُمَانِي لَقَدْ مَشَتْ إِلَى قَبْرِ غَدَّافٍ قَرائِنُ نُوَّحُ

اللغويات: ١- الأوتار: جمع وِتْر وَوَتْر وهو الانتقام أو الظلم فيه، وأخذ الثأر..

والملوَّح: الشجاع، الذي يستعين بسيفه ودرعه في سبيل انتقامه..

٢- الأيِّمُ: (وتجمع على أيائم وأيامَى وأيِّمُونَ وأيِّمات) فاقدة الزوج وتخيَّرُ: تختار..

٣- والقرائن: مفرد القرينة، وهي جِنِّيَّةٌ يتوهَّم النساءُ أنها تظهر أحيانًا ويزعمن أن لكل امرأة قرينةً.

والنوح: من النياحة وهي بكاء الميت.. وفي «ديوان جرير»: غداف الذي قتل زكرياء فقتل غالب بن زكرياء غدَافًا. وفي «حاشية الوحشيات» قال الميمني: لعل الصواب (غراف).

المصادر: ١- الأبيات له في «الوحشيات» ٨٠ - ٨١ و (١ - ٣) له في «ديوان جرير» ٢/ ٧٨٩؛

٢- ضمن خمسة أبيات في «حماسة الخالديين» ٢/ ١٣٩، للثغر العقيلي، مما قيل في التحريض على طلب الثأر. وعنه في «شعراء بني عقيل وشعرهم، في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي» جمع وتحقيق د. عبدالعزيز الفيصل، م. العبيكان، الرياض، ١٤٠٨هـ ٢/ ٢٢٥.

٣- ووردا في المصدر نفسه ١/ ٨٧، منسوبين للجراح بن عبدالله بن جوشن الغطفاني، يحرض ابني أخيه، وقد قتل أباهما أخوه.

وروايتها في الموضع الأول من «الحماسة»:

١- تبعتُ بياض السيفِ حتّى ركبتهُ ... وللموتُ من ظُلمِ العشيرة أرْوَحُ

٢- رأيتكُما يا بُنَيَّ أخي قد سمِنتُما ... وما يدرِكُ الأوتَار إلا المُلَوَّحُ

٣- وأمُّكُما قد رابني أن رأيتُها ... تخضِّبُ أطرافَ البَنَانِ وَتَمْرَحُ

٤- وتكْحُلُ عَيْنَيْهَا وَتَصْبَغ ثَوْبَهَا ... وَتَسْأل عَنْ خُطَّابِهَا أَيْنَ تَنْكِحُ

٥- وَبالرَّمْلِ مَحْمُودُ السَّجِيَّة مَاجِدٌ ... إِذَا رَاحَتِ الفِتْيَانُ لا يَتَرَوَّحُ

رابعًا: الراء: أ- وقال يرثي أباه جريرًا (ت ١١٠هـ) (بسيط):

١- إنّي رَأَيْتُ جَرِيرًا يَوْمَ فَارقَنَا ... أبْكَى رَبيعَةَ واخْتَلَّتْ لَهُ مُضَرُ

٢- مَاتَ المُحَامِي عَنِ الأحْسَابِ قَدْ عَلِمُوا ... والمُحرِزَ السَّبْقَ لَمَّا أُغْلِيَ الخَطَرُ

٣- إمَّا ثَوَيْتَ مُقِيمًا فَوْقَ رَابِيَةٍ ... فَقَدْ مضَتْ لَكَ أيَّامٌ لَهَا غُرَرُ

٤- قَدْ كَانَ فِي الحَرْبِ ثَبْتًا ذَا مُزَابَنَةٍ ... شَغْبًا إذَا اسْتُحْصِدَتْ مِنْ حَبْلِهِ المِرَرُ

٥- وكَانَ يكْوِي ذَوِي عُرٍّ فَيُبْرِئُهُمْ ... وكانَ يعفُو كثِيرًا وَهْوَ مُقْتَدِرُ

٦- يَارُبَّ دَاعٍ دَعَا فِي السّجْنِ أطْلَقَهُ ... والخطْو مِنْ قَيْدِه فِي الأرْضِ مُقْتَصَرُ

٧- وبـابُ مُلْكٍ نَفَعْتَ النَّـازِلِينَ بِـهِ والبـابُ مِمَّنْ يُحُلُّ البَـابَ مُحْتَضَـرُ

٨- فـانْعَ جَرِيـرًا لأَضْيَـافٍ إذا عُرِفُـوا ولـلأرامِـلِ لَمَّـا أَخْلَـفَ المَطَـرُ

اللغويات: ٢- أغلي الخطَر: زادوا في خُطا الرهان.

٣- ثويتَ: أراد إن كنتَ ثويتَ، أي رقدتَ... والرابية: المكان المرتفع. والغُرر: الأفعال الكريمة وجلائل الأعمال.

٤- الثَبْتُ: الجَلْدُ الشجاع الجسور. والمزابنة: المدافعة والمغالبة والمصادَمةُ.

والشغب: كثرة الجلبة واللغط المؤدي إلى الشر والخصومة. والمِرَرُ... أراد أنه قوي الخَلْق شديدُه، أصيلُ العقلِ ذُو عَزْمٍ.

٥- ذو العُرّ: الأجرب، المُصاب بمكروه، كناية عن تفوّقه واقتداره.

٦- السجف: (والجمع سُجُوف وأسجاف)، وهو الظلمة والستر والمراد هنا: الكرب والمحنة.

٧- ممن يحل: أراد بمن يحل بالباب، والحُجّاب والبوابون حُضُور.

٨- أخلف المطر: شح ونقص وأجدب..

المصادر: «ديوان جرير»، ١/ ٣٥١، و «المذاكرة في ألقاب الشعراء» ٧١ - ٧٢.

الروايات: ١- رواية الثاني في المذاكرة: (باتَ المُحَامِي عَن الأحْسَابِ... لَمّا أُعْظِمَ الخَطَرُ).

٢- والسادس فيه: (ورُبّ دَاعٍ دَعَا فِي الكَبْلِ أَطْلَقَهُ....).

٣- والسابع فيه: (وبابُ مُلْكٍ... والبابُ ممن يرد الباب مُحْتَضَرُ).

٤- والثامن فيه: (فَانْعِي جريرًا إلى الأخلافِ إذْ نَزَلُوا....).

ب- وقال في قوم من بَني فُقَيْم، يقال لهم بنُو نَاشِرَةَ (متقارب):

١- عَـدَدْنَـا فُقِيمًـا وآبَـاءَهُمْ فَشَـرُّ فُقَيمٍ بَنُـو نَـاشِـرَهْ

٢- قِصَـارُ الفَعَـالِ طِـوالُ الخُطى مَنَـاتِيـنُ لَيْسَتْ لَهُـمْ بَـادِرَهْ

٣- يَعُـدُّونَ غُـرْمًـا قِـرَى ضَيْفِهِمْ فَـلَا عَـدِمُـوا صَفْقَـةً خَـاسِـرَهْ

٤- إذَا ضِفْتَهُـم ثُـمَّ سَـاءَلْتُهُـمْ وَجَـدْتَ بِهِمْ عِلَّـةً حَـاضِـرَهْ

٥- وَلَيسُـوا - إذا قُلت: مـا ذنبُهُمْ؟ بِأَصْحَـابِ دُنْيَـا وَلَا آخِـرَهْ!!

اللغويات: ٢- المناتِينُ: الخَبيثُون من النتانة، وهي خُبث الرائحة.

والمُبَادَرَةُ: المسارعة أو المسابقة إلى المكارم وجلائل الأعمال.

٣- الغُرم: ما يلزم أداؤه من المال، وما يُعطى منه على كره، أو هو الضرر والمشقة.

وقرى الضيف: إكرامه وإعطاؤه حقه.

٤- ضافهم: نزل بهم ضيفًا.

المصادر: (١ - ٥) في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٧١، و (١، ٣، ٤، ٥) في «البخلاء» للبغدادي، ١٠٠، والرابع فقط في «مجالس ثعلب»، ١/ ٣٠٨..

ورواية الأول في «البخلاء» عددنا عديًا وآباءهُم.. والرابع فيه: إذا ضفتهم وتخيلتهم. وفي «مجالس ثعلب»: إذا ضفتهم ثم سايلْتهُم... وصَدّرهُ بقوله: ساءلت وسايلت، بالهمز وإسقاط الهمز، ويتسايلان مثله. والخامس في «البخلاء»: وليسوا إذا قلت ماذا هُمُ...

جـ- ونُسبِ له قوله (بسيط):

١- مــا زَالَ عِصْيــانُنــا لله يُسْلِمُنَــا حَتَّى دُفِعْنَـــا إلَـى يَحْيَى وَدِينَـــارِ

٢- إلى عُلَيْجَيْنِ لم تُقْطَعْ ثِمــارُهُمـا قَـدْ طَـالمـا سَجَـدَا لِلشَّمْسِ والنَّـارِ!!

اللغويات: ١- العِلْج، (ويُجمعُ على عُلوج وأعلاج وعلجة): حمار الوحش السمين، أو الرجل الضخم القوي من كفار العجم، وبعضهم يطلقه على الكافر عمومًا، وصغَّرها هنا، مبالغة في الهجاء والتسفيه.

المصادر: ١- «العقد الفريد»، التأليف ٥/ ٢٩٩.

٢- نُسبا لحفيده عمارة بن عقيل بن بلال (ت ٢٣٩هـ) في «البيان والتبيين»، ٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩، و «شرح نهج البلاغة»، الميمنية، ٤/ ٥١٥ و «المنتخب من كنايات الأدباء»، ١٢٨، ولم أجدهما له في ديوانه ط. شاكر العاشور.

٣- ونُسبا إلى دعبل بن علي الخزاعي (ق ٢٤٧ هـ) في «الأغاني»، الهيئة، ٢٠/ ١٥٥ - ١٥٦، و «معجم البلدان»، ٢/ ٤٢٠، و «الكنايات» للثعالبي ١٨، وعنها في «ديوانه»، ٣٣٨.

ودينار بن عبدالله من القواد في زمن المأمون (٢١٨هـ)، كان من موالي الرشيد (ت ١٩٢هـ)، ولي كورة الجبل وغيره، ثم سخط عليه المأمون، فاقتصر به على ماء الكوفة، وكان له أخ اسمه يحيى، وهما يحيى بن عبدالله ودينار بن عبدالله (ياقوت، ٢/ ٤٢٠).

وإذا صح أن هذين البيتين في هذين الأخوين فإنني أرجح أنهما ليسا من شعر بلال هذا، لأنه لايعقل استمراره على قيد الحياة حتى عصر المأمون (ت ٢١٨ هـ)..

الروايات: ١- الأول في «الكنايات»:

مَــازالَ عِصْيــــانُنَــــا لله يُــــوبِقنــــا حَتَّى دُفِعْنَـــــا إلَى نَتْـحٍ وَدِينَــــــارِ

ويُوبِق: يهلك.

خامسًا: الضاد: أ- وقال (طويل):

١- أيَـــا رَبِّ بَغِّضْهَـــا إليَّ فَـإنَّنِي إلَيْهَـــا قَـــدِ اسْتَيْقَنْـتُ ذَاكَ بَغِيضُ

المصدر: «حماسة الخالديين»، ٢/ ٢٨٩. وفيه: ذكر أنه يحبها وهي تبغضه، فهو يدعو الله أن يُبغِّضَها إليه، ليقلع حزنه، ويرقأ دمعه.

سادسًا: العين: وقال (كامل):

١- لَا حِلْفَ يَقْطَعُ خَصْمَ كُلِّ مُخَاصِمٍ إِلَّا كَحِلْفِ عُبَيْـدَةٍ بن سَمَيْـدِعِ
٢- يُمْضِي الغَمُوسَ عَلَى الغَمُوسِ لَجَاجَةً عَضَّ الجَمُوحِ عَلَى اللِّجَامِ المقْـذِعِ
٣- نَـزِقُ اليَمِيـنِ إِذَا أَردتَّ يَمِينَـهُ بِخَـدَائِعِ الشُّعَـراءِ غَيْـرُ مُخَـدَّعِ
٤- وإِذَا تَسمَّعَ حَلْفَـةً أَصْغَى لَهَـا وَإِذا يُخَـوَّف بِـالتُّقَى لَـمْ يَسْمَعِ
٥- يَهْتَـزُّ حِيـنَ تَمُـرُّ حُجَّـةُ خَصْمِهِ حَـذَر الفَضِيحَـةِ كَـاهْتِـزَازِ الأَشْجَعِ
٦- يُغْشِي مَضَـرَّتَـهُ لِنَفْـعِ صَـدِيقِـهِ مَـا خَيْـرُ ذِي حَسَـبٍ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ؟!
٧- بَـذَلَ الجَلِيَّةَ ثُمَّ قَـالَ وَقَـدْ مَضَتْ لِلْعَلْقَمِيِّ خُـذِ الجَلِيَّـةَ أَوْدعِ!!

اللغويات: ٢- الغموس: اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها. والجموح: الذي يركب هواه ويسرع إلى الشيء فلم يمكن رده، فيتغلب على راكبه. والمقذع: الفاحش القذر السيء.

٣- النزق: النشط الطائش الخفيف عند الغضب المتعجل.. والمخدع: المُجرَّب وقد خُدعَ مرارًا.

٤- تسمَّع: أنصت إليه وأصغى، والعامة تقول: تسمّع عليه، إذا قصد أن يسمع ما يقوله خفية.

٥- الأشجع: ضرب من الحيات، ويقصد به هاهنا: المجنون.

٦- يغشى: يأتي... ٧- الجَلِيَّةُ: الخبر اليقين والبصيرة...

المصادر: «حماسة البحتري»، ٢٦٧، و (١ - ٧) لحفيده عقيل في «أمالي القالي»، ١/ ٤٥، و (١ - ٢) له في «المذاكرة في ألقاب الشعراء» ٧٢، والأول فقط في «السمط» ١٨٧ والسادس في «المحاضرات» ١/ ٢٧. وعنها في «ديوان عمارة» رقم (١٠١)، ص ٩٨ - ٩٩)، و (١ - ٢) لابنه عقيل في «تراجم الشعراء» المنسوب للثعالبي، خ، ٣٣/ أ. و (١ - ٣) بغير عزو في «شرح مقامات الحريري» ١/ ٩٩.

ب- ونـزل برجل يقـال لـه مسعود بن طُعْمَـةَ، من بني بيـدعة فلم يُحسن قـراه، فقال (متقارب):

١- أَمَسْعُـودُ أَنْـتَ اللَّئِيمُ الأَثِيـمُ كَـأَنَّكَ مِنْقَـذَةٌ فِـي ضَعـةْ
٢- سَمِعْنَـا لَـهُ إِذْ نَـزَلْنَـا بِـهِ كَـلامًـا كَمَـا تنطِقُ الضُّفْـدَعَـةْ
٣- فَـأَيُّ اللَّئِيمَيْـنِ أَشْبَهْتَـهُ أَطُعْمَـةُ أَمْ أُمُّكَ الكَـوْتَعَـةْ!!؟
٤- عَـدَدْنَـا عَـدِيًّـا وَآبَـاءهُمْ فَشَـرُّ عَـدِيٍّ بَنُـو بَيْـدَعَـةْ
٥- فَمَـا أَعْطَشَ الضَّيفَ لَمَّـا غَـدَا مِنَ الْبَيْـدعَـاتِ وَمَـا أَجْـوَعَـهْ!!

اللغويات: ١- الضِعةُ: الخُسران والهَوَان والذل والاحتقار [؟].

٣- الكوتعة من الكتع، وهو انقباض الأصابع، ورجوعها إلى الكف..

المصدر: «الشعر والشعراء»، ١/ ٤٧٢.

سابعًا: القاف: أ- وقال يهجو التيحانَ العُكليَّ، من عُكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة ابن ألياس بن مضر، (من الطويل):

١- عُلِّقْتُهَا كَعْبِيَّةً حَلَّ أَهْلُهَا ... بِحَيْثُ يُلَاقِي النعْفُ أَوْدِيةً تَدْقَا

٢- أَمَا علِمَتْ أَنِّي أُحبُّ لِحُبِّهَا ... (لُغَاطَ) فَجَادَ المُدْجَنَاتُ بِهَا الوَدْقَا؟!

٣- فَيَا عَزُّ هَلْ تَجْزِينَ قَلْبًا تَرَكْته ... أَخَا المَوْت مَا يَلْقَى مُحِبٌّ كَمَا يَلْقَي؟!

٤- فَأَحْبَبْتُهَا مَا دُونَ أَنِّي لَمْ أَمُتْ ... وَلَمْ يَكُ حُبِّيهَا كِذَابًا وَلَا مَذْقَا

٥- أَبا الحُمْرِ سَبُّونَا وَتَلْقَى نِسَاءَهُمْ ... عَلَى كُلِّ نَهَّاتٍ إِذَا انْتَجَعُوا بَرْقَا؟!

٦- أَلَا إِنَّمَا العُكْلِيُّ كَلْبٌ فَقُلْ لَهُ ... إِذَا ما اعْتَوى: إخْسَأْ وَأَلْقِ لَهُ عَرْقَا

٧- وَإِنْ تَلْقَ تَيْمًا فِي النَّديِّ عرفْتَهَا ... عَرَفْتَ الأُنُوفَ الفُطْسَ والأَعْيُنَ الزُّرْقَا

اللغويات: ١- النعف: موضع..

٢- لُغاط: اسم جبل من منازل بني تميم، وقيل: وادٍ لبني ضبة، وماء لبني مازن بن عمرو بن تميم. [العرب: هو وادٍ ينحدر من الجانب الشمالي من جبل العارض - عارض اليمامة - (طُوَيق) وفي الوادي مياه وقد غُير لغاط فأصبح بلدة مشهورة، وحرف الاسم فأصبح (الغاط) بلهجة العامة].

والمُدجنات: السُحب الكثيرة المطر. والودق: المطر والغيث.

٤- الكِذّاب: الكذب. والمذق: المشُوب بكدر والمختلط، عدم الإخلاص.

٥- النَهّات: الحمار النَّهاق. وانتجعُوا: طلبوا خيره وقصدُوا ثمره...، وبرق: موضع.

٦- اعتوى: عوى. واخسأ: كلمة زجر وتوبيخ وسخرية.. والعرق (ويجمع على عراق وعراق)، وهو العظم أُخذ عنه معظم اللحم.

٧- الندي: النادي والمجلس والملتقى. والفطس: الذين تطامنت قصبات أنوفهم.

المصادر: «ديوان جرير» ٢/ ٨٠٠، والبيت الثاني في «معجم ما استعجم» (لغاط).

ب- وقال يمدح عبدالله بن الزبير (كامل):

١- مدَّ الزبيرُ عَلَيْكَ إِذْ يَبْنِي العُلَا ... كَنَفَيهِ حَتَّى نَالَتَا العَيُّوقَا

٢- ولَو أنَّ عبدالله فَاخَر مَنْ تَرَى فَاتَ البَرِيَّة عِزَّةً وسُمُوقَا
٣- قَرْمٌ إِذَا مَا كَانَ يَومُ نُفُورَةٍ جَمَعَ الزُّبيرِ عَلَيْك والصِّدِّيقَا!
٤- لَوْ شِئْتَ مَا فَاتُوكَ إِذْ جَارَيتَهُمْ ولكُنتَ بالسَّبْقِ المُبِرِّ حَقِيقَا!
٥- لَكِنْ أَتَيْتَ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ وَلَقَدْ تَرَى ونَرى لَدَيْكَ طَرِيقَا

اللغويات: ١- الكنف: الجانب والحصن والحرز والرحمة والصدر. والعيُّوق: نجم أحمر مضيء في السماء في طرف المجرّة الأيمن.

٢- والسُّموق: العُلو والسُّمو.

٣- نُفورة الرجل: أُسرته وفصِيلته ومن يتعصَّبون له.

٤- المُبّر: المبرور، وهو مالا شُبهةَ فيه ولا كذِب ولا خيانةً. والحقيقة: الجدير والخليق.

٥- المُصلِّي: الذي يتلو السابق.

المصدر: «الكامل في اللغة والأدب»، ٢/ ١٣٤. وفي حاشيته كتب المحققُ ما نصه: زيادات ر: يقال إن بلالًا لم يلحق ابن الزبير، إلا أن يكون مدحه ميتًا. وفي زيادات ر: ويروى: كفيه... (في البيت الأول) وهو أظهر لقوله: حتى نالتا.

جـ- وقال (طويل):

١- وَعُكْلِيةٍ قَالَتْ لِجَارَةِ بَيْتِهَا إِذَا العَيْرُ أَدْلَى: حَبَّذَا مَثْلَ ذَا عِلْقَا!!
٢- فَقَالَتْ لَهَا: يَا حَبَّذَا ثُمَّ حَبَّذَا وَيَا حَبَّذَا لَوْ جَاءني مِثْلَه أَلْقَا!!

اللغويات: ١- العير: الحمار الوحشي. والعلق: ج. أعلاق وعلوق وهو الجراب..

٢- ألقا: في «الحماسة» كتب المحققُ: في (ص) مثل ذا غلفا، وزاد بعد هذا البيت، وأورد (الثاني) مفردًا بالقاف (علقا)، وروى قوم بالفاء (غلفا) مع البيت الثاني، والغلف، الشيء الذي يجعل في الغلاف.

المصادر: «حماسة أبي تمام» عسيلان، ٢/ ٤٥٠، والثقافة ٢/ ٦٢٧ والأول في «شرح الأعلم»، ٢/ ٦ و «شرح الفسوي»، خ، ١٩١/ أ، و «عنوان النفاسة» خ، ٢٢٧/أ.

ثامنًا: اللام: أ- وقال في خلاد بن جندل ابن أخي القلاخ (طويل):

١- نَزَلْنَا بِخَلَّادٍ فَأَشْلَى كِلَابَهُ عَلَيْنَا فَكِدْنَا عِنْدَ بَيْتِهِ نُؤكَلُ
٢- تَنَاومْتَ نِصفَ اللَّيلِ ثُم أَتَيْتَنَا بِقَعْبَيْنِ مِنْ ضَيْحٍ وَمَا كِدْتَ تَفعَلُ
٣- فَقُلْتُ لأَصْحَابِي مُسِرًّا إِليهُمُ أَذَا اليومُ أم يومُ القِيَامَةِ أَطْوَلُ

١ - أشلى كلابه: أهاجها وأوغر صدرها. ٢ - الضيح: اللبن الخاثر يرقق بالماء.

المصادر: (١ - ٣) في «الوحشات» ٢٢٥، وأثبتُ روايته، و (١ و ٣) في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٧٢، له في حماد المنقري، وهما بدون عزو في «الحيوان» ٢/ ٢١٠ و «البخلاء» م. العربي للبحث والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م، ٢٦٤، و نُسب الأول لزياد الأعجم في «حماسة الخالديين» ٢/ ٣٠ و «الخزانة» ٣/ ٢٩٠ و «الصحاح» و «اللسان» (شلا)، ولم أجده في شعره صنعة د. بكار، ط. دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٣هـ. ورواية الأول في «الشعر والشعراء» (نزلنا بحماد فخلى كلابه...).

وفي «البخلاء»: نزلنا بعمار فأشلى كلابه علينا فكدنا بين بيتيه نؤكل، وفي «الحيوان»: (نزلنا بعمار... علينا فكدنا بين بابيه...) والثالث في «الشعر والشعراء»: (وقد قلت قبلي قائل ظل فيهم...).

تاسعًا: الميم: أ- وقال (طويل):

١ - أَمَـرْمَارُ قَدْ مُرْمِرتَ لُؤْمًا وَدِقَّـةً ... لأَضْيَـافِ صِـدْقٍ مُـرْمِلِينَ كِـرَامِ
٢ - فَبَـاتُـوا يَعُـدُّونَ النُّجُـومَ كَأَنَّهُم ... سُكَـارَى وَمَـا لَمَّجْتَهُـمْ بِطَعَـامِ
٣ - مُحَامِـرةٌ لَا يُطعِمُ الكَلْبُ خرءَهُم ... نِيَـامٌ وَمَـا أَضْيَـافُهُمْ بِنِيَـامِ

١ - مرمرتُ: تحركتُ، واهتزتُ. ٢ - لَمَّجَهُ: أطعمه شيئًا قليلًا. ٣- المحامرة: اللئيم.

المصدر: «الوحشيات»، ٢٢٦.

عاشرًا: النون: أ- وقال (الطويل):

١ - إِذَا مِتُّ فَـانعِيني لِمَولى تَظَـاهَرَتْ ... عَلَيْـه مِنَ الأَعْـدَاءِ أَيـدٍ وأَلْسُنُ
٢ - وَللطَّـارِقِ السَّـاري إِذَا حَلَّ رَحلَـه ... إِلَيَّ وَقَـدْ وَلَّى مِـنَ اللَّيلِ مَـوْهِنُ
٣- فَلَمْ أُرِ لِينًـا مَـنْ أَرَانِي غِلْظَـةً ... وَلَـم يَـرَ مِنِّي غِلْظَـةً مُتَلَيِّـنُ

اللغويات: ١ - تظاهرت الأعداء: تعاونوا ومنه قيل: تظاهر الناس تظاهرة أي اجتمعوا وخرجوا إلى الشوارع، متعاونين، يطالبون بأمر يريدونه.

٢ - الطارق: الآتي ليلًا سُمي بذالك لحاجته إلى دق الباب. والساري: السائر ليلًا.

والموهن: والوهن من الليل: نحو منتصفه، أو بعد ساعة منه.

المصدر: «ديوان جرير» ٢/ ٥٧١.

كلية الآداب - جامعة المنيا: د. عبدالمجيد بن محمد الإسداوي

المصادر والمراجع: سردها الدكتور المحقق مرتبة على الحروف، وقد مَرَّ ذكرها أثناء البحث، وهي مما بين أيدي القراء.

محمد بن خلف بن المرزُبان
وكتابهُ «ذمُّ الثقلاء»

(٢)

آثارُه: وكما كان له تلاميذ يروون عنه علمـه بالأخبار، والأشعار؛ فقد كان له أيضًا مصنَّفاتٌ منها ما هو مترجَّمٌ من الفارسيـة إلى العربية؛ فقد ترجم أكثر من خمسين أثرًا[١]، ولم يصل إلينا منها شيءٌ.

أما آثارهُ الأخرى فهي:

١- تفضيل الكـلاب على كثيـر ممن لبس الثيـاب. وقد نشـره لـويس شيخـو في المجلـد السابع من مجلـة المشرق سنـة ١٩١٢، ونشره أيضًـا إبراهيم يـوسف في القاهـرة سنة ١٣٤١هـ ثم نشره الـدكتور عصـام محمد شبارو فـي دار التضامن بيروت عام ١٩٩٢م.

٢- ذم الثقلاء، وهو هذا الكتاب، وسأفرده بحديث خاصٍّ به.

٣- وصف الفارس والفرس[٢].

٤- وصف السيف[٣].

٥ - وصف القلم[٤].

٦- الحاوي في علوم القرآن، وهو في سبعةٍ وعشرين جزءًا[٥].

٧- كتاب الحماسة[٦].

٨- أخبار عبدالله بن جعفر بن أبي طالب[٧].

٩- كتاب الشعر والشعراء[٨].

١٠- ألقاب الشعراء[٩]

١١- أخبار عبدالله بن قيس الرقيّات، ومختار شعره[١٠].

١٢- أخبار العرجيّ[١١].

١٣- كتاب السودان وفضلهم على البيضان[١٢].

١٤- كتاب الشراب ويحتوي على عدَّة كتب[١٣].

١٥- كتاب المُتَّيمين[١٤].

١٦- كتاب المعصومين[١٥].

١٧- كتاب المتباعدين[١٦].

١٨- كتاب الروض والزَّهر[١٧].

١٩- كتاب الجلساء والندماء[١٨].

٢٠- ذمّ الحجاب والعتب على المحتجب[١٩].

٢١- كتاب الهدايا[٢٠].

٢٢- كتاب مَن غَدَرَ وخانَ[٢١].

٢٣- كتاب الشتاء والصيف[٢٢].

٢٤- كتاب النساء والغزل[٢٣].

١٥- كتاب في أشعار الحارث بن خالد المخزومي في عائشة بنت طلحة[٢٤].

٢٦- كتاب الذهول والنحول[٢٥].

هذا ما بلغنا من أسماء كتبه، ولم يبلغنا اليوم منها إلّا شذراتٌ رواها أبو الفرج الأصبهاني في كتبه، وأخرى رواها السرّاج عن شيوخه في «مصارع العشاق»، وروى شذراتٍ منها آخرون دون أن ينصَّ أحدٌ منهم - في الغالب - على اسم كتابٍ بعينه. وبلغنا كتابان له هما: «تفضيل الكلاب على كثيرٍ ممن لبس الثياب»، و «ذمّ الثقلاء»، وهو الكتاب الذي نحققه. ويبدو أنَّ سوى هذين الكتابين كان معروفًا في القرن الثامن للهجرة، فقد وقعت قطعةٌ من مؤلفاته للذهبيِّ المتوفَّى سنة ٧٤٨هـ[٢٦].

وفاته: تجمِعُ المصادر على أنَّ وفاته كانت في سنة ٣٠٩هـ. وإذ نظرنا إلى أن من شيوخه محمد بن أبي السريِّ الأزديّ - كما سبق أن رأينا - وأنَّ ابن أبي السريّ هذا من طبقة سميِّه العسقلانيِّ لم نجد حرجًا أن نتابع قول من قال: إنه توفّي وهو في عشر الثمانين[٢٧].

نسبة الكتاب: تجمع المصادر أن هذا الكتاب له لا ينازعه في نسبته إليه منازعٌ، وفضلًا عن هذا الإجماعَ فإنَّ فيه من القرائن ما يدلُّ دلالةً قاطعةً على أنه من تأليفه. فمن هذه القرائن روايته فيه عن شيوخه: ابن أبي الدنيا، وأحمد بن أبي

طاهـر، وأحمد بن زهيـر المعروف بابن أبي خيثمـة، وعبدالله بن أبي سعـد الوراق. ومنها أيضًا طبيعته القـائمة على الأخبار، مما ينسجم وقول مترجميـه عن مصنفاته: إنها يغلب عليها الحكايات والأشعار.

وعليه لا أجـدُ بي حاجةً أن أطيل فـي موضوع نسبـة الكتاب إليه، لأنهـا - كما قلتُ - ثابتةٌ لا ينازَعُه فيها أحدٌ.

منهَجُهُ: الكتاب - كما هـو بيِّنٌ لكلِّ ناظرٍ فيه - كتـابُ أخبارٍ رُويت عن أعلامٍ في ثقافتنـا العربية أغلبُهم من أهـلِ الحديث الشريف كـانوا يستثقلون تـلاميذهم مرّة، و زملاءهم مرَّةً ثـانية، ونفرًا من الناس سواهما مرّة ثـالثة، ولكنه لا يتعرَّضُ إلى أخبار هاؤلاء الثقلاء، ونوادرهم في الثقل. وكأنَّ ما عقده ابنُ قتيبة المتوَّفى ٢٧٦هـ على أخبارهم في كتابـه «عيون الأخبار» قد أصبح منهجًا يتبَّعـه ابنُ المرزبان، ومن جاء بعـده، كابن عبد ربِّـه في «العقد الفـريد»، والقرطبي في «بهجـة المجالس»، والبيهقي في «المحـاسن والمساوئ»، والـزمخشـري في «ر بيع الأبرار» وسـواهم، ولعلَّ روح التقليد وحدها هي المسؤول عن هذا.

وملحظ آخر هـو أن طائفةً من أخبـار الكتاب لا تكـادُ تدخل في بابـة الثقلاء، ويمكنني أن أسوق على ذالك جملة أمثلـةٍ منها ما صدَّر به ابنُ المرزبـان كتابه من كتاب ابن أبي الدنيـا إلى الخليفة المعتضد يذكِّره بحقِّه عليه وهـو يؤدِّبُ ابنَهُ عليٌّ المكتفي، إذ لـم أر فيه شيئًا يمكن أن ينسب إلى الثقل. ومنها ما رواه من خبر جرير ابن عطية الخَطَفى(٢٨) يستعيـر راحلـةً من الفرزدق يحـجُّ عليها، ومنهـا الخبـران اللذان رواهما عن الحجاج بن يوسف الثقفي، وخبرُ هريرة صاحبة الأعشى بعد أن أسنَّت، وخبر الرجل الذي ليم على أن سمى ابنَه محمدًا.

فهـذه الأخبار جميعًـا من أنباء التبـاغض بين النـاس، بسبب اختلاف المنـازع السياسية كما هي الحال في بغض الحجّـاج بن يوسف الخوارجَ، وبسبب المنافرة في الشعر كما هو حال جرير والفرزدق، وبـأسباب أخرى قد تكون أسبابًا شخصيةً

بحتةً كما في علاقة أبي هاشم بن محمد بن الحنفية بإبراهيم بن محمد بن طلحة، وعلاقة ابن أبي الدنيا بتلميذه عليٍّ المكتفي، وبداعٍ من الأمر بالمعروف كما في خبر من أنكر على صاحبه الفاسق أن يسمي ابنه: محمدًا. أما خبر هريرة فلا نكاد نجدُ له طريقًا يدخلُ منه إلى مثل هذا الكتاب.

أقول هذا لأننا نفترض أن يُبغضَ الثقيلُ - أو يُشفقَ عليه من نفسه - بداعٍ من ثقل ظلّه، ورخامة شخصه، وتتايُهِـهِ بنفسِه جهلًا بمقدارها، بل لعلَّكَ تُبغِضُ الثقيل وأنت لا تعرِفُهُ، وتهربُ منه مخافة أن يقصدَك وأنت عنه بمعزل، فإذا سئلت عما يدعوك إلى ذالك لم تجد ما تُقنع به من سألكَ فأنكر عليك إلّا أنك لا تُطيقه، ولا تحتملُ رؤيته، تقول هذا وأنت تعلم أنه إنْ حاجَّكَ قطعَك، وإن خاصَمَك غَلبَك. وهذا هو الذي يحفزني أن ألاحظَ على بعضِ أخباره مالا حظتُ.

وشيءٌ آخرهُ في الكتاب - وهو شيءٌ قليلٌ - لم أشأ السكوت عنه، هو مابدا لي في بعض رواياته من غرابةٍ تخالفُ ما درجت عليه أخبارُ سواه، من ذالك ما رواه عن استثقال الإمام عليٍّ صاحبَهُ، وصفيَّه مالكَ الأشتر.

لا أقول ما قلتُ أتنقَّصُ من قدر الكتاب، وإنما هي خطراتٌ عرضت لي - وأنا منشغلٌ بتحقيقه - رأيتُ أن أعرضها على القارئ يرى فيها رأيه.

نسختُهُ: للكتاب - كما قرَّر كارل بروكلمان - نسخةٌ واحدةٌ هي نسخةُ المكتبة الظاهرية بدمشق(٢٩)، وهي النسخة التي اعتمدتُها، إذ لم أعثر على نسخةٍ أخرى، وهي بخط النسخ، كتبها عليّ بنُ مظفَّر بن مهدي بن ساعد الموصلي، وخطُّها أقربُ إلى الرداءة منه إلى الجودةِ مما يجعلها صعبة القراءة شيئًا ما، فإذا أضفنا إلى هذا ما لحقها من رطوبةٍ، وتداخلٍ في بعضِ أسطرها، وانخرام بعضها الآخر أدركنا المشاكل التي على المحقق أن يتصدى لها فيها.

و على أن النسخة من بنات القرن السابع للهجرة(٣٠)، عارضها ناسخُها بالأصل الذي نقل منه، ثمَّ قرأها على شيخه إسماعيل بن أبي بكر بن جلدك القلانسي، إلا أنَّ ذالك لم يكن عاصمًا لها من التصحيف والتحريف.

وأصل نسختنا - كما نصَّ على ذالك كاتبها - نسخةٌ مقروءة على الشيخ أبي منصور بن مكارم المؤدِّب في العشرين من رمضان سنة ٥٦١ هـ، قرأها عليه الحسنُ بن عمار، ولكنني لا أعرف، كما هي طبيعة الحال، إن كان ما لحق بها من تصحيف وتحريف قد جاء من ناسخها أم من الأصل الذي كان نَقلَ عنه.

والنسخة ضمن مجموع فيه: «موعظة المعافى بن عمران، وحديث العباءة التي لبسها أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وأحاديث»، وهي تقع في تسعِ ورقات، مسطرتها ١٣ × ٩,٥ سم، في كلِّ صفحةٍ منها ثلاثةٌ وعشرون سطرًا، يحتوي كلُّ سطرٍ منها ما معدَّلُهُ خمس عشرة كلمة.

وجاء على وجه الورقةالأولى أنه كتاب «الثقلاء» لأبي بكر محمد بن خلف بن المرزبان عن مشايخه رحمة الله عليهم، رواية العبد الفقير إلى الله تعالى علي بن مظفر بن مهدي بالسند المذكور باطنًا عفا الله عنه ثم على الورقة نفسها ما صورته: (نسخ عليه محمد صادق فهمي بن السيد أمين المالح الكاتب في المكتبة العمومية بدمشق رحمهما الله والمسلمين ١٣٢٩).

تحقيق الكتاب: درج المحققون أن يتحدَّثوا عن منهجهم - ولا أقول مناهجهم- في التحقيق، وكدتُ أظنُّ أنني في غنًى عن هذا الحديث، لأنَّ قواعد التحقيق تكاد تكون قد استقرَّت مما يجعل المحققَ أيَّ محقق مُلزمًا باتباعها، لا يكاد يجتهد إلا في حدود ضيقةٍ هي مجالُ حديثه عن منهجه. ولولا هذه الحدود الضيِّقة لما عقدتُ شيئًا للحديث عن تحقيق الكتاب.

وينبغي لي أن أقول: إنّ مجال اجتهادي انصبَّ في ناحية واحدة هي عنوان الكتاب، فقد ورد على وجه الورقة الأولى من نسخته المخطوطة - كما وصفتُ -: أنّه: «كتاب الثقلاء» خلاف ما أجمعت عليه المصادر من أنّه: «ذمُّ الثقلاء»، وإذ رأيتني مُلزَمًا بتحقيق عنوانه وجدُتني أميلُ إلى رواية المصادر، لاسيما أن محمد بن إسحاق النديم - وهو قريبٌ من عصر المؤلف - قد نصَّ على ذالك. هذا إلى أن

طبيعة الكتاب قد رجَّحت عندي هذه التسميــة، فالأخبار التي وردت فيه تقوم على ذمِّهِمْ لا على أخبارهم أو نوادرهم أو ما أشبه ذالك، مما يجعل تسميته بذمِّ الثقلاءِ مُنطبقةً علـى مضمونِه. ولعلَّ مـا ورد على الصفحة الأولـى من مخطوطته هـو من باب اختصار عنوانه.

بقي شيء آخـر لا بد لي من ذكـره هو أنَّ السيّـد محمد بن نـاصر العبــودي قد أصدر كتابًا في الرياض سنة ١٩٧٩ سمّاه «الثقلاء» جمعَ فيه ما تيسَّر له من أخبارٍ في كتب التراث عن الثقلاء، وكان من بين الكتب التي رجَعَ إليها كتابنا هذا، ولكنَّه لم ينقل كلَّ مـا ورد في الكتاب من نصـوص بـدعوى أنَّ من نصــوصه مـا ليس في الثقــلاء. وصحيحٌ أنَّ في نصــوصه مـا لا عــلاقـة بالثقــلاء، ولكن العبــودي أهمل نصوصًا في الثقلاء منـه لصعوبة قراءتها، وتصرَّف في نصوصٍ أخـرى منه مطموسة لا أعرف كيف اهتـدى إلى إثباتها، وأهمل إثبــات زيارة أبنـاء عمِّ أبي الشمقمق له وهــو في بغداد رغم أن مـا ورد في الخبـر من شعره هي ممـا فـات (غرونبـاوم) في «شعــراء عباسيــون» وأهمل كذالك أبيـات محمد بن عبـدالملك بن الزيّـات رغم أنها مما أخلَّ به ديوانُـه بطبعتيه المصرية والإماراتية[٣١]. وأهمل أشياء أخرى مما يندرج تحت شـرط كتابه الذي ذكـره على الصفحة ١٣ القائل بأنــه نقل كلَّ ما في كتاب ابن المرزبان إلَّا (مالم يصرِّح فيه بلفظ الثقل أو الثقلاء..).

أما إثباته النصــوص المطموسة مما اهتدى إلى إثباتِه ولم أهتـدِ إليه فأسوق منه مثلًا واحدًا يُغني هــو أنه قال: (وعن الفضل بن المهلَّب قال: الثقــلاء ثلاثةٌ: رجلٌ كــان يزور قـومًا فـاستثقلوه، فغـاب عنهم فانفسحت أبصــارهـم وطابت نفــوسهم ثم أتــاهم يعتذر عن تخلفــه عنهم، ورجل أتى رجلين وهما في حـديث قد أعجبهمـا فدخل فيما بينهمــا فلما بلغ منهما قال: لعلكما كنتما على حـديث خاصٍّ لكما - ورجل انتهى إلى حلقة قـومٍ فأقبل على الذي يليـه فقال: أيش يقول هـذا؟ فهو لا يسمع ولا يدع من يسمع أو يفهم الحـديث) هكذا أثبت السيّـد العبودي نصَّ ابن

المرزبـان. وينبغي لي أن أذكر أنـه ليس في أولاد المهلَّب بن أبي صفـرة من اسمُه الفضل، وإنَّما هو مصحَّفٌ عن المُفضَّل وترجمتهُ في «تهذيب التهذيب»[٣٢]. فأما الخبر الذي هـو في المخطوط فيقول: (... حدثني أبو محمـد بن عبدالله بن عبيد، حدثنا عثمان بن افد.. قال: قال: الفضل بن المهلب: الثقلاء ثلاثة: رجلٌ كان يزور قـومًا يستثقلـونه، [فسـألوا الله أن يُـريحهم منه]، فغـاب؛ فـافتتحت [كذا، ولعلهـا فانفسحت] أبصـارُهم، وطابت نفـوسهم، ثم أتاهم يعتـذر من تخلفه عنهم، ورجلٌ أتى رجلينِ فقد [بياض] دو [ن] النـاس فدخل بينهما فلما بلغ منهمـا قال: لعلكما كنتما في على.. [كذا] انتهى إلى حلقة قومٍ فأقبل على الذي يليه فقال: أيش يقول هذا [لكم][٣٣]؟ فهو لا يسمعُ، ولا يدع من يسمع يفهم عن الحديث).

ولا أريد أن أفاضل بين ما قرأتُ وقرأ السيّد العبودي وإنما أريد أن أثبت ما قاله أبو بكر الخوارزمي في أمثـاله المولَّدة[٣٤]، إذ قال في باب الأعـداد مما يدخل في الهزل: (الثقـلاء أربعةٌ والـرابع أثقلهم: رجلٌ كان يزور قـومًا فسألـوا الله أن يريحهم منه، فغـاب أيامًا، وطـابت أنفسُهم ثم أتاهـم معتذرًا، وقـال: والله ما حَبسني عنكم إلّا شُغلٌ، ورجُلٌ أتى رجُلين - وهما في حـديث - فأخذ بأنفـاسِهما، حتى إذا بلغ منهما قـال: لعلّي قد قطعـتُ عليكما، فاستحييـا منه، فقـالا: لا، ورجلٌ انتهى إلى حلقةٍ - ورجُلٌ يحـدّثهم - فأقبلَ على الذي يليـه، فقال: أيش يُحدّثكم هـذا؟ فلا هو يسمعُ، ولا غيرَه يتركُ. والرابعُ الشابُّ المكتهِلُ الذي أرخى ضفيرته).

ومهما يكن من أمـر فالعبودي مشكورٌ على مـا قام به، وإذ ذكرتـه كان يجبُ أن أسبق ذكره بذكر أستـاذي الجليل العلّامة الشيخ حمد الجاسر، فقـد كان هو الذي تفضَّل فبعثَ لي بكتـاب الأستـاذ العبودي، وبمصـوَّرة «اتحـاف النبلاء في أخبـار الثقلاء» للسيـوطيّ. وإذا كان لسـاني يعجز عن شكـرِه الشكرَ الـذي يستحقُّه فلن يعجز قلبي عن الدّعـاء له بطول العمر مُعـافًى، وبالتوفيق له في كلِّ مـا يقوم به من خدمة العربية وأهلها، جزاه الله عنها وعن لغة قرآنه أفضل الجزاء وأوفاه.

وبعد، فلستُ بزاعمٍ أنني أدَّيتُ للكتاب كلَّ ماله من حق عليَّ، ولكنني أزعم أنني بذلتُ فيه جهدي ما وسعني ذالك، فإن كان قد استقام الكتاب بهذا الجهد فذالك ماكنتُ أرجوه، وإلا فلا بأس من أن أعزِّي نفسي بقول الشاعر العربي القديم:

إذا الشافعُ استقصى لك الجهدَ كلَّه وإن لم ينل نجحاً - فقد وجب الشكرُ

ومهما يكن من أمرٍ فأرجو أن أكون بنشر الكتاب قد جلوتُ عن اسم ابن المرزبان شيئًا من صدإِ القرون.

بولنده: محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

(١) ينظر «معجم البلدان» ١٩: ٥٢. (٢) «معجم الأدباء» ١٢: ٥٢، «هدية العارفين» ٢ : ٢٦.

(٣) نفساهما، على أنه وما يليه في «هدية العارفين» كتابٌ واحدٌ هو: «وصف السيف والقلم».

(٤) «معجم الأدباء» ١٢ : ٥٢.

(٥) «الفهرست» ٣٩٦، ٦٥٥، و «معجم الأدباء» ١٢: ٥٢، و «طبقات المفسرين» ٢: ١٤٦، و «إيضاح المكنون» ٢ : ٢٨٧، و «هدية العارفين» ٢: ٢٦، وينظر «الوافي بالوفيات» ٣ : ٤٥.

(٦) «الفهرست» ٣٩٦، ٦٥٦ «معجم الأدباء» ١٩ : ٥٢، و «الوافي بالوفيات» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٦، و «هدية العارفين» :٢ : ٢٦.

(٦) «الفهرست» ٣٩٦، ٦٥٦ «معجم الأدباء» ١٩ : ٥٢، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٦، و «إيضاح المكنون» :١ : ٤٣، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦.

(٨) «الفهرست» ٦٥٦، «هدية العارفين» ٢ : ٢٦، وسماه في «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٦ «كتاب الشعراء».

(٩) «الفهرست»: ٦٥٦، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «إيضاح المكنون» ١ : ١٢١، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦.

(١٠) «الفهرست»: ٦٥٥ وفي «إيضاح المكنون» ١ : ٣٩ أخبار أبي [كذا] قبيس الرقيات ومختار شعره، وفي الحاشية: لعله ابن قيس. وفي «الوافي» ٣ : ٤٥ و «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٦ (أخبار عبدالله بن قيس الرقيات).

(١١) «الفهرست»: ٦٥٦، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٦، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦.

(١٢) «الفهرست» ٦٥٦، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦ وهو في «طبقات المفسرين» ٢:١٤٦ «تفضيل السودان على البيضان».

(١٣) «الفهرست» ٦٥٥ - ٦٥٦ وينظر «الوافي» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢: ١٤٧.

(١٤) «الفهرست»: ٦٥٥، و «إيضاح المكنون» ٢ : ٣٢٨، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦ كتاب «المتيمين المعصومين»، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٧ كتاب «المتيمين المعصومين المتباعدين».

(١٥) «الفهرست»: ٦٥٥.

(١٦) نفسه وفي «الإيضاح» ٢ : ٣٣١، و «الهدية» ٢ : ٢٦ كتاب المساعدين، وأحسبه تصحيفًا.

(١٧) «الفهرست»: ٦٥٦، وهو في «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٧ الروضة، وفي «الوافي» ٣ : ٤٥، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦، و «إيضاح المكنون» ٢ : ٣٠٠ الروض.

(١٨) «الفهرست»: ٦٥٦، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢/ ١٤٧، و «إيضاح المكنون» ٢:٢٨٦، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦.

(١٩) «الفهرست»: ٦٥٦، و «إيضاح المكنون» ١ : ٥٤٣، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦، وهو في «الوافي» ٣:٤٥ (ذم الحجاب).

(٢٠) «الفهرست»: ٦٥٦. و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢ : ١٤٧، و «إيضاح المكنون» ٢ : ٣٥٠، وفي «تاريخ الأدب العربي» ٢ : ٢٤٠ أن له كتابًا اسمه: الهداية، وقال: إنَّ نسخته الخطية في القاهرة، وإنَّ نسخةٌ من منتخبه في لندبرج - بريل.

(٢١) «الفهرست»: ٦٥٦، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «طبقات المفسرين» ٢ : ٢٤٧.

(٢٢) «الفهرست»: ٦٥٦، و «الوافي» ٣ : ٤٥، و «إيضاح المكنون» ٢ : ٣٠٥، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦.

(٢٣) «الفهرست»: ٦٥٦، و «الوافي» ٣ : ٤٥، وفي «إيضاح المكنون» ٢ : ٣٤٣، و «هدية العارفين» ٢ : ٢٦ النساء والعزل.

(٢٤) ينظر «تاريخ الأدب العربي» ٢ : ٢٤.

(٢٥) ينظر «تاريخ الإسلام» (وفيات: ٣٠١ - ٣١٠): ٢٦٠.

(٢٦) ينظر «معجم المؤلفين» ٩ : ٢٨٥.

(٢٧) ضبط الخطفى من فوائد العلامة الشيخ حمد الجاسر في «العرب» س ٣٢ - ص ٧٧٢.

(٢٨) «تاريخ الأدب العربي» ٢ : ٢٤٠.

(٢٩) لا عبرة مما قال العبودي في «الثقلاء»: ١١ وهو يصف المخطوط بأنه من القرن السادس.

(٣٠) لا أملك وأنا في الغربة ديوان ابن الزيّات لأخرِّج عليه، وإنما ذالك من فوائد صديقي الدكتور حاتم صالح الضامن مشكورًا.

(٣١) ١٠ : ٢٧٥، وينظر «الأعلام» ٨ : ٢٠٥.

(٣٢) ما بين المعقوفتين مني والمطموس هنا أكثر من كلمة واحدة.

(٣٣) «الأمثال»: ١٢٣ بتحقيقنا، وهذا كنتُ أثبت عنوانه يوم طبعته، وثبت عندي الآن أن اسمه الحقيقي: «الأمثال المولَّدة».

النقد اللغوي في «غريب الحديث» لأبي عبيد

يُعَـدُّ كتاب «غـريب الحـديث» لأبي عبيد القـاسم بن سـلَّام المتوفى سنـة ٢٢٤ للهجرة، من أَصَل كتـب الحديث واللغة. ولـذالك نال عنـاية أهل العلم قـاطبة، من لدن عصـر مؤلفه فإلى عصرنـا هذا. وقد اعتـرف له بهذا السبق من بَعده، لُغَـويٌّ كبير هو أبو عبدالله محمد بن مسلم بن قتيبة المتـوفى سنة ٢٧٦ للهجرة. إذ بيّن في مقدمة كتابه «غريب الحديث» الذي حذا فيه حَذْو أبي عبيد، أن حملة الحديث قد كُفوا فيه مؤونة التفسير والبحث، بما ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم بما ألفه هو[١].

ويـراد بـ (الغـريب) في الاصطلاح: مـا قلَّ دورانُـه من الألفاظ على الألسنـة، ولـذالك احتاج إلى تفسيـر وبيـان، لما يكتنفـه من الغمـوض. فكان في التـراث: (غريب القرآن) و (غريب الحديث) و (غريب اللغة) و (غريب الشعر). فالميدان إذَنْ في هـذا الضرب من التأليـف: لغوي، ولـذالك تضمّن ضـروبًا من المبـاحث اللغويـة، كالمعـرَّب والدَّخيـل، والاشتراك، والتَّضَـادّ، والمُتَرادف والتطـور اللغوي الدلالي، وما إليها.

فكان هذا الكتـاب جامعًا لألوان من العلوم والمعـارف، ولا سيما مباحث علم اللغة. وفـي هذا يقول أبـو عمرو بـن الصلاح[٢]: (.. وصنف بعد ذالك أبـو عبيد القاسم بن سـلّام كتابـه المشهور، فجمع، وأجاد، واستقصى، فـوقع من أهل العلم بموقع جليل، وصار قدوة في هذا الشأن).

ويهمنـا في هذا البحث من كتـاب أبي عبيد، الكـلام على (النقد اللغـوي)، إذ كان مـن أوائل النقاد اللغويين، ومـن كبار قُدامـى المعجمّيين، فكتابه: «الغـريب المصنف»، من أصَلِ المعجمات العربية. وتبدو أهمية هذا البحث في أنه يكشف لنا عن أقـدم نقد لغـوي، ورد في كتاب يتعلق بغريب الحـديث: فأبو عبيـد لغويٌّ فوق أنه محدّث وفقيه.

وإذا استقْرينا جهوده في هذا المضمار اللغوي، ألفينا نقده اللغوي يتناول فريقين رئيسين من الناس، لكل منهما صفته وماهيته، وهما: (العوام)، و(الخواصّ)، فالفريق الأول يتمثل بعامة الناس في المجتمع الذي عاصره، والفريق الثاني يتمثل بخاصتهم، من أهل العلم، وهم اللغويون والمحدِّثون، والنحاة، والفقهاء... وقد شمل هذا النقد ما في لغة الفريقين المتداولة من انحراف لفظي أو دلالي. وسنبدأ بالكلام على اللون الأول وهو:

(١) نقد لغة العوام: وضع أبو عبيد أيدينا على جانب مهم من لغة العوامّ في عصره، متَجليّا في استعمالهم ألفاظاً وعبارات ودلالات مخالفة للغة الفصحى، وما يدور على ألسنة الفصحاء. ويبدو هذا النقد في صورة موازنة بين الفصيح، وبين ما ينطق به هاؤلاء العوام، وهم سواد الناس وعامتهم. ونستطيع أن نقول: إنه في هذا الصنيع من الروّاد الذين تحدثوا عما عرف بـ(لحن العوام)، وله في هذا كتاب هو «ما خالفت فيه العامة كلام العرب»، نقل عنه ابن منظور[٣].

غير أن الذي أورده ونبه عليه في كتابه «غريب الحديث» ذو قيمة علمية كبيرة أيضاً، ذالك أنه تناول ما غلطوا فيه من ألفاظ الحديث لفظًا ومعنًى.

وهذا الموضوع عُني به عدد من كبار معاصريه بالتُّصنيف فيما عرف بـ (لحن العام) أو نحوه، على نحو ما صنع الكسائي والفرَّاء وأبو عبيدة والأصمعي[٤]. وهاؤلاء جميعًا كانوا شيوخًا لأبي عبيد استقى منهم طرفًا من مادة كتابه: «غريب الحديث». فلاغرابة بعد هذا أن يُعنَى بهذا الموضوع مثل هذه العناية التي وصفنا آنفًا.

ويشعرنا بهذا التأثير والتأثّر، روايته عن غير واحد منهم - نقداً لغوياً، في كتابه هذا.

وصنف بعد أبي عبيد في (لحن العوام) آخرون، كالمازني (ت ٢٤٨هـ)، وأبي حاتم (ت ٢٥٠ هـ)، وابن قتيبة[٥].

وقد تأثر أبا عبيد في هذا الجانب اللغوي القيم غيرُ واحد ممن تَلاه، على نحو ما نجد في «فصيح ثعلب»[٦]، إذ ضمّن كتابه هذا شيئًا مما أورده أبو عبيد من نقد

لغوي. وما نجد في «التلويح في شرح الفصيح» لأبي مسهل محمد بن علي الهروي (ت ٤٣٣ هـ).

ففي حديث (قيْلة) أن إحدَى بناتها كانت (قد أخذتها الفرْصة)، ففسرها بالريح التي يكون منها الحدب، وذكر أنّ العامة تقولها بالسين، وأن المسموع من العرب بالصاد [٧] فهذا مما حرّفه العوام في لفظه. وهو لاشك ضرب من الإصلاح اللغوي، بناه أبو عبيد على إبدال العوام صاد هذه اللفظة سينًا، تسهيلاً للنطق؛ إذ تجافوا عما في الصاد من إطباق، وما يحتاجه من جهد عَضَليٍّ في النطق [٨]. وهذا ظاهر في اللهجات العربية الفصيحة أيضًا، إذ تَمِيْلُ قبائل إلى هذا الضرب من الإبدال لهذا السبب، كقول بعضهم (سَفْر) بدلًا من (صَفْر)، على حين عكس آخرون فأبدلوا السين صادًا، قال الخليل [٩]: (الصقيفة لغة في السقيفة). وقد قرئ في فاتحة الكتاب المجيد: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾: بالصاد والسين [١٠]، بقراءتين مشهورتين.

ولننظر إلى أبي عبيد كيف ينقد العوام في نطقهم الحروف المقطعة في أوائل السور، التي عُرِفت في الفصيح بـ (آل حم)، وكيف أن العوام حرفوا بعد ذالك تركيبها وصورتها إلى شيء آخر. ففي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (إذا وقعتُ في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهنّ)، حكى أبو عبيد عن الفراء (ت ٢٠٧ هـ) أن (قوله: آل حم، إنما هو كقولك: آل فلان وآل فلان، كأنه نسب السورة كلها إلى (حم)، ثم قال بعد ذالك: (وأما قول العامة (الحواميم) فليس من كلام العرب)، واحتج لذالك بقول الكميت بن زيد:

وجدنا لكم في (آل حَم) آيةً   تأوّلها منا تقيٌّ ومُعربُ [١١]

وبهذا جعل أبو عبيد (كلام العرب)، المحك الذي تعرض عليه الأقوال، وتوزن على أساسه الألفاظ. وهو أساس لاشك في صحته وقيمته.

وربمـا علل الوجـه الذي يـراه البديل من كـلام العوام، معتمـدًا في ذالك على أقوال كبـار اللغويين. ففي حديث أبـي هريرة رضي الله عنـه أنه قال: (لمـا افتتحنا خيبر، إذا ناس من يهـود مجتمعون على خبزة يملونهـا، فطردناهم عنها، فأخـذناها فاقتسمناها..)، يقـول أبو عبيد: (قال الأصمعي: قوله (خبـزة) هي التي عند العامة (المَلّة)، و إنما الملة عند العرب: الحفرة التي فيها الخبزة، ولهذا قيل: يملُّونها، إذا عملوها في الملّة... وإنما قيل: فلان يتململ على فراشه: إذا كان يتضوّر عليه ولا يقرّ؛ لأنه مأخوذ من المَلّة، أي كأنه على مَلَّة، فهو قلق.

وأضاف أبـو عبيد بعـد هذا الـذي حكاه عن شيخـه الأصمعي، قولـه: (مللتُها أَملُّها مَلًّا)[١٢]، وكأنه بذالك يتم قول الشيخ ببيان الاشتقاق.

وهـذا ما ذهب إليـه بعـد الأصمعي وأبي عبيـد ثعلب (ت ٢٩٠ هـ)، إذ قـال: (وأُطعِمنا خُبـزَ مَلَّة، وخبزةً مليـلًا، ولاتقل: أُطعمنا مَلّـةً، لأنّ الملّة الرمـاد والتراب الحار)[١٣].

كما نبه عليـه الهروي أحد شراح «فصيح ثعلب»، فقال: (وخبز الملَّـة هو الذي يدفن في الرماد الحار، أو التراب الحار، حتى ينضج)[١٤].

وربما اقترن النقـد اللغوي لدى أبي عبيد بتحليل لغوي، على نحـو ما نجد في وقوفـه عند حـديث مجاهد بن جبـر (ت ١٠٣هـ) أنه يكـره أن يتزوج الـرجل امرأة رابِّهِ، وإن عطـاءًا (ت ١١٤هـ) وطاووسًا (ت ١٠٦هــ)، لا يريان بأسًـا بذالك. إذ يعلق أبو عبيد على ذلك بقـوله: (قوله: امرأة رَابِّهِ، يعني: امـرأة زوج أمه، وهو الذي تسميـه العامـة (الرَّبِيْب)، وإنمـا الـربيب ابن امرأة الـرجل، فهـو ربيبٌ لزوجهـا، وزوجها المربـوب له، وإنما قيل له: رابّ، لأنه يـربُّه ويربِّيه، وهو الغـذاء والتربية. وابن المرأة هو المربوب. فلهـذا قيل: ربيب، كما يقال للمقتول: قتيل وللمجروح: جريح. وكان عمر بن أبي سلمة يسمى ربيب النبي ﷺ، لأنه ابن أم سلمة).

وأضاف أبو عبيد إلى ذالك شاهدًا شعريًا، هو قول معن بن أوس المزني:

وإنّ لهـا جـارَيْنِ لن يَغْـدر بهـا ربيبَ النبـي وابنَ خَيْـرِ الخـلائِفِ

وجاراه هما: عمر بن أبي سلمة، وعاصم بن عمر بن الخطاب(١٥).

فهذا الذي حكاه أبـو عبيد، مما حرّفه العوام عن جهتـه، في لفظه وصورته التي هو عليها في الكلام العربي الفصيح.

أمّا ماحـرفوه في دلالته، فله في كتـاب أبي عبيد: «غريب الحديـث» عدة أمثلة أيضًا، على نحو مـا نجد في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنـه في الذي أتاه فقال: (إني تـزوجت امرأة شابَّـة، وإني أخاف أن تَفْركني، فقـال عبدالله: إن الحبّ من الله، والفَـرك من الشيطـان، فإذا دخلت عليـك فصلِّ ركعتين، ثم ادعُ بكـذا وكذا)(١٦). فقـد فسّـر أبـو عبيـد (الفَـرك) ببغض المـرأة زوجهـا، وبيّن أن ذالك مخصوص به المرأة وزوجها فحسب، وأنه لم يسمعه في غير ذالك الاستعمال. ثم بيّن بعـد ذالك لفظًا آخـر يقـابل هذا اللفظ الـذي يتعلق بـالحياة الـزوجية، وهـو: (الصَّلَف). ويراد بـه: أن يبغض الرجل امرأته، وألا تحظى عنـده، فيقال: (صَلِفَتْ عند زوجهـا تصلف صَلفًا)، وبيّن أنّ هذا (هـو الصلف عند العرب)، يريـد: معناه في استعمـالهم وكـلامهم. ثم قـال: (وقـد وضعت العـامة هـذه الكلمـة في غيـر موضعهـا)(١٧)، يقصـد: من حيث دلالتها. إلا أنـه - كمـا هو واضح - لم يحـدد صـورة هذا الانحـراف والتغييـر الـدلالي لـديهم، ولعله من الشهـرة والظهـور في عصره، بحيث لا يحتاج إلى بيان.

فالصلف في العربي الفصيح، كمـا حكاه أبوعبيد(١٨)، وأما تحريف العـامة له فلعله في إسنـاده إلى المرأة، بجعلها هي الكارهـة لزوجها، وليس الزوج هـو الكاره لها. فهذا إذنْ من تحريف الدلالة لدى العامة.

وفي الحديث المـروي عن النبي ﷺ: «اللهـم إني أسألك غنـاي وغنى مولاي»، يضع أبو عبيد أيدينا على انحراف دلالي آخر أحـدثته العامة على ألسنتها، فاتخذ له دلالة مغايرة لأصله الفصيح، وذالك في لفظة: (المولى) التي هي في الواقع من

(الألفاظ المشتركة) في اللغة، أي: أنها تحتمل عدة معان[١٩]. إلا أن العوام خصصوها - كما يذكر أبو عبيد - في عصره بمعنى واحد من معانيها، وهو ابن العمّ، قال: (وليس هو هكذا، ولكنه الوليّ. فكل وليّ للإنسان هو مولاه، مثل الأب والأخ وابن الأخ والعم وابن العم، وما وراء ذالك من العصبة كلهم).

واحتج لذالك بقوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿وإنّي خِفْتُ الْموَالِيَ من ورائي﴾ [مريم: ٥]، وبقول النبي ﷺ: «أيّما امرأة نكحَتْ بغير أمرِ مولاها فنكاحُها باطل». وبيّن أنه أراد بالمولى: الوليّ، ثم عاد فاحتج بآية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿يوم لا يُغْنِي مولًى عنْ مَوْلًى شيئًا﴾ [الدخان: ٤١]، وقال متسائلاً: (أفتراه إنما عنى ابن العم خاصة دون سائر أهل بيته)[٢٠]؟ نافيًا ومنكرًا ذالك التخصيص الذي ذهب إليه العوام في كلاهم اليومي الدارج.

فهذا أيضاً من مصاديق تحريف هاؤلاء العوام - الذين عاصروه - لمعاني هذه الألفاظ التي تداولوها. وصورة هذا التحريف هنا: التخصيص بمعنًى دون سائر المعاني الأخرى للفظة (المولى)، التي تجاوزت العشرة.

٢- **نقد لغة الخواص**: وهو - كما أسلفنا - نقد أهل العلم: من اللغويين والنحاة والمحدثين والفقهاء.. إذ كان أبو عبيد يعرض لطائفة من التعابير الواردة عنهم، فيتناولها بالنقد، مُبيّنًا وجه الخلل فيها والتغيير الذي طرأ عليها. وهو لا يطلق القول من دون حجة أو دليل، بل إنه كثيراً ما يلجأ إلى التعليل في ضوء حقائق اللغة وقواعدها العامة، مبينًا وجه الدليل. وبذالك يكون في هذا المنهج قد سبق الحريري (ت ٥١٦ هـ) في كتابه المعروف: «درة الغوّاص في أوهام الخواص» من حيث نقده لأهل العلم والفضل في عصره، ممن نعتهم بالخواص. بل لعله رائد في هذا المضمار، إذ المشهور في الكتب التي ألفها عدد من معاصريه أو التالين لعصره، مما عرف بكتب اللحن، أنها اختصت بلحن العوام دون الخواص، كما ألمحنا إلى ذالك سالفاً.

فمن هذا الضرب المتعلق بنقد الخواص، ما أورده أبو عبيد في تفسيره غريب حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (وقارّوا الصلاة)، إذ بيّن أنّ من الناس من كان يذهب به إلى (الوقار)، على حين يراه هو مجافياً للصواب. وعلة ذالك عنده (أنه لا يكون من الوقار: قارّوا، ولكنه من (القرار)، قد قرّ فلانٌ يقرّ قرارًا وقرورًا، ومعناه: السكون، وإنما كره عبدالله العبث والحركة في الصلاة). واحتج لهذا التوجيه بحديث ابن مسعود الآخر، وهو (أنه كان إذا صلى لم يطرف ولم يتحرك منه شيء)[٢١].

فأقام نقده للخواصّ هنا على أساس (الاشتقاق) كما هو واضح، من حيث إنّ جعله من (الوقار) لا يدل عليه لفظ الحديث، بل هو من (القرار)، المراد به السكون عند أداء فريضة الصلاة، إذ يكون العبد ماثلاً بين يدي الله عز وجل، فما أحراه أن يظهر الخشوع والثبات.

ونراه يقف عند حديث لابن مسعود أيضًا، وهو (إن التمائم والرُّقى والتِوَلة من الشرك). فيحكي أولًا عن شيخه الأصمعي أن (التولة) إنما هي بكسر التاء، وأن المراد بها ما يحبب المرأة إلى زوجها. فيعقب أبو عبيد على ذالك بقوله: (فأما الذي يحبب المرأة إلى زوجها، فهو عندنا السحر)[٢٢].

فهو بهذا التعقيب لا يجعل لما سمّي (التِولَة) تأثيرًا في زوج المرأة، كالذي يحدثه السحر، بل يرى ذالك للسحر وحده.

على أن (التِوَلة) في المعجمات خرزة تستعملها المرأة لتحبّبها- في اعتقادها - إلى زوجها[٢٣]. وهو ما نجده لدى عوام النساء في أيامنا هذه أيضًا، ولاسيما في الأرياف. فهي - على هذا بكسر التاء، أما التي بالضم فهي في زنة (هُمَزة) أي (فُعَلَة)، ويراد بها - كما في المعجمات - (السحر أو شبهه).

أو بعبارة أخرى: إن لها تأثيرًا كتأثير السحر، أوهو السحر نفسه. وهذا لاشك من تخليط العوام، واستمساكهم بما لا أصل له في الدين أوالعقل، وإن كان السحر لا شك فيه لثبوته في نصوص القرآن والحديث.

ومن دقيق نقده اللغـوي للخواص، مصحوبًا بـالتعليل، ما أورده في وقوفـه عند حديث ابن عبـاس رضي الله عنه في الـذبيحة بالعُـود، وهو: (كلّ مـا أفرى الأوداج غير مُثرّد)، إذ نقل عن أبي زيـاد الكلابي الأعرابي أن التثريـد ذبح (الذبيحة بشيء لا حدّ له، فلا يُنهر الدمَ ولا يسيله، فهذا المثرّد وليس بذكي، إنما هو قاتل).

وبيّن أن إفـراء الأوداج يعني: تقطيعهـا وتشقيقهـا، ثـم قـال: (وقـد تأوّل بعض الناس هـذا الحديث، أن قـوله: كُلْ، من الأكـل، وهذا خطأ لا يكون، ولـو أراد من الأكل لـوقع المعنى على الشفرة، إذا قـال: كُلْ مـا أفرى الأوداج، لأن الشفـرة هي التي تفري)[٢٤]. ثم بيّن أن المعنى: (أن كل شيء أفرى الأوداج من عُود أو ليطة أو حجر، بعد أن يَفْريها، فهو ذكي مثرَّدٌ)[٢٥].

ومعنى هذا أن هذا المخطئ قد جعل كلمة (كل) فعلًا وليس اسمًا مبتدأ، وبهذا يقع - على هذا التقدير - على آلة الفـري، وهي الشفرة، وهو مالا يكون، وليس هو المراد لدى المتكلم في شيء، إذ كيف تكون الشفرة مأكولة؟!

ونلحظ أن نقـده اللغـوي يتنـاول طـائفـة مـن الألفـاظ التي تـدور في الـدوائر الفقهيـة، وذالك أن هذه الألفـاظ، قد لا تفهـم على وجهها الصحيح، وكأنهـا من قبيل الألفـاظ الاصطـلاحيـة، التي وردت في الملـة بعـد ظهـور الـدين الجـديـد والكتاب المجيـد. وقد هَيّأ لأبي عبيـد إصلاحها، وبيـان وجهها الصحيح، ثقـافته الفقهية الواسعـة، وأخذه عن كبار فقهاء الإسلام فـي عصره مثل محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٦ هـ)، فضلًا عن اطلاعه الواسع على تراث الإسلام العظيم.

ويتجلى ذالك مثلًا في نقده على من سماه (بعض الناس) فهمه الخاطئ لدلالة لفظة (القفينـة) التي وردت في حديث إبـراهيم النخعي، فيمن ذبح فأبـان الرأس، قال: (تلك القفينـة، لا بأس بها)، فقد علق أبـو عبيد على ذالك بقولـه: (القفينة: كان بعض الناس يرى أنها الـذي تذبح من القفا، وليست بتلك: ولكن القفينة التي

يُبانُ رأسُها بالذبح، وإن كان من الحلق).

ولكي يقرّب هذا المعنى من السامع، ويسوّغ له أيضًا قبوله، ربط بينه وبين اشتقاق هذه اللفظة على ضرب من التأويل، فقال - بعد كلامه الذي أوردنا آنفًا-: (ولعل المعنى أن يرجع إلى القفا، لأنه إذا أبان، لم يكن له بدّ من أن يقطع القفا)[٢٦].

وعرض أبو عبيد في موضع آخر لصورة من صور الخلاف بين ماهو شائع في الكلام من تعابير، وانتصر لقول المحدّثين وصوّبه، مع أن الأشهر خلافه. وهذا الخلاف، كما يعرضه أبو عبيد، يتعلق بأي التعبيرين أصح: (أعْسَرُ يَسَر) أو: (أعْسَر أيْسَر)؟ لمن يستطيع استعمال كِلتّا يديه في الكتابه. فالأول هو الشائع الدائر على الأفواه، والثاني قول المحدّثين. وانتهى إلى أن الصحيح هو الثاني. ويتجلى ذالك في بيانه لدلالة (الأضْبَط) وفي الحديث المروي عن النبي ﷺ حين سئل عنه، فروى عن شيوخه: الأصمعي، وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة، أنه الذي يعمل بيساره كما يعمل بيمينه، ثم قال: (وهو الذي يقال له أعْسَرَ يَسَرَ، والصواب أعسر أيسر)[٢٧].

وكان معاصره أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، قد أشار إلى هذه الظاهرة الكتابية في حديثه عن مخرج (الضاد)، إذ بيّن أنها لاتخرج إلا من الشدق الأيمن للفم، وهذا لمن يستعمل يده اليمني - في ما يذكر - طبيعةً وسليقةً، فإن كان أعسَر أخرجها من الشدق الأيسر، وإن كان (أعْسَرَ يَسَر)، أي يستعمل كلتا يديه، أخرجها (من أي شدْقَيْه شاء)[٢٨]. فذكر (الأعسر يسر)، ولم يذكر (الأعسر الأيسر). فتلك تسميته عنده، وهو الشائع بلاشك في عصره.

وليس من الهيّن القول أن الجاحظ استعمل التعبير الخطأ، دون الصواب، إذْ كان من الفصاحة ومعرفة صواب اللغة وسلامة التعبير والاستعمال بمكان. وعلى هذا يكون الذي قال (أيْسر) بدل (يَسَر) قد قاس هذه اللفظة على نظيرتها المقابلة

لها في الدلالة وهي (أعْسَر)، وهو مـا حكاه أبو عبيد عن المحدثين. والمشهور في الاستعمال - في ما يبدو - خلافه.

الدكتور قاصد (كاصد) ياسر الزيدي

الأستاذ في (قسم القرآن والتربية الإسلامية)

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

الحواشي:

(١) ابن قتيبة: «غريب الحديث» ١/ ١٥٠.

(٢) مقدمة في «علوم الحديث»، ص ١٣٧.

(٣) «لسان العرب» (قفز)، وقد نقل عن هذا الكتاب أنّ العوام يقولون: قاقوزة، وقازوزة، التي تسمى قاقُزّة.

(٤) و (٥) عبدالعزيز مطر: «لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة» ص ٥٧ - ٦١.

(٦) ص ١٥٠ (باب مـاجرى مثلًا أو كـالمثل)، حيث نقل عن أبي عبيد أنهـا (حُفينة) وليست (جهينة) كمـا هو مشهور في المثل: (وعند جهينة الخبر اليقين)، فهو عنده إذن ضرب من التحريف.

(٧) «غريب الحديث» ٣/ ٥٢.

(٨) وهذا ضرب من السهولـة والتيسير في اللغة، ينظر (قانون السهولة والتيسيـر) «التطور اللغوي» د. رمضان عبد التواب، ص ٧٥.

(٩) «العين» ٥/ ٥١ (سقف)، وينظر كتاب: «فقه اللغة العربية» د. كاصد الزيدي، ص ٢٤٤.

(١٠) ابن مجاهد: «كتاب السبعة في القراءات» ص ١٠٥ - ١٠٦.

(١١) «غريب الحديث» ٤/ ٩٣ - ٩٤، لأبي عبيد.

(١٢) «غريب الحديث» ٤/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(١٣) و (١٤) «شرح فصيح ثعلب» للهروي، ضمن كتاب «فصيح ثعلب والشروح التي عليه» ص ٩٢.

(١٥) «غريب الحديث» ٤/ ٩٠.

(١٦) «غريب الحديث» ٤/ ٩١ - ٩٢.

(١٧) ينظر مادة (صلف) في «القاموس المحيط» ٣/ ١٦٣.

(١٨) ذكـر منها ابن قتيبة في «تأويل مشكل القـرآن» ص ٤٥٥ - ٤٥٦ خمسًا، على حين أوصلهـا أبو بكـر بن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٢٢١ إلى عشر، كالجار، والحليف، وابن العم، والمعتِق والمعتَق.

(١٩) «غريب الحديث» ٣/ ١٤١ - ١٤٢.

(٢٠) «غريب الحديث» ٤/ ٧٤ - ٧٥.

(٢١) «غريب الحديث» ٤/ ٥٠ - ٥١.

(٢٢) ينظر مثلًا: «القاموس المحيط» (التولة)، و «لسان العرب» (تول).

(٢٣) «غريب الحديث» ٤/ ٢١٥ - ٢١٦.

(٢٤) «غريب الحديث» ٤/ ٢١٦.

(٢٥) «غريب الحديث» ٤/ ٤٣١ - ٤٣٢.

(٢٦) «غريب الحديث» ١/ ٨٤.

(٢٧) الجاحظ: «البيان والتبيين» ١/ ٦٢، وينظر: «فقه اللغة العربية» د. قاصد الزيدي، ٤١٩.

عَـجٌ بن حَـاج

(والي الحرمين في آخر القرن الثالث الهجري)

لا تُمِدُّ المصادرُ التي بين أيـدينا الباحثَ بالكثير مما يتطلع إليـه لمعرفة أحوال ولاة الحـرمين في آخـر القرن الثـالث الهجـري، وإنمـا يجد لمحـاتٍ وإشـاراتٍ مقتضبة قد يتلمس بها طريق سيره.

وعند استعراض مَنْ عُرِفَ من ولاة الحـرمين في ذالك العهد، نجد ذكرًا لعجٍّ بن حاج، الـذي مكث واليًا على الحرمين نحـو عشرين سنة، وشملتْ ولايَتـهُ في فترة منها اليمن كما سيأتي.

وفي كتب التاريخ التي بين أيدينا معلـومات موجزة تتعلق بعج، وقد استخلصت منها ما حاولت أن أَسْتَشِفَّ به جوانبَ من أحواله، ومن هنا كان هذا البحث.

عج بن حاج: يكـاد يجمع الـذين تحدثـوا عن عج علـى أنه كـان من مـوالي الخليفة العباسي المعتضد بالله.

ولما في اسم (عج بن حاج) من غرابة، تصحف الاسم على كثير ممن ذكره.

فورد مرة باسم (عج بن ساج)[١]، وأخرى باسم (عج بن شاخ)[٢]، وثالثة باسم (نجح بن جاخ)[٣]، ورابعة بـاسم (نجح بن نجاح)[٤]، وإنما صواب الاسم (عج ابن حاج) كما ورد في كتب أخرى. وكنيته أبو مزاحم[٥].

ويظهر أن أسرة عَجٍّ كانت ممن عرف بالإخـلاص بولائهم في خدمة ساداتهم، ومن هنا كان اختيار أفراد منها لولاية بعض أقاليم الدولة العباسية، ومن هاؤلاء عج وأخوه المظفر وابنه محمد.

ولاية عج على الحرمين: وأول أمر ولاية عج على الحرمين ليس واضحًا، إلا أن بعض المؤرخين ذكروا في خبر زيادة دار الندوة مـا يفهم منه أن عَجًّا كان أمير مكة في سنة ٢٨١هـ.

فقد ذكر الأزرقي، ومن بعده القطبي في تاريخيهما[٦] أنه في سنة إحدى وثمانين ومئتين، كتب رجل من أهل مكة إلى عبيدالله بن سليمان بن وهب، وزير المعتضد بالله، يُحَسِّنُ له جعل ما بقي من دار الندوة مسجدًا، وشرح ذالك للأمير بمكة، عج بن حاج، مولى المعتضد، والقاضي بها محمد بن أحمد بن عبدالله المقدمي، وسألهما أن يكتبا بمثل ذالك، فرغبا في الأجر، وكتبا إلى الوزير بمثل ذالك، فلما وصلت الكتب، عُرِضَتْ على الخليفة المعتضد بالله، فأمر بعمارة دار الندوة مسجدًا يُوْصَلُ بالمسجد الكبير، وأخرج لذالك مالًا عظيمًا.

وحدَّد علي بن عبدالقادر الطبري في «الأرج المسكي» تاريخ الفراغ من تلك العمارة بسنة ٢٨٤هـ[٧].

ومن هنا ذكر بعض الباحثين أن ولاية عج على الحرمين كانت حوالي سنة ٢٨١هـ[٨].

ويفهم مما ذكر الطبري وابن الأثير أنه مكث في ولايته على الحرمين إلى سنة ٢٩٥هـ حيث ورد في تاريخيهما في حوادث تلك السنة: أنه في هذه السنة كانت وقعة بين عج بن حاج، وبين الأجناد، بِمِنى، ثاني عشر ذي الحجة، فقتل منهم جماعة، لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر بالله، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر، وانتهب الجند مَضْرِبَ أبي عدنان ربيعة بن محمد بمنى، وكان أحد أمراء القوافل، وأصاب الحجاج في عودهم عطش عظيم، فمات منهم جماعة، وحُكي أن أحدهم كان يبول في كفه ثم يشربه. انتهى.

وعلق الفاسي على ما تقدم بقوله[٩]: ولعل عجًّ كان أمير مكة في سنة إحدى وثمانين إلى سنة خمس وتسعين. ويحتمل أن يكون ولي قبل هذا التاريخ وبعده. والله أعلم.

ويرى الأستاذ محمد بن علي الأكوع أن ولاية عج على الحرمين امتدت إلى سنة ٢٩٨هـ حيث ورد في هوامشه على كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني ما

لنجدته – وليرسل – يعني عجًا – أخاه المظفر بن حاج إلى زَبِيْدَ مَدَدًا لآل زياد، حوالي سنة خمس وتسعين ومئتين فكانت معارك ضارية بينه وبين علي بن الفضل إلى سنة ثمان وتسعين حيث مات بزبيد ونُقِل إلى مكة، ودفن بها، وكان بها أخوه عج بن حاج مما يدل أنه بقي إلى سنة ثمان وتسعين. انتهى.

ويفهم من نص آخر ورد في كتاب «سيرة الهادي إلى الحق» فيما نقله عنه الدكتور سهيل زكار في «أخبار القرامطة» أن ولاية عج على الحرمين امتدت إلى سنة ٣٠٠هـ حيث قال في حوادث تلك السنة ما نصه[١١]: وبعث ابن فضل محمد بن درهم الجيشاني وحسن بن أبي الملاحف الصنعاني إلى مكة، فظفر بهما عج بن حاج، فضربهما بالسياط حتى ماتا، وصلبهما ولله الحمد. انتهى.

وأورد صاحب «غاية الأماني»[١٢] الخبر على نحو قريب مما تقدم.

ثم تولى الحرمين بعده مؤنس المظفر الذي نص ابن الأثير صراحة على أنه عين واليًا على الحرمين والثغور في سنة ٣٠٠هـ[١٣].

فكأن مدة حكم عج بن حاج قاربت عشرين سنة، حيث تولى الحرمين من حوالي سنة ٢٨١هـ إلى سنة ٣٠٠هـ، مما يدل على رضا سادته عنه، وعلى ماكان له من أعمال بارزة في تثبيت حكمهم في هذه البلاد، حتى نال من ثقتهم به، ما مكنه من حكم الحرمين قرابة عشرين سنة.

حادثة بني سعد وهذيل: روى الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ما يفهم منه أن عج بن حاج ساعد بني سعدٍ ضدَّ هذيل، لأسبابٍ نجهلها، وكان لذالك أثره في أن تقتطع بنو سعد بعض بلاد هذيل، حيث قال في الكلام على منازل هذيل في عهده ما نصه[١٤]: عرنة وعرفة وبطن نَعْمان ونَخْلة ورحيل وكبكب والبوباة وأوطاس وغزوان، فأخرجهم منه بنو سعد أخرجوها في وقتنا هذا بمعونة عج بن شاخ [كذا]، سلطان مكة، وغزوان من أمنع جبال الحجاز وأكثرها صيدًا وعسلًا وهو يشاكل جبال السراة شَنًّا وجبلَ بارق. انتهى.

ويظهر أن المراد ببني سعد هنا بنو سعد بن بكر بن هوازن، وبنو سعد هاؤلاء لا يزالون معروفين في بلادهم القديمة بمنطقة الطائف[١٥].

وقبيلة هـذيل من القبائل التي لا تزال معـروفة في أماكنهـا القديمة شمـال مكة وجنوبها[١٦].

ولايته على اليمن: يبدو أن صلة عج باليمن قديمة، وقد يلمح الباحث جوانب من هذه الصلة كمـا في الخبر الذي ساقـه الهمداني في «الإكليل»[١٧] وملخصه: أنه في أثناء ولاية عج على الحرمين وفد على الخليفة المعتضد بالله في آخر أيامه، أحمـد بن عبـدالله بن محمـد بن عبّـاد، يطلب منـه النصرة على الهـادي، فـوجـد المكتفي قد بـويع له بالخلافة، فـأمر معه بالجيوش العظيمـة، حتى ورد كتاب أبي مزاحم: عج بن حاج، والي الحـرمين، يخبر أن الهادي قد أُخْـرِجَ من صنعاء، ففتر السلطان عن ذالك العزم.

وسـاق الطبري في تـاريخه - في حـوادث سنة ثمـان وثمانين ومئتين - الخبـر على هذا النحـو: ولليلتين خلتا من شهر رمضـان منها، ذكر أن كتـاب عج بن حاج عامل مكـة ورد يذكر فيـه أن بني يُعْفِرَ أوقعـوا برجل كان تغلَّبَ على صنعـاء، وذكر أنه علوي وأنهم هزموه، فلجأ إلى مدينة تحصَّن بها، فصاروا إليه فأوقعوا به، فهزموه أيضًا، وأسـروا ابنًا لـه، وأفلت هو في نحو خمسين نفسًـا، ودخل بنو يُعْفِـرَ صنعاء وخطبوا بها للمعتضد. انتهى.

ويبدو أن الخليفة المكتفي حين تولى الخلافة سنة تسع وثمانين ومئتين، عرف لعجٍّ وفاءه وولاءه للبيت العباسي، وعرف فيـه من الكفاءة والمقدرة أثناء ولايته على الحرمين، فكان أن أقره في ولايته على الحرمين وضم إليه اليمن، فوردت كتبه على عثمان بن أبي الخيـر وابن عمه أسعد بن أبي يُعْفِـرَ الحَوَالِيَّيْنِ بتجديـد ولايتهما - على ما ذكر قدماء المؤرخين[١٨].

وأورد اليمني[١٩] خبـرًا يدل على أن عجًّـا بعد ذالـك عزلهمـا، وعين مكانهمـا

علي بن الحسين المعروف بـ (جُفْتُم)، فخرجا عليه في مواليهما ومن انضم إليهما من أهل صنعاء، فقاتلاه، فقتل في نفر من أصحابه، ثم وثب أسعد على ابن عمه عثمان فحبسه، واستبد الأمر، وكان ذالك سنة ٢٩٣هـ.

الحَطْمَة: وفي أيام ولاية عج على اليمن حدث فيه القحط العظيم المعروف بالحَطْمَة[٢٠] على ما ورد في «قرة العيون» لِلدَّيْبَع حيث ذكر أنه في سنة ٢٩٠هـ حدثت في اليمن الحَطْمَة المذكورة، واشتد القحط حتى أكلَ الناس بعضهم بعضًا، ومات كثير من الناس جوعًا[٢١].

وذكر الهمداني فناء بعض الأسر كاملةً فقال ما ملخصه[٢٢]: أبيات آل أبي حَبَيْش، فَنَوا جميعًا في حطمة التسعين ومئتين باليمن، وذالك أن مالهم فني، ورقَّتْ وجوههم من المسألة، فاعتفدوا، وأوصدوا عليهم وعلى أهاليهم وعيالهم أبوابهم فماتوا - رحمهم الله - انتهى.

المظفر بن حاج: جاء في «سيرة الهادي» فيما نقل الأكوع عنها في هوامشه على «الإكليل»[٢٣] أن عجًّا بعث أخاه المظفر إلى اليمن سنة ٢٩٢هـ، مددًا لملوك زَبِيْد بني زياد.

ويفهم من نصوص أخرى أن المظفر بن حاج هذا لم يكن مغمورًا وأنه شارك في أعمال أخرى قبل أن يبعثه أخوه إلى اليمن، منها أنه ممن أسْنِدَتْ إليهم رئاسة الجيش الذي سيّره المعتضد بالله لمناصرة متولي الأنبار، وحمايتها من إغارات أعراب بني شيبان، على ما ذكر الطبري في حوادث سنة ست وثمانين ومئتين.

ومنها أنه ولي الثغور من قبل المكتفي بعد وفاة المعتضد بالله، ثم شكا أهل الثغر منه فعزله سنة ٢٩٠هـ[٢٤].

والمظفر أيضًا ممن شارك في الوقعة بين أصحاب المكتفي وبين صاحب الشامة القرمطي، وكان ذالك سنة ٢٩١هـ[٢٥].

ولما استولى علي بن الفضل القرمطي على صنعاء، وغلب على كثير من مدن

اليمن، وذالك سنة ٢٩٣هـ بعث المكتفي المظفر بن حاج إلى عمله باليمن فأقام به[٢٦].

ويتضح مما تقدم أن المظفر أُسْنِدَتْ إليه محاربة القرامطة الخارجين على الحكم في اليمن، بحكم عمله به، وأنه استمر على ذالك إلى وفاته.

وذكر الطبري وابن الأثير[٢٧] في حوادث سنة خمس وتسعين ومئتين أن المظفر ابن حاج فتح بعض ماكان غلب عليه القرامطة باليمن، وأنه أخذ رئيسًا من رؤسائهم يعرف بالحكيمي.

وأورد ابن خلدون[٢٨] الخبر على نحو قريب مما تقدم.

وينقل الأكوع[٢٩] عن «سيرة الهادي» ما ملخصه: أن المظفر استقر في زَبِيد إلى أن غزاها علي بن الفضل من المُذَيْخِرَةِ سنة ٢٩٧هـ وقائده ابن ذي الطوق اليافعي من صنعاء، وأطبقا عليه فانهزم إلى الْمَهْجَمِ، واتخذه قاعدة له، منه يشن حركاته ضد القرامطة وضد أصحاب الهادي.

وتوفي المظفر بن حاج في رجب من سنة ٢٩٨هـ وحمل إلى مكة ودفن بها، واستعمل الخليفة - المقتدر بالله - على اليمن بعده ملاحظًا - على ما ذكر ابن الأثير[٣٠].

وروى الجَنَدِيُّ في «كشف أسرار الباطنية» فيما نقله عنه الأكوع في هوامشه على كتاب «السلوك في طبقات العلماء والملوك»[٣١] عن نهاية المظفر ما نصه: وسرى - يعني علي بن الفضل - إلى زَبِيد، وفيها المظفر بن حاج ومعه ستُّ مئة فارس وهجم عليه في أربعين ألفًا فأحاط بعسكره فَقُتِلَ المظفر بن حاج، وكان مأمورًا لصاحب بغداد. انتهى.

ونقل أيضًا[٣٢] عن «سيرة الهادي» أن الذي تولى بعد المظفر ابنه محمد المظفر.

نهاية عج بن حاج: وتختفي عنا أخبار عج بن حاج في عهد المقتدر بالله، فلا نعلم منها إلا ما تقدم عن «غاية الأماني» و «سيرة الهادي» من خبر قبضه على

الرجلين اللذين بعثهما علي بن فضل القرمطي إلى مكة سنة ٣٠٠هـ، ولا أستبعد أن يكون عج ممن توفي في آخر سنة ٣٠٠هـ ثم عُيِّنَ مُؤْنِسٌ المظفر واليًا على الحرمين خلفًا له. والله - سبحانه - أعلم.

أحمد بن فهد العريفي

الحواشي:

(١) «غاية الأماني» لابن القاسم: حوادث سنة ٣٠٠هـ.
(٢) «صفة جزيرة العرب»: ٢٨٨.
(٣) «الكامل» لابن الأثير: حوادث سنة ٢٩٥هـ.
(٤) «بهجة الزمن» لليمني: ٣٧.
(٥) «الإكليل» للهمداني: جـ ١: ٢٥٢. «غاية الأماني»: جـ ١: ؟.
(٦) «أخبار مكة»: ١٠٩ - ١١٤. «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام»: ١٣١ - ١٣٦. «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» للفاسي: جـ ١: ٣٦٣ - ٣٦٤. «تاريخ عمارة المسجد الحرام» لحسين باسلامة: ٥٤ - ٦٣.
(٧) حسين باسلامة «تاريخ عمارة المسجد الحرام»: ٦١. وانظر «المنتقى في أخبار أم القرى» لمحمد مليباري: ٢٢٦.
(٨) «الإكليل» جـ ١: ٢٥٣ [هامش]. «معجم الأسرات الحاكمة» لزامباور: جـ ١: ٣٠.
(٩) «العقد الثمين»: جـ ٦: ٥٨ وانظر «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام»: ١٠.
(١٠) ٢٨٨ [هامش].
(١١) ٢٦٤.
(١٢) جـ ١: ٢٠٢ - ٢٠٣.
(١٣) «الكامل»: حوادث سنة ٣٠٠هـ.
(١٤) «صفة جزيرة العرب» ٢٨٨.
(١٥) انظر «التعليقات والنوادر» للهجري: ١٧٧٧ [هامش].
(١٦) «التعليقات والنوادر»: ١٩٠٠ [هامش].
(١٧) جـ ١٠: ٢٥١ - ٢٥٢ «هُجَر العلم ومعاقِله في اليمن» للأكوع: جـ ٣: ١٤٣٢ - ١٤٣٣.
(١٨) «قرة العيون» للديبع: ١٧٥ «كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار» لإدريس الحمزي - مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف البريطاني برقم (OR. 4581)، وانظر «تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة..» للدكتور عبدالمحسن المدعج: ٥٣ - ٥٤. «بهجة الزمن» لليمني: ٣٧ - ٣٨.
(١٩) «بهجة الزمن»: ٣٧ - ٣٨.
(٢٠) الحَطْمَةُ - لغةً -: سنة الجدب والقحط.
(٢١) «قرة العيون»: ١٧٥.
(٢٢) «الإكليل»: جـ ١٠ ص ٢٠٠.
(٢٣) «الإكليل»: جـ ١: ٢٥٣ [هامش].
(٢٤) «تاريخ ابن خلدون»: جـ ٣: ٣٥٣. «تاريخ الطبري»: جـ ٥: ٦٤٤. «الكامل»: جـ ٦: ١٠٧. «البداية والنهاية»: جـ ١١: ٩٦: واسمه فيه: مظفر بن جناح؟
(٢٥) «تاريخ الطبري»: جـ ٥: ٢٩١ - ٢٩٢.
(٢٦) «الكامل»: جـ ٦: ١١٥. «تاريخ ابن خلدون»: جـ ٣: ٣٥٨. وانظر «البداية والنهاية»: جـ ١١: ١٠٠ وفيه: مظفر بن حجاج؟
(٢٧) «الكامل»: جـ ٦: ١٢٠ «تاريخ الطبري»: جـ ٥: ٦٦٩.
(٢٨) «تاريخ ابن خلدون»: جـ ٣: ٣٨٧.
(٢٩) «الإكليل»: جـ ١: ٢٥٣ [هامش].
(٣٠) «الكامل»: جـ ٦: ١٣٨.
(٣١) ٢٣٩ [هامش].
(٣٢) «الإكليل»: جـ ١: ٢٥٣ [هامش].

«حضرموت: بلادها وسكانها»

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف

(١٣٠٠/ ١٣٧٥هـ)

(٤٥)

القسم الثالث: في نجود حضرموت من أعلاها إلى أسفلها

أعلم أن ما سبق في القسمين الأول والثاني كله غور، إلّا ما كان من نحو الضليعة في الثاني، فإنها من السوط، وهو نجد في رأس جبل، فيه مضارب آل بلعبيد، وهم قبيلة لاتزال خشونتها إلى اليوم، لا يبالون بعسكر القعيطي، بل كلما لا قوهم قتلوهم، وهم عدة ديار: آل مرغب، وآل باكرش، والجهمة، وسلم، وبلَّحْوَل، يقدر مجموعهم بثلاثة آلاف رامي وفي «سبائك الذهب» أن بني العبيد - بضم العين - بطن من سليح من قضاعة، وهم من أشراف العرب، وإليهم يشير الأعشى بقوله: (ولست من الكرام بني العبيد)، والنسبة إليهم عبدي، كما قالوا في هذيل هذلي، وقال في «العبر»: كان لهم ملك يتوارثونه بالحصن الحصين، الباقية آثاره في برية سنجار من الجزيرة الفراتية إلى أن كان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العبيد. انتهى. والعبيد هو ابن الأبصر بن عمرو بن أشجع بن سليح بن حلوان بن عمران ابن الحافي بن قضاعة، ومما يتأكد به كون آل بلعبيد أهل السوط هم من هاؤلاء، وجودهم في نواحي قضاعة وقربهم من يبعث وقد سبق فيه أن سكانه الذين كتب إليهم رسول الله ﷺ من ابناء ضمعج، وهو قريب من ضعجم وأن ضعجم هو ابن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة ولسليح القضاعي خبر مع غسان استوفاه ابن شريه.

وأما نجود حضرموت فقسمان أحدهما: الجنوبي في أعلاه كور سيبان والحالكة والعكابرة والخربة وبحسن، ومنها الطريق إلى وادي حمم، ثم الخريبة ودوعن، ووادي حمم هو وادٍ طويل، كثير النخيل، والأشجار والعيون، يسكنه آل

باهبـري من قديم الـزمان، ولهم ذكر كثيـر، ولاسيما في حـروب القرن العاشـر، وفيه ناس من الســادة آل العطاس وغيرهم، ثم حـويرة ومنهـا تنشعب الطريق إلى وادي العين وإلى وادي ابن علي، وفي شمـالـه ريـدة المعـارة وريدة الجـوهيين، ومنهـا تشرع الطرق إلى حضرموت وإلى عقبة الفقرة، وعقبةالعرشة، وعقبة عبدالله غريب، تنـزل هذه كلهـا إلى الساحل، وقـد أصلحت في الأخير طـريق للسيارات في هـذا الجبل، المسافة من الغرف إلى أول عقبة الغز نحو ثلاث ساعات، ومنها إلى ريدة الجـوهيين والمعارة نحـو ثـلاث ساعـات، ومن الريـدتين إلى عقبـة الفقرة يكثـر الأزورار والانعطـاف لكثرة القُـور والشنـاخيب بـذالك الطرف، فبطنـه الـذي يلي حضــرموت أشبـه بظهر الضب، وأمـا وراء الريـدة إلى عقبـة الفقرة فأشبـه بذنبـه، والسيـارات فيه يحيط بهـا خطر السقـوط، إذا لم يمهـر السائقـون، والمسافـة إلى الفقرة نحو ثلاث ســاعات، ومنها إلى الشحر نحو ساعتين، وفـي هذا النجد جول عيـول وهو الـذي توفي بـه العيدروس الأكبـر، مخرجـه من الشحر إلى تـريم على ثلاث مـراحل من تريم، ومـرحلتين إلى الشحر، ومقـدّ العبيد سمي بـذالك لسببٍ يتعالم بـه الحضارمـة، ولا ندري ما نصيبـه من الصحة، إلَّا أن آثـار القبول ظـاهرة عليه، وهو أن أحد سلاطين حضرموت، بات به مع عبيده ليلة شاتية، فجمعوا عليه الرحـال والفراش، وبـاتو هم في نقل الحجـارة من مكان إلـى آخر، فانـدفع عنهم البرد بحرارة الأعمال، وأصبح السلطان ميتًا من شدته.

وفي أواخر هذا النجـد غيل ابن يمين، ولسويد بن يمين ذكر كثيـر في شعر إمام الإباضية إبراهيم بن قيس، وقلت فـي الأصل: يحتمل أن يكون صاحب هذا الغيل وأن يكون جد آل يميـن الموجودين إلى اليوم بـالسنور وسفوله اليمنة ، علـى مقربة من طريق حـريضة، وفي حوادث سنة ٩٣٦ استـولى السلطان بدر بوطـويرق على غيل ابن يمين، ونهب أولاد يمين، وطـردهـم، فلجأوا إلى الحمـوم، ومـاكـاد يتصل

هذا الخبر بالسلطان محمد أخي بدر بوطويرق إلَّا وتكدر واغتاظ، وأظهر أنه محشوم، واتسع الخلاف بينه وبين أخيه إلى أن سفر المصلحون، وأرجع بدر أمر الغيل إلى أخيه محمد، فردها لأولاد يمين، وفي «رحلة السلطان عمر بن صالح هرهرة» أن جعفر بن يمين اليميني قتل مع السلطان عمر بن جعفر الكثيري، في المعركة التي بين يافع وآل كثير في بحران سنة ١١١٧، وللغيل هذا ذكر كثير في أخبارهم وحروبهم، ثم استولت عليه طائفة من يافع يقال لهم الشناطير، ولذا ينسبه بعضهم إليهم كما سبق في تريم، وسيول هذا الغيل تدفع إلى وادي سنا، وأما ماؤه الجاري دائمًا فالغالب عليه الإهمال، وهو من النقاط المعينة لسلاطين آل عبدالله الكثيري في المعاهدة ذات الأحد عشر مادة،ولم يذكر في وثيقة اقتسام الممالك بين السلطانين منصور ومحسن ابني غالب المحررة فاتحة رجب سنة ١٣٣٦، فهو باق بينهم على الشركة الشائعة، وأكثر معول آل عبدالله في حمايته على الحموم، وفيه جماعة من ذرية السيد عمر بن أحمد بن قطبان، وبالبادية حواليه جماعة من بادية العلويين، كبيت سهل، وبيت حمودة، وبيت قرموص، وبيت عقيل، وبيت الخشش، وبيت محسن، وبيت الأخسق، وبيت كدحوم، منهم جماعة اشتهروا بالنجدة والشجاعة، كالسيد حسن بالخشش، والسيد عمير، لقد كانا مضرب المثل في ذالك، حتى أن الأمهات ليروعن بهم الصبيان، ليسكتوا عن البكاء، إلَّا أنهم أكثر الناس شرًّا وقيادة للغارات، ومنها غارة سنة ١٣١٨هـ فقد نهبوا قافلة الحجيج الصادرة من المكلا إلى حضرموت، وكان السيد حسن بالخشش هو القائد العام لهذا، غير أنهم بعدما نهبوا الحجيج هاجمتهم سيبان، وهم غارون، فقتلت منهم نحوًا من خمسين، وأخذت ما استولوا عليها من أموال الحجاج، على نية ارجاعه لهم، ثم خاسوا بتلك النية، فعطفت عليهم القوم، وكثرت القتلى من الجانبين، ولم يحجز بينهم إلَّا حر النهار، وكان الوقت خريفًا،

وهذه من كبريات حـوادث بادية حضرموت، إن لم تكن أكبرهـا على الاطلاق وقد انتنت الجبال من جيفهم وسنقت الوحوش من لحومهم.

وأما الثـاني في النجد الشمـالي: وهو جبـل ينقاد من قـرب سيحوت شرقًـا إلى محاذاة العبر غربًـا إلّا أنه يستدق في طرفيه، وتعقبه في الغرب آكام وقـور، وعرضه تارة ينبسط إلى مسافة ثمـانية أيام، وأخرى ينقبض بسبب انشعاب الأوديـة منه إلى خمسة أيام فقط، فهـو ينهر إلى وادي الجابيـة، ووادي سور ووادي هينن، وأودية سـر وجعيمة ومدر وثبي ووادي الغبيرا الذي يدفع إلى دمون، ووادي الخون وسويدف وغيرها.

ريدة الصيعر: قال ابن الحائك في عـداد قرى حضرموت وريـدة العباد وريدة الحرمية وقال عمر بن معد يكرب الزبيدي:

أولئك معشـــري وهمـــوا خيـــالي   وجــــدي في كتيبتهم ومجــــدي

همـــوا قتلـــوا عـــزيـــزًا يـــوم لحج   وعلقمـــة ابن سعـــد يـــوم نجـــدِ

وما أظنه يعني إلّا هذا النجد، لأنه أقام طويـلًا على مقربةٍ منه بالكسر، والصيعر كما عند الهمداني واجمع عليه مؤرخـو حضرموت قبيلة من الصدف، تنسب إليها ريـدة، ليفـرق بينهـا وبين ريـدة أرضين، وقـال في مـوضع آخـر: وكـان الصـدف بحضرموت من يوم هم ثم فاءت إليهم كنـدة، بعد قتل ابن الجون يوم شعب جبلة، لمـا انصرفـوا عن غمر ذي كنـدة، وفيهم الصدف وتجيب والعبـاد من كندة، وبنـو معـاوية من كنـدة، ويزيـد بن معاويـة، وبنـو وهب، وبنو بـدًّا بن الحارث، وبنـو الرائش بن الحارث، وبنـو عمر بن الحارث، وبنو ذهل بن معاويـة، وبنو الحارث ابن معاويـة، ومن السكون فرقـة، وفرقة من همـدان يقال لهم المحايل، وفـرقة من بلحارث بن كعب بريدة الصيعر، وإليها تنسـب الإبل الصيعرية، والسِمَةُ الصيعرية وفيها يقول طرفة:

وبـــالسفح آيـــات كـــان رســـومهـــا   يمـــان وشتـــه ريـــدة وسحـــول

وقد ناقشته في الأصل إذ زعم أن فئة كندة إلى الصدف بحضرموت أوَّلَ عهدهم بها، والعباد كما صرح به من كندة، لا ما في «التاج» وأصله من القبائل الشتى، التي اجتمعت على النصرانية، مع احتمال أن يكون جد العباد الكنديين أحد أولئك، فإنه لا مانع منه، وقد تفرع كثير من قبائل حضرموت عن الصيعر، كما تكررت مثله في هذه المجموعة، كآل باجمال وآل باصهي وآل بابقي وآل باحفين وآل باكثير وآل الجرو وآل باحلوان وآل باغانم، كانوا ببور وآل بامطرف، وبقي أهل الريدة على حالهم لم يتغير اسمهم، ولا اسم بلادهم، والصيعر قبيلتا آل مسلم وآل حاتم، وكل قبيلة تنقسم إلى بطون كثيرة، ورئيس الصيعر كلهم الآن سعد بن طناق بن رميدان، ورئيس آل علي بليث يقال له علي بن عيضة، ومقدم آل يربوع يسلم بن محمد، ومقدم آل عبيدون سعيد بالحاشدي، وكثير منهم من ينتجع وبار، وبالأخص آل عبدالله بن عون، ففيها منهم نحو مئتين رامي، ووبار هي الرمال التي من وراء جبلهم، إلَّا أن كلا من أهل النجد يسمى ما يجاور نجده باسم غير الذي يسميه الأخر، فالصيعر يسمون ما يلي نجدهم من الغرب إلى الشرق عِيْوةَ بكسر العين وسكون الياء وفتح الواو، وفي الأخير رعاها آل معروف، ثم نجعوا إلى مقربة من نجران بسبب الجدب، وأذن لهم أمير نجران أن يضربوا خيامهم في أطرافها، كما أذنت الفرس لحاجب بن زرارة، ثم وفد منهم أربعون على أربعين نجيبة، يرأسهم اثنان يقال لأحدهما قنيبر، والأخر هو عبدالله بن سالم بن معيقل، حتى وصلوا الرياض، فتركوهم أربعة أيام وفي الخامس أو السابع اجتمعوا بملك الحجاز ونجد، ورأوا من بشره وإكرامه أكثر مما يؤملون، وقدموا له مطية على سبيل الهدية، اشتروها عما يقولون بثلاثة مئة ريال، وبعد اجتماعهم به أجروا عليهم حكم الضيافة، وطلبوا منه أن يديم الإذن لهم بالإقامة في مشارف نجران، فأحالهم على أميرها، ودفع لكل من الرئيسين أربعين ريالًا، ولكل واحد ممن

سواهم عشرين، مع ما يلزم من الزاد، ولما عادوا إلى نجران أبقاهم أميرها مدة، ثم طردهم، فعادوا إلى عِيْوَة. هكذا أخبرني عنهم امبارك بن يسلم بن زيمة امبارك العويني، وعدد الصيعر لا يزيد عن ألفي رام، وقد عاهدهم الضابط السياسي الإنجليزي (انجرامس) منذ إحدى عشر عامًا معاهدة اعترف لهم باستقلالهم، وأنهم ليسوا تبعًا لأحد من سلاطين حضرموت، وعلى أن لا رسوم عليهم في بلادهم، وعلى أن العبر من حدودهم، كذا أخبرني من اطلع على المعاهدة، والجاهلية عندهم جهلاء، وشأنهم شأن العرب في السلب والنهب وكثيرًا ما يتناهبون هم والعوامر وآل كثير النعم بأنواعها، وأما هم والمناهيل والهرة ويام ودهم والكرب، فلا يتناهبون إلَّا بالإبل لبعد الشقة، وفي الشتاء من هذه السنة غزت آل حاتم إلى بعض البوادي الداخلة تحت الحماية السعودية، فغنموا إبلًا كثيرًا فاحتجت عليهم حكومة عدن فقيل: إنهم ارجعوها كلها أو بعضها، وقيل: لم يردوا شيئًا، وفي جمادى الآخرة من هذه السنة غزت طائفة من قبيلةٍ يقال لهم القحطانيون مكانًا في شرقي العبر وشماله، يقال له شمال، وفيه أخبية لكثير من الصيعر والكرب ونهد، فالتحم القتال ودام نحو ثلاث ساعات، وانجدهم عسكر البادية المحافظة على الأمن بطرق حضرموت، وهو قليل جدًّا، فلم ينجهم إلَّا الهرب، بعد أن قتل منهم ثمانية عشر، ونهبت إبلهم وسائر ما معهم، وبيان القتلى: سبعة من الكرب، وسبعة من الصيعر، واثنان من نهد، واثنان من العسكر، ويزعم المنهوبون أنهم ومن لَفَّهم قتلوا ثلاثةً من القحطانيين، ولكنه زَعْمٌ بدون يقين، وعن امبارك بن يسلم العويني عن صالح بلخيسي الصيعري الكسيلي ، قال: غزوت على ظهر الجبل من نجدنا إلى نجد المهرة، فلما قارب الجبل الانتهاء استدق حتى صار مثل السيف، فنزلنا عنه، ونحن ستة على ست من المطايا، فلاقانا صومالي على جمل في طلب اللبان، فهابنا، فأمناه وسألناه: من أين أقبلت؟ قال:

من عيان، وهو موضع قريب من سيحوت، يجـرى فيه غيل، تقام فيه الأسواق. قلنا له: من هناك؟ قال: تجـار ببضائعهم يتاهبون لقيام السوق. فابقينـاه مع أحدنا عند المطايـا، ولما لاقيناهم الفينا عنـدهـم مهريًا يحلب نـاقةً له فاردينـاه وانتهبنا ستين مطية، مع مـا قدرنا عليه من خفيف البضـائع، وضربنا آباط الإبل مسـاءها، واليوم الثـاني وردهـةً مـن الليلـة الثـانيـة فكل أصحـابي أرادوا التعـريس، فنهيتهم فلم يسمعوا، فأكلـوا واغفوا، ولم يكد يطرقني النـوم حتى انتبهت أعسُّ فشممت رائحة الوزيف من عـرق جمال النجدة لأنها تأكل منهـا، فأقبلت على أصحابي فسبقتني إليهم البنادق، واعتصمت بأكمـة، وناديت القوم في أن يعود كل بحلالـه، فأجابني الشوص أحـد آل علي بن كثير وقـال: انتظر حتى نتشـاور، ولما نـاديته مـرة أخرى قـال: أبى الـذين قتلتم أخـاهـم وهـو يحلب، وأمـر جمـاعـة أن يكمنـوا لي على الطريق، وكـان أحد أصحـابي نجا بـراحلتين من النهب، فاقتعـدناهمـا، ولم يقدر علينا الكمين، وكانت هذه القضية في حـدود سنة ١٣٥٠، وفيها فوائد كثيرة أهمها أن الجبل لا ينتهي إلَّا على قـرب سيحوت، حسبمـا قدمنـا، وماكـان الخلسي مع أصحابه في المراجعة إلَّا كدريد بن الصمة في الحادث التي قتل فيها أخوه عبدالله بحبونن على مقربة من نجران حيث يقول:

ومــا أنــا إلا من غـزيـــة إن غـــوت غـويـت وإن تـرشــد غـزيـــة أرشـد

وفي أرض الصيعر بير يقال لها (منوخ) فيهـا ماء إلَّا أنه ينضب عند قلة الأمطار، ومنذ أربعين يومًـا غزت يام وقتلت ثلاثة من الكـرب، وغنمت مئة راحلة، ولم يقتل منها إلَّا واحد، ولم يصب إلَّا اثنان، وفي مكان المحارقة من أرض الصيعر شيء من النخل ولا نخل في سراهـا من أرضهم، والطرق من ريـدة الصيعر مفتـوحة إلى كل مكـان ومن أقربهـا إليها طـريق وادي هينن، ومن سر إلى مكـان آل علي بليث في الريدة مسيـر يوم ونصف، ومنذ ثمان سنـوات تقريبًا أمطرت الطـائرات الإنجليزية

نارهـا على حصن بن صلهج من آل حاتم لاختلاف وقع، ثم سـويت القضية على ما تريد الحكومة.

نجد آل كثير: هو من وراء نجـد الصيعر إلى الشرق، وفيـه سعة وأودية منهـا فرع والقويع وظيلم والحـوياه، ونخط وظـرون، وفيه من آل عامـر آل كدة وآل دويس وآل عبدات يبلغ مجموعهم مئة رامي وفيه مـن آل عمر آل الشين وآل بدر بن عبدالله نحو ستين راميًـا، فيه من الفخـائذ آل الصقير وآل زيمـة وآل علي بن سعيد نحـو أربعين راميًا، ولولا أن بقية السيف أبقى عددًا لأتت عليهم المغازي واستأصلتهم الحروب.

نجد العـوامرة: هي في شـرقي نجد آل كثيـر من أوديته يبـا والدخـان وامباركـه والعرج، وغيرهن، ورجالهم لا يزيـدون عن مئة وخمسين، وفي أرضهم بير يقال لها (تميس) لكنها بعيدة عن أماكنهم، لا تنفعهم أيـام الظمأ، فيفضلون عليها الانتقال إلى تاربة، وفي نجـد العوامر يزكـو النخل كثيرًا غير أنه يـذوي ويموت إذا تتابعت عليـه الجدوب وتأتي عليـه، ولسيـدي الفاضل علـوي بن عبـدالرحمن المشهـور رحلات إلى النجدين ونشر دعاية للـدين، وإرشاد إلى طريق الحق، غير أن المادة لا تساعده، ومـا أشد اهتمامه بحفر الآبـار وبناية الأحواض والصهـاريج هناك، لو ساعدته القدرة، لكن الأمر كما قال أبو الطيب:

والغنـــــا في يــــد اللئيم قبيـح قــدر قبح الكـــريم في الإمــلاق

وبناءًا على هذا تكلمت مع سماحة الملك ابن السعود في ذالك، فوعد غير أن الظروف والاستعجال حالا عن استنجاز ذالك.

نجد المنـاهيل: هـو في شـرق نجد العـوامـر، وفيه جبل حَبْشية - بفتح الحـاء وسكون البـاء وكسر الشين وفتح الياء المثنـاة من تحت - وفيه وادي قتاب، وفيـه بير ثمود، ووجـودها بهذا الاسم من قـديم الزمان إلى الآن يـؤكد ما تقـدم في وادي سر، ونبي الله صالح عليه السـلام، والمناهيل فرقتان آل ابن معشني وعـددهم بنحو ثمان

مئة رام، وآل كزيم وعددهم نحـو سبع مئة، وكان على رئاستهم النجيب بن اللويطي وهو ممن أمضى على نسخة الوثيقة التي أرسلت لعلي سعيد باشا وقد قتل في حربه أمير قسم ورئيس جميع المنـاهيل الآن عيضة بن الحريز بن طنـاف، وأكثر المناهيل والعوامر وآل كثير والصيعر من سكان هذه النجود قبائل رحل يتبعون مواقع القطر لا بيـوت لهم إلّا الخيـام غـالبًا، ولكنهم يصـدحـون الأمطـار عن اغنـامهم ونعمهم وأنفسهم وذكر لي من طالع «الصبح المنبي عن حيشية المتنبي» أن فيـه قصةً طويلة فيها أن المتنبي خـدع واحدًا بما أراده من نتيجة الصـدحة فآمن بنبـوته وذلك شيء يسيـر تعمله العـرب بأصغـر حيلـة، وقد رأيت كثيـرًا منهم بـالسكـون وحضرمـوت والسكاسك يفعلون هذا حتى أن أحدهم ليصدح عن غنمه وعن إبله وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطـر وهو من ضرب السحـر. انتهى، والأقرب أنه من آثار إجـابة الدعاء أو من أسرار الحروف، فلا يلزم أن يكون سحرًا، لا سيما وأن له حقيقة ظاهرة.

ومن وراء هذا الجبل الضارب بجرانه من نحو العبر إلى مشارق سيحوت.

وبـار: وقد أطلت القـول عنها بـالأصل ومنه أنهـا تمتعت بالثروة قـرونًا طـويلة استثمرت توسط موقعها بين الشرق والغـرب، فكانت مركز التجارة العظيم، ومخزن البضائع الأهم، إذ كـانت السفن تقصد سـواحلها، ومنهـا عُمَان وظفـار وسيحوت والشحر من السنـد والهند، والصين وجاوا، وأفريقيـا وغيرها من الجهات الغـربية، كما أشار إليـه صاحب «الشهاب الراصـد» وغيره، ولها ذكر كثيـر في الأشعار منها قول النابغة:

فتحملـوا رحـلًا كـأن حمـولهم ... دوم ببيشـة أو نخيـل وبـار

وفي مضرب المثل بنخيلهـا ما يؤكد قـولنا بغزارة خيراتهـا، وكثرة بركاتهـا، وقد أطال يـاقوت فيهـا بما لاحاجـة لذكـره، لأن الكتاب موجـود، ولأنه ممـا يشك فيه العـاقل، وهي رمـال عالج، كمـا قـال ابن خلدون ويـاقـوت وغيـرهما، وقـال ابن الأشعث الجنبي يصف صيهد حضرموت وهي هذه، وكان سلكها إلى نجران:

هـلا أرقت لبـارقٍ متهجـد ... بـرق تـولَّعَ في حَبِيٍّ منجـد
بـرق يـذكـرك الخـريـدةَ إنهـا ... علقت عـلائقهـا طـوال المسنـد
فلقـد ذكـرتك ثم راجعت الهـوى ... يـوم الشـرى ودعـوت أَلَّا تقعـدي
فإذا مفـازة صيهـد بتنـوفـةٍ ... تيـهٍ تظل ريـاحهـا لا تهتـدي
وتظل كُـدْرٌ من قَطـاهـا وُلَّهـا ... وتـروح من دون الميـاه وتغتـدي
بلـد تخـال بهـا الغـراب إذا بـدا ... مِلِكًا يسـربل في الـريـاط ويـرتـدي
فسألـت حين تغيبـت أعـلامنـا ... من حضـرمـوت بأي نجم نهتـدي
قـالـوا المجـرة أو سُهيـلًا باديًـا ... ثم اهتـدوا بِقُفُـولِهِمْ بـالغـرقـد
نتجشم الأهـوال نبغـي عـامـرًا ... متحـزنين عليـه إن لم يـوجـد

وقد سبق في المقـدمة أن وبار اسم لحضرموت بأسرها، ولكن بعضهم يخص هذه الفلاة أو الـدهناء والصيهد، فكل ذالك يقال عليها بهذا الاسم، وقـال ياقوت في «معجم البلـدان»: وكانت منـازل عبيل يثرب ومسـاكن أميم برمل عـالج، وهي أرض وبـار ومساكن جـرهم بتهـائم اليمن ثم لحقـوا بمكة. وأطـال في ذالك بمـا تكفي الإحالـة عليه، وكـان الحبيب أحمد بن حسن العطـاس يقول: إنهـا تصل ما بين البصرة ونجـد وأرض العوامـر والمناهيل وجبـال حضرموت النجـدية الشـرقية وأقـرب المنازل إليهـا من جهة الأحسـاء رملة يبـرين انتهى. ومـر في المقدمـة عن الطيب بامخرمة عن القاضي مسعود مـا يشير إلى نحوه، وقال الهمداني: وفي شعر الأخنس بن شهاب التغلبي الذي يذكر فيه منازل العرب:

وصـارت تميم بيـن قف ورملـة ... لهـا من جبـال منتأى ومـذانب
وكلب لهـا خبـت فـرملـة عـالج ... إلى الحـرة الـرجـلاء حيث تحـارب

والرجلاء هي التي ترجل صاحبها فلا يقدر على الركوب فيها، وقال في موضع آخر

من «صفة جزيرة العرب» بعد أن ذكر أودية كثيرة: وكل هذه الأوديـة فيها نخل ومساكن وزروع، وهي تسمى الثنـايـا، ثنايـا العـارض، وهـو قف مستطيل، أدنـاه بحضرمـوت، وأقصاه بالجزائر. انتهى. وقلما تجلس مع أحد من بادية العوامر إلَّا حدثك بالأعاجيب عن جنها وعن حيـواناتها، ومنها النعـام، وبها يكثر بيضها، ومن المعلـوم أنها لا تبيض إلَّا في خصن من الأرض، قال جابر بن حريش يصف أرضًا بالخصب:

لا أرض أكثــر منك بيـض نعــامــة ومــذانبــا تنــدى وروضًــا أخضــرا

ومن أكثـر مـا يحـدثك الخبيـر عنها أمـر الخصب وحسن التـربـة، فإن الـزرع ليحصد منها خمس مرات بـالطرة الواحدة، والعوامر يسمـون المكان الصالح منها للعمارة الحجر، لأنهم يحتجرونه لمـراعيهم كما يسمى الصيعر المكان النازل عن نجـدهم منها عِيْـوه، وخيـام الصيعـر والعوامـر والمنـاهيل منتشـرة بكثرة في هـذه الرمال، وهـذا آخر ما انتهى إليه العلم في الموضوع، ولم يصل إليـه إلَّا بعد الحران وصوارف الاقتـران، وذالك أنني لما خرجت عـن سيوون عرض مـا يوجب تصنيف «السيف الحاد لقطع الالحاد» ثم لما قاربت الحسيسة نجم مقتضى «نسيم حاجر في تأييد قولي، عن مـذهب المهاجر» وبأثره انفسخت العـزيمة، وضعفت الهمة، حتى عالجتها بمثل قول أبي الطيب:

ولـم أر فـي عيــوب النــاس عيبــا كنقص القــادريـن على التمــام

فانبعثت ثالثة لكن بخطًى قصيرة، وصدر ضيق، مع أن الموضوع ليس من فني، ولا يليق بسني، وإنما كان الأحرى هـو الإقبال على الدار الأخرى، واستقيل الله من العثار ومن غثاء الإكثار، وقد قالـوا: إن أعراض الخلق حفرة من حفر النيران، وقف على شفيـرها القضـاة والمحـدثون وأهل التـاريخ فيهم يـدخلـون وأنا في المـدح أخـوف مني في القدح، إذ قـررت في «بلابل التغـريد» أن لا غيبـة لفاسقٍ مطلقًـا، فكيف بها للمصلحة:

فإنــي لأرجـــوا أن أنـــال بـــذمهم من الله أجـــرًا مثل أجــر المـــرابط

وأمّا في المدح فكيف لاأخاف وأنا لا آمن التسور على الغيب والثناء، وبالأمور القلبية، وعسى أن يكون لي مخرج مما قررته بالأصل، في مبحث الثناء، وقد زادني خوفًـا ما جاءني في مكـاتبة من شيخ مشـايخنا العلامـة الجليل عبدالله بن حسين بلفقيـه من قولـه: فأمَّـا أماثل البلـد عنـدنا لـم يبلغـوا العشـرة. انتهى، وماجـاء في (حكم) بتاريخ سنة ١٢٧٦ مـن قاضي تريم لذالك العهد الشيـخ سعيد بن أحمد ابن سعيد الكبيـر أنه قبل شهادة سيـدي عيدروس بن علوي بن عبـدالله العيدروس في دعوى للسيـد عوض بن عمـر بن أحمد الشـاطري، لأنـه من الأماثل، وأنـا قد طنبت في الثنـاء على رجـال هاتين الطبقتيـن لكن المحامل كثيـرة، وفـوائد حسن الظن أثيـرة بثيـرة، وإني لأحاول جهـدي عنـد الكتـابة عن أي إنسـان مـالم أنس التحفظ أحيانًا أن أتخلى عن عواطف اعظـامي وحبي له، لتكون أبعد عن المغالاة في فضائله كمـا فعلت في والدي وسيدي الأستاذ الأبر، وشيخـه الإمام البحر فكل عارف يعلم أني مقصر فيما كتبت عنهما كما قال:

ولـــو ابصـــروا ليلى أقـــروا بحسنهـــا وقـــالـــوا بأنـي في الثنـــاء مقصـــر

كمـا أنني أكلف نفسي تكليفًا دقيقًـا أن لا تكون كتـابتي عمن تنفر عنـه تحت تأثيـر أي شيء من تلك العـاطفـة بل إنني لا آمن أن يـذهب بي التحـري فيـه إلى المغالاة تفاديًا من ميل الطبع إلى التقصيـر وإنني لكثيرًا ما أفترض الحبيب بغيضًا وعكسه لأكون أدنى إلى النزاهة وإناءًا من الهوادة واستغفر الله العظيم لي ولوالدي ولمشايخي ولمشـايخهم وهلم جرا، ولزوجي وأولادهـا وللمسلمين والحمد لله رب العالميـن سبحان ربك رب العـزة عما يصفون وسـلام على المرسليـن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيـدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم وكـان الفراغ منه في منتصف جمادى الآخرة من سنة ١٣٦٧ .

(حَجَر الراشدة) و (هَيْدة) أين تقعَان؟

(جواب استيضاح من «العرب» بتاريخ ٧/ ٨/ ١٤١٨هـ)

في رسالتكم ذكرتم أني حددت المكان الذي قتل عنده توبة بن الحُمَيِّرِ الخفاجي - وأنه (هَيْدَة) أو (بنات هَيْدَة). وعند رجوعكم إلى المقال المنشور في مجلة «العرب» س ٢٣ ص ٨١٠. وجدتم أيضًا أني ذكرته (هيدان) وأنه موضع أو وادٍ ينبت الرمث.. إلى طلبكم التفضل بإيضاح هذا وبيان المسافة بين (هيدان) وبين إلتقائه بوادي بيشة مع ذكر أقرب موضع معروف لنقطة الالتقاء.. إلخ. انتهى.

قلت: هنا أوَدُّ الوصول إلى الإجابة الأخيرة - لابُدَّ من التعرف على أجوبة الأسئلة الآتية:

(١) معرفة أين كانْ وجهة توبة بن الحُمَيِّر الخفاجي ورفاقه بعد أخذهم إبل بني السَّمِين بالقرب من (حجر الراشدة) وهي في طريقهم إلى موردهم (طلوب) - الطويلة[1]؟

(٢) كم من الزمن استغرقوا في قطع المسافة من (حجر الراشدة) حتى الموضع الذي ضلّت به فرس توبة الخوصاء من الليل مع توضيح ذالك؟

(٣) هل قتل توبة في أرض بني خفاجة بن عقيل - أم في أرض بني كلاب.. أو قتل عند الحدود أو بقربها بين القبيلتين؟

(٤) إذا كان توبة قد قتل عند (هَيْدَة) - فهل هي: هضبة أو موضع أو أنها: اسم فرس قابضٍ..؟

(١) الوجهة بالطبع نحو الشمال الشرقي حيث أرض (المضجع) وهضب الردهتين وهيدة.

(٢) ذكر صاحب كتاب «الأغاني» ج ٣/ ٤٠٠ ط دار الكتب، أنهم قد أسْرَوْا يومهم وليلتهم. قلت: وهذا القدر من الزمن كفيل بإيصالهم إلى موضعهم الذي وصلوا إليه من هضب الرَّدْهَتَيْن) الذي ضلت الخوصاء عنده ليلاً ومنه ظلم (ظلما)[2]

وفيه ردهتان مشهورتان إحداهما في هضبة (ظلما) والأخرى أسفل منها في (أبا لظلمان) وهما متجاوران و (ظلما) هي: الأكبر والأوسع في سفح الهضبة جنوباً مما يلي قدوم القوم.. والردهة هنا تصعد إليها المواشي بدون صعوبة أو عناء يذكر.

ولعل توبة ورفاقه أخذوا في حسابهم المرور بهذا الهضب للاستراحة بعض الوقت لوجود الماء لحاجتهم وحاجة مواشيهم ولابد أن الخوصاء ضلت خلال تلك الاستراحة التي لابد أنها قصيرة لخوفهم من الطلب.. ولابُدَّ أنهم بعد ضياع الفرس عقدوا الرأي على تغيير في وجهة السير من قصد الشمال الشرقي إلى قصد الشمال مع أن هذا التغيير لا يبعدهم عن هدفهم الأول وهو قصر عبدالعزيز بن زرارة الكلابي الذي يتوقع وجوده قريبًا[٣] منهم في إحدى حقوف الرمال المطلة عليهم من الشرق وحتى الشمال الشرقي (رملة بني كلاب) عرق سبيع الآن، ومن هذا الموضع تخلف توبة للبحث عن الفرس، وسار أصحابه إلى الموعد المرسوم عند (هَيْدة).. لكن تخلف توبة إلى الصباح كشفه لعيون الطلب عند طلوع الشمس، حين علا بفرسه الردهة ليسقيها من الماء.. هذا مع العلم أن الطلب قد تعثر في كشف أثر توبة مرتين.. وتقول إحدى الروايات: إن الذي أرشدهم لوجوده رجل من غني، ولما اتجه رسول الطلب على وصف الغنوي وهو أحدث القوم سنًّا، يزيد بن رويبة وأُمه بنت عم توبة، فلما وصل الهضبة وجد أثر توبة وهو يعرفه كما وجد بول فرسه لا يزال عليه بقية من رغوته، فرجع وأخبر أصحابهُ، فأخذوا بأثر توبة الذي تطلع في الصباح الباكر فلم يرَ أحدًا فركض فرسه، واندفع نحو أصحابه.

ومن المحتمل أنهم بعد أن وجدوا أثر توبة جديدًا عرفوا أنهم قد أدركوه فعلًا بإدراك ذالك الأثر، فأخذوا به ولما عرفوا أنه اتجه بسيره نحو تلك الهضبة الوحيدة في ناحيتها علموا أنه لن يتجاوزها فأخذوا حذرهم فتقاطروا خلف رجل واحد إمعانا في التعمية على العدو، علمًا بأن ربيئة توبة الذي وضعه لسبر الطلب قد شاهدهم كرجل واحد وأخبر توبة أن رآه ومع ذالك لم يتحرز هو وصاحبه بل أخذهما النوم فداهمهما الخصم وقتل توبة)..

(٣) أما موضع قتل توبة فتعددت الروايات: منها من يقول: إنه قتل في أرض بني خفاجة[٥] بن عُقَيل وأخرى تقول: إنه قتل في (المضجع) من أرض بني كلاب[٦].. ومن المعلوم أن عُقَيْلًا وبني كلاب: ابنا عمومة فكلهم لربيعة بن عامر ابن صعصعة من فروع أخرى كثيرة. وبلاد كل من عقيل وبني كلاب في هذه الناحية التي دارت فيها أحداث مقتل توبة، متداخلة في المواضع وحتى في موارد المياه فتقع الحيرة فمنها ما ينسب لعقيل وأخرى لبني كلاب ومن هذا أرى أن توبة قتل في موضع يصح فيه القول أنه من بلاد بني كلاب، مما يلي (المضجع) من الرمل.. ويصح أيضًا أن يقال: إنه من بلاد بني عقيل، وخاصة خفاجة الذي وصف بلادهم - صاحب كتاب «بلاد العرب» ص ٥، ٦ - بأنهم يجتمعون في بيشة ورنية.. وهم من أكثر فروع عقيل انتشارًا ذكرهم النُّويري [أحد عشر فخذًا][٧].

(٤) (هَيْدَة)، أو (بنات هَيْدَة):

- قال البكري «معجم ما استعجم» ص ١٣٥٥ - قال: بنت هند على لفظ اسم المرأة هضبة في بلاد بني كلاب كانت فيها وقعة لبني عُقَيل، بعضهم على بعض قتل فيها توبة بن الحميّر.. وفي ص ١٣٥٨ - قال: هَيْدَة: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده دال مهملة: موضع في ديار بني عُقيل وهو الموضع الذي قتل فيه توبة بن الحمير - هكذا - قاله أبو عمرو الشيباني: وأنشد لليلى الأخيلية:

تخلى عن أبي حرب فَوَلَّى بِهَيْدة قابِضٌ قبل القتال

تعني: قابض بن عبدالله المُسْلِمَ لابن عمه توبة، والمنهزِمَ عنه - هكذا رواه أصحاب أبي علي عنه، ونقلته من كتاب ابن سِيده، بخطه الذي صححه على أبي علي وفي «مقاتل الفرسان» أصل أبي علي: وقد أنشد بيت ليلى هذا ترثي توبة فقال: أبو عبيدة: (هَيْدَة) فرس قابض - هكذا ذكره بدال مهملة، كما ذكر الشيباني إلا أنهما اختلفا في تفسيره ويعترض على تفسير أبي عبيدة قول: ليلى موصولًا بالبيت الذي قبله:

ونَجّى قـــابضًـــا وردٌ سَبُـــوْحٌ يمـــرُّ كـأنـــه مـــرِّيْـخُ غـــالِ

فذكرت أنه فرس.

وفي هامش: ق: ورأيته بخط التبريزي هيدة وكتب تحتها بِخطه موضع.

وفي «معجم البلـدان» - هَيْدَة: اسم ردهـة بأعلى المضجع.. وأورد بيت ليلى.. وقال: أبو عبيدة في «المقاتل» لم يقف علمـاؤنا على هَيْدَة ماهي حتى جاء الحسن فأخبر أنه موضع قتل فيه توبة، ومرت ليلى الأخيليّة بقبره فعقرت بعير زوجها وقالت:

عقـرت على أنصـاب تـوبـة مقـرمـا بهيـدة إذْ لـم تحضـره..؟ أقـاربـه

قلت: وهكذا نرى الاختلاف في المسمى لـدى أصحاب المعاجم والرواة - إلا أن الأهم من ذلك هو: الدليل من شعـر ليلى الأخيلية - فهي تسمي الموضع الذي قتل فيـــه توبة باسم (هَيْدَة) وليلى الأعرف والأدرى ببلادها وبلاد قومها عُقيل من كل هـاؤلاء جميعًـا مع أنهـا قالـت: في شعرهـا الـذي أورده صـاحب «الأغـاني» (ج١١/ ٤٠٢٣) من قصيدة - منها -.

هـراقت بنـو عـوفٍ دمًـا غيـر واحـدٍ لـــه نبـأ نَجْـــدِيُّـــهُ سيغُـــورُ

تـــداعت لـه أفنـــاء عـــوفٍ ولم يكن لـه يـــوم هضب (الـرَّدْهَتَيـن) نصيـرُ

قلت: لعل: ليلى وهي العليمـــة بأخبـار توبة أنها عرفت منذ أن رآه من رآه عند طلوع الشمس صبيحـة ذالك البيت بـ (هضب الـردهتين) أن ذالك اليوم هـو آخر أيام حياته وقد كان لذالك وهذا معنى ذكـرها لـ (هضب الردهتين) هنا. إضافة إلى أن ليلى أوردت في أشعار أُخرى قرائن منها قولها:

نظـــرت وركن من ذِقَـــانين دونـــه مفـاوز (حَـــوْضَى) أيَّ نظـرة نـــاظـر

قلت: ومن المعـروف أن (حوضى) بطرف رملـة بني كلاب وهَي فـي الشرق من (هيـدة) و (هضب الردهتين) وتُـرى منهما و (ذِقـانـان) في الشرق من (حـوضى) الشرق الشمالي قليلًا.

- ثم قالت:

فـآنَسْت خيـلًا بـــ (الـرقيّ) مغيـرةً   ســوابقهـا مثل القطـا المتـواتـر

قتيل بنـي عـــوف وأبصـــر دونــه   قتيل بنـي عـــوف قتيل يحـــابِـــر

قال: في الهامش رقم (٥) ص ٤٠١١ - الرقي: موضع.

قلت: سبق لي تعريف ذالك في «العرب» ٢٣/ ٨١٧ - مع ذكر شاهـد من الشعر العامي وهنا: أضيف قول آخر: أمسى الضحى في قويّد (إذقان) واليوم مع (رقّ قهيبّة).

ورد حديثا في رأس الـرقد سبق ذكرها.. منسوبة إلى قهب قـريب منها. معروف في رأس الرق جنوبًا.. والحقيقة أنه يـوجد أكثر من قهب بأطراف رملة بني كلاب: قال الشاعر:

سقى (المضجع) الأعلى إلـى بطن (خنثل)

إلى (القهـب) مستنٌّ الـــرَّبـــاب خصيبُ

ولا أدري أي القهبان عنى الشـاعر: ولكنه قـد طلب سقي رملة بني كـلاب كلها بما فيها (وادي خنثل). والقهب الثاني: هو الذي نـزل عنده ابن حميد شيخ برقا من (عُتيبة) عنـدما نزل بقـومه من الحجاز إلى نجـد وفيها محمد بن هـادي شيخ قبيلة قحطان. وعند هذا القهب: نخا تركي بن حميد سبيعًا بقوله من قصيدة طويلة:

بين القهـب الأشعل وطيّـــة نفـــوده   أَصِيْـح لــ (الغَلْبَا) بْرُوْس المشـاريف

أهل ديـــار مـــوسّعينٍ حـــــدوده   وأهل مْهـــارٍ يَلْعَبِـنْ العجـــاريف

قال: جامع بن عمرو بن مُرْخيّة الكلابي:

فلمـا رمينا بـالعيـون وقـد بـدت   عَسَــاقِيل فـي آل الضُّحى المتغـوِّلِ

بـــدتْ لي وللتيميِّ صهــوة (ضلْفعٍ)   على بعـدها مثل الحصـان المحجل

فقلت: ألا تبكـي البــلاد التي بهـــا   أُميمـة يـاشــوق الأسيـر المكبّل؟!

الوقوف ومشاهدة (هَيْدَة) على الطبيعة: تحقيقًا لرغبة شيخنا حمد الجاسر في المزيد من المعلومات حول موضع (هيدة) لذا قمت في يوم الأربعاء ٢ من شهر رمضان المبارك ١٤١٨هـ بزيارة خاصة لذالك الموضع، حيث خرجت من مدينة (رَنْية) في الصباح من ذالك اليوم متّجهًا نحو الشمال الشرقي عبر طرق بريّة ترابية وهي: طرق بادية تلك الجهة، وهي في عمومها سهلة العبور لسيارة (الجيب) ومنذ خروجي من المدينة والأرض الممتدة على مَرْمَى البصر مغطّاة بغطاء أخضر، في كل هضابها وأوديتها وسهولها، وذالك من فضل الله على الناس هذا العام فقد بكّر الوسمي على هذه البلاد فألبسها حلة خضراء عجيبة، وكنت متشوقًا للسير في هذه الأرض الجميلة، وفي أثناء السير كنت أرى مضارب البادية في كل النواحي، وكذالك قطعان الماشية من الإبل والأغنام المنتشرة بين الأعشاب الخضراء، وبين الحين والآخر ترى سيارات أبناء البادية في هذه الناحية وقد استوقفتُ أحدهم فسألته عن (هيدان) فالتفت نحو القبلة وأشار بيده قائلًا: هو ذاك (هيدان) نطقها بكسر الهاء، وكنت أسمع هذا أيضًا من قبل فاتجهت نحوه وكما قيل: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) - هذا (هيدان) وهما أُكَيْمَتَان ووصفهما سبق لي على قول رواه ثقاة انظر مجلة «العرب» س ٢٣/ ص ٨١٨.

وكان وصولي إلى الشرقي منهما وإذا أثر سيارات بعض الرعاة تعلو متنه الشمال من الشرق إلى الغرب، فصعدته بالسيارة وتوقفت بمحاذاة القمّة وهي ليست عالية، وقد لفت نظري وجود آثار واضحة تشبه إلى حد كبير آثار قلعة أو حصن قديم بحيث وجدت سطح الأكمة مستوٍ تمامًا ومحاطًا بجدار من الحصا المرصوص رصًّا، والبناء على شكل مستطيل اتجاهه من الشمال إلى الجنوب وقطره ٣٠م وفي كل زاوية ما يشابه البرج معمولة من الحجر المنظّم الأسود الصلب، ولاشك أن تلك الأحجار قد جُلِبَتْ من مختلف الاتجاهات وبكلفة شاقة وقد اكتفيت بهذا دون الآخر، والحق أن الموضع لا يستحق كل تلك الشهرة

والمسمى إلا أنه يقع في منطقة كلها شعاب وأودية عريضة تنبت شتى الأعشاب، ومن أهم أشجارها الرمث والسمر والوهط[٨] وغيره، وأرضها بيضاء دمثة لصلتها بالرمال الشرقية وبعدها عن الجبال والحرار الغربية.

ومنذ قدومي إلى هيدان وأنا أرى أمامي هضبة شقراء تطل عليهما من الشمال لا تبعد أكثر من ثلاثة أكيال تقدمت إليها بعد ذالك وصعدت إلى قمتها مشيًا على الرِجل وهي فاردة لا تخلو من شعاب وتجاويف صخرية وتقع في قف من الأرض مرتفع ومن قمتها رأيت[٩] امتداد الرمال تحيط تلك الأرض الواسعة الممتدة من الجنوب إلى الشمال - تحيطها من الجنوب الشرقي فالشرق وحتى الشمال الشرقي وفي الجهات (من الغرب وحتى الجنوب الغربي) تمتد الجبال والحرار على البعد وعن إحاطة تلك الرمال: ذكرت وصف: الهمداني: لها في «صفة الجزيرة» ص ٦٥.. إنه قاطع للأرض محيط يحوي حويّة مثل النُّون فيقر الماء فيها سنين.. قلت: وإذا جاز مثل هذا الوصف أو التشبيه فإن هذه الهضبة قد تكون هي نقطة النون في وسط حوية تلك الرمال التي تتلقى مياه المرتفعات الغربية كلها بما فيها وادي الخرمة (تربة) فتحويها ولا تجوزها البتة...

والهضبة المذكورة وإن كانت اليوم تسمى (هضبة ضبع) إلّا أني أكاد أجزم على ضوء ما سلف من وصف هيدة في شتى المصادر أو بنات هيدة أن كل ذالك ينطبق على هذه الهضبة وأنها هي (هَيْدة) التي قتل عندها توبة وأن الأكيمات سالفة الذكر هما اللتان بقيتا باسميهما المنسوب أصلًا للهضبة الأم (هَيْدَة) وهذا ما توصلنا إليه من رحلتنا هذه: وأن مثل هذه الهضبة كمثل (هضبة تدوم)[١٠] تدوم الراعي - أصبحت الآن تسمى هضبة الورك أو جبل الورك وأصبح اسم تدوم يطلق على أكيمتان مما يلي مدينة رنية.. وقد سبق أن أشرت[١١] إلى تلاعب البادية المتأخرة بأسماء المواضع - فنحن نرى الآن مسميات لا زلنا ندرك أصلها وأسبابها - كهضبة حَيْبَان وأَبرق القتلى وسمارة[١٢] القتلى والحبشية[١٣] وهضبة

ابن حسين وقور كمهان[14] وعبل ابن غضيان[15]. وهكذا.. تختفي المسميات في الحقيقة القديمة على هذا النحو: ومثلهـا ولاشك هذه الهضبة - فقد يكون أحدهم وجد بهـا ضبعًا أو قتلـه عندهـا أو نحوه فأطلق عليهـا هذا الاسم ومثل هـذا الاسم الأخير يطلق على أكثر من جبل وهضبة[16] إلا أن (هيدان) هما اللذان بقيا للدلالة الواضحـة على (هَيْدَة) الأم ولـو قدرنـا المسافـة من جبل ضلفع الذي يفتـرق عنه مجرى وادي بيشة قبيل التقائه بوادي رنية إلى موضع (هيدان) أو (هيدة) لوجدناها لا تتجاوز ٦٥ إلى ٧٠ كيلًا بالكثير وهي مسافة معقولة.

رنية: فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي

الحواشي:

(١) انظر «العرب» ٢٣ ص ٨١٨. (٢) انظر «العرب» ٢٣/ ٨١٨.

(٣) الدليل أن قابضًا من فوره أتى عبدالعزيز بن زرارة «الأغاني» ١١/ ٤٠١٠.

(٤) «الأغاني» ١١/ ٤٠٠٢. (٥) «الأغاني» ١١/ ٤٠٠٣.

(٦) «الأغاني» ١١/ ٤٠٠٩.

(٧) عدَّهم» في نهـاية الأرب» بتفصيل. وفي كتاب «الأغانـي» ١١/ ٤٠٠٧ ثم إن خفاجة رهط توبـة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عقيل الـذين قتلوا توبة - فلما بلغهم الخبر لحقوا ببنـي الحارث بن كعب، ثم افترقت بنو خفاجـة. فلما بلغ ذالك بني عوف رجعـوا فجمعت لهم بنو خفاجـة أيضًا قبائل عُقَيل، فلمـا رأت ذالك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فنزلـوها - وهم رهط إسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو ابن عامر بن عقيل. ثم إن بني عـامر بن صعصعة صاروا وفي أمرهم إلى مروان بن الحكم وهـو والي المدينة لمعاوية بن أبي سفيـان فقالوا: ننشدك الله أن تفرق جمـاعتنا فعقل توبة عقل الأخرين معـاقل العرب مئة من الإبل فأَدَّتْها بنـو عامر. قال: فخرجـت بنو عوف بن عامـر قتلة توبة فلحقوا بـالجزيرة فلم يبق بالعـالية منهم أحد، وقامت بنو ربيعة بن عُقيل وعروة بن عقيل وعُبادة بن عُقيل بمكانهم بالبادية. انتهى.

(٨) شجر الوهط يختلف عن شجر القتاد..

(٩) من قمة هيدة: شاهدت نحو الجنوب الشرقي (هضب الردهتين) بل شاهدته قبل صعودها.

(١٠) انظر مجلة «العرب» ٤/ ٥٧٢ و س ٧ ص ٧١٣، ٧١٤.

(١١) انظر مجلة «العرب» ٢٣/ ٦٩٥. (١٢) انظر مجلة «العرب» ٢١/ ٥٥٠.

(١٣) انظر مجلة «العرب» ٢١/ ٥٥٥. (١٤) انظر مجلة «العرب» ٢١/ ٥٣٩.

(١٥) انظر مجلة «العرب» ٢١/ ٥٣٩، ٥٥٣.

(١٦) انظر مجلة «العرب» (ج ٥، س ٣١ ذو القعدة والحجة (١٤١٦هـ).

«أنســاب الأشــراف» للبــلاذري

(مطبوعة الأستاذ محمود فردوس العظم)

- ٤ -

٣٣٣- ص ٢٥٢: (وعرضوا رايتهم) وهي: (وعرضوا رِئَاستهم) كما في الأصل.

٣٣٤- ص ٢٥٤: (ويستمع الفاجر) وهي: (ويستمتع الفاجر) وقد مرَّت الكلمة - ص ٢٤٦ - وهي في المخطوطة (ويستمع الفاجر) ولكن فوقها في الهامش (يستمتع خ).

٣٣٥ - ص ٢٥٨: (إذا عفَّها سوطي) وهي: (إذا عضَّها سوطي).

٣٣٦- وفيها: (شعبة بن غريض) وهي: (سعيّة بن غريض) فوق السين علامة الإهمال والياء مشدَّدة، وهذا هو المعروف باسم هذا الرجل اليهودي.

٣٣٧- ص ٢٥٩: (فأماتا القرآن) وفي المخطوطة: (فأماتا ما أحيا القرآن، وأَحْيَيَا ما أمات القرآن).

٣٣٨- ص ٢٦٢: (قد امْزَقَّر في الماء) وهي: (قد امْذَقَرَّ في الماء) وسيأتي - ص٢٦٣ -.

٣٣٩- ص ٢٦٣: (فوالله ماكان محمد بمنجّم) وهي: (فو الله ماكان لمحمد مُنَجِّمٌ).

٣٤٠- ص ٢٦٤: (ماقد شهدته) وهي: (بما قد شهدته).

٣٤١ - ص ٢٦٦: (معاشر المخبتين) وهي: (معاشر المحسنين) وفي المخطوطة: تحت الحاء علامة الإهمال وهي حاء صغيرة والحرفان اللذان بعدها مهملان من الإعجام.

٣٤٢- وفيها: (زياد بن حصين الطائي) وهي: (زياد بن حصن الطائي).

٣٤٣- وفيها: (عبدالله بن شجرة، ووقف جمرة بن سنان) وهي: (عبدالله بن شجرة السلمي، وكان على ميمنة الخوارج زيد بن حصن، وعلى ميسرتهم عبدالله ابن شجرة، ووقف جمرة بن سنان) كذا في المخطوطة.

٣٤٤- ص ٢٦٧: (اضربهم ولو) وهي: (أَضْرِبُهُمْ ولَا).

٣٤٥- ص ٢٦٨: (ها لآن) وهي: (ها إنَّ).

٣٤٦- وفيها: (الصلت بن قتادة بن خلَّاوة) وهي: (الصلت بن قتادة بن سلمة بن خُلَّادَةَ).

٣٤٧- وفيها: (عدان بن المعذّذ) وهي:(عدان بن المعذِّر).

٣٤٨- ص ٢٦٩: (علامتهم فيهم رجل) وهي: (علامتهم رجل فيهم).

٣٤٩- وفيها: (قال ويحكم اطلبوا رجلًا) وفي المخطوطة: (قال لما قَتَل عليٌّ أهلَ النهروان جعل لا يستقر جالسًا ويقول: ويحكم اطلبوا رجلًا).

٣٥٠ - ص ٢٧٠: (زيد بن حصين) وهي: (زيد بن حصن).

٣٥١- وفيها: (متوازين) وهي: (متوازرين).

٣٥٢- ص ٢٧١: (ويسمع الكافر) وهي: (ويستمتع الكافر) وتقدم مثل هذا.

٣٥٣- ص ٢٧٢: (نفذت سهامنا) وهي: (نَفِدَت سهامنا).

٣٥٤- وفيها: (من قوة ورباط الخيل) وهي: (من قوة ومِنْ رباط الخيل).

٣٥٥- وفيها: (تنتفض أطرافكم) وهي: (تُنْتَقَصُ أطرافكم).

٣٥٦- ص ٢٧٣: (فعل ذي الزِّمِن المطول) وهي: (فعل ذي الدمن المطول).

٣٥٧- ص ٢٧٤: (وأما حجر بن عدي) وهي: (وأتـا حُجْرُ بن عـدي) وعلى هذا فلا حاجة إلى زيادة (جاءوا) في سياق الكلام.

٣٥٨- وفيها: (مصر قد فتحت) وهي: (مصر قد افتتحت).

٣٥٩- وفيها: (نسخة حرقها) وهي: (نسخة حرفها).

٣٦٠- ص ٢٧٨: (أنكث المخ) وهي: (أنكت المُخَّ) - بالمثناة -.

٣٦١- وفيها: (ويحمل عليه كسوة) وهي: (وبجمل عليه كسوة).

٣٦٢- ص ٢٧٩: (علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان) وفي المخطوطة: (عليّ بن أبي طالب، وبويع عليّ بعد مقتل عثمان).

٣٦٣- وفيها: (جوادًا أديبا) وهي: (جوادًا أَريبًا).

٣٦٤- ص ٢٨١: (وأن ياتيك عني) وهي: (ولن يأتِيَك عني).

٣٦٥- ص ٢٨٢: (وديني لم أره) وهي (وديني، فلم أره).

٣٦٦- ص ٢٨٤: (من ثَوري وتلحى) وهي: (من تُؤْوي وتُلْجِي).

٣٦٧- ص ٢٨٦: (كان خطأ أسسه) وهي: (كان خطأ فأبوك أسسه).

٣٦٨- وفيها: (فعل أمرًا واقتفينا) وهي: (فعل أمرًا فاتبعناه واقتفونا).

٣٦٩- وفيها: (وما بذالك أودع) وهي: (ما بدا لك أودع).

٣٧٠- وفيها: (فوائته وأناب) وهي: (غوايته وأناب).

٣٧١- وفيها: (فبعث ابن جهمان) وهي: (فبعث ابن جَمْهان).

وللمحقق حاشية طويلة على هذا الاسم، واستدل بعدم صحة جمهان لعدم ورود مادة (جمه) في «لسان العرب»، ولا أرى هذا دليلًا قويًّا فقد تكون الهاء هنا مبدلة من الحاء (جمحان)، وقد تكون من الكلمات التي لم تدون.

٣٧٢- ص ٢٨٧: (نخوة اللئيم) وهي: (نخوة الأثيم).

٣٧٣- ص ٢٨٨: (من سلطانك لوليته ماهو أيسر عليك مؤنة) وفي المخطوطة: (من سلطانك لوليتك ماهو أيسر عليك مؤونة).

٣٧٤- ص ٢٩٠: (صبر على قتالها فيما معه) وهي: (صبر على قتالها فيمن معه).

٣٧٥- ص ٢٩١: (فقال كنانة بن بشر) وهي: (فقال قتلتم كنانة بن بشر).

٣٧٦- ص ٢٩٢: (فقد كان ممن ينتظر القضاء) وهي: (فقد كان ينتظر القضاء).

٣٧٧- وفيها: (جرجرة البعير الأشرّ) وهي: (جرجرة البعير الأسَرّ).

٣٧٨- وفيها: (بكتاب لطيف مارّهما فيه) وهي: (بكتاب لطيف قاربهما فيه) وعلى هذا لا داعي للحاشية.

٣٧٩- ص ٢٩٤: (قيس بن سعد شخص عن مصر) وهي: (قيس بن سعد، وشخص عن مصر).

وفي هذه الصفحة شرح لكلمة (نُعَرة) وفي الهامش ماهو أوضح من هذا الشرح وهو: (النُّعَـرَةُ مثالُ هُمَزَةٍ، ذباب ضخم، أزرق العيـن أخضر، له إبرة في طـرف ذنَبِه يَلْسَع بها ذوات الحافر خاصة) وفوقها حرف - ص - أي منقولة من الأصل.

٣٨٠- ص ٢٩٥: (في مغـارة بجبل الـزيت بفلسطين) وهي في المخطـوطـة: (في مغارة بجبل الذيب بفلسطين) وفي الهامش: (الزيت خ).

٣٨١- ص ٢٩٦: (قريـة يقال لها نغر) وفي المخطـوطة: (قرية يقـال نِفَّر) وفي «معجم البلدان»: نِفَّـرُ - بكسر أولـه وتشديد ثـانيه وراء-: بلـدة أو قريـة على نهر النرس من بلاد الفرس عن الخطيب، فإن كان عنى أنـه من بلاد الفرس قديمًا جاز، أمـا الآن فهو من نـواحي بابل بأرض الكـوفـة، وساق خبـرًا طويـلًا عن ابن الكلبي يتعلق بهـا، وإذن فَنِفَّرُ هي الصـواب، وليست (نغر) كما فـي المطبوعة، وكمـا نقل المحقق أنها من بلاد السند عن ياقوت، وتكررت في الصفحة الثانية.

٣٨٢- ص ٢٩٧: (مضح خبر القوم) وهي: (نضح خبر القوم).

٣٨٣- وفيها: (فهلا أسلم صاحبكم) وهي: (فهلا أسلـم صاحبك).

٣٨٤- ص ٢٩٨: (قلعـة رامهـرمـز، فأجـد السيـر) وفي المخطـوطـة: (قلعـة بِرامهرمز، فأغَذَّ السير).

٣٨٥- ص ٢٩٩: (وقد صابت نفر) وفي المخطوطـة: (وقد صابت بصرّ) وفوق الراء شدة والكلمة غير واضحة.

٣٨٦- ص ٣٠٠: (يروضه ويستقصيه) وهي: (يروضه ويستنقصه).

٣٨٧- وفيها: (ودفعهم إليهم) وهي: (ودفعهم إليه).

٣٨٨- ص ٣٠١: (ماله قرّحه الله) وهي: (ماله ترحه الله).

٣٨٩- ص ٣٠٢: (لم يرفع الله بـالبُغْضِ إنسانـا) وهي: (لم يرفع الله بـالبغضاء إنسانًا).

٣٩٠- ص ٣٠٤: (فتودّد للأزد) وهي: (فتودَّد الأزدَ).

٣٩١- وفيها: (في هـذه الحرب وانتفينا لهـا) وهي: (في هذه الحـرب وانتضينا لها) كذا في الأصل، ولعل الصواب (وانتصبنا).

٣٩٢- ص ٣٠٥: (نضرب بها بعضًا بعضا) وهي: (يَضْرب بها بعضُنَا بعضًا).

٣٩٣- وفيها: (فقال الضحاك) وهي: (فقال للضحاك).

٣٩٤- ص ٣٠٦: (وحبّه العاقبة) وهي: (وحبه العافية).

٣٩٥- وفيها: (المثنى بن مخرمة) وهي: (المثنى بن مُخَرِّبَة).

٣٩٦- ص ٣٠٧: (ودعا أصحابه بنزولها) وهي: (ودعا أصحابه لنزولها).

٣٩٧- ص ٣٠٨: (وقام أبـو صفرة) وهي: (فقام أبـو صفرة) ولا داعي للفصل بينها وبين ما قبلها فهي متصلة به.

٣٩٨- وفيها: (فابعثني إليه أكفك إياه) وهي: (فابعثني إليهم أكفك إياهم).

٣٩٩- ص ٣١٠: (إلى دار سنبيل السعـدي) وهي في المخطـوطـة: (إلى دار صِنْبيل السعدي) وتحت الصـاد كسرة، وتكرر هذا الاسم ص ٣١١ بخـلاف ما في المخطوطة.

٤٠٠- ص ٣١١: (وحدثني الغنـوي الدلال) وهي: (حدثني العقـوي الدلال) وفوقها كلمة - صح -.

٤٠١- ص ٣١٣: (بِسُمرٍ كأشطان الجرور جلادِ) وهي في المخطوطة كذا، إلّا أن كلمـة (جلاد) تحت الحـاء علامـة الإهمـال (حلاد) ولعل المقصـود بالحِـلاد اليابسة القوية ومنه إبل محاليد، يبست ألبانها، إن لم يكن خطأ في المخطوطة.

٤٠٢- وفيها: (على ابن أبي بكرة) وهي: (على أبي بَكْرَة).

٤٠٣- ص ٣١٧: (الثياب المنهرمة) وهي: (الثياب المنهرتة).

٤٠٤- ص ٣١٨: (الأمر على منهك صاحبيه) وهي: (الأمر على منهاج صاحبيه) ولا داعي للحاشية إذن.

٤٠٥- ص ٣١٩: (بأس وأناة) وهي: (بأس وأداة).

٤٠٦- وفيها: (أوليائنا ومتنهم) وهي: (أوليائنا ومُنَّتهم).

تنبيه: من آخر الصفحة الـ (٢٣٠) إلى آخر الصفحة الـ (٣٤٤) يقابله نقص في المخطوطة الدمشقية التي أعبر عنها بكلمة (الأصل) وهذا النقص هو اثنتا عشرة صفحة، ولم أقابل مافي المطبوعة على الأصل التي نُقِلَتْ عنه، وهي مخطوطة اسطنبول التي نسخت قبل حدوث النقص في المخطوطة الدمشقية.

٤٠٧- ص ٣٤٤: (ونحن شاخصون إلى المحائن) وهي: (ونحن شاخصون إلى المحلين).

٤٠٨- ص ٣٤٥: (لقيه علي بن الحارث). وفي الهامش (عدي صح).

٤٠٩- وفيها: (يدعو إلى مأربه) وفي الهامش؛ (يدعو إلى رأيه).

٤١٠- ص ٣٤٧: (فأقام بشهرزور شهرًا) وهي: (فأقام بشهرزور أشهرًا).

٤١١- وفيها: (ويذكرهم أمر النهر) وهي: (ويذكرهم أهل النهر).

٤١٢- وفيها: (ونقيم بين أظهركم يجور علينا إمامكم) وفي المخطوطة: (ونقيم بين أظهركم تجوز علينا أحكامكم).

٤١٣- وفيها: (وزيد بن حصين) وهي: (وزيد بن حصن) وتكرر مرارًا فيما تقدم.

٤١٤- ص ٣٤٨: (قام الخوارج) وهي: (أقام الخوارج).

٤١٥- وفيها: (فتزوج قطام بنت شجنة) وفي المخطوطة: (فتزوج قطام بنت علقمة). ومافي المخطوطة يخالف مافي «جمهرة النسب» لابن الكلبي ففيها (شجنة).

٤١٦- ص ٣٤٩: (ولن أجاوزه) وهي: (ولن أتجاوزه).

٤١٧- وفيها: (فأتى مرادًا) وهي: (فأتى مراد).

٤١٨- ص ٣٥١: (أئمة الضلال والفتنة) وهي: (أئمة الضلالة والفتنة).

٤١٩- ص ٣٥٢: (وأنت تريديني) وهي: (وأنتِ تريدينني).

٤٢٠- وفيها: (أتقتل عليا) وهي: (أقتل عليا).

٤٢١- وفيها: (لثلاث عشرة ليلة بقين) وهي: (لثلاث عشرة ليلة بقيت).

٤٢٢- وفيها: (إنما نزل في أخصاص في الرحبة) وهي: (إنما نزل في خَصَاصٍ في الرحبة).

٤٢٣- ص ٣٥٣: (فأخذ السيف فضرب به) وهي: (فأخذ السيف منه فضرب به).

٤٢٤- ص ٣٥٦: (وأبو بكر بن الأعين) وهي: (وأبـو بكر الأعين) فكلمة (بن) مشطوبة بخط كاتب الأصل.

٤٢٥- ص ٣٥٧: (سنة الجحاف ونوه لي خمـس وستون) وهي: (سنة الجحاف، ولي خمس وستون) فكلمـة(نوه) التي فسـرها المحقق في الحاشيـة غير مـوجودة في الأصل.

٤٢٦- ص ٣٥٧: (حدثنا محمد بن ربيعة الكـلابي) وفي المخطوطة: (حدثنا محمد بن سعد حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي).

٤٢٧- وفيها: (واسحاق الغـزوى) وهي: (واسحاق الفَرْوي) وفوق الـراء علامة الإهمال والسكون.

٤٢٧- ص ٣٥٨: (إذا حل بنـاديـك) وهي: (إذا حل بـواديك) وفـي الهـامش (يناديك خ).

٤٢٨- وفيها: (عن موسى بن عبيدة) وهي: (عن موسى بن عبيد).

٤٢٩- وفيها: (وأشقى الآخرين الدمى) وهي: (وأشقى الآخرين الذي).

٤٣٠- وفيها: (حيث طعن من هذه للحيتـه) وهي: (حيث طعن) وما بقي ليس في الأصل.

٤٣١- ص ٣٥٩: (إني سثمتهم) وهي: (إني قد سئمتهم).

٤٣٢- وفيها: (فكما كان يوم) وهي: (فلما كان يوم).

٤٣٣- ص ٣٦٠: (أتيت المدائني) وهي: (أتيت المدائن).

٤٣٤- وفيها: (عن أبيه عن أبي ليلى) وهي: (عن أبيه عن ابن أبي ليلى).

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

هَل وادي المنجور هو الممدور قديماً؟

ما يعرف عن وادي الممـدور هو أنه كان منذ عهود سحيقـة من معالم ديار بني سهم من بني الصـارد من مرّة غطفان، وكـان منزلًا لأُمّ جحـدرٍ بنت حسّان المُـرِّيَّة التي وقع بغـرامها الشـاعر المخضـرم الرماح ابـن أبرد المعروف بـابن ميّـادة (أُمّه) وأحد شعراء الـدولتين: (الأموية، والعباسية) فكان من أمـر هذا العِشق الجارف أن شبَّبَ العاشق بمعشوقته مفصحًا عما يعـاني من لاعج الحُبِ تجاهها، وهو ماكان سببًا لضيـق أبيها ذرعًا بـه فحلف أن يزوجهـا من خارج عشيـرتها، فكـان ذلك من رجل من أهل الشـام. فلهـذا هام ابن ميّـادة شـوقًا على فـراق محبـوبتِهِ حتى بعـد وفاتهـا، فأكثر من شعـره فيها، وفي ذكـر الديـار التي مرّت بهـا أثناء ارتحـالها إلى الشام وكذلـك خلّد بشعره - أيضًا - ذكـرَ منزلها (وادي الممدور) الـذي كان يكثر من التردد عليه ليحظى بـوصلها، وبه اشتهر، فمن خلاله عنى الجغـرافيون بتدوين رسم لهذا الوادي في كتب المعـاجم، وطُرُفٍ من الأخبار التي تدور فصـولها حول قصة هذا العشق، في هـذا الوادي الذي ظل منذ أمدٍ بعيد غيـر معروف، فهو كغيره من المواضع التي تغيـرت أسماؤها بأسمـاء حديثة، فجُهِل الكثير منهـا، ومن بينها (الممدور) هـذا الموضـع الذي بذل شيخنـا حمد الجـاسر - من أجـل إظهاره - جهـدًا واضحًا في هـذا السبيل إلا أن السيول التـي منعته من زيـارة (جُبار) - كمـا صرح بـذالك - هي التي حالت - على ما يبـدو - بينه وبين اكتشافه؛ فهـو قريب جدًّا لجهـة الشرق من (جُبَار) ومع هـذا فلولا هـذا الجهد الذي مهـد لنا - بحق - وعورة الطريق لكنّا في دوٍّ مظلمٍ من الصعب علينا الاهتداء إلى معرفة ما تحقق لنا عن وادي الممدور (المنجـور حاليًا) وبيان ذالـك ما يلي: قال ياقـوت: الممدور: مفعول من المَدَرِ، وهو حجـارة من الطين: موضع في ديار غطفان[1]، قال الرماح ابن ميّادة:

ألَا حَيِّيَـا رَسْمَــا بَـذِي العُـشِّ دَارِسًـا ... وَرَبْعًا بَـذِي الممدور مستعجمًـا قفْرا
عَشِيّــةَ أَثْنِي بــالــرِّداءِ على الحَشــا ... كأنَّ الحَشَـا من دونهـا أُسْعِرَتْ جمـرا
فبَهْــرًا لقــومي إذ يَبِيعُــون مُهْجَتِي ... بجــاريــةٍ بَهْــرًا لهُمْ بعــدهـا بَهْــرا

والأبيات التي استشهد بها ياقوت على الممدور هي من قصيدة أطول لابن ميادة قالها في معشوقته أمّ جحدرٍ، لمّا وَفّى أبوها بحلفه فزوجها رجلًا من الشام، فرحل بها، وقد أورد مقطوعات منها صاحب كتاب «الأغاني» وفيها مزيد عن الممدور، وكذالك عن المواضع التي مرّ بها ركب أمّ جحدر في طريقها إلى الشام، فذكر ابن ميّادة: ذا العُشّ، والممدور، فتيماء، فنيّان، فالغَمْر، فأُبا ير، فثجر فقال:

خليليَّ من غيظ بن مُرَّة بَلِّغا ... رسائل منا لا تزيدكما وَقْرا
ومُرَّا على (تيماء) نسْألْ يهودها ... فإنّ لدى (تيماء) من ركبها خُبرا
و بـ (الغَمْرِ) قد جازتْ وجاز مطيُّها ... فتسقى الغوادي بطن بيسان فـ(الغمرا)
فلمَّا رأت أن قد قربْنَ أثابرا ... عواسف سهب تاركًا بها ثجرا

وعلّق شيخنا حمد الجاسر على (بيسان) و (أثابر) فقال: أثابر: صوابه (أُبا ير) أما بيسان فلاشك أنه تصحيف (نيَّان)[٢]، وهذا صحيح. وكل المواضع التي مرّ ذكرها شمال (تيماء) ماعدا ذا العشّ والممدور فجنوبها مما يلي الحرّة. وقد عطف ابن ميّادة ذا العش على الممدور غير مرة وقال:

فذو العُشّ والممدور أصبح قاويًا ... تمشّى به ظلْمانُهُ وجَآذرهُ

فإذن: فهما متقاربان، والأخير كان من المراتع التي يألف ارتيادها النّعام والبقر الوحشي، وهما - كما هو معروف - يفضلان براث الأرض ودمائها.

ويرى الشيخ حمد الجاسر أن (وادي العشاش) - في هذا العهد - هو (ذو العشّ) قديمًا فيما يقول عن الممدور[٣]: ويظهر أن الممدور يقع في جنوب الجناب (الجهراء) على مقربة من الأطراف الشمالية للحرة، ولا أراه يبعد كثيرًا عن (حجر) و (ذي العش) (العشاش) و (جُبار) و (الجفر)، وكلها مواضع متقاربة وردت في أخبار ابن ميادّة، وهي من بلاد قومه[٤].

وعليه يتعين علينا في البحث عن الممدور أن نتجه إلى مافي النصوص القديمة له فيها من وصف، لتطبيقها على الواقع، فهي التي ستساعدنا على تعيين موقعه وإبانته من خلال القرائن التي وردت على لسان ابن ميّادة إن شعرًا أو رواية فمنها: ما يروى بعض رواة كتاب «الأغاني» عن ابن ميّادة نفسه- بعد أن قام بزيارة

لأُمّ جحدرٍ فتحادثا؛ وهي في المنزل الذي زُوِّجت فيه ومنه غادرت إلى الشام قوله: جاء غراب فنعب على رأس الأبرق، فنظرت إليه وشهقت وتغير وجهها فقلت: ما شأنك؟.. قالت: أرى هذا الغراب يخبرني أنا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد[٥].

وفعلًا حدث ما توقعته بعد يومين على ما جاء في الرواية، وفي هذا نص صريح بوجود أبرق ملاصق لمنزلها، وما يقطع به الدليل بأن منزلها كان بالممدور قوله بعد أن رحلت:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الصَّارِدِيَّةَ جَاوَرَتْ ... لَيَالِيَ بَالْمَمْدُورِ غَيْرَ كَثِيرِ
ثَلاثًا فَلَمَّا أَنْ أَصَابَتْ فُؤَادَهُ ... بِسَهْمَيْنِ مِنْ كحْلٍ دَعَتْ بِهَجِيْرِ
بأَصْهَبَ يَرْمِي للزِّمَام بِرَأْسِهِ ... كَأَنَّ عَلَى ذِفْرَاهُ نَضْحُ عَبِيْرِ
جَلَتْ إِذْ جَلَتْ عَنْ أَهلِ نَجْدِ حَمِيدَةً ... جَلَاءَ غَنَيٍّ لا جَلَاء فَقِيْرِ

وقال أيضًا في وصفه:

ولا بَرِحَ المَمْدُورُ رَيَّانَ مُخْصِبًا ... وَجِيْدَ أَعَالِيْ شَعْبِهِ وَأَسَافِلُهْ

ثم قال - لما ماتت أم جحدر في وصفه أيضًا:

خَلَتْ شُعَبُ المَمْدورِ لَسْتَ بِوَاجِدٍ ... بِهِ غَيْرَ بَالٍ مِنْ عِضَاهٍ وَحَرْمَلِ
تَمَنَّيْتَ أَنْ نَلْقَى بِهِ أُمَّ جَحْدَرٍ ... وماذا تَمَنَّى مِنْ صدًى تَحْتَ جَنْدَلِ
فَلَلْمَوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ ... وَلَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ عناءٍ مُطَوَّلِ

وملخص مافي النصوص: ١- الممدور: لغة: قطع الطين اليابس، أو العلك الذي لا رمل فيه، ومَدَرَ المكان طانه[٦]..

ووصفا: أ- لا يخلو من أبارق فيه. ب- أعاليه وأسافله أخصب من وسطه.

ج- فيه نبات شجر الحرمل والعِضَاه.

٢- لا يبعد كثيرًا عن (جبار) و (ذي العش) (العشاش).

٣- في الجهة الشمالية من حرة خيبر مما يلي الجناب (الجهراء).

وكل الأوصاف المتقدمة تنطبق كل الإنطباق على (المنجور): واد أعلاه محاذٍ لقاع رغيب يعرف بـ (قاع السباق) طوله أربعة أكيال وعرضه ثلاثة تقريبًا، ويقع في

جوٌّ منخفض في أعلى وادي المخيط الغربي ما بين فرزان (رأسًا من الحرّة) جنوبًا والضحايا (منقطع الظهر) شمالًا ولا منفذ له، وقد رأيته وقد ملأته السيول، وأصبح كأنه بحيرة في وسط اليابسة مختلطًا بالحجارة، ولا يفصله عن (المنجور) إلا سنده الشمالي فقط، وعليه ينطبق مدلول اللغة لمعنى الممدور، وهو مفعول: المدر.

والذي يظهر ليّ أن اسم الممدور كان في الأصل اسمًا لمسمًّى هذا القاع، وبه سُمِّي الوادي لقرب انحدار مبتدإه من عنده، وتحريف العوام لأسماء كثير من المواضع التي يستثقل عليهم فهمها إلى ما يفهمون له معنًى أمر شائع ومعروف في الكثير منها، والأمثلة على ذلك - أيضًا - كثيرة.

فوادي المنجور وهو الذي أراه - في هذا العهد - الممدور - قديمًا ينحدر سيله من الركن الجنوبي الشرقي من الظهر، فينصلت في غائط أفيح، أسناده بُرَقٌ، وأسافله دِمَاثٌ، طيب التربة، ثم يواصل اندفاعه صوب الغرب، فيجتمع مع وادي (جُثَا) في قاع واسع، ومنه تخرج سيول الواديين في مجرى وادٍ واحد، مندفعًا مع جِرَاع غير مَرِيئَةٍ، وعلى أميال يسيرة من ذالك ينداح من جانبه الشمالي سَهْبٌ فسيح أبيض اللون، كريم المنبت تعترضه أبارق منقادة من الشرق إلى الغرب فتنقطع بِرُمَيْلَة (جُبار) فيما مجرى الوادي آخِذًا نفس الاتجاه صواب الغرب مارًّا بـ(جُبار) ومن هنا يأخذ اسم وادي (جُبار) وعند وصوله (جُبار) هناك مواضع منسوبة إلى شجر الحرمل لتكاثره فيها.

ونكتفي بهذا القدر، وفي النفس ما تقوله عن مواضع مرّ بنا ذكرها مثل: (الظهر) (جُثَا) (رُمَيّلة جبار).

والله ولي التوفيق،،

عطا الله بن ضيف الله الرشيدي

المصادر:

(١) «معجم البلدان»: ج ٥ - ص: ١٩٧ دار صادر.

(٢) «معجم شمال المملكة»: ج ١ - ص: ١٨٠ حمد الجاسر.

(٣) نفس المصدر: ج ٣ - ص: ٩١٠ حمد الجاسر.

(٤) نفس المصدر: ج ٣ - ص: ١٢٧١ حمد الجاسر.

(٥) «الأغاني» ج٢ - ص: ٢٤٠ الدار التونسية للنشر.

(٦) «القاموس المحيط» ج٢ - ص: ١٣٦ دار الجيل بيروت.

٥٦- بَابُ أَلْيَة وَأَلِيَّة وَلِيَّة[١]

أَمَّا - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ: فَهُوَ أَبْرَقٌ فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ قُرْبَ الْأَجْفُرِ، يُقَالُ لَهُ ابْنِ أَلْيَةَ[٢].

وَأَلْيَةُ الشَّاةِ: نَاحِيَةٌ قُرْبَ الطَّرَفِ، وَبَيْنَ الطَّرَفِ وَالْمَدِينَة نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ مِيْلًا[٣].

وَقِيْلَ: وَادٍ بِفَسْحِ الحَبَابِيَّةُ، والْفَسْحُ: وَادٍ بِجَانِبِ عُرُبَّةَ فَيْضٌ وَاسِعٌ، وَعُرُبَّةُ: رَوْضَةٌ بِوَادٍ مِمَّا كَانَ يُحْمى لِلْخُيُولِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ والإِسْلَامِ بِأَسْفَلِهَا قَلَهَى، وَهِيَ مَاءٌ

---

(١) لَمْ يَرِدْ فِي كِتَابِ الْحَازِمِي.

(٢) أَوْرَدَ يَاقُوت كَلَامَ نَصرٍ كَامِلًا، وَلكِنْ وَقَعَ فِي مَطْبُوعَةِ «الْمُعْجَم» (بِفَسْحِ الْجَابِيَة بِجَانِبِ عُرُنَّة) وَفِي مَخْطُوطَة نَصر (بِفَسْحِ الجَبَابِيَّة.. عُرُبَّة) وَلَمْ تَرِدْ جُمْلَة (فَيْضٌ وَاسِعٌ) فِي «الْمُعْجَم» وَفِيْهِ: أَلْيَةُ مَاءَةٌ مِنْ مِيَاه بَنِي سُلَيْم وَنَقَل عَن كِتَاب «جَزِيرَة العَرَب» لِلْأَصْمَعِي: ابْن أَلْيَة، كَمَا سَيَأْتِي النَّصُّ مِن كِتَاب «بِلَاد الْعَرَب» كَمَا نَقَل عَنْ عَرَّامٍ فِي حَزْمِ بَنِي عُوَال: أَبْيَار مِنهَا بِئْرُ أَلْيَةَ، اسْم أَلْيَةِ الشَّاةِ، هَذَا لَفْظُهُ، وَأَصْلُ كَلَام نَصرٍ عَنْ أَبْرَقِ بَنِي أَسَدٍ الَّذِي بِقُرْبِ الْأَجْفُر فِي كِتَاب «بِلَاد الْعَرَب» الَّذِي سَمَّاه يَاقُوت «جَزِيرَة الْعَرَب» فَعِنْدَمَا ذَكَر الْأَجْفُرَ، وَأَنَّهَا كَانَتْ لِبَنِي يَرْبُوعٍ، فَحَلَّتْ عَلَيْهَا بَنُو جَذِيْمَةَ، وَذَلِك فِي أَوَّلِ الإِسْلَام فَانْتَزَعَتْهَا مِنْهُمْ، فَفِي ذَلِك يَقُول الْخَنْجَرُ الْجَذِمِيُّ:

مَنْ يَتَرَعَّى الْجَوَّ بَعْدَ مُنَاخِنَا ... وَأَزْمَاحِنَا يَوْمَ ابْنِ أَلْيَةَ يَجْهَلِ

إِلَى أَنْ قَالَ:

كَأَنَّهُمُ بَيْنَ ابْنِ أَلْيَةَ غُدْوَةً ... وَنَاصِفَةِ الْغَرَّاءِ هَدْيُ مُحَلَّلِ

وَقَالَ: الْغَرَّاءُ جُرَيْعَةٌ فِي وَسَطِ نَاصِفَةَ، وَنَاصِفَةُ: قُوَيْرَةٌ. انتهى. والأَجْفُرُ: أَصْبَح الْآن بَلْدَة مَأْهُولَة فِي مِنْطَقَة حَائِل، شَرْقَ بَلْدَةِ فَيْد.

(٣) نَقَلَهُ يَاقُوتُ دُوْنَ زِيَادَةٍ، والطَّرَفُ: مَنْزِلٌ لِلْمُتَّجِه مِنْ نَجْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْد نَخْلٍ، وَنَخْلُ يُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ الْحِنَاكِيَّةِ، والطَّرَفُ: يُعْرَف الْآن بِاسْم الصُّوَيْدِرَةِ يَبْعُدُ عَنْ الْحِنَاكِيَّة غَرْبًا بِـ(٣٨) كِيْلًا، وَيَقَع بَعْدَ وَادِي الشُّقْرَة.

لِبَنِي جَذِيمَةَ بن مَالِك[1].

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ: جَاء فِي الشِّعْرِ، لَا أَعْلَم اسْم مَوْضِع، أَمْ كُسِرَت اللَّامُ وَشُدِّدَتِ الْيَاءُ لِلضَّرُورَة[2].

وَأَمَّا بِكَسْرِ اللَّامِ بِلَا أَلِفٍ وَالْيَاءُ مُشَدَّدَةٌ: وَادٍ قُرْبَ الطَّائِفِ أَعْلَاهُ لِثَقِيفٍ وَأَسْفَلُهُ لِهَوَازِنَ قَالَ:

أَلَمْ أَكُ قَدْ طَالَبْتُكُم فَوَجَدْتُكُمْ ... بِلِيَّةَ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَرَانِقِ

وَقَال:

لَسْتُ بِذِي زَوْجٍ وَلَا خَلِيَّه ... يَا لَيْتَنِي بِالْبَحْرِ أَوْ بِلِيَّهْ

وَقَال غَيْلَانُ بنُ سَهْمٍ:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ وَجٍّ ... وَلِيَّةَ نَحْوَكُمْ بِالدَّارِعِينَا[3]

---

(١) لَمْ أَجِدْ فِي «مُعْجَم الْبُلْدَان» مَا يُوَضِّحُ شَيْئًا مِنْ عِبَارَات نَصْرٍ، بَل نَقَل أَكْثَر كَلَامَه وَفِيْه تَحْرِيف، فَالْحَبَابِيَّة عِنْدَه: الْجَابِيَّة، وَعُرُبَّةُ: عُرُنَّةُ، وَيُفْهَمُ مِنْ كَلَام غَيْرِه أَن عُرُبَّة فِي جِهَة الْمَدِيْنَة، وَكَذا قَلَهَى، أَمَّا الْقَوْلُ: بِأَن الْقَلَهَى مَاءٌ لِبَنِي جَذِيْمَة بن مَالِك، فَلَم يَتَّضِح لِي هَذا، فَتِلْك الْمَوَاضِعُ لِبَنِي سُلَيْم، وَيُجَاوِرُهُمْ مِنَ النَّاحِيَّة الشَّرْقِيَّة غطَفَانُ.

(٢) نَقَل صَاحِبُ «مُعْجَم البُلْدَان» كَلَام نَصْرٍ وَلَمْ يَزِد.

(٣) قَال فِي «مُعْجَم الْبُلْدَان»: لِيَّةُ مِنْ نَواحِي الطَّائِف، مَرَّ بِهِ رَسُول الله ﷺ، حِيْنَ انْصَرف مِنْ حُنَيْنٍ يُرِيد الطَّائِف، وَأَمَرَ وَهُو بِلِيَّةَ بِهَدْم حِصْنِ مَالِك بْنِ عَوْفٍ قَائِد هوازن، ثُمَّ أَوْرَد شَوَاهِدَ مِنَ الشِّعْر، وَمِمَّا أَوْرَد مِن قَوْل عَبْد الله بن عَلْقَمَة الْجَذْمِي مِنْ جَذِيْمةِ كِنَانَة:

أَرَيْتَكِ إِذ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُم ... بِلِيَّةَ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَرَانِق

أَلَمْ يَكُ حَقٌّ أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ ... تكلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى والْوَدَائِق؟

والْبَيْتَانِ وَرَدَا فِي خَبَرِ قَتْل خَالِد بن الْوَلِيْد بَنِي جَذِيْمَة، بَعْد فَتْح مَكَّة فِي «تَارِيْخ ابْن جَرِيْر»: وَوَادِي لِيَّة: مِنْ أَشْهَرِ أَوْدِيَة مِنْطَقَة الطَّائِف، يَقَع شَرْق الْمَدِيْنَة مُنْحَدِرًا مِنْ سِلْسِلَة الْجِبَال نَحْوَ الأَرْض الْبِرَاح مُغَرِّبًا حَتَّى يَجْتَمِع بِأَوْدِيَةٍ أُخْرَى مِنْ أَوْدِيَة الطَّائِفِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي أَوَّلِ سَهْلِ رُكْبَة، وَشُهْرَةُ الْوَادِي تُغْنِي عَنْ تَحْدِيْدِهِ.

٥٧- بَابُ أَلْبَان وأَلْيَان والْبَانِ والْبَارِ والنَّار[١]

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ واللَّامِ وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَآخِرُهُ نُونٌ: بَلَدٌ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ غَزْنِيْنَ، بَيْنَهَا وَبَيْن كَابُلَ، وَأَهْلُهُ من فَلِّ الْأَزَارِقَةِ، الَّذِيْنَ شَرَدَهُم المُهَلَّب، وَهِي إِلَى الآن عَلَى مَذْهَبِ أَسْلَافِهِمْ فِي الشَّرَايَةِ، إِلَّا أَنَّهُم يُذْعِنُونَ لِلسَّلَاطِيْنِ، وَفِيْهِمْ تُجَّارٌ مَيَاسِيْرُ وَأُدَبَاءُ وَعُلَمَاءُ، يُخَالِطُونَ مُلُوكَ السِّنْدِ وَالْهِنْدِ الَّذِيْنَ يَقْرَبُوْن مِنْ بَلَدِهِم، وَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ اسْمٌ بِالْعَرَبِيَّة، وَاسْمٌ بِالْهِنْدِيَّةِ[٢].

وَأَمَّا أَلْيَانُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ ثُمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَآخِرُهُ: نُونٌ: مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ وَقِيْلَ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ[٣].

وَأَمَّا بِحَرْفَي التَّعْرِيْفِ وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ: ذُو الْبَانِ: جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ بِحِذَاءِ مُلَيْحَةَ مَاءٌ هُنَاكَ[٤].

---

(١) عِنْد الْحَازِمِيّ (بَابُ أَلْبَان وَالْبَان) وَذَكَر فِي حَرْفِ الْبَاءِ (بَابُ بَارٍ وَنَارٍ وَبَانٍ).

(٢) عِنْد الْحَازِمِيّ. وَنَقَل يَاقُوت كَلَام نَصر مَنْسُوبًا إِلَيْه.

(٣) عِنْد الْحَازِمِيّ: الْبَان بِسُكُوْن اللَّام، والْبَاقِي نَحْو الأَوَّلِ فِي شِعْر أَبِي قِلَابَةَ الْهُذَلِيّ:

يَا دَار أَعْرِفُهَا وَحشًا مَنَازِلُهَا ... بَيْنَ الْقَوَائِمِ مِنْ رَهْطٍ فَأَلْبَانِ

قَالَ السُّكَّرِيُّ: الْقَوَائِمُ جِبَالٌ مُنْتَصِبَةٌ. وَحْشٌ: لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ. وَهَذِهِ كُلُّهَا مَوَاضِعُ. والْبَيْت فِي كِتَاب «شَرْح أَشْعَار الْهُذَلِيِّيْن» وَبِلَاد هُذَيْل فِي تِهَامة، وانْظُرْ مَا عَلَّقْتُ بِهِ عَلَى كَلَام الْحَازِمِيّ.

(٤) نَقَل هَذَا الْحَازِمِيُّ فِي كَلَامِهِ عَلَى بَان، وَنَقَلَهُ يَاقُوتُ غَيْرَ مَنْسُوبٍ وَلَمْ يَزِدْ، وَذَكَر مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنْهَا: الْبَان: أَسْفَل مِنْ صُفَيْنَة فِي صَحْرَاء مُسْتَوِيَةٍ عَمُوْدَان طَوِيْلَان لَا يَرْقَاهُمَا أَحَدٌ، إِلَّا أَنْ يَكُوْنَ طَائِرًا، فَيُقَال لأَحَدِهِمَا عَمُود الْبَان، والْبَان: مَوْضِعٌ، والآخَرُ: عَمُود السَّفْحِ وَهُو مِن عَنْ يَمِيْن طَرِيْق الْمُصْعِدِ مِنَ الْكُوْفَة عَلَى مِيْل مِن أُفَيْعِيَّةَ وَأُفَاعِيَة، وَذُو الْبَان جبل فِي دِيَار بَنِي كِلَاب، قَالَ أَبُو زِيَاد: ذُو الْبَان: هَضْبَة تُنْبِت الْبَان، وَذَكَر غَيْر هَذَا.

وَذَكَر الْحَازِمِيُّ الْعَمُوْدَيْنِ اللَّذِيْن عَلَى مِيْل مِن أُفَيْعِيَةَ مِن صُفَيْنَةَ، نَقْلًا عَنْ «رِسَالَة عَرَّام» وَصُفَيْنَةُ وأُفَيْعِيَةُ فِي مِنْطقَة مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْم (الْمَهْد) مَعْرُوْفَتَان.

وَلَمْ أَرَ لِمُلَيْحَة الَّتِي فِي دِيَار بَنِي كِلَاب ذِكْرًا.

وَذُو الْبَانِ أَيْضًا فِي مَصَادِرِ وَادِي الْمِيَاهِ لِبَنِي نُفَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كِلَابٍ(١).

وَأَيْضًا بِأَطْرَافِ الرُّفَقِ لِبَنِي عَمْرِو بْنِ كِلَاب(٢).

وَأَيْضًا مِنْ أَقْبَالِ هَضْبِ النَّخْلِ وَرَاء ذَالِك، قَالَهُ ابن السِّكِّيتِ(٣).

وَأَمَّا بِالْبَـاءِ الْمُوَحَّدَةِ بَعدَ لَامِ التَّعْـرِيْفِ وَآخِرُهُ رَاءٌ خَفِيْفَةٌ: سُوْق الْبَـارِ: بَلَدٌ يَمَانِ بَيْنَ صَعْدَةَ وَعَثَّر، وَهُو عَلَى التَّحْدِيْدِ بَيْنَ الْخُصُوف والْمِيْنَاءِ(٤).

وَأَمَّا بِالنُّوْنِ مِثْلُهُ: ذُو النَّارِ نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي هَجَر لِبَنِي مُحَارِب بْن عَبْد الْقَيْس(٥).

---

(١) لَمْ يَذْكُرْه الْحَازِمِي، وَذَكَرَه يَاقُوْت، وَبِلَادِ بنِي نُفَيْلٍ مَع قَوْمِهِم بَنِي عَمْرِو بْنِ كِلَاب فِي عَالِيَةِ نَجْد.

(٢) لَا أَسْتَبْعِد أَنْ يَكُوْن هُوَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْه الْحَـازِمِيُّ، وَذَكَرَهُ يَاقُوْت فِي «الْمُعْجَم» فَقَال: الرُّفَقُ مِنْ بِلَاد بَنِي عَمْرِو بْنِ كِلَابٍ، وَلَم يَزِدْ، وَبِلَادُ بَنِي عَمْرٍو هَاؤُلَاءِ فِي جَنُوْب عَالِيَة نَجْد.

(٣) وَمِثْل هَذَا عِنْد الْحَازِمِي ويَـاقُوْت بِدُوْن زِيَادَة، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ هَضْبَ نَخْل بِدُوْن تَعْـرِيف، وَنَخْلُ: هُو مَا يُعْرَف الْأَن باسْم الحِنَاكِيَة، يُحِيْط بِهِ هَضْبٌ مُرْتَفِعٌ مُتَّصِلٌ بِالْحَرَّةِ. ولكنَّ هذَا بَعِيدٌ عنْ بلادِ بني كِلاب.

(٤) لَمْ يَذْكُر الْحَازِمِيُّ جُمْلَةَ: (وَهُوَ عَلَى التَّحْدِيْد) إِلَى آخِرهـا، وَقَدْ نَقَلَهَا يَاقُوْت بِنَصِّهَا مُضِيفًا: وَقِيل: الْبَار: بَلَدٌ، قِبْلِيُّ تُوْرَابَ وَشَرقِيُّهـا شَامِي (؟) يَسْكُنُهُ بَنُو رَازِح مِنْ قُضَـاعَة، انْتَهَى، والْعِبَارَةُ فِيْهَا اضطِـرَاب، والْمَسَافَة بَيْن صَعْدَة وَعثَّر شَاسِعةٌ طَوِيْلَةٌ، فَالأُولَى فِي شَرْق الْيَمَن، والثَّـانِيَةُ فِي تِهَامَة، أَمَّا الخَصُوفُ: فَهِي الْقَرِيْبَةُ مِنْ عَثَّر، وَهِي جَنُـوبُهـا وَشَمَـال حَـرَضٍ - عَلَى مـا يُفْهم مِن ذِكْـر الْهَمْـدَانِي لَهَـا - «صِفَـة جَـزِيْـرَة الْعَـرَب» - ٥٤/ ٢٥٨/ ٣٤١ - وَقَدْ ذَكَـر الْبَارَ وَهُـوَ يَتَحَدَّث عَـنْ سَرَاةِ خَوْلَان فَقَـال بَعْد ذِكْـر مَوَاضِـع مِنْهَا - ١١٧ -: والْقُفَاعَةُ والبَار وحُلَبُ وَجُحْفَان.

وَعَلَّق الْقَاضِي مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الأَكْـوَع عَلَى هَذَا قَائِلًا: الْقُفَاعَةُ لَازَالَتْ عَامِرةً فِـي مُخْلَاف أَعْلَى شَمَالِيِّ تِعِزَّ. والبَارُ: كَـانَت قَرْيَـةً كَبِيْرَةً وَسُـوْقًا عَظِيْمًـا، فِي غَرْبِيّ رَازِح وَحَـارَة تِهَامَـة، يُسْتَخْرَجُ مِنْـهُ وَمِنَ الْقُفَاعَـة مَعْدِنُ الذَّهَب، وَكَانَ مُتَعَالَمًا مَشْهُورًا، وَهُو الْيَوْمَ أَطْلَالٌ. انْتَهَى.

وَعَثَّرُ - وَتُخَفَّفُ الثَّـاءُ أَيْضًـا - مِن الْمُـدُنِ الْقَدِيْمَـة الَّتِي درَسَتْ، فِي إِقْلِيمْ جَازَان، وَقَـدْ تَحَدَّثَ عَنْهَـا وَحَدَّد مَوْقِعهَـا الأُسْتَاذُ مُحَمَّـدُ بنُ أَحْمَدَ الْعُقَيْلِيُّ فِي «الْمُعْجَم الجُغْـرَافِي» مُقَاطَعَة جَـازَان، بِأَنَّهَا تَبْعُـدُ عَنْ جَازَانَ شَمَالًا بِنَحْو ٣٥ كِيْلًا فِي سَاحِل الجَعَافِرَة.

(٥) لَمْ يَذْكُر الْحَازِمِيُّ نَاحِيَةَ هَجَر، وَفِي «مُعْجَم البُلْدَان»: ذُو النَّـار قَرْيَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ لِبَنِي مُحَارِبٍ من عَبْدِ الْقَيْس، وَلَمْ يَزِد، وَقَبْل يَـاقُوتٍ وَرَد الاسْم فِي كِتَاب «مُخْتَصَر الْبُلْـدَان» لابن الْفَقِيْه الْهَمَذَانِي، وَبَنُو مُحَـارِبٍ من عَبْد الْقَيْس، وَقُرَاهُم تَقَعُ بِقُرْب مَدِيْنَة الْهُفْهُوْفِ فِي الْجِهَةِ الجَنُوْبِيَّة الشَّرْقِيَّة مِنْهَا.

وَزُقَاقُ النَّـارِ بِمَكَّة مُجَاوِرٌ لِجَبَل زُرْزُرٍ، وَكِلَاهُمَـا يُشْرِفُ عَلَى الْدَّار الْمَعْـرُوْفَةِ - الَّتِي كَانَتْ - لِيَزِيْد بْنَ مَنْصِوْرِ الْحِمْيَرِيِّ(١).

وَحَرَّةُ النَّـارِ: بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَتَيْمَـاءَ مِنْ دِيَارِ غَطَفَانَ، وَسَـاكِنُهَا الْيَـوْم عَنَزَةُ مِنْ رَبِيْعَةَ، وَبِهَا مَعْدِنُ بَوْرَقٍ وَهِي مَسِيْرَةُ أَيَّامٍ(٢).

---

(١) لَمْ يَرِد فِي كِتَاب الْحَازِمِي، وَعِنْد يَاقُوْتٍ بِنَصِّه بِزِيَادَةٍ: خَالِ الْمَهْدِي، وَقَال: الأَزْرَقِيُّ فِي «أَخْبَار مَكَّة»: زُقَاقُ النَّار بِأَسفَلِ مَكَّةَ، وإِنَّمـا سُمِّيَ زُقَاقَ النَّارِ لِمَا يكونُ فِيه مِن الْشُّـرُورِ، وَقَال: جَبَل زُرْزُرٍ: الْجَبَلُ الْمُشْرِف عَلَى دَارِ يَزِيْدَ بنِ مَنْصُورِ الْحِمْيَـرِيّ خَال الْمَهْدِي بِالسُّوَيْقَة، وَكَان يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّـة الْقَايم، وَزُرْزُرٌ حَايِكٌ كَان بِمَكَّة، كَـان أَوَّل مَنْ بَنِي فِيْه، فَسُمِّيَ بِـهِ، وَجَبَلُ النَّار الَّـذي يَلِي جَبَل زُرْزُر إِنَّمَا سُمِّي جَبَل النَّـار أنه كَـانَ قَدْ أصاب أَهْلَهُ حَرِيْقٌ مُتَوَالِي. إِلَى آخِرِ مَا ذَكَر.

(٢) أَوْرَد يَاقُوْت كَلَام نَصْر كُله، وساق رَجَزًا لأَبِي الْمُهَنَّدِ الفزارِيّ وشعرًا للنَّابِغَةِ.

وَذَكَر قَبْل ذَالِكَ أَنَّ حَرَّةَ النَّار قَرِيْبَةٌ مِنْ حَرَّة لَيْلَى وأَنَّهَا لِبَنِي سُلَيْم بِنَاحِيَة خَيْبَر، كَمَا ذَكَر أَنَّهَا منازِل جُذَام وبَلِيٍّ وبَلْقَيْنِ وعُـذْرَةَ. وساق خَبَـر أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَـر فَقَال لَـهُ مـا اسْمُكَ؟ قَال: جَمْـرَة، قَال: ابْن مَنْ؟ قَـال: ابْن شِهَاب، قَـال: مِنْ أَيْن أَتَيْت؟ قَال: مِنَ الْحُرَقَـة، قَال: أَيْن تَسْكُن؟ قَال: حَـرَّةِ النَّار، قَال: بِأَيِّهَا؟ قَـال: بِذَات اللَّظَى، فَقَال عُمَر رَضِي الله عَنْه: أَدْرِك الْحَيَّ لَا يَحْتَرِقُوا.

وَحَرَّة النَّار هُنَا: هِيَ حَرَّة خَيْبَر، الَّتِي قَالَ عَنْهَـا الهَجَرِيُّ: تَبْتَدِئُ حَرَّة النَّارِ مِنَ الشُّقْرَة إِلَى الْمَخِيطِ، وَادٍ يَفْصِلُ بَيْنَ حَرَّةِ النَّار وَحَرَّة لَيْلَى، مِقْـدَارَ ثَلَاثَةِ أَيَّام، ثُم تَلِيْهَا حَرَّةُ لَيْلَى، وَتَنْقَطِعُ بِجَنَفَاء من ضِغْنِ عَـدَنَة وَخَيْبَر بِحَرَّة النَّار. انْتَهَى، وَقَدْ يُطْلَقُ اسْمُ حَرَّةِ النَّار عَلَى كُلِّ حَرَّةٍ، والْقَوْلُ بِأَنَّهَا بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَتَيْمَاء فِيْه تَجَوُّزٌ، فَهِي تَقَعُ جَنُوب تَيْمـاء وَوَادِي الْقُرَى يَقَع فِي الْجَنُوب الْغَرْبِي مِنْ تَيْمَـاء، والْطَّرِيْقُ مِنْهَا إِلَيْـهِ يَدَع الْحَرَّة جَنُوبَـهُ، بَعِيْدَةً عَنْه بِمَسَافَات شَاسَعةٍ، إِلَّا إِذَا أَرَاد سُلُوكَ طَـرِيْقِ خَيْبَرَ إِلَى وَادِي الْقُرَى، وَمَهْمَا يَكُنْ فَلَيْسَتِ الْحَرَّةُ بَيْن تَيْمَاء وَوَادِي الْقُرَى.

والْبَوْرَقُ: نَوْعٌ مِنَ الأَمْلَاح، يُسْتَعْمَلُ فِي الصِّبَاغَةِ، انظُر «مِفْتَاح الْعُلُوم» - ١٤٨ - و «نخَبَ الذَّخَائِر» - ٤٣ -.

حول بلاد بني مالك

اطلعت على ما نشـر في جريدة «المدينة» في عددها الصادر بتأريخ ٢٦/ ٣/ ١٤١٨هـ بقلم شرف بن حزام المالكي يرد على المقال الذي نشرته مجلة «العرب» بقلمي وعنوانه (حول بلاد بني مالك) وهذا تعقيبي على تعقيبه.

١ - أولًا أشكر الأستاذ شرف بن حزام المالكي.

٢ - لقد وصفني بأنني مخطئ، ولعل قراءته خاطئة ولم يلاحظ فواصل العبارات، والتحريف والأخطاء المطبعية ولا قرأ ما نشر في الأعداد السابقة لهذا العدد الذي وقع لأدرك أنني لم أقل (إن قرى بني حرب هي الحد من الجنوب شمال بلاد زهران، سبحانك هذا بهتان عظيم.. ولكن الأخ شرف لم يدرك صواب اسم قرية (حِرْف) لأن الباء من حرف غير، فجاء (حرب) خطأ مطبعي بدلًا من (حرف) فاتخذ من هذا الخطأ مجالًا لتوجيه نقده إليَّ.

٣- أما ما نسب إلى أنني قلت (أن بني حرب من بجيلة) فأنا لم أقل هذا.. ولكن كنت أضع اسم (بجيلة) بين قوسين للتفريق بين بني مالك عسير، وبني مالك (فيفا) حيث أنني لاحظت كتابات المغتربين إلى أهلهم وذويهم من جدة ومكة المكرمة إلى بلاد بني مالك بدون إضافة (بجيلة) أو (حداد) أو (بني مالك الطائف) تذهب رسائلهم إلى بني مالك (عسير) أو (فيفا).

٤- أما قولي: إن العصمان من العصيمات فهذا صحيح ولن أتراجع عنه وقد يكون لهذا النزوح من اليمن سبب إما لطلب الماء والكلإ أو لسوء تفاهم بينهم وبين عشيرتهم أو غيرها كما كان جارٍ في الجاهلية حيث يقتل القاتل أخاه لأتفه الأسباب.

٥ - أما بني النهاري فهم أيضًا من اليمن الشمالي من تهامة وهم سادة، ولهم تقدير عند قومهم يقدرونهم ويحترمونهم.

٦- وأما بنو حرب الذين يسكنون (الفرعة) التي يضاف إسمها إليهم فيقال (فرعة بني حرب) وهم أيضًا نازحون من اليمن من (صَعْدَة) من خولان بن عامر مع إخوتهم قبيلة حرب القاطنين بين مكة المكرمة والمدينة المنورة القبيلة الكبيرة المشهورة فإن شئت التفصيل والقول المدعم بالدليل فانظر إلى ما نقله لك الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في كتابه «نسب حرب» بعنوان (سبب جلاء بني حرب من اليمن) والأصل في «الإكليل» للهمداني ولا أطيل بذكره.

٧- قال محمد بن سعيد بن عوض آل رداد الأسمري في كتابه «تأريخ رجال الحجر» المسمى «نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر» ص ٤٦ ط ١٤١٧هـ ولهجرة القبائل العربية و إنسياحها في الأرض عدة أسباب وعوامل ملخصها ما يلي:

(١) ضيق المكان إذ كثيرًا ما تهاجر القبائل إذا ضاقت أماكنها وغصت بالسكان و يكون ذالك عادة عندما تتعدد القبائل تكثر فروعها.

(٢) الجدب الذي يضطر القبيلة إلى البحث عن الماء والكلإ إذ تتوقف حياتهم على تربية الماشية.

(٣) التنازع والحروب التي تثور بين القبائل المتجاورة مما يضطر القبائل الضعيفة إلى الهجرة إلى مكان تجد فيه أمنًا وتركت بعض العوامل للاختصار.

بيشة: يحيى بن علي بن عكور

الشيخ حسين بن نفيسة

سبق أن تحدثت عن الشيخ حسين بن نفيسة، ولم أذكر شيئًا عن نشأته، وقد مر بي في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ماذكر في ترجمة الشيخ إبراهيم بن سعود السياري (١٢٩٧/ ١٣٨٠هـ) المولود في بلدة (ضرما) قال عنه: (وبعد أن بلغ سن التمييز بدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم على يد المطوع حسين بن نفيسة، وتعلم الكتابة والقراءة ومبادئ العلوم).

هـذه الجملـة تلقي ضـوءًا على حيـاة الشيخ حسين في أولهـا، فيفهم منهـا: أن آل نفيسة كانوا من أهل (ضرما) كما يفهم منهـا أن الشيخ حسينًا كان فتح فيها كُتابًا لتعليم القراءة والكتابة، وممن تعلم فيه الشيخ إبراهيـم بن سعود السياري، الذي تولى وظائف دينية وقضائية في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى أن توفي سنة ١٣٨٠ هـ.

آل خميس وآل منصور في جلاجل

كتب الأخ سليمـان بن منصـور الخميس إلى «العـرب» بما ملخصـه: ورد في حرف الخاء من كتاب «جمهرة أنسـاب الأسر المتحضرة في نجد»: آل خميس في العودة والغاط وفي سدير والقصيم.

ولم يـرد لآل خميس في جـلاجل من البـدارين من الـدواسـر ذكـر، وكـذا لآل منصور من آل خميس في جلاجل، وهـم من البـدارين من الدواسر، مع أنه ورد في الكتاب ص ٨١٢: وهم أبناء عم آل خميس في جلاجل.

وأضاف الأخ سليمان: بل وأبناء الجد القريب محمد بن منصور، ولكن بعضهم حمل اسم الخميس وبعضهم حمل اسم آل منصـور. انتهى، ورغب إضـافـة هـذا إلى الكتاب عند إعادة طبعه.

و «العرب» تقدر لـه ولأمثالـه ممن ينبه إلى نقص أو خطإ في الكتـاب المشار إليه حتى يمكن تلافيه إن شاء الله.

«الرحلة الملكية»

سبق أن تحدثت «العرب» - س ٣٢ ص ٧٥٥ وما بعدهـا - عن الشيخ عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ بمناسبة تحقيقه لـ «الرحلة الملكية»، وفات ذكر تاريخ وفاته.

وقد أرشد المجلـة أحد الإخوة إلى أن وفاة الشيخ عبدالـرحمن كان قبيل العصر من يـوم الأربعـاء ١٨/ ١٠/ ١٤٠٦ هـ بحـادث سيـارة في طريـق مكة - الطـائف المار بالسَّيْل - رحمه الله -.

* «الوافي بالوفيات»

للمستشرقين من العلماء الألمان يَدٌ يَجِبُ أن تُذْكَر فَتُشْكَر لما يبذلونه من جهود متواصلة، في نشر التراث العربي من القرن الثالث عشر الهجري إلى الآن، بصفة مستمرة، وليس المجال مجالَ الإفاضة في هذا الموضوع، ولكن دعا إليه الحديث عن كتاب جليل مما قام أولئك بِإِحيائه بالنشر والتحقيق، منذ عدة أعوام إلى زمننا هذا، فقد جمعوا أصول كتاب «الوافي بالوفيات» تأليف الصَّفَدِيِّ، خليل ابن أَيْبَك (٦٩٦/ ٧٦٤هـ) صاحب المؤلفات المشهورة، جمعوا أصوله المفرقة في مكتبات العالم، إذ لم يجدوا عند التفكير في نشره مخطوطة كاملة من الكتاب، وإنما وجدوا قطعًا منه في مكتبات متفرقة في خزائن أوروبا ومصر وغيرهما[١]، حتى استطاعوا تأليف نسخة كاملة منه، عهدوا بها إلى عدد من العلماء المتخصصين في تحقيق التراث من مستشرقين وعرب، حتى صدر منه هذا العام والجزء التاسع والعشرون، وهناك جزءان لم ينشرا، إذ لم يَتِمَّ تحقيقهما، هما الجزء السابع والعشرون تحقيق (انفريد ما ينترت) والثامن والعشرون تحقيق إبراهيم شَبُّوحْ، والأول قيد الطبع، والثاني قيد الإعداد.

أما هذا الجزء الذي بين يدي القارئ فيحوي من الأسماء قسمًا من حرف الياء، يبتدئ بمن اسمه (يعقوب بن يوسف) وينتهي بانتهاء ذكر (يونس بن يوسف).

وقد تَوَلَّى تحقيقه الأستاذ ماهر جَرَّار، وهو كما علمت من أساتيذ (الجامعة الأمريكية في بيروت) وقد عَهِدَتْ إليه اللجنة المشرفة على النشرات الإسلامية والتي أسسها (هِلْمُوت رِيتَر) العالم الألماني الواسع الاطلاع على المخطوطات العربية[٢] وتصدرها (جمعية المستشرقين الألمانية) التي نشرت طائفة من المخطوطات العربية بلغت ثلاثة وأربعين جزءًا موضحة في منشوراتها - عَهِدَتْ إلى الأستاذ ماهر الذي سبق أن قام بتحقيق القسم الأول من كتاب «الأنساب»

للبلاذُرِيّ من منشوراتها عهدت إليه - بتحقيق هذا الجزء من كتاب «الوافي بالوفيات» فقام بذالك قيامًا مرضيًا قال عن طريقته في التحقيق بعد أن ذكر ماتوفر له من أصول الكتاب: أنه قارنها، وأثبت فروق القراءات فيها، ثم طابق بين النقول في أصل الكتاب بمآخذها من المصادر ومظانها[٣]، وسمّى مصادر التحقيق فبلغت ثلاث مئة كتاب عربي، وسبعة كتب بلغة غربية، فجاء الكتاب بما يحويه من تراجم مجموعها اثنتان وثلاثون ومئتا ترجمة، بين الطويلة التي تقع في عدة صفحات، والقصيرة التي لا تزيد على بضعة أسطر، وقع وما ألحق به المحقق من تذييل وذكر لمصادره، وفهرس لأصحاب التراجم في (٤٦٤) صفحة، أضيف إليها بيان النشرات الإسلامية.

ويفهم مما ورد في آخر الجزء - ص ٤٠٩ - وما بعدها أنه آخر أجزاء كتاب «الوافي بالوفيات» مع أنه ورد في بيان الأجزاء من هذا الكتاب المذكور ضمن النشرات الإسلامية ذِكْرُ (القسم الثلاثين) تحقيق (بنيامين يوكش) قيد الإعداد، فلعل هذا يتعلق باستدراكات ونحوها أو إضافات جديدة.

ولقد استفتح المحقق الكريم عمله بإهدائه: (إلى من صرف همته منذ عشرون (؟) عامًا لخدمة «الوافي بالوفيات» عاملًا بصمت وأخلاقية متميزة ودَأَب قَلَّ نظيره، إلى (أولريش هارمان) هذا الجزء الأخير من كتابه) ويدل هذا على أنه آخر الأجزاء.

ثم شرع بتحقيق الأصل، فعند كل ترجمة مشهورة يورد أسماء الكتب التي يمكن الرجوع إليها عن المترجم، قلّتْ أو كثُرَتْ، ويشير في الصفحات إلى ما يرد في الأصل منقولًا عن بعضها، موجِّهًا المطالع للمقارنة بين الوارد في الكتاب، وبين مافي المصدر، وقد يوضِّح بعض ما يرد مُبْهمًا من الحوادث توضيحًا مختصرًا، ولكنه وافٍ بالمقصود، كما يذكر اختلاف نسخ الأصل بكثرةٍ، وتضبط الكلمات بالحركات (الشكل) وقد يذكر الاختلاف بين ما ورد في الكتاب وبين ما

في الأصل المنقـول عنـه، ولكنـه لا يضيـف من ذالك مـا يُعَـدُّ متممًـا لمـا أورده المؤلف، وإن ورد في مـؤلفاتـه هُوَ كما وقـع في ترجمة (المَهْمَنْـدَار) الذي تـرجمه المؤلف في كتابه «أعيان العصر وأعـوان النصر» مع كونه من مصادر التحقيق، وورد ذكره في التعليق على تلك الترجمة، إذ من متمماتها ذكـر ما لصاحبها من مؤلفات، ومما ذكر الصفدي منها كتاب «الأنسـاب» وآخر في البديع سمَّاه «الآيات البينات» والأول من مصـادر ابن فضل الله العمـري في كتـابـه «مسـالك الأبصـار» في ذكـر أنساب العرب في عهد ابن فضل الله، نقل عنه كثيرًا، ثم اعتمد عليه القلقشندي في مؤلفاتـه، كـ «صبح الأعشى» و «نهاية الأرب في أنساب العـرب» والثاني الذي في البلاغة اطلعت عليه مخطوطًا في (دار الكتب المصرية).

لا أدري هل المحقق الكريم تأثَّـر بقول الأستـاذ (ريتر) في مقدمـة الجزء الأول من الكتاب(٤) (لم نستجز التصـرف في المتن، بالتبـديل والتغيير والتصحيح، بل رأينـا إثباتـه على ماهـو عليه فـي الأصول أوْلَى، وإن لم يحصل بـذالك على متن سالم من الخطإ وبَرِيٌّ من السهـو تمامًا). ويقصد به المحـافظة على إيراد الأصل دون تغيير، حتى ولـو كان الأصح خلافـه، فقد مَرَّت بي كلمـات من هذا القبيل في تحقيق الدكتـور ماهـر، وما أرى التَّوَرُّعَ إلـى هذا الحد سـائغًا،، لا سيمـا إذا كانت إحدى مخطوطات الأصل أوردت ماهو الأصح، ومن أمثلة ذالك:

١- ما ورد ص ٢٣: (فأقبل مكة بعد انقضاء الحج) وفي الحاشية (س: فقدم).

٢- ماورد ص ٧٣: (وفيه شِدَّةٌ ووطاء على المُرِيب) وفي الحاشية (س: ووطأة).

٣- ص ٧٤: (لازال ريعها أخضر) وفي الحاشية: (س: ربعها).

٤- ص ٢٢٩:

فإن يك مـا قـالاهُ سَهْـلًا وواسعًـا فقـد سهلت لابن معين المسـالك)

وفي الحاشية: (س: المعين).

وحرف (س) يراد به المخطوطة التونسية، من أصول المحقق، وتتضح صحة ما ورد فيها من المقارنة بينه وبين ما ورد في المطبوعة، ولا يحتاج إلى زيادة إيضاح.

وهناك ملاحظات يسيرة عَنَّتْ لي أثناء المطالعة، رأيتُ إبداءها للمحقق الكريم الأستاذ ماهر جَرَّار الذي علمت عنه أنه من أحفياء الدكتور منير بعلبكي - إن لم يكن من تلاميذه - وقد عرفت في الدكتور منير أنه لا يُغْمِضُ على القَذَاة التي تَمَسُّ جانبًا من جوانب تراثنا العربي، اتضح لي بعض هذا من نقده للجزء السادس (القسم الثاني) من «أنساب الأشراف» الذي حققه خليل عثامنة، ونشرته (الجامعة العبرية في القدس) سنة ١٩٩٣م وقد نشر النقد باللغة الإنجليزية في مجلة «عالم الإسلام»[٥]، فعربه لي أخي الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الهِلَابي، والدكتور رمزي ابن منير البعلبكي أستاذنا - ختم الله لي وله بخاتمة السعادة - وهو ممن سعدتُ بزمالته في (مجمع اللغة العربية) فعرفت عنه أبرزَ مِزية في الغَيرة على الذود عن حمى الضاد عندما يحدث نقاش يتعلق بهذا الجانب بينه وبين بعض المتساهلين بهذا من بعض إخواننا في المجمع.

من هنا توقعت أن الأستاذ ماهر جَرَّار قد يولي ما أُبْدِيه من ملاحظات ماهي جدِيرة به.

(للحديث تتمة)

الحواشي:

(١) انظرعن هذه المخطوطات مقدمة (هلموت ريتر) الجزء الأول من «الوافي بالوفيات».

(٢) قد اجتمعت به في رحلتي الأولى إلى اسطنبول وقد كبر سنه وضعف سمعه بحيث وضع في أذنيه سماعتين، وقد تحادثت معه حديثًا قصيرًا سألته فيه عما يعرف عن مخطوطة «بلاد العرب» للأصفهاني، وكتابًا آخر أُنْسِيْت اسمه، فقال باللهجة العربية الفصحى التي لا لكنة فيها: (لا أعرف شيئًا عنهما)، ورأيته يتردد كثيرًا على المكتبة السليمانية وغيرها من المكتبات.

(٣) : - ص ٤١١ - . (٤): - ص (هـ) المقدمة.

(٥) (De Welt Des Islam 35, 1 E. J. Brill, Leiden 1955)

فهارس السنة الثالثة والثلاثين

١- الكتاب والمعلقون. ٢- الموضوعات العامة. ٣- الأعلام.

٤- القبائل والأسر والجماعات. ٥- الكتب والصحف والمجلات.

٦- المواضع. ٧- الشعر والشعراء.

أولاً: الكتاب والمعلقون

ثانياً: الموضوعات العامة

ثالثاً: الأعلام

رابعاً: القبائل والأسر والجماعات

خامساً: الكتب والصحف والمجلات

سادساً: المواضع

سابعاً: الشعر والشعراء